[illegible] خلق الانسان

ابن سناء الملك

ليل المحبين بدري وهو معتنقي ... وبات بدرك مرميا على الطرق

شتان ما بين بدر صبغ من ذهب ... هو ذاك بدري وبدر صبغ من ورق

وكتب ابن هانئ الاندلسي

وهم رشحوا تيما لارث نبيهم ... وما كان تيمي اليه بمنتم

ابن سنا الملك

ومع الشيب فبعد عنه عصوة ... يلي القميص وفيه عرف المندل

الا حبذا انصار النبي الا تقى ... بالاشهل العينين عبد الاشهل

ابن

سلام عليها ما اداست سلامها ... وان كرهته فالسلام على اخرى

لكاتبه عفي عنه

قلبي لو الدمع في وجنتي ... من لوعة الاشجان مدفوق

ليس كمثلي في الورى عاشق ... وليس كمثلي معشوق

ولبعضهم عفي عنه

وقالوا به سودا من جي ذوائبها ... وما هي سوى صفر من خرد الحبش

تفوق ضياء البدر تبدو في الدجى ... وتزري بضوء الصبح ان تبدو في الغبش

ابن طباطبا

لا تعجبوا من بلى غلالته ... قد زر ازراره على القمر

الرضي رحمه الله

كيف لا تبلى غلالته ... وهو بدر وهي كتان

نقل ان البدر يبلي الكتان

وفي بيت ابن طباطبا قصور لانه لم يصرح بان غلالته كتان كما صرح الرضي والقمر لا يبلي كل غلالة وانما يبلي الكتان

فتدبر

لبعضهم

للنعي ذما الوده بالصحن ... وفضل البادي ما يجاري

اخر

وليس لي في سوال الحظ ... كيف ما شئت فاخبرني

فهرست ... رواه ابو بكر بن مردويه

في كتاب ... باسناده الى

... اهل البيت ... عليه وآله

... ان النبي صلى الله عليه وآله ... كان

... الى غدير خم امر بما كان تحت

... الناس ... وذلك يوم الخميس

... الشجرة من الشوك فقم ...

لافر
أضحى التنائي بديلاً من تدانينا
وناب عن طيب لقيانا تجافينا

كذلك الحب [illegible]
وانقضى [illegible]

[illegible] في الباب [illegible]
في الصفة [illegible]

قال [illegible] ومن إنما يصف بالسواد
[illegible] قال [illegible]
[illegible]

قال [illegible] أحد [illegible]
[illegible]
[illegible]

حديث [illegible]
[illegible]
٢١١

أمير المؤمنين فدتك نفسي
لنا من شأنك العجب العجاب

تولاك الأُلى سعدوا ففازوا
وناواك الذين شقوا فخابوا

ولو علم الورى ما أنت أضحوا
لوجهك ساجدين وإن لم يجابوا

يمين الله لو كشف المغطى
ووجه الله لو رفع الحجاب

أمير المؤمنين فدتك نفسي
لنا شيخان له العجب العجاب

لنا شيخان بعيد وافقانا
فلولا الأولون بعيد وافقانا
وفاولان الذين شقوا اقانا

وما والان الذين آسنا ضيعوا
ولو تطير الوري يا حديثهم لجانبوا

لو تجهلت با النفس
يجب الله لو كشف
فوجد الله لو رفع الحجاب

فهرس ما في هذا السفر من المجالس

المجلس السادس والتسعون في نفي الافات المطيفة بالاخلاق المنيفة عن الانفس الشريفة ٣٢٥

المجلس السابع والتسعون في اداب الانفس على سير الصوفية ٣٣٥

المجلس الثامن والتسعون في اداب الانفس في السفر ٣٣٩

المجلس التاسع والتسعون في احوال الانفس على لسان الصوفية ٣٤٣

المجلس المائة في مواعظ تدعو الانفس الى التقوى والرغبة في الدار الاخرة والزهد في الفانية والخوف الجزاء ومراقبة العواقب ٣٤٧

انتهى فهرس ما في هذا المجلد من المجالس الشريفة من الكتاب فقير رحمة ربه واسير وصمة ذنبه العبد على الصدر المدني بن محمد الحسيني الحسني عفا الله عنهما وذلك ليلة السبت المبارك لثلاث خلون من صفر احد شهور سنة احدى وثمانين والف احسن لسختامها والحمد لله اولا واخرا وظاهرا وباطنا والصلوة على على سيدنا محمد واله اشرف الخلق خاتما ومعادنا والتهية

این چند ورق اول و صفحه مقابل و یک صفحه در آخر کتاب همه خط مرحوم سید علیخان کبیر صاحب سلافة العصر و ریاض السالکین است:
صاحب کتاب الذریعه که تصانیف الشیعه این کتاب را دیده و لی مؤلف آنرا نشناخته نگاه کنید بکتاب الذریعه ج ۷ ص ۲۴۲ و صاحب کشف الظنون ج ۱ ص ۷۲۴ چاپ استانبول نام مؤلف را یاد کرده ولی نه کتاب را دیده و نه مؤلف را شناخته است نگاه کنید بصفحه آخر کتاب

أ

المجلد الثاني من كتاب خلق الانسان للعلامة بيان الحق ابي القسم محمود بن ابي الحسن النيسابوري نفع الله به



مؤلف هذا الكتاب العالم محمود بن ابي الحسن النيسابوري ... وهو غير صاحب التفسير النيسابوري ... الحسن بن محمد القمي النيسابوري ... المستقطار ... فاعلم

ش

من زمن علي عبده محمد مجد الدين علي صدر الدين احمد نظام الدين الحسيني الحسني اتالهما الله تعالى مرضاته

في نوبة العبد



الجلد الثاني من المجنون من كتاب خلق الانسان لبيان الحق النيسابوري رضي الله عنه في تفسير قوله تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون في سياسات الملوك

تهذيب الاخلاق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الملك القريب السميع المجيب ذي العرش المجيد فعال لما يريد ويسهل من الامور ما تعذر وييسر من الخطوب ما تعسر ويهدي الى الحق من مال اليه وجنح وينال في نحو الرجوع من صد عنه وجمح بابه قبلة السائلين وجنابه مثابة الآملين وشريعته مورد معونة كل ضعيف ومقصد معونته كل لهيف لا يسعد المذنبين الا بعد اعتذار وانذار ولا يعاقب المسرفين الا عقيب امهال وانتظار لا تناله الاوهام والافكار ولا تدركه الاسماع والابصار ولا تحديد مراتع رحمته على الرواد ولا تنضب مناهل نعمته على الوراد لكل اجل عنده كتاب ولكل عمل لديه حساب يكتب لكل امرء مدى واحصى كل شيء عددا اذا ابدى نعمة اعادها واذا انكر على عار زادها واذا سئل حاجة اجابها ورفع بفضله حجابها يعفو عن الكبائر رحمة وغفرانا ويؤاخذ بالصغائر كتابا وحسبانا لا يغلق بابا الا ويفتح ابوابا ولا يقطع سببا الا ويعلق اسبابا لا يعد ثناؤه ولو نفد القرطاس ولا تعد الاؤه ومحامده الانفاس ولا يحيطون بكنه عظمته العلماء والعارفون ولا يعبرون كل حكمته الحكماء السابقون لا يقبل من الاعمال غير صافيها ولا يرضى من الاخلاق سوى زاكيها ولا يؤاخذ المذنب الا بعد امهال وانظار ولا يعاقب الجاني الا بعد تحذير وانذار والصلوة على محمد عبده ورسوله ارسله ضياء ونورا وهدى به قوما بورا وعلى آله المتعادين في الاخلاق العظيمة المتشاكلين في الطرائق الكريمة واختلف العلماء في مبدأ الطريق نحو تهذيب الاخلاق الى اربعة آراء فقالت طائفة منهم الطريق في تهذيب الاخلاق طريق الاطباء في علاج علل الابدان وهو ان يقمع الضد بضده ويؤيد الشكل بشكله وسبيل الانسان فيه ان ينظر الى الطرفين المتنافيين المكتنفين للاعتدال فينظر ايهما اشد استيلاء على خليقته وتمكنا من طريقته ويواظب على قمعه ودفعه بتقوية الضد المقابل له عليه لتقمعه بانه متى كسر من سورة الغالب لان له المغلوب ودان وطاع وهان وذلك بان يروض قوة الغضب على التدريج حتى يطاوع حسن العفو لمن ساءه وتصرفت محنة اذ به كانت نعم العون على توهين احتها قوة الشهوة والابتدا بالاهم في المعالجات احرى بالتقوى

الفضل قال في علاج امراض البدن المستفاد بتقدم علاج الام ثم بعده فاصلح منا الفكر

وكما كتب عبد الله بن طاهر الى الوزير عبيد الله بن سليمن بن وهب

اني دهرنا اسعافنا في نفوسنا ❊ فاسعفنا فيمن نحب ونكرم

فقلت له نعماك فيهم اتمها ❊ ودع امرنا ان المهم المقدم

اعجبه قوله وقال انظروا كيف يتلطف في اثناء مدحه الى الشكاية من حاله واستزاده ودعا بكل حاجة له فقضاها وقال بعض البلغاء في الاهتمام بما هو الاهم من اصلاح امر النفس على تقديم البدن وتقدير طبها وعلاجها عليه بان الانسان اذا كان قد علم انه مركب من شيئين احدهما شريف وهو النفس والآخر دني وهو الجسم فاتخذ للدني منهما اطباء يعالجونه من امراضه التي تعتروه ويواظبون عليه بالحمية التي تغذوه ويتعاهدونه بادويته التي تنقيه وترك ان يفعل بالشيء الشريف مثل ذلك فقد اساء الاختيار عن بينة واتى بالغلط عن بصيرة واطباء هذه النفس هم الافاضل العلماء وادويتها العاذية هي الاداب الماخوذة عنهم وادويتها المنقية هي الزواجر والمواعظ المسموعة منهم وروي ان المسيح عليه السلام يخرج من بيت مومسة فقالوا يا روح الله ما تصنع عند هذه فقال انما ياتي الطبيب المرضى قيل الحازم الذي يريد ان يستبدل بالشر خيرا ويستفيد بكان الرذيلة فضيلة ويقتني من الخطا صوابا قيل من اصل لؤلؤة يجمع ما حول سقطها من التراب ثم التمسها حتى وجدها فكذلك ههنا يجمع وجوه الرأي في امره ثم يضرب بعضه ببعض حتى يخلص له رشده ويوقظ ذلك نفسه كل يوم مرارا بالذكرى وان عاقه عائق ان يكون ذلك منه متواصلا يتحرى فلا يقتصر فيها في وقتين من النهار صباحا قبل الاستعمال بالاعمال ورواحا قبل الميل الى المنام والجمام فيعدل الميل ويقوم الاود ويصلح الفاسد ما دام الطبع في حد النشو والنبات قبل ان يستأصل ويستحكم ويستفحل ويتفاقم فيصير داء عياء لا مطمع في علاجه ويابا مصمتا موصدا لا سبيل الى رتاجه قال بعض الحكماء لا ينبغي للعاقل ان يخلي نفسه في كل يوم من اربعة اوقات فوقت منها يناجي فيه ربه ويشكر فضله ويحسن عبادته ووقت يحاسب فيه نفسه فان وجد فيها فسادا اصلحه وان راى نقصا تممه ووقت يكسب فيه المعاش الذي يقيم ويغنيه ان يكون عيالا مثلة وكلا على صاحبه ووقت يخلي فيه بين نفسه وبين حاجتها من غير محرم ومعاب ويستعين به على ساير الاوقات وقال بعض الحكماء كفوا عن انفسكم

فطالما اهرجتموها في البطالات وشد ما امرجتموها في الخسارات والقلب اذا انس
في عمل الشهوات لم تتقد فيه انوار الهدايات كالحديد اذا استحكم فيه الداء لم يقع بعد
ذلك للنوافذ واسورة النفس قبل استحكامها وادملوا جروح الهوى قبل اعتيادها واعتنا
وتعودوا الصبر في حال اللين من اعوادكم وامكان التغير والتنقل في معتادكم قبل ان يتمكن فيكم
الشر على مر الازمان ويستحكم الفساد على المواظبة والادمان فلا يطاوعكم اكثر
للعود على عود عاسي وخلق جاف جاسي وطبيعة جامدة لم يبق فيها لدونة وقوموها
ما دمتم على عمل معونة ✿ اختم وطينك رطب ان قدرت فكم ✿ قد امكن الطين لو انكم ما ختموا
ولو انما طاحوا ايام عزهم ✿ حتى اذا عز ما ارادوا لو افادوا حتوا
فهذا احد الآراء الاربعة في طريق تهذيب الاخلاق والراي الثاني هو التوفر على ما يختص
بالانسان من القوى والقدرة في مواصلة الخير وادامة الصالح والمواظبة على اقتناء العلم
والانحياز الى ظل العدل فيلحظ نفسه بانواع هذه المختصات بالانسان دون ما
يشاركه فيه سائر الحيوانات ومراعاة اربعة اشياء هي اصول امر الانسان على ما قاله
المسيح عليه السلم المنطق فلا يكون في غير حق فيكون لاغيا والنظر فلا يكون في غير اعتبار
فيكون ساهيا والصمت فلا يكون في غير فكر فيكون لاهيا والعمل فلا يكون لغير الآخرة
فيكون فانيا فالواجب على العاقل ان يصرف طاعته مساعيه على ما هو انبل للقدر
وانبه للذكر وانفع له في يومه وغده وفي دنياه واخرته ويصرف وجوه العمل في طاعة
العقل عما يشركه البهائم فيه بل هي اقوم بها منه في شهوة البطن وغلبة الفرج وما
ارى يفعله الانسان ان يجانس البهائم ويرضى من نفسه بعيشها ولا يانف ان يخالطها
كان بعضهم يقول اني لاعجب من الناس وقد مكنهم الله من الاقتداء به فيدعون ذلك
الى الاقتداء بالبهائم وكان عمر بن عبد العزيز كثيرا ما ينشد هذه الابيات

نهارك يا مغرور سهو وغفلة ✿ وليلك نوم والردى لك لازم
تغر بما يبلى وتشغل بالمنى ✿ كما غر باللذات في النوم حالم
وتشعر فيما سوف تكره غبه ✿ كذلك في الدنيا تعيش البهائم
وقال آخر ✿ خنازير ناموا عن المكرمات ✿ فايقظهم قدر لم ينم
فيا قبحهم في الذي خولوا ✿ ويا حسنهم لزوال النعم
وقال البحتري ✿ لم يبق من جل هذا الناس باقية ✿ ينالها الوهم الا هذه الصور
لا بد من هنات من دهايهم عدد ✿ فان كلهم او جلهم بقر

وفي شعر الحجاج بن الحوسق ✿ شفيت برواد غليلا وجدته ✿ على القلب منه مستمرا وظاهرا
الا ليت شعري من دارات مخلد ✿ يجد بعفو الاحداث خابر
وقالوا انديك من ابنك وندي ✿ فقلت كريم لم تلد في الاباعر
والراي الثالث هو ان يفقد المرء افعاله في كل ما يفعله ويمره ويجعله واقعا من غيره من
يسترجح ميزان فضله ويستحصف معيار عقله فاذا استحسن مثل ذلك من مثله احتذا
مثال المحسنات وسلك طريقها الى الخيرات وان استقبح منه ايقن انه الشر المحض
فتنكبه وتجنبه وانما احتاج والجاه الى اعتبار هذه الحال من غيره احتذا به الى الغلط
في نفسه بسبب الشهوة المركوزة في جبلته فيخيل له الشر على انه خير والجور على انه عدل
والخطا على انه صواب والهوان على انه حلم والبخل على انه حزم والاقتحام على انه شجاعة والجبن على
انه تقية الامر كيف تخيل الشاعر الحقد عقلا او فضلا فقال

وما الحقد الا توام العقل للفتى ✿ وبعض السجايا ينتسبن الى بعض
اذا الارض ادت ريع ما انت زارع ✿ من البذر فيها فهي ناهيك من ارض

وهو كما ظن آخر الحلم عجزا والتواضع ذلا فقال

الحلم عجز والتواضع ذلة ✿ عندي وبعض الجهل حلو المجتنى
والحلم ذي السفه الجفاء فان ترك ✿ عند جفاك عاد بركض في الخنا
كالعود يكفيك الكهيب دخانه ✿ فاذا الالهيب الحباب عنه تدخنا

وكما ظن ابن المعتز البخل حزما وفيه قال

بادر بجود حر فقرا مسد ✿ فقام في الناس مقام الذليل
فاقعد غنيا بمالك واستبقه ✿ فالبخل خير من سؤال البخيل

ومن شعر الحجاج بن يوسف ✿ اذا عدل السلطان نقصانه وان يكن ✿ لدي امرئ جور فان له بلا
ومن شعر محمد بن حمزة العقيلي ✿ وما العدل الا عجز راي وضلة ✿ وكل اخي عدل اليوم ذلا

ظلت تشجعني هند وقد علمت ✿ ان الشجاعة مقرون بها العطب
يا هند لا والذي حج الحجيج له ✿ ما يشتهي الموت عندي من له ادب

فلا شيء في هذا الباب كالتعاصي عن الهوى وفي حال صبي فان الانسان يستقبح المعايب
عن غيره ويكون منه غاية الانكار اذا تعاطاها بنفسه جاءه صباه بعد وحد شنه
نفسه بمغفرة الله تعالى له وعفوه عنه وجل عنه كما قال الشاعر

ونحن اولا ان نطلب من بعيد ✿ بعزتنا وندرك من قريب

تسحبنا على الانام لما ۞ راينا العفو من ثمر الذنوب

وقال آخر في التعلق بعذر الصبى والشباب

قالت تحاسر ني تعيبها خود ناظر عادة بكر ۞ كل يري ان الشباب له ۞ في كل مبلغ لذة عذر

وقال ابو العتاهية ۞ ان الشباب حجة التصابي ۞ روايح الجنة في الشباب

ولغلبة هذا المعنى على النفوس باسرها ما ذكر الشاعر هذه الامة عامة ولم يخص وارسلها مطلقة فلم يقيد فقال ۞ ارى كل انسان يرى عيب غيره ۞ ويعمى عن العيب الذي هو فيه

وما خير من تخفى عليه عيوبه ۞ ويبدو له العيب الذي لاخيه

وفي بعض الخطب استبينوا بعقولكم طريق الصلاح واستبصروا بآرائكم وجه الفلاح فما ابين وجوه الهدى في مرائي النهى ان لم تصدها بانفاس الهوى ومن لم يسائل النهى بعين لبه ۞ وقعت خبايا قبايحه في سوداء قلبه ۞ ومن اطاع هواه فقد عصا رشده ۞ ومن وجد مناه ضل هديه وقصده ۞ ومن لم يتوخ محامد الامور سقط في مهالك البتور وليس الخير الامر حمل المرء سواه ۞ ولا الشر الا ما ذمه من عاداه ۞ فاما الذي يعجبكم من افعالكم فلا تثقوا فيه بانفسكم حتى تقدروه واقعا من غيركم ۞ وكيف تصدقكم نفسكم عن ستر برها وتبين لكم جهات خيرها وشرها ۞ ومع العقل الهوى والغضب في الطاعة وبغا لطاعة ويجاذبانه ويغالبانه ۞ ولا يد لواحد باثنين ۞ ولا طاقة لمغمور بين ضدين ۞ فاما استقراء فعل الغير في الشر والخير فهو خالص عن شوب هوى النفس وادرانها ۞ فارغ عن تواري غيظها وغضبها ۞ فتقبلوا ما استحسنتم منه وتقبلوا وما استقبحتم فاجتنبوه ولا تفعلوا

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انما هو خير يرجى او شر يتقى وباطل عرف فاجتنب وحق تيقن وطلب ۞ وآخرة اظل اقبالها ونحو لها ۞ ودنيا ازف نفادها فاعرضوا عنها ايها الناس ان الاشيا ثلاثة ۞ امر استبان رشده فاتبعوه ۞ وامر استبان غيه فاجتنبوه وامر اختلف عليكم فردوه الى الله ايها الناس ان ما راه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن وما راه المسلمون سيئا فهو عند الله سيئ ۞ هذا هو المذهب الامثل والسبيل الاقوم في تحسين ما يستحسنه المسلمون والاقتداء بهم واحسن ما استحسن منهم اذ كان ذلك مأمونا من ميل هوى النفس ونزغ دواعي الطبع على ما ذكرنا وعلى ان الشرع جوز الخطأ على الانسان من قبل هواه وكذب النفس فيما تعلمه وبراءة ما كان من مذهب كثير من ذوي الراي والدهاء تحري راي من الاراء ثم تشككه في صحته وردته الى عكسه كما حدثنا ابو الفتح البستي قال كنت خارجا الى مخيم السلطان الماضي يمين الدولة انار الله برهانه بظاهر

بلدة نيسابور فاستقبلني الراعي العلوي في بعض الطريق وبيننا مخاصمة وكان في وصل الربيع فلما بصر بي خاض في تلك المخاصمة حتى حصل في الجانب الذي كنت فيه منها ثم اخذ يسائلني عن حالي وما اتصرف عليه في اشغالي وانا افاوضه فيه وافاوضه في كل فن من امرنا وشاننا فقال لي اني اذا استقبلني امر اشكل علي وجه الصواب فيه لم ازل اقلب الراي ظهرا لبطن وافكر في تبين صورة الصلاح وسفور وجه النجاح فاذا تبين لي ذلك خالفته الى ضده فينجح لي الامر كما اريد قال فقلت وانا بهذه الحال وفي في ذلك ابيات من قصيدة قلتها ۞ وان هممت بامر ولم تطق تخريجه ۞ فشر قياسا صحيحا ۞ واحكم بضد النتيجة ۞ وهذا من قول الاحنف بن قيس كفى بالرجل رايا اذا اجتمع عليه امران فلم يدر ايهما الصواب ان ينظر اعجبهما اليه واغلبهما عليه فيحذره وكان من خالف ما يعجبه من الامرين فقد غلبته نفسه على الرايين طريق في استنباط الصواب وليتنا الحق فاستشارة ذي الجهل والآفن في الراي لتخالفه فيما يشير به الى ضد ابتغاء طريق قريب وقد جاء به الشرع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شاوروهن وخالفوهن وذلك لقلة آرائهن وضعف عقولهن وميل الهوى بهن الى ما هو غير الرشد فعلا او الصدا قولا قال ابن جبير اذا اشتبه عليك امران فانظر احبهما الى نفسك فاجتنبه واذا اعياك فتى وامراة وخالفهما ولما وقعت الفتنة ايام ابن الزبير بالبصرة مر ابو الاسود الدؤلي على مجلس بني قشير فقال لبني قشير على ما ذا اجمع رايكم في هذه الفتنة قالوا او لم تسمنا يا ابا الاسود فقال لا خالفه فان الله لا يجمعكم على هدى وانشد في هذا المعنى

اذا اشتبه الامران يوما واشكلا ۞ علي فلم اعرف صوابا ولم ادر

سالت ابا بكر خليلي محمدا ۞ فقلت له ما تستحب من الامر

فان قال قولا قلت شيئا خلافه ۞ لان خلاف الحق عند ابي بكر

ولما كان الانسان قد يغالط غيره نفسه ايضا اما بسبب حب مفرط او بغض وتعنت كما قيل

واذا كرهت فتى كرهت لقاءه ۞ واذا سمعت كلامه لم اطرب

وقال آخر وعين الرضى عن كل عيب كليلة ۞ كما ان عين السخط تبدي المساويا

وقال آخر وعين السخط تبصر كل عيب ۞ وعين اخي الرضى عن ذاك تعمى

وقال آخر ويقبح من سواك الفعل عندي ۞ وتفعله فيحسن منك ذاكا

وقال آخر وعين بها والموت فيه ۞ كما يستحسن السيف الصقيل

وكان الشبلي ينشد ذابت مما بفوادي بدني ۞ وفؤادي ذايب مما في البدن

زاد في فرط عولي حزني ... وعولي زاد في فرط الحزن ... تجني هيج للعين البكا ... والبكا هيج للعين السخن

فاقطعوا حبلي وان شئتم صلوا ... كل شي منكم عندي حسن

كان الراي الرابع هو الطريق الجدد الشارع نحو تهذيب الاخلاق وهو التوكيل الى الغير
اولي الحنكة والثبات والسكينة الذين اجتمعت الكلمة فيهم على الصدق وثقابة المعرفة وسلامة
وصرامة الراي والبعد من الملق والغرور ومن غشيان الاكابر ومنادمة ذوي اليسار فان المتلي
لا يخلص نصيحته ولا يحمل امانته اما رهبة من الاقوياء او رغبة في الاغنياء فاذا ظفرت
بواحد ممن له هذه الشيم والشمايل وهذه الاخلاق الجلايل وعرفته مقتصدا في المعيشة
قانعا بكفاية الحال وتزجية الوقت ومدافعة الايام رافضا للفضول صادقه ثم فاوضه
في شانك والاصطناع له والاحسان اليك بتفقد امورك وانفاذ روحك عن امراضها
الموبقة والامهات المردية طالبا ذلك منه بابلغ الجوار وانشد النصح والسوال وعلى في
الاكرام والاجلال لعالما انه ربما يتحاماك على ذلك لما يعلم من كراهة الناس من
صدقهم عن انفسهم ثم اذا افضى بك الاقبال الى قبوله ومقابلته اياك بما فيك من عيب ونقص
فاياك والاعتراض في ذلك والمحاجة والاعتذار بل الاستفادة في نفسك والشكر له على
ما انعم عليك والمرور به سرور المحب بحبيبه والاكرام له اكرام المريض لطبيبه

ان المعلم والطبيب كلاهما ... لا ينصحان اذا هما لم يكرما

فاصبر لدائك ان جفوت طبيبه ... واقنع بجهلك ان جفوت معلما

وما احسن قول ابي الاسود الدولي في تحكيم اللبيب الودود

امنت على الراي امرا غير حازم ... ولكنه في النصح غير مريب

اشاع بسري في الناس حتى كانه ... بعلياء نار اوقدت بثقوب

فما كل ذي لب بموتيك نصحه ... وما كل موت نصحه بلبيب

ولكن اذا ما استجمعا عند واحد ... فحق له من طاعة بنصيب

واحوج الناس الى الاقتباس من العقلاء وتوكيل امرهم الى الحكماء الملوك لتمكنهم من تنفيذ
هواهم كائنا ما كانوا واقتدارهم على كل الانتقام ممن اغضبوا وفي سير الذكرى الى الهرمزان اما بعد
فانه لو كان الملوك يعرفون من حاجتهم الى ذوي الراي مثل الذي يعرف اهل الراي من حاجتهم
الى الملوك لم يكن عجبا ان ترى مواكب الملوك على ابواب العلماء كما ترى مواكب العلماء على
ابواب الملوك ولذلك قال الاولون اذا اراد الله بامة خيرا جعل الملك في علمائهم والعلم في
ملوكهم وقال بعض ملوكهم ما يكاد ان يكون غنيا عن كل شي اذا كان حكيما الا عن شي واحد وهو مستصح

عاقل

عاقل يسلطه على امره ويردعه عن فلتات الراي ونزوات الغضب وكانت الروم تقول نحن لا
نملك من يحتاج الى ارشاد وقالت الفرس نحن لا نملك من يستغني عنها وحدث بعض البلغاء
عن سنان بن ثابت بن قرة ان بجكم التركي لما تقلد امارة الامراء بمدينة السلام وكان من اعقل
اهل جنسه في حال رضاه فاذا غلب عليه غضبه فقتل الشتم واصطلم ثم يندم عند سكون
من ثورته والافاقة من سكرته فيتبين عيب نفسه وانه شاورني في علاج هذا المرض النفساني
لدينه وعقله فاشار عليه ان يتخذ نديما ناطقا من ذوي الرحمة واللين والامانة في الدين
مع وفور الاحلام ورجحان العقول وان ياذن لهم في تسكينه وعند ثورته والشفاعة اليه
عند غضبه وسورته فقال قد فعلت ذلك وانت اولى من كلفته اياه فاياك وتخيد
تحمون تتمي مع التبسط ولا تقدمون على نصحي مع التمكين فاضاف الى هذه المشورة مشورة
اخرى بان يحلف باليمين الغموس التي لا كفارة لها ولا فسحة فيها ان لا يمضي على احد
قتلا الا بعد ثلث تمضي له بعد ان يبرد غيظه ويراجعه حلمه ويأتي لها الا الشفعا
المخاطبة له فان اوجب العدل امضا ما امر به امضى وان اوجب ابطاله ابطل ولا يتعدى
فيما يوقعه من الضرب العدد المحدود الذي يمكن ان تحتمله الابشار الرقيقة ففعل ذلك ولزمه
باليمين التي حلفها والتزمها ان يقيم عليه فانتفع به واعتدل كثير من افراطه فيه وحدث
السلامي ان ابا الحسن محمد بن ابرهيم بن سيمجور امير خراسان سمع قول بعض العلما بعز الصالحين
بالحلم الصيت وبالعقول تجتنى ثمار القلوب وبلقا اهل الفضل نظام العقل وصلاح
النيات وتركا الاعمال فعزم ذلك في ذهن ابي الحسن حتى لحق ما كان نساله من الذكر الجميل طبقات
العلماء عشية كل خميس للمناظرة عنده في الفقه ثم استنارته بارائهم وتبركه بانفاسهم و
مراعاته احوال الرعايا بعين لا تغمض من نعمى على الابل من قضية من نوع من الظلم ومن كلام ابن العميد
ابي الفضل للصاحب بن عباد لما اراد لا على وزارة مويد الدولة مولاي غني عن هذا العمل
بصوبه وتقلده وعزوفه همته عن تكاثر المال وتحصيله لكن املي فيه الى كفايته محتاج
الى كفالته وما اقول هذا وتردي بما يعقد من حساب ويشا من كتاب ويستظهر به من
جمع وتدبر من عطا ومنع وكل هذا وان كان مقصودا في الات الوزارة معدودا في كتاب مولاي
من يفي به ويستوفيه ويربي عليه بايسر مساعية ولكن ولي نعمته يريد لقلبه من هو ولي
عهده والمامول لحيوم رغدته فلا بد ان يكون بجوهر كريما وبالسنخ عظيما وبالمجد حميما وبركب
العقل سليما ومناسب عن معلم ما الرياسة وما السياسة وكيف تدبير العامة والخاصة
وبماذا انعقد المهابة ومن ان تجتلب الامالة والاصابة وكيف ترتب المراتب ويبلغ الخطب اذا

راجعه فرجعته كنت ارزانه منه ق

صافت المذاهب وتقصي الشهوة لتحريك الحشمة وتهجر اللذة لتحصين الامرة نعم ولابد من محتشم يقوم في
وجه صاحبه ويرده اذا بدر منه الراي المنقلب ويراجعه اذا جمح به اللجاج المرتكب ويعاوده اذا
ملكه الغضب المنتشر **وفي كتاب قوت القلب** مجالسة اهل الآخرة يجلو من القلوب صدا الذنوب
ومجالسة ذوي المروات يدل على مكارم الاخلاق ومجالسة العلماء تذكي النفوس ومن عرف
تقلب الزمان باهله لم يركن الى حسن الحال وينبغي للملك اذا دعته نفسه الى منافسة الرجال
ان يتثاقل عن السمع والاجابة فان خفته بحيان الهوى اقتبست من نار غيرك ابقا على دينك
وعرضك الا ان تكون ممن لا يبالي ما قلت وما قيل لك **واعلم** ان لمخارج الامور من القلب
ومسكنها في الراس ودونها ابواب مفتحة فاذا خطر بقلبك امر فلا تخرجه حتى يحصل الحصاف
لكن اخرجه من مستودعه الى مسكنه ثم اعرضه على ابواب مخارجه فكلما اغلق له بابا فتح بابا
حتى تعرضه على الابواب كلها ثم انظر اين يقع **وفي مجلس السياسة** ينبغي للملك ان يجالس العلماء وسائر
الحكماء حتى ان اصاب في افعاله حمدوه عليها وان اخطا فيها عرفوه وجه الخطا وارشدوه
الى الصواب فيها واضر الاشيا للملك ان يقرب منه واحد من الخلق بخفة وسيرة مذمومة
فالرذايل كالامراض المعدية **وانشد** لا تصحبن ما عشت انوك فاسدا ۞ كم صالح بفساد اخر يفسد
عدوى البليد الى الجليس سريعة ۞ والنار تبدو في الرماد فتخمد
وفي لغة الفرس با بدان كم نشين كه صحبت بد ۞ كرچه پاكي ترا پليد كند
آفتاب بدين بزرگی را ۞ اندكی ابر ناپديد كند
وفيها الملك انسان وكل انسان لا يخلو من عيب قد يخفى عليه لمداراته نفسه بسبب هواه
واصدق الناس للملك محبة من اراه عيوبه وليس يحمل الملك ذلك الا اذا كان فاضلا ومحبا
لان يزيد في فضايله **كما يحكى** ان عمر قال لسلمان بلغني لاحيتك فقال اما الان لا تعدى في
عيوبي **وكان** قد وكل حذيفة بن اليمان ان يكلمه في عيوبه ويريه ما فيه من عثر وعوج **وكان**
الاسكندر يقول انتفعت باعدائي فيما لم انتفع باصدقائي لان اعدائي كانوا يعيرونني بالخطا
وينبهوني عليه وكان اصدقائي يزينون لي ذلك فادنيت واسكن اليه **وسال الوزير** عن سبب
اختصاصه رجلا من اصحابه فقال انه واقفه ايانا على الاسنا وازاله بذلك العيب في الدنيا
والاخرة عنا **وللصاحب عبد الحميد بن احمد** ارى الاحباب قد ستروا عيوبي ۞ وكشفها العدى فعرفت عيبي
لقد نفع العدو بغير حمد ۞ وقد ضر الصديق بغير ريب **وفي وصية عبد الملك بن مروان لمؤدب
ولده كان من بني زهرة** انه والله ما يخفى على ما تعلمهم وما تلقي اليهم علمهم الصدق كما تعلمهم القران
واحملهم على الاخلاق الجميلة ورقهم الشعر يسخوا وينجدوا وجالس بهم اشراف الناس واهل العلم فانهم

احسن

احسن الناس رعة واتمهم ادبا وجنبهم السفلة والخدم فانهم اسوا الناس رعة واسوهم ادبا
ووقرهم في العلانية واذللهم في السر واضربهم بكر الكذب فان الكذب يدعوا الى الفجور والفجور
يدعوا الى النار **وفي وصية هشام بن عبد الملك لمؤدب ولده** اتق الله واد الامانة فيما انصبت له فانك
تعمل بخصال لو لم تكن الا واحدة منها كنت حقيقا الا تضعها فمنها انك مؤتمن عليه فيحق
عليك الاداء للامانة ومنها ان الامر لك به امام يرجو ويخاف ومنها ان الغلام كلما ارتقى في
الامور درجة ارتقيت معه فتمسك بما امرك به ادخل عليه في خاصة اهل القرآن والمعرفة
واحكاك كتبته بركب ذوي الاسنان والتجربة فانك منهم بين امرين اما ان تسمع كلاما حسنا
فتعيه وخلقا حميدا فتقتفيه واما ان يراهم الناس يخرجون من عنده ويرون انه على مثل
ما هم عليه واذا حضروا فتجملوا ادنهم وارفعوا مجلسهم ليتعرفك بما عندهم واذا فرغوا من الغدا
والعشا فلا تجتمعهم اقام الحديث ومن احب الضرف فان للناس حوايج عن امورهم واياكم ان يظهر
منكم اعراض عنهم واستهانة بهم فتقطع اسبابهم منكم فانك لم ترى طرد الحجاب كالصاق بطرد الجوار
ولا يحلي بنصيحة ذي وفاء ۞ بمثل البذل او لطف اللسان ۞ خذ باتباعهم في هديهم وتعلمهم في
علمهم وزد من عندك ما استطعت فاني ما قيل ربه اليوم وبعد اليوم فان رايته ازداد خيرا على
ما كان عليه رايي اثرى عليك وان كانت الاخرى لم تلم الا نفسك **وفي وصية عبد الله بن شداد لابنه**
يا بني لا تصحبن الا من تفقدت موارده ومصادره فان استطعت العزم وصحبت الحزم فاخه
على اقالة العثرة والمواساة في العسرة واشح نفسك في الانتفاع بعلمه والاقتداء بخلقه وكرمه
كما قال المقنع الكندي ۞ ابل الرجال اذا اردت اخاهم ۞ وتوسمن امورهم وتفقد ۞
فاذا ظفرت بذي الامانة والتقى ۞ فبه اليدين قرير عين فاشدد
فتى تزل ولا محالة زلة ۞ فعلى اخيك بفضل حلمك فاردد
نصح الالبا يجلو قلب صاحبهم ۞ كما جلى سواد الظلمة القمر
وليس ذو العلم بالحلى لجاهلها ۞ ولا البصير كاعمى ما له بصر
لا ينفع العلم قلبا قاسيا ابدا ۞ وهل يلين لقول الواعظ الحجر
هذا الذي ذكرناه طرق سياسة العقلاء والخواص من الناس في تهذيب اخلاقهم
واصلاح احوالهم **فاما** العوام الذين لا اخلاق لهم ولا موقع للقول النافع عندهم فطريق تهذيب
اخلاقهم واصلاح انفسهم غير هذه الطريق **وقد قال بعض حكما الملوك** الناس ثلث طبقات تسوسهم
ثلث سياسات طبقة من خاصة الابرار تسوسهم القول المثبت الرشيد على وسع الصادق
بالمخطي عن خطايه وطبقة من خاصة الاشرار تسوسهم الفعل الناكل والعنف المتاصل وطبقة

هم العامة يوسعهم مرة هذا ومرة ذلك لئلا يخرجهم غلظة الفعل الى اباء ولا يجرئهم لين
القول الى ارهاب ومما جاء في استصلاح العوام وسياسة الرعية كلام لزياد قالوا قدم
زياد البصرة واليا لمعوية والفسق بالبصرة ظاهر فاش فصعد المنبر فقال اما بعد فان الجهالة
الجهلاء والضلالة العمياء والموقد لاهله على النار ما فيه سفهاؤكم ويشتمل عليه حكماؤكم
من الامور العظام ينبت فيها الصغير ولا يتحاشى منها الكبير كانكم لم تقرءوا كتاب الله وتسمعوا
ما اعد الله من الثواب الكريم لاهل طاعته والعذاب الاليم لاهل معصيته في الزمن السرمدي الذي
لا يزول اتكونون كمن طرفت عينه الدنيا وسدت مسامعه الشهوات واختار الفانية على
الباقية ولا تذكرون انكم احدثتم في الاسلام الحدث الذي لم تسبقوا به من ترككم الضعيف
يقهر ويوخذ ماله والضعيفة المسلوبة في النهار المبصر والعدد غير قليل الم يكن منكم نهاة تمنع
الغواة عن دلج الليل وغارة النهار قربتم القرابة وباعدتم الدين يعتذرون بغير العذر و
يغضون على المختلس كل امرئ منكم يذب عن سفيهه صنع من لا يخاف عاقبة ولا يرجو معادا ما
انتم بالحكماء ولقد اتبعتم السفهاء فلم يزل بهم ما يرون من قيامكم دونهم حتى انتهكوا حرم
الاسلام ثم اطرقوا وراءكم كنوسا في مكانس الريب حرم علي الطعام والشراب حتى اسويها
بالارض هدما واحراقا اني رايت هذا الامر لا يصلح الا بما صلح به اوله لين في غير ضعف وشدة
في غير عنف واني اقسم بالله لاخذن الولي بالولي والمقيم بالظاعن والمقبل بالمدبر والصحيح منكم
في نفسه بالسقيم حتى يلقى الرجل منكم اخاه فيقول انج سعد فقد هلك سعيد او تستقيم لي قناتكم
ان كذبة المنبر بلقاء مشهورة فاذا تعلقتم علي بكذبة فقد حلت لكم معصيتي من نقب عليه منكم فانا
ضامن لما ذهب له منه فاياي ودلج الليل فاني لا اوتى بمدلج الا سفكت دمه وقد اجلتكم في
ذلك بقدر ما ياتي الخبر الكوفة ويرجع اليكم واياكم ودعوى الجاهلية فاني لا اجد احدا دعا بها
الا قطعت لسانه وقد احدثتم احداثا لم تكن وقد احدثنا لكل ذنب عقوبة فمن غرق قوما غرقناه
ومن احرق على قوم احرقناه ومن نقب على قوم بيتا نقبنا عن قلبه ومن نبش قبرا دفناه حيا فيه
كفوا عني ايديكم والسنتكم اكفف عنكم يدي ولساني ولا يظهر من احد منكم خلاف ما عليه عامتكم
الا ضربت عنقه وقد كانت بيني وبين اقوام احن فجعلتها دبر اذني وتحت قدمي فمن كان منكم
محسنا فليزدد احسانا ومن كان مسيئا فلينزع عن اساءته اني لو علمت ان احدكم قد قتله السل من
بغضي لم اكشف له قناعا ولم اهتك له سترا حتى يبدي لي صفحته فاذا فعل لم اناظره فاستانفوا
اموركم واعينوا على انفسكم فرب مبتئس بقدومنا سيسر ومسرور بقدومنا سيبتئس ايها
الناس انا اصبحنا لكم ساسة وعنكم ذادة نسوسكم بسلطان الله الذي اعطانا ونذود عنكم

بفي الله

بفي الله الذي خولنا فلنا عليكم السمع والطاعة فيما احببنا ولكم علينا العدل فيما ولينا
فاستوجبوا عدلنا وفيئنا بمناصحتكم لنا واعلموا اني مهما قصرت عنه فلن اقصر عن ثلث لست
محتجبا عن طالب حاجة منكم ولو اتاني طارقا بليل ولا حابسا عطاء ولا رزقا عن ابانه ولا مجمرا
لكم بعثا فادعوا الله بالصلاح لائمتكم فانهم ساستكم المؤدبون وكهفكم الذي تاوون ومتى
يصلحوا تصلحوا ولا تشربوا قلوبكم بغضهم فيشتد لذلك غيظكم ويطول لذلك حزنكم ولا
تدركوا حاجتكم مع انه لو استجيب لكم فيهم كان شرا لكم اسال الله تعالى ان يعين كلا على كل
واذا رايتموني انفذ فيكم الامر فانفذوه على اذلاله وايم الله ان لي فيكم لصرعى كثيرة فليحذر
كل امرئ منكم ان يكون من صرعاي فقام عبد الله بن الاهتم فقال اشهد ايها الامير
لقد اوتيت الحكمة وفصل الخطاب فقال كذبت ذاك نبي الله داود فقام الاحنف بن
قيس فقال انما الثناء بعد البلاء والحمد بعد العطاء وانا لا نثني حتى نبتلي ولا نحمد حتى نعطى
فقال زياد صدقت فقام ابو بلال الكهمس وهو يقول انبانا الله عز وجل بغير ما تقول قال
الله تعالى وابراهيم الذي وفى الا تزر وازرة وزر اخرى وان ليس للانسان الا ما سعى فسمعها
زياد فقال انا لا نبلغ ما نريد بك وباصحابك حتى نخوض اليكم الباطل خوضا فصل في استشارة
الملوك واستغنائهم باراء الحكماء في سياسة امورهم ذكر اصحاب الروايات ان الاسكندر لما
فتح بلاد الفرس واستولى على ملك دارا كتب الى ارسطاطاليس من الاسكندر الملك الى ارسطاطاليس
الحكيم عليك منا السلام اما بعد فانه وان الاسباب ومواقع العلل فان كانت اسعدتنا بالاقبال
التي اصبح الناس لنا بها دائنين فانا جد مضطرين الى حكمتك غير جاحدين للاقرار بفضلك
والاستنامة الى مشورتك والاجتباء من رايك والاعتماد لامرك ونهيك لما بلونا من
جدى ذلك علينا وذقنا من جنى منفعته لنا حتى صار ذلك بنجوعه فينا وترسخه لعقولنا
كالغذاء لنا فما ننفك نعول عليه ونستمد منه كاستمداد الجداول من البحور وتعويل
الفروع على الاصول وقد كان مما سيق الينا من النصر والفلج واتيح لنا من الظفر والقهر و
بلغنا في العدو من النكاية ما يعجز القول عن وصفه ويقصر الشكر للمنعم على الانعام به فلقد
جاوزنا ارض سورية والجزيرة وبابل الى ارض فارس فلما حللنا بعقوة اهلها وساحة بلادهم
لم يكن الا ريث ما ان تلقانا نفر منهم براس ملكهم هدية الينا وطلبا للحظوة عند
فامرنا بصلب من جاء به وشهرته لسوء بلائه وقلة ارعوائه ووفائه ثم امرنا بجمع من كان
هنالك من ابناء ملوكهم واحرارهم وذوي الشرف منهم فراينا رجالا عظيمة اجسامهم واحلامهم
حاضرة البابهم واذهانهم رائعة مناظرهم ومناطقهم دليلا لنا ظهر من رواتهم ان وراء

من قوة ايديهم وشدة باسهم ونجدتهم ما لم يكن ليكون لنا معه سبيل الى غلبتهم واعطانهم
بايديهم لولا ان القضا ادالنا منهم واظفرنا عليهم ولم نر بعيدا من الراي في امرهم ان نستاصل
شافتهم ونجتث اصلهم ونلحقهم بمن مضى من اسلافهم لتسكن القلوب بذلك الى الامن من جرائرهم وبوائقهم
فراينا ان لا نعجل باسعاف بادي الراي في قتلهم دون الاستظهار عليهم بمشورتك فيهم فارفع الينا
رايك فيما استشرناك فيه بعد صحته عندك وتقليبك اياه على نظرك وسلام اهل السلام فليكن
علينا وعليك فاجابه ارسطاطاليس للاسكندر المؤيد بالنصر على الاعداء المهدي له الظفر بالملوك
من اصغر عبيده واوضع خوله ارسطاطاليس البخوع بالسجود والتذلل في السلام والاذعان بالطاعة
اما بعد فانه لا قوة بالنطق وان احتشد الناطق فيه واجتهد في تثقيف معانيه وتاليف حروفه
على الاحاطة باقل ما تنالها العقول من بسط علو الملك وسمو ارتفاعه عن كل قول وابقائه على
كل وصف والاغراقه بكل اطناب وقد تقرر عندي من مقدمات اعلامه فصل الملك في مهل
سبقه وبرود شاوه ويمن نقيبته منذ ادت الى حاسة بصري صورة شخصه واضطرب في
حس سمعي صوت لفظه ووقع وهمي على تعقب نجاح رايه ايام كنت اودي اليه من تعليمي اياه ما اصبحت
قاضيا على نفسي بالحاجة الى تعليمه منه ومهما يكن مني اليه في ذلك فانما هو عقل مردود
الى عقله مستنبطة اوايله ونواليه من علمه وحكمته وقد جلى لي كتاب الملك ومسئلته لي
عما لا انحاش بي انسك في ان القاح ذلك واستاجه من عنده صدرت عليه كان ورود ما فيما
اشير به على الملك وان اجتهدت فيه واحتشدت له وتجاوزت حد الوسع والطاقة مني في
استطاقه كالعدم مع الوجود بل كما لا يتجزي في جنب عظم الاشيا ولكني غير ممتنع من اجابة الملك
الى ما سال على يقيني بعظيم غناه عني وشدة فاقتي اليه وانا راد الى الملك ما افدته ومشير عليه بما
اخذته عنه فقائل له ان لكل تربة لا محالة قسما من كل فضيلة وان لفارس قسمتها من النجدة
والقوة فانك ان تقتل اشرافهم تخلف الوضعاء باعقابهم وتورث منازل عليتهم وتغلب ادنياوهم
على مراتب ذوي اخطارهم ولم يبتل الملوك قط ببلاء هو اعظم عليهم واشد توهينا لسلطانهم
من غلبة السفلة وذل الوجوه فاحذر الحذر كله ان تمكن تلك الطبقة من الغلبة والحركة وان
نجم منهم بعد اليوم على جندك واهل بلادك ناجم دهمهم منه ما لا روية فيه ولا بقية معه
فانصرف عن هذا الراي الى غيره واعمد الى من قبلك من اولئك العظما والاحرار فوزع بينهم
مملكتهم والزم اسم الملك كل من وليته منهم ناحية واعقد التاج على راسه وان صغر ملكه فان
المتسمي بالملك لازم لاسمه والمعتقد التاج لا يخضع لغيره ولا يلبث ذلك ان يوقع بين كل ملك
منهم وبين صاحبه تدابرا وتقاطعا وتغالبا على الملك وتفاخرا حتى ينسوا بذلك اضغانهم

خرمه

عليك

عليك واوتارهم قبلك ويعود حربهم لك حربا بينهم وحنقهم منهم على انفسهم ثم لا يزدادون
في ذلك بصيرة الا احدثوا بها لك استقامة فان دنوت منهم دانوا لك وان نايت عنهم تعززوا
بك حتى يثب كل ملك منهم على جاره باسمك ويسترهبه بجندك وفي ذلك شاغل لهم عنك
وامان لاحداثهم بعدك ولا امان للدهر ولا ثقة بالايام قد اديت الى الملك ما رايته لي
حظا وعلي حقا من اجابتي اياه الى ما سالني عنه مع ادائي النصيحة اليه فيه والملك اعلى عينا
وانفذ روية واصل رايا وابعد همة مما استعان بي عليه وكلفني تبيينه له والمشورة به
لا زال الملك متعرفا من فوائد النعم وعواقب الصنع وتوطد الملك وتنفس الاجل ودرك الامل
ما تاتي فيه مقدرته على غاية قصوى ما ينال البشر والسلام الذي لا انقضاء له ولا انتهاء
على الملك فاستمر على هذا الراي الى حين الاسكندر ملوك الطوائف قرنا بعد قرن الى
ان اعاد الملك الى الفرس اردشير بحسن سياسته وفضل ادبه وحكمته فصل في تهذيب
اخلاق الملوك وتثقيف سياستهم من كلام اردشير ان صنع الملوك غير صنع الرعية
فالملك يطبعه العز والامن والسرور والقدرة على طباع الانفة والجراءة والعبث والبطر
ثم تزداد هذه الطبايع الاربعة كلما ازداد في العمر تنفسا وفي الملك سلامة حتى تسلمه ذلك
الى سكر السلطان الذي هو اشد من سكر الشباب فينسى النكبات والعثرات والغير و
الدوائر وفحش تسلط الايام ولؤم تغلب الدهر فيرسل يده بالفعل ولسانه بالقول
وقد قال الاولون منا عند حسن الظن بالايام تحدث الغير وقد كان من الملوك من يذكر
عزه الذل وامنه الخوف وسروره الكآبة وقدرته العجز فاذا هو جمع بهجة الملك وفكرة
السوقة ولا حزم الا في جمعهما وانا قد راينا الملك الرشيد السعيد المنصور المكفي الحازم
في الفرصة البصير بالعورة اللطيف الشبهة المبسوط في العلم والفهم المجتهد فلا يعلم
اصلاح ملكه حياته الا ان يتشبه به متشبه وراينا الملك القصير عمره القريبة مدته
اذا كان سعيدا بارا نال الشان بما قال وابيد بما عملت يداه فغيره ببره بارك افسد جميع
ما قدم له من الصلاح قبله وخلف المملكة خرابا على من بعده وقد مضى قبلنا ملوك كان
الملك منهم يتعهد الجملة بالتفتيش والجماعات بالتفصيل والفراغ بالاشتغال كتعهده جسده
بقص فضول الشعر والظفر وغسل الدرن والغمر ومداواة ما ظهر من الادواء وما بطن
وقد كان من اولئك الملوك من صحة ملكه احب اليه من صحة بدنه وكان بما يخلفه من الذكر
الجميل المحمود افرح وابهج منه بما يسمعه باذنه في حياته فتتابعت تلك الاملاك بذلك
كانهم ملك واحد وكان ارواحهم روح واحدة يمكن اولهم لاخرهم ويصدق اخرهم اولهم يجتمع

ابناء اسلافهم وسوادنا اثارهم فضنا غاب عقولهم عند البناء منهم بعدهم فكانهم جلوس معه
يحدثونه ويشاورونه حتى كان على ابن دارا بن دارا ما كان من غلبة الاسكندر على ما
غلب عليه من ملكنا فكان لفساد امرنا وتفرقة جماعتنا وتخريبه عمران مملكتنا ابلغ
له مما اراد من سفك دمائنا فلما اذن الله في جمع مملكتنا على ايدينا خشينا ان يتبدر
بما اقبل علينا فزودناكم منا فضل الكارهين على انا انما نوصي اعلموا ان سلطانكم انما
هو على اجساد الرعية وانه لا سلطان للملوك على القلوب واعلموا انكم ان غلبتم الناس على ما في
ايديهم فلن تغلبوهم على عقولهم والعاقل يسارع عليكم لسانه وهو اقطع سيفيه وخاصة اذا
صرف فيه الحيلة الى الدين فيكون بالدين يكافح واليه دعا ثم هو واجد له تابعين
والمصدقين فان بغضة الناس موكلة بالملوك ومحبتهم ورحمتهم موكلة بالضعفاء المغلوبين
وقد كان من قبلنا من الملوك يحتالون لعقول من يحذرون بتخريبها فان العاقل لا تنفعه
جودة عقله اذا اضر عقله حزبا وكانوا يحتالون للطاعنين بالدين على الملوك فيسمونهم
المبتدعين فيكون الدين هو الذي يقتلهم ويريح الملوك منهم ولا ينبغي للملك ان يعترف
للعباد والنساك والمتبتلين ان يكونوا اولى بالدين ولا احدب عليه ولا اغضب له منه
ولا ينبغي للملك ان يدع من النساك والعباد من الامر والنهي عيبة على الملوك وتلك للملك
يتسنمها الفساد الى ما يعيي دواءه ولن يجتمع رئيس في الدين مسر ورئيس في الملك معلن
في مملكة واحدة الا انتزع الرئيس في الدين ما في يد الرئيس في الملك لان الدين اس والملك عماد
واعلموا ان تصيروا الى على غير احد اباه وتقربه غير بين انه فتح الابواب من الفساد محجوب عنه
علمها واعلموا ان دولتكم تؤتى من مكانين احدهما غلبة بعض الامم المخالفة لكم والاخر
فساد ادبكم ولن يزال الحريم منكم من الامم محروسا ودينكم من غلبة الاديان محفوظا ما عظمت
فيكم الولاة وليس تعظيمهم بترك كلامهم ولا اجلالهم بالتنحي عنهم ولا المحبة لهم بالمحبة لكل
ما يحبون ولكن تعظيمهم تعظيم ادبائهم وعقولهم واجلالهم اجلال منزلتهم من الله عز وجل
ومحبتهم محبة اصابتهم وحكاية الصواب عنهم ولا سبيل الى تعظيم الملك الا بالاصابة في
السياسة ورأس اصابة السياسة ان يفتح الملك من قبله من الرعية بابين احدهما باب
رقة ورحمة وبذل وتحنن والطاف ومواتاة ومواساة وبشر وتهلل وانبساط وانشراح
والاخر باب غلظة وخشونة وتعنت وشدة وامساك واقصاء ومنع وقطوب وانقباض الى
ان يبلغ القتل واعلموا اني لم اسم هذين البابين باب رفق وعنف ولكن سميتهما جميعا
باب رفق لان فتح باب الخير وقع باب الشر وهو اوشك لاغلاقه حتى لا يبتلي به احد واعلموا

ان في

ان في الرعية من الاهواء الغالبة الرديئة والهجور المستثقل للدين والسفلة المحققة على الوجوه
بالنفاسة والحسد ما لا بد منه ان يقرن بباب الرافة باب الغلظة وبباب الاستبقاء باب
القتل وقد يفسد الراعي بعض الرعية من حرصه على صلاحها وقد يغلظ عليها من شدة رقته
لها وقد يقتل فيها من حرصه على حيوتها واعلموا ان ممالككم الاعداء من الامم قبلنا كهم
الادب عن انفسهم عندكم ليس بحفظ ولكنه اضاعة وكيف يجاهد العدو بقلوب مختلفة وايد
متعادية وقد علمنا ان الذي بني عليه الناس وجبلت عليه الطباع حب الحيوة وبغض الموت
وان الحرب تباعد من الحيوة وتدني من الموت فلا دفع ولا صبر ولا انحاماه مع هذه الابنية [illegible]
ما لا يقدر عليه من الناس بعد النية التي تكون في اول الدولة وانما حسن الادب واصابة السياسة
واعلموا ان بدء فساد الراعي من قبل اهمال الرعية بغير اشغال معروفة ولا اعمال معلومة فاذا فشى
الفراغ تولد منه النظر في الامور والفكر في الاصول فينظرون في ذلك بطبائع مختلفة فتختلف
بهم المذاهب فمن اللهو منكم الرعية بعدي وهي على حال اقسامها الاربعة التي هي اصحاب الدين واصحاب الحرب
والتدبير والخدمة من تلك الاساورة صنف والعباد والنساك والمرابطة صنف والكتاب
والمنجمون صنف والزراع والمهان والتجار صنف فلا يكون باصلاح جسده اشد اهتماما منه
باحياء تلك الحال وتفتيش ما يحدث فيها ولا يكون لاشغال عن الملك اجزع منه باستقالة
صنف من هذه الاصناف الى غير مرتبته لان تنقل الناس عن مراتبهم سريع في نقل الملك ملكه اما
الى خلع واما الى فتك فلا يكون في شي من الاشياء اوحش منه من راس صار ذنبا او ذنب صار راسا
او يد مشغولة احدثت فراغا او شغلت بالبس من شانها ومن اللهو منكم الرعية في حال فسادها
ولم ير بنفسه عليها قوة في صلاحها فلا يكون بقميص قط اسرع منه منه لما البس من ذلك
الملك واعلموا ان فيكم من يسترع الى اللهو والدعة ثم يجد بعد ذلك ما يوثره خلقا وعادة فيكون
ذلك الفتاح جد الهوينة وتعب لا خفض معه مع المجنة في الراي والفضيحة في الذكر وقد
قال الاولون منا الهو رعية الصدق فانقريظ الملك وهو ملوك الصدق بالتعهد الى الرعية من سار
منكم الا يسير بسيرة الا ذكرت فعل ومن شا منكم يبث العيون على نفسه فاذا كانها فلم يكن اناس
بعيب نفوسهم باعلم منهم بعيبه فانه ليس منكم ملك الا كثير الذكر لمن يلي الامر بعده ومن فساد الامر
نشر امور ولاة العهود من دخول العداوة محضة بين الملك وولي العهد فمنعي كل واحد منهما في
قطع شرك صاحبه ويتمنى البقاء لنفسه والفناء لصاحبه ويستوحش من صاحبه في طعامه وشرابه
ومتى يأنسا بالتهمة يتخذ كل واحد احبابا واخلاء واهلا يتخربون ويتالبون بعضهم على بعض فاذا
افضى الامر الى احدهما وهو حنق على حيل من الناس فيرى ان الذي رامنه كل المحذور فلينظر الوالي منكم

لله تعالى ثم الرعية ثم لنفسه ثم ليستخير وليا للعهد من بعده ثم يكتب اسمه في صحايف اربع
ويختمها بخاتمه ويضعها عند اربعة نفر من خيار اهل المملكة ثم لا يكون منهم في سر وعلانية
امر يستدل به على ولي ذلك العهد لا في ادناه وتقريبه يعرف به ولا في اقصائه وتنكبه يرى له
فاذا هلك الاول جمعت تلك الكتب التي عند الرهط الاربعة الى النسخة التي عند الملك فتفض
جميعا ثم ينوه بالذي وضع اسمه في جميعهن فيلقى الملك اذا لقيه والقلوب متفقة عليه ولبس
الملك بصر الناس وسمعهم وانه في سكر السلطان الذي نال له ما يكتفي به من سكر ولاية
العهد فينصم ويعمى قبل لقاء الملك ثم اعلموا انه ليس للملك ان يكذب لانه لا يقدر احد على
استكراهه وليس له ان يغضب لان الغضب والعداوة لقاح الشر والندامة وليس له ان يلعب
ويعبث لان العبث واللعب من عمل الفراغ وليس له ان يفرغ لان الفراغ من عمل البطالين وليس
له ان يحسد لان الحسد لا يحسن يكون الا على حسن التدبير وليس له ان يخاف لان الخوف من العوز
وليس له ان يتسلط ان هو اعوز وان تبين الملك في استقامة الحال الا ان لا يخلف منه ساعات العمل
والمباشرة وساعات الفراغ والدعة وساعات الركوب والنزهة فان اختلافها سنة خفة وليس
للملك ان يخف واعلموا انكم لن تقدروا على ختم افواه الناس من الطعن والازراء عليكم ولا تقدرون
على ان تجعلوا القبيح حسنا واعلموا ان لباس الملك ومطعمه مقارب للباس السوقة الا بقية على اقتناء
المحامد واستفادة المكارم فان الملك اذا اسنا الحسن واثر الآثار الباقية وليس للسوقة كذلك
واعلموا انه يحق على الملك منكم ان يكون ذا الطف ما يكون نظرا اعظم ما يكون خطرا والا يستغني
بتدبير اليوم عن تدبير غد وان تتحى بطانته اشد من اتقائه عامة السوقة ولا تطمعن ملك في
اصلاح العامة اذا لم يبدأ بتقويم الخاصة وكما ان لكل ملك بطانة فلكل رجل من بطانته بطانة
ثم لكل امرئ من بطانة البطانة بطانة حتى يجتمع في ذلك اهل المملكة فاذا اقام الملك بطانته
على حال الصواب اقام كل امرئ منهم بطانته على ذلك حتى يجتمع على الصلاح عامة الرعية واعلموا
ان الملك منكم قد يحصون عليه العيوب لانه لا يستقبل بها حتى ترى ان الناس لا يعلمونها او يتكاتمون
بينهم وهذا من الابواب الداعية الى طاعة الهوى وطاعة الهوى داعية الى غلبته فاذا غلب الهوى
اشتد علاجه من السوقة المغلوب فضلا عن الملك الغالب انقوا بابا واحدا طالما امنته فضرني
وحذرته فنفعني احذروا افشاء السر عند الصغار من اهليكم وخدمكم ليجعلوا احدكم لاهل
المراتب وحباكم لاهل الجهاد وبشركم لاهل الدين وسركم عند من يلزمه خيره للاه وشره واعلموا
ان للشيطان في ساعات من الدهر طمعا في السلطان عليكم منها ساعة الغضب والحرص والزهو
فلا تكونوا له في شيء من ساعات الدهر اشد ما لا تكونوا عند هن حتى تنقشع استعدوا بالرأي

على الهوى

استخذى له اذا خضع
اناس

على الهوى فان ذلك تمليك الرأي واعلموا ان من شأن الرأي الاستخذاء للهوى اذا اجري الهوى على
عادته وقد عرفنا رجالا كان الرجل منهم يونس من قوة طباعه ونبالة رأيه ما تريه نفسه
انه على ان اخذ الهوى عنه وان يجري على عادته فاذا تمكن الهوى منه فسخ عزم رأيه حتى قسمه كثير من
الناس ناقصا في العقل فاما البصراء فيستبينون من عقله عند غلبة الهوى عليه ما يستبان
من الارض الطيبة الموات واعلموا ان في الرعية صنفا من الناس نالهم الملل افرح منهم بحسابه
وذلك لا يستطر الا في خاذن ناس الاخيار وولاد وآباء ولذلك الا بالاشتغال ومنهم صنف سروا الناس
وهم الذين عبوا على حفوة الولاة ومن قوي على حفوتهم هو غير ساد ثغرا وهو مناصح لمامة
ومنهم صنف تركوا اتيان الملوك من قبل ابوابهم واتوهم من قبل عند ابوابهم فيهو يرسلهم الوزير على الملك
في جميع ما يقول ويفعل ومنهم صنف دعوا الى انفسهم الجاه بالاباء والود له ووجدوا ذلك
عند المغفلين نافقا وربما قرب الملك الرجل من اولئك لغير نبل في رأي ولا اجر آنية عمل ولكن
الود والآباء اعز باءه ومنهم صنف اظهروا التواضع واستشعروا الكبر فالرجل منهم يعظ الملوك
زاريا عليهم بالموعظة يعيد ذلك تقربا عليهم ويجد في ذلك اسهل طريق طعن عليهم وكانه
يتعقب للدين فان اراد الملك هوانهم لم يعرف لهم ذنبا يهانون عليه وان اراد اكرامهم فهي منزلة
حبوا بها انفسهم على رغم الملوك وان اراد اسكاتهم كان كانه استثقل ما عندهم من حفظ الدين
فاولئك اعداء الدول وآفات الملوك فالرأي للملوك تقريبهم من الدنيا فانهم اليها اجروا وطلبها
سعوا وبابها ارادوا فاذا انلوتوا فيها ابدت فضائحهم وان اشعوا انما في ايدي الملوك سمعه
وريا فان فيما يجدون ما يجعل الملوك سبيلا الى سفك دمائهم والقتل اقل القتل ومنهم صنف
اتوا الملوك بالسعاية من قبل النصائح لهم والتمسوا اصلاح منازلهم بافساد منازل الناس
فاولئك اعداء الناس واعداء الملوك ومن عادى الملوك وجميع الناس فقد عادى نفسه واعلموا
ان الدهر حاملكم على طبقات فمنهن حال السخاء حتى يدنو من السرف ومنهن حال التقدير حتى يقرب
من البخل ومنهن حال الاناة حتى يصير الى البلادة ومنهن حال المناهزة للفرصة حتى يدنو من الخفة
ومنهن حال الطلاقة في اللسان حتى يدنو من الهذر ومنهن حال الاخذ بحكم الصمت حتى يدنو من
العي فالملك منكم جدير ان يبلغ من كل طبقة في محاسنها حدها فاذا وقف على الحدود التي ما
وراءها سرف الجم نفسه عما وراءها واعلموا ان الملك منكم ستعرض له شهوات في غير ساعاتها
والملك اذا قدر ساعة العمل وساعة الفراغ وساعة المشرب وساعة المطعم وساعة الفضل وساعة اللهو
كان جديرا الا يعرض منه الاستقدام بالامور والاستئخار عن ساعاتها فان اختلاف ذلك يورث
مضرتين احدهما السخف وهو اشد الامرين والاخرى نقص الجسد بنقص اقواته وحركاته وعاداته

واعلموا ان من ملوككم من سيقول لي الفضل على من كان قبلي من آبائي وعمومتي ومن ورثت عنه
هذا الامر لبعض الاحسان يكون منه فاذا قال ذلك وعد عليه بالمتابعة له فليعلم ذلك الملك
انه والمتابعين له انما وضعوا ايديهم والسنتهم في حسب آبائه من الملوك وهم لا يشعرون وكم
من ابن الملك او اخيه او سائر عشيرته من يقول ليتنا اكون ملكا وما لي في ان لا اموت حتى اكون
ملكا فان كتم ذلك فالداء في كل مكتوم وان اظهره وتسامع به الناس كلهم ذلك في قلب الملك
كما يكون لقاحا للتباين والتعادي وزائدا للكدر والاغتيال وذلك الامل اذا تمكن في
صدره لم يبرح البلد له الا في اضطراب من الحيل وزعزعة تدخل على الملك واهل المملكة ومن
تمنى ذلك جعل الفساد سلما الى الصلاح ولم يكن الفساد سلما الى الصلاح قط وقد رسمت لكم في
ذلك مثالا لا يخرج لكم من هذا الا به اجعلوا الملك لا ينبغي الا لابناء الملوك من هو كامل غير مخيف
العقل ولا عازب الراي ولا ناقص الجوارح ولا معيوب عليه في الدين فانكم اذا فعلتم ذلك
قل طلاب الملك فيستريح كل امرئ الى ما يليه وينزع الى حد يليه ويعرف حاله ويغض بصره ويرضى
بمعيشته ويستطيب زمانه واعلموا انا على فضل قوتنا واجابة الامور ايانا وجدة دولتنا
وقوة بأس انصارنا وحسن رأي وزرائنا لم نستطع احكام الامر حتى بلغنا من الرعية مكروهها
ومن انفسنا مجهودها واعلموا انه لا بد من خطيب يحدثكم على بعض اعوانكم المعروفين بالنصيحة
لكم ولا بد من ساع يحدثكم عن بعض اعدائكم المعروفين بالغش لكم فلا تحدثوا اعداءكم ما يكون
من ذلك اقتناصا عن المعروف بالنصيحة ولا التسرع الا الى المنكر بالغش وقد خلفت لكم رايي
اذ لم استطع تخليف بدني وقد حبوتكم بما حبوت به نفسي وقضيت حقكم فيما آتيتكم من
رايي فاقضوا حقي بالشفيع لي في صلاح انفسكم والتمسك بعهدي اليكم ولولا اليقين بالبوار
النازل على راس الالف من السنين لظننت اني قد خلفت فيكم ما ان تمسكتم به كان سببا لبقائكم
ما بقي الدهر ولكن الزوال اذا جاءت ايامه اطعتم هواكم واستثقلتم ولاتكم وامنتم وتعلمتم عن
مراتبكم وعصيتم خياركم وكان ايسر ما تخطون فيه مرقاة الى اكبر منه حتى تفتقوا ما رتقنا
وتضيعوا ما حفظنا والحق علينا وعليكم ان لا تكونوا للبوار اغراضا وفي الشؤم اعلاما
وان الزمان اذا اتى بالذين ينتظرون اكتفى بوحدته ونحن ندعو الله لكم بنماء المنزلة وبقاء
الدولة دعوة لا يفنيها افناء ايامها ولا يميتها موت داعيها حتى ينقلب والسلام على اهل
الموافقة من الامم الكائنة هذه نكت من كلام اردشير في تهذيب الملوك خاصة لما رآه في
شد الاواخي واتخاذ العرى وتوثيق الاركان وعدل الملك ميزان الاستقامة وقد بلغت
عنايته بامر المملكة ان التمس لها البقاء بعده فسلك في الحيوة من بعده من الملوك

وسعى لهم في ملكه كسعيه لنفسه في ملكه ورأى ان حيوته لن تفارق ملكه ما دام مستقيما
وان استعجل الموت ببدنه وكان فرحه بجميل الذكر الذي يتبعه كفرحه بطيب العيش الذي
يصل اليه في حيوته واذ بلغ بنا القول الى ما بلغ من ايراد كلامه احببنا ان نصل به فصولا
مما حضرنا من كلامه ومن كلام غيره في سياسة الملك وتهذيب اخلاق الملوك واصلاح
احوال مملكتهم ان نال من الاستقامة وتثبيت دعائمها ما دامت مستقيمة لينتظم جميع
ذلك في نصاب ويعتدل على عماد فيكون نفعه اكثر وعجره ازهر فصل من كلام ازدشير
بن بابك لابنه سابور الملك لما طال بها ازدشير واشفى على الرحيل عهد بهذا الى ابنه
شابور يا بني اني بلغت من السن العليا ما ترى وانما انا هامة اليوم او غد فاقبل عهدي
واحفظ وصيتي فانه ليس الامر بالخير باسعد به من المطيع له يا بني اني قد عصبت بك من الامر
جسيما فاقبله بقبوله ولا يكثرن سرورك به لعاجل نفع ولا ادراك شهوة فان ذلك ادنى ما
انت نائل منه وازهد ما انت مصيب فيه فان نازعتك شهوتك الى شيء من الامور فقابلها
بالمغالبة فان ظفرت انت بها ودفع عنك شرها فليكن فرحك بذلك افضل من فرحك بما
ظفرت به من نيل اعدائك فان فضل ما انت تارك به من هواك على ما انت مصيب من لذته
وسرورك بالفضل ثواب الله من الجنة على ما قسم للناس من معايشهم في الدنيا ان الله لم يرض
من عباده لانفسهم الا بمثل الذي يرضى به من نفسه وانه تبارك وتعالى رحمهم وامرهم
بالرحمة وصدقهم وامرهم بالصدق وجاد لهم وامرهم بالجود وعفا عنهم ورضي لهم العفو وليس يقابل
منعهم الا بمثل الذي اعطاهم وان اقرب الناس منهم اكثرهم حظا من الذي رضي لنفسه و فالهم
اقتداء به يا بني من وفق امره من عباد الله من اقبالك ورحمتك وجودك بما ترغب في
مثله لنفسك من ربك موفقا ما اعطيت من امور ان تعطيه اعطاكه الله وانه ان منعته
اياهم منعكه الله واعلم انك لست تنال شيئا الا بالله وانك ان تتقه في حقه عليك يقك شر من دونه
وان تثق فيه بغيره لا يدفع عن نفسك ولا يدفع عنك دافع انك غير مصلح رعيتك فانت
فاسد ولا مرشدهم وانت غاو ولا هاديهم وانت ضال وكيف يقدر الاعمى على ان يهدي
والفقير على ان يغني والذليل على ان يعز انه لعمري ما استصلح المستصلح غيره الا بصلاح
نفسه وما افسد المفسد سواه الا بعد افساده منه لنفسه وانه ليس احد اصلح لعباد الله
ولا اسعد برضوان الله من الولاة اذا اصلحوا ولا افسد لهم ولا افسد منهم اذا افسدوا وانزل يا
بني نفسك من الرعية بمنزلة الروح من الجسد الذي لا حيوة الا به وموضع الراس من الاركان
التي لا بقاء لها الا معه وبالرابع مع فضل مرتبته من الحاجة الى صلاح الرعية مثل الذي بالرعية

من الحاجة الى صلاح الوالي قوة بعضهم زيادة في قوة بعض ووهن بعضهم سريع في وهن بعض وبعد الوالي
من القدرة على استصلاح نفسه مع استفساد الرعية كبعد الراس من البقاء بعد هلاك ساير
الاعضاء يا بني انك مطبوع على طبايع حسنة واخرى سيئة فاعلم ان اعدى اعدايك لك سيات طبايعك
واولى اوليايك بك حسناتها فقاتل بعض ما فيك من ذلك ببعض وقاتل داء كل ضد منه بضد
قاتل غضبك بحلمك وجهلك بعلمك ونسيانك بذكرك وغفلتك بتفكرك واعلم انك قد صليت
من معالجة طبايعك ومكابرة اهوائك بحرب لا حرب انفع لك فيها الفتح ولا اضر عليك الهزيمة
منها ولا حرب الا يحتاج صاحبها الى المادة فاستمد بحلمك من احلام الحكماء ولعلمك من
علمهم ولعقلك من عقولهم فان العقل الفرد لا يقوى على امر العامة ولا يكتفي به في امر الخاصة
واياك يا بني والحرص فان ايسر ما هو مصلحك باذن الله ومصلح به بدنك الزهد في الدنيا وانما
الزهد باليقين واليقين بالصبر والصبر بالعبر والعبر بالتفكر واذا انت تفكرت في
امر الدنيا لم تجدها اهلا لان تبيع بها نفسك ووجدت نفسك اهلا لان تكرمها
بهوان الدنيا فان الدنيا دار بلاء ومنزل قلعة كالماء المالح وبرق الخلب وسحابة الصيف
وظل الغمام وزهرة الربيع واحلام النايم والعسل المشوب بالسم الذعاف قد رغبت عنها
السعداء وانتزعت من ايدي الاشقياء وهي الغاشة لمن انتصحها والمغوية لمن اطاعها و
الخاذلة لمن انقاد لها فاحذرها كل الحذر واتهم طبايع السوء التي هي فيك على حبها
فانه اذا اتصلت تلك الطبايع بحاجتها من الدنيا كانت كالنار للحطب والماء للحيتان فان
اردت يا بني الغنى فاطلبه بالقناعة ولا اجد اروح قلبا واقرب من ان لا يفضل الله من
امر رضي بما اعطاه الله وعرف رضوان الله من سخطه ثم عمل بمعرفته فما اتاه من الدنيا اتاه
والله عنه راض وما ادبر عنه منها ادبر وهو الى الله معتذر فان كنت عاملا برضوان الله
من سخطه فامض عملك بذلك في نفسك وفيمن وليت امره وان كنت غير عامل بذلك فليكن
اول امرك ابتغاء علم ذلك حتى تدركه وشغل ليلك فيه فان ادنى مطلب علم ذلك ان تقيس
الناس بنفسك فلا تقض عنهم بما تحبه لك ولا تاتي اليهم بما تكره ان ياتوه اليك فاذا
علمت ما يرضي الله مما يسخط فاقمع هواك واردع رعيتك واملك غضبك واحلل العقد من
قلبك وطهر من الحسد جوفك واقبل اليك املك فان بسط الامل معناة للقلب مغفلة
عن المعاد ولعل ابليك فيمن غضبت عليه بربك ان عقوبتك اياه تنكيل على الذنب او توبيخ
على الادب فاذا هممت بذلك فارجع الى نفسك فانظر رضوان تريد ام شفاء الغضب وحب العقوبة
ان تكون على قدر الذنب وما تفرط فيه تفضله بنفسك وان تكلم الدنيا تعفو وان تكلم الاخرة

لتريد

لا يبيد اثرها حتى ياتي عليها القصاص واياك والشهوات فانها لهو ولعب واذا حضر اللعب غاب
الجد ولن يقام الدين وتصلح الدنيا الا بالجد فليكن برجعك الى الحق عنها فانك بهما
تترك من الحق لا تتركه الا الى الباطل فلا تركبن هواك في اليسير فيطمع منك في الكبير ولا
ترجحن ذرعك بمقارفة صغير من الخطا فان الخطا عمل ضراوة وليس لشيء مما اوتيت فضل عما
يصلحك الا يسير لعمرك وان طال الفضل عما ينوبك من الحق اللازم ولا القوت وان نمت فضل
من ادا حق الله عليك فليمنعك علمك بذلك من ان يبطل لك عمرا في غير نفع او تضيع لك
مالا في غير حق او تصرف لك قوة في غير غناء او تعمل لك راي في غير رشد فاحفظ الحفظ
فيما اوتيت من ذلك فانه ان يك الى صغيرها اوتيت حاجة فان بك الى الكبير منه اشد الحاجة
وعليك بما اصبت منه اعظم الرزية ولا سيما العمر الذي كل فاقد سواه مستخلف وكل ذاهب
بعده مرتجع اياك والفخر واستعن على دفعه عنك بعلمك بالذي منه كنت وعملك بالذي
اليه تعود فلا يبقى لك مع هذا العلم سبيل الى العتو على الله تعالى والاستطالة على عباده
بالفخر واياك والكذب فانه مهانة للنفس ومخافة في الراي وان من مخافة الكذاب انه طلب
ان يصدقه الناس وهو كاذب فيحمده وهو جاهل ويحمدونه وهو ذميم ويبريونه من الذنب وهو
ملطف فصار في البعد من بغيته والجور عن قصده بمنزلة من اراد المشرق فتوجه الى المغرب
وقد جا من السما ما اشرق الله الشمس والقمر على اهل الدنيا ولا اجرى فيها الماء والريح
والنار الا لمكان من فيها من الصادقين فاذا دفع الله عنك شرة نفسك واظهرك على سيات
طبايعك فلا يكونن شي اهم اليك من وزير صالح تقي لله وافي العقل كامل الادب قد حنكته
السن وبجربة الامور وان سرعة ايتلاف قلوب الابرار حين يلتقون كسرعة اختلاط قطر السما
بما الانهار وبعد الفجار من الايتلاف وان طال تعاشرهم كبعد البهايم من التعاطف وان
طال اعتلافها على آري واحد وكن بصالحي الوزرا اعنى منك بكثرتهم فان اللؤلؤة
خفيفة المحمل راجحة الثمن والحجارة فادحة لحاملها قليلة غناؤها عنه واعلم انك
نائل من الراحة بقدر الذي تستفيد من صالحي الوزرا والاعوان فانما الولاية ثقل وانما
يستقل بالثقل اذا كثرت عليه الاعوان ثم اجتهد ايك في ابتغاء صالحي العمال فان عمال
الوالي منه بمنزلة السلاح من المقاتل ولكن ما تطلب بموافقة اعوانك ان يعلم الناس انه
لا يصاب عندك الخير الا بالمعونة على الخير ولا يخاف شرك الا باجتلابه فبو الفضل فان الناس
اذا علموا ذلك منك وافقوك وتصنعوا لك والمتصنع خير من ابن واحد بعد الموافق ولست
ولست من خطائك في الامور بعد اجتهادك ولا ينبت العذر في الاجتهاد دون درك

الصواب فان اشكلت عليك الامور فليكن مفزعك فيها الى العلماء فان من وصل عقول العقل
بعقله استبان به من الامور مثل الذي يستبان بالمصابيح في الظلم ثم انه ليس احد بمحتاج الى
ولا برىء من الحسنات فلا يمنعك عيب اجل من الاستعانة به فيما لا معونة عنده عليه ثم ان الله
تعالى جعل العدل ميزانه في الارض الذي به يؤخذ للضعيف من القوي وللمحق من المبطل فمن
ازال ميزان الله فيما وضعه الله له من القيام بالقسط بين عباد الله فقد اعور اشد الاعوار
واغتر بالله اشد الاغترار فاستعن على العدل بخصلتين ظلف النفس عن الهوى والتثبت في الامور
واعلم انك لم تفصل القضاء على من جرت عليه من الخصوم ولكنك حولت خصومة منه على نفسك
وخليت بينه وبين خصمه وان عدل الله بعد ذلك من ورائك ووراءه حتى يستوفي له منك ومنه
مع ان الولاة ليسوا بانصاف بعض الناس من بعض باحد منهم بانصافهم اياهم من انفسهم فلا
تكتفين بالعدل عليهم دون انصافهم من نفسك والعدل عليهم فيما ينوبهم من حقك و
ينوبك من حقهم قبلك فاذا احرزت العدل باذن الله فاجمع الى عدلك على الرعية الرافة
بهم والرحمة لهم والعفو عن جاهلهم وترك التشديد عليهم وبث الاموال في ايتامهم وارامهم
ومساكينهم وذوي العاهة والبلاء منهم ولين الجانب مع ذلك لعامتهم وخفض الجناح
لعلمائهم وزهادهم حتى تكون عدلت واحسنت واعلم انه لا يكمل عدل الوالي حتى يكمل علمه
بالرعية ولا يكمل علمه بالرعية حتى تنتهي اليه الرعية بذات انفسها وليس ذلك يكون الا
بفتح الابواب ولين الحجاب والنظر في المظالم فعند ذلك تتحاجز العمال عن الظلم ويتناصف
الناس بينهم دون ان يهم الاعظم واحذر مع ذلك عند لين حجابك وانفتاح بابك ان يشكو
الناس منك بحمل بعضهم ببعض ووقع بعضهم على بعض فانك متى تحتجب عن الناس تقطع الامور
دونك ومتى تسرع الى تصديقهم تفسد بذلك رعيتك وانما الحزم في ذلك ان تسرع الى
الاستماع وتبطئ عن التصديق الا مع واضح البرهان ثم اياك والارجاء من الامور والمدافعة لها
فتتراكم عليك فلا تجد بدا من مباشرتها بنفسك فتفدحك وتلقي بها العجز فتضيع
وانما امرك امران صغير لا ينبغي لك ان تباشره بنفسك وكبير لا ينبغي ان تكله الى غيرك
فانك ان باشرت بنفسك صغار الامور شغلتك عن كبارها وان وكلت كبارها الى غيرك
اضعت اكثرها فحفظت وافسدت اعظم مما اصلحت اعلم ان هذه وصيتي اياك وعهدي هذا
لك تمثال رجل قائم بكمال الوصايا له راس انت ايها الوالي وقلبه وزيرك ويداه اعوانك
ورجلاه رعيتك والروح الذي به يقوم عدلك صيانتك لنفسك واستصلاحك لها وما
كاستصلاحك لبعض اجسادك اسال الله الذي اختار العدل لنفسه وامر بالقيام به في خلقه ان

بلجمه كدوان يجعلك من حملته والقوام به في عباده وبلاده **فصل** في فضل ما من عهد
شابور بن اردشير الى ابنه هرمز انك يا بني وقد وليت امرا لا يفوقه شيء من امور الدنيا
فاسم بنفسك الى ما يلائم الخطر الذي اصبحت عليه من خصال الفضل وتمسك من
والاحسان بعصمة تصل لك ما انت فيه من غضارة العيش ونهجه بالنعيم الذي لا زوال له
في الدار التي لا انتقال عنها وتبقي لك حسن الاحدوثة اذا ودعت ما انت فيه فانك
موروث ما انت فيه ومسلوبه وخارج منه الى ثواب ما تقدم لنفسك وعقابه واستعن على
امورك بخلال ثلث لا غنا بالملوك عنهن رحب الذرع وحسن التثبت والصبر على معاناة الامور
واعلم ان جميع ما تحتاج اليه في ملكك ينتهي الى امور ثلثة عز الدين واستفاضة الامن وصلاح
حال الرعية وان الوصلة الى ذلك كله الجنود الذين يدفع الله بهم عن الحريم ويؤمن بهم السبل
ويحصن الثغور وصلاح الجند وقوتهم وتحوطهم بما يستعدون له ويمنعهم اليه و
يستعان بهم عليه بادرار ارزاقهم وسد خلاتهم والمكافاة لهم بغنائهم وبلائهم ولم
يوصل الى ذلك الا بعلى الخراج وتوفيره ولن يستدر الخراج الا بعمارة البلاد ولن تعمر البلاد
الا بالعدل على اهلها والانصاف لهم والرفق بهم وتخفيف الوطاة وتطفيف الكلفة
فان بعض الامور لبعض اسباب وعوام الناس لخواصهم عدة ولكل صنف منهم الى الاخر حاجة
ومدار الامر على التدبير وقوام التدبير بالراي وانما الراي للامر اذا التبس امرا وقربه على
وجه الصواب فراى في مفتتحه بعض الانتشار ان يحمل ذلك ويتمه فان اول ما يفتتح من
امور الناس يجري على التقصير ولم يزل اهل الراي يعرفون التعذر والانتشار في بوادي الامور
ويغتنون فتنى الاول فالاول لعلما يظهر لهم من ذلك حتى يتم لهم ما يحبون وما فرط الراي فيه
من اموره ثم وفق لما يرجو به تقويمه فاحكامه فانه ينبغي له ان ينزل نفسه فيه منزلة من
يستقبل العمل ويأنفه واعلم انك ان التمست ان لا تعاود امرا الا تم لك على شيئتك حتى
لا ترى في شيء من ذلك مكروها ولا نقص منه على مضض فقد التمست امرا لا تبلغه مقدرتك
حتى تكون المقادير في يديك وقلوب الناس لك فانظر اي امر هو ابعد من ذلك ولكن اجتهاد
النظر الذي عليك واستشارة النصحاء واللزوم لما ترجو به استقامة الامور بالغ ذلك
بك حيث بلغ ومنزل لك بحيث نزل واجتهد ان تنزل كل امر منزلته وتقر قراره وتوخ منه
ما لا يتم صلاحه الا به فتخير من الجند الخصال الثلاث محاض المودة وصدق الباس وسلامة الطاعة
ورأس على كل ما ابرم منها دينا وقودا على كل خمس مائة قائدا واجعل اهل كل كورة على حده
لا تخالطهم غيرهم لتستر فذا بيهم وتتنسوا هو اوهم ويتنافسوا اخوانهم في ظهور الفضل

واستبانة الغناء وتحروا الاستعفاف من الفشل والتوقي للشماتة واثروا القيادة والسيادة
والرياسة منهم اهل الشرف في المواضع والقدم في النصيحة والشهرة بالنجدة والخبرة
بالحروب وحسن المواساة للاتباع وسخاء النفس ببذل المال ولا يعرين من جنودك مغزى الا
ومعهم قادتهم الذين قد خبروهم ورضوا امرهم ولعلمك انه لا شيء ابلغ في فساد الجنود من الافراط
في القعود حتى يتثاقلوا عن الحروب وينقطع عنهم عادة الغزو ومن افراط التجمير مع ذلك في
البعوث حتى يملوا طول الاغتراب عن الاهل والوطن واجعل للعقبة في البعوث والمقام في
الاهلين اوقاتا معروفة لا تعدى الا لامر او ضرورة بعد منا وبينك بينهم في سهل ذلك
ويستصعبه وانصاف بعضهم من بعض فيه واعلم انه لا بد للملوك من خاصة جند
يطمعون للشدايد والنوازل وانه لا ينبغي ان ينزل تلك المنزلة الا من صحت نيته وحسنت
معونته واختبر باسه ونجدته فليكن بحضرتك من هذا الصنف من جنودك عدة معلومة
يقيمون في حرسك وشرطتك وحجابك وغير ذلك من امورك ولا تدع ان تجعل لقوادك
ورؤس جندك نصيبا من الدخول عليك ترفع الحوايج اليك وان تصطبر لذلك وتحتمله
مرة او مرتين في كل سنة فانه يبسط من امالهم ويثبت المودة في صدورهم واعلم انك
لن تصل الى ما تريد من احكام التدبير وضبط الامور الا بحسن معونة وزرايك واعوانك
الذين يحملون لك الراي ويجبون لك الفيء فتخير منهم ثلاث خلال العلم بالاعمال والتفقه
في معرفة لطايفها وغوامضها حتى لا يخدعوا عما يجري على ايديهم منها واخلاص النصيحة
حتى يؤثروك على انفسهم ولا يداهنوا احدا فيك ولا يتحفوا بالخلل يرونه في شيء من امورك
ولا يلتمسوا الحظوة عندك بمتابعتك على هواك في الامر الذي يتخوفون اضراره بك و
العفاف عن الاموال حتى يستشعروا الياس عن كل ما يدعوا الى تضييع عملك واستقصاء حقك
ويظلفوا الاهل الخاصة والاعوان والبطانة عن مثل ما يظلفون انفسهم عنه من ذلك
واحذر ان تشرك بين رجلين من وزرايك في عمل واحد من اعمالك فان الشركة يخاف فيها
التضاد والتباغض والتباغي والتنازع وذلك داعية الى فساد الاعمال وضياع الامور
وانما جماع اعمال الوالي صنفان متظاهرة الشركة في احدهما حزم والانفراد في الاخر خرق
فاما الصنف الذي ينبغي ان يجمع الامناء له فهو ما احتيج فيه الى الحفظ والامانة واستغني
عن التدبير والحكومة واما العمل الذي ينبغي الافراد به فهو ما احتيج الى تعجيل امضائه وابرام الراي
فيه واعلم انه لا بد لك من اثني عشر وزيرا معينا منهم سبعة يلون امورك ودواوينك وخمسة
لهم اعمال سوى ذلك فاحد الخمسة صاحب الشرطة ووالي الحرس والحاجب والقاضي ووالي النظر

ظلف نفسه كفها
عما لا يجمل

في

الجند

في المظالم والحادث لك في خلوات الفراغ واحد السبعة كاتب الرسايل ووالي ديوان
ووالي نسخة ذلك الديوان ووالي ديوان الخراج ووالي نسخته ووالي ديوان ما يرد بيوت
الاموال والخزاين وما يعنف به من الرقيق والكراع وصاحب ديوان الخاتم والنفقة فول
شرطتك امرا شريف البيت بعيد الصيت عفيف الطعمة مهيبا في العامة فانه لا ينبغي
ان تنزل مثل منزلته في الركوب لعلم الملك والسلطان على من وراء بابه ونفاذ الحكومة
في رعيته الا من كانت تلك حاله وتقدم اليه في لين الكنف والى الاستقامة والشدة
على اهل الريبة وحذره ان يعدو على احد بقرف او اخيه ومره ان لا يكون على اهل
الدعار اشد منه على من اوطاه العشوة او حمله على الشبهة من اعوانه وشرطه وول
حرسك امرا اصيلا معروفا بصدق المتابعة ومناصحة النية لك وحسن التالف
لجنودك مبسوط الكنف لهم موثوقا في غايتهم واجعل حجابتك الى رجل من بطانتك
له لطافة في الخدمة وذكاء في الفهم وبسطة في المنطق له علم باقدار الرجال فانه
من اطول خدمك لزوما لك واكثرهم دخولا عليك واقل من تعاينه وتعامله بك
الملوك ووفود الافاق فاما القضاء بين الناس فذلك مما لا يستطيع الملك ان يباشر
منها ما يباشر من ساير اعماله التي بحضرته ولا يسعه ان يامن عليها الا من يضطلع به
لان جميع من مع الملك من وزرايه انما يبرمون الامور على رايه ويصدرونها عن امره ما
خلا القاضي فانه ينفذ حكم الدين بامر الله فاختر لولاية امر افقههم في الدين حافظا
لما استن الايمة الاولون والاسلاف الماضون الذين اجمعت العامة على تفضيلهم ورضا
باعمالهم لطيف النظر فيما يتشاجر فيه الخصوم بصيرا بما يرد عليه من الحجج وقورا عند
عفيف له الرجال معروفا بالزهد فيما يرغب فيه العامة غير مابون بعار يخاف شينه
ويعم له نفسه فان ذا العورة يضايع الناس عن اظهار عورته مثل ما يتقي ذو القرحة
ان ينكا واما ولاية المظالم والحادثة لك في خلوات الفراغ والتودع فتلك منزلة لا
يحتملها الا من تكاملت فيه خصال سبع شرف الحسب وصحة الراي وطول التجربة وسن
العارضة وحب السلامة للناس ومجانبة الريب وصدق اللسان واما ولاة الدواوين
فهم الحفظة لما يسعد وينفق من الاموال والامناء على جميع المؤتمنين من اهل الولايات
والجاري على ايديهم معظم التدبير فليكن من تختاره لولاية كل ديوان منها من اهل
البصر والتجربة مع صحة الراي واخلاص النصيحة واداء الامانة وكتمان السر ولا سيما كاتب
رسايلك فانه مستقر اسرارك ولسانك الناطق عنك في القريب والبعيد والخصوص

بقربك ولزوم ملك ونظرائه من وزرائك فاعرفه لك من حاله وبالغ في اختياره
ثم اضمم البريد اليه ليكون هو الناظر في الاخبار التي تكتب بها العمال ويسدد الكتب فيما يحدث
فتقل الشركاء في اسرارك واعلم انك واجد في اشياعك ورؤس قادة جنودك من يمنحه الله
النصر والظفر على اعدائك فيتيمن بصحبته في كل ما يوجه فيه ويبعد صوته في اقطار الارض
حتى لا يبقى في جنودك كبير احد الا اعترف بحقه واقر بفضله ولا يدافع احد والا رعبهم
الله بمكانه ويقذف في قلوبهم الرهبة له وواجد في وزرائك واحبائك من ينحلك
النصيحة ويوفقه الله لصواب الراي والمشورة حتى يعظم غناؤه عنك فيما تحت يدك من
اعمالك ويصلح الله لك بمكانه من سواه من وزرائك وان تجد اولئك ثلثة اصناف
من الناس اعداؤك الحنقون عليك وخاصتك وبطانتك ممن لا يبعد نظرهم في الامور
ولا يلطف لعلم عواقب الاشياء وخاصة اعدائك الذين لا سبب بينك وبينهم وانما
متقدمو اليك في امرين انت توقيتهما وتكتمهما كنت خليقا للاشفاع بذلك
الصرف والمفاخرة فاحذرهما اشد الحذر فالطف نفسك ومن يطيف بك اشد التلطف
واياك ان تطمع للعامة منك الافراط فيما تشره النفوس اليه وان يجد من ذلك
فوق ما تجد الملوك الماضية قبلك واعلم انه لا شيء ادعى الى عجزه ولا اشد تخليقا لربه
من استبطان اهل الدناءة والرذالة واتباع من رجاع ما يفسد العمل والولاة ويجدون
بالسبيل الى الخيانة والرشا والمصانعة الامور ثلثه ترك العدوى على اهل
الظلم والعسم وضنة على الناس باموالهم وقبله من الحق واهماله امر من اسند اليه شيئا من
عمله بلا امناء ولا رقباء يحفظون عليه ولن يستفيض الامن في العامة حتى يكون
الخوف شاملا لاهل الريبة والدعارة ولا يدوم الملك الا بالنظر الى اولي الحاجة والمسكنة
وكفايتهم ما يقوتهم والملوك احق بذلك من السوقة لقدرتهم على ذلك والا بلين الكنف
للضعفاء والشدة على من يعدو عليهم فانما الشرف اهل الشرف بما يتكلفون من امور
اهل الضعف مع ان امور الدنيا متداولة فكم من خامل الامر صغير المنزلة قد عظم الله خطره
ورفع ذكره فبلغه غايات الشرف واصطفاه بذخائر النعم واجرى على يديه المنافع العظام
اما بفقر يوفقه له واما بعزيزة عقل يطبعها فيه واما بامر ثم ينبه اياه وكم مع ذلك
من رفيع القدر شريف الموضع قد شان حسبه وصار عارا على اقربائه وعشيرته بسيئات
اقترفها وجرائر اجترحها ومحارم انتهكها ولعمري اني لغير منكر ان يستعتب الملك بعض
الامور بعدل فيدفع الله بحوله الخلل بتعهده ما احكم ولكنه قد ينبغي لذي الراي ان لا يدع

الاجتهاد

الاجتهاد في توقي السقطات وتحصين العورات فان صاحب الحزم لا يخفي من ضبطه الا
امنا وسرورا ثم لا ان الله يحفظه واراك في عواقب كل ما تحاوله من امورك افضل
رجائك وامنيتك انه لطيف قدير تم المجلس بعون الله تعالى ومنه والله المسئول ان
يوفق لاتمام ما بقي وهو الباقي

المجلس الثالث والخمسون من خلق الانسان في قوله تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون في بيان مواد المكارم من الاخلاق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لمن لا يدرك بحمده القلم والبيان ولا يحصي فضله اليد واللسان ولا تعقد
حكمته الاوهام والظنون ولا تحد عظمته الابصار والعيون يمحو بكرمه المهلكات و
يمحو السيئات ويقبل الصدقات ويشكر على الحسنات يجيب السائلين اذا سألوه من
ما سألون ويبلغ ارادتهم من يؤملون يوضح سبل الهداية للسالكين وينصب اعلام
السعادة للسابقين يسر الطاعة ويرفعها ويعرف الحاجة ويسمعها ابدع العالم
باقتداره ودبر الاشياء على مشيئته واختياره لا يحيط بكنه عظمته افكار ولا تدرك
كل حكمته الابصار لا يخلف وعده في رحمة المحسنين ولا ينقض عهده في مفازة
المتقين ادر مواد الخيرات على العباد واسال شعاب البركات في البلاد وادار
على الاخلاق الكريمة منتهى السعادات واصار الى الشيم الحميدة عواقب الحسنات
لا هادي الى فضيلة غير فضله واحسانه ولا دليل على سعادة سوى رضاه ورضوانه لا
لما يريد مدافع ولا لما يفيده مرتجع ولا لمن يعز مذيل ولا لمن يذل معز ولا لمن يحفظ
ضائع ولا لمن يخفض رافع والصلوة على من امده بالملائكة وايده وكنفه بالمعجزات او...
وعضده وختم بالرقوب رقاب من جحده وقطع من العصمة اسباب من عنده وكتب العز لمن آمن
به وعصب الذلة بمن نكص على عقبه حتى اجلى الهدى على يديه العليا عن اوضح الايمان
وجلا باصباح يغني عن مصباح النيران واكب المشركون على الرؤس والجباه من بعد ان
ارادوا ليطفئوا نور الله بالافواه ذلك محمد سيد الاولين والاخرين صلى الله عليه وعلى
آله الطيبين الطاهرين والاخلاق الحميدة لا يجوز ان تكون موجودة بالجملة في انفسنا
ولا ان تكون منتفية بالجملة عنا الانبه بل لما جبلت عليه النفس بالعادة والانسان
قد يفيد الاخلاق الجميلة بالاكتساب الى الافعال الذميمة كما يحس اخلاقه الذميمة بالاكتساب
للافعال الكريمة ولكن الفضائل قد تكون من الامور التركيبية كالجمال الرائع والقوام

القانون والحوال السليمة والبنية الجسيمة ويكون استعمالها موقوفاً على الوجود كما ان وجود
الاخلاق الحميدة موقوفاً على الاستعمال ولا يسع في الاولى الجودة والوجود ويتبع في
الاخلاق الاستعمال واستعمال النفس كل ما تستعمله لا يخرج عن اربعة اقسام اما ان يكون
للذة عن الم او للمنفعة عن حاجة او للجمال عن عيب او للكمال عن نقص وعلى ان داعي اللذة
اغلب لانها ابخة معجونة في الجبلة متداولة الوجود عامة في الفضائل والرذائل
والانسان والحيوان وشاملة للمعاني الباقية والفانية اذ كل نافع وكامل وجميل لذيذ
ايضا وكذلك كل كامل جميل وليس كل جميل كاملاً وكل جميل نافع وليس كل نافع جميلاً
وكل نافع لذيذ وليس كل لذيذ نافعاً فقد صارت الافعال الاختيارية كلها من
علائق اللذات وليست تفارق الاخلاق الحميدة الافعال الذميمة التي هي مضادة لها من
قبل ان احد النوعين ملذ والآخر غير ملذ ولكن المفارقة من حيث ان الحميدة لن تكون ملذة
الا بما ينبغي ان يلتذ به وفي الوقت الذي ينبغي وبالهيئة التي ينبغي فتمييز الافعال الحميدة
عن الافعال الذميمة اللئيمة بمراعاة هذه الاوصاف الاربعة على التقسيط البالغ والاستقصاء
الجيد والتدبير المحكم والنظام الموثوق حتى لا يتبع الاستعمال الاستلذاذ بل الاستلذاذ
يتبع الاستعمال فيستمر للانسان الملكة الاكتسابية الى ان يصير الفعل طبعاً اعني الخلق كما
كان في البدء كاسباً للخلق فلا يضعف اكتساب الملابسة والممارسة ارتياح التحلي بالفضيلة
ولا يسحق جانب العبث والهزل بفضيلة الاستغناء والاكتفاء فحينئذ تنضم صفة الجمال والكمال
الى داعي اللذة والمنفعة فيصير كان الفعل لم يقع بحسب الحاجة اليه بل بحسب الغبطة بحسنه
ولا البلوغ الى اقصى النهايات بعد تداول الحالات على طريق الحصول عن الجوهر الراسخ
والنور عن الكوكب اللامع والذي يبين ذلك ان الدواعي المحدثة بالنفس لا تخرج عن اربعة
اقسام اما جوهرية كالقوى المختلفة من شهوة وغضب وحس وعقل واما عرضية طارئة
كالاسباب المختلفة من خارج كالانس والوحشة والبغض والمحبة واما خليقة كالسجايا
الحميدة والذميمة واما تعليمية كصور الصناعات في النفس صناعياً وليست فضيلة
الانسان الفاضل بالمعاني الجوهرية اذ ليس من قوي على اكتساب الخيرات كان من الاخيار
ولا من قدر على تعاطي الشرور كان من الاشرار قيل لصوفي انك تميل الى الاحداث فقال اما
على القدرة لم اسرق قال بعض اصحاب الفراسة لبقراط انا اتوهم منك الزنا فقال صدقت
فراستك انا اشتهيه ولكن لا افعله ولا ايضا فضيلة الانسان بالمعاني العرضية
لوجودها فيه من غير ارادته قيل لصوفي اخرج الهموم من قلبك قال لم يدخل باذني

حتى يخرج بامري ولا ايضا بالصور الصناعية والمهن التعليمية فانها لا يستطاع مفارقتها
قال ابو حنيفة في الكلب المعلم اكل من الصيد حرم ما لم ياكل من قبل لان الصناعة لا
تنسى انما ينسى دقائقها فاذا الصور الصناعية لا تفارق والفضائل تفارق وتعانق
فكانت مادة الفضائل على الخصوص هي الاخلاق والشمائل وهي بالحقيقة ملكة نفسانية
تصدر بحسبها الافعال الانسانية فان كانت مهذبة صدرت على احسن الوجوه وان كانت
صدرت على اقبح الوجوه وارداها وارذلها وعن هذا يزيد فيها التعويد و
التنبيه ويبدي لها التعليم والتاديب جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال اتيتك يا محمد بمكارم الاخلاق اجمعها قال وما ذلك قال خذ العفو وامر بالعرف
واعرض عن الجاهلين يا محمد هي ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك
فاحسن صلى الله عليه وسلم تقبله وتلقيه فنزل قوله عز وجل ثناء عليه وانك لعلى
خلق عظيم فكان عظم خلقه انه كان جعل ظاهره للخلق صحبة وشفقة واخلص باطنه
لله قربة ومحبة فكان لا يشغل ظاهره عن باطنه وباطنه عن ظاهره وكان من خلقه
صلعم مع خلقه ما حكاه انس بن مالك قال خدمت النبي صلعم عشر سنين فما قال لي لشيء
صنعته لم صنعت ولا قال لشيء لم اصنعه لم لا صنعته ولا رايته ركبتيه قدام جليسه قط
ولا عاب طعاما ولا مدحه ولا صافحه احد فنزع يده حتى يكون هو النازع ولا اصغى اليه
احد براسه فنحى راسه عنه حتى يكون المصغي هو الذي ينحي راسه عنه وما مات من مجالسه
لاحد ان ترك مالا فلورثته وان ترك كلا او دينا فالي وعلي وفي حديث عمر انه سال ابا
مالك وكان من احبار اليهود عن صفة النبي صلعم في التورية فقال انه يلبس الشملة ويجتزي
بالعلقة قوم اناجيلهم صدورهم وقرابينهم نفوسهم وفي حديث يخطو تكفيا ويمشي
هونا ذريع المشية اذا مشى كانما يحط من صبب واذا التفت التفت جميعا خافض الطرف
نظره الى الارض اطول من نظره الى السماء جل نظره الملاحظة دون التحديق يسوق اصحابه
لا يتقدمهم شيئا من يلقى بالسلام يتكلم بجوامع الكلم فصلا لا فضول ولا تقصير دمثا
ليس بالجافي ولا المهين يعظم النعمة وان دقت لا يذم منها شيئا لم يكن يذم ذواقا
ولا يمدحه واذا غضب اعرض واشاح جل ضحكه التبسم ويفتر عن مثل حب الغمام وفي حديث
كان من اعذب الناس خلقا والينهم معطفا فاذا تعوطي الحق لم يعرفه احد وفي حديث علي
عم كان لا يبيت مالا ولا يقيله اي اذا جاء مساء لا يمسكه الى القائلة وكان لا يوبن في
مجلسه الحرم اي لا تذكر النساء بقبيح ويدخل الناس روادا اي طلابا ياموملين ولا يتفرقون

الاعز وافي بما تبالون عنده من الخير في العلم ويخرجون ادلة اي بما قد علموه فيدلون
الناس على الخيرات ومكارم الاخلاق **وقال عطا** ذات يوم لاصحابه بم ارتفع من ارتفع قال قوم
بكثرة الصيام والصلوة وقال قوم بالبذل ومد على المجاهدة وقال قوم بالمحاسبة والموازنة
وقال قوم بترك المنى وبذل الندى فقال عطا ما ارتفع من ارتفع الا بالخلق ولم ينل احد كماله
غير المصطفى صلى الله عليه وسلم فاقرب الخلق الى الله هم السالكون على اثره المستنون بسيره
ومن كلام بعض الحكما ان حسن الخلق على اربعة منازل **فاولها** ان يحسن الخلق مع اوامر الله و
نواهيه واحكام شريعته وآداب حضرته فاذا احكم العبد هذا من نفسه فحينئذ يتخطى الى
المنزلة الثانية ويرقى نحو الدرجة الثانية وهي ان يحسن خلقه مع جميع خلقه على المساعد
وحسن المعاشرة وتليين العطف وتوطية الكنف ومراعاة الكبار والحنو على الصغار وكف
الاذى عن الناس مع احتماله عنهم والتجافي عن اساءتهم اليه مع الاحسان منه اليهم والايجاب
لهم ما لا يجب عليه والتسامح فيهم بما وجب له فاذا استحكم هذا رقي الى المنزلة الثالثة
وهي ان يحسن خلقه مع تدبير الله في كل اموره فلا يريد الا ما يريد من خلقه ولا يشاء الا
ما يحب ويشاء من قسم عمره ورزقه ثم يتسنم ذروة العز والجلال ويستوي على قصب القبول
والاقبال في الدرجة الرابعة من درجات المقربين وهي التي قصرت اقدام الساعين عن
شعفاتها وارتقت ايدي الطالبين دون تناول غاياتها درجة السرور باحكام الله وان
فتح البلاء ابوابها ومد على الفناء اسبابها متقلبا بخواطر الحكمة فيما يلوح من حجاب
الملكوت في الخير الذي اراده ورفع عماده ولم يحاول ثاده وادنى مواده فهذا عبد من على الله
قد كمل الله عليه نعمته واتاه من كل حسن فوق غايته فكرمت خلائقه واستقامت
طرايقه واعتدلت جوارحه واستصافت جوانحه وانتمن ربه على نفسه كفيلا فاتخذه في
جميع اموره وكيلا وهو الذي يسير سلما الى ما يشاء ووجده كافيا حسيبا فاذا قال حينئذ
حسبي الله صدقه الله في الملا الاعلى واذا استكفاه بقوله كفى بالله كفاه الله ما اهمه من امر
الدين والدنيا واذا ساله اعطاه واذا تشفع اليه شفعه واذا ادخل جنته اسكنه في
اعلاها واخصه من كرامته باوفرها واوفاها **كما** روى انس عن النبي صلعم انه قال
من ترك الكذب وهو باطل بنى الله له من رياض الجنة ومن ترك المرا وهو محق بني له في وسطها
ومن حسن خلقه بني له في اعلاها فذلك الذي من اعلى عليين الذي قد وصف النبي صلعم
على مكانهم فقال ان اهل الجنة ليرون اهل عليين كما ترون الكوكب الدري في افق السما
ومما جا في مكارم الاخلاق من اخبار سيد البشر القايد الى السعادة الابدية ما روت

عائشة

عائشة عنه ان مكارم الاخلاق خصال تكون في الرجل ولا تكون في ابنه وتكون في الابن ولا
تكون في ابيه وتكون في العبد ولا تكون في سيده يقسمها الله لمن اراد به السعادة صدق
الحديث وصدق الباس واعطاء السايل والمكافاة بالصنايع وحفظ الامانة وصلة الرحم والتذمم
للجار والتحنن للصاحب وقرى الضيف ورأسهن الحيا وانما كان رأسهن الحيا لان الحيا
عفة الروح فهذه الخصال كل واحدة منها مكرمة عظيمة تزين العبد في الدنيا شرفا وفضيلة وفي
الاخرة رفعة ووسيلة وقوله صلعم انما بعثت لاتمم صالح الاخلاق يدل على ان الانبياء قبله قد
كانت معهم هذه الاخلاق وعليه منها بقية فبعث عم ليتممها **وفي** حديث ان لله سبعة
عشر خلقا من اتاه بواحدة منها دخل الجنة **وقال** ان الله يحب معالي الاخلاق واذا
جعل من محابه في عبد من عباده النجاة محبوبه **وفي** حديث الرؤيا رايت رجلا من امتي جاثيا
على ركبتيه بينه وبين الله حجاب فجا حسن خلقه فادخله على الله ومعناه ان سوء الخلق حجاب على
القلب لا منعا في الاخلاق تظلم القلب وتحجبه وحسن الخلق وصفاؤه يصرف عن العبد فتنة الناس
ويوصله الى الله ويثمر محبة الله فاذا احب الله عبدا اهدى اليه خلقا من اخلاقه واذا رحم الله عبدا
اذن له في عمل من اعمال الطاعة فهذه ثمرة الرحمة وتلك ثمرة المحبة وهذه غاية العصمة وتلك غاية
الحكمة كما قيل ان الحكمة هي التشبه بالافعال الالهية باقصى الطاقة الانسانية **وعن** علي عم لو
كنا لا نرجو جنة ولا نخشى نارا ولا ثوابا ولا عقابا لكان ينبغي لنا ان نطلب مكارم الاخلاق
فانها مما يدل على سبيل النجاح فقال رجل فداك ابي وامي يا امير المؤمنين سمعته من رسول الله صلعم
قال نعم وما هو خير منه **لما** اتانا سبايا طي فاذا فيها جارية حمّا حوّا العينا لميا عيطا اسلت
الجبين لطيفة العرنين مسنونة الخدين ملفاء الكعبين خدلجة الساقين لفاء الفخذين خميصة
الخصرين مكورة الكشحين مصقولة المتنين فاعجبتني وقلت لاطلبن الى رسول الله صلعم يجعلها في فيئي
فلما تكلمت نسيت ما اعجبني من جمالها لما رايت من فصاحتها وعذوبة كلامها فقالت يا محمد ان
رايت ان تخلي عني ولا تشمت بي احياء العرب فاني ابنة سيد قومي كان ابي يفك العاني ويعطي العافي
ويحمي الذمار ويقري الضيف ويشبع الجائع ويكسب المعدوم ويفرج عن المكروب انا ابنة حاتم طي
فقال عم خلوا عنها فان اباها كان يحب مكارم الاخلاق فقام ابو بردة فقال يا رسول الله الله يحب
مكارم الاخلاق فقال يا ابا بردة لا يدخل الجنة احد الا بحسن الخلق **ومما جا في مكارم الاخلاق**
من بني هاشم الذين هم كما قال الجاحظ ملح الارض وسلم العالم وصفوة الامم وعزة العرب ولباب البشر
ومصاص بني آدم وزينة الدنيا وحلية الدهر والطينة البيضاء والمغرس المبارك والنصاب الوثيق
ومعدن المكارم وينبوع الفضايل واعلام العلم وايمان الايمان **قول علي عم** للحسين عم ان اول الافعال

امراة عبلة تامة الخلق
والجمع عبلات
صحاح

وأكرم الأخلاق تقوى الله فاتقياه والعزوف عن الهوى فلا تتبعاه والدنيا لا تبغياها وإن بغتكما
ولا تأسفا على شيء زوي منكما وقولا بالحق وارحما اليتيم وأعينا الضعيف وانظرا المعسر واصنعا
للآخرة وكونا للظالم خصما وللمظلوم عونا تحرزا مكارم الأخلاق **وقال** وقد سئل عن أكرم الأفعال
وأحسن الأخلاق احفظوا عني خمسا لو حثثتم المطي في طلبها كان يسيرا لا يرجو أحد إلا ربه ولا يخاف
إلا ذنبه ولا يستحي الذي لا يعلم أن يتعلم ولا يستحي الذي لا يعلم أن يقول لا أعلم وليترك كل أحد
الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد **وعنه** عم الإنسان أصله لبه وعقله دينه وكرمه خلقه و
مروته حيث يجعل نفسه والرزق مقسوم والأيام دول والناس من آدم إلى آدم وإنما الفضل بالأخلاق
وقال كميل بن زياد النخعي رضه قبض علي بيدي علي عم فقال قل يا نخعي لأهلك يروحوا في كسب المكارم
ويدلجوا في حاجة من هو نائم فوالذي وسع سمعه الأصوات ما من أحد أودع قلبا سرورا إلا
خلق الله من ذلك السرور لطفا فإذا نزلت به نائبة جرى إليها كالماء في انحداره والنجم في انكداره
فطردها عنه كما تطرد غريبة الإبل **وقال** الحسن بن علي عم الحلم زينة والوقار مروة والحياء شرف
والخلق جمال والصدق نجاة والإكثار صلف والعجلة سفه والسفه ضعف والغلظة وخطب مجالسة
أهل الفسق ريبة **وكان** الحسين بن علي سيد الشهداء عم كثيرا ما ينشد هذه الأبيات
وتزعم الرواة أنها مما أملته نفسه الطاهرة على اللسان كأرم الوافره

لئن كانت الأفعال يوما لأهلها ⁂ كمالا فحسن الخلق أبهى وأكمل
وإن كانت الأرزاق قسما مقدرا ⁂ فقلة جهد المرء في الكسب أجمل
وإن كانت الدنيا تعد نفيسة ⁂ فدار ثواب الله أعلى وأنبل
وإن كانت الأبدان للموت أنشئت ⁂ فقتل امرئ بالسيف في الله أفضل
وإن كانت الأموال للترك جمعها ⁂ فما بال متروك به المرء يبخل

وقيل لمحمد بن علي بن الحسين بن علي عليهم السلام من أعظم الناس قدرا قال من لا يبالي بالدنيا في
يد من كانت **وقال** جعفر الصادق عم أحسابكم أخلاقكم وأكرمكم أتقاكم والنسب واحد من آدم
خلقتم **وقال** أكرم الصفايا أشدها وطأ إلى ولدها وأكرم الإبل أحنتها إلى أوطانها وأ
أكرم الأملاك أشدهم ملازمة لأمهاتها وخير الناس أكرمهم خلقا وأشدهم ألفا **وقال** محمد بن الحنفية
الكمال في أخلاق ثلاثة الفقه في الدين والصبر على النوائب والتقدير في المعيشة **وقال المأمون كان**
في علي بن موسى الرضا عم خلال من الخلق ما وجدت مثلها في أحد كان احتماله للعدو كانحفاظه
للولي وكان لا يستحيي الحق ويستحيي من رقيب بليد وما ذم أحدا قط ولا أعرض عن سائله وحاجته
وكان إذا خاطب أطال الخطابة بطلبته وكان المنحي أقرب إلى سميره من أذنه إلى شيء من أسراره وكان

يقل الدعا به ويكثر الاستغفار **ولم ير** في الخلفا أحد أكرم صحبة وأعظم خلقا من المأمون **قال**
يحيى بن أكثم بت عنده بالشام ليلة وكنت أراقبه وهو يظن أني نائم فعرض له سعال فأخذ الكم وجعله
وحشا به فمه وفرق به سعاله لئلا ينبهني فحمل يرعى حركتي وقد طلع الفجر واهتم بالقصد للصلاة
فما زال إلى أن اشفق فلما علمت ضيق الوقت عليه تحركت فقال الله أكبر يا غلمان قد نبتوا نعل أبي محمد
قال كيف وجدت مبيتك قلت بخير قال إن الشيعة أشد مراعاة للوقت من المرجيه منكم أقلب في
تحرك الصلوة ويمنعني من النهوض عنها نومك فكرهت أن أوقظك وفي عينك بقية من
سنتك فانظرها قلت فلذلك جعلكم الله أربابا وجعلنا لكم عبيدا إذ كانت هذه أخلاقكم ثم نهض
للصلوة **وكان** يحيى يسايره ويماشيه في بستان والشمس من يسار يحيى والمأمون في الظل
وقد وضع يده على عاتقه فلما أراد الرجوع على ذلك الطريق قال ليحيى قد جئت وعلى يسارك
الشمس وقد أخذت منك فكن في منصرفنا حيث كنت أنا فقال يحيى والله لو أمكنني أن أقيك بنفسي
هول المطلع لفعلت فلذلك فكيف لا أصبر على أذى الشمس لحظة قال لا بد أن تأخذ منها كما أخذت
وتأخذ من الظل كما أخذت فأنا أول الخلق أن يعدل الرجل على بطانته ثم الذين يلونهم حتى يبلغ
إلى الطبقة السفلى **وذكره** أحمد بن أبي داود فقال ما رأيت أكرم خلقا منه وما أحسب أن الله كتب
كذبا عليه قط وكان يلبس الناس على ما هم فيه ولم يصحبه أحد إلا خلع عليه بعد أن يكون فيه
خصلة من خصال الخير ولو أدناها إلا إذا عرف كذبا فإنه مقطه وما يتم السخا والصدق رداه
ورفع إليه أن خادم رشيد الأسود سرق طاسة وإبريقا وكان على وضوءه ومعاينه فقال زن في
بقصر عن كفايتي فأضعفه له فصار قد طستا وكان يحمد ذلك من الشبه ويموه بالذهب فقال له ويحك
يعني التي إذا أخذته قال اشتريني هذا الطست والإبريق قال بكم قال بخمسة دنانير قال ادفعوا إليه
خمسة دنانير فقال رشيد بعه والله هذا ما بقي الزمان قال قد رأيت المعاملة فكلّ من يعلم أنه
يسرق لي شيئا فقل له حتى يبيعنيه **واستوذن** لسلام الأبرش على المأمون فقال الحاجب وقد
استشاط غضبا قل له يا سلام أنت تقول وأنت تبايع لموسى بن محمد المخلوع بولاية العهد أمر كل
ولي عهد غيرك بطل أن أرى ابنه ثم يجيء تسأذن علي فقال له الحاجب ذلك فقال قل له يا أمير المؤمنين
ما هذه السنة التي أحدثتها أن عاديتنا من خدمنا آبائك وأهلك أن ذنبت فعفوا وتجلى
فنحن على هذا ربينا معهم وخدمناهم فاصطنعك يا أمير المؤمنين وما الذي غيرك فلما
أدى الرسالة ظهر منه الخجل فقال صدق والله سلام قل له صدقت وذلك عندي أكثر منه
وحلفه بحياتي لا أعاتبني ولا يذكر شيئا مما جرى فأدى الرسالة وأذن له فلما دخل بسط له
باعه وضمه إليه وأجلسه بحيث يمس ركبته وحياه وأقبل عليه ببشر ولم يزل كلما انقطع

حديث استفتح المأمون حديثاً آخر ليبسطه ويقطعه عن أن يذكر شيئاً مما جرى إلى أن انصرف
وقال سليم الوراق ما رأيت ولا سمعت بأكرم ولا أحلم من المأمون دخلت عليه يوماً وبين يديه فص
ياقوت أحمر مستطيل قد غطى أربعة أصابع وهو يقلبه ثم دعا بصائغ فأمره بصياغته خاتماً
ووصف له المثال فأخذ الصائغ الفص وخرج فانصرفت ثم عدت إليه يوماً فإذا ذكره بعض
الفص فأمر بإحضار الصائغ فأتي به يرتعد وليس معه عقله فقال له لا تراع أين الفص فلجلج
لسانه ولم يحر جواباً فقال الأمان عليك فقل فأخرج الفص أربع قطع وقال صنعته ثم سقط من
يدي فانكسر فقال لا عليك قد يكون هذا أذهب فصنع هذه القطع أربعة خواتيم ثم قال وقيمة هذا
الفص على الرشيد مائة وعشرون ألف دينار وشرب الحسن بن سهل يوماً مع المأمون فقال المأمون
للحسن يا أبا محمد لعلكم تتوهمون أني قتلت الفضل بن سهل والله ما قتلته فقال له الحسن بلى
والله لقد قتلته فقال والله ما قتلته فقال بلى والله لقد قتلته فقال والله ما قتلته
فقال بلى والله لقد قتلته فقام المأمون من مجلسه فقال إليك وانصرف الحسن إلى منزله
فاتصل الخبر بالمعلى بن أيوب وغسان بن عباد فصارا إلى الحسن وعذلاه على ما كان منه
وقالا اركب فاعتذر إليه قال والله لا أركب إليه أو يبعث إلي فصارا إلى المأمون فقال
له غسان يا أمير المؤمنين نحن عبيدك وصنائعك بك عرفنا وبجدك شرفنا كنا أملاك
فرفعتنا وكنا عامة فخصصتنا وكنا فقراء فأغنيتنا فخطيئة مسيئنا لمحسننا فقال لو يحلف
ما اصنع به حلفت له بالله مراراً ثلاثاً فكذبني ثلاثاً فقال المعلى يا أمير المؤمنين أنت فاتن
وساقيته فانتشى فاغفر له هفوة نشوته فقال المأمون يا غلام صر إلى أبي محمد فقل له إما
أن تجيئنا أو نجيئك ومما جاء عن الصوفية في الخلق قال بعضهم إن التصوف هو الخلق فمن زاد
عليك في الخلق زاد عليك في التصوف ووصف النوري الصوفية فقال كانوا يؤثرون
غيرهم ويعرضون عن أنفسهم يغتم الناس ويغتمون ويفرح الناس ويحزنون وينعم الناس ويتعبون
وينام الناس ويسهرون يوجبون للناس ما لا يجب عليهم ولا يأخذون منهم ما يجب لهم
ووصفهم إبراهيم الخواص أنهم بما وعدهم الله مطمئنون ومن الخلق آيسون ولأمر الله مستعملون
وعلى خلقه مشفقون ولأذى الناس محتملون وفي مواطن الحق متواضعون وعلى الأهوال
احتوا امر كرهوا الرضون وقال بعضهم أخلاقهم متابعة الأمر والنهي ومعانقة الفقر والشفقة
على الخلق وقال الجنيد لأن يصحبني رجل فاسق حسن الخلق أحب إلي من أن يصحبني رجل قارئ
سيئ الخلق وقسم بعضهم حسن الخلق إلى عشر خلال قلة الخلاف وحسن الإنصاف وترك
طلب العثرات وتحسين ما يبدو من العورات وبسط المعذرة واحتمال الأذية والرجوع بالملامة

غبن

فاغتنام

يغنم

ارحم

على النفس والحنو على الصغير والكبير والطلاقة مع حسن القول لكل أحد ومن عرف منهم بحسن
الخلق مع الناس أبو عثمان الحيري دعاه إنسان وأراد أن يختبره فلما بلغ منزله قال لا وجه
لي في هذا الوقت فرجع أبو عثمان فلما ذهب غير بعيد جاءه ثانياً وقال ارجع يا أستاذ على
ما يوجب الوقت فلما بلغ الباب قال له مثل الأول فرجع وكذلك حتى طال التردد
للمجيء والذهاب والتوجه والإياب ولم يتغير أبو عثمان فأخذ الرجل بعقده فقال أردت
أن أختبر ودخل بمدحه بسعة الخلق فقال لا تمدحني بخلق تجده مع الكلاب إن الكلب إذا
دعي حضر وإذا طرد انطرد واجتاز أبو عثمان بلا تقولوا شيئاً من استحق أن يصب عليه النار
فصولح على الرماد لا ينبغي له أن يغضب وممن حسن خلقه مع الله عروة بن الزبير فإنه لما
قطعت رجله للأكلة لم يعبس وجهه ونظر إليها بين يديه فقال تنحي بنفسي عنك أني لم
انقلك إلى خطيئة ثم تمثل بقول معن بن أوس المزني

لعمرك ما أهويت كفي لريبة ۞ ولا حملتني نحو فاحشة رجلي
ولا قادني سمعي ولا بصري لها ۞ ولا دلني رأيي عليها ولا عقلي
واعلم أني لم تصبني مصيبة ۞ من الدهر إلا قد أصابت فتى قبلي

ثم قال اللهم لئن أخذت لقد أبقيت وإن ابتليت لقد عافيت ومنهم الحسين بن منصور الحلاج
فإن المقتدر سلمه إلى حامد بن العباس بعد أن حبس في دار السلطان سنتين فأحضره حامد
مجلس الشرطة وضرب ألف سوط وقطعت يداه ورجلاه ثم صلب فقال وهو مصلوب
حرمة الود الذي لم يكن يطمع في إفساده الدهر ۞ ما قد لي عضو ولا مفصل إلا وفيه لكم ذكر
قال عمر الصفار الصوفي أتيته وهو مصلوب وقد قطعت أطرافه ولم يقطب وجهه ولم يعبس فلم ينبس
بكلمة تنكره فقلت له يا ابن منصور ما التصوف قال هذا أقل مراتبه كما أنت شاهد لي و
لا أخره فإذا بصيحة فنظرت فإذا نار وقدت وإلى الجسر قد جاؤوا فأمر حامد بحط الحلاج عن
الخشبة وشد عينيه ليضرب عنقه فصاح يا ابن الصفار هذا آخر التصوف قلت أيش هو
قال الضرب بالعنق والحرق بالنار وهذا جزاء من أفشى أسرار الحق إلى غير أهله ثم ضربت رقبته ونصب
رأسه على سور الحبس وعلقت يداه منه ولفت جثته في بارية فضربت بالنفط وأنشد الجنيد فيه

من لم يصن بعض ما أولته سادته ۞ لم يأمنوه على الأسرار ما عاشا
ويبدلوه مكان القرب يسخطونك ۞ حاشى لأسرارهم من كم حاشا

ومن عظم خلقه وكرم صبره في المصيبة بالولد من أهل البيت جعفر الصادق فإنه كان يحب
اسمعيل حباً شديداً وتقدم على موسى ولما مات اشتد حزنه عليه حتى هجر الطعام ورفض المنام

فلما توفي حسن غزا وودعا بالطعام والكحل وادهن والمدينة لا يمكن الاقامة فيها الا باد امه لاد
ولم يزد على ان قال اردنا اسمعيل واراد الله موسى ولا يكون لنا ما نريد **واشتكى** صالح بن عبد الله
بن موسى بن الصادق عليهم السلم وكان يجد به وجداً شديداً فنذر ان عافاه الله ان يصوم
سنة متتابعة فات صالح فصامها عبد الله بتمامها فقيل له في ذلك فقال لا اريد ان
اعطي الله في الرضا الا اعطيه في البلاء **فهذا** من حسن الخلق على الثواب وقليل فاعله وما
اصدق ما قال الشيخ الاجل عبد الحميد بن احمد نضر الله وجهه في مناسبة يخاطب الشيخ ابا سهل
الحمدي لما قبض عليه ٭ ان يكن مسك الليالي بصرف ٭ فهو مثل الحسام يجلوه صقل

٭ او يكن عزنت منازل قوم ٭ فانا عبدك الذي كنت قبل ٭
٭ لا تبل بالخطوب ما دمت حيا ٭ كل خطب سوى المنية سهل ٭
٭ انما شاكر النعيم نجيب قليل ٭ واخو الصبر في البلاء اقل ٭

فصل ملتقط من كلام الجاحظ في ارشاد المكارم من محاسن الاخلاق واجب على كل احد ان يحكم
وكيل الله عنده وهو عقله على هواه ليسلك به طرق السلامة ويسلمه الى محمود العاقبة ثم
العقل المطبوع والخلق الغريزي لا يبلغان غاية الكمال الا باعانة العقل المكتسب ومثل ذلك
بالحطب والنار والمصباح والدهن وذلك العقل الغريزي آلة والمكتسب مادة وانما الادب عقل
غيرك تزيده في عقلك والادب هو الذي يصلح ان يستعمل في الدين والدنيا فان اصول الدين
في الدين والدنيا واحدة فما افسدت منه المعاملة في الدين فسدت منه في الدنيا وكل امر
لم يصح في معاملات الدنيا لم يصح في الدين وانما الفرق بين الدين والدنيا اختلاف الدارين
من الدنيا والاخرة فقط والحكم ههنا الحكم هناك ولذلك قال الله تعالى ومن كان في هذه
اعمى فهو في الاخرة اعمى واضل سبيلا **قال** ابن عباس في تفسيرها من كان ليس له من العقل ما
يعرف به كيف دبرت امور الدنيا فكذلك هو اذا انتقل الى الدين فانما ينتقل بذلك العقل
فيقدر جهله بالدنيا يكون جهله في الاخرة اكثر لان هذه شاهدة وتلك غائبة فاذا جهل
ما شاهد فهو بما غاب عنه اجهل فاقل مكارم الاخلاق ومحاسن الافعال هو تقوى الله جامع كل
خير وسبب كل نجاة ولقاح كل رشد وهي الجامعة لك محبة قلوب العباد المستميلة اليك قلوب
من لا يجري عليهم نفعك فاجعلها عدتك وسلاحك واجعل امره ونهيه نصب عينيك واياك
الاغترار به والاستهانة بعزائمه والامن لمكره فقد رايت آثاره في اهل ولايته وعداوته
كيف جعلهم للماضين عبرة وللغابرين مثلا **واعلم** ان خلقه كلهم برتبته لا وصلة بينه وبين
احد منهم الا بالطاعة ولا همه به اكرمهم طاعة له وما خالف هذا فانما هو اماني وغرور

ولله

ولله تعالى ابتلاءان في خلقه ابتلاء بنعمة وابتلاء بمصيبة ولقدر عظمهما يجب التكليف
من الله عليهما وبقدر ما يحول من النعم يساوي الشكر وهو مع ذلك يقبل التوبة ويقيل
العثرة ويجعل الحسنة اضعافا فقد قال ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا
انفسهم في جهنم خالدون فالحكم في الاخرة هو الحكم في الدنيا بميزان قسط وحكم عدل
وقال الشاهد لو وضع في احدى كفتي الميزان شيء ولم يكن في الاخرى قليل ولا كثير لم يكن للوزن
معنى ولكن احدا من الخلق لا يخلو من زلة او هفوة او غفلة فاخبر تعالى ان من كانت حسناته
الراجحة على سيئاته مع الندم على السيئات كان على سبيل النجاة وطريق الفوز ومن مالت
سيئاته بحسناته كان العطب والعذاب فكذلك الحكم في الدنيا لانه قد تولى اولياء من
خلقه وشهد لهم بالعدالة وقد عاتبهم في بعض الامور لغلبة الصلاح على افعالهم وان
او تبرا من آخرين وعاداهم لغلبة الجور على افعالهم وان احسنوا في بعض الامور وكذلك تجري
معاملات الخلق بينهم بعدلون العدل الغالب من فعله وربما اساءوا ويفسقون الفاسق
وربما احسن وانما الامور بعواقبها والاعمال بنياتها فلا تغبنن حظك من دينك وان
استطعت ان تبلغ من الطاعة غايتها فلتفعل ثم هذه والا فاجهد ان تكون اغلب افعالك
الطاعة ويكون ميلك الى الله اكثر ولا خفاء ان النفوس مجبولة والطبايع مفطورة على حب
اجتذاب المنافع ودفع المضار والنفس طبعها ايثار الراحة والدعة والازدياد والاطراد
والاستطراف والتلون والاكباب على ما يستلذ الحواس من المناظر الحسنة والروائح العبقة
والطعوم الطيبة والاصوات الموفقة والملابس اللذيذة فلما كانت هذه طبايعهم انشا من
الارض ارزاقهم وجعل في ذلك ملاذ بجميع حواسهم فتعلقت به قلوبهم وتطلعت اليه انفسهم
ولو تركهم واصل الطبيعة مع ما مكن لهم من الارزاق المشتهاة في طباعهم صار والطاعة الهوى
وذهب التعاطف والتبار وظهر الفساد وانقطع التناسل وفني الدنيا واهلها لان طبع
النفس لا تسلس بعطية قليلة ولا كثيرة مما حوته حتى تعوض اكثر منها تعطي اما عاجلا واما
آجلا فعلم الله انهم لا يتعاطفون ولا يتواصلون الا بالتاديب وان التاديب الامر والنهي
غير ناجعين فيهم الا بالرغب والرهب فدعاهم بالترغيب الى جنته وجعلها عوضا مما تركوا من
هواهم في جنب طاعته وزجرهم بالترهيب بالنار عن معصيته وخوفهم بعقابها على ترك امره
ثم اقام الرغبة والرهبة على حدود العدل وموازين القسط فقال فمن يعمل مثقال ذرة خيرا
يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فاذا كانوا لم يصلحوا لخالقهم ولم ينقادوا لامره الا بالرغبة
والرهبة فاعجز الناس راياً من ظن ان احدا من الخلق فوقه او دونه يصلح له او يصلحه ضميره بخلاف

ما دبّرهم الله عليه فيما بينه وبينهم فالرغبة والرهبة اصلا كل تدبير وعليهما مدار كل
سياسة فاجعلهما مثالك الذي تحتذي عليه ومركبك الذي تستند اليه **واعلم**
ان اجراءك الامور مجاريها واستعمالك الاشياء على وجوهها تجمع لك الفة القلوب فاعرف
لاهل البلاء ممن جرت بينك وبينه مودة او حرمة ممن فوقك ودونك ونظرائك اقدارهم
ثم لكن امورك معهم تقدير البلاء والاستحقاق فان الاثرة على الهوى تورث السخط
وتمحو بها الاحسان وتفسد عليها الطائفتان من اثرت واثرت عليه ومن يعلم ان
صلاحه موصول بصلاحك وعطبه كائن مع عطبك ففوض من الامور اليه واشركه في خوض
امورك وخفي اسرارك فان ابتليت في بعض الاوقات بمن تضيع حرمته وتمت بحاله فاطلب
المكافاة باكثر مما يستوجب فذلك من الكرم والحياء في تفضيله على من هو احق به لما تخوفا
من اساءته او مداراة لعزم فلا تدع الاعتدال في من فوقه من اهل البلاء والنصيحة فان
اهل خاصتك المؤتمنين على اسرارهم شركاؤك في العيش فلا تستهينن بشيء من امورهم
فان الرجل قد يترك الشيء من ذلك اتكالا على حسن راي اخيه فلا يزال ذلك يتجرح في القلب
وينمو حتى يولد ضغنا او يتحول عداوة **واعلم** انه ليس يكيد من لا يجد من معاشرته بدا
بالعدل والنصفة حتى يجعل الله له فرجا واحذر كل الحذر المقامات التي يعقبها المكروه
واحرص على توطين الامور التي عاقبتها السلامة والغنيمة من الامور التي يوجب بعضها
بعضا النفع يوجب المحبة والمضرة توجب البغضاء والمضادة توجب العداوة وخلاف الهوى
يوجب الاستثقال ومتابعته توجب الالفة والصدق يورث الثقة والكذب يوجب التهمة والامانة
توجب الطمانينة والعدل يوجب اجتماع القلوب والجور يوجب الفرقة وحسن الخلق يوجب المودة
وسوء الخلق يوجب المباعدة والتواضع يوجب المقة والجود بالقصد يوجب الحمد والتكبر يوجب المقت
والتواني يوجب التضييع والهوينا يورث الحسرة والحزم يورث السرور والتغرير موجب
الندامة واصابة التدبير يوجب بقاء النعمة ولكل شيء من هذا افراط وتقصير وانما
يصح نتائجها اذا اقيمت على حدودها وتمام المنفعة بها اصابة موضعها واحذر كل
الحذر ان تخدعك الشيطان عن الحزم فيمثل لك التواني في صورة التوكل ويسلبك
الحذر ويورثك الهوينا بالحوالة على الاقدار فان الله انما امر بالتوكل عند انقطاع الحيل
والتسليم للقضاء بعد الاعذار وبذلك انزل كتابه وامضى سنته فقال خذوا حذركم
ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة واعلم ان اكثر الامور تماهي على العادة ولذلك قالت
الحكماء العادة طبع ثان فالادب نفسك على كل امر محمود العاقبة يصير لك طبعا

وينسب

وينسب اليك منه اكثر مما انت عليه **واعلم** ان الذي يوجب لك اسم الجود للقيام بواجب الحقوق
عند النوائب مع بعض التفضل على الراغبين واذا وجب اسم الجود زال عنك اسم البخل **واعلم** ان تمييز
المال آلة للمكارم وعون على الدين ومتالف للاخوان وان من فقد المال قلت الرغبة اليه والرهبة
منه فاجهد الجهد كله لان القلوب معلقة منك برغبة او رهبة في دين او دنيا **واعلم** ان
السرف لا بقاء معه لكثير ولا تثمير معه لقليل ولا يصلح عنه دنيا ولا دين فدوام حال
وبقاء النعم عليك بقدر امورك على قدر الزمان وبقدر الامكان وقد قال **الشاعر**

من سابق الدهر كبا كبوة ❊ لم يستقلها من خطى الدهر
ولتخط مع الدهر على ما خطا ❊ واجر مع الدهر كما يجري

واعلم ان الصمت في موضعه ربما كان انفع من الابلاغ في المنطق في موضعه وعند اصابة
فرصته وذلك صمتك عند من يعلم انك لم تصمت عنه عيا ولا رهبة ولا تشجعن نفسك
على امر الا والذي ترجو من نفعه في العاقبة اعظم مما ترجو فيه في المستقبل فان
كان ذلك امرا او لجبا في الدين او خوفا لعار يسير به الاعقاب فانت معذور في
المخاطرة فيه بنفسك ومالك وان كان امرا اعظم منفعته في الدنيا الا انك لا تناله الا
بالاخطار بمهجة نفسك وتعريض كل مالك للتلف فالاقدام على مثل هذا ليس بشجاعة ولكن
حماقة وقد قالوا لا ترسل الساق الا ممسكا ساقا وقالوا لا تخرج الامر كله من يديك وخذ بجانبيه
واصل ما انت مستظهر به على عدوك ثلاث خلال اشرفها ان تجد عليه بالفضل
وتبتديه بالحسنى فان كثرة الاحسان تغيظ السرور وقد قال الله تعالى ادفع بالتي هي احسن
السيئة فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم فان كان عدوك ممن لا يصلح على ذلك
فحصن عليه اسرارك وعم عليه تدبيرك فان تحصين الاسرار اخذ بازمة التدبير واكثار الوعيد
فشل ولكن راغ عدوك بما ارخا لك واحص معايبه فان اعظم اعوانك عليه الحجج ولتستظهرا
على عدوك بمثل اظهارك عن الادناس وستمر لك في معاملات الناس حالان يحتاج فيهما
الى المداراة اختلاف الناس وطبقاتهم سلع لك غاية الفضيلة وكمال الادب منهما ان تالف اهلها
وتظلف نفسك عن هواها وتكفها عن جماحها بامر لا يعرجك في دينك ولا يعرضك ولا يبذلك
بل يفيدك عن العلم وهيبة الوقار وهي امور مختلفة تجمعها حال واحدة منها ان تاتي
محفلا من الناس في جمع فتجلس منه دون الموضع الذي تستحقه حتى يكون اهله يرفعونك فتظهر
جلالتك **ومنها** ان تبصر القوم في حديث عندك مثل ما عندهم وافضل فتنا فتون
في اظهار ما عندهم فان نافستهم كنت واحدا منهم وان امسكت افضلوا حتى كانك تمن عليهم

بحديثك وانصتوا لك بما ينصتوا للغرائب **ومنها** ان يتمارى بحلمائه او المزاح واللجاج
فاذا استرسل في ذلك كان تحاكمهم اليك وسقوطهم عليك فاستدع محبة العامة بالتواضع ومودة
الاخلاء بالموانسة والاستشارة والاتقاء والطمانينة **واعلم** ان الحكماء لم تذم شيئا ذمتها
خلال الكذب فانه جماع كل شر وقالوا لم يكذب احد قط الا لصغر قدر نفسه عنده والغضب فانه
لوم وسوء مقدرة وذلك ان الغضب بخلاف ما تهوى النفس فان جاء الانسان خلاف ما يهواه ممن
فوقه اغضى وسمي ذلك حزنا وان جاءه ممن دونه حمله لوم النفس وسوء الطباع على الاستطالة له
بالغضب والمقدرة بالسطوة والجزع عند المصيبة التي لا ارتجاع لها فتحمل هم الجزع مع العلم
بفوت المجزوع عليه وهو افراط الشدة واصل الشدة والحزن واحد وان افترق فرعاهما
والحسد مثل الجزع لما يتعجل صاحبه من ثقل الاغتمام وكلفة مقاساة الاهتمام من ان
يجدي ذلك عليه شيئا ثم الحسد خلق دنئ ومن دناءته انه يبتدئ بالاقرب فالاقرب والغدر
غادر قط الا لصغر همته عن الوفاء وخمول قدره عن احتمال المكاره في جنب نيل المكارم
وبعد ان ذم هذه الاخلاق محمدا اضدادها من الاخلاق فاجعلها اماما لك ومثالا بين
عينيك فرض عليها نفسك تفز بالراحة في العاجل والكرامة في الآجل والحلم حلمان واشرفهما
حلمك عمن فوقك والصبر صبران فاعلاهما ان تصبر على ما ترجو فيه الغنم في العاقبة والصدق
صدقان فاعظمهما صدقك فيما يضرك والوفاء وفاءان اسناهما وفاؤك لمن لا ترجوه ولا تخافه
وان من عرف بالصدق صار الناس له اتباعا ومن نسب الى العلم البس ثوب الوقار والهيبة وابهة
الجلالة ومن عرف بالوفاء استنامت اليه الجماعات ومن استعز بالصبر نال جسيمات الامور واعلم
انك موسوم بسيما من قاربت ومنسوب اليك افاعيل من صاحبت فتحرز من دخلاء السوء والطمع
مجانبة اهل الريب واقلل الموانسة الا باهل البراءة من كل دنس واجهد الجهد كله ان تكون مخارج
الحقوق اللازمة لك من عندك سهلة موصولة لاصحابها ببشرك وطلاقة وجهك ولا يكن
كفرانك لبعض نعمك ممن آثر هواه على دينه ومروته او عذر غادر تصنع لك وخدعك عن
مالك ان تزهد في المعروف وتمنع عمالك الظن فان هذا موضع كيد الشيطان في مثله
الذريعة الى استفساد جميع الصنائع وتعطيل المكارم **واعلم** ان استصغارك نعمك يكبرها
عند ذوي العقول وسترك لها نشر لها عندهم فانشرها بسترها وكبرها باستصغارها
واعلم ان كل امر سيئا من عمل به ساهلته فيه نفسه وسلس له هواه فتحفظ ذلك من نفسك
ويقاضيها الزيادة فيه وموضعها على تمييزه والمواظبة عليه ولكن بالتساهل فاخلاق فكف
اغلب عليك من المعاسرة والحلم اولى بك من العجلة والصبر احكم واولى بك من الجزع والعفو

ابقى

ابقى عليك من المجازاة بالذنوب وكذلك سائر الاخلاق المحمودة والمذمومة فلتكن محمودها
غالبة على افاعيلك محكمة في امرك فانك ان ضبطت ذلك وقومت عليه نفسك عشت محمي
البال قليل الهموم كثير الصديق قليل العدو سليم الدين نقي العرض محمود الفعال جميل الاحدوثة
موصول الكرامة العاجلة بالنعم السابغة التي يامن معها الزوال في بعض ما جاء انه لن يكامل
لتجلة من مكارم الاخلاق ومحاسن الافعال سوى ما ذكرناه **وروي** ان رسول الله صلعم اتي باسارى
من بني العنبر فامر بقتلهم وافرد منهم رجلا فقال علي عم الرب واحد والدين واحد والذنب واحد
فما بال هذا من بينهم فقال نزل علي جبريل فقال اقتل هؤلاء واترك هذا فان الله شكر له مكارم
الاخلاق فيه **وقال** صلعم لرجل لو لا خلق فيك ومقلك الله لشردتك من وافد قوم **وقال**
الاحنف كثرت علي الديات بالبصرة لما قتل مسعود فلم اجد لها في حاضرة تميم فخرجت نحو يبرين
فسالت عن المقصود هناك فارشدت الى قبة فاذا شيخ جالس بفنائها موتزر بشملة محتبي
بحبل فسلمت عليه وانتسبت له فقال ما فعل رسول الله صلعم قلت توفي قال فما فعل عمر بن الخطاب
الذي كان يحفظ العرب ويحوطها قلت مات قال فاي خير في حاضرتكم بعدهما قال فذكرت
الديات التي لزمتنا للازد وربيعة قال اقم فاذا راع قد اراح عليه الف بعير قال خذها فاني
لا احتاج اليها فانصرفت بالالف والله ما ادري من هو الى الساعة **ويقال** ان زائرا زار ابا
البختري وهب بن وهب وكان جوادا فارجد فهش اليه وثنى الوسادة ورفعه وحمله واضافه فلما
اراد الرجل الرحلة لم يخدمه احد من غلمان ابي البختري ولا عقد له ولا حل فانكر الرجل ذلك مع
جميل فعله به فعاتب بعضهم فقال له الغلام انما نعين النازل على الاقامة ولا نعين الراحل
على الفراق فبلغ هذا الكلام رجلا من القرشيين فقال والله لفعل هذا العبد على هذا
القصد احسن من فعل سيدهم **ولام** عدي بن حاتم وليمة فقال لابنه حدثني بالباب
فاذن لمن تعرف وامنع من لا تعرف فقال ايهم بجلالها في الطاعة امضى لك من سيف حسام
لا يكون اول ما وليتني منع الطعام فضمه اليه وقال ان علي عرق جدك **وكان** هرم بن سنان
الى على نفسه الا يسلم عليه زهير الا اعطاه فضلا من ماله فاتى عليه زهير فكان يمر بالنادي
وفيه هرم فيقول انعموا صباحا ما خلا هرما وخير القوم تركت **وكان** طلحة بن عبد الله بن عوف
اجود قريش في زمانه فقالت له امراته ما رايت قوما الام من اخوانك قال لها مه ولم قلت
قالت اراهم اذا ايسرت اتوك وان اعسرت تركوك قال هذا من كرمهم والله يا توننا في حال القوة
عليهم ويتركوننا في حال العجز عنهم **لما** قتل جعفر بن يحيى قال ابو نواس مضى والله مكارم الاخلاق
فقيل له ومحاسن الجود في حيوتهم قال ذاك والله لجهلي ويتشفى جدي وكونه في هواي يكون في الدنيا

اكرم من جعفر ولقد رفع اليه صاحب الخبر ان فتی هجوه وقلت

لقد غرني من جعفر حسن بابه ... ولم ادر ان اللوم حشو اهابه

ولست وان اطنبت في مدح جعفر ... باول انسان خري في ثيابه

فوقع في رقعته ادفع اليه عشرة الاف درهم يغسل بها ثيابه اتى شيخ سعيد بن سلم
وكلمه في حاجته وما شاه فوضع زج عصاه على رجل سعيد حتى ادماها
فما تاوه لذلك وما نهاه فلما فارقه قيل له كيف صبرت على هذا قال خفت ان يعلم
جنايته فينقطع عن ذكر حاجته اهدى رجل الى مالك هدية فاظهر التبرم بها فقال جلساوه
في ذلك فقال وكيف ولا اخلو من مبتدي اتقلد له منة او من رجل قلدته نعمة فاكون
قد اخذت على نعمتي ثمنا باع ابو الجهم داره فلما ارادوا الاشهاد عليه قال بكم تشترون
مني جوار سعيد بن العاص قالوا سبحان الله هل احد يشتري جوارا او يبيعه قال الا
تشترون مني جوار انسان ان اسات اليه احسن الي لا اريد ان ابيعكم شيئا ردوا علي داري
فبلغ ذلك سعيدا فبعث اليه بالف دينار اراد الرشيد ان يخرج الى القاطول فقال يحيى
بن خالد لرجاء بن عبد العزيز وكان على نفقاته ما عندك لنا من المال قال سبعمائة
الف درهم قال فاقبضها يا رجاء فلما كان من الغد غدا اليه رجاء فقبل يده وعنده
منصور بن زياد فلما خرج قال المنصور قد ظننت ان الرجل قد توهم انا وهبنا المال وانما
امرناه بقبضه من الوكلاء ليحفظها علينا لحاجتنا اليها في وجهنا هذا قال منصور
فانا اعلمه ذلك قال اذن يقول فقبل ابو الفضل يدي كما قبلت يده فلا تقل شيئا فقد
تركتها له استلب رجل ردا طلحة بن عبيد الله فذهب رجل يتبعه فقال له طلحة دعه
فانه لعل هذا الامر حاجة قرع رجل باب بعضهم فقال لجاريته ابصري من القارع فقالت
من ذا فقال انا صديق لمولاك فقال الرجل قولي والله انك لصديق فقالت له فقال الرجل
اني لصديق فنهض الرجل وبيده سيف وكيس يسوق جاريته وفتح الباب فقال ما شانك
وقد راعني امرك قال لا يكن ما ساءك قد تممت امرك من نايبة فهذا المال وبين عدو فهذا
السيف او ايم فهذه الجارية ركب المعتصم في غداة باردة تعقب مطرا وعبر الجانب الغربي
واصحر وانفرد من الموكب فابصر صاحب حمار قد زلق حماره وسقط كان شوك عليه وهو
واقف من يمر به فيعينه على رفع حماره وحمله فنزل المعتصم عن فرسه وربط عنانه في
وسطه ودنا من الحمار فاشتغل بيده واخلاه من الطين فبهت صاحبه ينظر اليه ثم رفع
الشوك عليه وامر لصاحبه بصلة اتى رجل باب المهدي ومعه نعلان فقال هذا

ينظر م

نعلا

نعلا رسول الله صلعم فادخله ووصله فلما خرج قال والله ما هذا نعل رسول الله صلعم ومن اين صارت
اليه لم يرد ان لم نشتري امر بحبه ولكني كرهت ان يقال اهدى اليه نعل رسول الله صلعم فلم يقبلها
واستخف بحقها وكان المهدي يحب الحمام فادخل عليه غياث بن ابراهيم فقيل له حدث امير
المومنين فقال حدثني فلان عن فلان عن ابي هريرة لا سبق الا في حافر او نصل او جناح
فامر له بعشرة الاف درهم فلما قام قال المهدي وهو ينظر في قفاه اشهد ان قفاك
قفا كذاب على رسول الله صلعم وانما استجلبت ذلك انا وامر بالحمام فذبحت وكان المهدي يصلي
الصلوة كلها في المسجد الجامع بالبصرة لما قدمها فاقيمت الصلوة يوما فقال اعرابي يا امير
المومنين لست على طهر وقد رغبت الى الله في الصلوة خلفك فامر هولاء ان ينتظروني فقال
انتظروه رحمكم الله ودخل الى المحراب فوقف الى ان اقبل وقيل قد جاء الرجل فعجب الناس من
سماحة اخلاقه لما دخلت جارية العتابي على الرشيد وقفت بين يديه وهو يتبخر ومجمرة
بين رجليه يتبخر بها لحيته فطارت شرارة فسقطت على خده فلم يقبض لها ثم قال للجارية
هل لك فينا فقالت اي والله وكيف لا احبك وانت احسن الناس خلقا وخلقا فقال لها
اما الخلق فقد عرفتيه فكيف حكمت بالخلق قالت رايت شرارة سقطت على خدك فما نحيتها
وجها ولا ذكرت بلسانك قبيحا كان المنصور يحب محمد بن جعفر بن عبد الله بن العباس بن عبد
المطلب ويوانسه ويفاوضه ويلتذ بمحادثته وكان اريبا لبيبا بليغا وكان الناس لحسن منزلته
من المنصور وعظم قدره عنده يفزعون اليه في حوائجهم الى المنصور ويكلمه في حوائجهم فيقضيها
حتى اكثر على المنصور في حوائج الناس فامر الربيع ان يحجبه عنه فلما فقده المنصور اياما طلبه الى
رويته وقرم الى محادثته فقال للربيع يا ربيع ان جمع لذاتي مولاك قد ربين عندي وطيقن
غير محادثة محمد بن جعفر وقد كرهتها على بكثرة ما يحمل من حوائج الناس فاحمل الموالاة فيما
كثر عليه من الرد حتى تصفيها له قال نعم يا امير المومنين وخرج من عنده فاتى محمد بن
جعفر فعاتبه وساله اعفاء امير المومنين من حوائج الناس فضمن محمد بن جعفر عن نفسه فيما عاب
عليه واجاب الى ان لا يسال امير المومنين حاجة لاحد من الناس فقال الربيع فاعلم امير
المومنين فانه مشتاق اليك فنهض راجعا الى المنصور فاخبره بما جرى فسر بذلك وبلغ
قوما من قريش قدموا العراق بحوائج لهم الى المنصور ركوب الربيع الى محمد بن جعفر وامره بالغدو
الى امير المومنين لشوقه اليه فسروا بذلك وكتبوا حوائجهم في رقاع ووقفوا بها على طريق
محمد بن جعفر فلما عاد رفد المنصور عرضوا له ومشوا اليه بقرابتهم وتوسلوا بارحامهم وسالوا
ايصال رقاعهم والتماس نجاح مأربهم فيها فاعتذر اليهم وسالهم ان يعفوه عن ذلك فابوا ان يقبلوا

عذرة والحوا عليه وطلبوا اليه رقاعهم وقال لست اكلم امير المومنين في حاجة لاحد فان
احببتم ان تودعوا كمي رقاعكم واضمن عنهما ان يوصلها الى امير المومنين فافعلوا فقذفوا
رقاعهم في كمه ومضى حتى دخل على المنصور وهو في الخضراء مشرفا على مدينة السلام وما
حولها من البساتين والمزارع والدجلة والصراة فقال له المنصور وفسح عن نفسه ثم حادثه ثم قال
المنصور اما ترى الى حسن مشرفنا هنا قال بلى قد ارى يا امير المومنين بارك الله لك فيما اتاك
وهنأك باتمام نعمته عليك فيما اعطاك ما بنت العرب في دولة الاسلام ولا في ملك الكفر
مدينة احسن ولا اجمع للخصال المحمودة ولا امنع من مدينتك يا امير المومنين وقد سمجتها في عيني خصلة
قال وما هي قال ليس لي بها ضيعة فتبسم المنصور وقال فان امير المومنين قد حسنها في عينك
بثلث ضياع قد اقطعكها فانك لها فاغد على امير المومنين يتحمل لك بها ان توجه في قبضها
فقال انت والله يا امير المومنين سهل الموارد كريم المصادر فجعل الله باقي عمرك اكثر من ماضيها
واخر ايامك خيرا من اولها فقد بررت فافضلت ووصلت فاجزلت وانعمت فاسبغت حتى بلغت
بك المشرق والمغرب طولا وجودا وافضالا ونوالا وهو يشير بيده بحرز الرقعة من كمه وهو
يشكر امير المومنين فاقبل يردهن في كمه ويقول ارجعي خاسئات خيبا فضحك المنصور وقال
ابيت يا ابن معلم الكرم الا كرما في القوم بضمانك عن كمك في حوائجهم قطع الرقاع بين يدي المنصور
فتصفحها ثم دفعها الى الربيع ثم التفت الى محمد بن جعفر فتمثل

انا وان احسابنا كرمت — لسنا على الاحساب نتكل
نبني كما كانت اوائلنا تبني — ونفعل مثل ما فعلوا

ثم قال قد امضى امير المومنين حوائجهم فمرهم ان يلقوا الربيع فقال محمد بن جعفر فخرجت من عند المنصور
فقد نجحت وانجحت لما حضر سعيد بن العاص الوفاة جمع ولده وفيهم عمرو بن الاشدق فقال
يا بني ايكم يتكفل بديني فقال عمرو وكم دينك قال ثلثون الف دينار قال وفيم استدنتها قال
سددت بها خلة من كريم واشتريت بها عرضا من لئيم قال انا بها زعيم قال هذه خصلة
يا بني وبقيت خصلتان قال وما هما يا ابت فقال بناتي لا تزوجهن الا من الاكفاء ولو بفلق خبز
الشعير قال علي يا ابه قال اخواني ان فقدوا وجهي لم يفقدوا امري قال علي يا ابه والله يا
بني ما زلت اعرف الكرم في وجهك وخايلته في عينيك وانت في المهد والله يا بني ما
شتمت رجلا مذ كنت رجلا ولا كلفت من يرتجيني ان يسالني لهو ابذل اذا جاء وقد نزا الدم في وجهه يجول بين
شفتيه لا يدري ايرجع بنجح الحاجة ام بكابة الرد والله لو اعطيته مثل وزنه ذهبا لما كان
لمسئلته عوضا كان القعقاع بن شور اذا جالسه جليس فعرفه بالقصد اليه جعل له نصيبا
في ماله واعانه على عدوه وشفع له في حاجته وغدا اليه بعد المجالسة شاكرا حتى شهر

بذلك

بذلك وفيه يقول الشاعر

وكنت جليس قعقاع بن شور — ولا يشقى بقعقاع جليس
ضحوك السن ان امر بخير — وعند الشر مطراق عبوس

وذكر احمد بن اسرائيل السلمي قال كنت مع طاهر بن الحسين بالرقة وانا احد القواد المختصين به
فخرج علينا يوما وشيعنا بين يديه وهو يتمثل بهذه الابيات

عليكم بداري فاهدموها فانها — تراث كريم لا يخاف العواقبا
اذا هم القى بين عينيه عزمه — واعرض عن ذكر العواقب جانبا
ساغسل عني العار بالسيف جالبا — على قضاء الله ما كان جالبا

قال فدار حول الرافقة ثم رجع فجلس في مجلس فنظر في قصص ورقاع ووقع فيها بصلات
احصيت فكانت الف الف درهم فلما فرغ نظر الى مستطعما الكلام فقلت اصلح الله الامير ما
رايت انبل من هذا المجلس واحسن ودعوت له ثم قلت لكنه سرف فقال السرف من الشرف
فاردت ان اذكر الاية التي فيها والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما
فجاءت الاية الاخرى ان الله لا يحب المسرفين فقال لي صدق الله وما قلنا فكما قلنا قال
ثم ضرب الدهر ضربانه حتى اجتمعنا مع ابنه عبد الله في ذلك القصر بعينه فخرج علينا راكبا

يا ايها المتمنون ان يكون فتى — مثل ابن ليلى لقد خلى لك السبلا
انظر ثلاث خلال قد جمعن له — هل سب من احد او سب او بخلا

ثم دار حول الرافقة ثم انصرف وجلس مجلسه وحضرناه واحضرت رقاع وقصص فجعل
يوقع فيها وانا احصي حتى بلغت صلاته التي اطلق سبعمائة الف فالتفت الى مستطعما
الكلام فدعوت له وحسنت فعاله ثم اتبعت ذلك بان قلت لكنه سرف فقال الرفيع من
الشرف فقلت نعم اعز الله الامير السرف من الشرف وكررتها فقال لم كررتها فقلت كنت
اسقطت عند ذي اليمينين وقصصت عليه القصة فما زال يضحك ويتعجب نظر ابو القسم
الزعفراني الى جميع من في دار الصاحب من الخدم والحاشية عليهم الخز والفاخرة
الملونة فاعتزل ناحية واخذ يكتب شيئا فقال الصاحب عنه فقيل انه في مجلس كذا يكتب
شيئا فقال علي به وامر بان يوخذ ما في يده من الدرج فقام الزعفراني اليه بهذه الابيات
التي كتبها ساعتئذ

سواك يعد الغنى ما اقتنى — ويامره الحرص ان يخزنا
وانت ابن عباد المرتجى — تعد نوالك نيل المنى
وخيلك من باسط كفه — وممن ثناها قريب الجنى
غمرت الورى بصنوف الندى — فاصغر ما ملكوه الغنى

ذو اليمينين لقب طاهر بن الحسين

وغادرتنا نعوهم متحا، والكرم عاثر الكتا، ايام عطاياه تهدى الغنى، الى اخى من نالى اودنا

كسوت المقيمين والزائرين ... كسى لم يخل مثلها ممكنا

وحاشية الدار يمشون في ... ثياب من الخز الا انا

ولسنا ذكرت جاريا ... على العهد يحسن ان يحسنا

فقال الصاحب قرأت في اخبار معن ان رجلا قال له احملني ايها الامير فامر له بناقة
وفرس وبغلة وحمار وجارية ثم قال لو علمنا ان الله خلق مركوبا غير هذا لحملناك عليه
وقد امرنا لك من الخز بجبة وقميص ودراعة وسراويل وعمامة ومنديل ومطرف ورداء وجورب
ولو علمنا لباسا آخر يتخذ من الخز لاعطيناكه ثم امر بادخاله الخزانة وصب تلك الخلع عليه
وسلم ما فضل عن لبسه في الوقت الى غلامه وذكر القاضي ابو الحسن الجرجاني كان الصاحب
يقسم لي من اقباله واكرامه بجرجان اكثر مما يتلقاني به في ساير البلدان فاستعفيته
يوما في فرط تخفيه بي وتواضعه لي فانشدني

اكرم اخاك بارض مولده ... وامدده من فعلك الحسن

فالعز مطلوب وملتمس ... واعزه ما نيل في الوطن

وكان رحمه الله يكره الحبر ويحب الدواة وينشد كثيرا

عني الحبر من عماد دواته ... وما الفقر الا من وراء المحابر

فكتب اليه ابو هاشم العلوي كتابا بحبر فكتب اليه الصاحب

كتبت يا سيدي كتابا ... يحكي الروض والغدير

لكن بحبره تحير ... انكره رقة الحبير

فعد بعد الى دواة ... قليل تأثيره كثير

وخذ دواتي بلا امتنان ... فرب نعم المشير

وبعث اليه دواته وكان من الفضة مثقال ذهب لعمر ثم المجلس ولله الحمد والمنة

المجلس الرابع والخمسون من كتاب خلق الانسان في معرفة فضايل الانفس وقبايحها وذكر السيرة الفاضلة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله القوي فلا يحتاج في عزه الى معين، العلي فلا يعتري في ملكه بقرين، لا يجارى اقدام
الجابرين ولا تنال بايدي المبارين، لا اراده تتراد ولا مشية تتضاد فيفعل ما يشاء، ويحكم
ما يريد خالق كل شي وهو على كل شي شهيد، لا يخفى عليه شي في الارض ولا في السماء، ولا يتوارى

عنه شخص في الظلم والضيا لا تحده الافكار والصفات ولا تحوزه الاقطار والجهات خلق
الانسان خليفة في ارضه وحمله الامانة في نقل امره ونهيه وعرفه طرق الفضايل ليكتسبها
ويعرفه سوانح الرذايل ليجتنبها ليرتقي في نعيم المحسنين ويتجافى عن ذنوب المذنبين ولا يجازى ان
جازى الا بواجبه عن السيئات ويضاعف بفضله جزاء الحسنات ترغيبا في مطا ملته وارتياحا
واستعاذ ابرحمته وانجاحا احمده وله الطبع وبه ادين ولعبده ومنه استوفق واياه
استعين واصلي على محمد عبده ورسوله المصطفى من اطيب عترة المجتبى من اكرم اسرة
المحقون باخباره بطون الصحايف والدفاتر المروح باثاره صدور المجالس والمنابر المجموع له
فضايل الكرم في اخلاقه وجلايل الشرف في اعراقه ودرجات التقديم في صحابته وكرامات
التفضيل في امته صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين ان الله تعالى خلق الانسان مركبا
من اعضاء كثيرة وجعل لكل عضو فعلا لا يخالف فعل صاحبه ولو نقص الافعال على عضو لبطل
جميعها ببطلان ذلك العضو ولتختلف الافعال باختلاف الاعضاء فجعل سبحانه وتعالى
القوى التي هي منابع الافعال في اربعة اعضاء جعل قوة الغذاء في الكبد وبها تكون الشهوة
والسرور وقوة الحيوة التي هي الحيوة الغريزية وبها يكون التنفس والنبض في القلب ومنها يكون
الغضب على المؤذي والانتقام من المسيئ وقوة التمييز والذكاء والفكر والذكر في الاشياء ومن
الاشياء في الدماغ وقوة الحزن والاهتمام وهي التي منها الرافة والرحمة والتحنن في الطحال وكل
واحدة من هذه القوى مقصودة في اصل الخلقة والتركيب مطلوب لما ساق في نوع الانسان
من غرائز بعضها الطف بعضها واحيانا احدها انها اذ لو وجد حمرة الشهوة وثم الغضب من كل وجه
لبطل وجود الانسان وصلاح حاله فالشهوة لاجتذاب الطعام التي بها قوام البدن ولادراك
المناكح التي بها بقاء النسل والغضب لنصرة العقل والراي على ربط الشهوة ورد الهوى بالغضب
ايضا اباء الضيم وانفة العار وحماية الحريم ورفع الظلم وعز الهمة قال علي عليه السلام الاخير فيمن لا يغضب
اذا اغضب ولهذه القوى امثلة فالقوة المميزة العاقلة بمثال الملك السايس وفضيلتها ان
يكون عادلا غالبا مهيبا مطاعا قويا في غير عنف رؤوفا في غير ضعف والقوة الغضبية
بمثابة جنده الذين يسوسون ثغوره ويجاهدون اعداءه ويحرسون رعيته وينفذون اوامره
وفضيلتها عزة الجانب في ذات مع لين العريكة للحكماء والقوة الشهوانية بمثابة رعيته
الذين يجب ان يكونوا منابتهم منه ومن جنده تامة وهم مستحكم من غير ان يجدوا سبيلا الى
الخلاف عليهما فيهلكوا او يملكوا والقوة الاهتمامية بمثابة قضاته وعماله الذين يسعون
في نيل المصالح ويتأملون في تفصيل المناكح وقيل في مثل هذا الكلام انه يجب ان يكون

والاقتداء

للعقل مجرى الغضب والشهوة مجرى المركوب الذي يركب عند الحاجة ويسرج بلد الله وبحكمه بلجمه
وعنان يثنيه وسوط يحثه فاذا نزل عنه راكبه الزمه الرباط والنكال لئلا يجد على حال
من الاحوال سبيلا الى ان يشرد فيهلك نفسه ويجني على غيره وبالجملة ففضيلة القوة المميزة
الحكمة وفضيلة القوة الشهوانية العفة وفضيلة القوة الغضبية السكينة والانفة
وفضيلة القوة الحزينة للاهتمام بالمحذور والشفقة على الملهوف والافضل في سبيل الفضايل
ان تزيد قوة التمييز على قوة الغضب وتزيد قوة الغضب على قوة الشهوة وتزيد قوة الشهوة على قوة
الحزن فانه اذا قويت قوة الغضب على قوة التمييز صارت وبالا على صاحبها بمنزلة الجند المخالفة
على سلطانها المستاكلة لرعيتها واذا تساوت الغضبية والشهوانية في الضعف على المميزة
ولم يغلب الغضب الشهوة كان صاحبها في سلامة وحرون مع مهانة قدره وصغر همه واذا
استولت قوة الاهتمام والاهتمام على المرء افضت به الى التحمل الشديد والجمع القبيح والفزع المفرط
والكمود الدايم والوجوم اللازم وان ذهبت عمره في اكتساب ما لا تسمح نفسه بالانفاق منه والانفاق
به حتى يموت في بكاء موت الحبارى **كما قيل** لم تر ان المرء ما دام غانيا * معنى بامر ما يزال الحاجة
كدود القز ينسج دايما * ويهلك غما وسط ما هو ناسجه * **واذا** كان الكل على النسبة الاولى كان
الانسان موصوفا بالفضل وكبر النفس وعلو اليد ومراقبة العواقب مع صلاح العيش وتمتع النفس
فينال السعادة ولا يحرم اللذات **كما قال القايل** فلا هو في الدنيا مضيع نصيبه * ولا عرض الدنيا عن الدين شاغله
وقال آخر ولله مني جانب لا اضيعه * وللهو مني والبطالة جانب
اهوى الفتى يعلى جناحا للعلى ابدا * ويخفض للصديق جناحا
والحب ذا الوجهين وجها في الندى حسنا * ووجها في اللقا وقاحا
وكما يختلف درجات هذه الفضايل بالنسبة تختلف بالتركيب فالشجاعة من خصايص القوة الغضبية
واذا تركبت مع العقل استقلت بالحماية والدفاع والاخذ بالثار وكان صاحبه مدلا في اقداره
محمودا في انتصاره واذا تركبت العقل مع السخا وجب انجاز المواعيد واجابة السايل وترك الامتنان
واذا تركبت العقل مع الشجاعة اتصل بهما انكار الفواحش وبعد بها اهلها على الخلاق الخيانات
ومراعاة مقادير الهيئات وان يكون المرء على المحارم والكف من الماثم على قدر المحافظة عليها
والامتناع منها ومن تركب العقل مع العفة التنزه والعزوف والقناعة بالطفيف ولين الجانب و
عذوبة الاخلاق وطهارة الافعال ومن تركبت الشجاعة والعفة لا اسعاف بالزاد والايثار على النفس عند
الخصاصة والعجز في ذلك ومن تركبت الشجاعة والعدالة فيتولد منها المهابة والمحبة ومن تركب الكرم
والحيا فيتولد منهما انجاز الوعد وخلاف الايعاد ومن تركب العقل والهمة فيتولد منهما حسن الادب

وتجنب الريب واذا جامعت الحكمة الشجاعة كان صاحبها حليم القول جهول اليد اخذا باطراف
الفضايل جامعا لاشتات المحاسن **كما قال الجعدي**
ولا خير في حلم اذا لم يكن له * بوادر تحمي صفوه ان يكدرا
ولا خير في جهل اذا لم يكن له * حليم اذا ما اورد الامر اصدرا
وقال آخر ونحن سيارة الارض ما لم نسر بها * غضابا وان نغضب فنحن ظلامها
وقال آخر لعمر ابيك الخير اني لخادم * لضيفي واني ان ركبت لجبان
وقال آخر في الجمع بين المهابة والمحبة وفيناك اللطف آنية * واهتز الكبير بغير كبر
وينظم اذا جال الفكر درا * وينثر دره من غير فكر
وقال في الجمع بين انجاز الوعد وخلاف الايعاد ولا يشتكيني الجار ان سار ظاعنا
ولا يشتكي ابن العم عني ومشهدي * الحد شيمته موفية فكاهته سمح ولا اجد لمن لم يلعب
شرس ويتبع ذاك لين خليقته * لا خير في الصهباء ما لم يقطب
يعطي عطاء المحسن الندي عفوا * ويعتذر اعتذار المذنب
وقال الطائي الصغير في الجمع بين العقل والسخا ولما تولى البحر والجود صنفه * غدا البحر من اخلاقه
اضاف الى التدبير فضل شجاعة * ولا عزم الا للشجاع المدبر * **ولما قال المتنبي**
وكل شجاعة في المرء فضل * ولا كشجاعة الرجل الحليم * فطعم الموت في امر حقير * كطعم الموت في امر عظيم
قيل له الا يكون الشجاع حكيما فقال هذا علي بن ابي طالب عم **وقال** ابو منصور الرملي في الجمع بين
السخاوة والشجاعة * غيث وليث فغيث حين يسأله * عرفا وليث لدى الهيجاء ضرغام
يحمي الانام به في الجود ان قحطوا * جودا ويحمي به يوم الوغا الهام
حالان ضدان مجموعان فيه فما * ينفك بينهما بوسى وانعام
كالموت يجتمع الحالان فيه معا * ماء وابرام واضرام
وقال ابن منقذ هم البحور عطاء حين تسألهم * وفي اللقاء اذا تلقى بهم بهم
لا ينثني ذكرهم مذ لم الاقهم * عيش سلوت به عنهم ولا قدم
وقال التيم بن امية بن ابي الصلت قوم اذا نزل الغريب بدارهم * تركوه رب صواهل وقيان
واذا دعوتهم ليوم كريهة * سدوا شعاع الشمس بالفرسان
وابن الرومي كثير التصرف في الملح بالافعال المختلفة بسبب اختلاف الاخلاق المتركبة نحو قوله
اذا ابدا وجدت ذنبه فهو ذو سنة * وان ابدا وجدت خطبه فهو ذو يقظان
يقظان من ورع وسنان من ورع * يا حبذا سيد يقظان وسنان

صافي الطباع اذا ما الليث ما لحه ؛ وان سالت به بيد فهو ثعبان

وقال نصيحة دهرونا اي صحو كرم ؛ اذكى من الماء بل اذكى من الشعل

وحقكم ذاك ان الله فضلكم ؛ بفضلة الصحو الاولى على الطفل

وقال اناس اذا دهر تبسم مرة ؛ فعنهم وعن افعالهم يتبسم

عموم الدجى منها شهاب على العدى ؛ ومنها سماك للعفاة ومرزم

وقال اراؤكم ووجوهكم وسيوفكم ؛ في الحادثات اذا دجون نجوم

فيها معالم للهدى ومصابح ؛ تجلو الدجى والاخريات رجوم

وقال في شيمته صرامة وسلامة ؛ فهما له حقا منصل وصفاحه

والسيف في ومن لدن ناشه ؛ لكن له حد تهاب كفاحه

فهذا على تقويم الفضايل عن تركب اختلاف الخلائق والشمائل واما حد الفضيلة
نفسها في هيئة لازمة للنفس بارادة منها في اعتدال اضافي متوسط محدود بين رذيلتي
الافراط والتفريط ومعنى الاعتدال الاضافي ان الاعتدال اما ذاتي كما يقال ان للاربعة
حالة معتدلة بين الاثنين والستة بمعنى ان زيادتها على الاثنين مساوية لنقصانها عن الستة
وكذلك توسط الستة بين العشرة وهو الاثنين من قبل ان زيادة العشرة على الستة مثل زيادة
الستة على الاثنين فهو متوسط في نفسه معتدل بين طرفين لا يزيد ولا ينقص واما اضافي الى
شيء آخر كما يقال ان فصل الربيع معتدل اي بالاضافة الى طبايع الانسان فانه غير معتدل الا
الى الطبايع العربان وكذلك الحال المعتدلة المتوسطة في الاغذية والادوية فانها انما تزداد
وتنقص على كميته وكيفيته من الابدان التي تعالج وبحسب قوتها وبحسب صناعة المريض وبحسب
البلد الذي هو فيه وبحسب عادته المتقدمة وبحسب زمان سنته وبحسب قوة الدواء وبحسب
نفسه حتى في المرض الواحد يختلف في كمية دواء واحد بحسب اختلاف زمان السنة ونحوها
والاعتدال المحدود في الفضيلة هو هذا النوع لا الاول فان فضيلة الاعتدال المحمود في
نفقة الملوك لا يكون بعينها فضيلة الاعتدال في نفقة الصعلوك بل الفضيلة فيهما
بحسب الاضافة الى حاليهما فاذا ثبت هذا فالشجاعة فضيلة متوسطة بين الاقحام والجبن
والعفة بين الشره وجمود الشهوة والسكينة بين الظلم والذلة والسخاء بين التقصير والتبذير
والظرف بين الخلاعة والفدامة والتواضع بين النخوة والدناءة والحياء بين الوقاحة والحصر
والوقار بين البلادة والسخافة وبالجملة لا تخرج موارد الفضايل في اخلاق الانسان عن
اربعة معان اثنان في نفسه واثنان خارج منه واول الاولين القوة الشهوية وتعلق الفضيلة

بالعفة

بالعفة وثانيهما القوة الغضبية وتعلق الفضيلة بها النجدة واول الاخرين الثروة وتعلق
الفضيلة بها الكرم وثانيهما الصحبة وتعلق الفضيلة بها المجاملة وطاعة الرذيلة بالعفة
من قبل الافراط الشره ومن قبل التفريط الجمود وبالنجدة التهور والجبن وبالكرم التبذير والشح
وبالعشرة الملق والبغض فالعقل هو المستولي المستعمل لهذه الامور على غاية الاعتدال وفي حاق
التوسط باقصى ما يمكن فكان كالسايس المهيمن عليها والمقيت الحافظ لها والمتمكن من حملها و
عدادها وقد عد من لم يراع هذا الترتيب المحكم من جملة الفضايل المتوسط بين التقصير و
الافراط وقال ان التقصير فيها ان تركن القوة العاقلة المميزة الى عرض هذا الادنى ولا تشتاق
الى معرفة نفسه ومعرفة ما يؤول اليه الامر من احوال الاخرة ونعيمها ويكون مكبا بكليته الى
هذه الدنيا الفانية واسبابها معرضا عن علم الشريعة واحكامها والافراط في ذلك ان
يروم معرفة جميع المعارف ويتجاوز قدر طاقة الانسان في العلوم ولا سيما في زمان يسير
فيفوته المطلوب ويعوزه دون مقصده المركوب وينقطع عن مصالح النفس وتستولي عليه السودا
والذبول **وقد** جاء ايثار التوسط فانه الطريق الوسط والنهج السوي والصراط القويم في الاثار والحكم
والاشعار **قال** رسول الله صلعم خير الامور اوساطها وقال دين الله بين المقصر والغالي وتفسيره
في احاديث جاءت على نحو قوله صلعم ان هذا الدين متين فاوغل فيه برفق ولا تبغض الى نفسك عبادة
الله فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى اي ادخل فيه برفق فان الذي يجد السير ولا يتوسط
ولا يفتر فيه حتى يعطب ناقته يبقى منبتا منقطعا به لا يصل الى مقصده ولا ينهض بامره وقال هنا
المنبت مثل للمعصي لعزله ؛ تقطع بالنزول الارض عنا ؛ وبعد الارض يقطعه النزول
ونحو قوله عم ان لهذا القرآن شرة ثم ان للناس عنه فترة فمن كانت فترته الى القصد فنعم ما هو ومن
كانت فترته الى الاعراض فاولئك بور اي القاري المبتدي في القران رغبة ونشاطا وشدة اقبال
ميعة ونشاطه فيكون المراد هو الاقتصاد في القراءة دون فتور يعرض او اسراف يسام **وفي حديث**
آخر خذوا من العمل ما تطيقون فان الله لا يسام حتى تساموا اي لا يسام اذا سئمتم **كما قال الشاعر**

صلت في هذيل بحر ولا نحمل الفرح حتى تملوا

وفي حديث آخر انه قال ان الدين يسر ولن يشاد الدين احد الا غلبه فسددوا وقاربوا وابشروا واستعينوا بالغدوة والروحة
وشيء من الدلجة **وفي حديث آخر** انه عم قال لعبد الله بن عمرو بن العاص او لعبد الله بن عمر رض
الم اخبر انك تقوم الليل وتصوم النهار فانك اذا فعلت ذلك هجمت عينك ونفهت نفسك فان
لنفسك حقا ولاهلك حقا فصم وافطر وقم ونم وقوله هجمت عينك ونفهت نفسك وان معناها غارت
وضعفت فقال هجمت الهواجر اي اظهرت ومعنى نفهت نفسك اعيت وكلت والناقة المعيى وكل هذا

في الاقتصاد في العبادة دون الذهاب الى الطرفين المذمومين من الفتور والافراط وفي حديث
خير الامور الاوسط يرجع اليه الغالي ويلحق به التالي وقال عمر بن الخطاب رضا انا لست بالخب والخب لا
يخدعني وقال خير خياركم الذين يتوسطون بالاخذ من دنياهم لاخرتهم ومن اخرتهم لدنياهم
وكان سلمان يقول القصد والدوام وانت السابق الجواد وهو تفسير ما قالت عايشة بنت ابي بكر ان
عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت ديمة اي مقتصدا دائما لا يلم به قلة وتقصير ولا يحوم به سرف
وافراط كانت بين الوابل والطل فقال عبد الملك بن مروان لعمر بن عبد العزيز
كيف نفقتك يا ابا حفص فقال الحسنة بين السيئتين وقال اكثم بن صيفي الانقباض من الناس
مكسبة للعداوة وافراط الانس بهم مكسبة لقرناء السوء وقال ابو الاسود الدؤلي لابنه
يا بني اذا كنت في قوم فحدثهم على قدر سنك وفاوضهم على قدر محلك ولا تتكلم بكلام من
هو فوقك فيستثقلونك ولا تنحط الى من دونك فيحتقرونك فاذا وسع الله عليك فابسط
واذا امسك عليك فامسك ولا تجاود الله فان الله اجود منك واعلم انه لا شيء كالاقتصاد
ولا معيشة كالتوسط ولا عز كالعلم ان الملوك حكام الناس والعلماء حكام على الملوك
وانشا يقول العيش لا عيش الا ما اقتصدت فان ∴ تسرف وتبذر لقيت الضر والعطبا

والعلم زين وتشريف لصاحبه ∴ فاطلب هديت فنون العلم والادبا
لا خير فيمن له اصل بلا ادب ∴ حتى يكون على ما زانه حدبا
كم من حسيب اخي عي وطمطمة ∴ فدم لدى القوم معروف اذا انتسبا
في بيت مكرمة اباؤه نجب ∴ كانوا رؤوسا فامسى بعدهم ذنبا
وخامل مقرف الاباء ذي ادب ∴ نال المعالي بالاداب والرتبا
اضحى عزيزا عظيم الشان مشتهرا ∴ في خده صعر قد ظل محتجبا
العلم كنز وذخر لا نفاد له ∴ نعم القرين اذا ما صاحب صحبا
قد يجمع المرء مالا ثم يسلبه ∴ عما قليل فيلقى الذل والحربا
وحامل العلم مغبوط به ابدا ∴ ولا يحاذر منه الفوت والسلبا
يا جامع العلم نعم الذخر تجمعه ∴ لا تعدلن به درا ولا ذهبا

وكان يقال طالب العلم وعامل البر كاكل الطعام ان اخذ منه قوتا عصمه وان اسرف
في الاخذ منه كظه وكاخذ الادوية التي قصدها شفاء ومجاوزة القدر فيها السم
المميت وقال سليمان بن عبد الملك زيادة منطق على عقل خدعة وزيادة عقل على منطق
هجنة واحسن من ذلك ما زين بعضه بعضا وكلم المنصور ابا العباس السفاح في محمد بن

رجل طمطم بالكسر اي في لسانه عجمة لا يفصح صحاح

عبد الله

عبد الله بن الحسن واهله فقال يا امير المؤمنين آنسهم بالاحسان فان استوحشوا فالشر يصلح
ما عجز عنه الخير ولا تدع محمدا يمرح في اعنة العقوق فقال له يا ابا جعفر انا كذلك من شدد نفر
ومن لان تالف والقصد في الرضا والغضب في الاسلام والتغافل من سجايا الكرام وقال ابو المعتمر
ان الناس ثلثة اصناف اغنياء وفقراء واوساط فالفقراء موتى الا من اغناه الله بعز القناعة والاغنياء
سكارى الا من عصمه الله بتوقع الغير واكثر الخير مع اكثر الاوساط واكثر الشر مع الفقراء والاغنياء
لسخف الفقير وبطر الغني وقال محمد بن عمران قاضي المدينة ان نسب الى البخل فقال اني والله لا اجمد
في حق ولا اذوب في باطل وانشد الا اكن كل الجواد فانني ∴ على الزاد في الظلماء غير شتيم
ولا اك كل الشجاع فانني ∴ ارد سنان الرمح غير سليم
وقال خالد بن الوليد لمعوية ان فيك خصلتين ما اراهما اجتمعتا في رجل انك تتقدم
حتى اقول تريد ان تقتل وتتاخر حتى اقول تريد ان تهرب فقال اني والله ما اتقدم لاقتل
ولا اتاخر لاهرب ولكني اتقدم اذا كان التقدم غنما واتاخر اذا كان التاخر حزما واقف بينهما
ولا اميل اليهما كما قال اخو كنانة شجاع اذا امكنتني فرصة ∴ وان لم يكن لي فرصة فجبان
وقال الجاحظ يجب للرجل ان يكون سخيا ولا يبلغ التبذير حافظا لا يبلغ البخل شجاعا
لا يبلغ الهوج محترسا لا يبلغ الجبن حييا لا يبلغ العجز ماضيا لا يبلغ القحة قوالا لا يبلغ
الهذر صموتا لا يبلغ العي حليما لا يبلغ الذل منتصرا لا يبلغ الظلم وقورا لا يبلغ البلادة
مواسيا لا يبلغ الضراعة وفي الامثال كن في الناس وسطا وامش جانبا ويقال الغنيمة
الدعة والراحة والتحرز عن البلاء والمنازعة هو ياكل وسطا ويربض ناحية ويقال لا
تكن حلوا فتسترط ولا مرا فتلفظ ويروى فتعقى اعقى الشيء اشتدت مرارته ويقال بين المخة
والعجفاء وقال بعضهم ان اصعب الداء عزيز جموح وفي صفة قوم في كهف معطيه منوع وفي
صفة الكريم العزيز المقارب دنوت تواضعا وعلوت قدرا ∴ فشانك انحدار وارتفاع
كذاك الشمس يبعد ان تسامى ∴ ويدنو الضوء منها والشعاع
وفي حكم الهند بعض المقاربة حزم وكل المقاربة عجز كالخشبة المنصوبة في الشمس تميل فيزداد ظلها
وتفرط في الامالة فينقص الظل وقال الاسكندر لارسطوطاليس مودبه وقد اراد سفرا ارشدني
لاحزم اموري فقال لا تملان قلبك محبة الشيء ولا تسلطن عليك بغضه واجعله قصدا فان
القلب كاسمه متقلب واجعل وزيرك التثبت وسميرك التيقظ وقالوا التقدم للغاية تاخر عنها
والزيادة على الكفاية نقصان منها وقالوا افراط الزيادة تؤدي الى النقصان والمثل في ذلك
جاري على كل لسان كصبوة العفيف وسطوة الحليم وضربة الجبان ودعوة البخيل وحنان الكيت

ونادرة المجون وشجاعة الخصى وظرف الاعرابي فقالوا الاصدقاء اذا استقللت منهم لم تصب
فيهم واذا استكثرت فيهم لزمتك مواجبهم وثقلت عليك نوايبهم وكسبت الاعداء من الاصدقاء
كما كسبت الداء من الغذاء كما قيل عدوك من صديقك مستفاد فلا تستكثرن من الصحاب
فان الداء اكثر ما تراه يكون من الطعام او الشراب وقيل في توسط حال المرء في عمله واستعمال ذهنه وعقله

وما الذهن الا نصل سيف محدد ✿ يفل اذا امضاؤه في الضرايب
والا كعين نزح الغرف ماؤها ✿ لها نايب في نزحها بعد نايب

وهو من الحديث المشهور دع داعي اللبن وفي آخر عثبوا نوقكم وقال آخر في الاقتصاد في المشورة

لا تقتبد العقل دون مشورة ✿ كالسيف لا يكفي الصقال لسنجه
والراي تفسده تكاثر اهله ✿ كالجمر يخمده تزاحم نفخه

وقال احمد بن ابي طاهر في التوسط بين الدنيا والدين وقضاء حق كل منهما في حينه

ركبت الصبا حتى اذا ما وفي الصبى ✿ نزلت من التقوى باكرم منزل
ودين الفتى بين التماسك والنهى ✿ ودنيا الفتى بين الهوى والتغزل

وقال البستي في التوسط بين القطوب والبشاشة

عدل قطوبك بالبشاشة يعتدل ✿ ونداهما في من تذل وتكرم
فالحر طلق ضاحك فلربما ✿ تلقاه وهو العابس المتجهم
كالورد فيه عفوصة ومرارة ✿ وهو الذكي الناضر المتبسم

ومن الشعر في اختيار التوسط في الامور والاحتراز من العلو والتناهي وهي قول المعري

لئن كنت تهوى العيش فابغ توسطا ✿ فعند التناهي يقصر المتطاول
توقى البدور النقص وهي اهلة ✿ ويدركها النقصان وهي كوامل

وقال ابو المعتصم الانطاكي كمال المرء من بعد انتقاص ✿ ونقص المرء من بعد الكمال
اذا انتقى الهلال فصار بدرا ✿ تبينت المحاق من الهلال

وقال البستي فلا يبقى على حال زمان ✿ ولا ادمن على حال بباق
تامل في الهلال فكل بدر ✿ اذا ما تم آذن بالمحاق

واصل هذه الابيات قول الاعرابي انشده الاخفش في امالية

الم تر مثل الهلال يطلع ✿ بدو ضئيلا حقيرا ثم يتسق
يزداد حتى اذا ما تم اعقبه ✿ كر الجديدين نقصا ثم ينمحق

وقد سبقه الى هذا المعنى حنظلة بن ابي عفرا في قوله

ومهما يكن ريب الزمان فانني ✿ ارى قمر الليل المعذب كالفتى
يهل صغيرا ثم يعظم ضوؤه ✿ وصورته حتى اذا ما هو استوى
تقارب يخبو ضوؤه وشعاعه ✿ ويمصح حتى يستسر فلا يرى

كذلك زيد المرء ثم انتقاصه وتكراره في دهره بعد ما مضى فلاجل هذه المعاني قد جعل
الله الانسان على المتوسط في جميع احواله وامورة لانه متوسط البدن بين الحيوانات العظام
الجثة وبين لطائفها ومتوسط القوة بين سباعها الضارية وبين حيواناتها العادية السلاح
ومتوسط العمر لم يبلغ مبلغ النسور والحيات في طول الحيوة ولا كان كالحيوان القليل العمر و
متوسط المكان لا في جانب المركز من الارض ولا في اعلى الطرف الاقصى منها ومتوسط الرتبة
بين الملائكة المقربين وبين الانعام المسخر البهيمة له شهوات الانعام وليست في الملائكة وعقول
الملائكة وليست في الانعام فاذا كانت جبلته الفاضلة في توسط هذه الامور كانت سيرته
الفاضلة ايضا في توسط الاحوال وقد قالوا في السيرة الفاضلة والطريقة الوسطى العادلة
انها معاملة الناس بالعدل والاخذ فيهم بعد ذلك من تفضيل بالفضل واستشعار الشفقة
والرحمة والنصيحة للكل الا من ابتدا منهم بالفساد والظلم وسعى في تخريب الدين وافساد السياسة
الجامعة امرها الشاملة نفعها وان الانسان اذا لزم العدل والعفة واقل ما حكم الناس
ومنازعتهم سلم منهم على الكرم والاكثر واذا انضم الى ذلك الافضال عليهم والتحفي بهم والنصح لهم
والتجافي عن ذنوبهم والتحلم عن اساءتهم والكف البتة عن اهمهم والقيام بما دهمهم اوتي منهم
المحبة ورزق المقة وصار ما لكا لهم بلا رق وموليا بلا عتق قال ابن عباس قدم علينا الوليد
بن عتبة المدينة واليا كان وجهه ورقة مصحف او مرآة غريبة فوالله ما ترك فينا عانيا
الا فكه ولا غريما الا ادى عنه ينظر الينا بعين ارق من الماء ويكلمنا بكلام احلى من الجنا
فغدينا عنده ذات يوم فاقبل الخباز بالصحفة فعثر بوسادة وبدرت الصحفة من يده فوالله
ما ردها الا ذقنه وصار ما فيها في حجره وقام الغلام مبهوتا ما فيه من الروح الا ما نعيم
رجله فقام الوليد فدخل فغير ثيابه ثم اقبل تبرق اسارير وجهه كانه الوذيلة واقبل على
الغلام فقال له يا بايس ما اراك الا وقد روعناك انت وما ولد لك احرار لوجه الله فقال ابن
عباس هذا والله هو السيرة الفاضلة والامرة العادلة والكرم المحض والفعل الحسن ولئن
اعتقته فقد اسرقته ببرك ولئن اطلقته فقد ارهقته بشكرك والله من وراء الجزاء
واخذ سليمن بن عبد الملك يزيد بن هبيرة بالف الف درهم وعمل بامره ولم يعتد لوجه فاتى
يزيد بن المهلب فقال زادك الله في تمكينك وادام سرورك اخذ منا الا بسعد ذات يدي

دسما

فقلت الحاتر الا السيد الكريم مدرة العرب وخلصان الخليفة وصاحب المشرق ثم قام رجل
من قومه فقال ايها الامير ما اخترت لحاجتنا معاشر عشيرته وقد الجأنا امرنا بفنائك وكونا
ما حل بنا الى كرمك فان تكفنا فليس ببدع منك وان ترفعنا فليس لنا غيرك وقام آخر فقال
لو اصبنا احدا فوقك لاخترناه او دونك لحاجتنا لاضطررنا اليه وقد اتينا فيما قد جئنا
فان تستقلل فقد ترجى لكثرة منه فوالله ما الدخان بادل على النار والعجاج على الريح من ظاهر
امرك على باطنه وقام آخر فقال اعظم شانك ان يستعان عليك اوبك ولست الى شي من العرف و
الاصغر غيرك ويعظم عنده ولا غاية يبلغها احد من العرب الا بلغتها ولا نقيسك باحد من
الملوك الاعظم عنده ورجحت به رجحان الثقيل بالخفيف والكبير بالطفيف والله ما العجب
تفعل ولكن العجب ان لا تفعل فقال يزيد مرحبا بكم واهلا ان خير المال ما يقضى به الحقوق
ويقتنص به الاحرار ويبني به المكارم ويستدفع منه المغارم ولا اقول ان الناس من بالجميل
فضل عن الناس وايم الله ان لو اعلم احدا املا لحاجتكم مني ارشدتكم اليه فاحتكموا واكثروا
فقال ابن هبيرة المنصف اصلحك الله فقال الغد على ما اردت فاقبضه فدعوا له وولوا
عليه فلما مضوا غير بعيد ندموا على ان لم يسالوه كله وقد حكمهم فبلغ ذلك يزيد بن
المهلب فقال ردهم فرجعوا وقالوا اقلنا اصلحك الله قال لا وقد فعلت وتحملها كلها عنه
فقالوا حتى تسمع ثناءك علينا فوالله ان كل موصوف بالكرم والجود اذا عجم عوده وامتحن بعد
الوصف فعله كان الوصف اربا على اختباره واختياره قاصرا عن وصفه الا انك فانت
الجواد المبر على الاجواد الزايد فضله على المعتاد المستعبد لنا وان كنا لم تر الا النسيب
منا وان كنا بعيدا منك ارحاما وغربا دارا ومما انشد في هذا

وما انا الا عبد ولكنك التي ... تسبب لها دون هطلى ومنصبى
وموالى ابادم منك بيض منح اقل ... بالابهام فتشهد لم اكذب

وقال ايضا منت عليهم بالحلوق فاصبحوا ... مواليك فازوا منك بالمن والعتق
وان ولاء المعتقين من الردى ... يفوق ولاء المعتقين من الرق

وقال آخر تستعبد الاحرار الا انه ... يستعبد الاحرار للاعتاق
فالرق في الاعتاق حكم للعطا ... حكمت به والاسر في الاطلاق

فهذا الذي ذكرناه هو السيرة الفاضلة واما الحال الفاضلة فهي حالة الكفاف
والاقتصاد في المعايش والتخفيف في الانفاق فالحال عين الحلق والراحة غير الفضيلة
ولكن الاقتصاد في التعيش محمود بكل لسان محمد عليه الاكابر وبذكر من الملوك الافاضل

كما يحكى في سيرة المنصور انه كان كل يوم اذا صلى العصر اذن لاهل بيته اجمعين
فياخذون مجالسهم ويخرج عنا اصحابه جميع العمال والاعوان وغيرهم فلا يكون
عنده احد سواهم فمن كانت له حاجة منهم كلمه فيها فان بلغه عن احد منهم شي انكر
عاتبه عليهم وان راى منهم فينا ادركوا زوجهم ونظر في امورهم جميعا وكان كل جمعة
اذا صلى العصر اذن لخاصته واهل بيته ودعا بالطعام فتعشى وتعشوا معه واكل الطيب
من كل نحو ثم لم يكن ياكل الطيب الا في ذلك اليوم الى الجمعة الاخرى وكان يقتصر في سائر ايام
الاسبوع على ما في بيته من كعك وعدس وزيت وما يلطفه اهله من بيضات او فرخ او
شي من لبن فهذا من اقتصاد الاكابر فكيف باسراف الاصاغر وكما ان الاقتصاد من اسباب
الغنى والثروة والاقتصار على الكفاف من اسباب الدعة والراحة فاحراز الفضيلة و
السياسة الفاضلة فيما لتناول اللذة لك عن اسهل ما يمكن من الوجوه واسلمها عاقبة
واحلها ديانة وبالمقدار الموازي لحاجة الانفاق وزيادة فضل يقتنى لنوايب الزمان
المانعة للاكتساب او كثرة الحاشية وطول الذيل فاما من لم يقف على حد وسعى وتعب
عمره باكتساب ما يفضل من المال عن نفقته ومقدار حاجته وجمعه وكثره فقد خسر
وغبن وخدع واستعبد من حيث لا يعلم انه خاسر غبين ومستعبد مسكين لانه اعطى
كدا وجهدا ولم يستعوض بكفايته وراحته ولا استبدل كدا بكد وخدمة بخدمة
يجعل جهده وكده وكفايته للناس فاستمتعوا به وفاته من كفاية الناس له
وكدهم عليه واستماعهم قد استحقه بكفايته لهم وكده عليهم وكان مثله في
ذلك كما قال العباس بن الاحنف احرم منكم بما اقول وقد ... نال به العاشقون من عشقوا
صرت كاني ذبالة نصبت ... تضي للناس وهي تحترق

وقال ابن طباطبا العلوي ان في نيل الغنى وشك الردى ... وقياس القصد عند السرف
كسراج دهنه قوت له ... فاذا غرقته فيه طفى

وقال آخر غنى المرء ما يكفيه من سد خلة ... فان زاد شيئا عاد ذلك الغنى فقرا

وقال آخر ما زاد فوق الزاد خلف ضايعا ... في حادث او وارث او عاد
والناس شتى يهون في ابرادهم ... وتباين الاقوام في الاسناد

وكما ان التناول للمعايش من هذا الوجه الذي ذكرناه وعلى القدر الذي وصفنا
من اقسام الفضايل فاعتمادنا ذلك على الحال الا القنية وعلى الجدة الا العدة من اصدق
ذلك وكانت لقلانس القدر بناء يوردون البنين الحال والبنات المال وحدث ابو الرجا

انه جرى بحضرة السلطان الماضي ما حكم له المنجمون فيما بقي من عمره بضع عشرة سنه
فقال في اثره ان قلبي سيحرز من الاموال بما الوقت على ايام تلك الاعوام بخاصتها
بما لا سبيل انفاق به وسرف فيه ومحلف الشوق على ما لم يزل كان متكوه متي ويحصر
بخصوم فقلت له انكر ذلك واستحفظه راس المال وهو الدولة والاقبال فاجتمع على
النطار لا بهما ولن يعاود ما سرها اخي يوم واحد غير شطر من وليها الدخاير فامسك
ومن اعتبر وتوخى بحال الامير الشهيد مسعود محمود حقه عند الحادثة عليه وزوال النظام
عن امره وعما في يديه وكان الاكتفاء بالكفاف من المعيشة المعتاد له والسيرة الفاضلة
للاتعب ويشغله ما لا يحتاج اليه عما يحتاج اليه فاخفاه فقل ما يملكه الانسان
عن الناس من كمال الراي وتمام العقل ان لا يتقوم بحمال الناس بقيمته ولا يحتقره لقلة
سال بعض الخلفاء بعض دهاة العجم عن ماله فقال لا مال لي فما رضيت به عن الخالق وغنيت
عن المخلوق وابى ان يخبره فقيل له في ذلك فقال لم اخل من ان اخبره بكثرة فيحسدني
او بقلته فيحقرني ودخل ابو الاسود الدولي على عبد الملك بن مروان فجعل يسايله
ويستخبره عن امره ثم قال له ما مالك يا ابا الاسود فسكت ولم يجبه فقال التجريني قال
اعفني يا امير المؤمنين قال وما الذي تكره من ذلك قال يا امير المؤمنين ان الخبر عن
ماله عند القرشي على احدى منزلتين ليس في واحد منهما حظ المختار ان كان فقيرا
احتقره وهان عليه وان كان غنيا حسده وتنكر له فقال اقسمت عليك لتخبرني
فقال الذا ما تركت ثوارثي ما تركه حاتم طي قال وما ترك حاتم طي قال كنت تروي ما ذكره
في شعره حين يقول

اذا ما اتى يوما الى المال وارثي ... يجد جمع كف غير ملئ ولا صفر
يجد فرسا مثل العنان وصارما ... حساما اذا ما هز لم يرض بالتبر
واسمر خطيا كان كعوبه ... نوى القسب قد ارمى ذراعا على عشر

وابى ان يخبره بكنه ماله ومما انشد في الاكتفاء بالكفاف والاستغناء بالمال من
الشعر المشايع فيه لقوط جودتها قولهم

اذا ما بنات الدهر يزن للفتى ... ثلث خلال اقل ما يتيسر
كفاف يصون المرء عن بذل وجهه ... فيضحي ويمسي وهو حر موقر
وراح يسليه اذا الهم صافه ... ومسمعة احسانها ليس ينكر
ورابعة عز وجودها ... صديق على الايام لا يتغير
فتلك لعمر الله حلفة صادق ... هي النعمة العظمى لمن كان يشكر

وقال

وقال ابو نواس

خليلي وان قلت كثير نفعها ... بين الصوارم والقنا الرعاف
ومكارم عدد النجوم ومنزلي ... ماوى الكرام ومربع الاضياف

وكان المهدي اذا انشد قوله انما هي كسيرة فتت ما قدره وخمرة في ذكره بلغني منها سكيرة

وصحيح اوسح قد كفى جلد عمره ... من لي عيشي هذا عاش لا يطلب غيره

تلك قول الله عقيبه تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا
والعاقبة للمتقين آخر ارض من الدنيا بالقوت ففي القوت كفاية واقنع النفس قليلت
لا انها نهاية ومن شعر عبد الله بن طاهر الذي كان يهجيره انشاده

من له كسرة يعيش عن الناس غنيا بها فذاك الامير
يا غنيا عن العساكر والبعث هنيئا لك المحل الاثير

وقال ابو العتاهية

قنع النفس بالكفاف والا ... طلبت منك فوق ما يكفيها
انما انت طول عمرك ما ... عمرت بالساعة التي انت فيها

وقال آخر

فاسعد الناس في الدنيا واسلمهم ... ذو بلغة يترك الدنيا لاهلها

فقال ثابت الازدي

لا خير في طمع يدني الى طبع ... وبلغة من قوام العيش تكفيني
لا اركب الامر تزري بي عواقبه ... كيلا يعاب به عرضي ولا ديني

فصل في السيرة الفاضلة من كلام ابن المقفع ان اصل الامر في المعيشة ان لا تنى عن طلب
الحلال وان تحسن التقدير لما تفيد ومما تنفق ولا يغرنك من ذلك سعة تكون فيها فان
اعظم الناس في الدنيا خطرا احوجهم الى التقدير لما تفيد وما تنفق والملوك احوج اليه من
السوقة فان السوقة قد يعيش بغير مال وان الملك لا قوام له الا بالمال ثم ان قدرت على ان تبلغ
الرفق واللطف في الطلب والعلم في المطالب فهو افضل واصل الامر في الدين ان تعتقد الايمان
بالثواب والعقاب وتجتنب الكباير وتودي الفرائض فالزم ذلك لزوم من لا غناء به عنه طرفة
عين ومن يعلم انه ان حرمه هلك ثم ان قدرت على ان تجاوز ذلك الى الفقه والعبادة فهو افضل
واصل الامر في اصلاح الجسد ان لا تحمل عليه في الماكل والمشرب والنكاح الاخفا ثم ان قدرت
ان تعلم جميع منافع الجسد ومضاره والانتفاع بذلك كله فهو افضل واصل الامر في الكلام ان تسلم
من السقط ثم ان قدرت على ان تزيد ذا الحق على حقه وتطول على من لا حق له فهو افضل واصل
الامر في الناس ان لا تعدي نفسك بالادبار واصحابك مقبلون على عدوهم ثم ان قدرت على ان
تكون اول الحامل وآخر منصرف في غير تضييع الحذر فهو افضل ان استطعت ان تضع نفسك دون
غايتك في كل مجلس ومقام وراي فافعل فان رفع الناس اياك فوق المنزلة التي تحط اليها

بالتحفظ

نفسك وتقريبهم اياك دون المجلس الذي تباعدت منه وتعظيمهم من امرك ما لم تعظم وبرمهم من
كلامك وما ليك فما لم تزن هو المحال ان غلبت على الكلام فلا تطلبن على السكوت فلعله ان يكون اشدهما
للتزيينة واجلبهما للمودة وابقاهما للنهاية وانفاهما للحسد اجعل لنفسك في كل شيء غاية
ترجو القوة والتمام عليها واعلم انك ان جاوزت الغاية في العبادة صرت الى التقصير وان جاوزتها
في حمل العلم لحقت بالجهال وان جاوزتها في تكلف رضا الناس والخفة معهم في حوائجهم كنت المحسور المنقطع
واعلم ان بعض العطية لوم وبعض البيان عي وبعض العلم جهل فان استطعت ان لا يكون عطاؤك خورا
ولا بيانك هذرا ولا علمك وبالا فافعل اجمع في قلبك الافتقار الى الناس والاستغناء عنهم ولكن
افتقارك اليهم في لين كلمتك وحسن بشرك ويكون استغناؤك عنهم في نزاهة عرضك وبقاء عزك
واني مخبرك عن صاحب لي كان اعظم الناس في عيني بيته وافضلهم سيرة وكان راس ما عظم في عيني
صغر الدنيا في عينه كان خارجا من سلطان بطنه فلا يشتهي ما لا يجد ولا يكثر اذا وجد وكان
خارجا من سلطان فرجه فلا يدعو اليه مؤنة ولا يستخف له رايا وكان خارجا من سلطان لسانه
فلا يقول ما لا يعلم ولا ينازع فيما علم وكان خارجا من سلطان الجهالة فلا يقدم ابدا الا على ثقة
بمنفعة وكان لا يباشر عند نعمة ولا يستكين عند مصيبة وكان اكثر دهره صامتا فاذا قال
بذ القائلين وكان متضاعفا مستضعفا فاذا جاء الجد فهو الليث عاديا وكان لا يدخل في دعوى
ولا يشارك في مراء ولا يدلي بحجة حتى يرى قاضيا عدلا وشهودا عدولا وكان لا يلوم احدا على
ما قد يكون العذر في مثله حتى يعلم ما اعتذاره وكان لا يشكو وجعا الا الى من يرجو عنده البرء
كان لا يتبرم ولا يتسخط ولا يتشكى ولا يتشهى ولا ينتقم من الولي ولا يغفل عن العدو ولا يخص نفسه
دون اخوانه بشيء من اهتمامه وحيلته وقوته فعليك بهذه الاخلاق ان اطقت ولن تطيق ولكن اخذ
القليل خير من ترك الجميع **فصل** في السيرة الفاضلة من كلام ابن المعتز لم يكتسب الامن لم
ينل الاول لم يسبق نعمة من لم يقصد من تماسكت حاله في اهل الطبقة وجبت على عقله القناعة وربما
شرف شانه بمال آفة فبليته ومن تجاوز الكفاف لم يغنه الكثير ان الله يمتحن بالانعام عليك الانعام
منك فافقد من فايدته واستمد بفضلك من فضله من عظمت النعمة عليه كثرت الرغبة اليه فاستجلب
بالانعام منك انعام الله عليك واحسن كما احسن الله اليك واستزد بما يجب منك ما يجب لك وعجل ان
توسع جودا وما زال ان ازددت منعا ولا تكن ممن ولايته مواعيد وصرفها عنا ومن الاخبار ما
يظهر صوابه مع وقوعه ومنه ما يظهر صوابه في عواقبه وهو الدليل على مقادير العقول والميزان
الناطق اللسان باعتدال التمييز وافضل الاخيار ما توجه الى الاخرة من بصيرة من العقل ولم يمل
الى الدنيا عن غرور من الهوى وقد تقدمت الحجة واسمع الانذار ووعظت العبر واوذنا بالرحيل ولنا

كالدنيا

من الدنيا على الدنيا دليل وانما اغذينا في مدة بقائنا بصريع للمرض ومضاف الى الهم وطروق
بمصيبة او مترقب لخوف لا يامن صنوف لذاته من الطعام والشراب وغيرهما ان يكون اسباب
تولد له وعلل ومدة يعطل من سيوف بعض انصاره ولعل حتفه في مال يجمعه وذلة من عز يتولاه
وهو مع ذلك عاجز عن دوام تسليم عقله من زوال وسمعه من صمم وبصره من عمى ولسانه من خرس
وسائر جوارحه من زمانة ونفسه من تلف وماله من تردي وحبيبه من فراق وكل ذلك شاهد
صادق ودليل ناطق انه فقير الى ربه ذليل في قبضته محتاج الى الخضوع له والتضرع اليه والعمل
بما يرضيه وترك ما يكرهه ولا يعينه واجدر من ان يحاسب كل يوم نفسه ويتزود لاخرته من دنياه
واذا اعترضته بحار المحن جعل معابرها الصبر واذا اغدقت عليه سحائب النعم جعل شانها
الشكر ولم يغتر بتتابع النعم وابطاء وقوع النقم وادامة صحبة التقى وفطم النفس عن الهوى في
التقي بالكفاف والتحلي بالعفاف فانما حيوته كبضاعة ينقصها انفاسنا ولا يزيد فيها
فاوشك نفاذها وعند انقضائها هذا الا يبقى لمن لا بقية له من الاجر ما سعى ايدي العقول السالمة
اعتق النفوس عن الهوى واعدل الناس من انصف عقله عن هواه من غلب هواه فليس لعقله عليه سلطان
ينبغي للعاقل ان يكتسب بعض ماله المحمود ويصون نفسه ببعضه عن المسالة باصلاح المال
بدوام الاتصال وباتفاق المال بدوام الجمال

المجلس الخامس والخمسون من كتاب خلق الانسان تفسير قول الله عز وجل وفي انفسكم افلا
تبصرون يشتمل على ما في الانفس من التجزي والتركيب وتشابهها في العالم مع التمكين
من تحلية النفس بالخيرات وتخليتها عن الشرور من السيئات

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمد الله الذي دعانا الى الخيرات وكفانا عن الشرور والسيئات وندبنا الى الفوز والنجاة
وبعثنا على البر والتقاة **حمدا** يجمع في حلبة الاعتداد نعم بين ظواهرها وتليدها وطريفها ونضم
برنقه القرآن بين عتيق مجده وجديدها **حمدا** اعذب من الماء اذا سال واكثر من الرمل اذا
انهال **حمدا** يهب بزرياح الثناء جنوبا وشمالا ويطلع رايات القبول والجزاء يمينا وشمالا
حمدا يبقى مجهوده الى الاعتراف بالعجز وان بلغ بر اللسان بعض وسعه وطوقه وانتهى الجنان
الى اميل الامر تعين له من فوقه **حمدا** يطرقه صادق الثناء ويشيعه خالص الدعاء **حمدا** يحمي نعمته
عن الصمور او المحو ودوم يقتضي الزيادة في المامول والموعود **حمدا** يوالي في ذكره القول والخاطر
ويتقلب في استشعاره القلب والناظر **حمدا** يقضي حق النعماء ويقتضي الزيادة في الجزاء **حمدا** يملا
اكناف الارض واقطار السماء فنظم حاشية الصباح بحاشية المساء **حمدا** نحمده عن خلوص عقيدة

لتمجيده وصفاتها ويعرب عن صدق نيتنا في توحيده ونقاتها احمداً اشفع لشكر بالثناء و
بيننا وبين النعماء وبلغنا من مراتب النجاح اقصاها ويسوغنا من ثمرات المزيد اركاها
ونصلي على من انحل منه قطار الخيرات على ارض البركات فتنوع انوار الصالحات من روض
الحسنات وعلى آله الكرام اولي المساعي العاليات صلوة لا انقطاع لامدادها ولا انتها
في ازديادها صلوة يتصل تضاعفها ولا يحيط الحد باستقرائها وتتابع ترادفها ولا يبلغ
العد الى استقصائها صلوة يتهلل بها وجه الدين وينشرح منها صدر اليقين ابد الابدين
ودهر الداهرين فقد ذكرنا فيما ذكرنا من المعادلة بين الخير والشر ان ما تقرر باستحسان
العقل من غيره فهو الخير وما تقرر باستقباحه من غيره فهو الشر والقصد بالعبارة ان الانسان
يعمى عن العيب في نفسه وان بالغ في الابصار والتفكر وجد في البحث والتنقير بسبب الشهوة
والغضب ومغالطتهما المرء في افعاله واحواله حتى قال بعض الحكماء ما من انسان الا ومعه
مخلاتان ففي المعلقة امامه عيوب غيره فهي نصب عينيه وفي المعلقة خلفه عيوبه فهي غائبة عن
بصره وقيل المرء اعمى عن عيب نفسه احول في عيب غيره يرى الواحد اثنين والعشرة امثين
وقيل المرء يرى القذى في عين غيره ولا يبصر الجذع المعترض في عينه وهو كالعين ترى غيرها
ولا ترى نفسها الا ترى ان عين المحب عمياء عن عيب محبوبه واذن العاشق صماء عن مذمة معشوقه
فاولى بها ان يعمى ويصم عن عيوبها اذ ان حب الانسان احداً فوق حبه نفسه ومحبة النفس
لا ميزانا بها غيرها لانه عنده ومحبته غيره باسباب تحول ولا تدوم وتزول وقيل العلم الجديد
في هذا الباب ان لا تعامل المرء غيره من الناس الا بما يرضى ان يعامل به من فعل او ترك
ويعرض ما يصدر منه في حق غيره صادراً من غيره في حقه فعند ذلك يرتدع عن الشر و
ارادته ويقبل على الخير وافاضته ولا شك ان كل احد انما يعامل بمثل ما يعامل قال الله
تعالى هل تجزون الا بما كنتم تعملون فاذا اخطر الانسان هذا ببالـه اقتنى الخير وتجنب
الشر ولو انهم بالاقدام على القتل فاذا عرض له القصاص امسك عنه فيكون ذلك بقاء له
ولمن قصد قتله فيكون القصاص حيوة كما قال الله تعالى ولكم في القصاص حيوة وفي الحديث
بالمكيال الذي تكيلون يكال لكم وتزادون وحضر الحسن البصري بعض الامراء فرآه يتجاوز
حد المبلغ المحدود فيما فنهاه فلم ينتبه فقال اما انت فلا تضرب الا نفسك فان شئت فقلل
وان شئت فكثر وفي امثال الفرس ضع يدك على قلبك فما لم ترضه لنفسك فلا تفعله لغيرك
وفيه يقول ابو سليم الخطابي ارض للناس جميعاً ⁂ مثل ما ترضى لنفسك
انما الناس جميعاً ⁂ كلهم ابناء جنسك

غيرهم

غيرهم الان ترحى وحشة الناس لا انسك ⁂ وليهم نفس كنفسك ولهم حس كحسك
وفي منظوم الفرس چنان دار از زاد لو انكاه ⁂ كه موری نیازارد از تو براه
مبين آن كه مورست و نادل كشاست ⁂ بدان بین كه جان دارد و جان خوش است
زد لجو نلت همداستان كنی ⁂ كه جان داری و جان ستانی كنی
مبر دل بجان دادن این و آن ⁂ كه هر یك جو تو دوست دارند جان
وقيل في معرفة الخيرات المطلوب المرغوب فيه لذاته لا لغيره وعلى العكس منه الشر فانه ربما
كان عرضاً يتبع الخير غير مقصود اليه وان وقع ذلك بالتقدير الالهي والحكم السماوي
فيكون وجود الشر ضرورة حصول الخير فان الاشياء لو لم تكن بحيث تتضاد لم يمكن ان
تكون عنها هذه الانواع الشريفة وذلك مثلاً كاحراق النار ثوب فقير فقيره لا يملك
غيره او كان لا يمكن في مصادمة الاجسام من تاثير بعضها في بعض ولا تتم المنافع التي اودعها
الله في النار منا علينا الا باحراقها ثوب هذا البائس الفقير فيكون الاضاءة والانضاج
والاصطلاء والتمييز بين الجواهر هذه المنافع الاربعة من خصائص النار حرارات في العالم
مقصودة من النار ومثل الحريق يهلك في دار والتدخين في بيت والاحراق والتاذي من الشرر
العارضة الغير المقصودة والغيث الذي هو رحمة الله وبركته وحيوة الارض ومن عليها الاعلى
عن الغيث قد يتاذى به المسافر ويتداعى له البنيان ويحبس الناس في منازلهم عن حوائجهم
وكذلك الرياح من رسل الله نشراً بين يدي رحمته الواحد وتسمها مادة الخلق وفي
الحديث انها نفس الله اي تحيي النفوس وتنفس عن المكروب
الا حبذا نعمان بالله خليا ⁂ نسيم الصبا يخلص الي نسيمها
فان الصبا ريح اذا ما تنفست ⁂ على كبدي يوماً تجلت كروبها
وقد يضر في بعض الاحوال ان يرد ضرراً او يقع على بعض الوجوه شراً وجملة هذا العالم على
امتزاج الخير والشر والنفع والضر والغني والفقر وابتلاء احوال اهلها باختلافها في
السراء والضراء والشدة والرخاء والالآء واللأواء واما الخير الصرف غير الممزوج والنفع الخالص
المطلق غير المحصور في غير هذه الدار جمع الله بيننا وبين احبائنا في تلك الدار دار كرامته
كما جمع بيننا على اصفى المحبة في دار محنته وجعلنا من اخلاء الاخرة المتقين الدائمين على
الخلة الباقين قال بعض الحكماء في امتزاج الخير والشر في هذه الدار ان نعيم الدنيا
مشوب بالاقذاء ونفعها ممزوج بالضراء وسرورها موصول المحال بالاحزان وحبورها
مقرون العقاب بالاشجان وكذبها مكنوفة بالالام وصحتها محفوفة بالاسقام وراحتها

منوطة بالتعب ونعيمها مخلوطة بالنصب وغناها رهين بالفقر والقلة وعزها مصير للهوان والذل
وإن أهلها لأشقياء ولا نعوذ ولا أعلاه ولا أسالمون دائبون وإن سكنوا وجلون وإن أمنوا
راحلون وإن لم يظعنوا ... وإن غفلوا
جمعوا فما أكلوا الذي جمعوا وبنوا مساكنهم فما سكنوا
وكأنهم كانوا بها ظعناً لما استراحوا ساعة ظعنوا

ولعمرو بن بحر فصل مفيد في الخير والشر قال أحد العلماء وأوحد البلغاء إن المصلحة في
ابتداء أمر الدنيا إلى انتهائها امتزاج الخير بالشر والضار بالنافع والمكروه بالمحبوب والضعة
بالرفعة والكثرة بالقلة والغنى بالفقر والفاقة والحسن بالقبح والدمامة ولو كان الشر صرفاً
هلك الخلق ولو كان الخير محضاً سقطت المحنة وتقطعت أسباب الفكرة ومع عدم الفكرة يكون
عدم الحكمة ومتى بطل التخيير وذهب التمييز ولم يكن للعالم تثبت وتوقف وتعلم لم يكن علم ولم يعرف
باب التبين ولا دفع مضرة ولا اجتلاب منفعة ولا صبر على المكروه ولا شكر على محبوب ولا تفاضل
في بيان ولا تنافس في درجة وبطلت فرحة الظفر وعز الغلبة ولم يكن على ظهرها محق يجد
عز الحق ومبطل يجد ذل الباطل وموقن يجد برد اليقين وشاك يجد نقص الحيرة وكرب الوجوم
ولم يكن للنفس آمال ولم تتشعبها الأطماع ومن لم يعرف كيف الطمع لم يعرف اليأس ومن جهل اليأس
جهل الأمن وعادت الحال من الملائكة الذين هم صفوة الخلق ومن الإنس الذين فيهم الأنبياء والأولياء
إلى حال السبع والبهيمة في الغباوة والبلادة وإلى حال المجنون في السخف فإنها أنقص من حال البهائم
في الرعة ومن ذا الذي يسره أن يكون الشمس والقمر أو النار أو الثلج أو برجاً من البروج أو
قطعة من الغيم أو يكون المجرة بأسرها أو مكيالاً من الماء أو مقداراً من الهواء ولو يكون الأمر على
ما يشتهيه الغمر والجاهل بعواقب الأمور لبطل النظر ولتعطلت الأرواح من معانيها والعقول
من ثمارها ولعدمت الأشياء حظوظها فسبحان من جعل منافعها نعمة ومضارها ترجع إلى
أعظم المنافع وقسمها بين ملذ ومؤلم وبين مؤنس وموحش ومن صغير حقير وجليل كبير ومن
عدو لك يرصدك ومن عقيل يحرسك ومن مسالم يمنعك ومن معين يعضدك وجعل في
الجميع تمام المصلحة وباجتماعها تتم النعمة وفي نقصان واحد منها بطلان الجميع قياساً قائماً
وبرهاناً ناصحاً لأن الجميع إنما هو واحد وواحد ضم إليهما أشباههما ولأن الكل أبعاض وكل
جملة من أجزاء فإذا جوزت رفع واحد والآخر مثله في الوزن وله مثل علته وحظه ونصيبه
فقد جوزت رفع الجميع لأنه ليس الأول بأحق من الثاني في الوقت الذي جوزت فيه إبطال
الأول وكذلك الثالث والرابع حتى يأتي على الكل ويستفرغ الجميع ألا ترى أنه ليس الجميل
بأدل على الله من الحصاة وليس الطاووس المستحسن بأدل على الله من الخنزير المستقبح والخنافس

ممن يرى أن الطاووس أكرم على الله من الغراب وأن التدرج أعز عليه من الحدأة وأن الغزال
أحب إليه من الذئب وإنما هذه أمور فرقها الله في عيون الناس وميزها في طبائع العباد فجعل
تذهب إلى ما تريك العين واذهب إلى ما يريك القلب ولا تنظر بعين الاستحسان في وجه الإنسان
المخصوص بحسنه وهيئته وشكله هذا النوع من الخلق من الجهة التي ينظر بها إلى استقباح سواه
والجميع في الحاجة إليه والانتفاع به وخلق البعض لإدخال المنافع على البعض والبعض
لإخراج الفضلات ودفعاً للأذى وطلباً للبقاء على حد واحد وفي نصاب غير مختلف والأمور
حكمان حكم ظاهر للحواس وحكم باطن للعقول والعقل هو الحجة وقد علمنا أن خزنة النار من
الملائكة ليسوا بدون خزنة الجنة وأن ملك الموت ليس بدون ملك السحاب وإذا أتانا بالغيث وجلب
الحيا وإنما الاختلاف في المطيع والعاصي في طبقات ذلك ومواضعه لا في الخير والشر من جهة
تقديره والتمكين منه وقد قال الله عز وجل ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده
من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله والكلمة في هذا الموضع ليس يريد بها القول والكلام
المؤلف من الحروف وإنما يريد النعم والأعاجيب والصفات وما أشبه ذلك فإن كلاً من هذه الفنون
لو وقف عليه حصيف رقيق اللسان صافي الذهن صحيح الفكر تام الأداة لما برح أن يحسن المعاني في
وبعمر الفكر وإلى هذه المعاني يرجع تأويل جوابه سبحانه وتعالى للملائكة عليهم السلام عند ذكرهم بني آدم
بما أبصروه في اللوح من الشرور والفساد في الأرض وسفك الدماء وأنهم سالمون منها
مقبلون على تسبيح الله وتقديسه بقوله إني أعلم ما لا تعلمون من أن فيهم الأنبياء مع ذلك والعلماء
والصالحون والأتقياء وأن صلاح الجميع واستقامة تدبير العالم في أن يكون فيهم أيضاً الأشقياء
الكفار والمفسدون والأشرار على ما ذكرناه وكان المأمون قد حمل الحكيم النصراني المرتد
من خراسان إلى العراق فدعا به يوماً فقال لأن أستحييك بحق أحب إلي من أن أقتلك بحق
ولأن أقتلك بالبراءة أحب إلي من أن أدفعك بالتهمة وقد كنت مسلماً بعد أن كنت نصرانياً
فاستوحشت مما كنت به آنساً ثم لم تلبث أن رجعت عنه فأخبرنا عن الشيء الذي أوحشك
فإن وجدت عندنا دواء دائك كنت قد أعذرت ولم ترجع على نفسك بلائمة وإن قتلناك
فبحكم الشريعة وترجع أنت في نفسك إلى الاستبصار والثقة وتعلم أنك لم تقصر في اجتهاد
ولم تفرط في الدخول في باب الحزم فقال المرتد أوحشني ما رأيت من كثرة الاختلاف في
دينكم فكيف أهتدي بكم مع تضليل بعضكم لبعض قال المأمون لنا اختلافان أحدهما
كالاختلاف في الأذان وتكبير الجنائز والاختلاف في التشهد وصلوة الأعياد وتكبير التشريق
ووجوه القرآن ووجوه الأحكام في الفتاوى وما أشبه ذلك وهذا ليس باختلاف إنما هو تخيير

وتوسعه وتحصنه من الجنة فمن اذن منه واقام منتجعا يوم مجيئه قام فؤادي ولم يتبرا منه ولعرف
المختلفة بالاحكام في اجتهادهم لا يتمارون فلا يتمانعون يريد ذلك عبادنا ويتهم عليه سائنا
والاختلاف الاخر كنحو اختلافنا في تاويل الآي من كتابنا وتاويل الاحاديث عن نبينا مع اجماعنا
على اصل التنزيل واتفاقنا على عين الخبر فان كان الذي اوجب هذا حتى انكروا كتابنا
فقد ينبغي ان يكون اللفظ بجميع التورية والانجيل متفقا على تاويله كالاتفاق على تنزيله
وينبغي ان لا يكون في ملة ما اختلاف في شيء من التاويلات وينبغي ان لا يرجع الا الى اللغة
لا اختلاف في تاويلات الفاظها فلو شاء الله ان يترك كتبه ويجعل كلام انبيائه ورسله
بحيث لا يحتاج الى تبيين وتفسير لفعل ولكنا لم نر شيئا من الدين والدنيا دفع الينا على
الكفاية ولو كان كذلك لسقطت المحنة والبلوى وذهبت المسابقة والمنافسة ولم يكن
تفاضل ولا ظهور ولا فوز ولا سرور ولكن الله بنى الدنيا على امتزاج خيرها بالشر واختلاط
علمها بالجهل وصوابها بالخطا وتوفيقها بالخذلان ليبين الحق بفضله وتنتظم مصلحة
الجميع وينتهي السعيد الى ما دعي اليه وخلق له ولو كان الامر كله ظاهرا والعلم وجها
واحدا والخلاف مرتفعا ايلا لما صح تكليف ولا تم سعي ولا استحق حمد ولا ذم ولا ثواب ولا عقاب
فقال المريد اشهد ان الله واحد لا شريك له ولا ولد وان المسيح عبده وان محمدا صادق وانك امير
المؤمنين حقا فاقبل المامون على اصحابه وقال فروا عليه عرضه ولا تبروه في يومه هذا ريثما
يعتق اسلامه كيلا يقول اعداؤه اسلم رغبة ولا تنسوا نصيبكم من بره **فصل** آخر من كلامه مفيد
جدا في امتزاج الشر بالخير وابتلاء الناس باختلاف احوالهم **قال** لولا ان الله تعالى اراد ان يجعل
الاختلاف سببا للابتلاء لما جعل واحدا طويلا وآخر قصيرا وواحدا حسنا وآخر قبيحا
وواحدا غنيا وآخر فقيرا وواحدا ذكيا وآخر غبيا فخالف بينهم ليختبرهم وبالاختبار يطيعون
وبالطاعة يسعدون ففرق بينهم ليجمعهم واحب ان يجمعهم على المثوبة والطاعة جميعا فسبحانه
وتعالى ما احسن ما ابلى واولى واحكم ما صنع واتقن ما دبر لان الناس كلهم لو رغبوا عن
الحياكة لبقينا عراة ولو رغبوا كلهم عن كد البناء لبقينا على العراء ولو رغبوا عن الفلاحة
لذهبت الاقوات ولبطل المعاش فسخرهم على غير اكراه ورغبهم على غير دعاء ولولا اختلاف
الطبايع من الناس وعللهم لما اختاروا من الاسماء الا احسنها ومن البلاد الا اعدلها ومن
الاوساط الا اوسطها ولو كانوا كذلك لتزاحموا على طلب الوساطة وتشاجروا على بلاد الخصب
ولما وسعهم بلد ولا تم بينهم صلح وقد صار بهم التسخير الى غاية القناعة وكيف لا يكونون
كذلك وانت لو حولت ساكني الآجام الى الفيافي وساكني السهل الى الجبل وساكني الجبال

الى البحار

الى البحار وساكني الخيم الى المدر لاذاب قلوبهم الهم ولاتى عليهم فرط النزاع وليس على ظهرها
انسان الا وهو معجب بصوته وكلامه ولولا ذلك لما تواكلوا ولتعاونوا ولكن كل انسان
وان كان يرى ان له حسادا فغيرهم يانفون من صناعته وعمله وكل من يرى انه حاسد
فهو يرى انه محسود في شيء آخر ولولا اختلاف الناس في الاسباب وارتهانهم بالعلل
لما زين لكل احد عمله ولما سهل عليه شغله فالحايك اذا راى تقصيرا من صاحبه او
سوء حذق او خرقا قال له يا حجام والحجام اذا راى مثل ذلك من صاحبه قال له يا حايك
ولولا اختلاف الاسباب في الخير والشر لتنازعوا بلدة واحدة واسما واحدا وكنية
واحدة فقد صاروا كما ترى مع اختيار الاسماء المختلفة الى الاسماء القبيحة والالقاب
السمجة والاسماء مبذولة والصناعات مباحة والمتاجر مطلقة ووجوه الطرق مخلاة
لكنها مطلقة في الظاهر ومقسمة في الباطن وان كانوا لا يشعرون بالذي دبر الحكيم في
ذلك من المصلحة فسبحان من حبب الى واحد ان يسمي ابنه محمدا وحبب الى الاخر ان يسميه شيطانا
وحبب الى الاخر ان يسمي ابنه سعيدا والى الاخر ان يسميه حمارا او كلبا والى قوم ان يسموا
اولادهم فضلا او طاهرا او بشرا ويسمي قوم آخرون ابناءهم عكرشة وجندلة وحنظلة وبغيضا
وعجلان وغضبان وحجرا وكليبا وذيبا لان الناس لو لم يخالفوا في الاسماء والكنى لجاز
ان يجمعوا على شيء واحد وكان في ذلك بطلان المعاملات وفساد العقل لانك اذا رايت
الوانهم وشمائلهم واختلاف صورهم وسمعت لغاتهم ونغماتهم علمت ان طبايعهم المحجوبة الباطنة
على حسب صورهم الظاهرة وبعض الناس وان كانوا مسخرين للحياكة فليس بهم الكمال وفي بعضهم
الكمال وقد يسخر الله الملك لقوم باسباب قديمة وحديثة فلا يزال ذلك الملك مقصورا عليهم
ما دامت تلك الاسباب قائمة فليس اذا كانوا مسخرين للملك وكان الناس لهم مسخرين فلا بد من
ان يكونوا في كل حال مسخرين للجبرية والنخوة والفظاظة والقسوة ولطول الحجاب والاستيثار
وسوء اللقاء والتصنع وقد يكون الانسان مسخرا لامر ومخيرا في آخر ولولا الامر والنهي لجاز
التسخير في دقيق الامر وجليله وخفيه وظاهره لان الناس انما سخروا لارادة العائدة عليهم
والنظام لهم وان تتم النعمة عليهم ولم يسخروا للمعصية كما لم يسخروا للمفسدة وقد تستوي الاسباب
في مواضع وتتفاوت في مواضع كل ذلك ليجمع الله لهم مصالح الدنيا ومراتب الدين الا ترى
انه لم يبع احد قط سلعة بدرهم الا وهو يرى ان ذلك الدرهم خير له من سلعته وعلى العكس ولو
كان صاحب السلعة يرى في سلعته ما يرى فيها صاحب الدرهم وعلى العكس لما اتفق بينهما
شرى ولا بيع ابدا فسبحان من حبب الينا ما في ايدي غيرنا وحبب الى غيرنا ما في ايدينا

ليقع التمانع فيقع التراجع فتتم المعايش ومثل هذا كثير والعلم به قليل وقال بعض البلغاء في
نحو هذا القول لان اكثر نعم الله على الناس وان كانت مرتبة بمن نظر من عين وتعبر من قلب
من سوادهم الاعظم الذي فيه الكثرة والغرر انما لغلط حس او غلط اعتقاد او منازعة نفس
من شانهما ان تستولي على اباطيل الاهواء فيركبهما وتستصعب حقائق الاشياء فيتبولعنها ولا
يبين حسنها الا لمن ثبتت معرفته وتهذبت قريحته وكان رجوعا الى العقل ومسكة وتدبير
وحكمة فذلك ان احدهم لا يعتد من مواهب الله له الا بما خصه في نفسه دون ما اعطاه مع غيره
فان بلغ من الحظ ارادة ابتهج واغتبط وان قصر به عنها قنط وسخط وهو لا ينتفع بما تفرد به
من بحبوحة السعة الا بان يطمئن به ويتنعم بقدم الامن والدعة وتكون الايدي عن اغتصابه
مقبوضة والاعين عن منافسته مغضوضة ولو اوصل هذا الى امله كله لاطرد
الحكم لغيره في مثله فعاد التكافؤ في اتساع الاحوال بضد المراد بها والمستفاد منها
من ضنك المعيشة وعدم الرفاهة وشمول البؤس وحلول الضر ولم يحمل بعض الناس كل
بعض ولم يجمعوا على نظام فمن حيث خولف بينهم ذلك الخلاف ائتلفوا منه الائتلاف
فصارت الخلائق طبقة من طبقاتهم منزلة يقف عندها وصناعة ينتحلها فسدوا الخلل وعدلوا
الميل وترافدوا بايديهم وتعاونوا على مساعيهم وتشاوروا مع تباين تلك المنازل بهم في منزلة
القصور والفاقة ولجاوا الى ظل المسالمة والموادعة وذل الاخفض للاعلى طلب المنافع
بلغ وحبا الاعلى على الاخفض ضرورة الى خدمته واقتضى ذلك ان يكون منهم ملوك تحمي
الذمار وسوقة يلتئم بهم الشمل فاستقر بكل حرفة بمكانها فالملوك في الامر والنهي والحماية
والذب والوزراء في التدبير وجمع الفيء والكتاب في حفظ الدواوين وتشييد الكتابات
والعمال في عمارة البلاد والاستعداد للارتفاع والجند في سد الثغور وجهاد العدو
والقضاة في اقامة ميزان القسط وتنفيذ احكام الدين والتجار في التجهيز والجلب والعوام
في المهن والحرف ولا يزال كل منهم مستعينا بغيره وقيمة الى من سواه مصعودا من ادناهم الى
اعلاهم واعظاما من اعلاهم الى ادناهم حتى اطرد هذا العالم على ما هو عليه من ارتباط انعامه
واحراسه واحكام وضعه وبنائه وهنالك بيان ان رحمة الله في هذا التقدير الحكيم والتدبير
المستقيم نزلت على سبيل العموم ووصلت الى الجمهور فاخذ الناس منها باقساطهم وصار
تامه من حيث نظر الجاهل المفضول في الحظ انها ناقصة وما نقصانها الا فيما كان
اشتهاه ونازعته اليه هواه وقال بعض الحكماء قولا مغنيا في علة وجود الشر في هذا
العالم فانه لم يكن الامر كله خيرا محضا بان الشر بالذات العدم ولا كل عدم بل عدم مقتضى

طباع

طباع الشيء من الكمالات الثابتة لنوعه وطبيعته والشر بالعرض هو المعدم او الحابس الكمال عن
مستحقه وكل شيء وجوده على كماله الاقصى وليس فيه ما بالقوة فلا يلحقه شر وانما يلحق
الشر ما في طباعه ما بالقوة وذلك لاجل المادة والشر يلحق المادة لامر اولي يعرض لها
في نفسه ولامر طارئ وجميع سبب الشر انما يوجد فيما تحت فلك
القمر طفيفا بالقياس الى سائر الوجود فان الشر انما يصيب اشخاصا وفي اوقات والانواع
محفوظة ومع هذا فان وجود الشر في الاشياء ضرورة تابعة للحاجة الى الخير فان هذه
العناصر لو لم تكن بحيث تتضاد وتنفعل عن الغالب لم يمكن ان تكون عنها هذه الانواع الشريفة
فاذا وجب ضرورة ان يكون الخير الممكن في هذه الاشياء انما يكون خيرا بعد ان يمكن وقوع
مثل هذا الشر عنه ومفيض الخير لا ينبغي له ان يترك الخير الغالب لشر منه فيكون تركه شرا
من ذلك الشر وطينا انما يؤثر العاقل الاحتراق بالنار بشرط ان يسلم منها حيا على الموت بلا الم
والشر يقال على وجوه يقال شر للافعال المذمومة ويقال شر لمباديها من الاخلاق
يقال شر للالام والغموم وما يشبههما ويقال الشر لنقصان كل شيء عن كماله وفقدانه ما
من شانه ان يكون له فهذه اقسام الشر الاربعة التي لا يخرج شيء منه عنها وان نجد شيئا مما
يقال له شر من الافعال الا وهو كمال للسبب الفاعل له وعسى انما هو شر بالقياس الى السبب
القابل له او بالقياس الى فاعل آخر يمنع عن فعله في تلك المادة التي هو اولى بها من هذا الفعل
فالظلم يصدر مثلا عن قوة طلابة للغلبة وهي الغضبية والغلبة هي كمالها ولذلك خلقت من
حيث هي غضبية اعني خلقت لتكون متوجهة للغلبة تطلبها وتفرح بها فهذا الفعل بالقياس
اليها خير لها وان ضعفت عنه فهو بالقياس اليها شر لها فانما هي شر للمظلوم او للنفس
النطقية التي كمالها كسر هذه القوة والاستيلاء عليها وعلى هذا الاحراق كمال للنار واذى
الخير اما لما كان انه من هذه الاشياء ارادة اولية على الوجه الذي يصلح ان يقال ان الله يريد
الاشياء ويريد الشر ايضا على الوجه الذي بالعرض اذ علم انه يكون ضرورة فلم يعبا به فالخير
مقتضى بالذات والشر مقتضى بالعرض وكل بقدر وكذلك لو لم يكن فيهم لم يكن احد منهم باصبر
يحطب ويسعى في شان ولولا الالم لكان بعض الاسباب المفسدة المهلكة مثلا كالنار في
احراقها اصيب عضوا من اعضاء الحيوان وهو في غفلة او نوم فلا يشعر به حتى تاتي على عامة
اعضائه تبين ذلك ان الامور في الوهم اما امور اذا توهمت موجودة يمتنع وجودها الا ان يكون
الا شرا على الاطلاق واما امور وجودها يوجب ان تكون خيرا ويمتنع ان تكون شرورا وناقصة
واما امور يغلب فيها الخيرية واما امور يغلب فيها الشرية هي اقسام الامور الاربعة الصحيحة

فاما ما الاشر فيه فقد وجد في العالم بلا خلاف واما ما كان كله شرا او الغالب شرا فلم يوجد
البتة واما الذي الغالب في وجوده الخير فالاحرى به ان يوجد اذ كان الاغلب فيه الخير فان
اعترض فدفع الشبهة انه لم يمنع الشر بتة عنه اصلا حتى يكون كله خيرا فلعلها انما حينئذ لم يكن هي
هي اذ قلنا ان وجود هذا الوجود الذي يستحيل ان يكون بحيث لا يعرض عنها شر فاذا صيرت بحيث لا
يعرض عنها شر فلا يكون وجود هذا الوجود الذي طلب بل يكون وجود اشياء اخرى غيرها وهي حاصلة
اعني ما خلق بحيث لا يلزمه الشر ومثال ذلك ما ذكرنا فيما تقدم ان النار اذا كان وجودها
ان تكون محرقة ووجود المحرق هو انه اذا مس ردا او رجل شريف احرقه واذا كان وجود ردا الثوب
قابل للاحراق وكان وجود كل واحد منهما ان يعرض له حركات شتى وكان وجود الحركات المختلفة
في الاشياء على هذه الصفة وجود ما يعرض له الالتقاء وكان وجود الالتقاء بين الفاعل والمنفعل
بالطبع وجودا يلزمه الفعل والانفعال فان لم يكن الثوب فلم يكن الاوائل في الاشياء اتمام
فيها القوى الفعالة والمنفعلة السماوية والارضية بحيث تؤدي الى النظام الكلي مع استحالة ان
يكون هي على ما هي عليه ولا تؤدي الى شرور فيلزم من احوال العالم بعضها بالقياس الى بعض ان يحدث
في نفس صورة اعتقاد ردي او كفر او شر آخر في نفس او بدن بحيث لو لم يكن كذلك لم يكن
النظام الكلي قد يعني باللوازم الفاسدة التي تعرض بالضرورة وقيل خلقت هؤلاء للنار ولا
ابالي وخلقت هؤلاء للجنة ولا ابالي وروي عبد الله بن العباس قال سالت رسول الله صلعم وانا
رديفه في بعض ركباته اعمل على امر قد فرغ منه او ان استانف العمل فقال على امر قد فرغ منه
فان كلا ميسر لما خلق له من خلق للجنة يسر بعمل اهل الجنة ومن خلق للنار يسر بعمل اهل
النار وروي انه عليه السلام قال لعبد الله رض في مثل تلك الحال يا غلام اتق الله تجده امامك
يا غلام اتق الله تجده من ورائك يا غلام اتق الله لا تخش غيره ولا ترج سواه فلو اجتمع لك اهل الارض
الدنيا ان ينالوك بغير ما كتب لك من خير او شر لم يقدروا عليه وقد لخص بعض العلماء هذه المعاني
تلخيصا بينا يغني عن طول الخبط المتكلمين قال لا احد يطلق القول بان الله يفعل الشر
المطلق والفساد المحض لكن القائلين ان في العالم ما هو شر وفساد على الاطلاق قد افترقوا
فرقتين قالت احديهما بان وجود عامة ما يظهر فيهما من الشهوة من فعل الظلمة او فعل اهرمن
كما ذهبت اليه المجوس والثنوية وقالت الاخرى انهما من افعال الثقلين الجن والانس كما قالت
القدرية فاما ما عدا هؤلاء من فرق الاسلام فانهم مع قولهم بان في العالم ما هو خير مطلق
وصلاح مطلق وهو السعادة العظمى والمنزلة الرفيعة عند الله تعالى فانهم مع تعقدون
ان عامة ما يوصف بالشر والفساد فانها ليست شرورا مطلقة بل بالاضافة لا بالذات

وبالمناسبة

وبالمناسبة لاهل الاطلاق فيكون شرا او فسادا فمهما استعمل الا في موضعه ولا في حينه ولا
على هيئته ولا للغرض المطلوب منه فيكون شرا على هذه الاوجه الاربعة فاما ان يوجد شيء
هو بذاته شر فكلا اذ تكون الاشياء الموجودة اما خيرا محضا لا يشوبه شر اصلا كنحو طاعة
الله وشكر نعمه وطلب الزلفى اليه والرفعة لديه واما ان تكون مهما استعمل على جهة ما او فق
مراد اما كان خيرا ام هو بعينه شر مهما استعمل على غير تلك الجهة والمقصود نحو المال والشجاعة
والنظر والقوة وساير الاعمال الصناعية فعند ذلك قالت المجوس والثنوية واصناف القدرية
ان الكفر والفساد والضلال شر مطلق تعالى الله عن ان يفعله او يريده او يقضي به حتى قالت
القدرية في قوله تعالى يضل من يشاء ويهدي من يشاء انه اما ان يكون تسميته ضالا
او يصادفه ضالا او يخلي بينه وبين ما يؤثره من الضلال او يضله في الآخرة عن طريق
الجنة واما الطوايف الباقون ان يكون في موجودات العالم شر محض او فساد بحت
فانهم يطلقون القول باضلال الله بعض الخلق ويذهبون في ذلك الى ان الله عز اسمه لو لم يضل
عبده في بعض ما يتعاطاه من مكاسبه ومطالبه لما انتبه العبد على نقصان حيلته ولما
وقف على ضعف طلبه وانه مكان على ما يتيسر له وموقوف فيما يقع عليه نحو اذا قد يضله
في بعض المصادر ويحيره في بعضها العلم باليقين انه عبد مدبر ناقص ضعيف فيتبرأ
من حول نفسه وقوتها ويعتصم بحول مولاه وبقوته فيصير الاعتصام به ذريعة له الى
الهداية المطلقة التي لا يرد عليها التبدل اصلا كما قال جل وعز ومن يعتصم بالله فقد هدي
الى صراط مستقيم ومثل هذه الحال ايضا احواله في الافتقار والاغناء والتعويق والانجاز
والتوفيق والخذلان والتصحيح والامراض بل في جميع ما يعرض له في التدابير من الاصابة و
الخطأ والاخفاق والانجاح فيمتحن عباده بكل واحد من المتضادين منها للمصير تعالى بهما
عليه بغير استطاعة منبهة لعقله على انه لا حول ولا قوة الا بالواحد الاحد القديم الصمد الحق
الذي له الخلق والامر فكلما نادى العبد على الاطراد الادعا الحول والقوة لنفسه فترك الاعتصام
فيهما بخالقه فانه يزداد في شقوته ضلالا وعن مولاه بعدا وحجابا فاذا الاضلال الموجود عن
الخير والمحق في هذا العالم من تمام شرايط الامتحان للخلق وليس هو بشر محض والاضلال في
الدار الاخرة المذكور يحق له تعالى وكذلك يضل الله الكافرين فهو من تمام حكم السياسة وحمل
على الاستقامة وليس بمعدود من ادلة الشرارة ونعوذ بالله من عذابه وصارة الى عفو
الله ارحم الراحمين وعلى هذا الحكم المقرر في صحة الابتلاء والتكليف من امتزاج الشر بالخير
واتصال النفع بالضر ليسفر صبح الخير على الخلوص لعامة الناس على الحقيقة وترى احوالهم فيه

مختلفة في غاية الاختلاف فمنهم من يفعل الخير وعنده انه فاعل شر او على العكس ومنهم من يفعل فعلا
يكون منه خيرا او لو فعله غيره كان منه شرا او على العكس ومنهم من يرى الخير ما عاد بصلاح امره
وان عاد بالضرر على غيره وهم الاكثرون وعلى العكس وان قلوا وفازوا باشرف الاخلاق واكرم
الاعلاق وبعدوا عن الحسد لانه بعد ضده وفوق كل ضد اذ كان الحسد هو مطالبة النفس
بانتقال النفع الواصل الى غيره اليه وشهوة النفس للعفو بيده دون غيره حتى ان الحاسد لا يرضى الا
بسلب المحسود من نعمه والمؤثر على نفسه بادخال المشقة عليها النفع غيره قد سلب نفسه نفعها او
اوصله الى غيره وفيه مع ذلك ايضا مخالفة العادة والنفس الامارة بالسوء المرتبة التي الشر ادته
الى الشر المحرضة على البغي وان كل احد يحب من الخير لنفسه ما هو لغيره فاذا جعل لغيره ما
لنفسه فقد رفض العادة ونقضها وخفض اعلام النفس وقرضها او قد عدمت من عهد الجاهلية
الجهلاء الى اليوم حديث كعب بن مامة وضرب بكرمه وجوده المثل وكان كعب مع جماعة في
فلاة فقل الماء فكانوا يقتسمون الماء بقعب ليتساووا في شربه فلما وصل القعب اليه لشرب
نظر واحد منهم فقال كعب للساقي اعط اخاك النميري يصطبح فاعطاه فلما كان من الغد بلغ
القعب اليه فتشوف النميري فقال كعب للساقي اعط النميري وبات على غاية العطش فلما كان
في اليوم الثالث حملوه الى الشريعة فنادوه رد يا كعب فعجز كوم فاذا هو مات ويحكى ان
رجلين انكسر بهما السفينة فتعلقا بساجة لا تسعهما فقال احدهما للآخر الك اهل فقال
نعم والد ووالدة وزوجة فقال انت احق بالسلامة مني وخلى عن الخشبة وغرق ولما سعى
غلام الخليل بالصوفية الى الخليفة امر بضرب اعناقهم فبسط النطع فتقدم النوري فقال اما
تدري الى ما تبادر فقال نعم قال وما العجلة فقال اوثر اصحابي بحيوة ساعة فانهى الخبر
الى الخليفة ورجع الامر بردهم الى القاضي على عهد طاهر في التعرف فسرد النوري على
القاضي من رائع كلامه ما ابكاه واشجاه فقال ان كان هؤلاء زنادقة فما على وجه الارض
مسلم ويحكى بعض الفقراء قال كنت سنة الحج مع الناس وكنت اطوف بين الحجيج فرأيت
ابا محمد الجريري وكان قد نيف على المائة فقلت يا شيخ الا تدعو فيكشف ما نرى قال
قد قلت فقال اني افعل ما انا فاعل فدعوت فقال يا اخي ليس هذا وقت الدعاء هذا
وقت الرضا فقلت الك حاجة قال انا عطشان فجئته بماء فاخذه واراد ان يشرب
فنظر الي وقال هؤلاء عطاش وانا اشرب فعز عليه الماء ومات من ساعته وحدث
حذيفة العدوي قال انطلقت يوم اليرموك اطلب ابن عم لي ومعي شيء من ماء فاذا رجل
يقول آه آه فاشار ابن عمي انطلق اليه فجئته فاذا هو ميت ثم رجعت الى هشام فاذا

هشام قد مات فرجعت بالماء الى ابن عمي فاذا هو قد مات ومن كرائم الافعال في هذا الباب
ما حدث الواقدي قال اظلني شهر رمضان ولا نفقة فكتبت الى بعض العلوية اقترض منه
الف درهم فانفذ الي كيسا مختوما فاذا هو بخاتمه حتى كتب الي صديق لي يسالني نفقة لشهر
رمضان فانفذت اليه الكيس بختمه فلما مضت ساعة فاذا انا بالصديق والعلوي قد طلعا علي
فاتاني العلوي من حالي دون الكيس فقلت صرفته في بعض المهمات فضحك واخرج الكيس وقال
لما انفذته اليك لم يكن بيدي معي شيء فاستسعفت صديقي هذا فانفذ الي كيسا فحمله الي
فعجبنا كلنا من ذلك فقال العلوي الوجه ان نقسمها بيننا فان الله ياتي بالفرج قبل انفاقها
وانفادها قال الواقدي فانفقت ما خصني وبقيته مهموما فاستدعاني خالد بن برمك
وقال لي رايتك في النوم على حال تفكر واهتمام فاشرح لي امرك فشرحت القصة وما
كان منا في امر الكيس فقال لا ادري ايكم اكرم وامر لي بثلثين الف درهم ولابي القضا
وامر للعلوي وللصديق بعشرين الف درهم ويحكى ان عبد الله بن جعفر خرج الى ضيعة له
فنزل على نخيل قوم مجتازا وفيها غلام اسود يعمل فيها اذ اتى الغلام بقوته ودخل
كلب الحايط ودنا من الغلام على رايحة الطعام فرمى اليه بقرص فاكله ثم رمى اليه الثاني
والثالث وعبد الله ينظر فقال للغلام كم قوتك كل يوم قال ما رايت قال فلم آثرت
هذا الكلب قال ما هي بارض كلاب انه جاء من مسافة جايعا وكرهت رده واجبت قراه
قال فما انت صانع اليوم قال اطوي يومي قال عبد الله الام على السخاء ان هذا الاسخى مني
آثر كلبا على قوت نفسه وحاجة يومه ثم اشترى الحايط والغلام وما فيهما من الالات
فاعتق الغلام ووهبها منه ويحكى الفضيل بن عياض انه جاء رجل بغزل فباعه بدرهم
اشترى به دقيقا فمر على رجلين كل واحد منهما آخذ براس صاحبه فقال ما هؤلاء فقيل
يختصمون في درهم فاعطاهم ذلك وليس له شيء غيره ورجع الى امراته فاخبرها الخبر فقامت
فجمعت شيئا آخر فذهب يبيعه فكسد عليه فمر على رجل معه سمكة قد اراحت فقال له ان
معك شيئا قد كسد ومعي شيء قد كسد فهل لك ان تبيعني هذا بهذا فقال نعم فاخذ سمكته
وذهب بها الى البيت فقامت المراة تصلحها فوجدت في جوفها لؤلؤة فقالت اتعرف
اللؤلؤ قال لا ولكني اعرف من يعرفه فانطلق بها الى صاحب اللؤلؤ فقال له مرحبا يا فلان
ومن اين لك هذه فاخبره بقصتها من اولها الى آخرها فقال الك بها اربعون الفا ولكن
تثبت فاذهب بها الى فلان فانه اكثر لها ثمنا مني فذهب بها اليه فقال لك بها مائة
وعشرون الفا ولا ارى احدا يزيد علي وقال فاحمل مالك فجاء حمال اثنا عشر بدرة

صح

الف

وذهب بالمال الى منزله ليضعه فاذا هو رجل على الباب فقير فقال هذا فتحي الي كنت
عليها ادخل فخذ نصف ما معي فاعطاه فتبدد فيها فاستوى الفا فحملها ثم ما لبث
قليلا ثم رجع اليه فقال اما انا بمسكين ولا فقير ارسلني اليك ربك الذي اعطاك بالدرهم
عشرين فاما هذا الذي اعطاك فخذ واحدة ودخولك تسعة عشر فبها اجرك الله
على ما كان منك في فعل الخير وايثار البر **وجاء في بعض الاحاديث** حديث عجيب في
مثل ما نحن فيه كان النبي صلى الله عليه وسلم يوما من الايام في اصحابه فقال له عبد الله
بن سلام يا نبي الله بابي انت وامي الا احدثك بحديث كان في بني اسرائيل عجيب من العجائب
فقال عليه السلام حدثني فقال خرج حمير بن عبد الله متصيدا فلما اقفر به الارض فاذا
هو بحية قد انسابت بين قوائم دابته حتى قامت على ذنبها ثم انطقها الله الذي انطق
كل شيء فقالت يا حمير اغثني اظلك الله في ظله يوم لا ظل الا ظله فقال لها حمير ممن
قالت من عدو يريد ان يقطعني اربا اربا بسيفه فقال لها حمير فاين اجعلك قالت في
فيك ففتح لها حمير فاه فانسابت في فيه حتى وصلت الى جوفه واقبل رجل شاهرا سيفه
بيمينه فقال يا حمير ما فعلت الحية التي انا اخبت بكفك قال ما ارى شيئا قال كبرت
كلمة تخرج من فيك التي تقول لهذا فقال حمير اللهم غفرا ما جاء منك اعظم والله لو
كان تحت قدمي ما نحيتها عنها فامض لشانك فولى الرجل ونادى الحية من جوفه
يا حمير ما فعل الرجل ايقع طرفك عليه قال لا قد مضى فراغك قالت والله لقد جعلت
جوفك لي وعاء وامنتني من عدوي فاختر مني خصلة من اثنتين اما ان انكت قلبك
فاتركك ذميما واما ان افرث كبدك فالقيها قطعا قطعا من اسفلك فقال
لها بيني والله ما جازيتني اذ جعلت جوفي لك وعاء وامنتك من عدوك قالت يا جاهل
لقد علمت عداوتي لابيك آدم حين اخرجته من الجنة فقال لها حمير اردت بذلك
وجه الاجل الاعز قالت اختر احدى الخصلتين ان لها بد لا بد لك منهما قال اما اذ عزمت
على هذا فدعيني حتى اتي الى هذا الجبل فاستظل بظله فهو اسير لي قالت ذلك لك
فولى حمير فلما انتهى الى الجبل اذا هو بفتى كان وجهه دارة القمر ليلة البدر فقال له
يا حمير ما لي اراك مذعورا قليل الحيلة قال من عدو جعلت جوفي له وعاء وامنته من
عدوه حتى اذا امن زعم انه يعقبني وان ينكت قلبي او يفرث كبدي وليس لي به حيلة
ولا طاقة فقال له الفتى يا حمير اتاك الغوث من خالق الذي يقضي في ملكه فناوله
قطعة فاكلها فوجد لذلك اختلاجا في جوفه ثم اعطاه اخرى فاكلها فوجد مغصا في جوفه

ثم اعطاه اخرى فرمى بالحية قطعا قطعا من اسفله فقال له حمير بالله ابوك من انت فقال
او ما تعرفني قال لا قال ملك في الدنيا اسمي معروف هكذا افعل من يفعل الخير لوجه الله
فان الخير لك من عدوك واعقبك عقبى الصالحين **واذ ذكرنا** ما حضرنا من احوال النفر
عالية في الخير الى الفصوح جاهاتها وما نالت بها من او في شي باتيها فلنرجع الى ما كنا فيه
من خصايص الخير واوصافها واقاماتها واعراض وجودها فمن خصايص الخير انه فضيلة ووسط
وحقوقا ثابت فكان واحدا والشر باطل وطرف فكان اكثر من واحد ومن الصعب اصابة النهج
الواحد الوسط الذي يكتنفه طرفان معروضان لا يتناهيان ومعرض دون الطريق
جهات من جوانبه ضادة عنه لا تنقطع وقد صدق **من قال**

الخير يمنع قلة من قلة الجبل المنيع ⁂ والشر اسرع جرية من الماء التربيعه

وقال آخر تولت بهجة الدنيا فكل جديدها خلق ⁂ وشاع الشر في الدنيا فلا ادري بما اثق

كان معالم الخيرات سدت دونها الطرق ⁂ وامر الشر يتسق وامر الخير يمحق

وقال آخر وما الدهر الا شر قبل خيره ⁂ ولذات عيش غالبتها الفجايع

فتغتر بايام المسرة ضاحك ⁂ وطرف بايام الحوادث دامع

ومن آفة الخير انقضاؤه وكثيرا الى الشر كما قيل

لا تامنوا من بعد خير شرا ⁂ كم غصن اخضر صار جمرا

احسنت ظنك بالايام اذ حسنت ⁂ ولم تخف غب ما ياتي به القدر

وسالمتك الليالي فاغتررت بها ⁂ وعند صفو الليالي يحدث الكدر

بل من آفة الخير لحاق الآفات بعامة الخيرات فلا يكاد على خير من شر يطيف به ويلم
بجوانبه **كما قال علي** ع ما اعجب امر الانسان ان سنح له الرجا اذله الطمع وان هاج به الطمع اهلكه
الحرص وان ملكه اليأس قتله الاسف وان عرض له الغضب اشتد به الغيظ وان اسعد فهو
التحفظ وان ناله الخوف حيره الحذر وان اتسع له الامن استلبته العزة وان جددت له
النعمة اخذته العزة وان اصابته مصيبة فضحه الجزع وان افاد مالا اطغاه الغنى وان عضته
فاقة شغله البلا وان اجهده الجوع قعد به الضعف وان افرط في الشبع كظته البطنة فكل
تقصير به مضر وكل افراط له مفسد وكل خير معه شر وكل شي له آفة **وقال بعضهم** العلم
آفة المروة الكبر وعنوان السخو وآفة العلم النسيان وآفة الشرف دنيه وآفة اللب العجب
الذل وتجربة اللئيم وآفة الجود السرف والاقتار وآفة القصد البخل وضيق الصدر وآفة
المنطق الفحش والهذر وآفة اللب العجب وآفة الظرف الصلف وآفة الحيا الضعف والرقة

وآفة الجلد الكسل وآفة الرزانة الانقباض وآفة الصمت العي ومما يروى عن المسيح عم انه قال
في المال ثلاث آفات قالوا وما هي قالوا يكتسب من غير حله قالوا فان كسبه من حله قال يمنعه
من حقه قالوا فان وضعه في حقه قال يشغله اصلاحه عن امر آخرته وقال بعض البلغاء ان
آفة العلم خيانة الوراقين وتخلف المتعلمين كما ان من آفات الدين فسق المتكلمين وجهل المتعبدين
وكما ان من آفات الدنيا كثرة العامة وقلة الخاصة وكما ان من آفات الكرم ان الجود ضد المنع وان
البخل سبب الجمع وان المال في ايدي البخلاء دون ايدي الاسخياء وكما ان من آفات الحلم ان الحليم ينسب الى
الجبن وان السفيه منيع الحوزة وكما ان من آفات المال انك اذا صنته عرضته للفساد واذا
ابرزته عرضته للنفاد وكما ان من آفات الشكر انك ان قصرت عن غايته غششت من اصطنعك
واذا بلغتها او بلغت فيه اوهمت من يمدحك وكما ان من آفات الشراب انك اذا اقللت منه
حاربت شهوتك ولم تقض نهمتك وان استكثرت منه تعرضت للاثم والعار وابرزت صفحتك
للاثم والخمار وكما ان من آفات المماليك انك اذا بسطتهم افسدت آدابهم واذا اهنتهم واذا
بقصتهم افسدت وجوههم والوانهم وكما ان من آفات الاصدقاء انك اذا استقللت منهم لم يصلك
حاجتك منهم وان استكثرت منهم لم تملك مواجبهم وتثقل عليك نوائبهم وكثرت الاعداء من
الاصدقاء كما يكثب الداء من الغذاء وكما ان من آفات المغنين ان الوسط منهم عيب الطرب وان الحاذق
ليثني الادب فحدثنا وهو يدل على غلبة الشر وعموم الضر وكثرة الآفات في هذه الدنيا ويدعو
الى الصد عنها ومن شرورها والاقبال على الآخرة وطلب نعيمها الذي لا يشوبه كدر ولا يبتغى
غير قال ومن نكد الشر انك ما نازعته الا ازداد وما حاولته الا استشرى ومنه قيل دع الشر
يعبر ويحكى ان عبد الملك بن مروان قال لعبيد الله بن ابي مروة ما كدت انام في الليلة التي قتل
في صبيحتها مصعب من كثرة ما كان يرد علينا من كتب اصحابك يلتمسون الامان قال افعم قد قال
نعم قال فما الكتب عندك قال نعم قال فاحضرنيها فانصرفت معموما خائفا من ان اوقع بقوم
من المؤمنين واعرضهم للقتل ولم اجد بدا من حملها فحملتها وانا استخير الله واسئله ان يكفي
شرها ودخلت عليه بها وبين يديه كانون نار فسلمت واظهرت الكتب فقال اطرحها في
الكانون ثم قال يا عبيد الله اني فكرت في اصحابنا فعلمت انا ان قتلتهم افسدت قلوب عشائرهم
وهم جندي واصحابي وان ابقيتهم عليها ولم اقتلهم اوغرت صدورهم صدري ولم آمنهم ولم
يامنوني فرأيت اجتلاب الخير من ترك تتبع الشر والناس مختلفون في فعل الخير والشر على اربع
فرق فمنهم من يطوي باطنه وظاهره على الخير وهذه حال اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين
بايعوه تحت الشجرة كما اخبر الله تعالى عن حالهم فقال فعلم ما في قلوبهم فانزل السكينة عليهم ومنهم من يطوي

باطنه وظاهره على الشر وهذه كانت صفة طائفة من اهل الكتاب كما حكى الله عنهم بقوله
فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين ومنهم من ابدى ظاهره الخير واضمر باطنه
الشر فيكون صاحبه مجمع فرق الشرور وملتقى طرق الفساد وهذه كانت حال المنافقين وهو انما
يكون من نتائج الدخلة الخبيثة الصادرة عن الدهاء المذموم المصاحبة للغضب المفرط
والحقد المسرف وفي الحديث اشد الناس عذابا يوم القيمة من يرى الناس ان فيه خيرا ولا خير فيه ومنهم
من يبدي لكل ناظر ظاهر الشر في الحدة والاستطالة والتسحب بالكلام ويرجع في باطنه الى قلب سليم
منطو على الخير وذلك من غلبة الصفراء على مزاجه وفي الحديث [illegible] على اثر خيار امتي
احداؤها قال عم الحدة تعتري خيار امتي ونحن مع طول معاشرتنا لطبقات الاماثل ومعاشرتنا
كل قوم من الاماثل لم نبصر فيهم اجمع لخصال الفريق الاول من الفرق الاربعة كاخواننا الكرام
ممن نذكر بصفته لا بتسميته لاختصاص كل واحد منهم بهذه الاوصاف التي اشتهر بها وانتشر
منه ولكراهية منا ان نذكره على التعيين في هذا الوصف الكريم الذي يجل عن القياس ويعظم
عن اوصاف الناس وهو ان كل موصوف بالخير اذا كثر الخوض في صفته وصرح بيانه عن الصفة وزاد
صفته على العيان غير هؤلاء فان الذين قصرت الصفة في كل خير من انواع الخيرات عن وصفهم
وزاد العيان على خبرهم علما يجلي عن شرفهم وابائهم وفصاحة تقدم اقدامهم على مراتب نظرائهم
وعذوبة خلق يبذل اللداد سلامته وطيب منطق يكسو الهواء لطافته الى غير ذلك من تمام الوفاء
وكرم الحياء وشرف المروة وصدق الفتوة ونظرة السن والشباب وتقابة الرسوم والاداب والتحلي
من كل فضيلة بحقيقتها والتخلي عن كل رذيلة ولو بالمجاز عنها والى الله اصدق الرغبة في ان يديم
رونق العلم وتاريخ الفضل وجمال العصر بايامهم وان يجري على ظلهم [illegible] وقد طال الذيل
هذا المجلس وحق ان يطوى بساطه ولكنا نختمه ببعض ما يحكى مما يصد عن الشر ويصرف عن عمل
السوء من مكاره لحقت اهله واستلمهم بجميع جزائه ودرعي فضائحه كما اصاب شيرويه بن كسرى فانه
قتل اباه وعاش بعده ستة اشهر ثم هلك بغتة ولم يتم اتخذه ابوه له وكتب على الظرف الذي جعله
فيه هذا دواء للباه وكذلك المنتصر قتل اباه المتوكل فعاش بعده ايضا ستة اشهر وكان يقول
في آخر ايامه عاجلت فعوجلت ومن النوادر في هذا الباب في وجوب الجزاء ما يحكى في سبب موته
من قصد بعض الاطباء اياه بمبضع مسموم وكان ذلك من سبيل الاتراك فلما كان في ايام المعتضد
احتاج ذلك الطبيب الى الفصد فحمل اليه ذلك المبضع وهو لا يعلم فقصد به فمات ومما نقله عيسى
بن فرخانشاه وزارة المغربي بالله فقصد ابا العلاء بن محمد غاسل ارسلته لعداوة بينهما شديدة
فوجد العلاء الى الوزير بمال كثير واستماله وحرضه على عيسى فاستنا الوزير في افساد امر عيسى عند

المعتز وضرب عليه الحوالي فضرب عيسى قوما فحدثوا بان المؤيد والموفق وهما اخوان لاب وام
قد اجمعا على الفتك بالمعتز حتى تتم الخلافة للمؤيد ويولي عهده اخاه الموفق فبلغ المعتز
والقاه الى عيسى فحققه فاخذهما المعتز فحبسهما في الجوسق وطالب المؤيد بان يخلع نفسه من
العهد فابى فضرب اربعين مقرعة فاجاب واشهد على نفسه بذلك ثم ذكرت حبشي امراة من الاتراك
لخانت الى محمد بن راشد المغربي فاعلمته ان الاتراك قد اجمعوا على اخراج المؤيد من حبسه والبيعة له
فانهاه محمد الى المعتز ومولاه عيسى فلما كان يوم الخميس اخر رجب سنة اثنين وخمسين ومائتين اخرج
المؤيد ميتا ووضع في بيت بناه المعتز في الجوسق في الصحن الكامل واحضر القضاة والفقها
حتى راوه ولا اثر به فيقال انه ادرج في لحاف سمور وسد عليه ثم خنقه المعتز الى ان مات ثم اتحق
ثم جمعه الى صحيحه كذا تزيل اتلك عن قريب فاخرج المعتز كذلك في اخر رجب سنة خمس وخمسين
ووضع في ذلك البيت بعينه وذلك على عهد المهتدي ثم لما بعض الاسنة حتى دعى القضاة والفقها
الى ذلك البيت فدخلوه فوجدوا المهتدي ميتا معه وذلك في ذلك البيت الذي كان فيه المعتز
ويحكى ان عبد الله بن حمدون كان بين يدي المتوكل فدخل عليه ابو العنبس ابنه وهو صبي فغمز المتوكل
على ابيه فصفعه فبكى لعبد الله بن حمدون فقال له المتوكل ما يبكيك كانك انفت من هذا وجزعت
مما لحقه لك به فقال لا والله يا امير المؤمنين ولكنه فعل بي ابني مثل ما فعلته بابي وذلك ان
حمدون ابي كان بين يدي المعتصم فدخلت وانا صبي فغمز علي فصفعته ففعل بي ابي في
هذه الدار في هذه الرواق على هذا المكان مثل ما فعلته بابي **وقال** محمد بن راشد لابي
سهل الرازي في ما يذكر ان الدول وتقلبها كنت منذ مدة مع ابي الشا في دهليز وزير من الوزرا
اذ دخل كاتب من الكتاب يجلس الى ثم شكا ذلك الى الوزير واستخفافه به ثم اذن لنا فدخلنا
جميعا على الوزير وهو في حجرة له قد اخذ من شعره والغلام ينزع عن صدره الشعر وينفضه عنه فلم
تمض الا ايام قلائل حتى صار ذلك الكاتب وزيرا فحضرت بابه واتي الى دهليزه اذ دخل الرجل الذي
كان وزيرا فجلس الي وشكا هذا الامر واستخفافه به ثم اذن لنا فدخلنا عليه فوجدناه في
حجرة له وقد اخذ من شعره على الصفة التي رايت عليها الاول فسالت عنهما فقال الاول محمد بن
احمد بن الخصيب والثاني ابو صالح عبد الله بن محمد بن مخلد قال الصولي لا اعرف خليفة فعل بين يدي خليفة ثم فعل ذلك
الخليفة بعينه بين يدي الاول الا ما كان من فعل المعتصم بابراهيم بن المهدي ثم فعل ابراهيم بالمعتصم **وحدث**
قال كان المعتصم في فتنة الامين يمضي الى علي بن الجنيد الاسكافي فيقيم عنده ولا يقصر علي في
خدمته واكرامه والنفقة وكان علي اكثر الناس مزاحا واحسنهم كلاما فاذاه المعتصم في شيء
فقال علي والله لا تفلح ابدا على المزح فحفظها المعتصم فلما دخل بغداد خليفة امر وصيفا

الفضل
باحضار علي فاحضره وكان عدوا للفضل بن مروان فقال له يا علي الذي افلح عند كسر
بن مروان وفضل المعتصم وكان يقول في ذلك اليوم اعتقدت ان انكب الفضل **ثم قال** يا علي انك
حيث وقفت لابراهيم المهدي بموضع الحجرة ثم انت فقبلت يده ثم ادنيت ابني هرون فقبل
يده وقلت عبدك هرون ابني فامر له بعشرة الاف درهم قال علي اذكر ذلك قال فانا رجل في
اليوم وقبل يدي في ذلك الموضع بعينه **ثم** قال في عبدك هبة الله ابني وادناه فقبل يدي
فامرت له بعشرة الاف درهم ولم تطب له نفسي بغيرها **فقال** بئس والله ما فعل امير المؤمنين
قال وكيف ويلك قال ابرهيم امر لهرون بعشرة الاف درهم وليس في يده الا بغداد وحدها
وفي يد امير المؤمنين المشرق والمغرب قال صدقت اعطوه عشرة الاف دينار ثم فرق
المعتصم في اهله الذين الف الف درهم **ومن عجيب ما جاء في تبدل الاحوال** ومكافاة الافعال
ما يحكى انه كان بمدينة السلام رجل ذو يسار فبينا هو ذات يوم في منزله وقد جلس ياكل
مع امراته وبين يديه سكباجة قد فاحت رائحتها اذ دنا سائل من الباب وكان ممن امتحن بنكبة
بعد نعمة فقال اطعموني من فضل ما رزقكم الله فقامت المراة وغرفت له من القدر واخذت
رغيفين لتناوله فلما راى الزوج ذلك حلف عليها الا تدفع اليه شيئا ونحى السائل خائبا
حزينا واستوفى الرجل طعامه وصعد السطح لبعض حوائجه فعثرت رجله فانكسر فسقط الى الارض
ووقص ومات وحازت المراة ميراثه وتصرفت فيه وفرقت شيئا من لباسه الرث في
المساكين فكان في جملتها مضربة خلقة وقعت الى هذا الرجل السائل فقبضها ليعملها
ويجعلها قميصا يلبسه فوجد فيها الف دينار فاخذها وغير حاله بها وضرب الدهر انت
على ذلك الايام فطلب امراة يتزوجها وقالت له بعض الدلالات ههنا امراة صالحة قد
ورثت فاتقول في مواصلتها فانعم لها فسعت الدلالة بينهما حتى اتفقا واجتمعا فلما
دخل بها اخذا ذات يوم فقالت المراة ما اشد ما مضى علي بابك يخدمها بوقوفه على باب
دار وحدثت امراة كانت تاكل مع زوجها **فقالت** المراة فاعلم ان هذه هي الدار التي وقفت عليها
وانا تلك المراة وان زوجي صعد في ذلك اليوم السطح فسقط ومات وقد اورثك الله ماله ومسكنه
وزوجته فسجد الرجل لله شاكرا وحدث لجوابه متعجبا **ومن عجيب هذا** ما كان من احراق ابن
مقلة دار سليمن بن الحسن بن وهب فاحرقت دار ابن مقلة في مثل ذلك اليوم من الشهر
وقتل عبيد الله بن زياد سيد الشهدا ابا عبد الله الحسين عليه السلام يوم عاشورا فقتله المختار
بن عبيد في ذلك اليوم من عاشورا القابل **فقال** الشعبي رايت في هذا القصر قصر الكوفة
راس الحسين بن علي عليهما السلام بين يدي عبيد الله بن زياد وراس عبيد الله بين يدي المختار

بن عبيد ورأس المختار بين يدي مصعب بن الزبير ورأس مصعب بين يدي عبد الملك بن مروان
ورايت عبد الملك بن مروان ليحط محله في هذا القصر وقيل له انك تبقى ما احتبست الماء
فجعل لا يشرب الا قوتا فلما طال ذلك عليه فرم الى الري من الماء وطلبه حتى تمنى الموت
وقال اسقوني فخي وان كان فيه نفسي فجي بماء فلم يلبث الا يسيرا حتى فاضت نفسه
وحدث ابو عبيدة من اخيه يزيد بن المثنى قال رايت خالد بن عبد الله القسري قد اخرج من دار
يوسف بن عمر الثقفي مقتولا بالحيرة ثم رايت يوسف قد اخرج من دار مسلمة بن عبد الملك مقتولا
ثم رايت دولة المروانية كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف وحدث ابو مهلب
الوزير قال خرجت مع جماعة في زورق بجدد الى البصرة فقيد بعض من في الزورق رجلا
منهم على طريق المداعبة ثم قصدنا فك القيد منه بكل وجه فلم يمكن فلما وصلنا الى
البصرة مضى احدنا الى الحداد ليفك عنه فسمعه صاحب مصلحة فصار مع الحداد حتى اخذ
الرجل فصرنا معه الى صاحب الشرطة فشهدنا بما شاهدنا من حاله وعرفناه ما كان من
مداعبتنا في ذلك فلم يسمع حتى جاء رجل واطلع في وجهه وقال فلان انت الذي قتلت اخي
وهربت واصعدت خلفك بجدد المحاضر وشهادات العدول والان قد وصلت واخرج
محاضر بقتله اخاه وقرروا فوقعا برجنا حتى قتل على المكان وحدث علي بن يحيى بن ابي
منصور عن بعض تجار البحر قال حملنا متاعا الى الصين من الابلة وكان قد اجتمع كاروان
فيه عشرة مراكب قال ونحن معاشر التجار اذا خرجنا للتجارة لحقنا الرجل الضعيف بالبضاعة
اليسيرة يطلب السلامة بمحاملهم ويبتاع لهم تجارة يربحون فيها فمنا من يجعل لنفسه في
الربح سهما ومنا من يجعل لله عز وجل ويطلب به البركة فبينا انا قد اصلحت ما اريد
اذ وقف علي شيخ فسلم فرددت فقال لي حاجة قد سالتها غيرك من التجار فلم يقضها
قلت فما هي قال احب ان تقضيها حتى اقول فضمنت فاحضر لي رصاصة فيها نحو من مائة منا
وقال لي تامر بحمل هذه الرصاصة معك فاذا صرت في لجة كذا فاطرحها في البحر فقلت
يا هذا ليس هذا مما افعله فقال قد ضمنت لي وما زال بي حتى قبلته وكتبت في روزنامجه
فلما صرنا في ذلك الموضع عصفت علينا ريح فنسينا انفسنا وما معنا ونسيت الرصاصة
ثم خرجنا من اللجة وسرنا حتى بلغنا موضعا فبعت ما معي فحضر لي رجل فقال لي امعك
رصاص فقلت ليس معي رصاص فقال لي غلام معنا رصاص قلت له احمل الرصاصة التي معي فقال
لي الشيخ فتذكرت فقلت خالفناه وبلغنا هاهنا وما علي ان ابيعه فان ذلك غنيمة ما
اراد فقلت للغلام احضرها وساومني الرجل بها فبعتها بمائة وثلاثين دينارا وابتعت

بها للشيخ طرايف الصين وخرجنا فوافينا المدينة وبعت تلك الطرايف فبلغت سبعمائة
دينار فصرت الى البصرة الى الموضع الذي وصف الشيخ ووقفت بباب داره وسالت عنه فقيل قد توفي
قلت وهل خلف احدا يرثه قالوا لا نعلم الا ابن اخ له في بعض نواحي البحر فخرجت وقيل لي ان
داره موقوفة في يد امين القاضي فرجعت الى الابلة والمال معي فبينا انا ذات يوم جالس اذ وقف
علي رجل فقال انت فلان فقلت نعم قال اكنت خرجت الى الصين قلت نعم قال ودفع اليك رجل
هناك رصاصا قلت نعم قال اتعرف الرجل وتاملته فقلت انت هو قال نعم اني قطعت من تلك الرصاص
شيئا لاستعمله فوجدتها مجوفة ووجدت فيها اثني عشر الف دينار وجئت بالمال فحمدنا
الله فقلت له ويحك والله ما المال لي ولكنه كان من خبره كذا وحدثته فتبسم الرجل ثم قال
تعرف الشيخ قلت لا قال هو عمي وانا ابن اخيه وليس له وارث غيري وانما اراد ان يزوي المال عني
وهو ابعد في من البصرة فسل جيرانه ومعارفه عنا فسال عن الفتى والشيخ فوجده كما حكى واخذ
المال وما كان عندي من الربح المائة الدينار وهذه الحكاية تاتيك بالعجب العجيب من امانة الرجلين
والخير المركب فيهما ومن شره صاحب المال وكيف رد الله عليه مكره وابطل عليه كيده
وجازاه على ما صنعه بضد ما اراده ويروى ان بعض الانبياء صلى الله عليه اشرف يوما
من ايام الربيع من قلة جبل على فلاة في عين ماء فاذا بفارس اقبل وعلى قربوس
سرجه بدرة فلما انتهى الى عين الماء نزل وشرب وسقى دابته وركب ونسي
البدرة ومضى فاقبل راع ومعه غنم فسقاها وحمل البدرة ومر فاقبل رجل عابر سبيل
فشرب من الماء وجلس يستريح فاقبل الفارس راجعا في طلب البدرة وطالب الرجل
بها ثم ضربه ثم سل سيفه فجدله فلما لم يشك انه قد جاحد قتله فاشتغل فكر
النبي بما راى من جميع ذلك واكبره وانكر قتل الرجل بغير ذنب وذهاب اخذ مال من
غير حق ووجم منه كظيما من الحزن فاوحى الله تعالى اليه ما لك واهتمامك والفكر
في الحكاية ان البدرة كانت وديعة لوالد الراعي عند والد الفارس من غير علم من
الفارس والراعي وهذا الرجل المقتول كان قد قتل ابا هذا الفارس فاخذت
بثار علي وليه واوصلنا الحق الى مستحقه ومما يستحسن من الشعر في الحث على الخير و
عليه والشر والتحذير منه قول الافوه الاودي

الخير يبقى وان طال الزمان به ۞ والشر اخبث ما اوعيت من زاد

وقال الحطيئة من يفعل الخير لا يعدم جوازيه ۞ لا يذهب العرف بين الله والناس

وقال اخر لا يغرس الشر غارس ابدا ۞ الا اجتنى من غصونه ندما

وقال تميم بن المعز صاحب مغرب الخير مقرون بصاحبه فمن فعل الخير اعقبكا

والشر مقرون بصاحبه فمن فعل الشر اعطبكا

لا تحسبن الله مطرحا من بت يضحك منه حين بكا

بل يسعد له وينصره ويثوب بالتكدير من بكا

فاحرص على ان لا تبتي على ان لا يكون البخس كو كبكا

وما ابدع ابيات ابو الاسود الدئلي

الا اعدد من الرحمن فضلا ونعمة عليك اذا ما جاء للخير طالب

فان امرأ لا يرتجي الخير عنده يكن هينا ثقلا على من يصاحب

ولكنه ابقى ما يحمل حامل وللشر اردى ما تزود راكب

ارى ولا اهنا الزمان باهله وبعضهم فيه تكون النوايب

فلا تمنعن ذا حاجة جاء طالبا فانك لا تدري متى انت راغب

فان قلت في شيء نعم فافعلنه فان نعم حتم على الحر واجب

والا فقل لا فاسترح وارح بها لكيلا تقول الناس انك كاذب

المجلس السادس والخمسون من كتاب خلق الانسان في قوله تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون في وصف المنزلة عند الله ونيل الزلفى لديه

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان من تسبح له السماء بارتفاعها والارض باتساعها والشمس بانارتها والنجوم باستعارتها والقمر اذا تسور للمواقيت هلاله والبحر اذا تفجر من الينابيع ملحه وزلاله والارض المجهور ماح بنباتة والارض المطور ماس بازهاره والليل اذا اسبت غياهبه والنهار اذا شابت ذوائبه والصبح اذا اسفر نقابه والبرق اذا طرز سحابه والطير ناطقة بعجمتها والخيل عادية بحو وجهتها والابل تهدر جراجرها والاسد تزار زماجرها والنار تذكرة ومتاعا والارض كفاتا واقواتا والهواء يحمل الماء في بطون الغمام والماء الجواري المنشئات في البحر كالاعلام كلها السنه بتسبيحه ناطقات وصور على ما جبلها عليه واراده منها طايعات خلق النجوم مسخرات وكل في فلك يسبحون والملائكة مدبرات لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون استخلص من بين الحيوان الانسان وخصه بالهدى والبيان وارسل الرسل اولين وآخرين يدعون اليه مبشرين ومنذرين واختار منهم رسوله محمدا مفتاح

كل خير

كل خير وصلاح ومصباح كل ظفر ونجاح ورحمة كل دان وقاص وشفيع كل مذنب وعاص صلى الله عليه وعلى جميع الآل والاصحاب الذين لهم عند الله زلفى وحسن مآب قال بعض الحكماء ان العلوم الالهية التي هي ابدية باليقين نحو اعتقادنا بان المبدأ ويد للشيء الواحد معا و ان الكل اكثر من جزوه ان تصير مستقية بالحس الذي هو معرض للغلط والسهو لكنها تصير مقتناة بالعقل الذي هو حجة الالهية وقد اقيم النفس مقام القوة المبصرة للعين واذ كانت العقول الصريحة في الجبلة البشرية تختص بالارواح الحسية ومعلوم ان التجرد في الجبلة متى اسعى باسعي تجرد باحدهما عن الاخر فان الخطب فيه سصعب جدا ولن يستغني في شانه عن الله به والارتياض به اذا لم يجد العقل فان الذي يجذبه في باب التمييز الى الابواب التي تشاركنا فيه اصناف الحيوان لم يشغله من التعرف للمعاني الحقيقية التي تنيف بنا على طبايع الموجودات واذ كان العبد ممنوا من جبلته بمثل هذه الخطة العظيمة فياليت شعري كيف السبيل الى النجاة لولا ان الله سبحانه بلطفه قد ازاح علته بالاوضاع الدينية والمثل الشرعية فانها اسست على مناهج تصدف الانفس عن الاشياء المعرضة للفناء الى الاشياء الصالحة للبقاء كالسالك بنا عن الظلم الغاسق الى الضياء الشاسع ليترقى بها الانسان من طبايع البهايم الى درجة الحكمة بل من العالم السفلي الى العالم العلوي ولهذا ما قيل ان الانسان مدني بالطبع ثم الحكماء قد اعدوا فيها قوانين يستعان بها في استنارة المعاني المستنبطة منها بقوة الفكر واقاموا تلك القوانين مقام الموازين العدل التي تومن الارتياب في صدقها وصحتها وهي الدلايل الاربعة التقسيم والتحديد والقياس والبرهان فاذا العاقل سامي كان في فطرة مناسبا للحكمة ذكي الفهم قوي الحفظ جيد العبارة حسن التصور كان حريصا على اقتباسها صادق العناية باقتنائها فمن الواجب ان يشفق نفسه بالمواظبة على الاوضاع الملية ليتدرج بها الى اصابة الحق والاعتقاد للحق والمتابعة للحق والايضاح للحق ومتى خفي عليه وجه الحق في شيء منها يستعان عليها باحد الدلايل الاربعة متمسكا فيه بالبحث المستقصي ومحافظا على الترتيب المنتظم وملازما الطريقة الوسطى التي لا يشوبها اسراف ليوقن بان الله جل جلاله قد شرف جوهره بنور العقل ليتعالى بخلافته على عمارة العالم السفلي ويتدرج به الى ان يصير زينة العالم العلوي فيعظم منزلته عنده تعالى وتقدس وينال الزلفى منه وان ضيع ودنس جوهره او استهلك ذاته فقد خسر الدنيا والاخرة بل يحق ان الله جل اسمه اوله وآخره فلا ينقطع عنه ولا يوم سواه ويتبرا ممن عدل عنه او آثر عليه غيره ليعلم ان الحوت وان

كان في مرأى العين كريه اللقاء فانه في الحقيقة معبر الى سعادة الحمل الوصال ممن واصله
طول حياته واحبته اخلص له ممن كان يصادقهم في دنياه فلا يكره حضوره ولا يكره
لورود عليه على ان الواجب عليه ان يوقن انه لا يصلح الا لذلك المكان ولا يصحب اولئك
حتى الوصول الى الملا الاعلى الا بعد استصلاح الافعال الصادرة عن العقل وهي كلها منحصرة في
اقسام اربعة حالتان متقابلتان احديهما في المصلحة والاخرى في المفسدة فان الذكاء مصلحة
للخطاء والبله مفسدة لها واتباع الحق مصلحة للاعتقاد والتقليد مفسدة له وكان يحب ان
يكون حال الموت الى المستصلحين لافعال النفس الفائزين بالزلفى من الله كالواجب الحدود وخصوصا
اذا حاولوا به التعجل الى ما هو اوفق لهم والزم لهم الا من تفرد بما بين البنية فليس لغيره ان يتوق
عليها بالنقض بل التدبير في نقضها واستبقائها الى من في ابقائها وان يتقدم الموت
الا من خلق الحيوة وكيف يليق بحال العبد ان يحكم على ملك مولاه لكن عليه ان يصبر على حد
وان ثقل عليه ويلتزم مطاعته بحسب ما تمثل له ويعتقد ان افضل عباده من دام صبره على النقم
منه ولا ان كان اليه لا بالجناية على ملكه او بالكفر بفضوح حبيبه والفرار من محنه او بالتضجع في
لوازم امره او بالاصرار عليه في حكمه لكن باعتناق ما امره به متوخيا به رضاه الى ان
يطلقه من قيده وينقله عن دار محنته الى دار كرامته **وهذا** طريق من سلكه لم يبال في التبرا من
الملاذ الحيوانية كلها علما منه بانه شاغل له عن مطلوبه وعايقه عن تحصيل غرضه وسئل
هذا لا يكره الموت عند حلوله وينال الامنية من روع نائبه انتهاء لما بعده من مثوباته و
ارتقائه الى ما يوصله من رفيع درجاته فهو اذا يكون ذا الحياة بحقه وذا عفة بصدقه وذا فضيلة
بكماله وذا امن في سربه **فاما** المؤثر هذه الدنيا وزخارفها الداثرة ودولتها الزايلة
على شرف العلم والحكمة او المؤثر للحمام والراحة على الدؤب في الطاعة والعبادة فما اخلقه
ان يكون خائفا للموت وان تيقن انه لا محالة لاحقه كارها للقدوم على مولاه وان علم انه
قادم عليه فهو اذا لا يبتغي النجدة الا بحيث احترازه عن مخوف يعتقد فيه انه اضر به من الموت
ولا يبتغي العفة الا بحيث خوفه من فقدان لذة هي عنده افضل مما يعف عنه فهو اذا ذو تجلد
منبعث من فرط الجبن وذو عفة صادرة من فرط الشره فهو اذا ابعد من رتبة الشجعان ولا
منقبة الزهاد ولا الحظي بشيء من انواع الفضايل على الاطلاق فاذا الفائز بالعلم والعبادة هو
الموصوف بالفضيلة على الاطلاق المختص بالكرامة على الاستحقاق فاذا كمل من لم يكن غافلا
كان محجوبا عن ربه غير فائز بالزلفى اليه **قال بن افاضل الناس** نا ساذي بقوة الراي
وهو ايثار افضل ما في طرفي الامكان وهي من اشرف افعالها واجل احوالها ومتى غلبت هذه القوة

عليها

عليها اسعدت به غاية السعادة وانافت على نهاية الارادة ثم الجبلة وان عقدت بينها وبين
الافاعيل البدنية الطبيعية فان بينهما عنادا ذاتيا اذ احدهما روحاني النفوس سماوي
المحل محب للجميل نافر عن القبيح والاخر جسماني النفوس عاشق اللذيذ هارب من المولم والافات
البدنية فاذا سبيل النفس من الجهة الاولى في الميل الى ما هو جميل والنفار عما هو قبيح شائن
سبيلها من الجهة الاخرى في الميل الى ما هو ملذ والنفار عما هو مولم والانسان ممكن من تغليبه
احدهما على الاخرى والدين الالهي معين له على ايثار افضل ما في طرفي الامكان حتى قيل انه لو
لم يكن بين البدن والعقل عناد ذاتي لما ورد على الانسان الامر الالهي فالامر الالهي باوضاعه
الشرعية نازل عن الانسان منزلة الشيء الذي يحله عن القيد والاسر المانعين له عن النجاة
من الافات والوصول الى دوام السعادات **واذ عرفت هذا** فهذا الاتحاد بين هذين المتعاندين
ليس بمانع من ان يروس الافضل منهما الاذل ومن ان يخضع ويطيع الاذل منهما الافضل
ولا خفاء ان تصرف النفس في خصايص افعالها الحيوانية لن تكون الا بالقوة الطبيعية
وان تصرفها في خصايص افعالها الانسانية لن يكون الا بالقوة العقلية الملكية ثم الانسان
ماموربان يجعل السلطان للعقل الذي هو كمال الانسان على الطبع الذي هو حال الحيوان فاذا
لم يكن ارتباط القوى الطبيعية بالانسان على سبيل اشتراكهما في اتمام الهيكل الانساني بحسب
الاعضاء الرئيسة التي هي القلب والكبد والدماغ حتى اذا انحل رباطهما استولى الفساد عليهما
فان المعاني المتشاركة في اتمام الهيكل وان وجد كل واحد منهما ممدا لصاحبه ومستمدا
منه فان الواحد منهما ان يروس الاخر لكن يتكافيان في القوام فلا يوجد احدهما مستعد
لصاحبه ومستعليا عليه ولتكافيهما في الرتبة يتفاوتان في الثبات حتى اذا افسد
احدهما شاع الفساد في الاخر فقد ظهر اذن ان الانسان بقواه العقلية وقنياته الابدية
من العبادات الشرعية والطاعات الدينية اشبه شيء بالمعاني الالهية واصلح شيء للبقاء
السرمدي الابدي وانه بها صاير الى دار البقاء وحاصل على جوار الرب الباقي وان انفصال
البدن عن القوى الطبيعية وانحلاله من المعاني الحيوانية ليس بموجب فناء شيء من ذلك **ثم**
الحيوة الحسية وان كانت لحوقها اللذات فانها انما تهلك في جميع البدن بحسب اختلاف
امزجة الاعضاء المحسة ولهذا انما تصير ادراكها المحسوسات المختلفة **واما** الروح الانساني فلانه
ملكي المنبع فلن يعرض له التجزي وان كان بحسب قواه المدركات لقواه المختلفة صورة واحدة وهي
الصورة العقلية التي بها يستثبت الاشياء وبها يبصر الانسان عالما على حاله وبها
يصير مدركا لحقايق المعاني الساعة مثل ادراكه لحقايق المعاني في المقادير اما بالادلة

السمعية او الادلة النظرية او الفراسة الصائبة او الرؤيا الصادقة بل بها يوجد عشق
الانسان الناقص للحسن الظاهر كما قيل ٭ واعشق بهوى نفسه كل عاقل ٭ عفيف ويهوى جسمه كل فاسق
يحدث عما بين عاد وبينه ٭ وصدغاه في خدي غلام مراهق ٭
اديب اذا ما جس اوتار مزهر ٭ بلى كل شيء سمعه عن سواه بعائق ٭
وبالحري ان يكون الامر كذلك فان كل من غلب عليه سلطان الحس اشتاق الى الحسن الظاهر وكل
من غلب عليه سلطان العقل تشوق الى الحسن الباطن وسبب ذلك ان الحسن الظاهر طبيعي دنياوي
والحسن الباطن روحاني الهي قال وهذا الروح الانساني متى علم شيئا فانه يعلم في الحال انه قد
علمه والروح الروحاني متى ادرك شيئا لم يعلم في الحال انه قد ادركه لكن الانسان بعقله يعلم
انه قد ادركه فالانسان انما استحق الفضل واستاثر بالكمال بهذا الادراك فاذا السعيد المغبوط
هو الحكيم العفيف ضعيفا كان او قويا والشقي المرحوم هو الجاهل الشره فقيرا كان او غنيا
فان العيش الذي هو الكرامة والامن والموثر العلم والورع قد احرزها والممنو بالفسق والجهل قد
حرمهما فاذا هو للعالم الصالح خير كالصحة والجمال والحشمة والمال والفطنة والذكاء والنسب
والرفق هي بعينها للجاهل الفاسق شر وعليه وبال يستعين بنعمة ربه على معصيته ويتوصل
بحسنات الاشياء على سيئاتها ومحاسنها على مساويها ٭

وفي الثوب الهمانة والبرد وقن والوجه والقفا والعلام ٭
نعمة الله لا تعاب ولكن ٭ ربما استقبحت على اقوام ٭

وكيف لا يكون كذلك وقد علم انه لا يوهل لمثل هذه الكرامة الا الحر الامن بلوائح وغاديته
والاقوم معوت مشنى مبكت متقلي وكيف يحب من الله يبغضه وما اكرم من الله يهينه
فاذا كل انسان كانت نفسه الحرة غير مستعبدة بالشهوات الحيوانية بل كانت ملتفتة الى
ذاتها ومباينة للبدن في ارادتها فانه لاستحكام ثقته بمن هو اوله واخره وصدق
موالاته لمن هو كله فهو نائل كل الراحة من الشرور والمخاوف سالم كل السلامة من الحيرة
والضلالات الواصل كل الوصول الى من له الخلق والامر وسواء عنده السر والجهر وسبب ان
العلم والخير كلاهما الزم من كبرياء الله ومن الاء الله ولا كبرياء فوق كبريائه ولا الاء فوق الائه
وان من تحلى بمثل هذه الخصال وتخلى عن اضدادها من الخلال لم يعد المال جاها ولا
الرياسة كمالا ولا يخضع لجاه وان جل ولا يلتفت الى لذة وان عظمت بل لا يعد الدنيا
وما حوته ثمنا للنفس الزكية ولا يرى كرامة متعلقة بتزيين بدنه فان المراة الخرقاء
والجارية المملوكة قد تتزينان ولا باس بها القينات الكثيرة الرائقة فان الصبي قد يناهذا

ولابان

ولابان يتخاضع له الاقران فان الصعلوك الفاتك يتخاضع له ولا باستحلاء صنوف الشهوات
فان الانعام تستحليها الكلب كلب عينه ولو حلي بالابل وخلاخيل وجلاجل
لكن تتجه همته الى العناية بتطهير نفسه واستصفاء اخلاقه واستغزار علومه واستكمال
ادابه ويرى كرامة نفسه بتنحيتها عن العجب وتبعيدها من الجهل والجور وباستنهاضها على
الانقياد للحق علما منه بان الانسان الكامل هو الذي اعتاد هذه السيرة الشريفة ومرن على هذه
الاداب المنيفة وان الله عدل لا يوصل اليه الا به وان الله طيب لا يقبل الا الطيب فاذا الموثر
للعلم والحكمة والمختار للجود والعدالة والمواظب على التعفف والعبادة والمخلص للتوكل
والعقيدة جدير بان تصل من جميع طرقه الى ربه وينجو في كلها من عذابه فاما من نظر
الى الحق والرشد بعين الشنان والى العلم والعفة بعين الشكر والازورار ويرمق المال
والحشمة بعين العشق والمحبة فجدير بان يعيش ما عاش بنفس هيمى واحوال مضطربة ملتاثة
فيكون قد باع النعيم الابدي بالتراب السفلي واستبدل التشوق العرضي بالعز الحقيقي وذلك
هو الخسران المبين وايضا فان كل ما خلقه الله تعالى فانما خلقه لامر لا يكون غيره اصلح له منه
ولا اقوم به ولا اتم فيه فهو متقبل بكليته الى ابراز ذلك الفعل من نفسه ومطيع فيه لخالقه
ومسبح له بجمله حتى اطرد نظام العالم في طاعة من له الخلق والامر ودان له الاشياء ناطقها
وصامتها وحيوانها ونابتها وناظرها وهامدها وسائلها وجامدها والانسان الذي
هو لبابها وخاصتها والمخلوق لاجلها جميعها وكانها امكن ان يكون خلقه من بينها عبثا
واهمل دونها سدى وهل لا يعيش مدة سبعين سنة مثلا غرضة لطوارق الزمن وعرضا
لسهام المحن ودرية منصوبة للاسقام والالام وانواع الاحزان يملكه الحرص ولا يعتقه
ويرتبطه الحسد ولا يطلقه ويغرقه الجهل في بحر الامل تغريقا ويحرقه الهوى بنار الشهوة تحريقا
ثم يقضي اخر الامر من الاصل فناء ويذهب هباء هشيم النبات جفاء كلا والله هذا امر
لا يكون ولا تسمح به الظنون ولكن الانسان منذ يوم وجوده في هذا العالم الى يوم خروجه
عنه معد له الى امر عظيم لاجله خلق وبسببه جبل وله انشئ واليه يسوق واجري فلا يكون
ناجيا فائزا الا اذا عرف ذلك المعنى بحقيقته وسما اليه بكليته ولا يتم ذلك الا بعد العلم
بالامور وتقلب العصور واحوال الجمهور فان من لم يسبق منه الاخبار لم يحسن منه الاختيار
ومن لم يذق الطعوم المختلفة لم يفصل طيبها من فاسدها ومن لم يتصور هيئات الاعضاء
بتشريحها لم يصلح دائها دواء ومن لم يركب الصعب والذلول ولم يسل به السيول لم يقطع مغاني
النفس وان كان نجوا بالحيل بلقع ومن لم يلبس الشدة واللين لم يذق طعم العيش وان كان شريرا

مرتجلاً

بأنفع فيوماً ترانا في الغانيات عروساً ويوماً اغبر الوجه شاحبه
كذلك الفتى لا بد من الدهر كله نعيماً ولا بوس المعيشة لازبه
وبدلت من جدوال ايام خالد طوارق هم يحصرون وسادنا
فيوماً يوم في الحديد مسربلاً ويوماً مع البيض الاوانس لاهيا
يقول جزع الشبلي يوماً في الطهارة فقرأ اذا السماء انشقت فقيل ما هذا يا ابا بكر فانشأ
فيوماً ترانا في الخزوز نجرها ويوماً ترانا في الحديد عوابسا
ويوماً ترانا في الثريد نذيتها ويوماً ترانا نأكل الخبز يابسا

فلا يزال السعيد الفائز يتعرف الاشياء ويذوق الاحوال ويستخدم جميع نعم الله عنده في السلوك الى اعلاها ويستنفد طوقه ويستفرغ جهده في تحصيل اتمها واوفاها ويتدرج على مراقيها من نقص الى تمام ومن قصور الى كمال فليس الواقف على اول الجزء ببالغ ومن بعض الى كل فليس صحيح عضو من بين الاعضاء بسالم ومن وقت الى اوقات فليس يوم طيب معتدل في الشتاء ربيع حتى يستوي به ملابسة المنازل الى منزلة عظيم جلل عندها وكل اصابة حميم شوى بعدها فلا يرتاح بشيء من النعم والخيرات الا بعد تمكينها اياه من التي هي النهاية في الامل فليس وراها مدرك لطالب ومطمح لراغب والغاية في الخلوص والصفوة فلا يشوبها شيء من التنغيص والتكدير والابر الاوفى في الدوام فلا يطيف بجوانبها شيء من الاشتباه والانصرام والامد الاقصى في المسار والمبار فلا يعد لها شيء من الاماني والاوطار وما هي الا المنزلة عند الله والزلفى لديه وحيازة القبول منه والله لو انك توجتني بتاج كسرى ملك المشرق
ولو بأموال الورى جدت لي اموال من باد ومن قد بقي
وقلت لي لا نلتقي ساعة اخترت يا مولاي ان نلتقي

فواه لهيمان القلوب عند ذكر المحبوب وواه لنار اشتعلت فاحرقت الخواطر والارادات واكلت العوارض والخاطرات قال ذو النون رايت اعرابياً يطوف بالكعبة قد نحل جسمه واصفر لونه ورق عظمه فقلت له محب انت قال نعم قلت حبيبك منك قريب ولك موافق وانت بهذه الحال فقال يا بطال اما علمت ان عذاب القرب والموافقة اشد من عذاب البعد والمخالفة وفارقت حتى لا اسر بمن دنا مخافة ما قد كان من صدود
فقد طفقت نفسي تقول لعبرتي وقد قربوا اخوف لتباعد جودي
بكل تداوينا فلم يشف ما بنا على ان قرب الدار خير من البعد

وقال

وقال رجل للجنيد على ما تأسف من اوقاتك فقال على زمان بسط اورثني قبضاً او زمان انس اعقب وحشة ثم انشأ يقول
قد كان لي مشرب يصفو برؤيتكم فكدره يد الايام حين صفا
ان الزمان رأى الف السرور لنا فتم بالهجر فيما بيننا وسعى
ولم يزل يصرف هذا الدهر يصدعني حتى تجرعت من كاساته جرعا
فليصنع الدهر بي ما شاء مجتهداً فلا زيادة شيء بعد ما صنعا

وحكى ابو العباس بن مسروق قال مررت مع الجنيد في بعض دروب بغداد فاذا مغن يغني منازل كنت تهواها وتألفها ايام انت على الايام منصور
فبكى الجنيد بكاءً شديداً وقال لي يا ابا العباس ما اطيب منازل الالفة واصعب مقامات الوحشة لا ازال احن الى بدء ارادتي وجدة سعيي وركوبي الاهوال طمعاً في الوصول وها انا في ايام الفترة اتأسف على اوقاتي الماضيه
من كان يسأل عنا اين منزلنا فالاقحوانة منا منزل قمن
اذ نلبس العيش صفواً ما يكدره طعن الوشاة ولا ينبو بنا الزمن
فاليوم قد فارقونا بعد الفناء فعيشنا كله من بعدهم حزن
سلام على تلك المعاهد انها شريعة وردي او مهب شمالي
ليالي لم يحذر حزون قطيعة ولم يمش الا في سهول وصال
فقدت رضا من سواك اضمهم بخالب برق ام بطيف خيال
سقياً لظل زماننا ودهرنا المحمود ولي كليلة وصل قدام يوم صدود
ليالي الصحبة سقياً لك ما كنت الا فرحاً كلك
عودي كما كنت لنا مرة فنحن ان عدت عبيد لك

وقال رجل لابي محمد الجريري كنت على بساط الانس وفتح لي الطريق الى البسط فزللت زلة فحجبت عن مقامي فكيف السبيل اليه دلني على الوصول الى ما كنت عليه فبكى ابو محمد ثم انشد قف بالديار فهذه اثارهم تبكي الاحبة حسرة وتشوقا
كم قد وقفت بها اسائل مخبرا عن اهلها او صادقاً او مشفقا
فاجابني داعي الهوى في رسمها فارقت من تهوى وعز الملتقى
وانشد سلام على الاطراب والانس والصبا سلام وداع لا سلام قدوم
سلام على سير القلاص مع الركب ووصل الغواني والمدامة والشرب

سلام امرئ لم يبق منه بقية ۞ سوى نظر العينين او شهوة القلب
لعمري لئن خليت عن منهل الصبي ۞ لقد كنت منه اذاً المشرب العذب
ليالي امشي بين بردي لاهياً ۞ اميس كغصن البانة الناعم الرطب
ليالي مروا الناعجات وشملنا ۞ جميع سقاك الله صوب عهاد
سرقنا من ريب الزمان وصرفه ۞ وعين النوى مكحولة برقاد
تنبه صرف الدهر واستحل النوى ۞ وصيرنا شتى رهين بلاد
سقى الله اياماً لنا السنة جمعاً ۞ علينا وعطر العامرية من عصر
ليالي اعطيت الصبابة مقودي ۞ تمر الليالي والشهور ولا ادري

وحكى السري قال كنت في طلب صديق لي ثلثين سنة اسال عنه المنازل واستخبر الموارد و المناهل ولا اظفر به فمررت في بعض الجبال في طلبه فاذا انا باقوام مرضى وزمنى وعمي وبكم فسالت عن سبب مقامهم في ذلك الكهف فقالوا يخرج في كل سنة من هذا الكهف شيخ يدعو الله لهم فيشفيهم الله ويبريهم ببركة دعائه قال فوقفت انتظر يخرج من ذلك الكهف شيخ عليه جبة صوف فنفخهم ودعا لهم فكانوا يبرؤن من علتهم بمشية الله قال فاخذت ذيله وقلت له علتي باطنية فهل من دعاء وهل من شفاء فالتفت الي وقال خل عني يا سري لا يراك فتستانس بغيره فتسقط من عينه وحكى ذو النون قال مررت بارض مصر فرايت صبية يرمون رجلاً بالحجارة فقلت لهم ما تريدون منه قالوا مجنون يزعم انه يري الله فقلت له ما تقول يا هذا يرحمك الله فيما يقول هؤلاء فقال وما يقولون قلت يزعمون انك تري الله فبكى ساعة ثم رفع راسه ودموعه تجري فقال لي والله ما انكرته منذ عرفته ولا فقدته منذ وجدته ولو فقدته ما عبدته ثم انشا يقول كان رقيباً منك يرعى خواطري ۞ واخر يرعى ناظري ولساني

فما رمقت عيناي بعدك منظراً ۞ يسوءك الا قلت قد رمقاني
ولا بدرت من في دونك لفظة ۞ لغيرك الا قلت قد سمعاني
ولا خطرت في السر بعدك خطرة ۞ لغيرك الا عرجا بعناني
واخوان صدق قد سئمت حديثهم ۞ وامسكت عنهم ناظري ولساني
وما الزهد اسلى عنهم غير انني ۞ وجدتك مشهودي بكل مكان

فهذه شموس ارتفعت الحجب عن حواجبها وانوار تزحزحت الظلم عن ذوائبها كما قال الشبلي ما ظنك بمعاني هي شموس كلها بل الشموس منها اظلم ۞ ثم قال
اذا ما دجاها الليل كانت كواكباً ۞ حلو سناها حواليها وكانت هي البدر

سهاد ولكن دونه لذة الكرى ۞ وليل ولكن دون اشراقه الفجر

اولئك قوم جوارحهم مستقر العبادات ومستودعها وجوانحهم مبدأ السعادات ومطلعها وانفاسهم افلاك تحيط بجوامع الاسرار وايامهم سماء تدور بكواكب الافكار رضوان ورضوان الله عن خفائهم وبشوبهم وكرامة الله تطوف بين يديهم تتلو ايات التوكل من صحائف اعمالهم وتظهر تباشير الصفاء في صفحات احوالهم لم يصل اقدارهم بنائهم بكسوف الضلال ولم تحجب انوار مصابيحهم بسجوف شوائب دع الاقمار تخبو وتنير لنا بدور يدل لها البدور

لنا من نوره في كل يوم ۞ ضياء ما تغيره الدهور
دع البدر فليغرب فانت لنا ۞ بدر اذا ما تجلى من محاسنك الفجر
اذا ما انقضى سحر الذين ببابل ۞ فطرفك لي سحر وريقك لي خمر
لهم عند خفيتهم ظاهرون وعلى حال غيبتهم حاضرون
تباعد ذات البين ليس بضائر ۞ اذا لم يكن بين القلوب تباعد
وكل محب غاب عنه حبيبه ۞ ومن غاب عنهم فهو في القلب شاهد

الا انه كما يكون صعوبة الوقوف على الشيء من قبل دقة معانيه وغموض المسالك اليه فقد يكون ذلك ايضاً من قبل فرط وضوحه في ذاته وشدة تجليه في نفسه فتكون انحسار العقول الضعيفة وتبلد النفوس المريضة عن تصور اشراق تلك الانوار المتلالية والاسرار المتعالية في مثال اعين الخفافيش ابصار عين الشمس وكذلك العجز في هذا العالم الانسي الفاني عن معرفة الملك الحق الباقي كما عن جلال وجهه وحقيقة صفاته على ما قال رسول الله صلعم ان احقا من الخلق لن يعرف الله حق معرفته وهو في هذه الدنيا فقالت عائشة ولا الانبياء المرسلون قال ولا الانبياء المرسلون قالت ولا انت قال ولا انا وقيل لذي النون قبل موته ما تشتهي قال ان اعرفه قبل موتي بلحظة وكان الشبلي يقول يا دليل المتحيرين زدني تحيراً وانشد ما زلت انزل من ودادك منزلاً ۞ يتحير الالباب دون نزوله
كربته عين طمعتني في ان اراكا ۞ او ما احسبت لعين ان ترى من قد راكا

ثم لا خفاء ان الامور الجليلة الفاضلة مختار لذواتها واللذات الشهية لغيرها وانه اذا انضاف الى فضيلة الشيء الالتذاذ به كان ذلك افضل له وليس ذلك في شيء الا في كمال العلم ولن يتصف احد بالكمال الابعد الاحاطة بما هو محض عند العقل ولن تتم هذه الاحاطة الا بعد اماتة الشهوات البهيمية وتعفية الرسوم الدنيا وبذر الاقتداء برب العزة على اقصى الطاقة البشرية في فعل الخيرات وافاضة الحسنات فتصير حيوة حيوة

جوهر الانسان لا بمقتضى طبعه الحيواني وذكره باقيا سعى اثاره الحميدة الباقيه لا فانيا
بمهان نفسه الفانيه وروحها عملا في عليين بكرامات ربه لا فاسقا بفساد قالبه
وجمود نار قلبه وخلقه خلقا يصفو به كدورة المخالفات ويتالف عليه اشتات المحبات
ومجاهدته بحيث لا يعصى الله في خطرة ولا يخالفه في نظرة ولا يفتر في طاعته طرفة عين
ولا اقل من ذلك اما بالجوارح واما بالنظر والتفكر واما بالذكر والتسبيح فيكون افضل من
في هذه الدنيا عند الله واسعدهم بنيل المراد من الله والزلفى لدى الله الا ان من انعم في
او بيد المنى لم يستبن من هذا السبيل الواضح رشدا الا كما ياخذ الاعمى في طريق لم يسلكه

وان كان جيدا ... الموبه غير ازرق ... ولكن المدنف بالماء يشرق

ارى حائمات حول يوما وليلة ... على ظما لم تدر كيف الموارد

وقد اوقدت نار الجحيم صدودها ... وفي ارضها شرب من الماء بارد

الحلل السابع والخمسون من كتاب خلق الانسان في قول الله عز وجل وفي انفسكم افلا تبصرون يتضمن بيان استطاع نفس الانسان للبشرة الملكية والتوحيد بفضائلها واتخاذ طاعة الناس لاجلها

بسم الله الرحمن الرحيم

تبارك الذي جعل في الفلك الدوار مطالع النجوم الادوار والشمس آية النهار والقمر
عدد الانوار والارض معدن النبات ومزرع الاقوات والجبال خزائن الجواهر المودعة
في بطونها والمياه النابعة من عيونها مد الارض لمثويكم ومنقلبكم والقى في الارض
رواسي ان تميد بكم اظهر في القمرين ايتان لا تعبدا بالكسوف وابتلى من على ظهرها بالصروف
وعم بينهم بالحتوف وجمع في كل مركب بين الاضداد وفرقها على الاجتماع والاتحاد واستخلص
من بينهم الانسان بمراشد الهدى ومواد البيان وتخير كل نجي له وود لله وتشرط عن كل خير
له وسهل له واستصلح نفسه للبشرة الملكية وشرح صدره بالمعارف الالهية وارسل الرسل
اولين واخرين مبشرين ومنذرين واختار منهم من اكرم المناسب واشرف المناصب محمد
الخاتم العاقب الخطيب الحارب والظاهر في الحروب وطهر من العيوب وحلى كل منبر
بالصلوة عليه وحلل كل صلوة برد السلام اليه فصلى الله عليه وعلى آله الطيبين وعترته
الطاهرين. المعاني التي تعتري البهائم من الانسان لا تخرج عن اربعة اقسام اما
ان تكون نظرية او فكرية او خلقية او صناعية اما النظرية فهي التردد في رياض الالباب
والاحتساء من ثمار الاداب والفكرية في مطاوعة القريحة لاستنباط ما يرام تفهمه على

البصيرة

البصيرة والحقيقة والخلقية هي الانبساط على تمهيد القوى في توفية الاعمال التي يعلو بها
سوالف الخيرات ويفرع ذوائب الحسنات فهي تاديتها ما يوجبه المعرفة شرعا او عرفا من الاعمال
باحسن جهاتها او بمقدار تمامها ثم الانسان في خاص الخليقة لا يخلو من الاخلاق
الملكية او البشرية او البهيمية او السبعية فهذه الاربعة الاخلاق هي المتقلبة عليها
طبائع الناس ومعلوم ان الانسان لم يكن ليبلغ الرضا في طاعة الله عز وجل الا اذا فرغ عن
شغل وكد وكدح في استصلاح جوهره اولا ثم استصلاح ما يمكنه في ارض الله ثانيا ولا
خلاف ان مستصلح الشيء لا ينالكه بل يبر عليه ويوفي ويسبق ويجلي كالرائي في مرعيته
والمؤدب مع صبيته فالحرو رحال يتهوانترة صريع الهوى ومرة نضب الامل يقصف عليه
رياح الهموم في الاحزان وترشقه سهام العلائق والعوائق لا يستقل بضبط النفس واصلاح الاخلاق
كالمهر المتردد بارسانه المربوط محكما تنكاله لا يتسق لحلبه ولا يلحق الغاية كيف والمستصلح
لاخلاق البرية المتحفظ لمصالح الخليقة لا يجوز ان يكون ذا طبيعة انسانية فضلا عن
الطبيعة البهيمية او السبعية بل يجب ان يكون سائرا بالسيرة الملكية فيأتمر الرعايا لمرتبتنا
بفعله وينتهون عما سبق الى الانتهاء عن مثله والمتابعة في الاعمال اسرع منها الى الالتزام
للاقوال والموعظة عن نفس غير زكية لا يوجد لها فضل باثر في الانفس المستمعة وكلما صعد
من القلب الى الشفاه نزل من الصماخ الى الفؤاد وما انبعث من طرف اللسان لم يتجاوز حرف
الاذان فاذا ان يكمل الانسان في التنسك والتصوف ما لم يزين عمله بجمله وما لم يجد
الفضائل الاربعة بجوهره وما لم يصن نقيته بريه قلبه عن الاعتماد على غيره وما لم يصون
الزبالية ما خبرات الجزوية الخاصية دون الكلية العامة وما لم يعجل قدره عن السكون
الى المال الكثير والجد الاثيل دون واهب المال وموثل الجد وما لم يخالف طبائع العوام في
ايثاره الحظ واقباله على الخير ومحبة للثروة وشدة عنايته في التفقد من امر النفس والتفحص عن
الاخلاق والبحث عن حلة المتصلين من ولد وقريب وجار ومعروف ليعالج ما يجد من محاسن
الاخلاق سقيمه ويرفض من مساويها قديمه غير متطلب لجاه او ثروة ولا مستشعر لعز او نخوة
فانه خلق عبدا والعبد لا ينبغي له ان يتخطى اقامة العبودية الى مجاذبة رداء الكبرياء وغير
متكثر بعدد او عدد فانه دخل الدنيا فردا ويخرج منها كذلك ايضا ولا سيما وارتباط
الكثرة مصيرها ابدا الى الوحدة فيكون على هذا بعض ذلة ادعى لكل عزة وآخر وحدته
اول كثرة بصلاح الامر به وسببا لكل خير من تلقائه وبركة كل شيء في زمانه بدعائه
وسرور كل احد من الناس بلقائه فيستغني بولاية الحق عن الاستمداد من الخلق ولا ينظر الى

طبقات الموكولين بعضهم الى بعض الابعين الشفقة والرأفة وقال اهل الرحمة مشغولون
بالباطل معرضون عن الحق الامر خلف صاحب الشرع في الاصابة او رتبه علم الديانة فان
هذا العارف المتنسك وذلك الامام القايم او الامام الوارث في التقارب وكرامة احدهما
على الآخر بمنزلة الصدر والفواد والعين والسواد ويكون هذا هو الظاهر وذلك الامام
المخالف وذلك المتبع العالم وان لم يحتف به الدهما ولم يستقر عليه الآرا كما ان الطبيب
الحاذق طبيب وان لم تقصده المرضى والفقيه الحافظ للروايات مفت وان لم يحضره الفتيا
فكذلك الناسك العالم الحفيظ الضابط لما لك الامر وسياسته واهله وحقه وان لم
ينصب له ويكون هو بالحقيقة امير الدين وصاحب الحكم والقايم بالقصص والذكر هو من يراه
اهلا لذلك ويكون من تكلف شيا من ذلك بغير اهلية مرايا لا محالة ان يسمع منه او يسمع اليه
كما قال رسول الله صلعم لا يقص الا امير او مامور او مراي وسال بعضهم زاهدا باي نية اكلم الناس قال
لا اعرف للمعصية نية غير الترك وقال آخر لسايله اذا فهم العبد عن الله صلح ان يفهم عباد
واذا لم يفهم عن الله كان بلاء وفتنة في بلاده وعباده وعلى هذا يكون نسبة المتغلب الغير
الكامل بهذا الكمال الغير الغالب كنسبة الغاصب الى صاحب المال وكما ان الغاصب لا ينتفعه
من رب المال الا احوال بعينها اشياء اما موته المغتفر او تغيبه الموحش او ان يشاركه والمال
بلا منازعة ومجاذبة او تملكه المال عن رضا وطواعية كذلك المتملك المفضول لا ينتفع
من هذا الرجل الكامل الى هذا الكامل الغير الغالب كنسبة الغاصب الى صاحب المال وكان
الغاصب لا ينتفع من رب المال الا بقتله قهرا او حبسه نفيا او الذهاب في الارض واعنه جانبا
او شهادته بانه اهل لما نال الا استحقاقا كما كانت تفعله المروانية بالعباسية والعلوية
وساير من يامر بالمعروف وينهى عن المنكر ويتحرى القيام بالامر ولم يزل اهل بيت رسول الله
اولاده صلعم واكباده من لدن دولة بني حرب ومروان الى دولة بني العباس جزر السيوف
ودرايا الحتوف كما ذكره دعبل الخزاعي

وليس حي من الاحياء نعلمه ... من ذي يمان ولا بكر ولا مضر
الا وهم شركا في دمائهم ... كما تشارك ايسار على جزر
قتل واسر وتحريق ومنهبة ... فعل الغزاة بارض الروم والخزر
ارى امية معذورين ان قتلوا ... ولا ارى لبني العباس من عذر
قبران في طوس خير الناس كلهم ... وقبر شرهم هذا من العبر

وذلك ان قبر علي بن موسى الرضا عم في طوس بجنب قبر الرشيد وكان الرشيد واخوه الهادي

الى

الى الخلافة بقتل العلوية حتى كان آخر كلام الرشيد عند الموت واحيائي من رسول الله
صلعم وعلى عهده فقد محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي عليهم السلم قال عبد الله
بن عبد الله بن طاهر حدثني ابو محمد الرباطي ورباط خاوه من عمل جرجان قال كنت قاعدا
فبينا انا في منزلي اذ طرقني ليلا ركب مستعجلين فخرجت فاذا الشموع وخدم فامروني بالحفر
فحفرت قبرا وادعوه تابوتا وعفت عليه بالتراب وجالوا بخيلهم عليه تغويرا للموضع وانصرفوا
فظننت انه كنز فاسرعت فانتبشته وكشفت عن التابوت فاذا فيه رجل فوضعت يدي على
انفه فاذا هو قريب من التلف فاستخرجته واعدت التراب على ما كان عليه وحملته الى
منزلي وعاد القوم حذرا من ان يكون نبته على ما في التابوت ونقضوا القبر الذي كان
فيه فلم يجدوا له اثرا ولا احسا لاحد وانا مشرف من منزلي ارى ما يصنعون فلما امنوا مما
توهموا الضرر او تراد الى نفس الرجل فسالت عن حاله فقال انا محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن
الحسين فاقام عندي الى ان ثوبت نفسه وترجعت ثم نهض الى العراق ثم الى الحجاز وظهر باليمن
وبويع له بامارة المومنين ودخل مكة ثم خرج على محمد وبايع المامون لابن اخيه علي بن موسى بالعهد
فخرج محمد الى المامون بخراسان وادركته منيته بجرجان فاحتفرت له ودفنته فكان
بين الدفنتين عشر سنين وكان السبب في استيصال البرامكة ان الرشيد دفع يحيى بن
عبد الله بن الحسن الى جعفر بن يحيى وحبسه عنده ليقتله وكان جعفر يرى ولوع الرشيد
بقتل العلوية وسروره بموت من يموت في حبسه منهم فشرب يوما عنده وسر وزيد
في اكرام جعفر فاعلمه جعفر ان يحيى بن عبد الله قد مات فسر بذلك وقال الحمد لله الذي
كفاني امره وان قتلناه فقالت زلنا فقال يا بني قد انتقع لي في امره باب اكتب الى علي
بن عيسى بن ماهان واعرفه ما جرى وافزع اليه في ان يكون يحيى بن عبد الله عنده
موسعا عليه الى ان يقضي الله فيه قضاوه فكتب في هذا المعنى كتابا بخطه ووجه يحيى بن
عبد الله اليه وكان علي بن عيسى بلخ اذ خراسان والري وكانت محنته بنت يحيى بن خالد وكانت
بينه وبين الفضل وجعفر عداوة ولم يكن يشعر به يحيى فاجاب يحيى بانه يفعل ما امر به
في امر يحيى بن عبد الله وانفذ كتاب يحيى بن خالد كان اليه الى الرشيد واعلمه ان يحيى بن عبد
الله عنده فكتب اليه الرشيد بخطه يعرفه حسن موقع ما فعل عنده ويعلمه فساد امر البرا
مكة لديه بما فعلوا من استحيائه ويامره بالبعث به اليه من غير ان يعلم احد بذلك فوجه الرشيد
ثم صار الى الحيرة فاقام بها اياما ثم صار الى الانبار في الثغر ووصل يحيى بن عبد
الله اليه بالانبار فركب جعفر بن يحيى يوم الجمعة سلخ محرم سنة سبع وثمانين ومائة الى الصيد



ثم رجع فقال لجعفر امض فتفرج يومك فاني مع الحرم اليوم فمضى جعفر واخذ بيد بختيشوع
الطبيب وجلس يشرب وابو زكار الاعمى يغنيه وتحف الرشيد وخلعه تجيء ساعة بعد ساعة
ثم دعا الرشيد مسرور الخادم وقال اذهب فجئني براس جعفر ولا تراجعني فيه فهجم مسرور
على جعفر بلا اذن وابو زكار يغنيه

فلا تبعد فكل فتى سياتي ✿ عليه الموت يطرق او يغادي
وكل ذخيرة لابد يوما ✿ وان بقيت تصير الى نفاد
ولو فوديت من حدث المنايا ✿ فديتك بالطريف وبالتلاد

فقال جعفر لمسرور سررتني بمجيئك وسؤتني بدخولك بلا اذن فقال الذي جئت له اثر
عظم اجب امير المؤمنين فوقع جعفر على رجله يقبلها ويقول دعني حتى ادخل فاوصي
قال الدخول فلا سبيل اليه ولكن اوص بما شئت فاعتق غلمانه واوصى بما له الى من حضر
ثم حمله مسرور على دابة من دواب الجند وادخله الى قبة من قباب الحرم فناشده جعفر
ان يراجع فيه وقال انه قد حمله على هذا النبيذ فقال مسرور ان امير المؤمنين ما طعم اليوم
شيئا ولا شرب ثم راجعه مسرور فلما سمع الرشيد حسه قال يا مسرور قال نعم قال ما وراءك
نعم فهذا قال جعفر فقال يا ابن الفاعلة هو ابن امه لا تراجعني لاقدمنك قبله ثم رجع اليه فقتله
وجاء براسه حتى وضعه بين يديه على ترس وجاء بيده ثم نصب في نطع فصلب عند جسر الانبار
ثم وجه الى بغداد به فصلب بها فاجرى عليهم من نحاسة موقعه في اهل البيت واما
اخوه الهادي فانه لما دخل عليه القاسم بن محمد بن عبد الله الحسني مع ما تفرد به من العلم
والزهادة والاقبال على الصلوة والعبادة واوقف بين يديه فقال له من انت فانتسب
له فقال الهادي يا ابن الفاعلة لاقتلنك قتلا ما سبقني اليها احد قبلي فقال
القاسم الفاعلة امك الصالحة التي اشتريت بثمن الحمص ثم اتاني عمدا بالقتل يا ابن الصانع
فوالله لا اصبرن لك صبرا ما صبره احد قال ثم اقام عليه كل عضو منه منشارا فنشر
عضوا عضوا حتى اتى على آخره فما تاوه ولا تحرك حتى مات فهذا سبيل القوم في
قتل الصالحين ابناء الائمة واصحاب الامانة وقطع آثار اهل الخير وتعفيتهم رسوم الامر
بالمعروف وكان عبد الملك بن مروان اول من قطع السنة الناس عن المعروف صعد
المنبر عند ما صار الامر اليه فقال ما انا والله بالخليفة المستضعف يعني عثمان
ولا الخليفة المداهن يعني معوية وانكم تامروننا باشياء تنسونها من انفسكم والله لا
يامرني احد بعد مقامي بالمعروف الا [illegible] ذبابة سيفي وعلى هذا خرج من خرج من الامراء

وخيار

وخيار التابعين وفقهائهم مع ابن الاشعث عليه وعلى عامل الحجاج يضربون وجهه بالسيف
مرة بالاهواز واخرى بالبصرة واخرى بدير الجماجم من ناحية الفرات بقرب الكوفة ومذهب
ابي حنيفة في قتال الظلمة والخروج على ائمة الجور مشهور حتى قال الاوزاعي احتملنا
ابا حنيفة كل شيء حتى جاءنا بالسيف فلم نحتمله وجاء ابراهيم الصايغ وكان من فقهاء
خراسان ورواتها فسأله عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فحدثه عن عمرو بن
شعيب عن ابيه عن جده عن النبي صلى الله قال افضل الشهداء حمزة بن عبد المطلب ورجل
قام الى امام جائر فامره ونهاه فقتل ثم رجع ابراهيم الى مرو وقام الى ابي مسلم صاحب الدولة
وامره ونهاه وانكر ظلمه وسفكه الدماء فاحتمله مرارا ثم قتله وكان المنصور يحتمل غرة
ابي حنيفة ويعلم انه غير اهل لما كان من اعتزاله امره وانكاره سيرته فدس اليه رجلا من
خواصه فقال لاصحابه الساعة اشغلكم من هذا الشيخ فدنا منه فقال ما تقول ايها
الامام فيمن يامرنا بسفك الدماء او باباحة الحرم انطيعه في ذلك ام نعصيه فاطرق ابو
حنيفة ثم اقبل عليه فقال هذا الذي يامركم يامر بما فيه طاعة الله او بما فيه معصيته فقال
بما فيه طاعة الله فقال ابو حنيفة فاطع من اطاع الله فانصرف الرجل ثم قال ابو حنيفة
لاصحابه ان هذا اراد ان يوثقنا فاوثقناه اذا وردت عليكم معضلة فاجعلوا جوابها
منها فان المنصور قد دس جارية بربرية فقال عندي مال في سبيل الله فاصنع فيمن
قاتل عليهما يعني الحسن محمد وعبد الله فكان ذلك سبب حبسه وربما يقال انه نعله حتى نال
درجة الشهادة معها اوتي نجا الدين من السبق والامانه ونقضه في امر زيد بن علي مشهور
في حمل المال اليه وفتياه الناس سرا في وجوب نصرته والقتال معه وعلى هذا جرى الامر
من السلف الصالحين الى ان تأخر الزمان باهله وماتت سنة المعروف والامر به واكب الدنيا
على ام راسها وانعكست الامور عن جهة صوابها واستوت اقدام العلماء في خدمة الملوك
واصطلحوا على المداهنة والملاينة واضعوا ايامهم للمداجاة والمداراة فثبت بما ذكرنا
ان المتغلب على الامر ليس من الامر في شيء وان المستحق له بسيرته وفضيلته ونسكه وزهادته
هو الواجب ان تعطيه الناس صفقة ايمانهم بالمتابعة وخالصة قلوبهم بالمحبة وان يأخذوا
منه دينهم وحظوظهم في آخرتهم وفروضها والذي من ذلك ايضا هو ان الشرير يضاد
الناسك بالذات ويضاد الملك بالصفات فان غرض الشرير وداية استفساد امر
الخليقة باقصى طاقته الحيوانية وغرض الناسك الحكيم استصلاح الخليقة باقصى طاقته
الحيوانية والمتغلب يضاد الملك بالذات ويضاد الناسك بالصفات فان غرض المتغلب

الخيرات العاجلة بخاص نفسه من المال واللذة والصيت والكرامة وغرض الملك تحصيل الخيرات
العاجلة لاهل مملكته لتكون تلك الخيرات موفورة عندهم ومحفوظة عليهم ومتصلة لديهم
وربما استنقذ الملك اذا لم يكن حازما عارفا بالامور ويتقلل الجمهور بحيث ابان الزمان وتداول
الايام الى غرض المتغلب وكذلك المناسك اذا لم يكن صادقا في نسكه سعيد الميلان الى
حال الشرير الغالب في الاستعلاء وحب الجاه والكبرياء في الارض والتسلط بالبنان
والتجبر على العوام والتحبب على الانام والانقياد للطمع والانهماك في المطمع والتزلل عند
الرغب والرهب الا ترى يجد الى حب الدنيا الاهيا عن موته وبلاه ناسيا مبتداه ومنتهاه
كما روي عن النبي انه قال بئس العبد عبد تجبر واعتدى ونسي الجبار الاعلى بئس العبد عبد سها
ولها ونسي المبدا والمنتهى بئس العبد عبد بغى وعتا ونسي المقابر والبلى بئس العبد عبد
يزله الرغب عن الحق بئس العبد عبد طمع يقوده بئس العبد عبد هوى يضله قال محمد بن علي
بن الحكيم ان البغي طلب العلو فهو باغ للمنازل الرفيعة يحب ان يتفرد بها وصاحب هواه
انتشفت حرارة شهوته رطوبة قلبه وما ركب فيه من الرأفة والرحمة والبر والرفق والسخا
ومحاسن الاخلاق فصار قلبا عاريا قد انتزع منه ماء الرحمة وصاحبه متكبر متجبر وكل
ذلك طلب العلو وعتا ونسي الموت والبلا يختل الدنيا بالدين فيتصنع ويتزاهد لئلا يأبى
بما يعرض له في العاجل من التهمة بينا لها البعد عقليه عن الاخرة ولذلك صير معالم
الايمان شبكة لحطام الدنيا يظهر الخشوع بالتماوت كي يحظى عند اهل الدنيا وينال امانيه
وشهوته ويحاذن عند لقاء الخلق ويتقشف الضعفاء كانه يهتم لدينه ويتحسر على ادباره
امره ويتضيع وقته ويتباهى اسفا منه على ما يفوته من الدنيا يمتنع من قبول الشيء اليسير
ليكون في هيئة الزاهدين ولا يقبل ما اتاه من مال الله على ايدي السلاطين يخاف ان
قبله ان ينكسر جاهه ورياسته كل ذلك ليقبل عليه الوجوه ويميل اليه اهل الدنيا و
يظهر العبادة ليكرم والزهادة ليؤتمن والانقباض ليهاب والتقدم على اهل الرتبة ليشار اليه
بالاصابع وليحكم في الناس حكم الملوك واذا وجد فرصة في مال يهتبلها وفرصة في
وديعة ينتهزها ووقع في فريسته منها باقوى حرص واشد اخذ ولا الذيب الازل الحاد
على دامية المعز كل ذلك لاغتنام الدنيا وافتراصها ونصب الحبائل لاقتناصها ه
فيفسد ويفسد ويهلك ويهلك بعبد الدنيا وطوع الشيطان
اظهروا للناس نسكا وعلى المنقوش داروا وله صلوا وصاموا وله حجوا وساروا
لو راوه في الثريا ولهم ريش لطاروا لما قتل مصعب بن الزبير انحاز الخوارج وقد ربا في

المهلب واصحابه فتوافقوا يوما على الخندق فناداهم الخوارج ما تقولون في المصعب فقالوا
امام هدى فقالوا فما تقولون في عبد الملك قالوا ضال مضل فلما كان بعد يومين اتى
المهلب قتل المصعب وان الناس قد اجتمعوا على عبد الملك وورد عليه كتاب عبد الملك بولاية
فلما توافقوا ناداهم الخوارج ما تقولون في مصعب قالوا لا نخبركم قالوا فما تقولون في عبد
الملك قالوا امام هدى قالوا يا اعداء الله بالامس ضال مضل واليوم امام هاد يا عبيد الدنيا
وطوع الشيطان عليكم لعنة الله وذكر المسيب بن واضح قال كنت مع عبد الله بن المبارك
في طريق الروم فقال لي يا مسيب ما جاء فساد العامة الا من قبل الخاصة قلت يا ابا عبد الله
قال لان خاص محمد صلعم طبقات العلماء والزهاد والتجار والغزاة والولاة فاما العلماء فهم
ورثة الانبياء واما الزهاد فاوتاد الارض واما الغزاة فجند الله في ارضه واما التجار فامنا
الله في خلقه واما الولاة فهم الرعاة الحماة فاذا كان العالم للدين واضعا وللمال رافعا فبمن
يقتدي الجاهل واذا كان الزاهد في الدنيا راغبا وللراحة طالبا فبمن يقتدي التائب واذا
كان الغازي طامعا في الغنيمة مرائيا في الجهاد فمتى يظفر واذا كان التاجر خائنا كاذبا
فعلى من يعتمد المؤمن فاذا كان الراعي ذئبا فمن الرعية والله المستعان وحدث الصاحب عن
عبد الله بن محمد عن عبد الله بن الحسن عن سهل بن محمد عن عبد الرحمن بن المثنى قال خطب
عبد الملك فلما بلغ الى العظة قام اليه رجل من آل صوحان فقال مهلا مهلا تامرون ولا
تأتمرون وتعظون ولا تتعظون افنقتدي بسيرتكم في انفسكم ام نطيع امركم بالسنتكم فان
قلتم اقتدوا بسيرتنا فانى وكيف وما الحجة وما النصير من الله باقتداء سيرة الظلمة الفسقة
الجورة الذين اكلوا اموال الله دولا وعبيده خولا فان قلتم اقبلوا نصيحتنا واطيعوا
امرنا فكيف ينصح لغيره من يغش نفسه ام كيف تجب الطاعة لمن لم تثبت عند الله عدالته وان
قلتم خذوا الحكمة من حيث وجدتموها واقبلوا العظة ممن سمعتموها فعلام وليناكم امرنا
وحكمناكم في دمائنا واموالنا اما علمتم ان فينا من هو انطق منكم باللغات وافصح بالعظات
فتحلحلوا عنها والا فاطلقوا عقالها وخلوا سبيلها يبتدر اليها آل رسول الله صلعم
الذين شردتموهم في البلاد وفرقتموهم في كل واد بل تثبت في ايديكم لانقضاء المدة وبلوغ
المهلة وعظم المحنة ان لكل قائم قدرا لا يعدوه ويوما لا يخطوه وكتابا بعده يتلوه
لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون
قال ثم طلب الرجل فطلب فلم يوجد ومن كلام بعض الاكابر ظهر الجفا وقلت العلماء وعفت
السنة وشاعت البدعة لقد صحبت اقواما صحبتهم قرة العين وجلاء الصدر ولقد رأيت

اقوامًا كانوا من حسناتهم ان يرد عليهم اشفق منكم من سيئاتكم ان تعذبوا عليها وكانوا
فيما احل الله لهم من الدنيا ازهد منكم فيما حرم عليكم منها اسمع حسيسًا ولا ارى انيسًا
ذهب الناس وبقيت في النسناس لو تكاشفتم ما تدافنتم تهاديتم الاطباق ولم تتهادوا
النصائح ان هذا الحق قد اجهد اهله وما يصبر عليه الا من عرف فضله **وحكي ان عبد الله**
بن الاهتم دخل علي عمر بن عبد العزيز مع العامة فلم يفجاء عمر الا وهو ماثل بين يديه فتكلم فحمد الله
واثني عليه **ثم قال** اما بعد فان الله خلق الخلق غنيًا عن طاعتهم امنًا بمعصيتهم والناس
يومئذ في المنازل والراي مختلفون فالعرب بشر تلك المنازل تحتاز دونهم طيبات
الدنيا ورفاغة عيشها ميتهم في النار وحيهم في العنا فلما اراد الله ان ينشر عليهم رحمته
بعث اليهم رسولًا من انفسهم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم فلم
يمنعهم ذلك ان جرحوه في جسمه ولقبوه في اسمه ومعه كتاب من الله ناطق لا يرحل الا بامره
ولا ياذن الا باذنه فاضطروه الي بطن غار فلما امر بالعزيمة انبسط لامر الله لونه
فافلج الله حجته واعلي كلمته واظهر دعوته وفارق الدنيا تقيًا نقيًا ثم قام بعده ابو بكر
فسلك سنته واخذ بسبيله فارتدت العرب فلم يقبل منهم بعد رسول الله صلعم الا الذي
كان قابلا منهم فانتضي السيوف من اغمادها واوقد النيران في شعلها ثم ركب باهل الحق
الي اهل الباطل فلم يبرح يفصل اوصالهم ويسقي الارض دماءهم حتي ادخلهم في الذي خرجوا
منه بل قررهم بالذي نفروا عنه وقد كان اصاب من مال الله بكرًا يرتوي عليه وحبشية
ترضع ولدًا له فراي من ذلك غصة عند موته في حلقه فادي ذلك الي الخليفة من بعده وبرئ
اليهم منه وفارق الدنيا تقيًا نقيًا علي منهاج صاحبه ثم قام بعده عمر بن الخطاب فمصر
الامصار ودون الدواوين وخلط الشدة باللين فحسر عن ذراعيه وشمر عن ساقيه واعد
للامور اقرانها وللحرب آلتها فلما اصابه فتي المغيرة استهل يحمد الله الا يكون اصابه ذو حق
في الفي فيستحل دمه بما استحق من حقه وقد اصاب من مال الله مائة وثمانين وكره لها كفالة
اولاده وادي ذلك الي الخليفة من بعده وفارق الدنيا تقيًا نقيًا علي منهاج صاحبه
ثم انا والله ما بعدهما ما اجتمعنا الا علي ظلع **ثم انك يا عمر** ابن الدنيا ولدتك ملوكها والقمتك
ثديها فلما وليتها القيتها حيث القاها الله **فالحمد** لله الذي جلا بك حوبتنا وكشف بك
كربتنا امض ولا تلتفت فانه لا يعز علي الحق شي **وفي كلام بعض الاكابر** من قول بعض الحكماء
المتاخرين في افاضل عصره نسال الله التوفيق لصيانة النفس عما اهملت فيه طرفًا من زماننا
فانا نجدهم قد تعلموا شيئًا من العربية واجتهدوا قليلا في تجويد الخط وحفظوا طرفًا من اهاجي

الاخطل

الاخطل وجرير وشيئًا من خمريات الحسن بن هاني ثم اعتكفوا علي كتاب كليلة ودمنة
وكتاب سندباد وهزار افسان وكتاب شاناق الهندي ثم اخذوا الاشياء هم ذرائع عن بعضه
ونصبوا علي رؤسهم عمايم بتراء ووسعوا اكمامهم وعرضوا جرباناتهم واخذوا التحضير
جميعًا خواتيم حسنة وركبوا بغالا مصوصة ولبسة ثم خالطوا السلاطنة والطغاة في جملة
اللذات دينهم والهزء مذهبهم والاستخفاف باحكام الشريعة شعارهم وجحد وانصار همهم في
الاصابة من المال الحرام والاختطاف من الحطام الحرام افتراه **يخلص** ولعله في بقية عمارة
مدهوش راسه فكره ووزع خاطره في برده وكعبه يبسط الدعوي بسطًا فيما لم يعلمه
راسًا ولم يصرف الهم اليه اصلا او يحكم علي الديانة بالتناقض ويسمها بسمة التدافع ويقضي
بان العقل ياتي هذا والحكمة لا تستعمل هذا كان جهله باقي عيار العقل وميزان الحكمة ولا
والله بل كان الله قد خذل عقله ومسخ روحه ولو ان واحدًا من عرض الدنيا امر معرفة كتاب
من الهندسة او طرفًا من علم الاوائل او اصلا من اصول النحو لاحتاج فيه الي مدة مديدة
وجهد صادق وقلب فارغ واستاد حاذق فكتاب الله الذي هو خزانة كل علم وكهف كل سر
ومعدن كل حكمة ومستودع كل غاية ابعد من ان يتاتي له كل بيان عفوًا وينقاد له
ما في ضمنه سمحًا فتي كانت في ذلك هوي ويحرز متماديًا في العمه ساحب الذيل في الغي لا
دين له يزجره ولا حيا يمنعه ولا نفس تعظه ولا مروة تصونه يهوي في مستوي ضلا الاعتلا
فالذباب الضارية والسائمة المهملة باحسن من عقله الدخول علي نفسه الجاهلة فنسال
الله العصمة ونعوذ به من الخذلان **الحلل الثامن والخمسون من كتاب خلق الانسان في**
قول الله عز وجل وفي انفسكم افلا تبصرون في اتصال الاسباب البدنية بالافعال
الطوعية الاختيارية واستكمال الانفس الناطقة بالمباحث العالية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لمن منه يبتدي الفضل والنعماء واليه ينتهي الحمد والثناء جلت قدرته فلا
ينالها ايدي المتطاولين وعزت عظمته فلا يسد ابوابها ايدي المتجاهلين ويسفح هوادي
نعم سوابغها وتتبع عوادي محنه بوادرها **والصلوة** علي عبده ورسوله محمد المبعوث
الي عبادته داعيًا وبجنته هاديًا وعلي مرضاته حاملا وفي طريق طاعاته واصلا
وبرحمته مبشرًا ومن عقوبته محذرًا وعلي آله الاخيار الصابرين الابرار **قد يكون مع الحوا**
سهم صائب من غير الفصيح كلمة نصح ولهذا قيل ان الذي يظهر من نفسه افعالا اجمعها
علي الجد اربعة اوجه فليس يخلو الخوف والحيا والمرايات والمحاكات وانه لا يعد العقل تفضيله

ما لم يستجمع المعاني الاربعة ان يكون صاحبها عالما بما يرتبط بما يوفق له وفاعلا له على سبيل
الطوع والاختيار ولا اختياره الا لاعتقاد حسنه في نفسه ويدوم اختياره لذلك فلا
يزول فلن يخلص العمل ولن يستقيم السعي الا بمجموع هذه الخصال الشاقة حتى قال لنا
رسول الله صلعم استقيموا ولن تحصوا وحتى اخبر عن نفسه فقال شيبتني سورة هود وشيبتني قوله
فاستقم كما امرت وحتى قيل الاستقامة لا يطيقها الا الانبياء واكابر الاولياء لانها الخروج
عن المعهودات ومفارقة الرسوم والعادات والقيام بين يدي الله على حقيقة الصدق
بحيث لا يكون معاملته مع الله فترة ولا تصحب سيره اليه وقفة ولا تنتابه خلل وصولة بحجبه
ولا يكره واردا على مقتضي ويعتبر بما يرى في الدنيا من غير شهوة ويتفكر في المعاد من غير غفلة
يستقل الكثير من طاعته ازراء على نفسه ويستعظم اليسير من احسان ربه اجلالا
لوجهه وينصف من نفسه ولا ينتصف لها ويعمل جوارحه ولا يعمل بهواها فاذا وجدت
فيه هذه الامارات صار صاحب الاستقامة واهل الكرامة ثم لن تكون الاستقامة
الا بقوة التدبير الحسن القويم ولن يتصور ذلك الا في المعاني الاختيارية الطوعية
دون المعاني الضرورية فان احدا لا يستعمل نظره وتدبيره في البديهيات ولا الممتنعات
نحو ان يكون الانسان والانسان اربعة ونحو ان الارض فوق السماء والنار ابرد من الماء وكما
لا يتعلق التدبير بالمعاني الضرورية لا يتعلق بالمعاني الاتفاقية كالهجوم على كنز عند
حفر بير او ركض فرس وكما لا يتعلق بالضروريات والاتفاقيات لا يتعلق بالمعاني العامة
المشتركة نحو اشتراك الناس في الملة الواحدة واشتمالهم تحت نظام المملكة الجامعة
وكما لا يتعلق بالمعاني الضرورية والاتفاقية العامة لا يتعلق بالصناعات الاصطلاحية
المنتظمة في الوضع تحت حد واحد من غير ان يكون ذوات جهات مختلفة فاذا
امتنع تعلق التدبير بالمعاني الاربعة صح تعلقه بالمعاني الامكانية الاكتسابية الخالصة
الموجهة الى اغراضنا الموكولة الى قدرتنا المعروضة على اجتهادنا المعترضة لابتغائنا
وارتيادنا اللاتي لهن جهات شتى ومصادر مختلفة ووجوه متقابلة وان اتفقت
مواردها او اختلفت واستوت مشاربها او تفاوتت قال ابو بكر الفارسي كل
طالب فانما يصل الى مطلوبه بحسب مجاهدته وكل مريد فانما يوجر على قدر ارادته
واحوالهم مختلفة فمنهم من يصحب العلم ومنهم من يصحب العبادة ومنهم من يصحب البذل والايثار
ومنهم من يصحب التعزب والسياحة ورؤية المشايخ والاقتداح بزندهم والاستضاءة من
نورهم ومنهم من يصحب ذل النفس والازراء عليها ومنهم من يصحب نسيان النفس وترك

الاستقامة

المبالاة

المبالاة بها ومنهم من يصحب مع الله بالله لعلمه انه انما يصل اليه به ولكل واحد
منهم له شرب وذوق وخلاف ذوق صاحبه وشربه على قدر ارادته وتوجهه قال الله
تعالى قد علم كل اناس مشربهم وقال ليس للمريد خير من المجاهدة حتى يظفر بمقام من
مقامات القربة ثم يلزم المقام الذي هو فيه حتى يصح له ذلك المقام ثم يجاهد في
طلب غيره وقال الحارث المحاسبي من اجتهد في باطنه ورثه الله الهداية اليه
وذلك قوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال عبد الواحد
بن زيد ابتداء مجاهدة النفس مع الاحتراس من رؤية الخلق والحمل عليها بشهوتها في
قلة الطعم والنوم والكلام واعظم مجاهدة النفس ان لا يبدي للخلق ما يتقرب به الى
الله تعالى وقال الكناني من دخل في هذه المفازة احتاج الى اربعة اشياء حال
يحميه وعلم يسوسه وورع يحجزه وذكر يونسه وقيل المجاهدة ذبح النفوس
بسيوف المخالفة وقال يحيى بن معاذ الاعمال مقسومة على الاركان والقلب واللسان
فاذا اديت اعمال الاركان افضى بك الى اعمال اللسان في فنون الحكمة واذا اديت عمل
القلب ادى بك الى مجالس القربة والمناجاة والمشاهدة وكل ما لا يعلمه الا علام
الغيوب الخبير بما في اكنان القلوب وقال ابو عثمان المغربي من ظن انه يفتح عليه شيء
من هذا الطريق او يكشف له عن شيء من هذا السر الا بلزوم المجاهدة فهو في غلط
وقيل من ظن انه ببذل الجهد يصل فمتعنى ومن ظن انه بغير بذل الجهد يصل فمتمني
وسئل الشبلي هل يبلغ الرجل بجهده الى شيء من طريق الحقيقة فقال لا بد
من المجاهدة والاجتهاد لا يوصل الى شيء من الحقيقة لان الحقيقة ممتنعة الا بايصال
الحق اليها ثم انشد اسائلكم عنها فهل من مخبر ۞ فما لي بنعم بعد مكثنا علم

فلو كنت ادري اين خيم اهلها ۞ واي بلاد الله اذ ظعنوا اموا
اذا لسلكنا مسلك الريح خلفها ۞ ولو اصبحت نعم ومن دونها النجم

ثم سبيل الاغراض العظيمة والمطالب الكريمة ان يعرض الغرض وضعا ثم ينظر اي طريق
يتادى اليه وعلى اي وجه يكون حصوله وان كانت له جهات كثيرة وطرق مختلفة
متواردة اليه فايها يكون اهون واقرب واسد واصوب ثم لا يزال يتراجع على الفكر
درجة درجة الى ان ينتهي به الفكر الى ما هو في غاية القرب منه فيجعله مقدما في
الفعل ثم يستمر فيه نحو الغرض المطلوب في تادية الافعال قدما على النهج المسلوك
بالتراجع ومهما انتقض درجة يراها في حكم التدبير ممتنعا الا بالمعاون والالات

فحينئذ يتنكب المقصود عن سمته المعتاد في الغرض المراد نحو معاونته والانه كما يقصد
طالب العلوم الحقيقية والاداب المعنوية في سلوكه مقصد العلم النحو وان لم يكن عنده
وكما يتدرب الفيلسوف في ابتداء حكمته بالعلوم الرياضية ومع هذا متى عارضته آفة
يعتاص عليه علة اصابة الاوفق في بلوغه فحينئذ لا يبالي استشارة ذوي الاشفاق
عليه والنصيحة له فقد ثبت ان التدبير المرضي والراي الحكيم والاختيار الحميد متصل
جميع تلك المجاهدات الطوعية الموكولة الى اخلاق النفس الانسانية وان تمامها
بالاستشارة القادحة زند الاراء الثاقبة والاشارات الصائبة **انشد ابو عبيدة**

ادن الرجال على مقدار سعيهم ؞ واعط كلا بما الحو وما صبرا
واعزم على الراي ما صحت مذاهبه ؞ وما تحيرت فيه فاتبع الاثرا

وقال الاودي
تهدى الامور باهل الراي ما صلحت ؞ فان تولت فبالاشرار تنقاد
البيت لا يبتنى الا له عمد ؞ ولا عماد اذا لم ترس اوتاد
فان تجمع اوتاد واعمدة ؞ وساكن بلغوا الامر الذي كادوا

وقال الاصمعي قلت لبشار بن برد نرى الناس يستحسنون قولك في الشورى

اذا بلغ الراي المشورة فاستعن ؞ بحزم نصيح او نصيحة حازم
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة ؞ فريش الخوافي تابع للقوادم
وما خير كف امسك الغل اختها ؞ وما خير سيف لم يؤيد بقائم
وبعض انتقام المرء يودي بعرضه ؞ وان لم يقع الا باهل الجرائم
وما كل اهل الوتر يجري بفرضه ؞ الا انما يجري فروض الاكارم
وذكرك ذنب الوعد يرفع ذكره ؞ فقد صرح اللوم بين القوائم
وول الحصار امن تواضع قدره ؞ وان عيب اظفاره بالمظالم
ولا يبر عنك الوهن والراي بين ؞ اذا جاش داء الهم بين الحيازم

فقال لي بشار انا علمت ان المستشير بين امرين بين اصابة يحمد على عاقبته وبين خطاء
يشارك في لائمته **ومن كلام المامون لولده** ارجعوا فيما اشتبه عليكم من
الامور والتمسوا التدبير الى آراء الحزمة المجربين والبررة المشفقين فانهم يعرفونكم
ما لا تعرفون ويكشفون لكم اغطية ما لا تعلمون قد صحبوا الدهور ومارسوا الدول
وكفوكم التجارب والعبر وعرفوا الازمنة واغراضها واقبالها وادبارها والعلل التي تكون
الهائج المضطرب ويحرك الساكن المطمئن فوثقوا بهم انفسكم وتجرعوا امرارتهم فقد قيل ان

من جعل ثمر البر اشفق عليك ممن اوجر لحلو السم ومن خوفك لتامن مما تخاف
خير لك ممن آمنك لتخاف فاتامن **وقد قيل** ان نصف عقلك مع المستشار واما استكمال
الانفس الناجية بالمباحث الحقيقية فذلك ان يعرف حالها ومآلها وما يحصل به لها
كمالها على ما نحصه بعض الحكماء **وقال** الناظرون كثيرون والباحثون مختلفون والكثرة
ناتجة للاختلاف والاختلاف جالب للحيرة والحيرة مستولية على الانسان والانسان ضعيف
محدود الحيلة محصور الفصل مقصور السعي مملول الاول والاخير غشاوة كثيف وباعه قصير
وفائته اكثر من مدركه ودعواه احضر من حجته وخطاؤه اكثر من صوابه وسؤاله اظهر من جوابه
يريد ان يعرف كل شي وهو لا يعرف نفسه وهو لا يعرف النفس الا بالنفس وهو محجوب عن نفسه بنفسه
واذا كان الامر على هذا فالقول فيه على ان كل من كانت نفسه اصفى ونوره اشيع ونظره
الطف وفكره اثقب ولحظه ابعد كان من الشك انجى ومن الشبهة انأى ولى النفس اقرب والانسان
ذو اشياء كثيرة من جملتها نفسه ولكثرة ما هو به كثير يعجز عن ادراك ما هو به واحد اي انسان
وكيف لا يكون هذا النعت حقا وهذا القول صدقا وهو مركب ومركب في مركب ومن بسائط
وانما هو جزء يسير ونصيب قليل منها فكيف يدرك بجزء منها كلها وبقليل منها جميعها
هذا متعذر اذا لم يكن محالا او بعيدا اذا لم يكن معدوما ويكفي ان يعلم في هذا الموضع ان نفسه
قوة الاهية بين الحور عن بزنة سنهية وبين معنى مميز لها وطالع عليها شائع فيها
محيط بها وهو عقله الذي فضله به خالقه وهداه اليه وكانه نحو امور غريزية بادية
الاثار في بدنه كذلك هو ذو معان روحانية ظاهر الاثار في آرائه واختياراته ومطالبه
وما ربه بعقله الذي به يميز ويتصفح ويختار ويتحصل ويستنبط ويوقن ويتوقف ويعلو ويظن
ويتذكر ويتفكر ويتوق ويطمئن ويعرف الله الذي خلقه وقسم عمره ورزقه الذي لا سبيل الى
انكاره والشك فيه وكيف الاحساس بالمالم منه تشكر عنه وتحته ينبو عن ذلك وحظره
تاباه وهذا النبو والاباء يفزع اليه ويتوكل عليه ويطلب الفرج منه ويلتمس الخير من لدنه
فانظر الى هذه السلسلة الوثيقة التي لا تفصمها شي لا في زمان ولا في مكان ولا في
يقظة ولا في منام واما فعل هذه النفس فهو اثارة العلم من مكانه واستخراجه من العقل
بشهادته مع افادات منها اشيا اخر عند الانسان بها ينال ما يكمل به ومما لا يظفر
بسعادته وبسعادته ينجو من شقوته وليست هذه هي الروح لان الروح جسم يضعف ويقوى
ويصح ويفسد وهو واسطة بين البدن وبينها وبفيض النفس قوته على البدن ويحس
البدن ويتحرك ويلتذ ويالم وكل نعت للروح والبدن فقد عطر عنه هذه النفس وكل نعت

اطلق لها بما عنه البدن والبدن يفنى ويبيد اذا فارقها فاذا كان الانسان انما يموت
وبدنه يفنى ويبيد لانه يفارق النفس فالنفس تفارق ماذا حتى يكون في حكم الانسان فاما
ما الانسان بها انسان فيجب ان لا يكون حكمها حكم الانسان المخصوص بهذه الصورة البشرية
وان كان الانسان بها مؤيدا من الله بنور العقل ومتأهلا لدرجة الملائكة ومالك لخصائص
نعيمهم وجميل اوصافهم وصايرا الى البهجة والغبطة والحبور والسرور والدوام والخلود وهذا
هناك في مقابلة ما كان لها ههنا من الفضايل التي لا يأتي عليها احصاء ولا يحتملها
استقصاء وهذان الجوهران الشريفان وان بلغ كل واحد منهما في خصايص فعاله
ما لا مزيد عليه فلم يكن ليغني احدهما فيما عن الاخر لان الروح لو اغنى عن النفس لم يكمل
الحيوان ان يكون انسانا لان الانسان بالنفس ما هو انسان لا بالروح وانما هو بالروح حيوان
نجيب ولم يكن ليغني النفس لان الروح للنفس كالآلة حتى تظهر اثارها بوساطته وليس ذلك ايضا
لعجز النفس ولكن العجز لما يظهر فيه اثارها والا فليس هناك عجز لانه نظام موجود على هذه الصورة
وصورة قايمة على هذا النظام وحتى ان الصورة المجردة منهما ايضا اغنت في موضعها بما
اكتسبت من احدهما كما كفى الروح عنها في موضعه الخاص بما اكتسى من نورها وبهائها
وان كان مجموع هذا كله راجعا الى الله تعالى فانه منشي جميعها ومبدعها وحافظ كل منها
على حاله وحياله ومبلغه الى اقصى الامكان في حسنه وكماله وهذا كالملك في بلاده حيثما
يتصدرون عن رأيه وينتهون الى مراده ويتوخون في كل ما يعتقدونه ويحاولونه
ويبرمونه وينقضونه ما يرجع الى وفاقه وارادته وكل ذلك منه وله وبامره وهذا
التمثيل ايضا تقريب وايماء والا فاين البشري من الالهي ومالا يتجزى مثلا لعلقه وما
مما لا ينتهي من عظمه وفخامته وكذلك هذا البشر المسكين لم يجد هذه السياسة من
تلقاء نفسه وبما هو ضعيف مهين عاجز مسكين بل بما فاض عليه من تلك المنايح وعلق
به من تلك الروايح فهو اذا ابرز شيئا ابرزه على مثال ذلك لانه قد اعطي القالب وسهل عليه
ان يفرغ فيه ويختم على طابعه فهو شوق الالهي وان كان الاشتياق بشريا ونظم ربانيا وان
كان الانتظام انسانيا وفي الجملة المدبر السياسي طلل الاخرى والارضيات متصلة
بالسماويات والسماويات مستولية على الارضيات والعالمان متصلان والتدبير متماثل
والتقدير متعادل والخلق متقابل والامر متشاكل لكن الناقد من ذلك في السفلي بشري
في عرف الاستعمال وفي العلوي الالهي والكل في التحقيق الالهي وانما اختلفا بحسب الصدور
والورود والفضول والوصول والنكوص والبلوغ والعادة جارية ان تشبه الاشياء بالشمس

والقمر

والقمر ولا تشبه الشمس والقمر بشيء آخر لان للاعلى المثل الاعلى وللاسفل المثل الادنى وهذا
موضع يحق علينا اذا ضربنا هذه الامثال ان نتبرأ من دعوى التحقيق دون ارادة التقريب
وكذلك ينبغي لنا ان نتوب الى الله في كل وقت وزمان من التقصير في معرفته واطلاق
الوصف بما لا يليق به وتعريج الوهم على شيء قد حجبه عن معارفنا ورفعه عن عقولنا وان لا نطمح
عيون افكارنا وهو احسن الى ذروة تزل عليه اقدام المتخطي في هذه الدار الى ان يتسهل علينا
النزول بها في تلك الدار هذا مع التفاوت في العقول قلة وكثرة وصفاء وكدورة وانارة
وظلمة ولطافة وكثافة وخفة ورصانة حسب التفاوت في الصور والالوان والخلق
والهيئات طولا وقصرا وحسنا وقبحا واعتدالا واعوجاجا بل فوق ذلك لان هذا القبيل محسوس
بالحس ومشهود بالعيان ومعاين بالمحسوس وذلك القبيل محجوب عن هذا كله فلم يجز ان يكون
الاحاطة تتفاوت ما غاب عنا في وزن تفاوت ما حضرنا لانهما ما تباينا الى التقابل
بل التخالف وهذا التفاوت متعارف وان اعتبر من خارج وذلك انك تجد اصحاب المال
ايضا يتباينون في مقادير ما يملكون من المال ولا يتفقون على مقدار واحد منه عند
جماعتهم ولا يتفقون على نوع واحد ايضا من اعيان الاموال لان هذا يملك الصامت وذاك
يملك الناطق وهذا يمارس الخز وهذا يمارس الصوف وهذا ينظر في الحرث وهذا يبيع
الحيوان وهذا يتصرف في الموتان وكل منهم صاحب مال ومباشر له وعلى هذا المثال
اختلف اهل العقل في مطالبها فصار هذا يملك بعقله غير ما يملك الاخر فصار هذا
ينظر في الامور الشرعية وهذا في الامور العقلية وهذا في الامور البعيدة الغير المجدية
وهذا في الامور الدينية النافعة على انحاء مختلفة وموارد متباينة وانها لكثيرة ان لم
نقل بلا نهاية وان كان عمله في جميعها عملا واحدا وحكمه حكما متفقا وهو الحكم بقبول
الشيء ورده وتحسينه وتقبيحه على حقيقته في نفسه اذا كان المعروض عليه على جوهره
غير مموه ولا مغشوش ولا مشبه ولا ملبوس فان كان مموها مدلسا اختلف حكمه عنده
لانه يرى الباطل حقا في وقت والباطل حقا في زمان حاش لله من ذلك بل هو المحترز
المنقوص والذهن الملبوس يحكم له بما يستحق من جهة تمويهه الا ان يكون الغائص لم يشعر
بذلك التمويه ولم يفطن لذلك الغش فيجتنبه بهدية العقل ويرشده ويفتح عليه وينبه له
ويكون حاله عندنا كالصبح اذا تنفس بعد والحيوان في نشوه فيخرج من بيته الى نوع
ويخرج الملك الى الربوع وكالشمس اذا طلعت نفعت في الحي والجامد والمايع والجامد وان
كان اشراقه دايما ونوره منتشرا وطلوعه ابدا وكسوفه معدوما وغيوبه محالا او الشمس لنا

عزوب وطلوع وتجلي كسوف وأما الحال بعد تخليتها فكأنها طامع متوجه اليه وكل
سعي مقصور عليه وكل انسان هايم به وكل مصرح فعن زبرته يصرح وكل كان فعن غربته
يكني وكل مترنم فيه يترنم وكل شاد فمنه ينشد او كل سامع فعليه يطرب ولا تخلو تلك
التخلية اما من قبل ان محله غير محتمل لقياصه فيه بسبب فساد مواده او لأن مناعه
على امر آخر لا يتم له بمفارقة مكانه الاول او لهما جميعا وهو على طريقة التمثيل والانسان
كما يقال الواحد منا انك اذا فارقت هذا المكان بقيت عينك الباصرة واذنك السامعة
فهل ترى ذلك النعم عليك واحسانا اليك فان عينك اذا بقيت ابصرت العالم بعد كما
كانت تبصر وهو معك بل تبصر احسن من ذلك الابصار لانها كانت معك تزيد بسببك
وتغشى من اجلك وربما عرض لها بسببك بدنك من آفات كثيرة وادواء مختلفة وهي
آمنة بعد ذلك من هذه الاعراض المكروهة والامراض الشديدة فانا نعلم انه يكون لقد ضيق
بل اتمنى هذا ومرنح به وهو معنى قوله عليه السلام اللهم متعنا باسماعنا وابصارنا واجعله
الوارث منا فان كان التمثيل واقعا وهذا التقريب نافعا فليكن ذلك مطردا في بقاء
نفس الانسان التي كان بها انسانا وبها كان ينعم في هذا العالم وبها كان يعلم
ويعرف ويحكم ويصيب فيمنى البقاء والدوام والخلود وفيه نفس الانسان الى الانسان
اقرب والصق من نسبة العين اليه الا ترى انه بالنفس انسان وبالبدن حافظ شكل الانسان
فاذا كان للانسان في هذا التمثيل غاية مطلوبة متمناة وهما محبوبة ههنا اعني في
بقاء العين والاذن حتى يبصر بلحد ههنا هذا العالم الحشو بالآفات ويسمع بالاذن ما
يجري فيها على ضروب الاستحالات فكم بالحري ان يكون له رضا ببقاء نفسه في محل الروح
والامنة ومقام الكرامة والسكينة على حال الخلود والطمانينة في دار هي الحيوان و
جوار هي الملائكة ان هذا العجب واعجب من هذا العجب عقل لا يعبو به وروح لا يحس بسماعه
ونفس لا تجد حلاوة برد وصدر لا تصدع طربا عليه وشوقا اليه وان لم تشعر بهذه الفوايد
ولم تستشعر لاسباب هذه النعم ولم تسل الله هذه الكرامة لعازب الراي ضعيف العقل
ضعيف الثقالة ردي الاختيار ساقط النظر حيوان خسيس في مسلك انسان شريف
بل ليس له من صفة الانسان الا النصيب النزر والاطيف الخيال وان من اشعر في علمه في
هذا الحد ووقف هذا الربع وحرس هذا الثغر من الاعداء فان رغب نجا ومن اهمله كانت
جنايته على نفسه بتفسيده اعظم من جنايته على قوم الساير وعند ذلك حق على مثله ان
يقف حيث اشعر ويسكت عما وراه ذلك عجزا او استحياء ونقصا الحو واستعفا الا بما

قد وقع الامر به من جهة صاحب الشرع الذي هو من المبارزة النفوس ومرشدها وقايدها
الى اقصى النهاية في درك السعادة وهو موقفها عند الحدود التي لها وزاجرها عن
التخطي الى ما ليس لها واليها المجلس التاسع والخمسون من كتاب خلق الانسان في
قوله تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون في موقع العلم من العمل في انفس الانسان

بسم الله الرحمن الرحيم

العلم لمن لا يعزب عن علمه ودايع الصدور والامر لمن لا يعزب عن حكمه مطلع المقدور
والفضل لمن يستنقذ العايذين من مضايق الامور ويديم الالتجاء اليه بوائق المحذور
ويكفي كل همة عرضت ويكشف كل غمة اعرضت ويلين المستصعبات بعد الجموح ويقوم
المايلات عند الجنوح احمده جهدي وان كنت حق حمده لا استطيعه وادعوه دعاء وهو
مجيبه وسميعه واصلي على عبده ورسوله محمد المصطفى الموصول اسبابه بالحجة الوسطى
المفتوح بابه الى الدرجة العليا المخصوص اولا بآيه بسط المستظهرين واعدادا وبعده
المستبصرين المعضود دينه باعلام العلوم المرفوع شرعه بمعالم الرسوم الظاهر برهانه بزمر
المعجزات العالي كلمته على ساير الكلمات صلى الله عليه وعلى آله ايمان الايمان واعلام
الاسلام بدور الليالي وشموس الايام وسلم تسليما الايمان اعتقاد صادق يقيني
ومحله من النفس هو العلم والكفر اعتقاد كاذب غير يقيني ومحله من النفس هو الظن وقد
يصلح الظن للاعتقاد الصادق وقد يصلح العلم للاعتقاد الكاذب ومن الواجب على
الانسان ان يعرض ما يسنح لنفسه من الظنون على العلم ليامن به آفات الزيغ واسباب
الكذب عن انه بما كره عرضه عليه تقاديا من ان يزيغ بالتقصير او يوثق بالجهل وكما
ان العمل الاحكم هو ما يكون لطالبة بعد الروية كذا العلم الاحكم هو ما يكون الاعتقاد له
بعد التهذيب واذ عرفت هذه المقدمة فاجل كل امة منها حظا ينتفع به في اقامة
معاشها ودفع اسباب العيث والفساد عن انفسها ولو كان لها حقيقة لاستغنى بها
عن التوقيف ولينط امرها بالعقل ولو فعل ذلك لما اضاؤا فيها فرقا شتى واحزابا
تترى قالوا ومعلوم ان امتهان النفس فيما لا يوجبه العقل شغل لا يفيد نايلا ولا
يجدي طائلا فاذا البر من شاور عقله واستملى منه افضل من ان يعمد الى ما وجد العرف
كلها متفقة على احتيانه كالعدل وصدق القول والوفاء بالعهد واداء الامانة ونصرة
الضعيف واغاثة اللهيف فيجعلها سيرة لنفسه ويترك ما عداها مما تنازعت فيه الامم
واختلفت فيه الاراء والمم فهذه جملة ما تعلقت به هذه الفرقة الضالة من الدعوى والشبهة

ولن يميل اليه الا احد رجلين رجل ضعفت منته عن اعطاء النظر حقه على التمام
ومنهم في اعتقاده الى حيرة وارتياب ورجل اطلق نفسه لما اشتهيه من اللذات
العاجلة ولا يهتم لما آل الامر في العاقبة المحموده والسعادة الدائمة وهذان
الرجلان لا يرجعان الى فئة تؤويهما بل كل من اهل الملل والاديان قد اعتقد
لهما بغضا ونصب لهما حربا وحكم بانهما الارذلان مذهبا والاخسران عملا وانه لا
شيء اوحش في العقل من اثبات صانع حي حكيم لا يتوجه له امر ولا نهي ولا امتحان ولا
تكليف ولا وعد ولا وعيد ولا ترهيب ولا ترغيب فانه مع حكمته التامة البالغة وجوده
الفائضة السابغة اهمل ذوي الالباب من عباده سدى يسطون بما يريدون
لسانا ويدا ان كوا اهواهم يرى كل منهم ما اده عداوة وما عليه ظلما يعيشون سنين
كالانعام المهملة مع الهموم والهموم وانواع التعب والنصب يفنون زمنا ابديا وان
الصانع الحكيم قد وفق على اختصاصهم وانواعهم على طريق تضعيف المنافع من نحو انبات
الشعر على الاشفار وعلى الحاجبين وتقعير الاخمص من القدمين واشياء اخر من المنافع
التي لا ضرورة اليها في التقابل اكثرها الا انها تنفع في التعاون تمنعهم من النظام
الضروري في معاشهم ومعادهم من الشريعة التي تقيمهم على نهج السواء على ما ينعقد عليهم
الملك في احكام الوضع والبناء حاش لله من ذلك فلم يكن الله مع عظم جوده وواسع فضله
ليمنع عنه ولم يكن نحن معاشر عباده مع شدة حاجتنا اليه لنمنع منه **واما**
قول هؤلاء المنطرفين ان العلوم الشرعية كلها امثلة واوضاع اصطلاحية فمتقدم
كاذب لان الاركان الاول للاديان منقسمة الى اقسام اربعة وهي الاعتقادات والعبادات
والمعاملات والزواجر عن السيئات فاما الاعتقادات ففوض تصحيحها الى العقول ليس
للتقليد فيها مجال واما العبادات والمعاملات والعقوبات فجميعها عقلية لا يجوز
ارتفاعها عن العالم مادام معمورا طرفة عين واي نطلق العقل ترك عبادة المولى الذي
خلقه ونعم عليه ورزقه وكيف مع معاملة ابناء الجنس الا بالحسنى وان لا تزجر الاشرار
بالعقوبات الناكلة عن السوء وما لا يمكن ان يوجد لا يتصور ان لا يتعلق به ما لم يوجد الا ان
عقولنا الجزئية تقصر عن معرفة كيفياتها وكمياتها ولا تجمع على صورها فانها تحتاج
الضعف الى معونة من له الخلق والامر ومنه الرحمة والفضل وخصوصا اذا كانت المصالح
تتغير بحسب تغاير الازمان واختلاف طبائع القرون فخص الله بذلك من استحق رتبة النبوة
ويؤيده بخصائص يسمع بها كلام الله ويحدث فيما عنه صوت يسمعه يكون من قبل القدير

ملائكة الله وقد يحصل له على صور يراها **كما ذكرنا بعد امر ذلك في كتابنا في حل**
اعزة الاحاديث على تفسير المختار في الاخبار من مقدمات الوحي واما توهم ان من
شا او عقله افضل من ان يعد الى نبأ ووجد الفرق كلها متفقة عليه فقدمه مموهة
فانهم مع اختلافهم في فروع الشرائع متفقون على ان الجاحد لابواب العبادات والتارك
لصنوف المعاملات والمنكر لوجوه الزواجر عن الجنايات لمن يصلح له دين ولا دنيا ولا
يحصل له آخرة ولا اولى وان كان هذا معتقدهم فصار المعرض عن الشرائع لايثاره
ما اجتمعت الامم كلها عليه واقتفائه في غيرها اتفقت الامم على خلافه وعلى ان العقل لا
يقتضي ترك جميع ما اختلف فيه العلماء العقلاء بل يقتضي صرف العنان وتوجيه العيان
الى ما هو الارشد من جملتها سبيلا والاوضح من بينها دليلا على ان الفاضل والمفضول في
هذه الاشياء ليس ينفك عن مراتب جمة لو توهم انقطاعها عن العالم لظهر الخلل في نظام
عيان مما كان عن ضده اعود او توهم انه انفرد كان بالحري ان يحكم له بالفضل ومثال ذلك
عن حق السمع والبصر فمن غير حق النظر والشعر وقوة الدماغ او القلب انفرد من قوة الفكر
والفكرة فاذا كل باب من ابواب العلم وان قل خطره فانه في نفسه جليل الشان رفيع المكان
وما الذل والنقيصة الا في الجهل والغباوة **وقد قال الله تعالى** يرفع الله الذين امنوا منكم
والذين اوتوا العلم درجات **وقال امير المؤمنين** عليه السلام قيمة كل امرئ ما يحسن **وقال الناس**
اعداء ما جهلوا **وقال** يحيى بن خالد لابنه جعفر يا بني خذ من كل علم بطرف فان من جهل
شيئا عاداه واكره ان تكون لشيء من العلم عدوا **وكان** بعض اصحابنا قد خاض في شيء
من هذه العلوم وشوبها باليد فلم يف في ذلك مع جلالة قدره في العلم **فقال** اما
الان ان تعلمته فلا يمكنني ان انساه لكني تعلمته انفر من الجهل **فاذا تقرر هذا** رجعنا
الى ذكر فضيلة العلوم الشرعية وان تخلى او لا قول لمن يزدري بها وتنقص من مقدارها
وبجل ما يتعلق به من شريعته فانهم قالوا عن جنون وخلاعة وتطرف استثقلوا معه
وظائف العبادة وعزائم الامر انه ليس تحت شيء من الشرائع علم بمقتضية العقل فانها في
الحقيقة مثل شرعية واوضاع اصطلاحية وانا قد بينت مما ذكرنا شرف علوم الدين على
غيرها فلنبين تفاضلها في نفسها ونعلم ان استحقاق الشيء الفضيلة على غيره من جنسه
تارة يكون بحسب الكمية وتارة بحسب الكيفية اما الكمية فمثل كثرة العدد واكبر الجثة فان
ذلك مما يروع الابصار حتى يحيره الناس وذلك مثل الجبال الشاهقة والاشجار الباسقة
والابنية الفاخرة والحيوانات العظيمة **قال الله تعالى** واذا رأيتهم تعجبك اجسامهم **وقال**

وزادكم في الخلق بسطة ولهذا دخل في الانفس اجماع الامة وذكر السواد الاعظم واما الكيفية فكما يجد من مقاومة الشخص الواحد من الذكورة عدداً من الاناث نحو الفرس مع حجوره والفالج مع نوقه والديك مع دجاجه والرجل مع نسائه فعلى هذا نسلط في العلوم الدينية ويتعرف من فضيلتها بحسب كميتها وكيفيتها اما من طريق الكمية فلان كل علم كان اكثر فنوناً واوفر شعباً وازخر بحاراً كان احق بان يقضى له بالفضيلة ومن طريق الكيفية فكل علم كان اعظم نفعاً واطيب جدوى واوسط وضعاً كان اولى له بالمزية ثم لا شك ان علم الحديث كالمادة لعلوم الدين فله بذلك فضيلة الابتداء وان علم الكلام جعل كالغاية لها فله بذلك فضيلة الكمال والتمام وان علم الفقه كالمتوسط بينهما فله بذلك فضيلة الاعتدال ثم اكثر طوايف المتكلمين بل جلهم يقدمون على ان الاشياء بالاضافة الى العقل اما واجبة او جايزة او ممتنعة والواجب من ذلك مقتضى معقول والممتنع مدفوع عند العقل والقيام بين يدي الاب جايز في العقل ثم اذا امر الاب بالقيام بين يديه واما بالتنحي عنه فقد صار الجايز في العقل ملحقاً باحد طرفيه لا انها تكن بواسطة الامر به بل بواسطة الامر حيث انخلع من المطيع فان المتفق عليه من المستحسن العقلي تعالى لا لانها الطاعة المستحق عليها الثواب بل يرجع ذلك الى مكارم الاخلاق المكتسب بها المحامد بل لا يهتدي العقل الجزوي الى ادراك الحقايق والمصالح عن اخرها بل لا بد لكل من له اعتنا بامره وارعا على نفسه واشفاق على غيره من التزام التعليم لمن هو دونه والتعلم ممن هو فوقه حتى ينتهي بهم الامر الى الاوحد الاخص الذي يصير الاضافة اليهم مفزعاً في تعرف ما قصر طبايعهم عنه فيتسع بمكانه المعارف ويتم برجحانه المصالح ويرتفع بكماله النقايص يختص من ربه بخصايص ليست فيه ساير الناس ولا يجري على حق القياس ويكون له المعجزات الباهرة والايات الظاهرة يستشعر الناس انه الاوحد لهم متميز في ذلك منهم ويستثمروا بما يعلمهم من العلوم الذهنية والوظايف الشرعية عظايم نعم يستمتعون بها ويتفيأون في ظلالها ويتمسكوا على سننه بطاعة ربهم ويثابروا على شكره ويتجاوزوا الى رضوانه ويوقنوا ان ثمرة العلوم كلها هي الوصول الى الخيرات وانه لا اجر افضل للعبد من افادة الزلفى في مولاه وان يبعد بينها الا بعبادته ولن يهتدي الى عبادته الا بعلم دينه الحق دون ما سواه من العلوم الاخر على ما قاله الامام الايمة ابو حنيفة حين سئل عن حد الفقه قال هو ان يعرف كيف تعبد ربك وايضاً فان الشرايع ما وضعت للنفع الحاضر ولا للفايدة

الجزوية

على

الجزوية بل للمصالح الكلية العايدة جزويها الى عامة الخلايق غير مقصور نفعها على شخص واحد او في شيء واحد ولهذا ما عيب على معوية بحمل الاصنام في السفن الى بلاد الهند وان تعلق به موت الجال حتى قيل فيه لا يدري اي رجلين نعد معوية لرجل زين له سوء عمله فرآه حسناً ام رجل آيس من الآخرة فاراد ان يتمتع بها ولهذا ما منع السلطان الماضي محمود بن ناصر الدين سجاجة دينه وصدق يقينه افتداء جثة بعض من قتله من طواغيت الهند من الاموال بما جل عن التحديد والتعديد ليحرقوها بالنار ويطرحوا رمادها في مساكنه على عادة لهم بحثت ملوكهم وقال لا افعل نتجرى في جهادهم بشيء من عرض الدنيا فقد تبين بما ذكرنا ان العلوم الاخر وان كانت في انفسها شريفة الموقع بديعة الصنع ولكنها لما كانت موضوعة على افراد من الفوايد الخاصة باحاد الناس او بابعاض من الاشياء لا تبلغ مبلغ شرف العلوم الشرعية العامة فوايدها الوافية من جهات كثيرة عوايدها وايضاً فان العلوم الشرعية كالاساس المبني عليه ساير العلوم فانها مستلقاة من الوحي الالهي الذي لا يعترض الشك عليه ولا يجوز الغلط فيه فاما حكمة القدماء وعلومهم فانه وان اقتنع بالدعوى او الاجتهاد لواحد في كله فانه يطرد مثل ذلك لاخر مثله فليس واحد منهم باولى فيه من الاخر وانى يبلغ سعي العبد الممنو بالنقص والقصور مبلغ ما يكون ممن له الخلق والامر

غالیه کردند تا مگر بتو مانند ۞ برد و بنیا گوش خود بنان سرایی
تا مدحون خطتای نکارو گراید ۞ صنعت مخلوق محو صنع خدایی

ومن هذا لم يات لواحد من اصحاب الكيميا ما حاوله وان اذهب له ماله تمام واوقع دينهم واظهر حججهم حيث ظنوا ان شيئاً من الصنايع تفعل ما تفعله الطبيعة المحتاجة في تطوير المعادن على مر الزمان باذن الله ومن هذا يرى الاطباء يعزون اول علمهم الى انه نجح بروح اول ابايهم الى السماء فاطلع منها على ما في الارض وكذلك الهند ينسبون علومهم مرة الى الوحي السماوي واخرى الى الالهام الالهي وان العناصر الارضية ما بين مركز الارض الى السطح الاسفل من فلك القمر وان فضاء السموات معادن الروحانيين من طبقات الملايكة وان بسيط الارض معدن الاجسام الكثيفة وان مدبر السموات خالق مبدعها ومبدع كل شيء وان مبدعها ليس بذي مادة ولا بذي صورة وليس بجوهر ولا عرض وان وجوده ووحدانيته شيء واحد وانه ليس بذي عدد بل هو ماهية ولا بذي ضد ينافيه وان العديلين هما اللذان يشتركان في الاوصاف وهو تعالى يجل عن الشريك والضدين هما اللذان يتنافيان

الصورة ومتعاقبان على المادة وهو تعالى ليس بذي مادة ولا بذي صورة فهو اذا الملك
الحق الذي لا شريك له في ملكه وهو متى وصف بانه حي وبانه عالم وبانه قادر وبانه
مريد فلن يكون القصد بهذه الاوصاف الى اثبات المعاني المكملة لذاته بل يكون القصد
بهذه الاوصاف تنزيه ذاته عن النقايص التي تلحق القايم بهذه الاوصاف وذلك لان
ثمرة الحيوة فينا هو ان لا تخفى علينا المحسوسات وقد يمكن ان تخفى فاذا الحقنا النقص
مع الحيوة فنفي هذا النقص عنا بوصفنا ايانا بالحيوة وهو العلم والله تعالى جل ان يخفى
عليه شيء من المحسوسات لانه عالم بالذات ولا يخفى عليه شيء فوصفه بالحيوة لا تقتضي الحاق
وصفه ايانا به بل يقتضي تنزيه ذاته من النقص فوصفه بالحيوة اذا لا تقتضي تكثرا وكذلك
وصفه بالقدرة وذلك لان معنى القدرة هو التمكن من ايجاد الممكنات وقد يمكن في البشر ان
يلحقهم النقص ويلحقهم العجز والله يجل عن ذلك لانه قادر بالذات فلا يمتنع عليه شيء فوصفه
بالقدرة لا تقتضي الحاق وصفنا اياه بل يقتضي تنزيه ذاته عن النقص اللاحق بالبشر ولا تقتضي
تكثرا البتة وكذلك قولهم في العلم والارادة قالوا وان الفلك الاعلى وهو الفلك المحيط هو
اشرف الاجرام السماوية وانه قد سرى منه في العالم قوة روحانية ورحمة الهية بها
يصير كل واحد من موجودات العالم مهتديا لخصايص مصالحه وان الفلك الحامل هو ايضا
اشرف الاجرام السماوية دون الفلك المحيط وانه يسري منه في العالم قوة الاهية بها يصير
كل واحد من موجودات العالم مؤديا لخصايص افعاله وان احد المعنيين يتحد بالاخر حتى
لا يرد عليهما امر العالم كله واجزاؤه منضودة على احكم الوضع وانفع التركيب حتى ليس في جميع
ابعاضه واجزائه ما هو عبث وخال عن منفعة الا انها لما كانت الجواهر العنصرية ضعيفة
البنية بالاضافة ولم يكن من القوة والظهور على مثل ما يوجد عليه احوال الاجرام السماوية
طبقات الملايكة ذوي العقول الرضية والاعمال المرضية كانت الحيوانات السفلية عمارة
العالم السفلي وان الانسان يختص بمجموع الامرين عقل الملايكة وطباع ساير الحيوان فلذلك
صار صالحا لعمارة هذا العالم وصالحا لزينة ذلك العالم وقالوا هذه المضار الحادثة
في هذا العالم مثل الالام والاسقام وما يرتكبه الاشرار من الافعال الذميمة وسقطات
الصبيان من الحركات العبثية فانها وان كان لا يتعلق بها نفع عايد بقوام العالم ونظامه
فانما سببه قصور البنية عن بلوغ الكمال وعن الوفاء بالتمسك بالمراد من الخليقة على ان
الجبلة الانسية لو لم تكن ذات قصور في البنية لما انتبه الانسان في احتياجه في
الحالات كلها الى خالقه ولو لم ينتبه على احتياجه اليه لما احبه ولما خشيه ولما

استعاذ

استعاذ به ولما التجا اليه ولصار ابواب المعاونات واوجه المواساة منقطعة
بين الخليقة ولما تدرج الانسان بمساعيه الجميلة الى اكتساب الفضايل ولما استحق
بها المحامد فسبحان من جعل الانسان بقصور بنيته فايزا وفي غبطته فاذا الواجب
على كل عاقل ان ينظر الى افعاله الصادرة عن اختياره هل هي مما ينتفع به في قوام العالم
ونظام امره اما بحسب رفقه كالصناعات المهنية واما بحسب زينته كالعلوم
الحقيقية وان يعلم يقينا انه متى عري فعله منهما وقد خلو سعيه لتحصيلهما فانه
اما ان يصير مضاهيا للصبية اللاعبين يستوي وجوده وعدمه واما ان يصير مشابها
للفسقة البطالين فيكون كالقاصد لنظام العالم بالمعاندة اذ قد عاند العالم باستطالة
وعلى هذا هلك من هلك من الامم المتمردة في افعالها العاصية على خالقها هذا محصول
قول القدماء الحكماء العلماء بالله وبما خلق الله على اختصار في بيان اقسام علومها وأما
العلوم الشرعية والابانة عن فضلها والاشارة بشرفها فنقول ان العلوم في ذواتها
كثيرة وهي مع كثرتها متفاضلة فان علم العروض وعلم النحو وان كانا شريفين فانهما لن
يبلغا فضيلة الفقه الذي به يتوصل الى معرفة عبادة الخالق ومعاملة المخلوق ولا فضيلة
الكلام الذي هو معرفة المعبود ومجاهدة اعداء الدين بالدليل على ان خاصية التفاضل
ليست مقصورة على العلوم بل هي عامة للاشياء والافق وايضا ان العرش والكرسي افضل
من العناصر الارضية وان الشمس والقمر افضل من المصابيح والذهب وان الفرس والبازي
افضل من الدود والنمل وجميع ذلك حيوان والعنب والرمان الطيب من المشمش والزعرور
وكل ذلك فاكهة ومن قال يتساوى العلوم وتكافؤ الاشياء كان كمطاول الارض السماء سفاهة
وفاخر الشهب الحصا والجنادل ؛ وقال الشاعر الشمس لن خفية ؛ وقال الذي اصبح لونك
وقد قال الله عز وجل ولقد كرمنا بني ادم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات
وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا واخبر عز من مخبر عن التفاضل الموجود في
الانبياء فقال تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض وكذلك لبعض الامكنة والازمنة
فضيلة على البعض مختار لتادية العبادات والتصدي لاجابة الدعوات
هو احد حتى تفضل العين اختها ؛ وحتى يكون اليوم لليوم سيدا
رجعنا الى المقصود فنقول العلم هو الاحاطة بالشيء على ما هو عليه وهو ينقسم الى علوم
الشريعة وعلوم الحكمة وعلوم الشريعة تنقسم الى ثلثة شعب حسية سماعية وهي علم
المحدثين وعقلية فكرية وهو علم المتكلمين ومشتركة بينهما وهي علم الفقهاء والة

معينة علي اتمام جميع ذلك وهي علم الادب من اللغة والاعراب كذلك علوم الحكمة تنقسم
الي هذه الشعب الاربعة علم الكائنات الحسية وعلم الالهيات العقلية وعلم
الرياضيات المشتركة بين الامرين وعلم المنطق النازل من العلوم الثلثة منزلة الآلة
المعينة عليها وربما اطلقت العامة لفظة العلم علي حرفة من الحرف واي صنعة من
كانت واهل التجربة ربما اطلقوها علي المعاني الاستحسانية التي لا توجد لاثباتها
حجة نحو الزجر والعيافة والفال والقيافة وقد يوجد من العلوم ما هو مذموم
ومرفوض وهو الذي الضرر في استعماله اكثر من النفع به نحو السحر والوهم والعزايم و
الكيميا وفي الحديث عن رسول الله صلعم الاستعاذة عن علم لا ينفع وذكر عنده ع
النسابون فقال ان ذلك علم لا ينفع علمه ولا يضر جهله ومن عظيم نعم الله علي عباده
ان خلقهم في انفسهم محبين للعلم كارهين للجهل ولما كانت قوة الانسان في العلم
بالاشياء متناهية وجبلته عن ضبط جميع اقسام العلوم ضعيفة واهية جعل
الله بين طباع البشر وبين اصناف العالم علاقة خفية ومناسبة جوهرية فيجذب
الواحد منهم الواجد بهمته الي قسم من اقسامها اما باختيار من نفسه او بحمل
ممن يلي التدبير عليه فيخصه من قلبه بشدة المحبة له وايثاره علي غيره الوقوف
علي ما يحصل من جدوى كل فن منها ليكون اقوى داع الي حسن الاختيار وقد
ظن بعض الناس ان بين العلوم الحكمية والعلوم الشرعية تضادا وليس الامر كذلك
واني يكون بين ما يحققه العقل الصحيح والبرهان الصحيح وبين ما يوجبه الدين الحق
تضاد وعناد وقد جاء في الحديث ان صاحب المنطق ذكر لرسول الله صلعم فقال لو
كان في الاحياء لكان من اتباعي وكذلك معرفة حقايق الاشياء والخلوص الي مواقع
الحكمة منها وما يتصل بها من الوصف الحكيم والروح البهيج والنظم العجيب والوصف الانيق
مع الارتياض في تطلب البراهين والسلامة من وصمة التقليد كيف يباين الحق فاذا
تقررت هذه المقدمات فلنبين فايدة كل نوع من العلوم الاربعة الحكمية والعلوم
الاربعة الشرعية اما النوع الرياضي منها فمنقسم الي اربعة افنان العدد والهندسة
والتنجيم والتاليف والارتياض بالعددي يقف بالانسان علي ابواب يتغمس بها الفكر
في اللذات العقلية وان في اقسامه المفردة واقسامه المضافة ما لو نظر العاقل
الي خواصها لاتسع من الاستمتاع بها ما يمتعه الله في نفسه بعزايم الاخلاق
واعراض الشكوك وهو المحكم اليه في المعاملات والمقاسمات وقد قال الله تعالى

لقد احصاهم

لقد احصاهم وعدهم عدا وقال واحصى كل شيء عددا والهندسي في الصدق وسقوط
الشك والخلاف كالعددي بل اقرب منه لوقوعه تحت الامثلة الحسية ولولا الهندسة لما استخرجت
الجذور الصم ولا عرفت الاشكال والهيات ولا احاط العلوم بطوال الابحر واعماقها ونهايات
الجبال في اعمدتها وارتفاعاتها ولا احكمت الالات لرصديه ونحو ذلك ولا اختلف
علم التنجيم فانه باحث عن هيئة الافلاك وحركات الكواكب واستخراج علل الكسوفات والقرانات
وما يلحق الخنس من الحالات كالرجوع والاستقامة والظهور والاختفاء والتشريق والتغريب ونحو ذلك
ومعلوم انه متى احاط علم احد بما اشتملت عليه السموات من عجيب الفطرة وبديع التركيب فقد ارتقى
من مراقي السعادة في اعلى ذروة وعلى العكس علي ما ذم الله تعالى اقواما رضوا لانفسهم بفوت
هذه الدرجة العليا فقال او لم يتفكروا في خلق السموات والارض وما خلق الله ذلك الا بالحق
ومدح اقواما سعدوا بها فقال الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون
في خلق السموات والارض **واما التاليف** فاقامة البراهين علي ما يأتلف ولا يأتلف من القوى
والمقادير في السماء والارض وانتظام المناسبات في جميع ذلك ظاهر الجدوى بين النفع بل لولا
علم التاليف لما وصل المنجمون الي تحقيق احوال الكواكب في اتصالاتها وامتزاج شعاعاتها
ولما وصل العروضيون في اوزان الشعر واحصاء اجناسها الخمسة عشر في الدواير الخمس
واما علم الكائنات الحسية فمفتقر ايضا الي اوزان اربعة الاثار العلوية كالرياح والبحار و
الامطار والثلوج والرعود والبروق والصواعق والشهب ونحو ذلك والموجودات في المعادن
كالذهب والفضة والحديد والنحاس والرصاص والزيبق والكبريت ونحوها والموجودات النباتية
والموجودات الحيوانية ويدخل في هذا العلم علم الطب الذي جاء الحديث في فضله ان العلم
علمان علم الابدان وعلم الاديان **وقد نبه الله تعالى علي فضيلة علم الكائنات وبيانها**
شريف فايدتها من قايل ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار
والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض
بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لايات
لقوم يعقلون **واما المنطق** فهو ميزان عقلي نصب للتمييز بين الحق والباطل في الابواب
النظرية وبين الخير والشر في الابواب العملية وبها توصل الي حل الشبهات وكشف التمويهات
وعنده تغتبط النفس من همتها باصابة الحق وروح اليقين وربما ينفر الناس عنه انغلاق
مأخذه واستغراب اوضاعه كما ينفر اصحاب الحديث معاني الكتب الكلامية والقياسات
الفقهية **واما علم الالهيات** فيجل قدره ان يدرك شي منه الا بالوحي الالهي الموثق بالبرهان

العقلي وهو علم يتجرد البحث عن الاسباب الاولية لحدوث الكاينات العالمية يرتقي الى الحق
مبدعها الذي هو النهاية في التوجه اليه والتوكل عليه والتوحيد له والاعتصام به
ولا خفا ان القوة بهذه الدرجة العالية هو النيل الابدي وقد صعب الارتقا اليه
الا بان يحصل المعلومات الاخر ذريعة لتحصيله وما من علم من العلوم التي ذكرناه
الا والمتدرب به يستعين باصوله على تقرير المعاني الالهية فان كلها شواهد على عظيم
صنعه تعالى وجليل قدرته عز وجل وكفى شاهدا على ذات لا يوصف بالتجزي نافذ القوة
في الكل غير الغايب عن شي النقطة التي هي مركز العالم فان تلك النقطة قايم بتقدير الله
مقام المتحفظ لثبات كل الجسم ومثله الحال في النقطتين اللتين هما قطبا الفلك فان
الله اقامهما بصنعه الحكيم وتدبيره القويم مقام المتحفظ لدوام حركة الفلك وهما في
ذاتهما ساكنان لا يتحركان ومن شا ان يقف على صورة العبد بمولاه واتصال نظر
المولى بالعبد الا الى غاية ينقطع ومن عزيز العرض فليتوهم الخط المستقيم الذي هو ذو
صورة واحدة وامتداده على سمت الاستقامة بغير عارض انقطاع لكنه اذا وجد فيه كان
محفوظا على الثبات في اوله واخره ووسطه وعلى هذا يجري حال التسابيح وذكر الله وقد
كان بعضهم يذكر في دعايه اللهم ارفع نفسي اليك على خط مستقيم ومن شا ان يقف على
فضيله موهوبة للكل معرضة للزينة الحقيقية ظاهرة للابصار الصحيحة متعلقة بالاذن
الخالصة والتسابيح المقدسة مقرونة بنيل العونة من الاوايل الى الثواني اعني من الروحانية
الى الجسمانية وهي الرحمة السارية في العالم فليتوهم السطح الذي هو معرض للملاقاة والمماسة
معروض على التشكيل والتصوير مستعد للتحديد والتفصيل متعلق بالخط الحاصل له متوسط
بين المقدار الاول والمقدار الاخير اعني الطول والعمق واليه ينتهي المقدار القايم بنهايته
وهو الجسم ومن شا ان يقف على الجود التام والعناية العالية والقسمة البالغة اعني العطية
المقسومة على قدر الاستحقاق والنظر الدال على التقسيط والنصفة والحكمة القايمة مقام
العلة لحصول الاشيا على مراتبها والسياسة الفاضلة الغير الموصولة الى الاحاطة بكنهها
فليتوهم الجسم فان تمت المقادير اليه ينتهي وقد خص كل جوهر منه على المقدار الصالح لجوهر
قايم به وعلة اقوامها بصيرة كما يستبينه ولن يتوصل الى الاحاطة بعمقه ولا يحل الا بالامر
الحال فيه فهذا طريق الرياضيات في تقدير امثلة المعاني الالهية واما الطريقة الكاينات
الحسية فان من تدرب في معانيها استعان باصولها على تحقيق المعاني الالهية فان
من شا ان يقف على اثبات العقل لصور الاشيا الموجودة وقبولها لها واستحفاظها ايا

فليتوهم

فليتوهم المادة الصالحة لتعاقب الصور عليها كالشمعة التي يمكن ان تشكل بشكل الفرس وشكل
السبع وشكل السيف وشكل المنشار وغيرها وجوهر الشمعة صالح لقبول كل واحد من
هذه الاشكال واستحفاظها لكن لا في حالة واحدة بل على التعاقب فهي اذا تفارق النفس
وان صورها لن توجد مزدوجة فيها باجمعها فاما النفس فانها تحاصر روحانيتها
تستثبت صور كافة الموجودات لا على التعاقب بل مجموعة فيها وتتحد بها ومن شا
ان يقف على فوق الدين الالهي ووضوحه للعقل الصريح وصلاحه لتادية الانسان الى الخير
المطلق اذا اعتقده واستمسك به فليتصور الصورة النورانية مثل اشراق الشمس واضاءة
القمر وجلاء العين وصقال المراة وغيرها من الانوار المودية المسترشد بها الى المقاصد
المطلوبة فان كل واحد قد اعد لغرض يختص به واستفاضت صورته على انه استصلح
له الا ان اعراضها توجد منصرمة بالسرعة وتكون تاديتها بالانسان لا الى الخير المطلق
فاما الدين فانه لا يودي الا الى الخير المضاف لكن الى ما هو خير بالذات وغاية في الخيرات
وان شيت ان تقف على اثر التنزيل في العقول المتصورة له والنفوس المصغية اليه وما
يتعلق به من رشاد الخليقة ومصالح البرية واتفاق الارا وانتظام التعاقب فتوهم الفاعل
المستبصر في صناعته الهادي لمن يبصر في تحصيله كالملك السايس والطبيب الحاذق والرايض
القوي والمعلم الناصح وغيرهم من المتصرفين على الاخلاق الحيوانية والغرايز الجسمانية
فان كل واحد منهم يوجد بما حققه من صناعته سايقا لما يتصرف عليه بحسب الارشاد
والهداية او بحسب التالف والاستمالة عن النقص الابة الى الكمال هيأته فهذا هو اقسام العلوم
الحكمية بفوايدها وانها تودي الى الامور الالهية من جهات مقاصدها واما حاصل ما هم معتقد
في الله وفي صفاته وفي مخلوقاته فان جماهيرهم يعتقدون ان الصنع الالهي يفتقر الى انحاء
اربعة معاني العالم واساس العالم وتصريف العالم وافنا العالم وان ذوات الموجودات
كلها طايعة له سبحانه وتعالى لانه موجدها وممسكها ومبدعها وان جسم العالم متمم
بالابعاد الثلثة التي هي الطول والعرض والعمق ولا مزيد في الكمية والمقدار عليه وان
فعله وحركاته منتهية الى التحرك عن المركز والتحرك الى المركز وان العالم بجوهره منقسم
الى الاجرام السماوية والعناصر الارضية والسماوية هي ما بين السطح الاسفل من فلك القمر
الى السطح الاعلى من الفلك المستقيم على على الحديث ويلقبون اصحاب الحشو بمجوز
من جملة العلما ويقولون ان علم الحديث نظير علم المدركات بالبصر فكما لا يسمى الانسان عالما
بادراك الالوان فكذا بسماع الاخبار وانما استحقاق سمة العلم بالشي الذي يعلم عن قوة

العقل واحالة الفكر ولكن علم الحديث ليس بمقصور على ادراك الاصوات لكنه نظير الكتابة
المشتملة على المعاني وان كانت الحروف بصورها هي المدركة بالبصر وهو علم يفتن في
اساليبه ويتشعب الى شعاب بل ما من فن من فنون العلم الا ويوجد فيه اخبار منقولة
اما من الكتب المنزلة واما من الرسل والائمة او من الحكماء المتقدمين او السلف الصالحين
فهو اذا مادة لها ومحاجة العقل الغريزي الى السموع الخبري اكد الله تعالى حجة العقل بالسمع
فقال افانت تسمع الصم او تهدي العمي ولو كانوا لا يعقلون وقال فتكون لهم قلوب يعقلون بها
او اذان يسمعون بها وقد رايت الخلفاء يغتبطون ببردة رسول الله صم وقضيبه وبنو
بني اسرائيل يحبون التابوت المشتمل على بقية مما ترك آل موسى وهي عصا موسى وعمامة
هرون الصفراء فاذا كانت هذه الاشياء متبركا بها فما الظن بما هو زبدة تراث النبوة
ولا شك ان اصحاب الحديث هم المعنيون بمعرفة التاريخات العائدة بالمنافع والمضار وهم
العارفون لرجال السلف بانسابهم ولمساكنهم ومقادير اعمارهم ومن اختلف اليهم واخذ منهم بل
هم المحققون لما يصح من احاديثهم لرغبته وما يسقم وما يقوى منها وما يضعف بل هم المتجشمون
للحل والترحال في اقاصي البلاد وادانيها ليأخذوا عن الثقات سنن الرسول وسنن الصحابة
بل هم المجتهدون لان يبصروا نقاد الاثار وجهابذة الاخبار والعارفين بالموقوف منها
والمسند والمرفوع والمرسل والغريب والملحق والمتواتر والاحاد والمستفيض والمشهور والناسخ والمنسوخ
والمصحح والمدلس حتى لقد صانوا صناعتهم صيانة لو رام احد ان يقلب حديثا عن وجه او تغيير
اسناده لم يمكنه ولحققه من جماعتهم اعنف النكير واذا كان هذا سعيهم في الدين كان من الواجب
ان يشكر لهم ذلك او في الشكر وكما طعن المتكلمون في صناعة علم الحديث فقد فعل ذلك
المحدثون بصناعة المتكلمين وثلبوهم عليها ونسبوهم الى البدعة والضلال وانهم لا يعرفون
باصحاب الجدل الذي وضعه الله في كتابه موضع الذم فقال وان جادلوك فقل الله اعلم بما
تعملون وقال وان فريقا من المؤمنين يجادلونك في الحق بعد ما تبين بل قرن الجدال بالكفر
والفسوق ولهذا لم توجد الصحابة خائضين فيه ولا مائلين اليه ولا ان يوجد في كلام
الرسول ولا الفاظ الصحابة ومن تبعهم لفظة كلامية البتة ولكن الله قد قال في محكم كتابه
ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن والشيء المذموم
لن يقع فيه ما هو احسن ولما جادل عمر بن الخطاب اليهود في شأن جبريل عم بما افحمهم به ورجع الى
النبي ليخبره بذلك وجد التنزيل سبقه محققا لما احتج به عليهم كقوله من كان عدوا لله
وملائكته الآية فازداد عمر يقينا وكذلك اجوبة علي عم تنزلت من الشهرة والقوة بحيث

يرفع

يرفع من الكلام ما وضعوه وكيف ولا اختفاء ان الدين اصول وهو ما يجب على المؤمن اعتقاده
في توحيد الله واثبات الرسل والكتب والمعاد وفروع وهو ما يجب اقامته من الشرائع و
الاحكام وقد علم ان الاصل مقدم على فروعه والبناء موضوع على الاساس قال ولذا وجب
المتكلمون هم الذابين عن حريم الاسلام النافين عنه طعن الملحدين وزيغ المبطلين الباذلين
امرهم في نفي الشبهة واثباته على البصيرة والبعد عن التقليد والحيرة كما قال الله تعالى هذه
سبيلي ادعو الى الله على بصيرة كانوا احرياء بان يشكروا على مساعيهم مثل ما يشكر الذابون
عن حريم الاسلام بسيوف الهند والاذرع الطوال قد عابوا طوائف من الامامية والحنابلة
علم الفقه وقالوا ان احكام الشرع من حقها ان تتلقى من الكتاب والسنة دون الراي و
القياس وكيف يستقيم الخوض في التحريم والتحليل بالظن والراي ويخطي في الظن المخطي ويصيب
وقال آخر ما لا يا لكم خير تعين فان الظن ينقص او يزيد وعلى هذا نزل الله تعالى ولا تقولوا لما
تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام وقال ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم
الكافرون فقال آمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم
تهتدون وقالوا ان الله فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين وقال عم
رب مبلغ فقيه الى من هو افقه منه الحديث وارتضى من معاذ بن جبل حين وجهه الى اليمن قوله
اجتهد رايي وقد تحزبت الصحابة بعد النبي صم فرقتين فرقة استعملت القياس واقتبست الاجتهاد
وهم الافضلون المسمون فقهاء الصحابة وفرقة امسكت عن القياس من غير ان انكرت على تلك
الفرقة الاولى او تركت تعظيمها وتقديمها فقد صار استعمال القياس والاجتهاد حكما اجماعيا
باقبال البعض اليه وتقرير الاخرين وايضا فان الاثار المروية وان كثرت فانها محصورة عددا و
والنوازل غير متناهية فهذا خطر الاجتهاد على الفقيه لم يبق الا القول بامام معصوم كما ادعت
التعليمية لعنهم الله واما القول بتجويز كل ما استحسنه العقل كما ادعاه النظام فاما الامام
المعصوم فيحيى بوصف لا يعرف ولم يعرف ووقف على مكانه فاين وصول الناس من اقطار البلاد الى
بقعته ومن ان استطاعته الاشراف على امورهم وفتاويهم وقد صنفنا كتابا جامعا في
ابطال مذهبهم وذكر فضائحهم ومخازيهم واما التجويز على ما استحسنه العقل فهل القياس والاجتهاد
الا ذلك مع انه هو الذي فر عنه وصد منه فكيف دعا اليه الا ان يريد به الا انه لا يثبت
حكما بالامارات الشرعية ولا يجوز رد فرع الى اصل فيكون ذلك افسد لما فيه من منع التمسك
بالسنة وبناء الاحكام على علل المصالح ومن هنا ارتقت قدم القاضي ابن زيد وحصلت
اذا اراد ان يبني كتابه المسمى بالاسرار عليها وهو بالغ على صاحبه وبه كان نوافقه ما بين
محجة

موسى والخضر عليهما السلام كما بيناه ذلك في تصانيفنا في اصول الفقه باخص بيان واوضح برهان
ومما تبين من شرف علم الفقه مشاركته الملك في سياسة الخليقة وان الملوك لو اعرضوا عن
المحدثين وجماعة المتكلمين ما اخل ذلك بملكهم ومثله لو اعرضوا عن الفقهاء لكانوا قد غشوا ملكهم
ضياءه وسلبوه بهجته وبهاءه وكما ان الله اقام للخليقة اصول الاغذية والادوية وزهدهم
لجهات تمييزها وتركيبها ليتخاصوا باجتهادهم خصايص المرافق منها كذلك بضائع
لهم في امر دينهم اصولا جامعية ووهبهم العقول الصحيحة ليستعملوها في رد الفروع اليها
فهذا جملة ما ذكرناه من اقسام العلوم الشرعية والحكمية جميعا واما احوال الانفس المتحلية
بها فانا نذكر ما يحضرنا من اقاويل العلماء في ذلك قال بعض العلماء ان العلم
مما ينبغي ان يعمل به لا يتخطى اليه اثره ولا يأخذه بالهوى وزره وان المعرفة الحقيقية مجلبة
للخشية المتناهية كما قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقد سئل رسول الله صلعم
اي الاعمال افضل قال العلم بالله فاتاه من ساله ذلك مرة اخرى فقال له مثل ذلك فقال
انما اسألك عن العمل قال ان العلم ينفعك معه قليل العمل وقال الزهري العلم افضل من
العمل لمن جهل والعمل افضل من العلم لمن علم وفضل ما بينهما ما روي عن جابر عن النبي صلعم
انه قال يبعث العالم والعابد فيقال للعابد ادخل الجنة وللعالم اثبت حتى تشفع للناس فصار العلم
اصلا والعمل فرعا ولهذا كان استصلاح ذوي الهفوات ومن تكلى القاذورات بمواعظ العلماء
ووصايا الحكماء فكيف يجوز ان تكون تلك المعاني لا ينضبط اربابها ولا يكفهم من صلاح غيرهم
ويبصرهم فاذا من اتصف بصفة العلم ثم لم يتوق شيئا من المفاسد المستقبحة والمآثم الموبقة
فهو على الحقيقة لم يحقق ما ينتحله ولم يستبصر فيما يدعيه ويزعم الا انه ليس الامر في الوجود
على ما زعموا وان كان في الوجوب كذلك وليس كل من قاده عقله الى العلم بما يثبت الامور انقادت
نفسه الى العمل بها وكم رأينا كثيرا من العلماء يأمرون ولا يأتمرون ويزجرون ولا يزدجرون
ويعرف كثيرا من المتطببين من كان ينهى عن سيء التخليط ويتهمك في كثير من المآكل
الضارة الرديئة والمشارب الخبيثة الموبية وكثيرا من الحكماء الذين هم اطباء النفوس من كان يذم
مقابح الاخلاق ومفاحش الافعال ثم يرتكبها في خلواته ويتغمس فيها لعزمنا بالكما يتغمس الطير
في الماء والطفيلي في وجوه الحلواء ان يتبعدوا او يتجهلوا او يتخلوا ويتغفلوا وعدوا عليك تحليل كاسهم رضيعا
وفي كلام المسيح ويلكم يا ابناء الشرك تحالفوا وعظكم اصولكم وعقولكم اهواءكم فتركتم شفاء
الداء وعلمكم داء لا يقبل الدواء ولستم كالكرمة التي حسن ورقها وطاب ثمرها وسهل مرتقاها
وصعب مرتقاها ويلكم يا عبيد الدنيا انتم كالشجرة التي قل ورقها وكثر شوكها وخبث ثمرها

وصعب

وصعب مرتقاها ويلكم جعلتم العلم تحت اقدامكم من شاء اخذه وجعلتم الدنيا فوق رؤوسكم لا
يستطاع تناولها لا عبيد اتقياء ولا احرار كرام ويلكم يا اطباء السوء لما غيركم تصيرون
واما انفسكم فهي في اوبى العلل تنفسون يوشك ان تنكس من غلا الحموم وتهلك انفسكم
من طول ما اهملتموه كالنار التي اخذت ببدنك وانت لا تطفيها ولا تستعظم هذه
الحال وشدة استفحاله ثم قوله اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون
الكتاب افلا تعقلون اذ كان تارك العمل مع الجهل اعذر من تاركه مع العلم وعلاج الاول
ايسر من علاج الثاني وفساد الثاني اعظم من فساد الاول وقد قال بعض الشعراء

وغير تقي يأمر الناس بالتقى … طبيب يداوي الناس وهو مريض

وقال آخر

الملح يصلح كل ما يخشى عليه من الفساد … فاذا الفساد جرى عليه فحكمه حكم الرماد

وقال آخر

لنا ملك ما فيه للملك آلة … سوى انه يوم السلام متوج
اتيم لاصلاح الورى وهو فاسد … وكيف استواء الظل والعود اعوج

وكان المنصور اذا صعد المنبر وتوكل في الموعظة وزهد في الدنيا وبختها بكى وابكى
فاذا نزل الجمل يفعل افاعيل من القتل الذريع والظلم الفظيع فقال بعض الصالحين انما
مثلنا كمثل ذلك الصياد الاعمش الذي كان يصطاد الطير في الايام الشاتية فكان كلما
اصطاد صيدا كسر جناحه وعينه في الماء وعيناه تسيلان من البرد فقال الطير بعضهم لبعض
انما يبكي من رحمتنا فقال بعضهم لا تنظروا الى ما تدمع عينه انظروا الى ما تصنع يده
وقد نظم ابو زياد الفقمي هذه القصة في شعر له فقال

اتزهد في الدنيا وانت بحبها … تكب على الدنيا بحرص وتصرع
كانك صياد تسيل دموعه … على الخد والصياد يفري ويقطع
يجد رقاب الخلق من غير رحمة … ويبكي على اعواده يتخشع

ومثله لابي ربيعة بن ثابت الاسدي

اتبكي من قتلي وانت قتلتني … بعينيك قتلا بينا ليس يشكل
فانت كذباح العصافير مرة … وعيناه من وجد عليهن تهمل
فلا تنظري ما تهمل العين وانظري … الى الكف ماذا بالعصافير تفعل

ووعظ المأمون رجل كان الى الموعظة منه احوج فاستمع له خاشعا ومنصتا حتى اذا فرغ
في العلم عليه من وعظه فلما فرغ قال له قد فهمت موعظتك وانا اسأل الله ان ينفعنا بها
وبجميع ما علمنا الا انا الى المعاونة بالفعل احوج منا الى القول فضحك القائلون وقل

الفاعلون ومر بعض من يغتر ظاهره الناظر ويسوه باطنه المختبر ببناء للمامون
فصاح واعمره فبلغ المامون ذلك فدعا به فلما مثل بين يديه قال له ما اوجب الى ان
قلت ما قلت قال رايت اثار الاكاسرة وبناء الجبابرة قال ارايت لو تحولت من هذه
المدينة الى ايوان كسرى بالمداين هل يكبر على هناك قال لا قال فاراك انما
عبت اسرافي في النفقة قال نعم قال لو وهبت قيمته ذلك الرجل اكنت تعيب قال لا قال فلو نبا
ذلك الرجل بما كنت اعيبه لا اكنت تصيح كما صحت بي قال لا قال فانك قصدتني في نفسي
لا العلة في عشري وكان اسحق الموصلي قايما فقال هذا الا يقوم العمود دون السوط والسيف
ثم قال المامون ما هذا ان هذا البنا اول ما بنيناه واخره وما بلغنا النفقة عليه اكثر
من الف الف درهم وهذا ضرب من مكايدنا للملوك الامم وهو كما ترانا نتخذ الجموع والسلاح
والكراع وما بنا الى اكثرها حاجة وانما نسوس قوما كراما قد شهدوا ابنيتهم فتادبوا
باد ابه وتخلقوا باخلاقه وصانوا احسابهم ومآثر آبايهم في الجاهلية والاسلام ونحن
نسوس اخيانا من نبط وكرد ومن اذا جاعوا اكلوك وان شبعوا اقهروك وان لو اطلك
استعبدوك ثم قال لعمر فيه من كان جاره نبطيا واحتاج الى ثمنه فليبعه ثم امر له بصلة
وقال لا تعودن الى هذا فان الحفيظة ربما امرت خطا الراي الى مقصده فاستعمله واياك
ان تجاوز فعلك قولك وتنهى الناس عما لا تنتهي عنه او تامرهم بما لا تاتمر به والذي
اختار بعض العلما الى هذه الاحوال ومخالفة الافعال للاقوال اشيا منها
قصور في العلم اولا فان الاجتناب عن المحظور احد اربعة اشيا التي اولها العلم مثلا
بان كل ظلم قبيح ثم العلم بان الاغتصاب ظلم ثم العلم بانه اذا كان ظلما وكل ظلم قبيح
فهو اذا قبيح ثم الدرجة الرابعة هو العمل به من حيث الاجتناب فيجوز ان يتحقق الانسان
المقدمة الاولى دون الثانية نحو من يعلم ان اللحوم الخفيفة صالحة لمزاجه ولا يعلم
ان لحم الفروج خفيف وعلى العكس بان يعلم ان لحم الفروج خفيف ولا يعلم ان اللحوم الخفيفة
صالحة لمزاجه ويجوز ان يكون عالما بهما الا انه صرفه عن استخراج القضية منهما
اما غفلة غامرة او آفة عارضة وهذا لانه مع وقوع العلم مكانه العقل منازعان
عظيمان وشاينان مستوليان وهما الهوى والغضب والعقل واحد بينهما فان كان
ضعيفا محصورا وهما قويان مطلقان فهنالك المثالب والمعايب وان كان قويا بالعلم
ومتلبثا في الراي فقد قيل ايضا قيل القوي بين الضعيفين ولا يد لواحد باثنين وما
قوة انسان بين سبع وخنزير وما اصدق ما قال القايل

عمر مكانه

ان المراة

ان المراة لا تريك خدوش وجهك في صداها وكذا ان عقلك لا يريك عيوب نفسك في هواها
ثم قصور العلم قد يكون في نوع خاص فيكون افساد ذلك القدر لصاحبه اكثر من اصلاحه
ولهذا لما قيل ان الفقيه القاصر الفقه يفسد اديان الناس وان الطبيب القاصر الطب
يهلك ابدانهم وفي الحديث من تطبب ولم يعرف منه ذلك فهو ضامن وقد يكون القصور من
حيث الاقتصار في العلم على فن واحد فيكون حاله كما قيل علمت شيا وغابت عنك اشيا
وحدثنا ابو سعد الآبي عن الصاحب عن ابن عبد الله محمد الاسجي عن محمد بن الحسن الازدي
عن ابن حاتم السجستاني قال ورد علينا عامل من اهل الكوفة لم ار في عمال السلطان بالبصرة
ابرع منه فدخلت مسلما عليه فقال لي يا سجستاني من علماوكم بالبصرة قلت الزيادي اعلمنا
بعلم الاصمعي والمازني اعلمنا بالنحو وهلال الرازي افقهنا والشاذكوني من اعلمنا بالحديث
وانا رحمك الله انسب الى علم القران وابن الكلبي من اكتبنا للشروط فقال لكاتبه اذا كان
غدا فاجمعهم لي فقال فجمعنا فقال ايكم المازني قال ابو عثمان ها انا ذا رحمك الله
قال هل تجزي في كفارة الظهار عتق رقبة عوراء فقال المازني لست صاحب فقه انا
صاحب عربية فقال يا زيادي كيف تكتب كتابا بين رجل وامراته خالعها على الثلث
من صداقها قال ليس هذا من علمي هذا من علم الشاذكوني قال يا شاذكوني من قرا ابنثوني
صدورهم فقال ليس هذا من علمي هذا من علم ابي حاتم قال يا ابا حاتم كيف تكتب كتابا
الى امير المومنين تصف فيه فضاحة اهل البصرة وما اصابهم في الثمرة وتسئله لهم
النظرة فقلت لست رحمك الله صاحب بلاغة وكتابة انا صاحب قران فقال ما اقبح
بالرجل ان يتعاطى العلم خمسين سنة لا يعرف الا فنا واحدا حتى اذا سئل عن غيره لم يجل
فيه ولم يمر لكن عالمنا بالكوفة الكسائي لو سئل عن كل هذا لاجاب وربما يكون
قصور العلم من التصدي للرياسة قبل اوانها والتصدر للدراسة قبل زمانها
فهو مستنكف ان يسال وان يتعلم ما لم يعلم واذا استفاد يرى انه يفيد واذا تعلم
يظهر انه يعلم فذلك الذي لا يزال في نقصان وخسران كما حدثنا الصاحب ايضا
عن الاسجي عن ابن دريد قال سمعنا ابا حاتم يقول فاتني نصف العلم فقلت وكيف ذاك
قال تصدرت ولم اكن للتصدر اهلا واستحييت ان اسال من دوني واختلف الى
من هو فيه فذلك الجهل الى اليوم في نفسي وكان الخليل يقول اخرج من منزلي فالقى
رجلا من اربعة رجلا اعلم مني فهو يوم فايدتي او رجلا مثلي فهو يوم مذاكرتي او متعلما
مني فهو يوم ثوابي او جلادا دوني في الحقيقة وهو يرى انه فوقي فيجادل ان يتعلم مني

ا

وكانه يعلمني بذلك لا اهتم به ولا انظر اليه وحكى ابو القسم طاهر بن عبد الله القاضي
قال تخلف ابو يوسف عن ابي حنيفة واستند الى سارية ثم دخل على ابي حنيفة
فساله عن حاله وسبب تخلفه فاعتذر بما لم يوافقه وعلم مخالفته فساله عن رجل
اشترى نعلا على ان يحذوه البايع قال البيع فاسد لانه شرط ما لا يوجبه العقد وقال
ابو حنيفة هذا بيع جائز في الاستحسان لتعامل الناس ثم قال ما تقول ان حذاه البايع
ثم هلك عنده قال يبطل البيع ويسقط الثمن عن المشتري لان البيع هلك في يدي البايع
قبل ان يسلم الى المشتري فقال اخطأت اما علمت انه لما حذاه بامره صار وكيلا له
بالقبض وصار بمنزلة يد المشتري فكان البيع هلك في يد المشتري كما لو هلك في يد
وكيله فقال ابو يوسف نعم الامر كما قلته قال فما الذي عليه قال الثمن لانه هلك
بعد قبض المشتري فقال له اخطأت اما علمت انه لم يسلم العمل وهو مضمون عليه فلم
يلزمه جميع الثمن اذ قد جعل بعض ذلك الثمن بازاء العمل وبعضه بازاء الآلة فقال ابو يوسف
صدقت قال فما الذي عليه قال الحصة مما اصاب العمل سقط عنه لانه لم يسلم فقال
ابو حنيفة اخطأت هذا على راي من يرى تضمين الاجير المشترك اما من لا يرى ذلك
فهو على خلاف هذا فقال ابو يوسف لا استبد بنفسي عن ابي حنيفة فلزم مجلسه واستانف
التعلم فهذا احد اسباب فساد العمل الصادر عن قصور العلم ومن ذلك اذا لم يكن العلم
لمحبة العلم وشرفه في نفسه بل كان للظهور والاستعلاء او ليماري به الجهلاء والاول
قد يعطفه العلم على الدين ويصرفه الحق الى نهج العمل كما حكي عن سفيان الثوري
انه قال تعلمنا العلم لغير الله فابى ان يكون الا لله وقال عبد الله بن المبارك تعلمنا
العلم للدنيا فدلنا على ترك الدنيا واما الثاني فهو الذي يستعمل علمه في شبه
تمويه وحيل تدبير ويصرف فكره الى مذاهب مالت بها الاهواء وضلت فيها الآراء
فهو الذي يفسد علمه ولا يصلحه ولا يخففه وزنه ولا يرجحه سئل رسول الله صلعم
اي الناس شر فقال العلماء اذا فسدوا وقد اخلوا الامراء وكاثروا الاغنياء
ودعي بعضهم الى مداخلة السلطان بحسن خطه وبراعة لفظه فقال رب بما انعمت علي
فلن اكون ظهيرا للمجرمين وابى دخوله في عملهم وحكى محمد بن مناذر قال كنت مع
الخليل فلقي صديقا له قد ولي عملا فعزله وقال له امكنت هولاء من خلاقك فلم تكن
فيه ومن دينك بما يترامون به فاعتذر اليه الرجل فما مضت الايام حتى ولي الخليل ضياع
يزيد بن حاتم فلقيه الرجل فقال له هل عنيت عن شيء وايته فقال الخليل اعمل علي

وان نصرت

وان نصرت في عملي نفعك علمي ولا يضرك تقصيري ومن ذلك ان علمه وان طاب استحكم
فتمامه توثيقه العصمة والتوفيق من الله ولا حيلة للخذلان ولا وسيلة مع الحرمان
والجد وديمس بيد بيسار لا ابراء المحدود ويعنيه امر عمر لرجل بلقحة فبعها ولدها
في نهار اذ تكفه عمر وانشد ونطعم الغنم يوم الغنم مطعمه انى توجه والمحروم محروم
ومن ذلك ان العلم لا يتناول الا الكلي العملي بخوان الافراط في تناول الطعام يتخمه ثم
قدر الاقتصاد فيه يعرف بالعقل الضابط للمعاني الجزوية فيكون مثال العلم مثال
صناعة الطب ومثال العقل مثال الطبيب الحاذق المجرب في المواعظ والنواهي كالادوية
النافعة فيعلم العاقل نظره ويجيل فكره في علمه فينتفع بعلمه في جهة عقله فربما كان
كامل العلم غير كامل العقل وهذا قيل الكامل العلم الناقص العقل كالراعي الضعيف
مع الابل الكثير وكان الخليل وابن المقفع كل واحد منهما يتمنى لقاء صاحبه فلم يلتقيا
الا ثلثة ايام متتابعة على المفاوضة بينهما والخاوضة في فنون العلم وتجرب
الآداب ثم سئل الخليل عن ابن المقفع فقال رايته رجلا ارى ان علمه على عقله وسئل ابن
المقفع عن الخليل فقال رايت رجلا ارى ان عقله على علمه فكان الامر على ما قالا فقد عاش
ما عاش الخليل عزيزا مسرورا محبوبا رضيا ولما مات شهد جنازته اكابر الناس وعلماؤها
امراء البصرة وقتل ابن المقفع اسوء قتلة لتعاطيه ما لا يعنيه وذلك من شره وعلمه
على عقله ومن ذلك ان العقل وان كان كاملا فهو خلق من خلق الله محصور بين الضداد
متعادية متغالبة ويلحقه الكلال ويدركه العجز والفتور ويحصر طلابه ويختل في
الاحايين افعاله وخصوصا في الافاعيل الجزوية وقبل استحكام الدربة والتجربة وفي
غير انعام النظر والروية وعند ازدحام الخدع المكتنفة ومعارضة الآفات المتجددة
وملابسة ذوي الهوى والبطالة ومجالسة اولي الزيغ والضلالة فلا يسلم العلم في
العمل بحسبه من هذه المعارضات والمجاذبات الا ان يكون مغانا بالعصمة مكنوفا بالاخلاق
الطاهرة محفوفا بصحبة المعاشر الاخيار الصالحين الابرار وهو وان كان زائدا في
العلم عليهم وكانوا فيه دونه فلم يدخل الآفة من الباب الذي دخلته في عمله من قبل الشهوة
الخطيرة والسطوة المحذورة وكذلك كل ميداو عن بعلمه يخص ايضا اذا داوى راية بسبب هواه
او بغضه محتاج الى طبيب لنائبه ويداويه ومومل لجراحه وراس لجرحه من الندوب وسقى خلاه
من العيوب
المجلس الستون من كتاب خلق الانسان في تفسير قول الله عز وجل وفي
انفسكم افلا تبصرون في ترتيب حال الانفس في العلم والمعرفة

بسم الله الرحمن الرحيم

حمد الله ثناء عليه وذكره زلفى اليه ورحمته ولا سعادة مثل رحمته وعصمته ولا
كرامة كعصمته وشهادة التوحيد والايمان وكلمة الاقرار والاذعان لعظم جلت فلا
يبلغ القول اوصافها وقدر عظمته فلا يدرك العقل اطرافها وعلم الحاط بكل شي بكل خافيه
عنده بادية وكل غايبة غانية لديه ظاهرة ضاحية وجلال حزت عنه العبارة الا
بالايات الناطقة وطاحت دونه الاشارة الا بالعلامات الصادقة تحيرت البسيطة عن لطفه
والبسيطة صامتة والخليقة عن فضله والخليقة ساكتة كما تحير كود المريدين عن عجز كماله
ونظر وجلة العارفين عن خلو البال وورد عباده من هدايته منبع الانوار ومن عنايته مجتنى
ثمر الافكار رحمته وفوق المراد سوهبته فوق المراد فكل ابعاده وكل ناشد واحد وكل
سايل منها نايل وكل آمل اليها داين لا نستعين الا به ولا نعبد الا اياه ولا نرجو من امر الا
قلت الله ولا يعرض شي الا نادينه هو لا سواه ولا نتراجع الا اليه بدون من عناه جاعلا
كلمة التوحيد والاخلاص ذريعة النجاة والخلاص وشاهدا ان محمدا عبده ورسوله ذو الوعد
الصادق والوعظ الصادع والقول الساطع والسيف القاطع صلى الله عليه وعلى آله الذين ما
غيروا ولا بدلوا الذين قضوا بالحق وبه عدلوا اذ الله عز وجل خلق الاشياء كلها مسخرة
للانسان واودعها اصناف معايشهم ومنافعهم واعطاها علم السخرة واعطى الانسان زينتها
علم الخدمة كيف ياخذها عنها ويستوفيها منها اتاه من العلم ما لم يوت احدا ولم يعلم
الملايكة حتى قالت سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا وحتى قال لادم عليه السلم انبئهم باسمائهم
كل ذلك لان بني ادم خلقوا للملايم مخلوق له اولئك فاولئك خلقوا لاخراج المنافع لنا
ووكلوا باسباب لاجل عبادتنا لربنا بجوارحنا وجوانحنا فيكون العرش مقصد القلوب
والكرسي مصعد الاعمال والسموات ظلال الابدان وموضع الارزاق ومطالع منافع ما طره
السحاب سايلة الشعاب مسخرة عليها اشباحها الدايبة واثارها الدايمة من الشمس
والقمر والنجوم والشهب والرياح والبحر وتغاير الفصول والازمان واختلاف الاوقات
في الاشاة والاظلام كل ذلك معاني الارض الى الثرى من حيوانها ونباتها ومعادنها
واثقالها منذللة موكلة بمنافع الانسان مودعة في جميعها علوم ما نطيع بها في حوايج
الانسان فانه خاضعة منقادة خاشعة كما حكى جل وعز في حكاية موسى لفرعون حيث
قال فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذي اعطى كل شي خلقه ثم هدى وقال عز من قايل وله اسلم
من في السموات والارض كل له قانتون يجري على امره وحكمته بمقدار موزون ووقت معلوم

حتى

حتى اذا انقضت المدة ورفعت العبودة وذهبت السخرة وتم العرض السابق على الخلق ورحب
استيناف الامر فعندها استقبل صانع لا انتصر في دار السلم ومصار لا انحرم في دار
الهوان فاما الملك محبور قد اعطى بيمينه ملك الاراذاب ووضع على راسه تاج السعادات
واما ابو مدحور لا يقال عثرته ولا يرحم عبرته فاذا انتهى الانسان في معرفته الى هذا الحد
علم ان حاجته الى العلم بالله سبحانه في عظيم ما خلق له واوجد بسببه من العمل بعبادته
والعلم بها والتعرف على طاعته والاهتداء اليها فلو ان واحدا منا تدبب لخدمة ملك
من ملوك الدنيا لاحتاج في ذلك الى علم كثير وادب عزيز ورياضة وتوطين وهداية وتمرين
فكيف وانه متعبد لله فتقول ان العلم بالله وباصول عباداته على ما عليه الدين الحق
الحنيفي ملة الاسلام على العموم ثم نختم الكلام بالمعرفة الحقيقية على الخصوص ان الحق مباح
لمن ورد ومعرض لمن اراده معروض على من ارتاده ولكن للنفوس عوايق تصدها عنه وموانع
تمنعها منه ولا بد للنار من قادح وللمهر من رابض وللمنطق من وازع واذا لم تبلغ العقول
بالمباحثه لم يكن من شجرة النظر ثمرة الصواب وعلى السبيل الى الله اعلام لا تحصى ولن
يهتدي من الحق من تصدى له بصدق نية واخلاص طوية ثم الحق كريم الصحبة بعز جانب من
لجا اليه ويفلج حجة من عول عليه ولا شي كالدين الحق لا يزيد السلطان من عدمه الا ذلا
والقدرة الا عجزا والعوام يقصدون الحسنات محيطونها بجهلهم بشروطها والفجار
يقصدون السيات فيكبونها النفوس الشرارة التي ارتضعوا افاويقها فقد جمعها التكذيب
الحق ولاحد لها من نية القصد والخواص يصيبون الحق ويجتنبون الباطل بعلمهم بهم وطلبهم
له والعارفون يفوزون من السعادة الابدية والغبطة السرمدية بما لا انقطاع لمواده
ولا انقشاع لسحابه وذلك لملاحظتهم الحقايق بنور اليقين عن عين الدين وليس لاوامر احد
من الاديان الستة التي خطط ومعاقد وهي المذكورة بقوله تعالى ان الذين امنوا و
الذين هادوا والصابئون والنصارى والمجوس والذين اشركوا ان الله يفصل بينهم يوم
القيمة الا وله معتقد في المعبود يجري بسعيه اليه وينحى في العبادة بتوفير يعمله عليه
ورسوم واوضاع في المعاملات يوخذ احكامهم منها وينتظم معاشهم بها ولن يظهر
فضل بعضها على بعض الا بطريق المقابلة بينها والمقابلة الصحيحة ان لا تقع الموازنة الا
بين الاشياء المتجانسة فلا يعمد الى الشرف منها في احد المتقابلين فيقاس باذل ما في الاخر ولا
يقصد الى اصل من اصول احدهما فيقابل بفرع من فروع الاخر ولا يعتمد ايضا خصلة موجودة
في فرقة غير مستفيضة في كافتها فينسب الى جملة طبقاتها فاذا روعي هذا الجملة في المقابلات

تورد حظوظهما واستبان الفاضل منهما واذا قابلنا هذه المقابلة من ساير الاديان ودين
الاسلام تم لنا العلم بفضله وشرفه على كل دين فوجب على هذا ان نقابل كل ما اشتمل عليه دين
الاسلام بما عداه من الاديان **ونبتدي اولاً بالاعتقاد ثم بالعبادة** ولا شك انه لم
يعن اهل دين في اثبات الصانع وتجريد التوحيد ما عني به متكلموا الاسلام حتى استولوا
على قصب السبق في معرفة الحق وسلموا عن التشبيه الذي اعتقده عامة اليهود والتثليث الذي
قال به جماهير النصارى والضد الذي ارتكبه طوايف الثنوية والمجوس والشرك الذي انتحله
عبدة الاصنام حتى نادوا بها فيما بين اولئك الاحزاب فقالوا تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان
لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً ارباباً من دون الله ثم لقنوا انهم كلمة
الاخلاص في التوحيد لا اله الا الله وحده لا شريك له وكلمة الحمد في النعماء الحمد لله رب العالمين
وكلمة التسليم والرضا والرجوع في اللأواء انا لله وانا اليه راجعون تجد العامة والصناع والخاصة
والجماعات والوحدان ينادون بهذه الكلمات في البر والبحر والسهل والجبل وعلى السراء والضراء
والشدة والرخاء ليلاً ونهاراً وصباحاً ومساءً وقد صدقهم الله وصنعوا به في الكتب المنزلة
قبلهم بانهم يملؤون الارض تهليلاً وتكبيراً وتحميداً وتسبيحاً وليت لساير الاديان كلمة جامعة
يذكرونه على لفظ واحد وذلك قوله تعالى هذه الاية والزمهم كلمة التقوى وكانوا احق بها واهلها
وكذلك اثبات النبوات فان اعتقاد ساير الاديان ما سوى ملة الاسلام لم يسلم فيها من طرفي
الغلو والتقصير اما الغلو فما تقوله النصارى في عيسى بن مريم عم واما التقصير فكجحود اليهود نبوة
ابرهيم مع جلالة رتبته في الانبياء والصلوة عليه من جميع اهل الاديان حتى البراهمة مع انكارهم
اصل النبوات فلم يزد اليهود على انه كان رجلاً صالحاً واما قولهم في المسيح وفي كثير من الانبياء
نحو لوط وسليمان فلا ينطق اللسان بذكره والمسلمون سالمون من جميع ذلك قايلون في الانبياء
كلهم انهم عباد مصطفون وخيار معصومون كما رددوا مع كلمة الشهادة ذكر رسولهم بالعبودة
والرسالة وحتى ان الخلفاء الذين هم ائمة الحق بعدهم لسوا يفتتحون ذكرهم في الخطب والكتابات
المسطورة عنهم المرددة الى ولاتهم وعمالهم الا بقولهم من عبد الله فلان الى الامام امير المؤمنين وذلك
قوله تعالى قالوا امنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط
وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون وكذلك
امرهم في الملائكة كادعا عبدة الاصنام بانهم بنات الله ونسبة الثنوية والمجوس اليهم من الامور
الالهية غلواً منهم ثم قول اليهود بان الواحد فالواحد قد يجوز ان يرتكب الكفر واما ساير العجاير
فذلك عنهم متعارف فان الله يعاقبهم بالمسخ ويعذبهم بشدايد العذاب واهل الاسلام قايلون

بانهم

بانهم عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون
يسبحون الليل والنهار لا يفترون **وكذلك** القول في الكتب المنزلة على الانبياء فلا تخلو دين
من الاديان من اثباتها فان الرسالة والرسول من الاشياء المضافة الذي العقول احدهما قول
بالاخر ثم الكتب السماوية وان كانت كلها جليلة الاقدار عظيمة الاخطار فان ابراز القرآن على جميعها
مما لا يخفى في صورة الخطاب وفي نظم الالفاظ وفي تاليف المعاني اما مخرج الخطاب فعلى صورة خطاب
شريف من ملك مقتدر كريم فيما اراد ان يلقي الى عبيده من غايتهم امره ونهيه ووعده ووعيده وخطابا
في ساير الكتب السماوية على مخارج كلام رجل حكيم بلفظ وعبارة منسوبة بعضها الى نظمه
واما نظم الالفاظ فعلى وجه شهد لاهل المعرفة بوجوه الكلام انه غير متشابه لكلام البشر وانهم
على مر الايام الطوال لم يعارضوه ومن تعاطى ذلك بان عجزه وظهر افتضاحه وليس كذلك حال
الكتب الاخر وهو تاويل قوله جل وعز وانه لكتاب عزيز لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا
من خلفه تنزيل من حكيم حميد واما تاليف المعاني فما هو في اجزائه من انتظام معاني حملته
فكان كتاباً معتنياً بها ما يتضمن عشر آيات منه من الابواب الاعتقادية والمعاملية والا
العقلية واثار الامم الخالية ما يتضمن ذلك كله وان ذلك في وجازة الالفاظ وغزارة
المعاني ما لو بسط لاستغرق الاطمار والاسفار وساير الكتب المنزلة مبسوطة المعاني
مقسومة وكذلك امر المعاد فان معتقد بعض الاديان فيه التناسخ ومعتقد بعضهم انقلاب
الانفس الى النور ثواباً والى الظلمة عقاباً وبعضهم تخلص الارواح من الاجساد وبعضهم ان
ذلك ايام قلايل من مدة الدنيا سبعة الاف سنة او من مدة عبادتهم العجل او مدة
اقامتهم ومكثهم في التيه ومعتقد اهل الاسلام ان الدنيا منقضية بالساعة التي هي
آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور ويعيد الارواح الى الاجسام على تركيب
مخصوص تحدده الحس والعقل ويعرف نفس بعضوها احوالها التي مضت عليها في هذه
الدنيا وما اكتسبت من سيئة وحسنة وتدرك بقوة الحس اللذات التي تتمتع بها
والالام التي تعذب بها وهذا ضروري فان الجزاء بالثواب والعقاب جايز واجب
والثواب والعقاب باللذة والالم ولا يدرك كيفيتها الا على مثل ما اعتادته الحواس
من اجناس اللذات كالمطاعم والمشارب والمناكح والمناظر المونقة والروايح الطيبة
والمسموعات الممتعة والحلوم الروقة والمجالس المونقة واما من جنس العذاب فكالمضايق
الموحشة والسلاسل والاغلال والانكال والتحريق بالنيران والتعذيب من الاحزان وانه
لن يكون الاجسام هناك مركبة من الاخلاط الفاسدة والامشاج المتضادة فانها

لو كانت كذلك لتسلط البلى ويسارع اليها الفساد ثم يكون الحواس مشاكلة لها في
الخلوص والصفا والخلود والبقا فتنال لذاتها نيلا اولويا خالصا غير شائب خاليا
عن الاعراض اللاحقة الفاسدة والادناس الموذية اللازمة وذلك قوله عز من قائل
وننشئكم فيما لا تعلمون وقوله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وفي الحديث اعددت
لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتهم
عليه اي دع ما اطلعتهم عليه وسئل عليه السلام هل يتناكح اهل الجنة فقال نعم
دحاما دحاما اي بالمني وفتور بالوان اللذات ويصانون عن الآفات فهذا مما تميز به
شرف دين الاسلام في الاعتقادات الايمانية فلنتأمل ما يدل على مثل ذلك في العبادات
الموظفة فنقول ان فضيلة الانسان في وسط الافعال وبناء امره على الوسط في كل
شيء فليس هو من الحيوان العظام الجثث ولا لطافها جدا ولا من الطوال الاعمار جدا كالحيات
والنسور ولا القصار جدا فلا هو في مركز العالم ولا للطرف الاقصى منه ولا في رذالة السباع
والبهائم ولا جلالة الملائكة وكذا امر هذه الامة فانها وسط في الامم كما قال الله تعالى
وكذلك جعلناكم امة وسطا وامر دينها فانها وسط في الشدة واللين وان اخر الاديان
بطول البقا ما وحدث اخرها وسطا فيصح عليه احوال اهله في معاشهم ومعادهم
وبطرح امور دنياهم وآخرتهم وكل دين لم يوجد على هذه الصفة فلا يسمى دينا فاضلا و
كذلك كدين المجوس في اعتقاد الرهنات وارتكاب المستقبحات ونكاح الامهات
والبنات والترهبات وكدين رهبانية النصارى في هجران المناكح ورفض الفنا
وترك طيبات الرزق وكما سقطا من الثنوية المسمون بالصديقين من حمل الفقر
على الرجا والخصا وملازمتهم السياحة على الاصول الخبيثة التي هي عندهم بزعمهم الصدق
والطهر والقدس والمسكنة الصدق ان لا يكتموا دينهم وان قتلوا عليه والطهر ان لا يصيبوا
من النسا والقدس ان لا يبيتوا ليلتين في منزل والمسكنة ان لا يدخروا الغد ولا
يحركوا الشيء من عمارة العالم والهند يتكلمون من تحريق الانفس وتعريضها ورميها
من شواهق الجبال وشواهق التلال ومما لا يرتكبه احد في سائر الاديان وسماعهم جوهم
فيجذ لراسه اكليلا ازرق ويحفه بحشاه فتيلا ثم اضرم في الفتيل نارا ولم يتاوه
والنار تحطم عضوا عضوا او ياكله جزوا جزوا وهذا يبلغ علمهم وجهلهم دليلهم ولو
اراد الله بعباده حملهم على اهلاك الانفس لما علمهم صنعة لبوسهم لتحصنهم بلبسهم ولما
جعل لهم سرابيل تقيهم الحر ولما هداهم لصنوف العقاقير النباتية والاولى الاكلية في

تركيب الادوية للاسقام العارضة ولعمري ان الانسان لو دسم في حبوته ههنا من مقاساة
الشدايد ومعاناة الموت والحزن فان جبلة العالم موسسة على امتزاج الخير والشر واختلاط
المحاب بالمكاره ولان ما يعطيه معجلا مما يكده ويجهد ويتعب بسببه احتمالها اهون الجر
للصوم من السنة في شهر وبحج مرة واحدة في مدة العمر مرة واحدة لقضاء المناسك صيام
الوصال الى الشرع احتى يتشف الجهد الرهبانية الغريزية ورفض الاهل والوطن للسياحة في الارض
على الدوام واذعن فرض الملة الحنيفية على الملل في الجملة فلنعرف ذلك ايضا في التفصيلات
على الشرايع المشتركة في الاديان والشرايع في الجملة اما حركات مثل الصلوة والحج واما اعدام حركات
يعني الحركات مثل الصوم فانه وان كان يعني عدميا فانه عرك من الطبيعة تحريكا شديدا

معنى عدميا

ينبه صاحبه على انه على حق من الامر ليس هو مهملا وليتذكر بسببه ما يتوب به من ذلك وانه التقرب الى
الله معها في جميع ذلك من تنزيه النفس وتبعيدها عن اكتساب الهيات البدنية المضادة للسعادة
ومعلوم ان الفضل في هذا الباب على المقدمة التي قدمناها من فضيلة الوسط للملة الاسلامية
كمية وكيفية اما الكمية فلانها الامر من الكثرة في حد الافراط كصلوات صدي الثنوية
ورهبانية النصارى ولا من القلة في رتبة التفريط كصلوات المجوس فانها تعظيم للشمس في ثلثة
اوقات من النهار كيف ما دارت في كمال تسييره بلا فتور ولا تقدمة
طهارة بل توسطت بينهما على حد لا صرف عن القصر في اسباب المعاش مع قضاء حق التعبد

هنا ترك

ثلثا في النهار اوله واوسطه وآخره وثلثا مع الوتر المفرد من في الاخرة لئلا تخلف بعشرة
النهار المن الاديان بذكرا ولا ان تذكرا واما الكيفية فلان شيئا من صلوات ساير الاديان لم
يتناسق اداؤه ولا في هيئة الاداء واشكال الخضوع ولا في الاذكار المذكورة عن الحسنات المعفية
آثار السيئات كتناسق صلوة المسلمين فاما ماثل بين يدي الله ومطاهد للطهور وتعفير الوجه وخضوع
على الركبتين ما في النحو وكأنها بادي بعد النبي عليه شبيه بحال من تقدم الى ملك
عظيم فوقف بين يديه مستشعر الهيبة مكبرا له وشيئا على حتى اذا استدنا له كفر له مطاطئا
ظهره حتى اذا ازداد في الاستدنا عفر وجهه لفرط الخضوع بالارض اذا امره بالجلوس جثا على
ركبتيه بين يديه ملازما في اشكالها الاربعة لاقامة حق الثنا والتمجيد على اتم المبالغة كما و
شيئا من ذلك في مجلس من مجالس خلق الانسان الحسنين الاول مقصور على خلق الانسان على هذه
البنية المواتية لا فقا الصلوة المفروضة وليست هذه الخصايص في شيء من صلوات ساير الاديان
فان بعضها ركوع بلا سجود وبعضها سجود بلا ركوع وبعضها يخلو عن تحريم التحريم والتحليل
ولو لم يكن من خصايص هذه العبادة الاسلامية سوى الاذان المرفوع به الصوت في الحال في

العالية بالتكبيرتين وبالشهادتين والاهابة الى المدعوين الشريفين فكان في ذلك ما
يوجب كل مزيد ومزية في الفضيلة ولو لم يكن فيها الا التي كل جمعة من اهل كل مملكة الى محلها
في بقعة واحدة خارجا اليهم سلطانهم في ابهى شعاره مرتقيا اشرف مناره فيقبل على رعيته
بالمواعظ النافعة والوصايا الناجعة مثنيا بعد الحمد لله على مولى النعم ابتداء بغير استحقاق
ومجزيا بعد شكر واجتهاد ومصليا عموما على خاتم بعد انبيائه سيدهم خصوصا وعلى الراشدين
من خلفائه الماضين والائمة وولاة الامر الباقين تستعر القلوب بهيبتهم وتعنو في الناس طاعتهم
والقوم منصتون اليه لا ينبسون حتى اذا فرغ من خطبته تقدمهم يعمهم بهم العبادة المشتملة
على ظاهرهم وباطنهم ويجمعهم جميعا على الاجابة لخالقهم ورازقهم لكان في ذلك النعم العظمى والشعار
العليا وما الدين من الاديان هذه الجماعة الشريفة وهذه المزية المنيفة واذا جاء شهر رمضان
فانظر الى سنة بعض الصحابة في جمع الناس على التراويح وايناس بيوت الله بكثرة المصابيح
صبيانهم وشيوخهم دائبون في العمل ليلا بعد امساكهم عن اقتضاء الشهوات نهارا

جاء الصيام فجاء الخير اجمعه * ترتيل القران وتهليل وتسبيح
فالنفس تدأب في قول وفي عمل * صوم النهار وبالليل التراويح

وهذا الصوم هو العبادة على صورة حمل الامانة في الامساك عن اكثر الملاذ والصبر عنها وعلى
النفس وكبح النفس بلجام التاديب وجعلها في حصار الدين وترديدها في مضمار الحظر والاباحة
والفضل فيه للملة الحنيفية في التوسط بين كثرة صيامات الرهابين والصديقين من النصارى
والثنوية وتفرقها في ايام السنة لا على اوقات معلومة لا يتزحزح عن مواقيتها وقلة صيام
المجوس فانها صوم ثلثة ايام ايام الفرحجان فحسب وصوم المسلمين ايام متتابعة في شهر واحد
هلالي موكول الى رؤية الاهلة الظاهرة ذلك لا عن موعية بعبارة فسند انتعارها
وهيئها على اثر في الملة وعز الدولة مكتوب فيه الصدقة واغناء الفقراء عن المسئلة مسنون
فيه السرور والبهجة والتحسن والزينة والتوسع في الملاذ المباحة حتى يكون اعياد هذه الامة صدقا
وقرابين واعياد ساير الامم لهوا ولعبا كما جاء ذلك في الحديث واما العبادة المالية فموضوع
هذه الامة الحنيفية فيها على المواساة المحرجة ونهاية المياسرة في فضول التجارات وسوايم
الحيوانات وانزال المعادن النبات بقدر حاجة ذوي الحاجات حتى سئل الصادق عم عن علة
وجوب الزكوة فقال ربع العشر فقال لان الله علم ان المحتاجين الذين لا يمكنهم اكثر من هذا
هذا الاتا ايدي الناس هو ربع العشر وفي الملة النصرانية ليس فيه فرض مقدر وقد سئل
المسيح عنها فقال يا بني انما الحث عليكم اقتناء المال حتى تبادروا من تفريقه وعليه بني ما في امره

اذ كان قد انفعل بمثامره وتحابين النصرانية والمجوسية والمجوس في الاموال لا من رجال
المجوس شيئا وان كان يرى الاحسان حسنا ولكنه يخرج ثلث المال للازواج والزكوة في
الاسلام على نصب واوقاص بين ابن عدل بين من غير اجحاف بارباب الاموال وحرمان المساكين
وبعضها الى السلطان ليستعين به الجباية على الحماية وبعضها الى ارباب الاموال ليرونهم
المر طباعة على السماحة ويجنب الى الضعفاء بالشفقة والا فالله ولما علم الله من طباع البشر
بالمال جعل الخطاب على التلطف والترغيب في التزكية والتطهير بقوله خذ من اموالهم
صدقة الاية وسماه قرضا موعودا له باعطائه واضعافه عليه فقال من ذا الذي يقرض
الله قرضا الاية ثم سلى عما يخرجه بتعريف ما يعود اليه حال المال وانه لربه المختار الا
بترك عليه وانه وان انفاه لنفسه لا يبقى له فقال وانفقوا مما جعلكم مستخلفين وقال وانفقوا
مما رزقناكم من قبل ان ياتي احدكم الموت فقال رب لولا اخرتني الى اجل قريب فان نفعه
راجع اليه ومولاه مستغن عنه فقال ها انتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله الى قوله
الضن بالمال آفة وان كان ذلك في الطبع وان النجاة في الجود فقال ومن يوق شح نفسه الاية
ثم اخبر ان الذي عليه هو اعطاء فضل المال عن حاجة وغنى فقال يسئلونك ماذا ينفقون قل العفو ثم اخبر
انه يعوض المال ويعقب الخلف فقال وما انفقتم من شيء فهو يخلفه الاية فليت شعري في اي دين يوجد
هذا الاستقصاء البالغ في الحث على ثوابها وكثرة عوائدها واما النسك المشترك بين
الامم كما قال لكل امة جعلنا منسكا هم ناسكوه ففضيلة ملة الاسلام فيه ذلك ان اقامته من العفيف
العبد على صورة مسخوط عليه فخلع اثواب الزينة ورفض اسباب الرفاهية ولازم الشعث في
لا يدكابعنا رستيل منحاخا جته بعقوبته عاجلا الله في تعظيم مهاجرا اليه عن اهله
ووطنه ساعيا في الامكنة المنسوبة الى مولاه من بقعة واحدة فعل عبد نادم على خطيئته
وفعل يامره فهو يتردد في ابواب مولاه على ضرب من الحيرة كان وفنون من الكلمات حتى اذا
تنجز رضاه وبلغ عفوه عاد وما كان عليه من الزينة وتقرب الى مولاه بشيء منه والطعم الا [illegible]
المجوس من احراق قرابينهم عند هياكلهم واما الجهاد فهو ايضا مشترك ولولا محاماة اهل الدين عن
دينهم لاجتاحهم واستباحهم اعداؤهم فظهر الفساد في البر والبحر ولهدمت صوامع وبيع وصلوات
ومساجد وعموما قبل الا صدق الحرب الا لمن مستبصر في دينه او مغتر على حرمه او كريم متمعض
عن ذل اصابه الا انه لم يبعث اهل دين من الاديان لاقامة فريضة الجهاد بمثل ما وجد عليه
اهل دين الاسلام فانهم رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وسأل عمر ابا مالك الانصاري
وكان من الاحبار فسل عن النعت في التوراة فقال يلبس الشملة ويتخير بالعلقة من قوم اناجيلهم

الاشتمال على البلاد [illegible] والفضاء والشعوط [illegible] العقل [illegible] الاربعين [illegible]

في صدورهم قرابينهم من نفوسهم ولذلك لم يعد الله الدين من الاديان من خاصية الالهيا
والاعزاز ما وعد لاهل هذه الملة فقال وعد الله الذين آمنوا منكم الآية فعلم بما ذكرنا
فضل هذا الدين على ساير الاديان ؛ **وما احسن قول القايل**

تغنون عن كل تقريظ تمجدكم ؛ غنا الظبا من التكحيل بالكحل
يلوح في دولة الاسلام دولتكم ؛ كانها ملة الاسلام في الملل

فهذا في العلم بدين الله فاما العلم بالله تعالى فنقول في ذلك على طريقة اهل المعرفة
ان العلم مفتح العمل والعمل كمال العلم فللعلم تقدمة الابتدا وللعمل فضيلة التمام و
الابتدا بلا تمام ضايع والتمام بلا ابتدا محال ووصول الانسان الى العلم بالاشيا
ليس على نحو واحد وربما كان الشي متاخرا في الوجود وهو في علمنا اقرب وربما كان متقدما
في الوجود وهو عن علمنا ابعد فان شكل القمر لما كان كريا وكان قابلا للنور من عين
الشمس اوجب ذلك الشكل في قبوله النور ان يوجد في مدة الدورة الواحدة هلالا ثم
تربيعا وتاما فيصير نوره على ذلك القدر كل ليلة في تلك المدة مرتين مرتين لم يرد ابدا ما
مرة واحدة ولا اخفاه ان ظهور هذه الحالات في جرمه متاخر في الوجود عن شكله ثم هي اقرب
الى معاينة حواسنا وابل ادراكنا من معرفة شكله بها فوق علمه بشكله اولا ثم تحقق ذلك
العلم ثانيا باختلاف هذه الحالات عليه كان ترتيب السلوك في الاحاطة مساوقا
لنظام وجوده في نفسه فاما اذا علم اولا ظهور الحالات المختلفة فيه ثم علم ان ظهورها
على ما هو عليها مما لا يكون الا في الشكل الكري لم يساو المسالك نظام وجوده في نفسه
بل وجوده عند حسه لانه عرف شكله اللازم لما عرف من الاحوال الحايلة عليه والشكل
الدايم لازم ومتقدم والاحوال حايلة وقابلة ومتاخرة وعلى هذا يجري الاستدلال
على الصانع بالمصنوع وعلى الموجد بالموجود فيستقري احوال العالم الحدث في ملازمة
الحوادث بمحله واجزايه الى العلم باثار الصنعة والاحداث في جميعها وحاجة نظامها
على الدوام الى غيره ثم يترقى الى العلم بصانعها وحكمته وقدرته كما نظر ابرهيم ع في ملكوت
السموات والارض فتبين اسرارها وعرف معانيها واحوالها واتقن علمها وما لكها
ثم بعد الاتقان والاستثبات في هذا العرفان يصير ترتيب العلم مساوقا النظام وجود
الاشيا في ذواتها فلا يزال يتدرج بصفونه واشراقه من الاشيا المتقدمة البعيد
عنه الى معرفة الاشيا المتاخرة القريبة منه على ترتيب وجودها فحينئذ لا يعرف شيا
الا بالله بل ينكر معرفة كل شي في جنب الله حتى يصير معرفته بالاشيا معرفة الهام وايقان بالله

ومنزه

ومنزه الله حين اطلعهم على نوره ولقام العلم من عندهم فهم العارفون على الاطلاق والمقدمون
بالاستحقاق كما ان الفريق الاول هم العلما وعلمهم قياس واقناع بالراي والاستقرا كما قال الله
سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم فهذا حكم هولا ثم قال اولم يكف بربك انه على كل شي شهيد
فهذا حكم الاولين الذين يستشهدون به لا عليه فيشهد به وجوده من حيث هو ثم تشهد
بعد ذلك على ساير ما دخل في الوجود **قال** سهل بن عبد الله العلم يثبت بالمعرفة والعقل يثبت بالعلم
فاما المعرفة فانها تثبت بذاتها فاذا عرف الله عبدا نفسه فعرف الله بتعريفه اليه احدث
له بعد ذلك علما فامر الله بالمعرفة وقام العقل فيه بالعلم الذي احدثه وكل قايم بغيره فان
بنفسه فلا يزال الحق يصير العبد ماخوذا عنه مسلوبا منه وعبر عن هذا العلم الجنيد بانه تعلم
تضمحل فيه الرسوم وتندرج تحته العلوم ووصف حال العبد فيه فقال هي ان ترجع الى العبد
الباق له فيكون كما كان قبل ان يكون شبحا بين يديه يجري تصاريف تدبيره بمحله فيرد
في مجاري احكام قدرته في لجج بحار العلم به بالفنا عن نفسه وعن دعوة الخلق له وعن استجابته
بحقايق وجود وحدانيته في حقيقة قربه وذهاب حسه وحركته لقيام اليقين له فيما
اراد منه حين اشهدهم على انفسهم فيكون نهاية الامر للارواح المشهد عليها ان تكون من فاز بطينها
كما كان قبل ان يكون فيكون العبد كما لم يكن ويبقى الحق كما لم يزل وقال مرة اخرى المعرفة وجود
جهلك عند قيام علمه ثم قيل زدنا فقال هو العارف وهو المعروف وقريب منه قول سهل ان
المعرفة هي المعرفة بالجهل ومعنى هذا الكلام انك جاهل به من حيث انت وانما معرفته من حيث
هو وذلك ان وجودك لا يكون علة العلم به لانه يكون الوجود ولا حيوة ولا حيوتك لانه
يكون الحيوة ولا عقل ولا العقل لانه يكون العقل ولا استدلال ولا الدليل لان الدليل
مضروبة ولم يعد واجبة بعث الله الرسل مبشرين ومنذرين ولا الرسول لانه لم يهد كل من سمع
الرسول ولا الكتابة ولا ذكر الاوصاف وشرح النعوت ولكن علة المعرفة هي العناية في البدا
بالهداية ولو كان الامر بالصفات وجاز ذلك لما اوقفه رسول الله صلعم حين قيل له صف لنا
ربك حتى نزل قل هو الله احد فاتى بكلمة قل كما اتى بما انزل عليه من الصفة ليعلم انه من حيث هو
حاك وليس بواصف وانما الواصف هو الموصوف والعارف هو المعروف وعلى هذا قوله عز
من قايل يا ايها الذين آمنوا آمنوا اي اذا امنتم تحقيقي فآمنوا هذا بي فانك اذا رايت
معرفتك ولم تر هذا بي فقد رجعت الى صفتك ونظرت في نفسك وحقيقة الايمان رؤيتك
اياه وحقيقة الشرك نظرك الى من سواه وعلى هذا قول الشبلي من اجاب عنه بالعبارة فقد الحد
في اسمايه ومن اوما اليه بالاشارة فقد اشرك في دعاويه ومن نطق عنه عن نفسه فهو غافل

ومن سكت عنه فهو جاهل ومن اوهم انه واصل فليس له حاصل ومن ظن انه قريب فهو بعيد
شارد ومن تواجد فهو عليم فاقد وكل ما ميزتموه باوهامكم وادركتموه بعقولكم في اتم معانيكم
فهو مصروف مردود اليكم محدث مصنوع مثلكم وقال مرة اخرى ما شم روائح التوحيد من تصور عنده
التوحيد ومشاهد المعاني واثبات الاسامي وقال احمد بن عيسى الخراز اول التمكين في هذه المقامات
فناء ذكر الاشياء عن القلب وانفراده بالرب وعزوف محبة الاشياء عن الضمير فلا يلتفت اليها
ولا يلتذ بها ولا يراودها بذوائقها بل يراد الله منها ؛ يا مظهر الحسن امسى نازح الدار عن بيا
وبعيد الشخص من عيني ومن قلبي قريبا ؛ ليس تلتذ جفوني بالكرى حتى تؤوبا ؛
لم يزل حبك في قلبي المخلوق نصيبا ؛ ثم لما كان اصابة كل خير وسعادة لا تخرج عن اربعة اوجه
اما ان يجري ذلك على البحث والاتفاق او على سوم الخلقة والطباع او يكون بالابتغاء و
الاكتساب او يكون موهبة الاهية صادرة عن عناية ازلية والعلم العظيم الذي تسميه
اهل هذا اللسان المعرفة لا يجوز حصوله على سبيل الاتفاق وكيف وهي من العلوم التي لا تعثر بها
ولا يتوهم عنها لا لاحصل به فلا يجوز ان يكون اشرف الكرامات من اخس الجهات ولا ايضا يجري
على سوم الخلائق والطبايع لانه لا يحظى به المرء عنه عن اختيار ولا هو ايضا يحصل بالاكتساب
لانه النهاية في الفضل والشرف والجواد الكريم الذي لا يجوز ان يمنع من اوليائه اهل الكرامات
ولا ايضا يجوز ان ينال ذلك وهو الغاية في الشرف والنهاية في الفضل عن كسبهم وجهدهم
ومهنا تزل الاقدام وتضعف الاستمساك ويستر الجبر ويرتج القدر ويفوق سهم النظر ويبطل
قدم الاجتهاد ولو بطل الاختيار لذهب فضيلة الانسان ولو صح الاختيار عرض توهم الاكتساب
ولكن من الافعال الاختيارية ما يتمكن فاعله من كماله كالتجارة والصياغة ومنها ما يحتاج معه
الى عناية الاهية وحركة سماوية كالطب والزراعة فانه يسقي الحرث ولو شاء لجعله غراما
ويخرج الزرع ولو شاء لجعله حطاما وكان الشمس وان اشرقت انوارها وانتشرت اضواؤها فان
الاعين الرمدة والمقل الضعيفة لا يصيبها الا النقصان في شعاعها وقصور في ارتفاعها فكذلك
حال المعرفة والبصيرة والقربة والمشاهدة فانها امور متنة لمن اراد اكرامها ومعروضة على من تصدى لها
واعتادها ولكنها لا تحتملها الا من فيه عقيدة بصفا المعلومات وتهذيب خليقته بسقا
المعاملات وكان الملك العزيز حجبه يجلي في سرير مملكته وبرز العام والخاص في بهاء زينته
ثم تقاعس عن يومه بعض رعاياه اما القصور حال او عزوف نفس او عجز سعي او ضيق صدر لم يكن
الملك البواتية بجميع محاسن مجلسه وبهاء منظره حتى سمع فكذلك حال المعرفة والزلفى الى الحق
وان تجلت للعارفين في بها كمال الحقيقة فلا وكل تقصير لو ابجمال فني عنه وكل سر ورد على

التام

التام فعند وكل نور على الخلوص فمنه ثم ان صدق الذاهلين عنها انما استحوذ عليهم من غرور
الدنيا وران على قلوبهم من آفة الهوى فذلك لا يوجب قدحا في مبانيها وتكدر صفائها وكان
الشيء النفيس لا يوضع الا في وعاء النفيس والتحفة السنية لا تهدى الا الى رجل سني والغذاء الشهي
لا يصلح الا لبدن نقي والتاج البهي لا يسمى الا لاطراف الملوك والدرة الكريمة لا تحسن الا
في شنوف الحسان كذلك الكرامة الشريفة لا يستاهلها الا الانسان الشريف اللباب
المهذب النقاب الذي نقيت معاملته عن كدورة المخالفات وتهذبت خليقته عن الاسماع
الى الدنيات فالمعرفة في الحقيقة موهبة الاهية اعزها الله عز وجل لصفوة اوليائه وذوي
الاخلاص من اصفيائه فصاروا لا يصبرون عن الانس بل لا يصبرون عن غيره ولا يرون في الدارين
معه سواه لا يرفعون الى غيره الشكوى ولا ينتسبون في احوالهم بالدعوى ولا يعرفون بدعوى (?)
الاخلاق ولا يتلبس النفاق يلزمون الحركات بالافكار ويسكنون عند مجاري الاقدار
يستعذبون البلاء ولا يبالون كشفه ويستطيبون العناء ولا يريدون صرفه عددهم
قليل وخيرهم كثير وهمهم طويل وحديثهم قصير عملهم في قلبهم وقلبهم عند ربهم ليس فيما نعم (?)
عيشهم انهم خلت الارض عن نظرائهم حدث الجريري قال ازدحم الناس يوم الجمعة على باب الجامع
فوقف الجنيد وقال لي ترى هولاء هولاء حشو الجنة وللمجالسة قوم آخرون ودخل بغداد
جماعة من الصوفية فنبع بهم الشبلي فصار اليهم فلما تاملهم وصوب وصعد نظره فيهم انشد وقال
اما الخيام فانها كخيامهم ؛ وارى نساء الحي غير نسائها
وقال ابو الحسين النوري كانت المرقع اغطية على الدر فصارت مزابل على الجيف وقال
ابو تراب النخشبي لاصحابه من لبس منكم مرقعة فقد سال ومن قعد في خانقاه او مسجد فقد
سال وانما الرجل من قوته ما وجد ولباسه ما ستر ومسكنه حيث نزل وقال ابو بكر الكتاني
لاصحاب المرقعات اخواني لان كان لباسكم هذا موافقا لسرائركم لقد احببتم ان تطلع الناس
عليها وان كان مخالفا لها لقد هلكتم ورب الكعبة وقال لبس الصوف حانوت والكلام في
الزهد حرفة وصحبة القوافل معرض وهذه كلها علاقات وسعارضات وكان السري يذم
الجالسين في المسجد الجامع ويقول جعلوا الجوامع حوانيت ليس لها ابواب وعن الشبلي دع
قلبك ولا ترقع لبستك وقال مرة اخرى اهل المعرفة ثلثة قالوا انا وقوم قالوا هو وقوم
خرسوا فلم يقدروا ان يقولوا شيئا وهم افضل الثلثة وقال من طلبني عني فقد ذهب ومن
طلبني لي كنت كما هو لي ومن طلبني بحظ نفسه حجبته به عني وقال الجنيد انما كن الاتصال
فانها اخدع كلها او قف حيث وقف العبودية تسلم ثم انشد

في اذا من الشنوف والقرط
اساس

رجل نقاب منقب
نافذ في الامور
اساس

وكذبت طرفي فيك والطرف صادق ⁂ واسمعت اذني فيك ما ليس يسمع
ولم اسكن الارض التي تسكنينها ⁂ لكيلا تقول الواشي بك مولع
آخر ابكي الى الشرق ان كانت منازلنا ⁂ مما يلي الغرب خوف القيل والقال
اقول بالخد خال حين انعتها ⁂ خوف الوشاة وما بالخد من خال
وسئل الحلاج عن السكون الى الزهد فقال خدع فسئل عن الشوق الى الجنة فقال حجاب فسئل عن الوصول فقال اماني مونسه ومن كان في طول الهوي ذاق سلوة فاني من ليلى لها غير ذايق
واكثر شيء نلته من وصالها ⁂ اماني لم يصدق كلمحة بارق
آخر مني ان تكن حقا تكن احسن المني ⁂ والا فقد عشنا بها زمنا رغدا
اماني من ليلي حسان كانما ⁂ سقتك بها ليلي علي ظما بردا
وسئل ابو يزيد البسطامي عن بسنه هل فقال ليس للزهد منزلة كنت ثلثة ايام في الزهد فلما كان اليوم الرابع خرجت منه اليوم الاول زهدت من الدنيا وما فيها وفي الثاني زهدت في الاخرة واليوم الثالث زهدت فيما سوى الله فلما كان اليوم الرابع لم يبق لي سوى هو فهمت فسمعت هاتفا يقول يا ابا يزيد لا تقوى معنا فقلت هذا اريد فسمعت قايلا وجدت وجدت ودخلوا على بعض رجالات في مرض فقالوا انا نعمل الله بك فقال منذ ثلثين سنة تعرض علي الجنة فما اعرتها طرفي وقال آخر منذ عرفت الله ما دخل قلبي حق ولا باطل ومنذ شغلت لم يكن لي فراغ لئن قرب الله النوى بعد هجرنا ⁂ وكان لروحات المطي بلاغ
شغلت بكل النفس عن كل حاجة ⁂ وهيهات من شغلي بكن فراغ
وليس لرد الماء لم تشر به ⁂ الى القلب مني يا اميم مساغ
وسئل ابو يزيد عن صفة العارف فقال الماء على قدر صفا ايه يصف لون انائه
يقولون لي العجيب بخلقك انما ⁂ تعاشر من تلقى على قدر رايه
فقلت يحاكي الماء طبع رقته ⁂ وماخذ صفو الماء لون انائه
وقال ابو سعيد الخراز لا يطيب عيش الزاهد اذا اشتغل عن نفسه ولا يطيب عيش العارف اذا اشتغل بنفسه قالوا اشغلت وفي حبهم شغل ⁂ كم يحملون علي ضعفي واحتمل
بثثت انهم قالوا استقل له ⁂ الموت ارفع لي اليهم فعلوا
وقيل حقيقة المعرفة ان تشغل كلك به وبذكره ومشاهدته على الاحوال حتى ينمحي عنك اثرك ولا يبقى لك خبرك وانشد والله ما طلعت شمس ولا غربت ⁂ الا وانت مني نفسي ووسواسي
ولا تنفست محزونا ولا فرحا ⁂ الا وذكرك مقرون بانفاسي

الابيات للشيخ [illegible] رحمه الله

ولا هممت بشرب الماء من عطش ⁂ الا رايت خيالا منك في الكاس
ولا جلست الى قوم احدثهم ⁂ الا وانت حديثي بين جلاسي
وسئل يحيى بن معاذ عن صفة العارف فقال رجل معهم باين منهم وقال مرة اخرى عبد كان فبان وقال مرة اخرى من اطلع على ذرة من المعرفة ضعف عن حمل بقه لثقل ما حمل وقال من اطلع على ذرة من علم التوحيد لم يثقل حمل السموات والارض على شعرة من جفن عينيه ومعناه ان السموات والارض بجميع ما خلق بتصاغر في عينه عند ما شاهد بقلبه من عظمة الله تعالى وفي الحديث ان العرش على جناح اسرافيل وانه ليتواضع لعظمة الله حتى يكون كالوصع وهو طاير كاصغر ما يكون وعن ابن عباس ان جبريل وميكاييل والعرش مع السموات والارض وما بينهما مع الملكوت التي لا تحيط بمعرفة اهل العلم بها كرتاي بنهما وراء الملكوت بل اقل من ذلك وشاهد هذا القول حال الارض من السماء فان الارض مع ما فيها من الاقاليم وفنون العجايب وجموع الخلايق لا حجم لها بالاضافة الى السماء ولهذا ان جميع الناس من جميع نواحي الارض نظرهم من السماء ابدا سته بروج فلو كانت للارض مقدار عظم عند السماء لكان جميع من على الارض لا يرون من السماء الا اقل من نصفها فاذا كان هذا حال بعض المحسوسات فكيف بك ولست لا تجعفة من ذرة ماهو نقط من الكل بالاضافة الى بعض فكيف بما يعلم ويحتر فيما لا يعلم ولا يحتر في بعض احوال القوم المختلفة في العلم والمعرفة وحقيقتها لا تحتمل الصغر واكثرها درجات تنال الا كما تقال فعظامتها احوال تلم لواعجها وتعرض سوانحها ثم تشوبها الدنيا وافاتها وتغار النفس وحاجاتها فاصبحت كالشمس المنيرة ضوءها ⁂ قريب ولكن ابن منك منالها
كذا عنه ضنت بالمزيه النوى ⁂ علينا ولكن قد يلم خيالها
تقربها الامال ثم يعوقها ⁂ مماطلة الدنيا بها واعتلالها
آخر الا عهدها كالورد ليس بدايم ⁂ ولا خير فيمن لا يدوم له عهد
وعهدي لها كالاس حسنا وبهجة ⁂ لها نضرة تبقى اذا فني العهد
فقلت لاصحابي هي الشمس ضوءها ⁂ قريب ولكن في تناولها بعد
آخر متى تستريح فضلا من العمر تغرب ⁂ بنحلك من شهد الخطوب وصابها
تشد بنا الدنيا باخفض سعيها ⁂ وعول الافاعي بلة من لعابها
نسر بعمران الديار مضلل ⁂ وعمرانها مستانف من خرابها
ولم ارتقي الدنيا اوان مجيئها ⁂ فكيف ارتضيها اوان ذهابها
اقول لكذوب عن الدهر زايغ ⁂ عن حجرات الحي وانتحابها

سيرديك او يشويك انك مخلص ۞ الى شقة تبليك بعد مآبها ۞

وهل انت في برد سوية طال لحدها ۞ من الارض الا حفنة من ترابها ۞

المجلس الحادي والثلثون من كتاب خلق الانسان تفسير قول الله عز وجل وفي انفسكم افلا تبصرون في تصوف الانفس وتنسكها والتمرع عن غاياتها

بسم الله الرحمن الرحيم ۞

سبحان من جعل السماء سقفا مرفوعا والارض مهادا موضوعا والصباح نورا مستطيرا والنهار ضياء مستنيرا والنجوم طوالع دوار وافل والقمر قدره منازل والشمس تنزع ضياها من شرقيتها وتخلع رداها على غربيتها تدور مع النجوم السايرة سواء في الدورة القاسرة وهو وساير الكواكب مختلفات المسير من المغارب قد اتفق على ذلك نظامها وان تفاوتت ابعادها واجرامها واتسقت وجهة تدبيرها وان اختلف جهة تسييرها كل ذلك بتدبير مدبر عليم وتقدير مقدر حكيم تشهد له البصاير اذا استنارت ابصارها والسراير اذا استجلت افكارها وشمس اليقين اذا ترحلت في سمائها واشرقت ارجاء القلوب باضوائها وبدر الظنون اذا انطلق من محاق الحجاب ذوايبه او تحقق كسوف الاسباب جوانبه ونجوم المعرفة حين تزهر وتدور وبحور الفكرة حين تزخر وتغور وليل الغفلة اذا ادبر عن المريدين وصبح القربة اذا اسفر للمحبين ومطر التوكل اذا اغدق بصوب الكفاية وشجر الاخلاص اذا اورق بثمرة الهداية ففي كل شيء من احوال العارفين شاهد يشهد لهم على انه الاه واحد نهج محجة العبادة الحق واوضح المنار وانهج الباطل خامد النار واسبح منه في القلوب انجم الحسنات واجرح عن النفوس لهم السيئات صلى الله عليه وعلى اله الذين سبقت لهم منه الحسنى فالزمهم كلمة التقوى وصرف صدورهم عن الدنيا وسلم تسليما ۞ واختلفت اراء القوم وعباراتهم في معنى تصوف الانسان ومن ماخذ هذا الاسم والوصف به ونحن نفتتح هذا المجلس بانوار من تلك الانفاس الطيبة العبقة ثم نسلك طريقة التقسيم فيما عثرنا على الوجه الذي به تستبين طريقته وتعرف حقيقته قال ابو نصر السراج ان اولي العلم القائمين بالقسط الذين هم ورثة الانبياء صلوات الله عليهم والمعتصمون بحبل الله المجتهدون في متابعة الرسول صلعم ثلثة اصناف اصحاب الحديث والفقهاء والصوفية ولا يبلغ احد منهم الى حد يحوي جميع العلوم عن اخرها وانما لكل فريق منهم مقام حيث وقفه الله ومحل حيث احله الله والصوفية تشاركوا اصحاب الحديث في طبقاتهم وقاربوا الفقهاء في صفاتهم ثم انفردوا وامتازوا عنهم بخصايص من تركهم ما لا يعنيهم وقطع كل علاقة تحول بينهم

وبين مطلوبهم

وبين مطلوبهم ويبعدهم عن مقصودهم وتخلوا بالقناعة بقليل الدنيا عن كثيرها واكتفوا بالقوت الذي لا بد منه واختاروا الفقر على الغنى والجوع على الشبع والتذلل على التعزز وترك طلب العلو بالعلو والترفع بالجاه وسبقوا الى الطاعات وسارعوا الى الخيرات وتوجهوا الى الله وقطعوا رجاءهم عن غير الله وزادوا اعليهم بدوام المجاهدة ومخالفة الهوى ومجانبة حظوظ النفس وزادوا ايضا مراعاة الاسرار ومراقبة الملك الجبار ودوام المحافظة على المعلوم بنفي الخواطر المذمومة واستصحاب الفكرة التي لا يعلمها غير الله ويعبدون الله بقلوب حاضرة ونيات صادقة وابصار ناقدة وهموم جامعة واسرار طاهرة وارادات خالصة وعزايم صافية شادين باذيال حبل الله متعلقين بالخلافة باذلين ارواحهم في ابتغاء الوسيلة الى الله جل وعز بدوام الذكر له ودوام المراقبة والمراعاة وحفظ القلب وغض ابصار الروس عن محارمه وابصار القلوب عن جميع ما يشغلهم عنه ثم زادوا ايضا بالتفقه في علوم اعمال باطنة من اعمال القلوب وعلوم الاسرار التي لكل منها طبقات ولهم فيها احوال ومقامات اختصوا من بين العلماء بحل عقدها والوقوف على مشكلها والاخبار عن طعمها وذوقها ونقصانها فكم لهم من علوم مستنبطات مشكلة على فهوم الفقهاء واصحاب الحديث اذ كانت لطايف مودعة في اشارات لم تحفظ عن العبارة من لطافتها في تجريد التوحيد ومنازل التفريد وحقايق العبودية ومحق الكون بالازل وتلاشي الحدث بالقدم وفناء رؤية الاعراض وبقاء رؤية المعطي وفناء رؤية القصد ببقاء رؤية المقصود وليس لاحد ان يعترض عليهم في احوالهم واقوالهم وليس له وقت مثل وقتهم ولا حال مثل حالهم ولا علم مثل علمهم فيهلك ويظن انه من الناجين ويضل ويحسب انه من المهتدين قال وانما قيل لهم الصوفية ولم ينسبوا الى حال ولا الى علم كما نسبت اصحاب الحديث الى الحديث ونسبة الفقهاء الى الفقه والزهاد الى الزهد لانهم لم ينفردوا بنوع من العلم دون نوع ولم يترسموا برسم من الاحوال والمقامات والاعمال بالطاعات دون رسم لانهم معدن جميع العلوم ومحل جميع الاحوال المحمودة والاخلاق الرفيعة وهم مع الحال في الانتقال من حال الى حال فنسبوا الى ظاهر اللبسة اذ كان لبس الصوف داب الانبياء والاولياء والصديقين وعباد الله المخلصين المنقلبين حتى يكون ذلك اسما مجملا عاما مخبرا عن جميع اوصاف التنسك واداب التعبد لا من افعالها اذ لو كان الاسم ببعضها لم يكن ذلك البعض باولى من غيره ووصفوا باللبسة الظاهرة وسموا بالبرة الحسية وهو كما وصف الله الحواريين بظاهر لباسهم اذ كانوا يلبسون البياض او بدا ثيابهم عليهم اذ كانوا قصارين يبيضون ثيابا وقال [illegible] علم التصوف

هو الجمع بين الاعمال الظاهرة والباطنة وعلم الباطن علم اعمال القلب الذي هو الجارحة
الباطنة كما ان علم الظاهر علم الاعمال الظاهرة التي هي على الجوارح الظاهرة وقد
قال الله تعالى واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة فالنعمة الظاهرة ما انعم الله تعالى
بها على الجوارح الظاهرة من الطاعات مثل الطهارة والصلوة والزكوة والصوم والحج
والجهاد والنعمة الباطنة ما انعم الله بها على القلب من هذه الحالات مثل التصديق
والايمان واليقين والصدق والاخلاص والمعرفة والتوكل والمحبة والرضا والشكر والذكر
والانابة والخشية والتقوى والمراقبة والفكرة والاعتبار والخوف والرجا والصبر
والقناعة والتسليم والتفويض والقرب والشوق والوجد والوجل والحزن والندم والتوبة
والحيا والتعظيم والاجلال والهيبة ونحوها ولكل عمل من هذه الاعمال الباطنة والظاهرة
علم وفقه وبيان وفهم وحقيقة وحد ولا يستغني الباطن عن الظاهر وقد قال الله تعالى
ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم فالعلم المستنبط
هو علم الباطن وهو علم التصوف فهذا تمام ما قاله السراج في هذا الاسم ومعناه ووصف
المتصفين به ووصفهم ابو بكر محمد بن اسحق الكلاباذي فقال صدقت مجاهداتهم فنالوا
علوم الدراسة وخلصت عليها معاملاتهم فمنحوا علوم الوراثة وصفت اسرارهم فاكرموا بصدق
الفراسة ثبتت اقدامهم وذكت افهامهم وانارت اعلامهم فهموا عن الله وساروا الى الله
واعرضوا عما سوى الله خرقوا الحجب انوارهم وجالت حول العرش اسرارهم وجلت عند ذي
العرش اخطارهم وعميت عما دون العرش ابصارهم فهم اجسام روحانيون وفي الارض
سماويون ومع الخلق ربانيون سكوت نظار غيب حضار ملوك تحت اطمار نزاع قبائل
واصحاب فضائل وانوار دلائل اذانهم واعية واسرارهم صافية ونعوتهم خافية
صوفية نورية صفية ودائع الله بين خليقته وصفوته في بريته ووصاياه لنبيه
وخباياه عند صفيه لم يزل يدعو الاول الثاني والسابق التالي بلسان فعله اغناه
ذلك عن قوله فالمعاني لاربابها قريبة والصدور لقيمها رحيبة الى ان ذهب المعنى
وبقي الاسم وغابت الحقيقة وحصل الرسم فصار التحقيق حلية والتصديق زينة وادعاه
من لم يعرفه وتحلى به من لم يصفه وانكر بفعله ما اقر بلسانه وكتم بصدقه من اظهر بيانه
وادخل فيه ما ليس منه ونسب اليه ما ليس فيه وسئل محمد بن علي استاد الجنيد عن
التصوف ما هو فقال التصوف جملة اخلاق كريمة ظهرت في زمان كريم من رجل كريم مع
قوم كرام وقال ابو الحسين النوري التصوف في الحقيقة هو الخلق فمن زاد عليك في الخلق

فقد

فقد زاد في التصوف وقال بعضهم بالخلق تستفاد الخلد وقالوا ان الصوفي اذا احسن خلقه
حصل له مع فراغ القلب قرة العين وسرور البال وطيب الحيوة واحراز الخير والسلامة من القيل
والقال وكان الجريري يقول التصوف هو الدخول في كل خلق سني والخروج عن كل خلق دني
وقيل الصوفية امرأ الاخلاق ونجبت فيهم اعراقها الزاكية وتعطفت لهم اغصانها الناعمة
وتهدلت عليهم قطوفها الدانية فهم يجنون منها ما احلولى وعذب ويتقون ما خبث و
املولح وانشد كل الخلال التي فيكم محاسنكم ❊ تشابهت منكم الاخلاق والخلق
كانكم شجر الاترج طاب معا ❊ حملا ونورا وطاب العود والورق
كما جمع التفاح حسنا ونضرة ❊ ورايحة محبوبة ومذاقا
وسئل بعضهم عن التصوف فقال ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة اهلها
اذلة فالحق احوال والاحوال للصوفي لانه محبة سومر وفيه هويته بمحويته عنه فهو يمحى
بقدمه ويسلك في طريق ان سير به سار وان سيل به مال قال يونس النحوي في
ظل دار ابن عامر في يوم ناجر قد اتقدت فيه الهواجر واشعلت نارها الظهاير اذ اقبلت
امراة لم ار مثلها في هيئتها وجمالها وعلو شبابها فما ملكنا انفسنا حتى رمينا ها
بابصارنا فشرعت في زقاق ومضت وانا في حيرتها اذا فتى في مثل هيئتها وشبابها
قد اقبل مدهوشا فقال له بعض القوم ههنا حاجتك واشار الى الزقاق فقال بوجه
مسفر ولسان معرب وقلب مجتمع ❊ اذا سلكت قصد الطريق سلكته ❊ وان هي عاجت عجت حيث تعوج
وقيل التصوف هو الرضا بما يجري عليك وقرة العين بما يجري اليك وانشد
يا نسيم الروض في السحر ❊ وضيا الشمس والقمر ❊ ان تزل سهرت ليلته لقرير العين بالسهر
وقيل الصوفي قريب بعيد بعيد قريب حبيب يملك الا انه غايب وغايب الا انه معك من احبه
افلس ومن ابغضه توسوس وقال ابو يزيد لا يزال الصوفي عارفا ما دام جاهلا فاذا زال
جهله زالت معرفته وقيل الصوفي من قد وفى الله في قلبه فناه وقطع رجاه عن سواه وسئل
الجنيد عن التصوف فقال ان تكون مع الله بلا علاقة وقال رويم بن احمد هو استرسال
النفس مع الله على ما يريده وقريب منه قولهم ان التصوف هو قيامك مع الله بخلع اوصافك
وقال الشبلي التصوف هو الجلوس مع حكم الله بلا هم وقال مرة اخرى الصوفي منقطع
عن الخلق متصل بالحق لقوله تعالى واصطنعتك لنفسي فقطعه عن كل غير ثم قال
لن تراني وقال سمنون هو ان لا يملك شيئا ولا يملكه شي وقال عمرو بن عثمان المكي
التصوف ان يكون العبد في كل وقت بما هو اولى في الوقت وقال الصوفي الذي يصلح اذا

افسد الناس وتحلوا اذا تزاين الناس وقال ابرهيم بن ادهم هو علو الهمم عما تنافست فيه الامم مخافة
ان تزل بهم القدم والزهد فيما احل الله لا فيما حرم وقال ذو النون الصوفي الذي لا
يتعبه طلب ولا يزعجه سلب وقالوا هم قوم آثروا الله على كل شيء فآثرهم الله على كل شيء وقال
الفريري مثل الصوفي مثل الشمس تطلع على كل شيء والارض يطأه كل شيء والماء يشرب منه كل شيء
والنار يستضيء بها كل شيء وقال ابو الحسن النوري نعت الصوفي السكون عند العدم والايثار
عند الوجود وهو من قول النبي صلى الله عليه واله للانصار انكم لتقلون عند الطمع وتكثرون عند
الفزع وانشد علي عا في طلحة بن عبيد الله

فتى كان يدنيه الغنى من صديقه   اذا ما هو استغنى ويبعده الفقر

وانشد
وجدتك ان ايسرت خيمت عندنا   مقيما وان اعسرت زرت لماما
فما انت الا البدر ان قل ضوءه   اغبّ وان زاد الضياء اقاما

وقال ابو تراب الصوفي لا يكدره شيء ويصفو به كل شيء وقد فرقت عباراتهم عن الصفوة على
مخرج اسمهم فقال بشر بن الحرث هو من صفا قلبه لله وقالوا هو من صفا نفسه عن كدورة
الخلافات وقالوا هو من صفت لله معاملته وصفت له من الله كرامته لا يتكدر على مر
الزمان صفاؤه ولا يتغير على طول العهد عهده ووفاؤه صفاء كالمزن لا يتكدر
وعهد كعهد النجم لا يتغير بقية صوب من الصدق اودعها الاخلاص في صميم الاحشاء
فزكت منها ازاهر الخشوع على الاعضاء

بقايا نطاف اودع المزن صفوها   مصقلة الارجاء زرق الجوانب
ترقرق دمع المزن فيهن والتوت   عليهن انفاس الرياح الجنائب

وقيل التصوف صيرورة الاهواء هوى والهموم هما   وانشد

سرت في سواد القلب حتى اذا انتهى   بها السير نادت حمى القلب حلت
فوالله ما في القلب شيء من الهوى   لاخرى سواها اكثرت ام اقلت

وقيل التصوف هو ان يستعذب البلاء ولا يبالي الكشفه ويستحلي العناء ولا يبغي صرفه وانشد

لست اشكو هواك يا من هواه   كل يوم يروعني منه خطب
تر ما بي من اجلك حلو   وعذابي في مثل حبك عذب

وقيل ان التصوف الحقيقي ان يكون الانسان بروحه اكثر منه ببدنه وقد وهذه الكلمة اولا
من ناحية شرفها الروحي في جوهره وثانيا من ناحية شرفها الشخص بما يستفيد من لطفه
فيسري للمعارف وصلاح الاعمال قالوا واما المعارف الصحيحة الصادقة معرفة الله الواحد

الحق

الحق باليقين التام الخالص واما الافعال الصالحة العبادة له والانقياد لامره اليه وطلب
الرضوان عنه وغاية المعرفة الصادقة الاتصال بالمعروف وغاية الافعال الصالحة الفوز بالنعيم
والخلود في جوار الله هذا هو الصراط المستقيم الذي يقع الجواز عليه فاما من هو عن هذا عم فهو
في قطيع النعم وان كان متقلبا في اصناف النعم   كالكلب كلب عينه ولو اجتلى
بلا اسل ومخالب وجلاجل   روض تحت اعلام ثقال   ولكن فوق احلام خفاف
وقالوا ان الناس على اربعة اصناف صنف عقولهم مغمورة بشهواتهم فهم لا يبصرون بها الا حظوظهم
العاجلة ولذلك يكدحون في تحصيلها ويدابون بكل جد وجهد في تاثيلها وهذا نعت
طالبي الدنيا وعبيدها يطلبونها ولا يشبعون ويشربونها ولا يرتوون وينظرون اليها
ولا يملون يطلبونها وهم على يقين من فراقها ويركنون اليها ولا ينكرون انهم من رغامها
وصنف عقولهم منتبهة عن هذه السنة لكنها مخلوطة بشوائب الجهل فهم يحرصون على الخيرات
والكتابة ويهربون من الشر بما تم اجتنابه ولكنهم يخبطون كثير العدد كالهم في احوالهم وهذا
نعت المتعبد الجهلة فلا عبادة الا من ابتنى على العلم وفيه لا علم الا مع خشية من رشاد
وصنف عقولهم ذكية ونفوسهم ملتهبة لكنهم عميت عليهم حقيقة امر الاخرة وصورة نعيمها
ولم يقدروها حق قدرها فهم يدابون في نيل حظوظ الدنيا ويرتعون بعلمهم ويأكلون الدنيا بدينهم
عن حيلة وازاغة لا اكل بني الدنيا الدنيا بالسواعد الشداد والسيوف الحداد فاولئك
صدورهم متقدحة بزند العلم لكنها غير مثلجة باليقين ولا منشرحة بالحق والاثما اقبلوا اعلاما
يقارفون بين حلمي بين كل هذا الاقبال   وصنف اضاءت عقولهم بما افاء الله عليها من عنده من
اللطف الخفي والصنع الحفي فهم سعوين الذين يحلون بالدنيا وقد يستقطرون بالاخرة تراهم حفوفا
وهم غيب ابشاقها وهم مستانسون قلوبهم تملى من المحبة ونفوسهم غرقى في بحار الارادة قد صدوا
الناس وناموا فيه الا المقدار التي اضطروا اليه فهم الموصوفون بالعفة والورع والحرية والعدل
والهمة وكبر النفس والنجدة موقنين ان الرجوع الى الله وان الحيوة قليلة والجزاء بعدها سرمد
فلا يكترثون بالممات ولا يفرحون بالحيوة فيتحلون عند ذلك بحلية الشجعان ويحسنون
الدفاع من حوزة الدين وينصرون العقل على الهوى ويحسنون الاقتداء بعباد الله الصالحين
وانبياء الله المرسلين قالوا وان من الاجسام الجزئية ما يقبل صورة الجسم الكلي اذا صورت فيه مضمر
يقبوله تلك الصورة افضل واشرف من سائر الاجسام الجزئية الساذجة والمثال في ذلك
زبرة من النحاس او الحديد اذا صورت فيه الفلك مثل مرآة التنجيم وذات الحلق والكرة الفلكية
او طبع منها مرآة يجلى عليها الصور او ضرب منها فضل نحو منه الدين والملك فانها

فانها عند ذلك تكون اشرف وافضل وابهى واحسن من كونها ساذجة ومن هذا فارقت احكام
الدرهم والدينار في الشريعة احكام الذهب والفضة في انفرادهما بقيم المتلفات وثمن البياعات واروش
الجنايات وعقود المقاسمات ونحوها وتوجه النهي والوعيد في كسر سكة المسلمين لمكان اثر الصنعة
فيهما واطراد الرواج والتعامل عليهما وكذلك الحكم في الانفس فانها كلها جنس واحد وجوهر واحد
واختلافها بحسب صفاتها بصدق المعاملات ونقاوتها بصحة الاعتقادات وشرفها باخلاص العبادات
وتحليها بمكارم الصحبات لان هذه الحالات هي كالجواهر وجمال باطنها وظاهرها اكتستها
النفوس حالية بها طالية بسببها حتى يكون من الانفس الناسكة المستبصرة ما يتصور في
ذاتها تصور الانفس الملكية فيؤثر ادعيتها وهمماتها وارادتها في سائر الانفس ويظهر بركاتها
على سائر الامور ومنها ما يقع قريبا ومنها ما يكون صالحا ان تقرب منها او ينتهي الى
درجاتها وتبلغ اقصى نهاياتها وايها كانت اصفى وانقى كانت الطف واشرف كانفس الانبياء
صلوات الله عليهم فانها قبلت الاثار الالهية بصفاء جواهرها فنورها لا يرتقي اليه احد من الخلق
ثم القريب منها انفس الصحابة فانها بصحبة الانبياء فازت بسعادة عظيمة ونالت درجات
شريفة منيفة ثم انفس الابدال المتنسكين ورجال التصوف المتجردين فان في هذه الانفس اشاروا
بقولهم من خاصة النفس الزاكية ان يفعل الجزء منه فعل الكل وان يقبل الجزء فيه صورة الكل
وقد حققت اهل المعنى في مجلس الدعاء والمناجاة فهذا منهم قول الحكماء سيما تقدم من اقاويل
من تقدمهم فاما الذي يقول في حقيقة التصوف فهو ان جميع ما يكدح له الانسان من علم يحصله
وعمل يعمله فلا يخرج ذلك عن اربعة اقسام اما ان يكون نظريا وهو الذي المقصود منه الاحاطة بعلم
ما لاجله يحرر فيه النظر نحو علم الكلام وعلم الحساب واما عملي وهو الذي المقصود منه حصول عمل
فقط نحو المسابقة والمطاردة واما سياسي مشترك بين العمل والنظر نحو تدبير الملك ورعاية
البلد ونحو علم الفقه وعلم الطب للاديان وللابدان واما كسبي وهو الذي المقصود منه اقتناء خير
واصابة نفع كالفلاحة والتجارة ومزاولة سائر المهن والحرف لاستدرار مواد المعاش و
انتظام اسباب المعيشة وقال الانسان من هذه الامور الاربعة مختلفة فهو من جهة عقله
يطلب العلوم النظرية ومن جهة بدنه يتعاطى الافعال العملية ومن جهة حيوانيته يقتضي
الصناعات الكسبية ومن جهة انسانيته يتعاطى الامور السياسية ثم حقيقة التصوف
ينتظم خصائص هذه المعاني الاربعة المتفرقة في سائر الامور فلذلك كان التصوف فوق
كل امر ودون كل خير وام كل صلاح واصل كل نجاح اما انتظام التصوف للمعاني النظرية
التي تعرف بالنظر فذلك من نحو معرفة الله جل وعز وتوحيده من غير تعطيل ولا تشبيه والعلم

بصفاته واسمائه وانه تعالى الموصوف بصفات الجلال والكمال من قبل الاغراض الحسية
تماسها الا الاعراض التي هي اسبابها ودواعيها المنزه عن معاني النقص ولو بالمجاز وانه
المالك والمدبر لما في السماء والارض ولما انتهى اليه علم العباد ولما لم ينته اليه لا لعلة تصنعه
وعلة كل شيء صنعه وصنعه ارادته اذا اراد شيئا كان وليس ذلك ارادة حاجة وانتفاع
بل ارادة رافة وجود وحكمة وقدرة وان الدنيا والاخرة منه وبه واليه منه خلقا
وابتداء وبه بقاء ووفاء واليه رجعا وانتهاء كل ذلك مع الاعظام والهيبة والاهابة
الى القصوى والحيرة ومراعاة الاحكام المحرمة قولا وعملا الى غير ذلك من المعرفة بامور الدنيا
واسباب اجزائها ومصالح اصحابها وشقاوة ابنائها وما كل ما فيها الى تركها والايقان
بثواب الاخرة وسعادة اهلها ودوام ملكها وخلوص نعيمها حتى يكون التجرد عن الدنيا عن بصيرة
والتشمر للاخرة على جد وحقيقة وبالجملة تنتج المعاني النظرية من باب نظر الانسان في
نفسه فيعلم ان كل شيء انه مصنوع موقوف على مدبره ولا بد لكل مصنوع مركب مدبر من صانع
مدبر يقوم بتدبيره ورعايته وازاحة علة ما يحتاج اليه ويستنفع به ثم يعلم ما يتبعه من
علم ما يلزم للصانع على المصنوع وللمنعم على المنعم عليه من الطاعة وشكر النعمة ومحض العبادة
ولا يدرك ذلك الا بالنظر الذي هو النور المنبعث من العقل في العالم جملة ثم ما ينتج منه كل
نفس مرضية مختارة فضائلها التي هي العلم والحكمة والعفة والزهادة والعدل والنجدة والرحمة
والوفاء والحياء والتواضع والصدق والنصيحة والامانة ونحوها ومن هذا قال بعض الحكماء
الواجب على كل انسان ان يكون منه على بال في كل حال اربع خلال احديها ان يعلم ان نفسه
عن قريب فانية وان بغيته من الاشغال زائلة والثانية ان يعلم ان له ربا خالقا ان انقطع
اليه اغناه عن سواه والثالثة ان يعلم ان للخالق عناية بليغة بدقيق ما في هذا العالم و
جليله حتى ينتهي امر كل احد الى احسن احواله واتم اوصافه والرابعة ان يعلم ان خالقه لا
يقبل من قربانه اليه ما يشوبه بل ما يطيب ويصفو من الكدورات ويخلص ولا يمتزج بالشوائب
كما جاء في الحديث ان الله طيب لا يقبل الا الطيب فهذا من المعاني النظرية التي لا يخالف احد
ان قدوة الصدق ومنها للصوفية بحيث لا يجارون في السعي اليها والطلب لها واما المعاني العملية
المختصة بهم فجملتها ان لا يبال ولا يؤثر ولا يحس ولا يملك ولا يمتلك ويكون مع الله في الاستسلام
والمقام بين يديه كالطفل في حجر الوالد وكالميت بين يدي الغاسل يقلبه كيف اراد لا يكون
له اختيار ولا تدبير ولا انزعاج في الاسباب ولا اضطراب في الاحوال واصل باب العمل الاعراض
عن الاغراض والاخلاء من الحول والطول والتجرد عن شمار الامل واتعاب النفس بآداب العبودية

حتى يموت عنهما وتعليق القلب بانوار الربوبية حتى يحيى بهما وعن هذا احد الحكماء الاوايل الحكمة با
معاناة تعالى الموت لا يعنون بذلك الموت الطبيعي الذي هو مفارقة الروح الجسد على ما يجب
عليه الصور من فسادها والمواد من نفادها ولكنهم يعنون به الموت الارادي الذي هو اماتة الشهوات
وتغليب العقل على الهوى والارادات والخروج من دواعي النفس ودواعي الدنيا وقطع منازعة اهلها
ومهارشة اصحابها وهذا الموت في الحقيقة حيوة الافاضل الاخيار وهذا الفناء هو بقاء
اهل التصوف الكرام الابرار واما المعاني الكسبية فهي اقتناء المحاسن في الافعال والمكارم في الاخلاق
والتوفر على الاشياء الباقية الجميلة التي لا تفارق الانسان الدنيا ولا تفارقه بل تصحبه في قبره
ويونسه في وحشته وترافقه في يوم بعثه وتشفعه عند الله في الدار الاخرة حتى يجعله من اهل
لقائه وجزائه وذلك كل خلق كريم وسجية روحانية وافعال ملكية وزلفة الاهية لا الفري
بين بها ولا العدى يسلبها ولا الوث يملكها ولا الفوت يدركها نعم بصاحبها الشادي العطف
عاطل ويعيربه الوادي والمور لحل فلما فرمنوا الايات صاغوا لها طوقا كاعقد السحاب اذا
ماست توشيه بنبيها وان تفصل فليس له استلاب اما المعاني السياسية ففي لزوم المجاهدة
ورياضة النفس على العلم اليقيني والجمال الحقيقي حتى يستصلح الصنعة التي هي تلك هذا الذي هو
قلب العالم ولبه فيصلح لصاحبه امور داريه ويوضع في يديه زمام سعادتيه وذلك بفطام النفس
عن المالوفات وكبح عنانها اذا جمحت نحو الشبهات فلا ياكل الا عند الفاقة ولا ينام الا عند الغلبة
ولا يتكلم الا عند الضرورة يغلق على نفسه باب النعمة ويفتح باب الشدة ويصد عن جهة العز علما
بانه يورث الذل الطويل ويقبل الى قبلة الذل يقينا انه يعقب العز العزيز ويجتنب اسباب
الترفه ويسلك سبيل الفقر والفاقة ويميت دواعي النفس ويحيي معالم الروح قال ابو
يزيد كنت سنين حداد نفسي وسنين مرآة قلبي انظر اليها فاذا في وسطي زنار ظاهر فعملت
في قطعه سنين فاذا في باطني زنار خاف فعملت في قطعه سنين فنظرت الى الخلق فرايتهم
موتى فكبرت عليهم اربع تكبيرات وكان المسيح عم يسيح مع الحواريين فاراد بعضهم ان يتأخر
عنه ريثما يدفن اباه فقال دع الموتى يدفن بعضهم بعضا واتبعني وقال الجنيد ابى الله
ان يحيي نفسا حتى يميتها فمن ترك مذموم افعاله واخلاقه فقد فني عن شهوته ومن فني
عن شهوته حيي باخلاصه وقربته ومن شاهد جريان المشيئة في تصاريف الاحكام فني عن
توهم الاثار من الاغيار وبقي بصفات الواحد القهار ثم فني عن تلك الصفات بشهود
الحق ثم فني عن شهود فنائه باستهلاكه في وجود الحق ثم يحييه الحق بالحق للحق فان
تكلم فمن الحق وان سكت فبالحق قال سهل بن عبد الله انا اكلم الله منذ ثلثين سنة والناس

يظنوني اكلمهم ٭ فغيرك احادثني وفيك تخلقي ٭ اذا انا خاطبت الذين كنت لاقيا
واخرج من بين الجلوس لعلني ٭ احدث عنك النفس في السر خاليا
انتم سروري وانتم مشتكى حزني ٭ وانتم في سواد الليل سماري
انتم وان بعدت عنا منازلكم ٭ نوازل بين اسراري واذكاري
وان تكلمت لم الفظ بغيركم ٭ وان سكت فانتم عقد اضماري

فهذا حقيقة التصوف واما غاية التصوف فكل عمل يعتمد اربعة اشياء حتى يكمل وهي مادة
كالتحلي بالعين وآلة كالمطرقة والكلبتين وصورة كشكل الخاتم وغاية كالتحلي به فمادة التصوف الفقر
والحزن والحياء والخلق وآلته الزهد والورع والقناعة والتوكل والصبر والمراقبة والذكر والمجاهدة
وصورته الرضا والادب والحرية واليقين والاخلاص والمحبة والشوق وتمامه الفوز بالسعادة
العظمى والاغتباط بالمنازل الاوفى والوصول الى قرب الرفيق الاعلى والاقتداء به بحسب الامكان وقدرة
الانسان وحقيقة هذه الحال وجود الحق مع فقدان الكل وصحبة الحق مع رفض الكل فلا
يريد غير ما يرضاه ولا يسكن الى احد سواه

انا ما انا في الناس من كل جانب ٭ خلوت بنفسي في خلاء من الارض
فابكي لنفسي بحسرة من حنينها ٭ ويبكي من الاشواق بعضي على بعض
واني لاهواها واكره غيرها ٭ واقضي على نفسي لها بالذي تقضي
فحيي بيني روح الهوى لا ابالي ٭ وحتى متى ايام هجرك لا تنقضي

وعند هذه الحال يطلع نجم لا يخبو سناه وبدر سماء لا تلتقي طرفاه وشتان ما بينه وبين سوانح اللوايح
التجلي عن القلب من غير ان تحلها فتور انقطاع او يطرى عليها حجاب فاستتار كما لو تقدر بـ
اتصال البروق فتضيء بها الليلة الظلماء في شعار النهار والكمال العقد في حلي الاعراف
الانوار والازهار ٭ ليلي بوجهك مشرق وظلامه في الناس سار ٭
فالناس في سدف الظلام ونحن في ضوء النهار ٭ بل اذا طلع الصباح استغنى عن المصباح
واذا اندفق البحر الزاخر تلاشى الغدير الزاهر واستغنى الحجر عن استعارة نور ظلمة
الليل دون اعتكاره ٭ فلما استبان الصبح ادرج ضوءه ٭ بانواره انوار ضوء الكواكب
يجرعهم كاسا لو ابتلى اللظى ٭ بتجريعها طارت كاسرع ذاهب
كاس واي كاس كاس تاخذ عنهم وتفنيهم وتخطفهم منهم ولا تبقيهم كاس لا تبقي ولا تذر
تمحو بالكلية ولا تبقي شظية من اثار البشرية
ساروا فلم يبق لا رسم ولا اثر ٭ ولا سمير ولا ليل ولا سحر

المجلس الثاني والستون من كتاب خلق الانسان في تفسير قول الله عز وجل وفي انفسكم افلا تبصرون في بيان اقصى ما ينتهي اليه حال الانفس من نيل السعادة الحقيقية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لمن سبقت نعمته حمد الحامدين وفاقت عظمته عبادة العابدين خضعت لقدرته الباب
الانسان وعجزت عن صفته ارباب اللسان تفوت جلاله الاوهام وتفوت لطفه الافهام
هدايته منبع السعادات وعنايته مجتنى ثمرات الارادات انقبض لخشيته جناح من علت
حكمته وانخفض لعظمته منار من ارتفعت كلمته تراجعت الافكار عن حريم عزته على اعقاب
الحسور وانقلبت الابصار عن ملكوته في مدارج الاقصار والقصور وتوجهت الى امره
اقاصي الامور واستوت على حكمه عواصي المحبوب والمحذور وجل عما يهجس في الخواطر وتعالى
عما يخطر في الضمائر تشفع هوادي اياديه بتواليها وتمنع عواديه بتواريها يقبل
اليسير ويعفو عن الكثير يغفر الكبير ويحاسب على الصغير يهب الحسنى للمحسن ويهدي
المريب للموقن يامر بالعدل والاحسان ولا يحب الفساد يثيب ويعاقب ولا يخلف الميعاد
لا ذمامه يضام ويضاع ولا سوامه يرام ويراع ولا السعيد بلقائه يشقى على الزمان
ولا الشقي في حكمه يسعد الثقلان من فاز بقبوله فقد سعد سعادة لا شقاوة بعدها
ومن ظفر برضوانه فقد ربح ربحا لا خسر عندها نسأله ونأمل خيره ولا نشرك
به ولا نعبد غيره ونعتقد طاعتنا اياه منة عظيمة منه علينا ونعتد عبادتنا
له نعمة جسيمة عنه الينا ونصلي على محمد رسوله الذي اشرقت به نجوم الرسالة في
افضل مطالعها ونجمت بمكانه انوار الرحمة من اكرم مواقعها ونسلم تسليما قال
بعض البلغاء ان الانسان تحتد به العقل الذي خصه الله به من انواع خلقه في
هذا العالم وجعله عليه الحجة البالغة ونجح به له الحجة القاصمة وربط به سببا
لوجوب الحمد والذم ولزوم الثواب والعقاب فالانسان انسان بعقله دون شخصه
والحر حر بنفسه دون جسمه فضله بها وغناه منها بل كل فضل فانتسابه الى
العقل وكل منقبة شريفة فانتماؤها الى النفس ومهما ارتفعت هذه العلة لم يتميز
الانسان عن سائر الحيوانات المسخرة له المرتبة تحت تدبيره وتقديمه وتاخيره الا
بالشكل والصورة والقامة والهيئة فقط فلكل منها مثل اداته والته وطبيعته
وعادته في القيام والقعود واليقظة والهجود والمجيء والذهاب في الطعام والشراب
والاجتماع والازدواج والتوليد والنتاج بل الكثير عليها فيها من يد ومزية ه

لاستظهارها بالانياب العلائط الحداد والمخاليب الشداد والقرون الصلاب التي بها
تذب وتمنع وتكسب وتجمع وتحفظ وتسلب وتصطاد وتستهلك وفي كثير منها من الكيس والهداية
وعجيب الالهام والفطنة وحسن الصنعة طبعا ما ليس للانسان تأتيه منه كالنحل في تدابيرها
المتقنة وافعالها المحكمة وصناعاتها الهندسية وبيوتها المسدسة وطاعتها
ليعاسيبها فيما قسمت لها من اعمالها فواحد يحمل الشمع وواحد يستقي الماء وواحد يسوي
البيوت وواحد يجمع الضرب وكالنمل في جمعها وادخارها وتقديرها واحتكارها
وفلقها الحب انصافا والكزبرة ارباعا اذ كانت الكزبرة تنبت متى فلقت نصفين وقطعت
باثنين وكالعنادل في اختلاف اصواتها والطراب الحانها ونغماتها والطيور التي تبني
اعشتها الغريبة وافاحيصها العجيبة من غير فكرة في انشائها واستعانة على
ابتنائها الى غير ذلك من امور غريبة تدل على صدق عناية الله بها واظهاره
اثر القدرة والحكمة فيها فمعلوم من هذه الجهة ان فضل الانسان على غيره من الحيوان
بالنفس العاقلة التي عمر الله بها العالم واظهر المصالح ومن اجلها بعث الانبياء ووعد
الثواب والجزاء والفرق بين افعالها وبين الافعال الطبيعية هو انها متضمنة للارادة
والاختيار موجهة على الامتحان والاختبار وتلك مجبولة على الطبيعة والاضطرار
من غير ابتلاء واعتبار والمختار قادر على الشيء وضده والمبتلى ممكن من الفعل وخلافه
وليس للطبيعي ان يتعدى ما جبل عليه ويتخطى ما خلق له ثم ان للنفس بحسب قواها المعلو
الثلث فضائل ورذائل فمن الفضائل المنسوبة الى القوة التمييزية الحكمة والبيان
واصابة الراي والحزم والصدق والوفاء والرحمة والحياء وعلو الهمة وحسن العهد والتواضع
وان يكون ما يقوله المرء سددا وما يفعله رشدا وما يعتقده حقا وما يتعوده صدقا
ومن امثالها المضافة الى القوة الغضبية الشجاعة والصبر والحلم والعفو والصفح
والتجاوز ورحابة وسعة الصدر وكتمان السر ومن امثالها المضافة الى القوة الشهوانية
العفة والقناعة والايثار والسماحة وقرى الضيفان ومواساة الجيران وحب الخيرات
الدنيا وبذلها للناس وارادة النفع للخلق ورذائل هذه الخلال الجلائل منها على طرفي
النقيض لها من الزيادة والنقصان والافراط والتفريط ولا حاجة بنا الى سردها
وعدها فان الانسان بهذه الخصال هو الانسان وذلك ان الاعتبار من ذات الانسان
بالنفس الشريفة الحاوية لهذه المعاني اللطيفة دون البدن الذي قد يحسن حاله
ويقبح ويجمل صورته ويقبح ويسود بشره ويبيض وينضج آلته ويعتل وانما الجلد لبس

وابيضاض اللون خير من ابيضاض القباء وما اصدق ما قال نصيب الاسود

اشعار عند بني الحجار قمن له ... يوم الفخار مقام التبر والورق

ان كنت عبدا فنفسي حرة كرما ... او اسود الخلق اني ابيض الخلق

آخر وما الحسن في وجه الفتى شرفا له ... اذا لم يكن في فعله والخلائق

وجايزة دعوى المحبة والهوى ... وان كان لا يخفى كلام المنافق

آخر وليس جمال المرء الا بنفسه ... وليس جمال الوجه منه بمحتسب

وليس يسود المرء الا بنفسه ... وان عد آباء كراما ذوي حسب

اذا الغصن لم يثمر وان كان شعبة ... من الثمرات اعتده الناس في الحطب

واذ قد بان الغرض من هذا التقرير وتصور المعنى في هذا التصوير فاني اعود الى ما هو الغرض في ذلك من ذكر السعادة وتقسيمها فاقول انها ثلثة اقسام احدها نفساني والاخر جسماني والثالث رياسي فالسعادة النفسانية هي ان يكون الانسان جيد النفس قويها على العلم اعني انها تقوى على جودة درك العلوم فاذا ادركها واستوفاها وخرج من حيز القوة الى الفعل فحصلت له السعادة النفسانية بالعلم والجسمانية هي ان يكون المرء حسن الخلقة مقبول الصورة معتدل التركيب والبنية والرياسي هو ان يكون موفقا لتحصيل ما يمونه من غير حاجة الى ازدياد قلة ولا الى فضله غاية وكثرة وانما اشترطنا في الرياسي ذلك لان حد الفقر هو عدم الكفاية وحد الغنى وجود ما فوق الكفاية فما نقص عن الحاجة فهو فقر وقالوا وما زاد عليها فهو فضل ووبال

غنى المرء ما يكفيه عن سد خلة ... فان زاد شيئا عاد ذاك الغنى فقرا

ما زاد فوق الزاد خلف ضايعا ... في حادث او وارث او عاد

ابا جامع المال وفرته ... لغيرك اذ لم يكن خالدا

فان قلت اخشى صروف الزمان ... فكن من تصاريفه واحدا

وقد ظن قوم ان السعادة هي الكرامة واولئك يلزمهم ضد ما يرومونه لانها في المكرم دون المكرَّم فتلك احق بالمكرِم واخص بالفضل المنعم ومن قدر انها هي عند الولاية والرياسة فقد اخطأ الحق وباين الصواب وذلك ان جل الحكماء قد اجمعوا على ان الاحاظي والجدود انما هي اتفاقات وبخوت لا يعرف لها اسباب معلومة ودواع مفهومة وكل ما كان وجوده من غير علة فيوشك ان يكون عدمه من غير علة وما لم يؤمن عليه الزوال او الانتقال فخليق ان لا يعتد سعادة ولا يحسب نعمة مستفادة

فالسعادة

فالسعادة على الحقيقة هي القنية النفسانية التي تعم معك الوادي وتعبر بك النادي وان ما سواها فان زايل وداثر سايل ثم ان للنفس والبدن زينتين فزينة النفس العلم وزينة البدن المال وفضل العلم على المال كفضل النفس على البدن ولذلك ترى بخل العالم المقل بعلمه انه خير من الجهل والمال واشد من بخل الجاهل الغني بماله لان الوخير في العلم والاقلال والنفس والعلم معا علتان لانتفاع البدن بالمال وانما اشترط العلم مع النفس من اجل ان الصبيان والمجانين لهم نفوس وليس لهم علوم فهم لا ينتفعون بالقنية والمال الا ما دام اباهما بالجهل والخبال فيهما فان فاه ابطل انتفاعه بهما اصلا فان استمتاعه بمكانهما ابتة فالعلة افضل من المعلول والسبب اقدم من المسبب والفاعل اشرف من المنفعل فالسعيد من جمع له شرف النفس وكرم الطبع وتستولي عليه الفضايل المذكورة ووقف عليه السعادة الحقيقية موفرة وجعل مرتاحا للعلم وذويه طماحا الى الفضل ومتحليه باخلاق يتراجع عندها قيمة الجوهر العزيز ويزيف معها سبيكة الذهب الابريز فطوبى لمن غذيت نفسه الزاكية باقتناء السعادات الباقية وتحليتها بالاخلاق الكريمة العالية وتبقيه ما خول من الجد والسعادة باداء زكوتها والنهوض بحق واجباتها وهو التواضع لمن دونه فليس في الاخلاق اجلب لمحبات الصدور واملك لمحبات القلوب من اثنين احدهما السماحة والاخر التواضع اما السماحة فلما فيها من الاحسان الى الانسان والنفوس مفطورة على حب الاحسان واما التواضع فمعناه قريب من معنى السماحة وذلك ان المحمودين على التواضع هم الاكابر الذين قد ارتفعت منازلهم وسمت درجاتهم ومراتبهم عمن يتواضعون لهم ووجدوا انبساطا عليهم وفسحة في الاستغناء عنهم فاولئك يرونهم احقاء بالترفع على قدر الرفعة والتمكين على حسب المكانة والجدة فلا يطمعون منهم فيما يطمعون فيه من جهة الاكفاء والنظراء والقانعين معهم في الحال على سواء فاذا تواضعوا لهم كانوا قد وضعوا عنهم الاعتداد بزيادة الحال عليهم ووضعهم لذلك هبة لتلك الزيادة لهم والواهب للشيء محبوب والحسن باي وجه كان محمود فهذا ما قاله في السعادة الحقيقية والذي ينبغي له فيها هو ان كل شيء يصنعه صانع فغايته القصوى ان يكون موصولا الى اوفى الغرض منه وذلك مثلا كرايض الفرس لا يزال يداب في تثقيفه وتقويمه وترتيبه وتعليمه حتى ينعم انفاس الجياد ويسبق اضاميم العتاق ويكون سمح العنان طوع الركاب وكالطب الذي الغرض منه صحة البدن واعتداله فصاحبه ابدا يعنى بحفظ الصحة موجودة واعادتها مفقودة ليكمل اثار الافعال بالقوى الفاضلة

وبقل تاثير الانفعال عن الآفات العارضة فاذا ثبت هذا والاصل المسلم والبناء المؤسس خلق الانسان من احكم واقوم واحسن وازين ما خلقه الله في هذا العالم فلا بد من ان يكون خلقه لامر عظيم لا يضاهيه امر وان عظم ولا يدانيه شان وان فخم فيكون ذلك كمال جوهره وغاية سعادته ومنتهى غبطته فيزعم الفقير ان ذلك هو الغنى بعد الاقلال وان السعادة العظمى هي ايضا بقيته ويزعم العليل انه الابلال بعد الاعتلال وانها ادامة البرء سلامته والذليل انه العز وانها ادامته والجهول انه العلم وانها غزارته والعالم انه الخير وانها الصاحبة وحتى يظن الخليع الماجن انه اللذات الحيوانية وانها الانهماك فيها والمشوق العاشق انه رؤية العشوق الشائق وانها الاستماع به والعيش معه وحتى يرى اصحاب السلطان اليوم معظم سعادتهم في عز فاخر الملبوس وفارة المركوب ومستلذ الماكول والمشروب وهذا من افسد الظنون والام الامور كما قيل:

اذا رايت من المكارم حظكم ❁ ان تلبسوا اخر الثياب وتشبعوا

فاذا تذوكرت المكارم مرة ❁ في مجلس انتم بها فتقنعوا

وقال اخر:

تظنون اعلى الفخر ان ثيابكم ❁ يلوح عليها حسنها وبصيصها

ولبس العلا دراعة ورداؤها ❁ ولا جبة موشية وقميصها

فهلا كما استن السوابق اذ جرت ❁ على عادة اثوابه وخروضها

يروح على الاخوان تخلى ثيابه ❁ ويصبح منهوكا عليه رخيصها

ولما قال الحطيئة في هجاء زبرقان بن بدر قوله:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها ❁ واقعد فانك انت الطاعم الكاسي

واستعدى عليه زبرقان عمر بن الخطاب قال عمر ما ارى موضع هجاء فقال لا اعلم لك يا امير المؤمنين من الشعراء ودع حسانا فقال حسان ما هجاه ولكن سلح عليه وكان عبد الملك بن مروان يقول لابنائه وعشيرته يا بني عبد شمس اعرف لكم اعراضكم فوالله لا يعوم طالع الشمس ذهبا بما قال الاعشى في ابن علاثة:

تبيتون في المشتى ملاء بطونكم ❁ وجاراتكم غرثى يبتن خمائصا

وحكى ان الكتاب علوا باب المامون ما يلزم عمرو الزنجي من عمل السواد فقرره وابعد الاستقصاء واعادة النظر على اثنين وعشرين الف الف درهم فسال عمرو عنه فقال المال صحيح وقد صرفت الى المؤن والنفقات اربعة الف الف درهم فقال المامون ليحمل اليه اربعة الف الف درهم عوضا عما تحرمته المؤنة من المال ويترك لك باقي المال جزاء على صدقك قال لو حمل الي المال وكنت عندي باحضر منزلة ثم تبينت اهل صناعتي وتنكروا وازدادوا اسنى وتغيروا ولم اقف على سببه فقلت له مشافهة بغير وساطة احد يا امير المؤمنين قد انعمت علي بافضل نعمة واحسان

وصحفت لي عن هذا المال الجليل الذي لا يسمح بمثله نفس احد ثم اعرضت بغتة اعراض موحش لا اعرف سببها حتى انكرت له نفسي ومقت حيوتي فقال لا اعلم انا نحصكم ونحن الكم ونعتقدنا ان نعظم اقداركم وان نحسن اثاركم فلو كنتم تستعملون نعمكم في منازلكم وتنعمون بها على اخوانكم ومعارفكم كان ذلك اشبه بنا وبكم ما سمعت ذلك على وعليك قباء وشى وفوقه قبا ملحم كانك لا نعلم اني اعلم ان ذلك ممكن لك ولا منا الشرو ما هو اكثر من ذلك فقلت يا امير المؤمنين لست اعود لما شكرته ابدا فرجع الى المعهود من اختصاصي وذكر عمرو بن مسعدة انه كان على المامون قباء خز طارو في حتى تبين اثر الوسخ في ازراره فنظرت عنه الى احمد بن يوسف ونظر الي ففطن لنا المامون فقال ليس جمال الخلافة في ملبس يلبس ومجلس يجلس ولو شئنا ذلك لما سبقنا اليه احد ولكن جمال الخلافة في عز الامر والنهي وبث العدل والاحسان فاذا كان لوم الزمن ولا عجز ابين من ان يرى صاحب السلطان مما مكن له في الارض وجعل في يده من ازمة البسط والقبض كل سعادته في مطعم يستلذه وملبس يستجده ويستجله يشبع والمجارح جايع ويصون ماله والعرض ضايع ويغفل عن عز التدبير ونفاذ الخاتم وجواز الامر والنهي وامكان الاحسان ويعمل لاقتناء ما لا يستولى عليه حال الارتيم امما يتبعه زوال ويتناهى في التحلي بما تشاركه فيه النساء مع رعونة اخلاقهن وقدرراحوا الهن بل يزدن عليه ويجعل امثال ذلك غرضه الذي يسعى لتتميمه ويكدح في تاثيله اويبني امره على غير غرض مطلوب ويغير حاصل مرغوب وعلى انه في الجملة من خرج الفعل عن الغرض المطلوب دخل في باب العبث والعيث الذي هو فساد بغير غاية تنتهي اليها ودوت الاجهد يسعى نحوها وكان حال صاحبه حال الضال عن الصراط والموثوق في الرباط والغائض في الظلماء الغا دم لحاسة وعلى العكس وذلك نحو من سعى لا لنفس المشي بل لرياضة البدن وارتاض لا لنفس الرياضة بل لتقوية الحرارة الغريزية ولم يطلب بها ذاتها ايضا بل ليستعين بها القوى على نقض المواد الفاسدة ولا بد لك ايضا نفسها ولكن ليجلب بها الصحة ولا بالصحة ايضا عن الصحة ولكن لجودة الافعال ولا سيما في عبادة من له الخلق والامر علما وعملا وقولا وفعلا فينتهي الغرض المختلف في استمراره الى هذا الحد فلا يتعداه ويقف على هذا الخط فلا يتخطاه حتى لو سال السائل بعد هذه النهاية وقال لماذا طلبت جودة الافعال كان العبث في سواله ظاهرا ولو سال فيما تقدمها من اول الرياضة اليها كان السوال صحيحا معقولا فربما معقولا ولكن لذا اجيب السائل عن السعادة بالحيوة وبالنعم وبالصحة وبقضاء الاوطار الجسمانية والوصول الى الاماني الفانية المنقضية والالتذاذ بالاكل والشرب في المتع كالانعام

الرائقة والاسترواح باللهو واللعب اسوة الصبيان اليافعة كانت موارد السؤال والجواب فيه
دايرة حتى اذا انتهى الجواب الى انها هي اصابة الحق في الاعتقاد والصدق في المقالات
والحسن في الاخلاق والخير في الاعمال التي راسها عبادة الله ثم الاحسان الى خلق الله وقف
الكلام على حدود هذه المنازل الاربعة ووقوف الحجيج على المشاعر والحبيب السايل عن محمد
المعاشر والخل المعاشر فكانت هذه الاشياء اقاصي غايات السعادات فاسمع يا ابا العلاء
يا شوق نفسي وشقيق روحي وفلذة كبدي وبضعة نفسي لها وان ابا لك ايضا يقرع ابوابها
ويعلو اسبابها ولكنها امنية واهية وطبيعة عنها جافية واحوال متداعية ومدة
متناهية والعود ذبوله والشيب شموله فيا ليته يحظى من روضها بنسيم ومن ورودها
بشميم ومن ورودها بالرب ومن اعصنها بتراب ومن طيفها بخيال ومن صوبها ببلال ومن
منع من النظر استانس بالاثر . واعلم ان وصلك لا يرتجى . ولكن لا اقل من التمني

اليس الليل يلبس ام عمرو . واياها فذا لنا تداني
ترى وضح النهار كما اراه . ويعلوها النهار كما علاني

در کعبهٔ وصل تو طوافی برسدم . با شکر هجر تو مصافی برسدم
کیرم کم را بعاشقی بند بری . اندر صف عاشقانت لافی برسدم
از روضه حسن تو نگاری برسدم . وز موکب وصل تو غباری برسدم
کیرم کبشرابیات تو بارم ندهند . از دور نظارهٔ تو باری برسدم
آخر زهزار شهر کوی برسدم . آخر زهزار بحر جوی برسدم
کیرم که مرا بوصل مهمان نکنی . آخر بطفیل بنده بوی برسدم
از دوست بصد فغم جوابی برسدم . از جام وصال او شرابی برسدم
اندر غم او رسید بر لب جانم . چون جان بلبم رسید آبی برسدم

وعلى انا قد ذكرنا في بعض المجالس المتقدمة ان الانسان في الارض نسخة سماوي وهو اشارة
الى انه جامع خصايص ما على الارض وما في السماء من شهوة البهايم وعقل الملايكة وصورة
الاجساد ولطافة الارواح فيكون هو وهو في الارض حاضرا في المشهد برو فاترا با القدحين
يتصرف في الارض بالخلافة عن الله في سياسة البلاد والعباد فوقا بالعلم وعلما بالملك
ويترقى بروحه في النوم واليقظة الى السماء فيسيح في الافلاك يقظان ونايما مع الملايكة
الروحانيين وصفوة خليقة رب العالمين ويصعد له اليها من الكلم الطيب والعمل الصالح و
يستمد هو منها من سوابق البركات ومفاتيح الخيرات واجابة الدعوات فهو بيرة دايما

في رياض الملكوت مرة يسرح الى المحسوسات معتبرا بما فيها من آثار القدرة والحكمة ومرة
يحلق الى المعقولات متفكرا في المناسبات البهية الانيقة والتركيبات العريقة الوريقة
بعضها في الجواهر وبعضها في القوى وبعضها في المقادير وبعضها في الحيل وبعضها في
الصورة الدايرة انحاؤها الباقية انواعها فيا له من ذاك من حاضر غايب وشاهد ذاهب
وقريب بعيد وانسان ملك ومحب محبوب ومريد مراد وشاهد مشهود ودليل مستدل
وفان باق كما قاله بعضهم في وصف مثله من يجاذب رداء لقائه بين فنائه ويجب على
عصن فنائه نسيم بقائه اما فناؤه فيما ينفى عنه الحظوظ فلا يكون له في شيء حظ وسقط
عنه التمييز فلا يكون له الى شيء ميل فني عن الاشياء شغلا بمن فني به وبقيه الحق الذي
لا يفنى يتولى تصريفه في هذه الحال فيصرفه في وظايفه وموافقاته والمحافظة على
اوقات عباداته ويكون محفوظا فيما له عليه ماخوذا عما له منه وخاصة عن جميع المخالفات
فلا يكون له اليها سبيل وهذا هو العصمة الكبرى وهو في معنى قوله كنت له سمعا وبصرا
واما بقاؤه فهو البقاء الذي يعقبه فيفنى عما له ويبقى بما لله الباقي ثم الباقي يحمل له
الاشياء كلها شيئا واحدا فيكون كل حركاته في الموافقات دون المخالفات فيجمع
الوصفين فانيا عن المخالفات باقيا في الموافقات ويفعل جميع ما يفعل لله لا لحظ له فيه
في عاجل ولا آجل وهذا معنى قولهم يكون فانيا عن اوصافه باقيا باوصاف الحق وهذه هي
السعادة العظمى قال ابن عطا كمال الفناء هو الذبول في حقايق البقاء وتمام الغيبة
هو التحير في موارد المشاهدة واوليا احلوا من منازل الشهود ومناهل الحضور هواتهم فنوا
وغابوا عن كل شيء سواه ولا يصل احد الى هذه الدرجة العليا حتى يصل اولا الى الفاقة الكبرى
فسئل ما الفاقة الكبرى فقال ان تعلم ان لا اصل اليه الا به ومنه حظ من الدنيا و
الاخرة الا منه وحكى بعض الصالحين قال رايت اعرابيا ذا اطمار رثة متعلقا باستار
الكعبة وهو يناجي ربه ويقول الهي تقرب قوم بافعالهم وطاعاتهم فوصلتهم تفضلا منك
عليهم وليست في افعال اتقرب بها اليك وانا اهلك شوقا الى القرب منك ولا سبيل لي اليه
من حيث انا وانشد . لا كنت ادركنت ادري كيف السبيل الى البكا . افنيتني عن جميع نفرت ابكي عليكا

الا هل الى الماء ان ابتغيها . بثينة يوما في الحياة سبيل
فان هي قالت لا سبيل فقل لها . عناء على العذري منك طويل
وما شرب بالماء الا تذكرا . لماء باهل الحبيب نزول
بحر مطلع الاسنة فوقه . فليس لظمآن اليه سبيل

الا جنبا الاسعاد لو تستطيعه ۞ ولكنه ما ان اليه سبيل
فيا اثلات القاع من بطن توضح ۞ حنيني الى اظلالكن طويل
ويا اثلات القاع قلبي موكل ۞ بكن وجدوى خيركن قليل
ويا اثلات القاع قد مل صحبتي ۞ مسيري فهل في ظلكن مقيل
فان هبوب الريح لا تستريبه ۞ يداوي بها قبل الممات عليل
اريد انحدارا نحوكم فيصدني ۞ ويمنعني دين علي ثقيل
احدث نفسي عنك ان لست راجعا ۞ اليك فحزني في الفؤاد دخيل

وقال ابو سعيد القرشي محل الجمع في الفنا ان يرى الاشيا كلها عينا واحدة لا يرى غير الواحد واما محل التفرقة فانه يرى الاشيا بتفرقها وتفرقها اعيانا مع وجود الحق لا يشغله تفرقة الاشيا عن معناه ولا معناه عن تفرقة الاشيا واهل الجمع من الفنا قد غيبهم التعظيم عن الاشيا وعن التعظيم بالتعظيم فاستغرقوا في التعظيم فلم يدركوا التعظيم ولا غيره ثم يكون لهم طوالع من صفات البقا ولوائح من احوال الحضور فيكونون فانين في الجمع الواحد في التفرقة فهم الاجلال وبقاء الكرم والجود فاذا تحقق الفنا انمحت الرسوم واضمحلت العلوم واذا لاح البقا اتصلت الحظوظ ورجعت الحقوق على ما يكون من اللوائح فان الجمال والكرم يبقيان والجلال والهيبة يفنيان كما تجلى لموسى عليه السلم بصفة الهيبة فصار الجبل دكا وخر موسى صعقا وتجلى لنبينا عليه السلم بصفة الكرم والجمال وكلمه عند سدرة المنتهى بالبر واللطف فازداد محمد انسا وقربا كما ازداد موسى خشونة وبطشا ۞ انشد

وطاح مقامي والرسوم كلاهما ۞ فلست ادري في الوقت قربا ولا بعدا
احاط بي التعظيم من كل جانب ۞ فصار صفات العبد لا يعرف العبدا

فهذا الوصف وامثاله من احوال العبد اذا استقام على الاحوال الانسانية واستوى في مقامات العبودية على التجرد من الارادات وخلع اردية الهوى والشهوات فاما اذا استهوته اللذات البهيمية واستفزته الاعراض الذميمة ونازعته الاخلاق اللئيمة وانقاد عقله لهواه و استعبدت شهوته نفسه وغلبت انسانيته احسانه فلا هو هيهنا ولا هو هنالك لا هو واصل من الخير الى ما تمناه ولا هو سام في السر الذي يتعاطاه ۞

تفرق اهلنا مقيم وظاعن ۞ فيا ليت شعري اي حديهم اتبع
اقام الالى لا استطيع فراقهم ۞ وبان الالى قلبي لهم يتوجع

بل هو عند الاستهتار بالشهوات بالخنازير اشبه وعند ثوران الغضب الى طباع السباع

والضباع اقرب بل يكون دونها اذا لم يكن معه من قوة الشهوات والات المغالبة ما معها وانها لا تشغلها الآلات القوية مما هو مركوز في جبلتها مما هو خير منها او يحكم عليها قال الله تعالى اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون فثبت بما ذكرنا ان السعادة الحقيقية هي بالجملة التنزه عن ملاحظة هذه الخسائس ومنافرة هذه النقائص ووقف النظر على جلال الحق الاول ومطالعته مطالعة روحانية ملكية والاطلاع على الكل من قبل الروح لكون صورة الموجودات بأسرها منضودة في النفس يلحظها عن امورها ويشاهد لطف الحق ورحمته وحكمته في جميعها مشاهدة دائمة عقلية باقية من غير فتور ولا انقطاع ولا تعذر ولا امتناع والحق جل اسمه ولي تسهيل سبيلنا اليها الذي اشرنا اليه هذا السبيل هو احسان طاعته بالبدن فيما اشرعه علي والجولان باجنحة الفواد في فضاء الملكوت ما استبقى ثم كمالها الوصول الى كرامته و لقائه في دار ثوابه ومجاورة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا ومعلوم ان من انتهى من امره الى هذا الحد وبلغ بنفسه هذا المبلغ ووقف من علمه على هذا الغرض ترى الدنيا في اوحش صورة واقبحها في اقبح هيئة ونظر الى اهلها بعين الرحمة والاشفاق والى زخارفها نظر الازدراء والاطراح كما ينظر الرجل العاقل منا الى صبيان يتناوشون على خشبة او كلاب يتهارشون على جيفة ۞ سال بعض اصحاب ابي عثمان الحيري ان يخرج باصحابه الى بستان وقد كان قدم عليه ابن حضرويه فاذا هم بشجرتين مائلتين من حيطان بعض تلك البساتين في الشارع ملتفتين كما يتعانق الحبيبان ويتلازم العشيقان قد نورتا هذه بيضاء والاخرى حمراء والريح يتطاير بانوارها انتثارا على الرؤس كما تنثر الدراهم فوق العروس فوقفوا منهن متعجبين وطربا حواط الابيات يترنم بها فوقفوا متواجدين اذ خرج عليهم مجوسي من بستانه فعرف فيما بينهم ابا حفص استاذ ابي عثمان فتقدم اليه وقال يا شيخ بستانان متصلان بستانان اي تيمن وبستان يا شيخ قد دخلوا مرارا واذا فورد روضة غناء لم يروا امثالها نظافة وحسنا قد تجردت بها اشجارها بانواع الثمار وزينت بانواع الازهار واذا في وسط البستان مجلس من رخام يجري فيها انهار تتسلسل كانها سلاسل الفضة في صفاء ماء الحيوة وعن جانبي الدكان من الازاهير والرياحين ما يحار فيها الاعين ولا تصفها الالسن فلما انقضت المائدة واخذوا مجالسهم قلوب الاصحاب فخاف ابو حفص عليهم الفتنة فقال لبعضهم اقرأ كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم واخذ ابو حفص في الكلام في معنى البقاء والفناء وطاب المقال وصدق الحال والمجوسي قائم ثم يتغير لونه وينفصد جبينه ويرتعد فرائصه فرمق ابو حفص ببصره الى السماء ورفع يديه ورفعوا ايديهم ثم قام هو واصحابه خارجين فتقدم المجوسي وقال والله لا افارقكم ابدا اني انظر الى داري هذه

هذه بما فيها وكانها مأتم ومنادب وكانما فيها حيات وعقارب ووجدت للكلمات التي قربت في
قلبي حلاوة لا استطيع وصفها ثم اسلم في بضعة عشر نفرا من اهله فهم واعقابه الى اليوم من
ازهد زهاد نيسابور ثم المجلس بحمد الله تعالى

المجلس الثالث والستون من كتاب خلق الانسان تفسير بعض ما تضمنه قوله عز وجل وفي انفسكم افلا تبصرون في وصف المنزلة عند الله ونيل الزلفى لديه جل جلاله

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان من تسبح له السماء بارتفاعها والارض باتساعها والشمس بانارتها والنجوم
باستنارتها والقمر اذا استتر للمواقيت هلاله والبحر اذا تفجر من الينابيع زلاله والاخضر
المسجور بتلاطم تياره والاخضر الممطور بما سر بازهاره والليل اذا انبثت غياهبه والنهار
اذا ثابت ذوائبه والصبح اذا اسفر نقابه والبرق اذا طرز سحابه والطير اذا طفر بعد
مجثمها والخيل غادية عن وجهتها والابل تحدو حداجها والاسد تزار زماجرها
والنار تذكرة ومتاعا للمقوين والارض كفاتا واقواتا للاحياء والميتين والحوامل
الماء في بطون الغمام والماء الجواري المنشآت في البحر كالاعلام كلها السنة بتسبيحه ناطقات
وصور على ما جبلها عليه واراده منها طايعات خلق النجوم مسخرات وكل في فلك
يسبحون والملائكة مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون استخلص من بين الحيوان
الانسان وخصه بالهوى والبيان وارسل الرسل الاولين والآخرين يدعون اليه مبشرين و
منذرين واختار منهم رسوله محمد المصطفى واختصه بالمنزلة لديه والزلفى وجعله مفتاح كل
خير وصلاح ومصباح كل ظفر ونجاح ورحمة كل دان وقاص وشفيع كل مذنب وعاص صلى الله عليه
وعلى جميع الآل والاصحاب الذين لهم عند الله زلفى وحسن مآب قال بعض الحكماء ان العلوم
الحقيقية التي هي ابدية باليقين نحو اعتقادنا بان المساوية للشيء الواحد متساوية
وان الكل اكبر من جزوه لن تصير مستثبتة بالعقل الذي هو معرض للغلط والسهو لكنها تصير
مقتناة بالعقل الذي هو بمنزلة المنية وقد اقيم النفس مقام القوة المستبصرة للعين وان
كانت العقول الهرمية في الجبلة البشرية ممتزجة بالارواح الحسية ومعلوم ان المتحدين في
الجبلة متى انتهى بالسعي بتجريد احدهما عن الاخر فان الخطب فيه مستصعب جدا ولن يستغنى في
شانه عن الدربة والارتياض ثم اذا لم يتجرد العقل عن الحس فان البدن يجذبه في باب
التمييز الى الابواب التي تشاركنا فيه اصناف الحيوان بل يشغله عن التعرف للمعاني الحقيقية
التي يتفق بناؤها على طبايع الموجودات واذا كان العبد ممنوا من جبلته بمثل هذه الخطة العظيمة
وبنا

فيا ليت شعري كيف السبيل الى النجاة لولا ان الله سبحانه وتعالى بلطفه قد ازاح علتنا بالاوضاع
الدينية والملل الشرعية فانها اشتملت على مناهج تصدق الانفس عن الاشياء المعرضة للفناء
الى الاشياء الصالحة للبقاء كما انها تسلك بنا عن الظلام الدامس الى الضياء الشامس وترقى
بها الانسان من طبايع البهايم الى ذروة الحكمة بل من الحال الادنى الى الغاية العليا ولهذا
ما قيل ان الانسان ينبغي ان يطلع في الحكمة اذا علق فيها فوائد من يستعان بها في استثارة
المعاني المستنبطة منها بقوة الفكر وانما تلك القوانين معالم الموازين العدل التي
توزن بها الالباب في صدقها وصحتها وهي الدلايل الاربعة التقسيم والتحديد والقياس
والبرهان فاذا كان العاقل مناسبا كان في طبعه مناسبا للحكمة ذكي الفهم قوي الحفظ جيد
العبارة حسن التصور ثم كان حريصا على اقتباسها اماد في العناية باقتنائها فمن الواجب
ان يثقف نفسه بالمواضعة على الاوضاع الملية ليتدرج بها الى اصابة الحق والاعتقاد للحق
والمتابعة للحق والايضاح للحق ويمضي على وجه الحق في شيء منها استقامت عليه باحكام الدلايل
الاربعة متمسكا فيه بالمنهج المستقيم ومحافظا على الترتيب المنتظم وملازما للطريقة الوسطى
التي لا يشوبها ميل ولا يعتريها امت فهو قرب الله تعالى قدسه في جوهره بنور العقل الفعال
بخلافته على عمارة العالم السفلي ويتدرج به الى ان يصير من زينة العالم العلوي ويعظم منزلته
عند الله تعالى وتقدس وينال الزلفى منه والكرامة لديه وانما يحقق جوهره او استهلك
ذاته فقد خسر الدنيا والآخرة بل يتحقق ان الله جل اسمه اذا له ما ذكرنا فلا ينقطع عنه ولا يوجد
سواه ويتيقن امرا يعدل عنه او يحيد عنه او اثر شيئا عليه ثم يعلم ان الموت وان كان في
مرآة العين كريها للنفس فانه في الحقيقة معبر الى سعادة الكمال الوصال ومن اصله طول الحياة
واجبة اخلص له من كان يصبو لم يجد بناة فلا يكره حضوره ولا يكره شاورده عليه
على ان الواجب عليه ان يوقن انه لا يصلح الا لذلك المكان ولا الصحبة تلك الاخوان في الوصول
الى الملك الاعلى ونيل القربة منه والزلفى لا بعد استصلاح الافعال الصادرة عن العقل
وهي كلها تنحصر في اقسام اربعة اولها الخطرة ثم الفكرة ثم الراي ثم الاعتقاد ولكل واحد
من هذه الاقسام الاربعة حالتان متقابلتان احدهما في المصلحة والاخرى في المفسدة فان
الذكا مصلحة الخطرة والبلادة مفسدة لها والفطنة مصلحة للفكرة والغفلة مفسدة لها
والتدبير مصلحة للراي والاعجاب مفسدة لها واتباع الحق مصلحة للاعتقاد والتقليد مفسدة
لها وكان يجب ان يكون حال الموت الى المستصلحين لافعال النفس الفايزين بالزلفى من الله
كالواجب الورود المتمنى الوقوع وخصوصا اذا خاف لوابد التعجل اليهم هواتهم واخرهم الا

ان من تفرد بتاسيس البنية فليس لغيره ان يتوثب عليها بالنقض بل التدبير في نقضها و
استبقائها اليه ومن اليه احكام ابتنائها ولن يفقد الموت الا من خلق الجبن وكيف يليق
بحال العبد ان يحيى على سلك مولاه لكن عليه ان يصبر على خدمته وان ثقلت عليه ويلتزم
طاعته بحسب ما مثل له وارشد اليه ويعتقد ان افضل عباده من دام صبره على التقرب
منه والا كان ابقه لا بالجنايات على ملكه او بالكسر لشيء حبسه والفرار من محبته او
بالتفجع في لوازم امره او بالافتيات عليه في حكمه لكن باعتناق ما امر به متوخيا به
رضاه الى ان يطلقه من قيده وينقله عن دار محنته الى دار كرامته وهذا لعمري من سلكه
لا يبالي في التبرؤ من اللذات الحيوانية كلها علما منه بانها مشغلة له عن مطلوبه
وعائقة دون تحصيل غرضه ومقصوده ومثل هذا لا يكره الموت عند حلوله وينال
الامنية من روعاته ابتغاء لما بعده من مثوباته وارتقائه الى ما يؤمله في رفيع درجاته
فهو اذن يكون ذا تحرج بحقه وذا عفة بصدقه وذا فضيلة بكماله وذا امن في سربه
فاما المؤثر لهذه الدنيا وزخارفها الداثرة ودولتها الزائلة على شرف العلم والحكمة
او المؤثر للجمام والراحة على الدؤوب في الطاعة والعبادة فما اخلقه ان يكون خائفا
للموت وان ايقن انه لا محالة لاحقه كارها للقدوم على مولاه وان علم انه قادم عليه
فهو اذن لا يتعاطى النجدة الا احجاما عن مخوف يعتقد فيه اندفاعه من الموت
ولا يتعاطى العفة الا تجنبا خوفا من فقدان لذة هي عنده افضل مما يعف عنه فهو اذن
ذو نجدة منبعثة من فرط الجبن وذو عفة صادرة عن فرط الشره فهو اذن لا يستحق مرتبة
الشجعان ولا منقبة الزهاد ولا يتحلى بشيء من انواع الفضائل على الاطلاق فاذن الفائز
بالعلم والعبادة هو الموصوف بالفضيلة على الاطلاق المختص بالكرامة على الاستحقاق فاذن
كل من لم يكن عالما عابدا كان محجوبا عن رتبة غير فائز بالزلفى اليه ونقول ايضا
ان من افاعيل النفس ما يتأذى بقوة الرأي وهو ايثار افضل ما في طرفي الامكان وهو من
اشرف افعالها واجل احوالها ومتى غلبت هذه القوة عليها سعدت به غاية السعادة
وانا فرع على نهاية الارادة تم الجبلة وان عقدت بينها وبين الافاعيل البدنية
كان بينهما عنادا ذاتيا اذ احدهما روحاني السوس هاوي المحل محب للجميل نافر
عن القبيح والاخر جسماني الشيم عاشق للذيذ هارب من المولم فاذن سبيل النفس من
الجهة الاولى في الميل الى ما هو جميل والنفار عما هو قبيح مضاهية لسبيلها عن
الجهة الاخرى في الميل الى ما هو ملذ والنفار عما هو مولم والانسان يتمكن من تقوية

احديهما على الاخرى والذي الالهي يعينه على ايثار افضل ما في طرفي الامكان حتى قيل
لئن لم يكن بين البدن والعقل عناد ذاتي لما ورد على الانسان الامر الالهي باوضاعه
الشرعية فاذن من الانسان بمنزلة الذي يحله عن القيد والاسير الذي يعين له من النجاة
من الآفات والوصول الى دوام السعادة واذ عرف هذا فهذان الاعتقادين هذين المتعاندين ليس
بمانع من ان يذل الافضل منهما الاذل ومن ان يخضع ويطيع الاذل منهما الافضل ولا
خفاء ان تصرف النفس في خصائص افعالها الحيوانية لن يكون الا بالقوة الطبيعية البهيمية
وان تصرفها في خصائص افعالها الانسانية لن يكون الا بالقوة العقلية الملكية ثم الانسان
مأمور بان يجعل السلطان للعقل الذي هو كمال الانسان على الطبع الذي هو كمال الحيوان
فاذن لم يمكن ارتباط القوى الطبيعية بالانسان على سبيل اشتراكهما في اتمام الهيكل
الانسي عن الاعضاء الرئيسة التي هي القلب والكبد والدماغ حتى اذا انحل رباطهما سوى
الفساد عليهما فان الغاية المشتركة في اتمام الهيكل وان وجد كل واحد منهما ممكنا
لصاحبه وسمتا منه فان للواحد منهما ان يرأس الاخر لكن يتكافيان في القوام فلا
يوجد احدهما مستعبدا لصاحبه ومستعليا عليه ولكنهما في الرتبة يتفاوتان
في الكمال حتى اذا فسد احدهما تابع الفساد في الاخر فقد ظهر ان ذات الانسان بقواه
العقلية ونهاياته الابدية من العبادات الشرعية والطاعات الدينية اشبه شيء بالمعاني
الالهية واصلح شيء للبقاء السرمدي الابدي وانه منها صاير الى دار البقاء وحاصل على جوار
رب الباقي وان انفصال البدن عن القوى الطبيعية وانحلاله عن المعاني الحيوانية ليس
يوجب فساد شيء من ذاته الحيوة الحسية وان كانت احدية الذات فانها لسريانها
في جميع البدن تتجزى بحسب اختلاف اجزاء الاعضاء الحسية ولهذا ما يصير ادراكها للمحسوس
المختلفة واما الروح الانساني فلانه ملكي النسخ فلم يعرض له التجزي وان كان يعتق قواه
لما كانت لقواه المختلفة صورة واحدة وهي الصورة العقلية التي بها استثبت الاشياء
وبها يصير الانسان عالما على الحقيقة وبها يصير مدركا لحقائق المعاني المتباعدة مثل ادراكه
لحقائق المعاني المتقاربة اما بالادلة السمعية او الادلة النظرية او الفراسة الصادقة
او الرؤيا الصادقة بل بها يوجد عشق الانسان الكامل للحسن الباطن اشد من عشق
الانسان الناقص للحسن الظاهر كما قيل ولابي الطيب المتنبي

وامنية يهوى نفسه كل عاقل ... عفيف ويهوى جسمه كل فاسق
يحدث عما بين عاد وبينه ... وصدغاه في خدي غلام مراهق

ادب اذا ما جنّ او نادر هيد ✿ لدى كل جمع عن سواه تضايق

وبالحري ان يكون الامر كذلك وان كل من غلب عليه الحسن اشتاق الى الحسن الظاهر وكل من غلب
عليه سلطان العقل تشوق الى الحسن الباطن وسبب ذلك ان الحسن الظاهر طبيعي دنياوي
والحسن الباطن روحاني الهي وهذا الروح الانساني متى علم شيئا فانه يعلم في الحال
انه قد علمه والروح الحيواني متى ادرك شيئا لم يدر في الحال انه قد ادركه لكن الانسان
بعقله يعلم انه قد ادركه فالانسان انما استحق الفضل واستاثر بالكمال بهذا الادراك
فاذن السعيد المغبوط هو العالم العفيف ضعيفا كان او قويا والشقي المرحوم هو الجاهل
الشره فقيرا كان او غنيا وان العيش الهني هو الكرامة والامن والموثر للعلم والورع قد
احرزهما والمتور بالفسق والجهل قد حرمهما فاذن كل ما هو للعالم الصالح خير كالصحة والجمال و
الحشمة والمال والفطنة والذكاء والنسب والاوضاع هي بعينها للجاهل الفاسق شر وعليه وبال
يستعين بنعمة ربه على معصيته ويتوصل بحسنات الاشياء على سيئاتها وبمحاسنها على مساويها

✿ ومن الثوب والعمامة والبرذون والوجه والقفا والغلام ✿

✿ نعم الله لا نعاب ولكن ربما استقبحت على اقوام ✿

وكيف لا يكون كذلك وقد علم انه لا يوهل لمثل هذه الكرامة الا من تحرز من بلواه وغاديه
والاثم ممقوت متقي مكتسب عقلي وكيف يحتمل من الله بغضه وباكرامه من اقترف نهيه
فاذن كل انسان كانت نفسه الحرة غير مستعبدة بالشهوات الحيوانية بل كانت مطيعة الى
ذاتها ومباينة للبدن في ارادتها فانه لا استحكام ثقته بمن هو اوله واخره وصدق موالاته
لمن هو كله على الحقيقة النائل كل الراحة من الشرور والمخاوف السالم كل السلامة من الحزن و
الضلالات الواصل كل الوصول الى من له الخلق والامر وسواء عنده السر والجهر وسبيل العلم
والعجز كلاهما انزه من كبرياء الله من لا اله الا الله ولا كبرياء فوق كبريائه ولا اله مثل الاله وان
من تحلى بمثل هذه الخصال وتخلى عن اضدادها من الخلال فهو لا يعد المال جمالا ولا الرياسة
في امور الدنيا كمالا ولا يخضع لجاه وان جل ولا يسف الى لذة وان عظمت بل لا يعد الدنيا وما
حوته وان جل شيئا النفس الزكية ولا يرى كرامته متعلقة بتزيين بدنه فان المراة الحرة
والجارية المملوكة قد تزينان ولا باصابة الشهوات الكثيرة الرائعة فان الصبي قد ينالها ولا
بان يتواضع للاقران فان الصعلوك الفاتك يتواضع لها باستخلاص صنوف الشهوات فان
الانعام مستخلصها والسباع والكلاب يسوفها لكن تجد همه الى العناية بتطهير نفسه و
استصفاء اخلاقه واستغزار علومه واستكمال اداته ويرى كرامة نفسه بتنحيتها عن الهجب

وتبعيدها

وتبعيدها عن الجهل والجور ورياضتها على الانقياد للحق علما منه بان الانسان الكامل
هو الذي اعتاد هذه السير الشريفة وتمرن على هذه الاداب المستعذبة وان الله تعالى عدل
ولا يصل اليه الا بر وان الله طيب لا يقبل الا الطيب فاذن الموثر للعلم والحكمة والمختار للجود
والعدالة والمواظب على العفة والعبادة والمخلص للتوكل والعقيدة جدير بان يصل من جميع
طرقه الى ربه ويحوي في كلها من عطاياه فاما ما ينظر الى الحق والرشد بعين الشنآن والى العلم
والعفة بعين التنكر والازدراء ويرتق المال والحشمة بين الفسق والمجانة فجدير بان يعيش ما
عاش بنفس هي حيرى واحوال مضطربة ملتاثة ويكون قد باع النعيم الابدي بالتراب الدني
واستبدل المشوق العرضي عن الامر الحقيقي وذلك هو الخسران المبين وايضا فان كل ما
خلقه الله جل جلاله انما خلقه لامر لا يكون غيره اصلح له منه ولا اقوم به ولا اتم فيه فهو مقبل
بكليته الى ابرازه ذلك الفعل من نفسه ومطيع فيه لخالقه ومسخر له بجبلته حتى اطرد انتظام العالم
في طاعة من له الخلق والامر وذات لحكمه الاشياء ناطقها وصامتها وحيوانها ونباتها
وناضرها وجامدها وسائلها وجامدها والانسان الذي هو لبابها وخلاصتها والمخلوق
لاجله جميعها وكافتها لم يكن ليكون خلقه من بينها عبثا وامره دونها سدى مهملا يعيش
مدة سبعين سنة منها عرضة لطوارق الزمن وعرضا لسهام المحن ودرية منصوبة للاسقام
والالام وانواع الاحزان والاشجان يملكه الحرص ولا يعتقه ويوبقه الحسد ولا يطلقه ويغرقه
الجهل في بحر الامل تغريقا ويحرقه الهوى بنار الشهوة تحريقا ثم يفنى اخر الامر الاصل فناء و
يذهب ذهابا هشيم النبات جفاء كلا والله هذا امر لا يكون ولا تسمح به الظنون ولكن الانسان
منذ يوم وجوده في هذا العالم الى يوم خروجه عنه معرو ببلى امر عظيم لاجله خلق وبغيه
جبل وله اتى واليه سيق ولم يعرف فلا يكون ناجيا فائزا الا اذا عرف ذلك المعنى بحقيقته
وسما اليه بكليته ولا يتم ذلك الا بعد العلم بالامور وتقلب العصور واحوال الجمهور فان من وسق
اليه الاخبار لم يحسن منه الاختيار ومن لم يذق الطعوم المختلفة لم يفصل باطيبها فضلا و
ومن لم يتصور هيئات الاعضاء بتشريحها لم يصلح داءها دواء ومن لم يركب الصعب والذلول لم
ينل بالسهول لم يقاطع مفاوز النفس وان كان جوادا بالكل البقع ومن لم يلبس الشرة واللين لم

✿ يذق طعم العيش وان كان شرابا ناقع ✿

✿ فقد ما ترى في الغانيات مرجلا ✿ عروسا ويوما العبرا وجه شاحبه ✿

✿ كذا الفتى لا يدين الدهر كله ✿ نعيما ولا بوس المعيشة لازبه ✿

✿ فبدل من جدوا باليم خالد ✿ طوارق هم محضر وساديا ✿

فيوما ترى يوم في الحديد مسربلا ❊ ويوما مع البيض الاوانس لاهيا

خرج الشبلي يوما في اطمار تقرا اذا السماء انشقت وجبه لا تساوي بصحيفها فقيل يا هذا يا ابا بكر فانشا يقول ❊ فيوما ترانا في الخز نجرها ❊ ويوما ترانا في الحديد عوابسا

ويوما ترانا في الثريد نبتها ❊ ويوما ترانا ناكل الخبز يابسا

فلا يزال السعيد الفائز يتعرف الاشياء ويذوق الاحوال ويستخدم جميع نعم الله عنده في السلوك الى اعلاها ويستنفد طوقه ويستفرغ جهده في تحصيل اتمها واوفاها ويتدرج على مراتبها من بعض الى تمام ومن قصور الى كمال فليس الواقف على اول الحد بالغ ومن بعض الكل وليس صحيح عضو من الاعضاء بسالم ومن وقت الى اوقات فليس يوم طيب معتدل في الشتاء بربيع حتى تستوي فيه ملاذ المنازل الى منزلها كل منطقة حلل عندها وكل اصابة صميم شوى بعدها فلا يرتاح بشيء من النعم والخيرات الا بعد تمكينها اياه من التي هي النهاية في الامل فليس وراءها لطالب مطمح الراغب والغاية في الخلوص والصفوة فلا تشوبها شيء من التنغص والتكدير والابد الاوفى في الدوام فلا تطمع حوانبها شيء من الانتهاء والانصرام والامد الاقصى في المبار والمبار فلا يعد لها شيء من الاماني والاوطار وما هي الا البشرى عند الله ونيل الزلفى لديه وحيازة القبول منه ❊ والله انك لو توجتني ❊ بتاج كسرى ملك المشرق

ولو باموال الورى جدت لي ❊ اموال من باد ومن قد بقي

وقلت لي لا نلتقي ساعة ❊ اخترت يا مولاي ان نلتقي

فواله هيمان القلوب عند ذكر المحبوب وواه النار اشتعلت فاحرقت الخواطر والارادات والكلف العوارض والحاجات قال ذو النون رايت امراة تطوف بالكعبة قد نحل جسمها واصفر لونها وف عظمها فقلت اسحب انت قالت نعم قلت حبيبك منك قريب ام بعيد قالت قريب فقلت فوا ام غير موافق قالت موافق فقلت يا سبحان الله حبيبك منك قريب ولك موافق وانت بهذه الحال فقالت يا بطال اما علمت ان عذاب القرب والموافقة اشد من عذاب البعد والمخالفة

وفارقت حتى لا اسر بمن دنا ❊ مخافة ناي او حذار صدود

فقد طمعت نفسي تقول لعبرتي ❊ وقد قربوا اخوف التباعد جودي

وقال رجل للجنيد على ما تاسف من اوقاتك فقال على زمان بسط او رد قبضا او زمان انس اعقب وحشة ثم انشا يقول

قد كان لي مشرب يصفو برؤيتكم ❊ فنم بالهجر فيما بيننا وسعى

ولم يزل لصرف هذا الدهر يصدعني ❊ حتى تجرعت من كاساته جرعا

فليصنع

فليصنع الدهر بي ما شاء مجتهدا ❊ فلا زيادة شيء بعد ما صنعا

وحكى ابو العباس بن مسروق قال مررت مع الجنيد في بعض دروب بغداد فاذا مغن يغني

منازل كنت تهواها وتالفها ❊ ايام انت على الايام منصور

فبكى الجنيد بكاء شديدا وقال لي يا ابا العباس ما اطيب منازل الالفة واسعد بقلمات الوحشة لا ازال احن الى بدو ارادتي وجدة سعيي وركوبي الاهوال بالطمع في الوصول وها انا وايام الفترة اتاسف على اوقاتي الماضية واتحرق على رسومي الخالية

من كان يبالي منا ان زمن لنا ❊ فالاخوان منا مقتبلن

اذ ملبس العيش صفو لما يكدره ❊ قول الوشاة ولا يغمونيا الزمن

فاليوم قد فارقونا بعد الفتنا ❊ فعيشنا كله من بعدهم حزن

سلام على تلك المعاهد انها ❊ شريعة وردي او مهب شمالي

ليالي لم احذر حزون قطيعة ❊ ولم امش الا في سهول وصال

فقد صرت ارضى من سواكن ارضهم ❊ بخلب برق او بطيف خيال

اتذكر ايامنا التي اوليالينا ❊ محاسنها كالروض في صبحة الدجن

عهود مضت محمودة وكانها ❊ سحائب اللذات في خلة الامن

سقيا الظل زمان في جوى محمود ❊ ولي كل ليلة وصل غدا يوم صدود

ليالي الصحبة سقيا لك ❊ ما كنت الا فرجا كلك

عودي كما كنت لنا مسرة ❊ فنحن ان عدت عبيد لك

وقال رجل لابي محمد الجريري كنت على بساط الانس وفتح لي طريق الى البسط فزللت زلة فحجبت عن مقامي فكيف السبيل اليه دلني على الوصول الى ما كنت عليه فبكى ابو محمد ثم انشا يقول

قف بالديار فهذه اثارهم ❊ تبكي الاحبة حسرة وتشوقا

كم قد وقفت بها اسائل مخبرا ❊ عن اهلها او صادقا او مشفقا

فاجابني داعي الهوى في رسمها ❊ فارقت من تهوى فعز الملتقى

وانشد ❊ سلام على الاطلال والاثر والصبا ❊ سلام وداع لا سلام قدوم

سلام على سير القلاص مع الركب ❊ ووصل الغواني والمدامة والشرب

سلام امرئ لم تبق منه بقية ❊ سوى نظر العينين او شهوة القلب

لعمري لئن حليت عني منهل الصبا ❊ لقد كنت وراد المشرب العذب

ليالي امشي بين بردي لاهيا ❊ اميس كغصن البانة الناعم الرطب

ليالي ورد الشاهجان وشملنا ... جميع سقاك الله صوب عهاد

مرقناك من ريب الزمان وصرفه ... وعين النوى مكحولة برقاد

تنبه صرف الدهر فاستيقظ النوى ... وصيرنا شتى رهين بلاد

سقى الله اياما لنا كن جُمّعا ... علينا وعصر العامرية من عصر

ليالي اعطيت السعادة مُعوِدي ... تمرّ الليالي والشهور ولا ادري

وقال رجل صحبته وانا اخا ابني قريبا فكيف اذا اوغلت بعيدا **فانشا يقول**

اشوقا وما بيني وبينك ليلة ... ولا مهمه يطويه ايدي الرواحل

ظللنا بدار انت منها بمطلع ... فان شئتم كنتم بادني المنازل

فكيف بان احدث البين بيننا ... مهامه فيح بين بصرى ووغا فل

سلام عليكم انتم غاية المنى ... ولا مجد الا مجد تلك الشمائل

وحكى السري قال كنت في طلب صديق لي ثلثين سنة اسال عنه المنازل واستجيب الموارد والمناهل ولا اظفر به فمررت في بعض الجبال في طلبه فاذا انا باقوام مرضى وزمنى وبكم وعمى فسالت عن سبب مقامهم في ذلك الكهف فقالوا يخرج كل سنة من هذا الكهف شيخ يدعو الله لهم فيشفيهم ويبريهم ببركة دعائه قال فوقفت انتظر خروجه فخرج من ذلك الكهف شيخ عليه جبة صوف فنحمهم ودعا لهم فكانوا يبرؤن من علتهم بمشية الله فاخذت بذيله وقلت عليّ بالطلبة فهل من دعاء وهل من شفاء فالتفت اليّ وقال خلّ عني يا سري لا يراك تستانس بغيره فتسقط من عينه **وحكى ذو** النون قال مررت بارض مصر فرايت صبية يرمون رجلا بالحجارة فقلت ما تريدون قالوا المجنون يزعم انه يرى الله فقلت له ما تقول يا هذا يرحمك الله فيما يقول هؤلاء فقال وما يقولون قلت يزعمون انك ترى الله فسكت ساعة ثم رفع راسه ودموعه تجري فقال والله ما انكرته منذ عرفته ولا فقدته منذ وجدته فلو فقدته ساعة لمتّ **ثم انشا يقول**

كان رقيبا منك يرعى خواطري ... وآخر يرعى ناظري ولساني

فما عاينت عيناي بعدك منظرا ... يريبك الا قلت قد رمقاني

ولا بدرت من فيّ دونك لفظة ... لغيرك الا قلت قد سمعاني

ولا خطرت في السر بعدك خطرة ... لغيرك الا عرّجا بعناني

اراك على الاحوال حتى كانني ... اديك في نفسي ولست اراني

واخوان صدق قد سئمت حديثهم ... وامسكت عنهم ناظري ولساني

وما الزهد اسلى عنهم غير انني ... وجدتك مشهودي بكل مكان

الصبابة

فخاطبت

فخاطبت موجودا بغير تكلم ... وشاهدت معلوما بغير عيان

فهذه شموس ارتفعت الحجب عن حواجبها وانوار تزحزحت الظلم عن ذوائبها كما قال الشبلي ما ظلتك بمعاني هي شموس كلها بل الشموس فيها ظلم

اذا ما دجاها الليل كانت كواكبا ... جلوسا سوا اليها وكانت هي البدر

سهاد وفكر دونه لذة الكرى ... وليل وفكر دون اشراقه الفجر

اولئك قوم جوارحهم مستقر العبادة ومستودعها وجوانحهم مهبط السعادة ومطلعها وافئدتهم الان تحيط بجوامع الاسرار وايامهم سماء تدور بكواكب الاذكار يسيرون في رضوان الله عن خفافيهم ويمشون وكرامات الله بطرق بين ايديهم ستلى الآيات الدوكل من صحائف احوالهم وتظهر بانيس الصفاء في صفحات اعمالهم لم يتصل اقدارهم باتيهم بكسوف الضلال ولم يحجب انوار رضا بهم بيحوم شوان

دع الاقمار تخبو او تنير لنا ... بدرا تبدل له البدور

لنا من نوره في كل يوم ... ضياء ما تغيره الدهور

دع البدر فليغرب فانت لنا بدر ... اذا ما تجلى من محاسنك الفجر

اذا ما انقضى عمر اللذين باسيل ... فطرفك لي عمر ونيلك لي حشر

فهم عند خفيتهم ظاهرون ... وعلى حال غيبتهم حاضرون

تباعد ذات البين ليس بضائر ... اذا لم يكن بين القلوب تباعد

وكل محب غاب عنه حبيبه ... ومن غاب عنهم فهو في القلب شاهد

الا انه كما يكون صعوبة الوقوف على الشيء من قبل دقة معانيه وغموض الدلالة عليه فقد يكون ذلك ايضا من قبل فرط وضوحه في ذاته وشدة تجليه في نفسه فيكون اعشار العقول الضعيفة وكلال النفوس المريضة عن تصور اشراق تلك الانوار المتلالية واضواء المتعالية في مثال العين الخفاشية عن ابصار عين الشمس وكذلك العجز في هذا العالم الدائر الفاني المظلم عن معرفة الملك الحق الباقي كما هو بجلال وجهه وحقيقة صفاته على ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان احدا من الخلق لم يعرف الله حق معرفته وهو في هذه الدنيا فقالت عائشة ولا الانبياء المرسلون قال ولا الانبياء المرسلون قالت ولا انت قال ولا انا وقيل لذي النون قبل موته ما تشتهي قال ان اعرفه قبل موتي بلحظة وكان الشبلي يقول يا دليل المتحيرين زدني تحيرا **وانشد**

ما زلت انزل من ودادك منزلا ... يتحير الالباب دون نزوله

كبرت همة عبد طمعت في ان يراكا ... او ما حسب لعين ان ترى من قد راكا

وثانيها ان الامور الجليلة الفاضلة تختار لذواتها واللذيذة الشهية لغيرها وانه
اذا انضاف الى فضيلة الشي الالتذاذ به كان ذلك اكمل له وليس في ذلك شي الا الكمال
العلم ولن يتصف العلم بالكمال الا بعد الاحاطة بما هو الحق عند العقل ولن تتم هذه الاحاطة
الا بعد اماتة الشهوات البهيمية وتعفية الرسوم الدنياوية والاقتدا برب العزة
على اقصى الطاقة البشرية في فعل الخيرات وافاضة الحسنات فيصير جوهره جوهر الاناسي
لا من طبع الحيوان وذكره باقيا ببقا اثاره الحميدة الباقية لا فانيا بذهاب نفسه
الفاسدة الفانية وروحه ناعما في عليين بكرامات ربه لا فاسقا ببعاد قالبه عمود نار
وقلبه وخلقه خلقا يصفو به كدورة الحياة الفانية ويالف عليه اثنا الحياة ومجاهدة
بحيث لا يعصى الله في خطرة ولا يحيا الهيه في نطق ولا يقصر من طاعته طرفة عين ولا اقل من خلال اما
بالجوارح واما بالنظر والفكر واما بالذكر والتسبيح فيكون افضل من في هذه الدنيا واعلاهم عند الله
واسعدهم بنيل المنزلة من الله والزلفى لدى الله الا من انغمس في اودية المنى لم يستبن من هذا السبيل
الواضح رشدا الا كما ياخذ الاعمى في طريق لم يسلكه وان كان زخرفا المورد ممتزج ازرق
ولكن المدنف بالماء يشرق ٭ اري حاميات من يوما وليلة ٭ على ظما لم يدر كيف الموارد
٭ وقد لو قدرت نار الهجر صدور ها ٭ وفي ارضها شرب من الما بارد ٭

المجلس الرابع والستون من كتاب خلق الانسان تفسير قول الله عز وجل وفي انفسكم
افلا تبصرون يتضمن الكلام في احلام الانفس واثبات المنام وصدق منامها ونادرها
وما يتصل بذلك من شرح حال القاثيرات الروحانية ٭

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المجيب سوال السائلين القريب من امل الآملين لا يغلق عن بابه للراجين ولا يعقل
عن جنابه للاجين اليه ينتهي موارد الحاجات وعنده يطلب شوارد الطلبات ينهض
فضله نازح الاحوال ويقرب كرمه نازح الآمال يزيد بنو الاكل ما ازيد سوالا ويوسع انجاحا
كلما اكثر الحاحا ويسبغ اسعافا كلما ادبر الخافا يعطي ولا يفتر من العطا ويجزي ولا يمل بالجزا
يتهلل بالتعدد ويبتسم بالتوقر ويهدي من سال اليه ويجيح ويدعو من صد عنه ويجيح يتقبل
القليل من الحسنات ويعفو من الكثير من السيات لا يعوزه عن عجل النجاح ولا يعدم منع عنده
الانجاح لا يضيع اجر المحسنين ولا يصلح عمل المفسدين لا ينفد فضله واحسانه ولا يبعد
تحننه وامتنانه له القوة والحول والعظمة والطول والوجود الذي لم يكن عند ابتدا والجود
الذي هو جليا استحقاق وجزا يسلم من البلا ولو شا لاسلم الى العنا ويمنع بالالا ولولاد

لا يحصى بالالا ويدبر الامر في الارض من السما ويقدر ويبسط الرزق لمن يشا ويقدر ويتفضل
على عباده بنيل الارادة ويتطول عليهم بالانتها الى الزيادة يفيد عطاه من غير
استعادة ويزيد نعماه من غير استزادة نوحده طالبين الخلاص بكلمة التوحيد والاخلاص
ونبتهل في الشكر لما صحبنا احوال البقا ونجتهد في الثنا على ما صحبنا ادبال
الثنا ونصلي على محمد عبده ورسوله المستبين سبيله المستنير دليله الساطع اعلام
نبوته الصادع احكام شريعته الذي اوضحت بيمن مبعثه من العالم الظلمة الظلما واقشعت
بنور نبوته الشدة والغما وتتابعت على حكم رسالته السرا ولا صوب الحزن ناعته الارج
السجو صلى الله عليه وعلى آله ما تعاقب الصباح والمسا وتناوب الظلام والضيا وسلم
تسليما قالوا يجب ان يكون العبد في كل شي يفعله ذا نية واخلاص حتى في مطعمه و
مشربه وملبسه ونومه ونكاحه فان ذلك كله من اعماله التي يسال عنها ويجازى عليها
فان كانت لله وفي الله كانت في ميزان حسناته وان كانت في سبيل الهوى ولغير الله كانت
في ميزان سياته وكان صاحبه في الدنيا على مثال البهايم الراتعة والانعام المهملة السارحة
ولا يكون على الحقيقة انسانا مكلفا موقفا موقفا وكان من الذين ذكرهم الله بقوله اغفلنا
قلبه عن ذكرنا اي وجدناه غافلا كقولك دخلت بلدة فاعمرتها اي وجدتها عامرة واخربتها
اي وجدتها خرابا فهو غافل عما يابته ويذره متبع لهواه فيما يورده ويصدره وكان امره فرطا
بغير نية في اوله ولا صحة في آخره وقالوا لا يخلص العمل الا وان يسلم من وصفي الريا والهوى
كما وصف الله جل جلاله الخالص من اللبن وقال من بين فرث ودم لبنا خالصا سايغا للشاربين
فلو وجد فيه احدهما كان شائبا ولم يكن خالصا ولم يكن تم النعمة باللبن السايغ وكذلك
معاملة العبد مع ربه اذا شابها رياء او مال بها هوى لم يخلص لله تعالى ولم تتم طاعته له
جل اسمه كتب سالم بن عبد الله الى عمر بن عبد العزيز يا عمر ان عون الله للعبد بقدر نية العبد
فمن تمت نيته تم عون الله له بقدره وقد قال الله عز من قائل ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما
فجعل سبب التوفيق ارادة الاصلاح وقيل ان في بعض الكتب انما ويل لا اكل كلام الحكيم اتقبله ولكن انظر
الى همه فان كان الى حعلت صمته ذكرا ونطقه عبرا وصلى رجل مع سفين صلاة العيد وكان قد
جرح مغلسا فلما اصبح نظر فاذا ازار سفين مقلوب فقال له يا با محمد قد لبست ثوبك مقلوبا
فاصلحه فمد سفين يده ليسوي ازاره ثم قبضها فلم يسوه فقال له الرجل ما منعك ان تسويه
عليك فقال اني لبسته لله فلا اريد ان اسويه لغير ذلك ونادى رجل امراته وكان من سطح يسبغ
شعره هاتي الذي ليفرق شعره فقالت المراة هل آتي بالمراة فسكت هنيهة ثم قال نعم

فقيل له لاي شي سكت وتوقفت فقال اني قلت لها هاتي المدري بنية فلما قالت المراة لم
تكن فيها انية فتوقفت حتى هيا الله لي نية فقلت نعم جيئي بها وكان بعض الفقراء
يصحب ابا سعيد الخراز فكان يخف بين يديه في حوائجه ويخدم الاصحاب فتكلم ابو سعيد
يوما في الاخلاص الحركات فوقع ذلك في قلب الشاب فكلما اخذ في الاخلاص والتفقد بحركته
وخدمته فترك معاونته في المسارعة والخفوف في الخدمة فقال له ابو سعيد يا بني قد
كنت تسعى في حوائج اخوانك فقال يا استاذ انك تكلمت في الاخلاص واني خشيت ان تكون
افعالي مدخولة فقال ابو سعيد الاخلاص لا يقطع المعاملة ولا ينبغي ان يترك العمل لاجل
الاخلاص واعلم ان من دخل في العمل لله ودخل في وسط عمله علة تخرج من العمل بها ابطل عمله ومن
دخل في العمل بآفة وخرج منه بصحة سلم له عمله واستقام باخره اوله ولما صنف داود بن المحبر
كتاب العقل جاءه احمد بن حنبل وطلبه منه فنظر فيه صفحا ثم رده اليه فقال ما لك قال
فيه اسانيد ضعاف فقال داود لم اخرجه على الاسانيد فانظر فيه بعين الخبر انما نظرت
بعين العمل قال احمد فرده علي فكنت الكتاب عنده طويلا حتى انتفعت اياه فرده فقال جزاك الله
خيرا فقد انتفعت به اي انتفاع وحدث بعض الصوفية قال كنت قائما مع ابي عبيد التستري
وهو يحرث بعد العصر من يوم الجمعة فمر به بعض اخوانه من الابدال فساره بشي فقال ابو عبيد لا
فمر الرجل كالسحاب يمسح الارض حتى غاب عن عيني كخطفة البصر فقلت لابي عبيد ما قال لك قال سالني
هل احج معه فقلت لا قلت فلا فعلت قال لم يكن لي في الحج نية وقد نويت ان اتمم حرث هذه
الارض هذه العشية فخفت ان حججت معه لاجله تعرضت لمقته وفي سر الحديث من عمل
عملا لا يريد به وجه الله لم يزل في مقت من الله حتى يفرغ وقال بعضهم من لم يشكر لك حسن
نيتك لم يشكرك على حسن صنيعتك وانشد

لا اشكرنك معروفا هممت به ۞ ان اهتمامك بالمعروف معروف
ولا الومك ان لم يمضه قدر ۞ فالشي بالقدر المحتوم مصروف

وقالوا ان الاخلاص هو تصفية العمل عن ملاحظة المخلوقين حتى عن ملاحظة النفس فلا يشهد
غير الله وحتى من شهد في اخلاصه الاخلاص احتاج اخلاصه الى الاخلاص واكثر ما يجري الاخلاص على
المراد به فيه ومنه اشياء اهو عنها بعزل هو لا يقع عليها رويته ولا بها اعتداد فيكون صاحبه
مخلصا لا مخلصا وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الاخلاص سر من اسراري
استودعه قلب من احببت من عبادي وسئل الجنيد فقال الاخلاص سر بين العبد وبين الله لا
يعلمه ملك فيكتبه ولا شيطان فيفسده ولا هوى فيميله وهو معنى قوله شهد جماعة على رجل

بشهادة فلم يقبل وكانوا مخلصين ولو كانوا صادقين لعوقبوا يعني ان صدقهم ان لا يعملوا عمله ومثل
عمله الذي شهدوا به والاخلاص وراء ذلك وعن الفضيل بن عياض ترك العمل من اجل الناس
رياء والعمل من اجلهم شرك والاخلاص ان يعافيك الله عنهما وقيل لسهل بن عبد الله اي شي
اشد على النفس فقال الاخلاص لانه ليس لها فيه نصيب وقال بعضهم دخلت على سهل
بن عبد الله يوم جمعة قبل الصلوة فرايت في البيت حية فجعلت اقدم رجلا واؤخر اخرى فقال
ادخل لا يبلغ احد حقيقة الايمان وعلى وجه الارض شي يخافه ثم قال هل لك في صلوة الجمعة فقلنا
بيننا وبين المصر مسيرة يوم وليلة فاخذ بيدي فما كان الا قليل حتى رايت المسجد فدخلنا وصلينا
ثم خرجنا فوقف ينظر الى الناس وهم يخرجون فقال اهل لا اله الا الله كثير والمخلصون منهم قليل
وجاء يوما رجل وبيده محبرة وكتاب فقال احببت ان اكتب شيئا ينفعني الله به قال نعم
ان استطعت ان تلقى الله ومعك المحبرة والكتاب فافعل فقال له يا ابا محمد افدني فائدة فقال
الدنيا كلها جهل الا ما كان علما والعلم كله حجة الا ما كان عملا والعمل كله موقوف الا ما
كان اخلاصا والاخلاص كله مردود الا ما كان على السنة ويقوم الساعة على التقوى وقال
محمد بن الاشعث اذا بكيت فاستمع بكاءك ان البكاء على عدم الصدق في البكاء فلعل بكاءك النافع هو
البكاء على البكاء وقال ابو عثمان الحيري تصحيح النية بنيانه على التقوى والورع والمحاسبة
جاءت اذكاره صافية وافعاله خالصة وقال ابو سليمان الداراني طوبى لمن صحت
له خطوة واحدة لا يريد بها الا الله وكان معروف الكرخي يقول يا نفس اخلصي وتخلصي وقال
بشر بن الحارث ان الله يحاسب عباده على صفاء الضمائر ونقاء السرائر وقال قلب المومن صحيح اي كله
يقين واخلاص لا يلوذ به ريب وشك وقال قلب المومن حرم الله اي اخلاصه التوحيد يمنعه
عن الشيطان ولما دخل وفد خراسان على المهدي قام رجل منهم فقال اطال الله بقاء امير
المومنين انا قوم نائيون عن العرب وشغلتنا الحروب عن الخطب وامير المومنين يعرف طاعتنا
وما فيه مصلحتنا فيكتفي منا باليسير دون الكثير ويقتصر منا على ما في الضمير دون التقرير فقال
المهدي ما ابعد صفاء الضمير من تقصير ولما قال بعض الشعراء في زبيدة

ازبيدة ابنة جعفر طوبى لسائلك المثاب ۞ تعطين من رجليك ما تعطي الاكف من الرغاب

هم به الخدم فقالت انه شاب غر ولعله قصد صفا ضميره واما الدعاء فقالت طائفة من
العلماء ان العقل لا يطلق الدعاء ولولا ورود الشرع به لكان حق العبودية يقتضي الامساك عنه
للعلم بانه تعالى عالم بحاله قادر على صلاحه موصوف بانه اراف به منه بنفسه فلا يخلو المسئلة
بانه يوتيه كذا او يفعل به كذا عن ضرب من التحكم والتعجب والاستراف والاقتراح وخروج عن مقام

الرضا والتسليم والانقياد والاذعان كيف والسكوت من اداب الحضرة **وانشد**

انكر ما اقول اذا افترقنا ❊ واحكم دائبا حجج المقال

فانساها اذا نحن التقينا ❊ فانطق حين انطق بالمحال

فيا ليل كم من حاجة لي مهمة ❊ اذا جئتكم لم ادر والله ما هيا

وكم حديث لحجتي اذا ما ❊ مكنت من لقياك انسيت

يجري على معروف وهو يمشي مطرقا **وسال** انسان زاهدا ان يدعو له فقال الشفيع يحتاج ان يكون مقبولا او منبسطا ولست ارى لنفسي وجه القبول ولا وجه الانبساط **وراى** بهلول في مقبرة فقيل هلا خالطت الناس فقال اني بين قوم ان حضرت لم يؤذوني وان غبت لم يغتابوني فقيل له فادع الله فان الناس في ضر وشدة فقال وما علي من ذلك ولو بلغت الحبة دينارا وانما علي ان اعبد الله كما امرني وعليه ان يرزقني كما وعدني **وقال** عبد الله بن منازل ما دعوت منذ خمسين سنة ولا اريد ان يدعو لي احد **وقال** الواسطي اختيار ما جرى لك في الازل خير لك من معارضة الوقت والسكون والسكوت تحت جريان الحكم اولى بك من قرع باب المراد **وحضر السري** مجلس معروف الكرخي فقام اليه رجل فقال يا محفوظ ادع الله ان يرد علي كيسي فانه سرق وفيه الف دينار فسكت فاعاد فسكت فاعاد فقال ماذا اقول ما زويته عن انبيائه واوليائه كيف ارده عليك فقال الرجل فادع الله لي فقال اللهم خر له **وقال** الجنيد مرضت مرضة فسالت الله ان يعافيني فقال لي في سري لا تدخل بيني وبين نفسك **وسئل** سفيان بن عيينة يوم عرفة بماذا ندعو الله **فانشد شعر امية بن ابي الصلت الثقفي**

أاذكر حاجتي ام قد كفاني ❊ حياؤك ان شيمتك الحياء

وعلمك بالامور وانت قرم ❊ لك الحسب المهذب والسناء

اذا اثنى عليك المرء يوما ❊ كفاه من تعرضك الثناء

مجدوا الله واثنوا عليه وهذا على موافقة الحديث اذا شغل عبدي ثناؤه علي من مسألتي اعطيته افضل ما اعطي السائلين. فالصواب في هذا الباب هو اخلاص العمل وصدق اليقين وهو حقيقة الاستجابة المامورة بقوله عز وجل فليستجيبوا لي فانها الانقياد في كل ما اراده الله وامر حتى اذا استجاب لله في اوامره اجابه الله في اسراره وخواطره وان من قصد الى الله من الخشية في فصله ومن استغنى من فضله لم يخش الظمأ في ورده ومن مسه ضر فحاله سؤاله وفي سكوته نطقه ومقاله يعرف حال المضطر وان ترك

دعاه ويرى مكانه وان يصيب نداه

كفاك منك ان ابحي باستي ❊ وحسبي ان اراك وان تراني

وكيف احب من يعنى بامري ❊ ويعرف حاجتي ويرى مكاني

وراى عبد الله بن منازل الخراساني في شتاء كلح بوجهه وكثر من اثوابه غلاما جالسا في حانوت سيده يرتعد من البرد فقال يا غلام لم لا تسال سيدك حتى يصلح حالك فقال الغلام ان سيدي يشاهد حالي ويعلمها فلا وجه للسؤال فتبعه عبد الله وعلم ان السكوت عند الاضطرار مقال ورفع القصة الى من يعرف القصة محال **وقال** ابو حمزة الخراساني بينا امشي في طريق الحج اذ وقعت في بئر فنازعتني نفسي ان استغيث فقلت لا والله فما استتممت هذا الخاطر حتى مر براس البئر رجلان فقال احدهما للآخر تعال حتى نسد هذا البئر لئلا يقع فيها احد فطما راس البئر فهممت ان اصيح فقلت الى من هو اقرب منهما فمضت الا ساعة حتى رايت شيئا كشف عن راس البئر وادلى رجله وجعل يهمهم فتعلقت به فاخرجني فاذا سبع وهاتف يا ابا حمزة اليس هذا احسن نجيناك من التلف بالتلف

نهاني حيائي منك ان اكتم الهوى ❊ واغنيتني بالفهم منك عن الكشف

تلطفت في امري فابديت شاهدي ❊ الى غائبي واللطف يدرك باللطف

تراءيت لي بالغيب حتى كانما ❊ تبشرني بالغيب انك في الكف

اراك وبي من هيبتي لك وحشة ❊ فتؤنسني باللطف منك وبالعطف

وتحيي محبا انت في الحب حتفه ❊ وذا عجب كون الحياة مع الحتف

ووردت اخبار الاخبار ونقلت الآثار انه لما كان من امر ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام ما كان من الاعتلال بالسقام والتاثر منهم لكسر الاصنام اجمعوا رايهم على تحريقه بالنار فجمعوا له من الحطب ما تجاوز حده عن المقدار واسعروا في جوانبه اسعارا اشتعل الجو كله نارا والارض جميعها نارا ثم عمدوا الى ابراهيم فرفعوه الى اعلى البنيان وجعلوه في المنجنيق ليرمى في واسطة النار فاستغاثت السماء والارض من تحتها وضجت الملائكة يا ربنا ابراهيم ليس في الارض غيره من يعبدك ويوحدك المحروق بالنار ولا تاذن لنا ان ننصره ونخبره وندبر على علاجه وتوديبه فقال الله ان استنصركم فانصروه فجاء ملك السحاب فقال له ان اردت ارسلت غيثا في السماء وقال خازن المياه ان شئت اطبقت عليه الارض بينابيع الماء وقال ملك الرياح ان امرت تركت نارهم خامدة وبنيانهم هامدة فداوم ابراهيم على قوله حسبي الله ونعم الوكيل فلما ارمي من المنجنيق الى النار عرض له جبريل عليه السلام فقال هل من حاجة فاني ظافر فقال اما اليك فلا فقال فسل ربك

فقال ابرهيم حسبي من سؤالي علمه بحالي فقال الله عز وجل يا نار كوني بردًا وسلامًا على ابرهيم فارادوا
به كيدًا فجعلناهم الاخسرين ومن الناس من احتشم من الدعاء واقتصر على تقليب العينين الى السماء كما
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقلب وجهه في السماء عند توقعه تحويل القبلة الى الكعبة ومنهم
من يوثر المراسلة عن لسان الجفن بعبارة البكاء ومنهم من يبل لسان اللذين بدموعهم وانشد

دموع العاشقين اذا تلاقوا ... بظهر الغيب السنة القلوب

دموع الفتى عما يجن يترجم ... وانفاسه يبدين ما القلب يكتم

لساني وقلبي كاتمان كلاهما ... ولكن عيني بالدموع تكلم

اموت فلا تدرين وانت قتلتني ... فلو كنت تدرين كنت لا شك ترحم

اهابك ان اشكو وقد مسني الهوى ... فلا انا ابديه ولا انت تعلم

وقيل دعاء العامة بالاقوال ودعاء الزاهد بالافعال ودعاء العارف بالاحوال ودعاء المذنب
بالدمع الهطال وقيل اقرب الدعاء الى الاجابة دعاء الحال اي دعاء المضطر واما الطايفة الاكثرون
بل الامم المختلفة مجمعون على ان للعواطف الالهية المعلومة الاثنية المجهولة المايلة لحظات الى هذا
العالم تسمح بالظفر وتساعد على نيل المنى والوطر وان الدعوات فيها مرجوة والاجابة عندها
مسلوة وحتى قد ذهب فيه طايفة كثيرون من الاوايل والاواخر الى انه اذا استعين
في الادعية باشكال من الكواكب في اوقات مسعودة كانت موثرة مرجوة وهو كما يستعان فيها
بتجريد الفكرة وتصحيح النية والبروز في الجماعات الى الصحاري ورفع الاصوات والبكاء واحتمال
المتاعب واحتمال المتاعب وتقريب القرابين وتقديم الصدقات والنذور وكان الامر ابدًا
في القوة وهذا لما كان زمان عمر رضه لما اراد الاستسقاء بالعباس بن عبد المطلب عام
الرمادة سأل اهل العلم بالكواكب هل بقي من نوء الثريا بقية وكان اذا استدل الخروج
للاستسقاء يقول لهم يطلع نوء الثريا وفي بعض اخبار الحديث استسقى عمر بمجاديح السماء
والمجدح نوء من انواء الثريا مطر ومما ذكر اصحاب التنجيم عن قدماء اليونانيين انهم
كانوا يجعلون المشتري في وسط السماء مع الراس والزهرة في الطالع لاوقات الادعية وان
بعضهم كان يجعل احد السعدين في الطالع والاخر في الرابع بعد ان يوافقهما المكان من الفلك
والشكل المحمود من الشمس ولا يعاديهما النحسان ويسعدهما القمر بسعادة مقبولة ويجعل
اتصاله بالكوكب الذي يكون الامنية المدعو بها من جنسه اتصالا محمودًا قويًا مقبولا وذكر
يعقوب بن اسحق في رسالته المقصورة على اوقات الدعاء ان القمر وعطارد متى قارنا كوكب كف
الخضيب وموضعه اليوم في احدى وعشرين درجة من الحمل كان وقتًا للدعاء بالغنى والشجاعة

ويستجاب

ويستجاب لهم في وسط عمرهم وان قارنه زحل سعودًا اسعد الداعي من وسط عمره الى آخره وان كان
نحوسًا افتقر وضعف وذلك ان من الادعية ما ينعكس على داعيه وينصب الى ضد ما يرتجيه
كما يحكى ان اهل طبرستان اجدبوا ايام الحسن بن زيد العلوي فخرجوا يستسقون بها فرعوا
من دعائهم الاول الحريق مضطرمًا في اطراف البلد حتى قال ابو الغمر

خرجوا ليستسقوا بصوت غمامهم ... فاجيبوا بصيب من حريق

جاءهم ضد ما ابتغوه اذ ... جاءت قلوب محشوة بفسوق

قال يعقوب فان قارن كف الخضيب المشتري نصر الداعي على ظالمه وان قارنته الزهرة اجيبت
دعوته في المال وقل عمره وان قارنه المريخ كان الداعي وقت دعائه ظالمًا لمن يدعو عليه وحرم
الاجابة ولابي الحسن العامري كلام كثير في اتصالات الكواكب بكف الخضيب حتى انه قال اذا شعر
اوج الشمس الى كوكب كف الخضيب ارتفع الشر والفقر وكل مكروه عن العالم وهذا بعيد لان العالم
مسوس على امتزاج الخير بالشر والشدة بالرخاء والايتلاف بالاختلاف ولو توهم الاجتماع على الراحة
والدعة وارتفاع العناء وانقطاع الشقاق عن العالم لم ينتظم امره طرفة عين ثم ان اوج الشمس لم يكن
لا عند بطليوس ومحولة المنجمين ومنه قول البستي ابي الفتح في يمين الدولة السلطان الماضي

الا ابلغ السلطان عني نصيحة ... يشيعها وذو راي محنك

تجاوزت اوج الشمس عزا ورفعة ... وذلك قسم لكل من تملك

فاجهد ان تسعى لتثبت فيهما ... فان اوج الشمس لا يتحرك

وهب ان اوج الشمس متحرك فلا يجعل ذلك عند انتهائه الى قلب الاسد الملكي الذي يمر على ممره
وعلى ان لاصاغر المنجمين في الكف كلام كثير على حسب طلوع النيرات عند اتصالها بها يفوز من
تاثيرات عجيبة في الادعية المستجابة وفي غيرها من ابواب الرقى والعزايم وعمل الطلسمات والتمايم
ونحو ذلك الى الاف من كل علم وان بعد عن الطباع وصعب على الافهام لبعده عن مناهج الشرع
ومواد الرعايات وقد كنا كتبنا في سالف الايام كتابا معنونًا بالتاثيرات الروحانية و
لم نطلبه الان لاغتراب اخواننا علينا والتلامي مثلا الى الشاعر واعوز فقصدنا بعض ما في
نفسه من الحاجة الى ذلك الكتاب بايراد ما حضر في هذا المجلس على حسب التعلق بنوع كلام
الحكماء المتقدمين وهو صرفنا وجه القول الى تحقيق امر الدعاء وعجيب تاثيراته قالوا ان الاعمال
الكائنة من التاثيرات الروحانية انما تكون على جهات اما بالملاءمة واتفاق الاشياء المتشاكلة
واما بالمضادة والمخالفة واما بكثرة القوى والاجتماع الدواعي المختلفة على انها وان
اختلفت فانها تتفق في الجنس الواحد وانها ربما احدثت اشياء من غير حيلة احتالها المحتال

فاما السحر فمنه كذب يخطئ ولا يصيب والذي لا يخطئ ولا يكذب فهو سحر الساحر العالم والساحر
العالم هو الذي يتشبه بالعالم وتاثيره بحسب علمه واستطاعته فاذا اراد ذلك استعمل الادوية
والحيل الطبيعية وذلك يوجد في الاشياء الارضية غير ان منها ما يقوى على الفعل في غيره
كثيرا ومنها ما ينفعل في غيره فينقاد له دائما كما هو مفصل في كتب الخواص فالسحر ان يعرف الساحر
الاشياء المنقادة بعضها لبعض فاذا عرفها وتبين تاثيرها بعضها في بعض قوي بالتي على
جذب مثله بقوة المحبة الفاعلة التي فيه واما الرقى التي تكون في الملامسة والكلام الذي يتكلم
به فانها حيلة منه ليتوهم من رآه ان ذلك الفعل فعله وليس بفعله انما هو فعل تلك
الاشياء التي يستعملها فان للاشياء جواذب وخصائص يجمع بعضها الى بعض من اجل المحبة
الغريزية فيها ويعني بالملامسة والكلام ما يكون من الرقاة والحواء اذا دنا من الجحرة
فانه يرفع صوته ويصفق بيديه ويكثر من ذلك حتى يخرج الحية كما يخرج الضب والضبع بالحرش
والكدم كما قال كثير في ذلك

وسوداء مطراق الى امن الصفا ؛ ابى ذا الحاوي دونها فضلالها
كففت يدا عنها وارضيت سمعها ؛ من القول حتى صدقت ما دعي لها
واشعرتها نفثا بليغا فلو ترى ؛ وقد جعلت ان يم النفث بالها
تسللتها من حيث ادرك راقي ؛ الى الكف لما سالمت واسلالها

وقال الاعشى
ابا تسمع اني امرؤ من قبيلة ؛ بني لي عزا موتها وحيوتها
فلا تلمس الافعى يديك تريدها ؛ ودعها اذا ما غيبتها سفاتها

قالوا والدليل على ان في الاشياء من هذه القوى والخواص ما نرى من التاثيرات بالنظر والسماع
بحيث لا يملك القلب ان لا يتبعه ويصير في حيزه كاللحون والاشارة فانه ربما تغنى القاري الحاذق
وصاغ صوته بصيغة يقدر بها على جذب من اراد جذبه اليه وربما اشار بعينه ويده او
ببعض اعضائه فشكلها بشكل يقدر به على جذب الناظر اليه وذلك انه يصير صوته
وحركاته الى اللين والرخاوة فيستميل بذلك من اراده ويستهويه به ويلحنه وامر الصوت
في التاثيرات اعجب كل شيء فان منه ما يقتل كصوت الصاعقة ومنه ما يسر النفوس حتى
يفرط عليها السرور وتعلو حتى يرقص وحتى يتمادى الرجل بنفسه من خالف ومنه ما يبكي
ومنه ما يكل ومنه ما يزيل العقل حتى يغشى على صاحبه كنحو هذه الاصوات الشجية
والقراءات المحزنة وليس بعضهم ذلك الا من قبل المعاني لانهم لا يفهمون معاني كلامها وقد
بكى ابن ماسويه من قراءة ابي الحوخ فقيل له كيف تبكي من كتاب لا تصدق به قال

وانشد ؛ انما البكا في الشجا

وصوت لبني الامر اهل الليلة الحسنى ؛ شجي يستغرق الالحان حتى كانها يغني
فلا ادري ابيد اليسرى اسعى ام اليمنى ؛ وقلنا المغنيه وقد غنى على المثنى
الا ياليت هذا الصوت حتى الصبح لا يفنى ؛ فقد ايقظ اللذات عنا المرتل والمثنى
ويا افهم ما يعني مغنيه اذا غنى ؛ ولكني من اشجانه استحسن المعنى

وكذلك بالاصوات يتنوم الصبيان الاطفال والدواب تصير اذا نهها اذا غنى المكاري والابل
يصير بها اذا احد الحادي في اثارها ويزيد في مشيها ونشاطها ويجمع بها الصياد السمك
في حظايرها التي يتخذونها لها وذلك انهم يضربون بعصي معهم وحبال على ايقاع موزون
مستطاب فتقبل اجناس السمك شاخصة ابصارها مصغية الى تلك الاصوات حتى تدخل في
الحظيرة وتصوت بالطاس وتصلصل بها وتضرب بالطاس للاسد وقد اقبلت فتروع منها لذلك
الاصوات عن الابل تصطاد بالصفير والغناء وفي الاثام ما دامت تسمع ذلك من حاذق الطرب
وتشغلونها به ويتاتون لها من خلفها فان رآوها استرخية الاذان وسولها وان
كانت قائمة الاذان فليس اليها سبيل فاذن الالحان المحبة من بعض التاثيرات او وخاصية
ولا يجحد منها المتكلمون ولا ينكرونها كما انكروا تاثير السحر وانما ذلك من اجل العادة وهي لا يعجب ايضا
منها العامة وانما يعجب من ساير الموثرات الخفية لانها لم تعتده ولم ترض بانفسها به كما ان
الصوت الشجي يلذ السامع ويجذبه اليه من غير ان يكون السامع يفعل ذلك بالنفس الحرة المطلقة
ولا بارادته الشريفة لكن بالنفس الحيوانية كذلك الحواء اذا رقى انقادت الحية له لا بارادته
منها ولا لانها فهمت عنه كلامه او احسنته لكنها احست بالاثار التي اثرت فيها من ذلك فقط
حسا طبيعيا كذلك الفار الذي يسمع الرقى لا يفهم كلام صاحب الرقية لكنه اذا وقع به الاثر
احس بذلك الاثر وليس ذلك الاثر من تلقاء الرقية بل من تلقاء الاشياء الفواعل التي في
العالم غير انه وان احس بالاثر الواقع عليه فانما يقع ذلك الاثر في النفس فاما العقل وقواه
التي فيه فغير قابلة لذلك الاثر بتة وكذلك كل اثر دنيء مستبذل كالاغاني والرقى فلا يبعد
شيء من ذلك ان يوثر في العقل وبصائره وكذلك صاحب الرقى يرقى على مذهب اصحاب التنجيم
لا لان الشمس او بعض الكواكب يسمع نداءه ودعاءه ولكنه انما وافق دعاءه الذي دعى فيه
الوقت الذي ان يتحرك تلك الاجزاء بنوع من الحركة كما يحس بعض اجزاء الانسان بحركات بعض وذلك
بمنزلة وتر واحد ممتد يحرك اسفله فيتحرك اعلاه وربما يتحرك بعض الاوتار بحركة الاخر
كانه يحرك ذلك الوتر كذلك اجزاء العالم ربما تحرك المحرك بعض اجزائه فيتحرك بتلك الحركة جزء

آخر كانه يحس بحركة ذلك الجزو لان اجزاء العالم كلها منتظمة بنظام واحد كانه حيوان واحد
فكما ان بعض اعضاء الحي يحس بالاثر الواقع على بعض لشدة اتصالها وارتباطها وايتلافها فكذلك
يحس بعض اجزاء العالم بالاثر الواقع على بعض لشدة اتصالها وارتباطها وفي الاشياء
الارضية قوى يفعل افاعيل عجيبة ويوثر تاثيرات غريبة وانما نالت تلك القوى
من التاثيرات السماوية ومعونتها ومن اجل ذلك استعمل الناس الرقى والدعاء وهم لم يرقوا
ولم يدعوا بدعائهم ذلك من قبل انفسهم ولكنهم اذا رصدوا الاشياء الموثرة ذات القوى
العجيبة واستعملوها في الوقت الملايم لذلك اثرت تلك الاثار في الشي المراد ومهما عرض
من دعاء الداعي وطلب الطالب امر عجيب ايضا من جهة الحكمة وهو ان يكون دعاؤه يوافق تلك القوى
وهي تنزل الى هذا العالم فيوثر اثارا عجيبة وربما يكون ذلك لقول بقوله القايل
انشد لعلي ع تعالى الجاهل يكون فلعل ما :: يقال لشي كان الا يكون
فاذن ليست بعجب ان يكون الداعي بما يسمع منه لانه ليس بغريب من هذا العالم ولاسيما
اذا كان مرضيا صالحا تقيا وكذا ليس بعجب ان يسمع منه وان كان شريرا لان المرء
الشرير يعتدي بما يعتدي به الحية :: والنهر يشرب منه الكلب والاسد
فكذلك الفيض الالهي والخير السماوي مباح لجميع الناس ومزاح فيه عللهم ثم التمييز لا يسير
آخر موقة ويوم آخر ادهى ومكان اخرى اعلا قالوا وانما المرء الفاضل التقي لا يقبل اثار الموثرات
العارضة من اصحاب السحر والرقي ولا ينفعل من افاعيلها المزرية بنفسه العالمة الزاكية
ولا يهوله شي من ذلك ولا يريبه ولا يزيله عن حالته الحسنة المرضية وان انفعل شيا يسيرا
فانما ينفعل بما كان فيه من الجزء الحيواني من اجزاء العالم من غير ان يوثر فيه الاثار
الردية المفرطة كالعشق والتخييل بالسحر وما اشبه ذلك لان مثله لا يوثر في مثله كسحر
لبيد بن عاصم اليهودي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يكن باكثر من ثقل واحب فلما امتنع
سحره من حيث طلع عند لعوذة نزل استراح من ذلك الثقل كانما انشط من عقال واما
نفسه الطاهرة ورايه الصايب وحزمه الثابت فلم يوثر في ذلك لا قليلا ولا كثيرا ولما
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما تقربه عند ابتداء الوحي لخديجة اني اخاف ان
يعرض لي شبه الجنون قالت كلا انك لتصل الرحم وتكسب المعدوم فذكرت من طهارة اعماله
ان يلحق بها شي من التاثيرات الردية الخبيثة وهذا قريب مفهوم فان من الاثار ما يقع
في النفس الحيوانية فيقبلها دون النفس العاقلة التي تتخلى عنها ومنها ما لا يقبلها بوجه
تاما اذا مالت اليه بانبساط ودواعي مطيعة بمن تغمر عليه ومنها ما تقبلها النفس العاقلة

الراكبة

الراكبة لمناسبتها اياها فكما ان صاحب الحب في بدنه فيوثر في النفس البهيمية الاثر الذي
اراد كذلك النفس العاملة الراكبة به في تخلاف رقية الراقي فيدفع ذلك الاثر عن النفس
الحيوانية ولمنعها من قبوله وتنقى منها الاثر الذي اراد ان تحل بها او وقد كان قد حل
فاما ما كان من موت او مرض او اثار سماوية فانه يقبلها ويوثر فيه لانه جزء من اجزاء
هذا العالم والجزء ينفعل في الجزء الاثار بمشية الله وتلك الاثار لطفة فيقو حينئذ
منهما قالوا وينبغي ان يعلم ان كل امر مايل الى شي اخر غيره فهو قابل من اثاره ومنصرف على
ما صرفه عليه من كان مسلطا اليه وهو راغب لانه منقاد لذلك سريعا ولا يمتنع فاما المرء الذي
لا يميل الى غيره بل انما يميل الى ذاته فقط واليها ينظر دايما حتى كيف يصلحها ويقومها عن
ورآها وانه المرء الذي لا يعتقد راي الساحر ان يسحر ولا الموثر الراقي والوهم ان يوثر فيه والمحتال
العظيم المحتال الذي يحبا به الهيبوه من الاحتيال وكل امر كان في حيز العمل لا في حيز الراي ومن لم يجد
الشياطين ولخراب الاثر فانه يقبل الاثار العارضة من ذلك بسرعة وسهولة لانه في طريق
العمل وسد الهوى وهي في افق اللذات الحيوانية فتحركه الاشياء الذي يستلذها او هو كالحسن والجمال
فان المراة الحسناء تجر اليها المرء الذي لم يتوفر على الراي فيجد اليها بطبعه من غير ان يحتاج
الى تحبب وخلابه وتشبب وحيلة وقد يقول بعض الواصفين ان فلانا الحسن الجميل وانه وان كان
واحدا لكنه فيما يريد بذلك ان كل من راه احبه وله يود مفارقته من اجل جماله وان
الذين احبوه كثير عددهم فلان افاكثير ليس بواحد فقد صح ووضح ان كل جزء من اجزاء هذا
العالم ينفعل من التاثيرات السماوية على نحو جبلته وهيئته ويفعل في غيره على نحو قوته
كما ينفعل اجزاء الحي بعضها من بعض ويفعل بعضها في بعض على نحو هيئة العضو وخاصيته
وان المرء الذي لا ينقاد للاهواء الجزئية ولا يلتفت الى ما تحسنه الجبلة وتزينه وتسوله النفس
وتزخرفه بل ينظر الى ذاته فذلك المرء وحده هو الذي يخوض مواقع التاثيرات الارضية بل
هو الذي يوثر فيها او يسخرها ويظهر عليها تحقيق ذلك ان الصور التي في النفس هي مبدا لما
يحدث في الموثرات كما ان الصورة الصحيحة التي في نفس الطبيب هي مبدا لما يحدث من البرء
في نفس المريض وكذلك الصورة السرير في نفس النجار مبدا عملها لما هو واقع عملا لكنه من المبادي
الذي لا تنساق الى ما هو واجب الا بالالات ووسايط وذلك المجرى فيه عن تامل حال المريض
الذي يتوهم انه قد صح او الصحيح الذي يتوهم انه قد مرض فانه كثيرا ما يعرض من ذلك اذا تاكدت
الصورة في نفسه وفي وهمه ان ينفعل منها عنصره فكانت الصحة او المرض ولهذا السبب يمكن الانسان
مثلا ان يعدو على جذع مطروح على قارعة الطريق ثم ان كان مثله موضوعا كالجسر على هاوية

لعجز ان يمشي عليه دبيبًا الا بالهوينا لانه يتخيل في نفسه صورة السقوط تخيلاً قويًا
فيجيب الى ذلك طبيعته وقوة اعضائه ولا يجيب الى جملة من الثبوت والاستمساك
فالصورة اذا استحكم وجودها في النفس وجب ان يوجد كذلك ويتبع صورة التي صورة
اعتقادًا نقيًا فقد يعرض كثيرًا ان ينفعل عنها المادة التي من شانها ان ينفعل عنها
ويكون منها ثم ان كان ذلك في النفس الكلية التي للسماء والعالم جاز ان يكون مؤثرًا في
طبيعة الكل وان كان في نفس جزئية جاز ان يؤثر في الطبيعة الجزئية وكثيرًا ما يؤثر
النفس في بدن آخر كما يؤثر في بدن نفسه نحو تاثير العين العائنة والوهم العامل بل
النفس اذا كانت زاكية قوية الشرف شبيهة بالمبادي اطاعها العنصر الالهي الذي في
العالم وانفعل عنها ووجد في العنصر ما يتصور فيها وذلك لان النفس الانسانية كما بيناه
في مجلس الفصل بين النفس والروح غير منطبعة في المادة التي لها لكنها متصرفة لها فاذا
كان هذا الضرب من التعلق يحصل لها ان تحيل العنصر البدني عن مقتضى طبيعته فلا يبعد
ان يكون النفس الشريفة الزاكية القوية جدًا تجاوز بتاثيرها ما يختص بها من الابدان اذا لم
يكن انغماسها في الميل الى ذلك البدن شديدًا قويًا وكان مع ذلك غالبًا في طبقة متينًا
في ملكته مقدسًا في صفته فيبري هذه النفس المريض ويمرض الاشرار ويتبعها ان يهدم
طبايع وان يؤكد طبايع وان يستحيل لها العناصر فيصير غير النار نارًا او يكثف الماء طبيعة الارض
والطف صورة الماء ويحدث بارادته ودعائه امطار وخصب كما يحدث خسف ومسخ كل ذلك
بحسب الجائز في العقل وبالجملة فانه يجوز ان يتبع ارادته وجود ما يتعلق باستحالة العناصر
في الاضداد فان العنصر بالجملة مطيع للنفس وطاعته لها اكثر من طاعتها للاضداد المؤثرة ومنع
ايضًا من خواص الامور النبوية وداخل في كرامات الاولياء والفقهاء ايضًا قد تنبهوا عليه
حيث انعقد اليمين على صعود السماء وعبور البحر ذهبًا بخلاف اليمين على شرب ماء الكوز ولا
ماء وان كان الله عز وجل قادرًا على ان يخلق في الكوز ماء ولكن الخالق في الماء غير المحلوف على
شربه والحجر الصلد هو المحول ذهبًا فهذا تمام ما قلناه في هذه التانيات وصلنا بجناح هذا
المجلس لحاجة في نفس بعض اخواننا الى ذلك ثم رجعنا الى كلامنا على ما في نسخة الاصل وهو انه
لا خلاف بين اكثر اهل الشرايع ان الدعا الخالص والابتهال الصادق في الجملة من معظم ابواب
العبادات وكالاصول لانواع الخيرات بل هو اوثق ما يستعصم به من الافات وامتن ما يؤمن
له من النكبات وهل خالص الدعاء الا مع الاعتراف بالذلة والنقص والاضطرار والعجز عقدًا
ولسانًا وهيئة ونصبة وانه لا فرج له الا السيد ولا خير له الا من عنده قولا وضميرا فيتردد

تفسح

لسانه بانواع التضرع والجوار ويتصرف فيها ويخوض فيها في ضروب من الشكل والحركات
كما يروى عن جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه قال هكذا الرغبة وابرز باطن راحته الى السماء
وهكذا الرهبة وجعل ظاهر كفه الى السماء وهكذا التضرع ويحرك اصابعه يمينًا وشمالاً
وهكذا التبتل ويرفع اصابعه مرة ويضعها اخرى وهكذا الابتهال ومد يديه تلقاء وجهه
الى القبلة وكان لا يبتهل حتى تجري دموعه وينخفض بصره وهل الخلاص بالعبادة الا هذه
الاحوال فلئن كان الدعا غير معقول كانت العبادة غير معقولة وقد يكون طاعة وعبادة
من غير دعا ومسالة ولا يكون دعاء ومسالة الا مع طاعة وعبادة فكان الدعا من اشرف عبادة
وعبادة العبادة تتم الشرف الانساني وتخلص الغرض الالهي كما قال الله عز وجل وما خلقت الجن
والانس الا ليعبدون ولانه لا يمتنع ظهور رحمة الله وسابغ جوده في حق العبيد من غير مسالة
وكرامته بالاجابة ويمتنع كرامته بالاجابة حتى يطمئن بفضله ويثق بقبوله ويعلم ان العبد الذي
دعا مولاه فلباه وساله فاعطاه الا مع ظهور جوده وانفتاح رحمته فكان الدعا في اثناء
المزيد فاستجماع اسباب الرحمة مع الكرامة فوق الطاعة والعبادة ولهذا كان رسول الله ص عن
ربه الى خيار خاصته ويباله لنفسه عن صفوة امته وقد امر الله به عباده واكرمهم
غاية الكرامة فقال عز من قائل ادعوني استجب لكم ولو ان ملكًا من ملوك الدنيا كتب الى
خاصته له ان يدعوه لحاجته ويرفع اليه ما اهمه واهمه لوثق بذلك القبول واعتمد عليه
واستطار اسله اليه وامتلا صدره سرورًا وانشراحًا ورجاء وظهورًا وانفتاحًا
فكيف وهذا في كتاب مالك الملوك ورب العالمين فكيف لا يكون العبد على ثقة وهو من
الاجابة ولكنه ينبغي ان ينتظر فيه الوقت الذي يختبر الله فينال اكثر ما سال وينال
كما خطر له الحاجة المسؤلة والرغبة المامولة يساله مغفرة جديدة ورحمة جديدة
وقد قال الله لموسى وهرون قد اجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا
يعلمون اي يستعجلون الاجابة ولا ينتظرون الوقت فينبغي ان يترصد مع ذلك الاوقات
الشريفة وخاصة الاسحار فانها وقت الاستغفار كما قال الله تعالى وبالاسحار هم
يستغفرون وانما قال يعقوب ع سوف استغفر لكم ربي ليدعو في وقت السحر فقام سحرًا
واولاده يؤمنون خلفه ويحاذونه ويبكون فاوحى الله اليه اني قد غفرت لهم وجعلتهم
انبياء وفي الحديث الذي ذكرناه او سيله في جمل اعزة الحديث وهو مدون في عامة
دواوين الحديث ان الله ينزل كل ليلة الى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخير فيقول
من يدعوني فاستجيب له من يسالني فاعطيه من يستغفرني فاغفر له وعن هذا قال النبي ص

حين سئل اي الوقت اجوب دعوة فقال ثلث الليل الاخير وكذلك ينبغي ان يغتنم الداعي الاحوال
الكريمة وفي الحديث ان ابواب السماء تفتح عند زحف الصفوف في سبيل الله وعند نزول الغيث
وعند اقامة الصلوة المكتوبة واغتنموا الدعاء فيها وفي حديث اخر ان الدعاء بين الاذان والاقامة
لا يرد وقال مجاهد ان الصلوة جعلت في خير الساعات فعليك بالدعاء في خلف الصلوة وشرف
الاوقات يرجع الى شرف الحالات ايضا اذ وقت السحر وقت صفاء القلب واخلاصه وخلوصه من
المشوشات والاوقات المكرمة جميعها مظان اجتماع الهم ونقاء الافعال وحسن الاعمال وكما
يؤخذ الحض رفع الايدي في الدعاء نحو السماء نهي عن رفع البصر اليها وفي الحديث لينتهين
اقوام عن رفع ابصارهم الى السماء عند الدعاء او لتخطفن ابصارهم ويستحب خفض الصوت
في الدعاء بين الجهر والمخافتة قالت عائشة في قوله تعالى ولا تجهر بصلوتك ولا تخافت بها
انه بدعائك وربما كرهوا السجع في الدعاء ويعد ذلك من الاعتداء المنهي عنه في هذه الحال
كما قال تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين وفي الحديث اياكم والسجع في الدعاء
بحسب احدكم ان يقول اللهم اني اسالك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار
وما قرب اليها من قول وعمل وقال بعضهم ادع بلسان الذلة والافتقار لا بلسان الفصاحة
والانطلاق ويقال ان الابدال لا يزيد دعاؤهم على سبع كلمات وليس في القرآن دعاء اعم واوفى مما
في اخر سورة البقرة وذلك نحو [illegible] على سبع كلمات والاحسن ان يسبق الدعاء ذكر الله والحمد
له والثناء له والتوسل في الدعاء بالصلوة على الرسول صلى الله عليه وسلم ادعى للاجابة فان
الله اكرم من ان يحبط دعاء العبد ويمنع الشطر الاخر ومن قبل كل شيء ينبغي ان يقدم الدعاء
التوبة عن الماثم والخروج عن المظالم وفي الاسرائيليات ان الناس قحطوا القحط شديدا
على عهد موسى صلعم فخرج بهم موسى يستسقين فلم يسقوا حتى فعلوا ذلك ثلث مرات فاوحى الله تعالى
الى موسى اني لا استجيب لك ولمن معك وفيكم نمام فقال موسى يا رب ومن هو حتى نخرجه من بيننا
فاوحى الله اليه يا موسى انهاكم عن النميمة واكون نماما فقال موسى لبني اسرائيل توبوا باجمعكم
من النميمة فتابوا فارسل الله عليهم الغيث وفي حديث سليمان عم انه خرج يستسقي فمر
بنملة مستلقاة على ظهرها رافعة قوائمها الى السماء وهي تقول اللهم انا خلق من خلقك ولا
غناء بنا عن رزقك فلا تهلكنا بذنوب غيرنا فقال سليمان ارجعوا فقد سقيتم بدعوة
غيركم وحكى الاوزاعي قال خرج الناس يستسقون فقام فيهم بلال بن سعد فحمد الله واثنى عليه
ثم قال يا معشر من حضر الستم مقرين بالاساءة قالوا اللهم نعم قال اللهم انا سمعناك تقول ما على
المحسنين من سبيل وقد اقررنا بالاساءة فهل تكون مغفرتك الا لمثلنا اللهم اغفر لنا

وارحمنا

وارحمنا واسقنا ورفع يديه ورفعوا ايديهم فسقوا وقال عطا السلمي منعنا الغيث فخرجنا
نستسقي فاذا نحن بسعدون المجنون في المقابر فنظر الي فقال يا عطا اهذا يوم النشور او بعثر ما
في القبور فقلت لا ولكنا منعنا الغيث فخرجنا نستسقي فقال يا عطا بقلوب ارضية او بقلوب
سماوية فقلت بل بقلوب سماوية فقال هيهات يا عطا قل للمتبهرجين لا تتبهرجوا فان
الناقد بصير ثم رمق السماء بطرفه وقال الهي وسيدي لا تهلك بلادك بذنوب عبادك ولكن
بالمكنون من اسمائك وما وارت الحجب من آلائك الا سقيتنا ماء غدقا تحيي به العباد وتروي البلاد
قال عطا فما استتم الدعاء حتى ارعدت السماء وجاءت بمطر كافواه القرب فولى وهو يقول

نعم الزاهدون والعابدونا ... اذ لمولاهم اجاعوا البطونا
اسهروا الاعين الكليلة فيه ... فانقضى ليلهم وهم ساهرونا
شغلتهم عبادة الله حتى ... قيل في الناس ان فيهم جنونا

ثم اعترضت هذه الحكايات في اثناء تصحيح امر الدعاء وهي باختتام المجلس اشبه فاما ما كنا فيه
من تصحيح ذلك ما روى عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اعطيت امتي ثلثا
لم تعط الا الانبياء كان الله اذا بعث النبي قال له ادعني استجب لك وقال لهذه الامة ادعوني
استجب لكم وكان الله اذا بعث النبي عم قال له ما جعل عليك في الدين من حرج وقال لهذه الامة
ما جعل عليكم في الدين من حرج وكان الله اذا بعث النبي جعله شهيدا على قومه وجعل هذه الامة
شهداء على الناس وروي عبد الله بن مسعود ان قريشا قالت اقريب ربك يا محمد فنناجيه
ام بعيد فنناديه فنزل قوله تعالى واذا سالك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداعي
اذا دعان وعن بعضهم ان الدعاء الذي تحق اجابته ان يقول العبد في اخر صلوته على اعتقاد
خالص ويقين صادق اللهم انك امرتنا بالدعاء وقضيت على نفسك بالاجابة ولا ينقص من فضلك ان
تعطينا فلا يليق بكرمك ان تفتقر في غناك او تبخل في فضلك او تذل في عزك او تضام في
سلطانك او تضطهد والامر لك وفي كلام بعض السلف الدعاء مفتاح الحاجات ومستروح اصحاب
الفاقات وملجا المضطرين ومتنفس المكروبين وكان ابو حازم يقول لان احرم الدعاء اشد علي من
ان احرم الاجابة وعلى هذا كان يقول بعض الصوفية الدعاء يوجب الحضور والعطاء يوجب الصرف
والمقام على الباب اشرف من الانصراف بالمبار وقيل لبعض المشايخ لو دعوت لنا فقال انا
ادعو لك ولكن ينبغي ان تكون انت ايضا بالحضرة فاذا دعوت ولم تكن بالحضرة لم ينفع دعائي
وجاءت امرأة الى الجنيد فقالت ادع الله لي فان ابنا لي ضاع فقال اذهبي واصبري ففعلت ذلك
مرارا والجنيد يقول اصبري فقالت عيل صبري [illegible] فقال الجنيد اذهبي

فقد رجع ابنك فعادت تشكو وتدعو له فقبل الجنيد ثم عرفت فقال بقوله امن يجيب المضطر اذا
دعاه ويكشف السوء وذكر عبيد الله بن ابي صالح قال دخل علي طاوس يعودني فقلت ادع
الله لي فقال ادع انت لنفسك فانه يجيب المضطر اذا دعاه وانت مضطر ومما جاء من الدعاء
الخالص وان كان صاحبه مشركا غير مخلص ما يروى في احاديث عبد المطلب فانه لما تتابعت
علي قريش السنوات والجدب عليهم اللزبات خرج عبد المطلب ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو غلام فقال اللهم ساد الخلة وكاشف الكربة انت عالم غير معلم ومسئول غير مبخل
وهذه عبادك واماؤك بعذرات حرمك يشكون اليك سنتهم التي اكلت الظلف والخف
فاسمعن اللهم وامطرن غيثا مغدقا فما برحوا حتى انفجرت السماء بمائها وانعجت
بمائها وكظ الوادي بثجيجه فقالت رؤس قريش وجلتها هنيئا لك يا ابا البطحاء هنيئا
عاش بك اهل البطحاء ولما سار الاشرم صاحب الحبشة مع الفيل الى مكة لهدم البيت سمعت
به قريش لحقوا بمكة احدا منهم الا عبد المطلب وعمرو بن عائذ بن مخزوم وارسل الاشرم الاسود
بن مقصود في خيل ليأخذ الا لقريش من ناحية بتبير فيها ماتنا ناقة لعبد المطلب وارسل
رسولا فقال انظر من بقي بمكة فرجع وقال لم ار بها احدا سوى رجل لم ار مثل طوله وجماله فلما
راه استجهره وامر له بسرير فجلس عليه ودنا منه فازداد به عجبا ثم قال له سلني حاجتك قال
ابلي فارددها علي فقال الاشرم لقد زهدت فيك بعد عجبي بك فقال ولم ذاك ابيت اللعن
قال جئت لاهدم شرفك وعزتك وتركتني ان تسألني فيه فسالتني الابل فقال والله لهو اي
اعز علي من نفسي ولكن له صاحب ان شاء ان يمنعه منعه وان تركها هو اعلم فامر برد ابله
فوردت فخرج عبد المطلب فقام بفناء البيت يدعو الله ويقول

لاهم ان المرء يمنع رحله فامنع حلالك
قد كنت تمنع ان يحل به سواك فابد الك

فاتم الدعا حتى كان من امر الفيل والحبشة ما قصه الله وعظمت قريش في اعين العرب فسموهم
اهل الله ودعا العباس بن عبد المطلب حين استسقى به عمر عام الرمادة اصوب دعاء
عرفه الناس فانه لما خرج عمر يستسقي به قال اللهم انا نتقرب اليك بعم نبيك وبقية ابائه
وكبر رجاله فانك تقول وقولك الحق واما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان
تحته كنز لهما وكان ابوهما صالحا فحفظتهما لصلاح ابيهما فاحفظ اللهم نبيك في
عمه فقد دلونا به اليك مستشفعين ومستغفرين ثم اقبل على الناس وقال استغفروا ربكم انه
كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا فقام العباس وعيناه تنضحان وشيبته تجول على صدره

وهو يقول

وهو يقول اللهم انت الراعي لا تهمل الضالة ولا تدع الكسير بدار مضيعة وقد ضرع الصغير ورق
الكبير وارتفعت الشكوى وانت تعلم السر واخفى اللهم فاغثهم بغياثك من قبل ان يقنطوا
فيهلكوا فانه لا ييأس من روحك الا القوم الكافرون فنشأت طريرة من سحاب فقال الناس
ترون ترون ثم تلامت واستتمت ومشت فيها ريح ثم هزت ودرت فوالله ما برحوا حتى
اعتلقوا الحذاء وقلصوا المآزر وطفق الناس بالعباس يمسحون اركانه ويقولون هنيئا لك
ساقي الحرمين ويرون ما كان من استسقاء ابيه عبد المطلب بمكة فنسبوه اليه ومما يحكى
من امر الدعا ان الهادي كان من الحج العباسيين بقتل الطالبيين فهم بموسى بن جعفر فاستشار
موسى اهل بيته فقالوا نرى ان تتباعد عنه وتغيب بشخصك عنه فانه غير مأمون الشر
عليك فتبسم ثم قال زعمت سخينة ان ستغلب ربها وليغلبن مغالب الغلاب
ثم رفع يده الى السماء فقال الهي كم من عدو لي تحد لي ظبة مديته وارهف لي شبا حده
وداف لي قواتل سمومه ولم تنم عني عين حراسته فلما رايت ضعفي عن احتمال الفوادح وعجزي
عن ملمات الجوائح صرفت ذلك عني بحولك وقوتك لا بحولي وقوتي فالقيته في الحفير الذي
احتفره لي خائبا مما امله في دنياه متباعدا مما رجاه في اخرته فلك الحمد على ذلك
قدر استحقاقك اللهم فخذه بعزتك وافلل حده عني بقدرتك واجعل له شغلا فيما يليه
وعجزا عمن يناويه اللهم واعدني عليه عدوى حاضرة تكون من غيظي شفاء ومن حنقي عليه
وفاء وصل اللهم دعائي بالاجابة وانظم شكايتي بالتغيير وعرفه عما قليل ما وعدت الظالمين
وعرفني ما وعدت في اجابة المضطرين انك ذو الفضل العظيم والمن الكريم ثم تفرق القوم فما
اجتمعوا الا لقراءة الكتاب بموت موسى الهادي وذكر المسيب بن زهير قال كنت لا اقدر ان افارق
باب المنصور اذا كان جالسا وكان يطيل الجلوس في الخضراء الذي في قصره فقيل لي ذات
يوم قد ارتفع امير المؤمنين فبادرت الذهاب الى منزلي فلما صرت فيه اتاني رسوله فقال
اجب امير المؤمنين فقلت وقد علم بمصيري الى منزلي قال نعم فاغتممت لذلك وخفته فمضيت ودخلت
عليه وهو جالس وحده وبين يديه فتى قائم خائف لم ار قط اجمل منه ولا احسن وجها وعليه قميص
فقط فقال لي يا مسيب اين كنت فقلت يا امير المؤمنين قيل انك قد تقدمت فمضيت الى
عبيدك لاجدد بهم عهدا فاقبل ثم جاء الى مجلسه فرفع راسه وقال لي مغضبا خذ بيد
هذا وادخله البيت الاخر فانظر من تراه في ذلك البيت فادفعه اليهم فاخذت بيده فقلت انا لله
وانا اليه راجعون كيف بليت بهذا فلما جاوزت به الرواق سمعت الفتى يقول اللهم الطف بي
بلطفك الخفي ومضينا الى البيت فرأيت فيه سودا نائمين ما ينتظرون مجيئنا على شفير بير

وفقدت الفتى فوالله لا ادري ارض ابتلعته ام هواء رفعه ام سماء صار فيها وبقيت وحدي
حيران لا ادري ما اصنع وجعلت التفت يمنة ويسرة وانظر الى الاودية والجبال ولا ارى له
اثرا فلما طال ذلك علي رجعت الى المنصور فلما بصر بي قال الويل لك ودفعته الى من ثم قلت يا امير
المؤمنين الامان قال ابشر يقول ويلك فقلت له الامان فزاد علي ورددت عليه القول الى
ان قال لك الامان قلت يا امير المؤمنين كان من قصته كيت وكيت واخبرته بما سمعته من الفتى
فاطرق طويلا لا ينكت الارض بيده يقول لنفسه لطف والله له لطف والله له ثم رفع راسه الي
فقال والله لئن سمعت هذا الحديث من احد لاقتلنك لاجزع فاحدثت به احدا حتى مات ابو
جعفر وكان الفتى علويا **وذكر سليمان بن مخلد** قال خرجت مع المنصور زمن هشام بن عبد
الملك والمنصور على حمار متستر وانا اسوق حتى وردنا رصافة هشام ونزلنا على مسلمة
بن عبد الملك وكان للمنصور صديقا فاعلم الغلام بمكانه واستماحه فامر باعطائه خمسمائة درهم
واضاف اليها مسلمة من ماله خمسمائة اخرى ودفع الجميع الى المنصور وقال له اعرف هشام لا نعم
في البلد وامر حين تثبت مصاحبا ونزود ناسلمة سفرة كان قد اعد فيها طعاما
حسنا فعلقتها على الحمار وخرجنا من الليل فبينا نحن نسير وقد انفلق الصبح ولمنات الدنيا
اذا هشام قد ادركنا متصيدا فقال ابو جعفر اعدل بنا عن طريقه لئلا يرانا فعدلنا وقام
يصلي الغداة وبصر بنا هشام فقال لاخيه مسلمة وهو يسايره من صاحب الحمار والرجل
الذي معه فقال له هذا ابن عمك عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس اوصلت اليه
جائزتك وامرته بالخروج في الليل فسمع واطاع وخرج على حمارة هذا فكان هشاما رق له
فنزل عن فرسه وقال لبعض غلمانه امض به الى ذلك الفتى حتى تدفعه اليه قال فاتانا به الغلام
فاخذناه فركبه المنصور وركبت الحمار وسرنا حتى اذا انبسطت الشمس ووجبت صلوة الضحى نزل
ابو جعفر وانا امسك عليه فركع ست ركعات وسجد فسمعته يقول في سجوده اللهم اني اسالك
بمحمد وبال محمد كما اركبتني فرسه فاجلسني مجلسه اعاد ذلك مرارا ثم رفع راسه وقال
هات شيئا ناكل فاتيته بالسفرة فوجدنا فيها احسن طعام فجعلنا ناكل حتى وقف علينا
سائل كان الارض قد انشقت عنه وعليه فروة حمراء وبيده عصا عوج فقال تصدقوا علي
رحمكم الله فقال له ابو جعفر صنع الله لك يعطي الشيخ فكان ابا جعفر ندم فقال يا سليمان خذ
السفرة بحالها والحق بها ذلك الشيخ فادفعها اليه فاخذتها واسرعت في خطوي حتى لحقته
فسلمت عليه فرد السلام وقلت له ان هذا الفتى الذي وقفت عليه ابن عم رسول الله صلى الله
عليه وسلم فكر في امرك وانت بمقطعة من الناس وفي دار مضيعة فبعث بسفرته وجميع طعامه

اليك

اليك فتبسم الشيخ وقال اقرا السلام وقل له لا حاجة لنا في طعامك ان الله عز وجل قد
سمع دعاءك وانت تقول اللهم كما حملتني على فرسه فاجلسني مجلسه وان الله سيفعل ذلك
بك فانظر كيف تكون لرعيتك فرجعت الى المنصور بالجواب فقال قدم الي فرسي ما هذا الا
الخضر فركب فرسه ودار في تلك الصحراء بقية يومه فلم ير له اثرا فهذا امر عجيب بالدعاء **ومن**
تاثير الدعاء وعمل التضرع ما يذكر عامة من ركب البحر من ظهور علامة النجاة عند صدق الدعوات
واخلاص الرغبات وذلك انه اذا لعبت بالسفن امواج بالعواصف متلاطمة واظلمت الجبال من
السحائب متراكمة واسلم اهلها ارواحهم للرياح تعصف بها وصارت الحيلة مغلوبة
والمسكنة مسلوبة والقلوب دهشة والاعضاء مرتعشة والصدور حرجة والنفوس حرى
فالتجأوا عند ذلك الى الله باخلص الدعاء ومسئلة الاغاثة والاستكفاء فان اجيبت دعوتهم
ظهرت على فضل النشابة المشدودة بالدقل علامة كالكوكب ضخم يلوح في غسق الليل
فتبتهج السفينة عند ذلك بالسرور والابتهاج وان كانوا بعد في حاق الامواج
ومما يثبت امر الدعاء ويحقق لك الاجابة عند سماعه ونزول الرحمة عند ارتفاعه من
الدليل التقسيمي ان التاثيرات جميعها على اربعة اقسام فمنها تاثير الاجسام في
الاجسام نحو اثر الاغذية في ابداننا سمنا ولينا والادوية في اخلاط مستعمليها
ومنها تاثير الارواح في الاجسام نحو الاصابة بالعين وتاثير الصوت الجهير في الاذن
ومنها تاثير الاجسام في الارواح كالانتفاع بتعليق بعض الجواهر النباتية والاحجار
المعدنية في دفع امراض واعراض على طريق الخاصية كما صنفت فيها الكتب في خواص
الاشياء ومنها تاثير الارواح في الارواح كالاصوات الشجية والالحان الملهية
التي تصل الى النفس فتحييها بجلب روح وراحة وتنتقل بها من حالة الى حالة على ما
ذكرنا من قبل وكالتفات كبر الباعثة على الاصلح في الافعال والمواعظ الداعية
الى الاصدق في الاقوال ومن نوع هذا التاثير الادعية المسموعة فانها تثير من
الكوامن القوى الروحانية الموكلة باصلاح البرية ما لا يقدر قدره ولا يعلم امره الا
الله تعالى وهو الذي انزل بركاتها على عباده وتابع اثارها في بلاده واذن في
صعودها الى السماء بغير حجاب ووصل جناحها بالاجابة من غير ارتياب

وما ابدع قول الاعرابي

وسارية لم تسر في الارض تبتغي ∴ محلا ولم يقطع لها السير قاطع
سرت حيث لم تحد الركاب ولم تنخ ∴ لورد ولم يمنع لها السير مانع

بسير هذا الليل والليل ساقط ؛ بأرواقه فيه سمير وهاجع
اذا اوردت لم يردد الله وردها ؛ على اهلها والله راءٍ وسامع
تفتح ابواب السماء ودونها ؛ اذا قرع الابواب منهن قارع
واني لارجو الله حتى كانما ؛ ارى بجميل الظن ما الله صانع

وقال آخر في تحقق الدعاء الخالص والرجاء الصادق

بعثت الى رب البرايا رسالة ؛ ترسل لي فيها رجاء مناصح
فجاء الجواب بالاجابة وانجلت ؛ بها كرب ضاقت بهن الجوانح

وقال آخر في اجابة الدعاء ولو بعد حين

اتلعب بالدعاء وتزدريه ؛ فسوف ترى ما صنع الدعاء
سهام الليل لا تخطي ولكن ؛ لها امد وللامد انقضاء

وقد كانت المعالجة في الزمان القديم بالطب الروحانية المتعلقة بالادعية المرفوعة عن والاسولة المسموعة الصادرة عن الانفس الصافية المصاحبة للافعال الزاكية وهو في الحقيقة على مضادة السحر والعزيمة والرقى والعرافة والكهانة فان السحر من نتايج الكلمات المؤلفة من الشرك والعناد والافعال الحاصلة عن اهل الفساد من التمرد لتسخير الشياطين ومردة العفاريت الملاعين والله تعالى اضاف تعليمه اليهم بقوله ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ووصف صورة الانسان الذي يتعلمه فقال هل انبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل افاك اثيم وقد شرحنا ذلك باجمع قول واصح شرح في تفسيرنا الكبير الموسوم بكتاب التفصيل في التفسير والتاويل **واما** الرقى فقد يكون من كلمات الله السماوية وهي النجح وردت اخبار بما قد فسرنا في جمل الغرايب وقد يكون من خصايص العزايم ومخاطبة الجن والشياطين وهي التي نهت اخبار عنها وكانت العرافة الجاهلية من هذا القبيل **كما قال عروة بن حزام**

بذلت لعراف اليمامة حكمه ؛ وعراف نجد ان هما شفياني
فما تركا من سلوة يعرفانها ؛ ولا رقية الا بها رقياني
فقالا شفاك الله والله ما لنا ؛ بما ضمنت منك الضلوع يدان

واما الطب الروحاني بالدعاء الخالص واليقين الصادق فليس ذلك من هذه الانواع ولا يتعلم ايضا انقسام الرقى ولا يكون ابدا الا من علانية الكلمات المؤلفة من توحيد الله وتحميده وتمجيده وخصايص الاقاويل المهذبة المنبية للقدم على الطريقة المثلى الصادق

بالهم

بالهم عن عرض هذا الادني فان من اسلم وجهه واخلص عليه نفسه واجتهد في التشبه باخلاق الملايكة الذين هم لباب الخليقة وصفوة العالم اطاعوه فيما اتيناه ولم يخالفوا عليه ما يحاوله واصبح معتمد البشر في استنزال البركات واستدفاع ما يعرض من الافات وطهما وردت السنة في مداواة كل مرض وبلية بتفرقة الصدقات في البرية فان امطار البر والصدقة منبتة اشجار الحب والمقة مثمرة لفرط الميل والشفقة ثم المرزوق من غايل الصدور والمحبة اذا عرض له عارض محنة لم يعقد في جملتهم من اتى نفسه بالخلوص والصفا والطهارة والنقا وحلى باطنه بصدق السريرة وعالنه بحسن السيرة كما وصفهم الله بقوله اولئك كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون حتى اذا قرا شيئا من اسماء الله او دعي بشيء من كلام الله موطئا خاطر قلبه وموجها صدره على تحقق امل او انشاء اجل او استشفاء داء او استكشاف بلاء ظهر تاثير الاجابة في دعوته واشرقت انوار الراحة ببركته وكذلك قال رسول الله صلى الله عليه واله رب ضعيف مستضعف ذي طمرين لا يوبه به لو اقسم على الله لابره منهم البراء بن مالك فيقال ان الناس اجتمعوا اليه وقد دهمهم العدو فاقسم على الله فنصرهم الله اكتافهم **وروى** ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم ليدخلن من هذا الباب رجل ينظر الله اليه بحبة اياه ثم اقبل على ركعتين يركعهما فقال ابو هريرة في نفسه لاحرجن حتى الله ان يجعلني ذلك الرجل الذي ينظر اليه بحبة اياه فلما اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم دخلت فقالت انك لستة فقلت في نفسي ومن هذا الذي ينظر الله اليه فاذا بغلام للمغيرة بن شعبة يقال له هلال وغاير العينين ذابل الشفتين احمش الساقين اخمص القدمين مهزول معروق مفلوع صفرة وكود وهو يحرك شفتيه بالذكر فسلم فقال له مرحبا يا هلال هل لك في الغداء فقال لا الا ان يرى رسول الله ذلك قال بل ثم على ما انت عليه وصل على فقال هلال اللهم صل على محمد وارحمه فقال صلى الله عليه وسلم ابن ابيب ثم اقبل هلال على ركعتين يركعهما والنبي ينظر في قفاه ويقول سبحان الله ما اكرمك على الله ما احبك الى الله فلما انفتل من صلوته سلم على النبي صلى الله عليه وسلم وانصرف الى منزل مولاه والرسول صلى الله عليه وسلم ينظر في قفاه ويقول سبحان الله ما بقي من اجله الا ثلثة ايام حتى يقضى فقال ابو هريرة الا تعلم ذلك يا رسول الله فقال لا الا اني اكره ان ازيد عمالي الحزن وانا هلال فقوته لموت ان قلبه تحت العرش وعقله في الخندق فلما كان اليوم الثالث قال النبي صلى الله عليه وسلم مات

والله هلال رحم الله هلالا فقوموا بنا اليه والذي نفس محمد بيده لقد وضع وجهه بين يدي ربه
فقاموا والنبي امامهم حتى انتهوا الى باب المغيرة فلما سمع بالنبي صلى الله عليه وسلم خرج مسرعا
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الذي حدث في داركم فقال ما حدث في دارنا الا خير فقال

يا مغيرة

بل اتاكم طارق من الله فاخذ خير اهل الدار فقال المغيرة ما مات من دارنا احد قال فاخبرنا اسودكم
في هلال فان مكانه الذي يكون فيه فادخله المغيرة الى اصطبل الدواب فاذا هو ميت على الزبل و
التراب فلما نظر النبي صلى الله عليه وسلم اغرورقت عيناه فقال عند الله احتسبك يا هلال
يا مغيرة ان لله في كل دهر سبعة اعبد بهم تنصرون وبهم تمطرون وبهم ترزقون لو اقسموا على
الله لابرهم وكان هلال منهم ومن افضلهم والذي نفس محمد بيده لو تافي على الله بزوال الدنيا ه
زالت عن مكانها ثم نظر النبي صلى الله عليه وسلم الى من معه من الصحابة فقال خذوا في غسل
اخيكم فقمتم وانا اغسله وادرجه النبي صلى الله عليه وسلم في اكفانه ثم حمل الى قبره فلما لحدوه
انصرف النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا هلال اقدم على آل محمد الماضين منهم مكرم عند الله
احتسبك ما تركت خلفك نظيرك لهذا الحديث شين صدق رغبة الرسول صلى الله عليه وسلم
في الدعاء فكيف يكون حاجة غيره اليه وقد استد الكلام في المجلس واستوفي القول فيما يتعلق
بالدعاء واحواله فلنختم المجلس بدعاء جامع مستخرج من ادعية النبي صلى الله عليه وسلم وغيرها ينجح
درك الحاجات وركن الدعوات وهو اللهم اني اسالك رحمة من عندك تهدي بها قلبي وتجمع
بها شملي وتلم بها شعثي وترد بها الفتن عني وتصلح بها ديني وتحفظ بها غائبي وترفع بها
شاهدي وتزكي بها عملي وتبيض بها وجهي وتلقني بها رشدي وتعصمني بها من كل سوء اللهم
ما قصر عنه رايي وضعف عنه عملي ولم تبلغه نيتي وامنيتي من خير وعدته احدا من عبادك
او خير انت معطيه احدا من خلقك فاني ارغب اليك فيه واسالكه يا رب العالمين اللهم اجعلنا
هادين مهتدين غير ضالين ولا مضلين اللهم اني اسالك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت
منه وما لم اعلم واعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم اعلم واسالك الجنة
وما قرب اليها من قول او عمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول او عمل يا حي يا
قيوم برحمتك استغيث لا تكلني الى نفسي طرفة عين واصلح لي شاني اللهم انت ربي لا اله الا
انت عليك توكلت وانت رب العرش العظيم لا حول ولا قوة الا بالله العظيم ما شاء الله كان وما
لم يشأ لم يكن اعلم ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما اللهم اني اعوذ
بك من شر نفسي ومن شر كل دابة انت آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم اللهم اني اسالك
العفو والعافية في ديني ودنياي واهلي ومالي اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي واقل

عثراتي

عثراتي واحفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي واعوذ بك ان
اغتال من تحتي اللهم انت ربي لا اله الا انت خلقتني وانا عبدك وانا على عهدك ووعدك ما
استطعت اعوذ بك من شر ما صنعت ابوء بنعمتك علي وابوء بذنبي فاغفر لي انه لا يغفر
الذنوب الا انت اللهم اني اسالك الثبات على الامر والعزيمة على الرشد اللهم اني اسالك
ايمانا لا يرتد ونعيما لا ينفد وقرة عين الابد ومرافقة نبيك محمد اسالك الطيبات
وفعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين اسالك حبك وحب من احبك وحب كل
عمل يقرب الى حبك وان تتوب علي وتغفر لي وترحمني فاذا اردت بقوم فتنة فاقبضني
اليك غير مفتون احيني ما كانت الحياة خيرا لي وتوفني اذا كانت الوفاة خيرا لي اسالك
خشيتك في الغيب والشهادة وكلمة العدل في الرضا والغضب والقصد في الغنى و
الفقر اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معصيتك ومن طاعتك ما
تدخلنا به الى جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا اللهم املأ وجوهنا
منك حياء وقلوبنا بك فرحا واسكن في نفوسنا من عظمتك وذلل جوارحنا لعبادتك
واجعلك احب الينا مما سواك واجعلنا اخشى لك من سواك اللهم اجعل اول يومنا
هذا صلاحا واوسطه فلاحا وآخره نجاحا اللهم اجعلنا من اوليائك المتقين وحزبك
المفلحين وعبادك الصالحين استعملنا لمرضاتك عنا ووفقنا لمحابك منا واصرفنا
بحسن اختيارك لنا نسالك جوامع الخير وفواتحه وخواتمه ونعوذ بك من جوامع الشر
وفواتحه وخواتمه اللهم بقدرتك علي تب علي انك انت التواب الرحيم وبحلمك عني
اعف عني انك انت الغفار وبعلمك بي ارفق بي انك انت الرحمن وبملكك لي
ملكني نفسي ولا تسلطها علي انك انت الملك الجبار سبحانك اللهم وبحمدك لا
اله الا انت عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي ذنبي انك انت ربي اللهم متعنا باسماعنا
وابصارنا ابدا ما ابقيتنا واجعله الوارث منا واجعل ثارنا على من ظلمنا وانصرنا
على من عادانا برحمتك يا ارحم الراحمين اللهم اغفر لنا ذنوب الليل وذنوب النهار
وذنوب السر وذنوب العلانية ارحمنا رحمة واسعة وتب علينا توبة نصوحا لا نقترف
بعدها ذنبا ولا نكتسب اثما هب لنا حقك وارض عنا خلقك لا تخرجنا من الدنيا
حتى ترضى عنا هب مسيئنا لمحسننا وتجاوز عن سيئاتنا وتوفنا مع الابرار ووفقنا
لما تحب وترضى عافنا من بلاء الدنيا وعذاب الآخرة وارحمنا رحمة تغنينا بها
عمن سواك واكفنا بحلالك عن حرامك واغننا بفضلك عمن سواك برحمتك يا

ارحم الراحمين اللهم تفضل على فقراء المسلمين بالغنى وعلى مرضاهم بالشفا وعلى اسارهم
بالخلاص وعلى مغمومهم ومكروبهم بالفرج وعلى المديونين بقضاء دينهم وعلى الغيب بردهم
الى اوطانهم سالمين غانمين اللهم وادخل على اهل القبور من المومنين والمومنات من
بركة دعائنا الروح والراحة والفسحة والضياء والكرامة برد عليهم مضاجعهم آمن
روعتهم آنس وحشتهم انمهم نومة الآمنين ولا تنمهم نومة الخائفين اللهم انا نعوذ بك من
طمع يهدي الى طبع ومن طمع في غير مطمع نعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ودعاء لا يسمع ونفس لا
تشبع اللهم انا نعوذ بك من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الاعداء اللهم
صل على ملائكتك المقربين وانبيائك المرسلين وعبادك الصالحين واهل طاعتك اجمعين
من اهل السموات واهل الارضين وتخص منهم محمدا بافضل التحية والتسليم واجعلنا منهم ومعهم
وفيهم برحمتك يا ارحم الراحمين اللهم اجعل خاتمة امرنا على السعادة والشهادة والمنقلب
على رضوانك فانا نسالك موجبات رحمتك وعزايم مغفرتك والغنيمة من كل بر والسلامة
من كل اثم والفوز بالجنة والنجاة من النار برحمتك يا ارحم الراحمين ربنا اغفر لنا ولاخواننا
الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين امنوا ربنا انك رؤف رحيم ربنا
عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة
حسنة وقنا عذاب النار برحمتك يا ارحم الراحمين

المجلس الخامس والستون من كتاب خلق الانسان تفسير قوله عز وجل وفي انفسكم افلا تبصرون في صدق الانفس ويقينها وما نعتاده من اضدادهما

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان من لا تصوره الاوهام بكيفياتها ولا تتمثله الاوهام بكيفياتها ولا تحول عليه
الحالات بالوانها ولا تتطرق اليه الاوقات بادوارها واكوارها لا يحد بكبر او صغر
بالمقدار ولا تدرك عظمته بالابصار ولا ينضبط جلاله بالافكار ولا تتغير بقاؤه بالليل
والنهار تنزه عن الانداد والامثال وتقدس عن الاشباه والاشكال واتصف بصفات
الكمال وانفرد بملك لا يزول ولا يزال يدبر الامور ويشرح الصدور ويغفر الذنوب ويعلم
الغيوب ويستر العيوب ويكشف الكروب يبدي ويعيد ويحيي ويميت ويفعل ما يشاء ويحكم ما
يريد ملكت قدرته مصاعب الامور وادهشت حكمته مواهب الالباب هو القادر لا يمانعه
ابدي الانداد القاهر فوق عباده فلا ينازعه ابدي الاضداد اطلع الصدق على كل شيء والظهور
ومكن الحق في كل حال واقدره سوى بالدين ما انشرح من الامور وصحح بالمعنى ما

انشرح من الصدور ثم رجع الفكر عن حرمه محسورا او لا يبلغ العلم من ملكوته الا ميسورا اختلفت
الالسنة في ذكره باحسن الاوصاف وازعنت الاقلام دون تصويره بالاعتراف الكلمة واحدة
واللغات مختلفة والعقول متباينة والشهادة متولفة ان الله وحده لا اله غيره تتردد حمده في
النفوس ترددا انفاسها في الجوانح وتتعدد شواهد نعمائه بالجوارح وان محمدا عبده ورسوله
جامع شمل الاسلام وشارع نهج الاحكام صلى الله عليه وعلى اله الذين ابتسم بهم ثغر الاسلام واطرد منهم
سنن العدل والاحسان وتحلت باثارهم وجوه الايام وانشرحت باخبارهم صدور الانام روى انس بن مالك
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله عز وجل فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون قال عن لا اله
الا الله وذهب الاكثر العارفون في ذلك ان السؤال عن صدق لا اله الا الله والوفاء بها على ما روى
الحسن البصري ان النبي صلعم قال ليس الايمان بالتحلي ولا بالتمني ولكن ما وقر في القلوب وصدقته الاعمال وعلى
هذا المعنى تواترت الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قال لا اله الا الله مخلصا
دخل الجنة فقيل يا رسول الله وما اخلاصها قال ان تحجزه عن محارم الله وقال صلى الله عليه وسلم ان الله
عهد الي ان لا ياتيني احد من امتي بلا اله الا الله لا يخلط بها شيئا الا اوجب له الجنة قالوا يا رسول الله
وما الذي يخلط بلا اله الا الله قال حرصا على الدنيا وجمعا لها ومنعا وقوله عليه السلام ليس على اهل
لا اله الا الله وحشة في القبور ولا في النشور راجع الى هذا المعنى واتخاذ ان لانهم فازوا بالنجاة والفوز
ورقوا الى القبول عالي الحي لقرار وحاوريطا انا عند الموت وفي الآخرة نضرة وسرورا ومن قدم
على ربه مع الاصرار على الذنوب فليسوا من اهل لا اله الا الله انما هم من قول لا اله الا الله واهل وآل
في اللغة سواء يقال لاهل مكة آل الله واهل الله كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعتاب بن
اسيد حين بعثه الى مكة اميرا وعقد له نبيك ان اوتي باعشك الى آل الله والآل من الاول اي
الرجوع لما كان مرجع آل الملك الى نسبه قال لا اله الا الله من كان مرجعه الى اقامة هذا القول وفاء
ومن كان من عزائمه يرجع الى حب الدنيا وتامل اهلها كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اله
الا الله يمنع العباد من سخط الله ما لم يوثروا صفقة دنياهم على دينهم ثم زاد في المنازل في صدق
لا اله الا الله هو حفظ الجوارح عن المعصية والزام درجة العبودية في الرضا وعلاها حفظ
القلب بحرامة باطنه والمانة شهواته والتصرف مع احكام الله بصرف القبول والاعظام ومع الدنيا
بسير الحازم الذي يعطيه من الاشياء ما تمده عليه فرائضها بالامانة برفق يحي يومي اليه حتى
يرده ما من غير تجلج ويودي اوامره من غير تضيق المومن في عاجل او آجل اسوة للغافل المتاجر
بل عجب سعدي الدين المفترض ويراعي الدين المقترض ويستوي له امور الدنيا والآخرة لانه لا ثقة
بالله لا يخطر باله عند تفريق الامور اختيار الامور والاحوال بهواه سواء ان كانوا في امر دين او

اودنيا فهم في جميعها تتغير معطلة اعمارهم عن عبادة مليكهم لانهم عبدوا الله بنومهم ورقادهم كما
عبدوه بسهرهم وسهادهم وعبدوه باكلهم كما عبدوه بجوعهم وعبدوه باخذ الدنيا وشاولها
كما عبدوه بتركها واطراحها انما نظرهم الى تدبيره لهم وتصريفه ايام اعنتهم طوع يده و
مقادتهم في زمام ارادتـــــه

وسهية الالفاظ في الحاظها … سحر يجاذب صحة الايمان
غازلتها نحرا وابدى ثغرها … والفجر حين تبسما فجران
وسالتها هل تسعدين على الرى … ان عن لي عود الى اوطاني
فشفت اسقا وكان جوابها … ليس التجني في الهوى من شاني
اما الغنى فقد ملكت مقادتي … واذا ظعنت ففي يديك عناني

فعلى اي حال سار بهم مولاهم اليها ساروا وعزها طيبة بذلك نفوسهم مطمئنة قلوبهم حسنة
اخلاقهم جميلة ادابهم هامت قلوبهم في حب الله وهانت نفوسهم في جلال الله وعلى هذا افترقوا
ما جاء في الاخبار اللهم اني اسالك ايمانا دائما ويقينا صادقا وقالوا ان اليقين يقينان
احدهما نفي الشك وهذا لا يطلب لانه موجود وهو يقين التوحيد والاخر نور مشرق للصدر وغالب
للشهوات مبطل للاختيار وصارت لصاحبه امور الدنيا والاخرة واحوال الملكوت معاينة واصبحت
جميع الامور خاضعة طايعة وعلى هذا جاء عن الله في الزبور المنزل على داود عليه السلم لو صدق
يقينكم لو قلتم للجبل انتقل فيقع في البحر لوقع وقال صلى الله عليه وسلم نعم الرب ربنا لو اطعناه
ما عصانا اي ما عصانا اي شي نريد ونكون اذا قلنا واردناه روى معاذ بن جبل عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال لو خفتم الله حق خيفته لعلمتم العلم الذي لا جهل معه ولو عرفتم
الله حق معرفته لزالت بدعائكم الجبال ومعناه ان القلب اذا وصل الى الله وامتلا من عظمته و
اشرق بنور جلاله وهيبته فبعد ذلك ايما وقع البصر دار الفكر حوالي ما امتلا به القلب اذا
وصل الى الله وامتلا من عظمته من الحال الصرف الصافي الخالص عن المزيج بالشبهات المكدر
بالشبهات بمنزلة الشمس اذا ذر قرنها واستوى حاجبها واشرق ضياؤها الجميع ما شرق من
بلاد الله فضوؤها معك تدرك الاشياء بالوانها وهياتها ومقاديرها واشكالها فكذلك
شمس الصدق اذا اشرقت ونور القلب اذا اشرق في الصدر واستضاءت به النفس اراه ذلك
امر الملكوت واحوال الدنيا والاخرة وبواطن الاشياء والاسرار التي في الغيوب مما يكشفها
الله انبياءه ثم اولياءه ويطلع عليها اخيرته واصفياءه واما معرفته سبحانه وتعالى
حق معرفته فقد عرف الموحدون كلهم انه ربهم كريم رحيم يجيب دعاهم ويسمع نداءهم ولكن تلك

المعرفة

المعرفة معرفة اهل التوحيد لا معرفة اهل اليقين الا ترى انهم بما يملكون معاملة اللئام و
لا يامنونه على احوالهم فمن ائتمن الله على احواله لم يتخير الاحوال ولم يعتمد الاسباب والقى مفاتح
اموره الى الله حتى يكون الله هو الذي يختاره له فتراه يمضي ويفرح بالمكروه كما يفرح بالمحبوب
وهذا ما قيل للحسين بن علي ع ان ابا ذر يقول الفقر احب الي من الغنى والسقم من الصحة
فقال رحم الله ابا ذر اما انا فاقول من اتكل على حسن اختيار الله لم يتمن انه في غير الحال التي
اختار الله له ومثله ما قال ابو الدرداء احب ثلاثة لا يحبهن غيري احب المرض تكفيرا لخطيئتي
واحب الفقر تواضعا لربي واحب الموت اشتياقا الى ربي فذكر ذلك لابن سيرين فقال
لكني لا احب واحدة من الثلاثة اما الفقر فوالله ان الغنى احب الي منه لان الغني به توصل
الرحم ويحج البيت ويعال الفقراء ويعتق الرقاب واما المرض فوالله لان اعافى فاشكر احب
الي من ان ابتلى فاصبر واما الموت فوالله ما اسفنا من حبه الا ما قدمناه وسلف من اعمالنا
فنستغفر الله ونفوض امرنا الى الله ولا نحب لنا الا ما احبه الله فانظر الى خروج ابن سيرين
عن جميع ما دخل فيه ابو الدرداء حتى كان الصدق في مساجلته ابين والحق فيما قاله اقرب
فلولا ان الطرق الى الله مختلفة ما عرض هذا الراي الاول ولا عارضه هذا الثاني
واذا كان اوسط الطرق الى الله تفويض الامر الى الله والمصير الى حكم الله فالعبد اذا كان
بحيث يشاء الله كان امر الله بحيث يشاؤه العبد فيجيب له غاية الكون ويطيع لمراده الاشيا
على ما ذكرناه من قبل وعلى هذا قول ذي النون ثلاثة من اعلام اليقين قلة مخالطة
الناس في العشرة وترك المدح لهم في العطية والتنزه عن ذمهم عند المنع وثلاثة من
اعلام يقين اليقين الاستعانة بالله في كل حال والرجوع الى الله في كل امر والنظر الى الله
في كل شي

لئن حالت الاحوال دون لقائنا … فنحن بعين الصدق نلتقيان
تصورت في قلبي لفرط صبابتي … كانك لي نصب بكل مكان
ما ابصرت عيناي شيئا مونقا … الا ووجهك قايم بازايه
وترى الجمال تحفه بيمينه … وشماله وامامه وورايه
سامنع طرفي ان تلذ بنظرة … واحجبها بالدمع عن كل منظر
واشكر قلبي فيك حسن بلائه … اليس به القاك عند التفكر
تصورت في قلبي فلست بزايل … عن القلب يوما في مغيب ومحضر
يقول اناس قد تناءى حبيبه … وما بعد من القاه في ضمن خاطري
وابعد منه حاضر وارا هم … بعيني ولكن حبهم غير حاضر

وقال بعض العلماء ان اول مراتب التوحيد قول لسان كتوحيد المنافق والمسلم من خوف
السيف المشهور عليه والثانية تصديق بمعتقد كتوحيد عامة المسلمين والثالثة يقين
يستبصر بواسطة نور الحق فيرى اشياء كثيرة ولكن صدورها على كثرتها من الواحد الفرد
وهو مقام المقربين كانهم قربوا الى منتهى المقامات وبشروا بطلوع ثنية المكاشفات

اليس لقرب المنازل فرحة ۞ ولا فرحة العطشان فلجاء العذب
يقولون قد جاز الثنية رحله ۞ فينتشر البشرى وينشرح الصدر

والرابعة كشف عن مشاهدة الصديقين فلا يرى في الوجود الا واحدا وهو الذي تسميه
الصوفية الفناء في التوحيد لانه من حيث لا يرى الا واحدا لا يرى نفسه ايضا فيفنى
بواحد عن كل شيء سواه وفني عن نفسه ايضا فلا يراه

كان رقيبا منك يرعى خواطري ۞ وآخر يرعى ناظري ولساني
فما ابصرت عيناي بعدك منظرا ۞ يريبك الا قلت قد رمقاني
ولا بدرت مني لغيرك لفظة ۞ لغيرك الا قلت قد سمعاني
ولا خطرت من ذكر غيرك خطرة ۞ على القلب الا عرجا بعناني
اراك على الاحوال حتى كانني ۞ اراك في نفسي ولست اراني

فالاول موحد بمجرد اللسان ويعصم ذلك صاحبه في الدنيا ويوفر حظه منها فلا
يراق لدمه ولا يباح لحريمه ولا يحرم من مغنم ولا يمنعهم منه في نكح وذبيح والثاني
يعصمه في الاخرة عن عذابها اذا توفي على الوفاء بما كابده ولم يحلل المعاصي عقدة اسلامه
ويزيد مرتبة الثالث عليه بمقام الاخلاص واليقين وسلوك طريقة المجتهدين في التجريد
اذ يرى الاشياء كلها من الواحد ولكنه يراها كثيرة نظرا الى الذوات وانها ويزيد الرابع
على هذا زيادة الشمس على النجم والسماء على الارض من حيث لا يرى في شهوده لا غير الواحد
فلا يستشهد بالاشياء بل يستشهد الاشياء به كما قال عز وجل اولم يكف بربك انه
على كل شيء شهيد فهو فوق من يراه بالايات التي اريها في الافاق وفي انفسهم ومثال
الاول هو القشرة العليا من الجوز لا خير فيه البتة ان اكل فهو مر المذاق بعيد عن
المساغ وان نظر اليه فهو كدر الوجه كريه المنظر وان لمس سود اليد وان استوقد دخن
البيت وان ترك لوث المكان ولكنه يحفظ القشرة الصلبة السفلى التي هي بدن اللب
فالتوحيد عن ظاهر اللسان دون تصديق الفؤاد يحفظ بدن المنافق في دنياه دون محبته
فلا يغني عنه شيئا في اخراه ومثال الثاني هو القشرة الصلبة الاخرى فانه ظاهر النفع

ايضا

بين الجدوى

بين الجدوى يصون اللب عن الفساد ويربيه الى وقت الحصاد ويفضل عنه فينتفع به
في الوقود وغيره لكنه نازل القدر قليل النفع بالاضافة الى اللب فكذلك الايمان الظاهر
عن مجرد الاعتقاد من غير ايمان ناقص الشرف بالنسبة الى حال انشراح الصدر بالصدق وانفساح
القلب باليقين وكما ان اللب نفيس في نفسه بالنسبة الى القشر ولكنه لا يخلو عن شوب عصارة
وتخين قرارة بالاضافة الى الدهن المستخرج منه الصافي عن المشوبات المتخلص من الكدورات
الذي يكاد يضيء ولو لم تمسسه نار فكذلك توحيد الموقنين الصادقين حال المقربين ولكن
الاعلى من ذلك اذا استصفي من شوب ملاحظة الاغيار واخلاصه من موارد الاشباه وخلص
عن الالتفات الى الكثرة بشهود الواحد الحق لا غير وكل ما في الوجود فله اعتبارات واضافات
ومقتضيات ومشاهدات كثيرة مختلفة وله ايضا اعتبار واحد ووصف فقد فان الانسان
كثير اذا شاهدت تركيبه من مجموع الروح والبدن والاعضاء الآلية والاجزاء المتشابهة و
الاخلاط المتغايرة والقوى المتعادية ونحو ذلك وهو واحد اذا نظرت الى الشخص الواحد المركب
من جميعها وكذلك الانسان الواحد كثير بالنظر الى الاعراض الحالة المتممة له الفانية معه
والناس الكثيرون واحد بالنظر الى الجواهر المقومة للنوع الباقية في المعنى فالحكماء لا ينظرون
اليه بعين الاعراض التي لا يدوم لها حال الا ريثما يتبعها زوال وانما ينظرون اليه بعين
الجواهر التي لا زوال لوجودها ولا انتقال لمعهودها نظرا بعين العقل الى الاصل لا الى الحس
الى الجزء فالصديقون كذلك لا ينظرون بعين التفصيل والتكثير ولا يعرفونه بالاشياء الحادثة
الفانية بل اذا حلقوا الى سماء التوحيد لا يرون الا واحدا واذا استغرقوا في عالم التفريد لم يظهر
لهم غير الواحد ومنهم من يدوم له هذه الحالة ومنهم من يسلب منه كالطيف الطارق والبرق
الخاطف وهم الاكثرون ۞ خطرت في النوم منها خطرة ۞ خطرة البرق بدا ثم اضمحل
اي زور لك لو قصدا سرى ۞ وملم بك لو حقا فعل
والى هذا اشار الحلاج حين راى الخواص يدور في الاسفار فلا يتنزل عن ركوب القفار فقال
فيما انت فقال الزم البادية وادور في الصحاري حيث لا ماء ولا شجر ولا انس ولا اسمع لاصحح
حالي في التوكل وقد كان من المتوكلين فقال له الحلاج قد افنيت عمرك في عمران باطنك فاين
الفناء في فضاء التوحيد فكان الخواص في تصحيح مقام المقربين المقام الثالث من التوحيد
وطالبه بالمقام الرابع مقام الصديقين ومما جاء في آثار الصدق وابتغاء الحق واجتناب
الكذب والباطل في الحديث ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فاسلم ثم قال يا رسول الله
انما اوخذ من الذنوب بما ظهر وانا استتر بخلال اربع الزنا والسرق وشرب الخمر والكذب فايهن

شيئًا تركت للنار يا رسول الله قال دع الكذب فلما ولى عنه هم بالزنا فقال ان سالني رسول الله
فان جحدت نقضت ما جعلت له وان اقررت حددت او رجمت فلم يزن ثم هم بالسرق
ثم بشرب الخمر ثم فكر في مثل ذلك فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله قد
اخذت علي السبيل قد تركتهن جميعا وقال احمد بن خضرويه من احب ان يكون الله معه فليلزم الصدق
فان الله مع الصادقين وسئل ابو بكر الوراق عن التصوف فقال رجال صدقوا ما عاهدوا
الله عليه قيل كيف صفتهم قال لا يرتد اليهم طرفهم وافئدتهم هواء وقال ابو سعيد القرشي
الصادق الذي يتهيأ له ان يموت ولا يستحيي من سره لو كشف لا يبالي من حساب اذا بعث
قال الله تعالى فتمنوا الموت ان كنتم صادقين وكان الشيخ محمد بن علي الحكيم يقول احسن الانسان
من جملة الحيوان والمؤمنون من جملة الانسان والرجال من جملة المؤمنين فقيل رجال
صدقوا ما عاهدوا الله عليه فحقيقة الرجولية الصدق ومن لم يدخل في ميدان الصدق فقد
خرج من حد الرجولية وكان سليمان الخواص يقول الا اعلمكم اسم الله الاكبر الذي اذا دعي به اجاب
واذا سئل به اعطى قالوا بلى قيل له نعم قال هو الصدق اصدقوا الله ثم ادعوه باي اسم شئتم الا ترون ان
الانبياء عليهم السلام كلهم دعوا في القران باسماء مختلفة وادعية شتى فاجيب كل واحد منهم لما
دعوه صادقين وسئل فتح الموصلي عن الصدق فادخل يده في كير الحداد واخرج الحديدة المحماة
التي صارت حمراء وامسكها بكفه وقال هذا هو الصدق وعن ذي النون الصدق سيف الله ما وضع على
شيء الا قطعه وقال الانبري علامة الصدق في الايمان هو شهود ورؤية الحق لمن له الحق ونظر
عبد الواحد بن زيد الى غلام من اصحابه وقد نحل بدنه واصفر لونه فقال يا غلام تديم الصوم
فقال ولا اديم الافطار قال تديم القيام بالليل قال ولا اديم النوم قال فما الذي انحلك قال
هوى دائم وقلب هائم وكتمان واصطبار فقال عبد الواحد اسكت فما اجراك فخط الغلام
خطوتين وقال اللهم ان كنت صادقا فخذني اليك فخر ميتا هذا علامة الصدق لو اقسم على الله
لابره ودخل ابرهيم بن دوحة على ابرهيم بن شيبة الطرح ما معك من العلائق قال فطرحت
كل شيء الا دينارا فقال لا تشغل سري اطرح كل شيء معك فطرحت الدينار وقال ايضا اطرح
ما معك من العلائق فتذكرت ان معي شسوعا للنعل فطرحتها فما احتجت في الطريق الى شيء الا
وجدته بين يدي واما الهدي والاضافة فكثر ذلك حتى تبرمت فقال ابرهيم بن شيبة
هكذا من عامل الله بالصدق ومما يتبين قوة اليقين الصادق والنعمة الخالصة شرب خالد
بن الوليد السم الوحي عند عبد المسيح الغساني فانه اخذه منه ووضعه على كفه واستقر بعد
قوله بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الارض ولا في السماء وهو السميع العليم فلم يعمل فيه شيء

فقال ابن شيبة صح

رائح وثقل ثم لم يكن الا ساعة من نهار حتى اعقب خفة غايبة وابدل قوة زايدة
وحدث ابو جعفر الحداد قال رايت ابا تراب النخشبي في البادية على بركة ماء وله ستة عشر
يوما لم يطعم ولم يشرب فقلت ايش جلوسك ههنا فقال انا
بين العلم واليقين انتظر ما يغلب فاكون معه ان غلب العلم شربت وان غلب اليقين مررت فقال
سيكون لك شان وذكر ابو سليمان المغربي قال كنت مارا في البادية فلما قربت من المنزل
قلت لو كان معي درهم اشتري به شيئا فنظرت فاذا بين يدي دراهم منثورة فوق بين يدي
فاخذت منها درهما فوقع في قلبي لم لم يكن معك هذا الدرهم فاكنا نطعمك وانت ضيفنا
وفي دارنا او مت من يديه واستغفرت فلما نزلت لم يسع حلول الاعتراض لا صافني وقد اغناني
الله عن الطعام فاجبت احدا ولا ذقت اياما طعاما وقال الجنيد قد مشى رجال باليقين على
الماء ومات بالعطش افضل منهم يقينا وذكر ابرهيم الخواص قال لقيت غلاما في التيه كانه سبيكة
فضة فقلت الى اين فقال الى مكة فقلت بلا زاد ولا راحلة فقال يا ضعيف اليقين الذي يحفظ
السموات والارض لا يقدر على ان يوصلني الى بيته بلا علاقة فلما دخلت مكة اذا هو في الطواف يقول
يا عين بكي ابدا يا نفس موتي كمدا ولا تحبي احدا الا الجليل الصمدا
فلما راني نادى يا شيخ انت بعد على ذلك الضعف من اليقين انما يعرف بالله في رزقه
لم يطلب الرزق قبل وقته ومن الحكايات والوصايا في المحافظة على الصدق ومجانبة الكذب
والباطل كتب احمد بن اسمعيل الى ابن المعتز في كتاب لم ار كالحق اصدق قايلا ولا افضل
عاملا ولا احمد ظاهرا ولا اعز ناصرا ولا اعلى حجة ولا اوضح محجة ولا اوثق عروة ولا احكم عقدا
ولا اعدل في القضية لا يحتاج لاحد الاجر له مستوى الملا والسوقة في واجبه ويعتدل
البغيض والحبيب في طالبه حاكم على خصمه وصاحبه امين على امره من غالبه ظهر برهانه
ومن جاهد عليه كثر اعوانه يمكن دعاته من غاية القهر ويجعل في ايديهم الة النصر ويحكم لهم
بغلبة العاجلة وسعادة الاجلة ولم ار كالباطل اضعف جنابا ولا اوعر مذهبا ولا اجهل
طالبا ولا اذل صاحبا ان اعتصم بصاحبه ومن لجا اليه خذله ان توقي فيتفتق وان رقع فيتخرق
ان حاول صاحبه نفعه بارت سلعته وان لم يستره زادت ظلمته لا تقارنه البرهان ولا
يفارقه الخذلان قد قذف عليه بالحق فيدمغه فمحقه صاحبه في الدنيا مكذب وفي
الاخرة معذب ان نطق دل على عيبه وان سكت تردد في ريبه وقال ابن المقفع يحفظ
من الاخبار الرابعة فان من شان الناس الحرص على الاخبار ومن الاستماع على ما يرتاع له الناس
والكذب الناس من يحدث بكل ما يسمع ولا يبالي من يسمع وذلك مفسدة للصدق ومزراة بالراي

فان استطعت ان لا تخبر بشي الا وانت به مصدق ولا يكون تصديقك الا ببرهان ولا تكن كما تقول السفهاء اخبرنا بما سمعت فان الكذب اكثر ما انت سامع وان السفها اكثر من هو قايل وانك ان صرت للاكاذيب ماحيا او خاملا كان ناتيج وتحمل عن العاقل اكثر مما يحمل الجزع بالاصغا ولا تتهاونن بارسال الكذبة عند الوالي او عند غيره في الهزل فانها تسرع في ابطال الحق ورد الصدق فيما ياتي به **واوصى** عتبة بن ابي سفين مودب ولده فقال له يا عبد الصمد ليكن اول ما تبدا به من اصلاح بني اصلاح نفسك فان اعينهم معقودة بعينك فالحسن عندهم ما استحسنت والقبيح عندهم ما استقبحت علمهم كتاب الله ولا تكرههم عليه فيملوه ولا تتركهم عنه فيهجروه وروهم من الشعر اعفه ومن الحديث اشرفه ولا تخرجهم من علم الى علم حتى يحكموه فان ازدحام الكلام في السمع مضلة الفهم وعودهم الصدق فانه عز وجنبهم الكذب فانه عجز وتهددهم بي وادبهم دوني وكن لهم كالطبيب الرفيق الذي لا يضع الدوا الا بعد معرفة الدا ورَوّهم سير الحكماء وكره اليهم محادثة النساء ولا تتكلن على عذر مني فاني قد اتكلت على كفاية منك واستزد في بر ناديبك اياهم ازدك ان شاء الله **وقال** جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه لامير المومنين المنصور تسع كلمات من جواهر الكلام واثمن نفايس البلاغة تقطع اطماع الطامعين وتلين عن الحاجة لهن ثلث منها في المناجات وثلث منها في الحكمة وثلث منها في الادب فاما اللواتي في المناجات الهي كفاني فخرا ان اكون لي ربا وكفاني عزا ان اكون لك عبدا انت لي كما احب فاجعلني لك كما تحب واما اللواتي في الحكمة الزم الصدق يلزمك العمل وصل يا محو تاخذ بناصية العدو وجانب ما يعتذر منه تكمل في الناس واما اللواتي في الادب فقيمة كل امر ما يحسنه والمرء مخبو تحت لسانه والناس اعدا ما جهلوا **وحكى** الكندي قال كان فيما مضى رجل زاهد قد منع عليه من السلطان طلب شي ورمته الايدي بان يصنع ادكانه قد اذكيت عليه العيون واغلقت له المراصد فجا الى الطنبور فاخذه ولبس ثياب البطالين وتعرض للخروج من باب البلد فخرج وهو يتهادى في مشيته كالسكران فقالت العيون له عند الباب من انت قال من انا ومن ترى ان اكون انا فلان الزاهد قاله متهزيا فقال القوم متضاحكين ما احمقه وخلوا سبيله فخرج ونجا وانما فعل ذلك تحرزا من الكذب **ويحكى** ان عاملين متعطلين وقفا لعبيد الله بن يحيى بن خاقان احدهما على دابة والاخر على حمار غير مرضي فلما اقبل او ايل المركب قال راكب الحمار لراكب الدابة اتحب ان تريحني دابتك وتركب حماري فاني اريد اذا ترجلت ان اركب فاتحو بالوزير ولغا طبه ففعل واعطاه دابته فترجلا له فانكر امر صاحب الحمار وقال

لمن

لمن فيها من اري فلانا على حمار واحسب ان حاله قد تغيرت وامر باحضاره فلما استقر في مجلسه دعا به وقال له رايتك على حمار رضا اني فقال نعم اعز الله الوزير بطول العطلة وكثرة العيال فقلده فلسطين واعطاه كتبه ووصله بثلثماية دينار فدعا له وشكره وانصرف يريد الخروج ثم عاد من المكان وقال صدقك ايها الوزير اولى فقص عليه القصة فاستحسن ذلك منه واحمد صدقه اياه وامر باحضار الرجل صاحب الحمار فقلده حمص ووصله بثلثماية دينار رضا اجميعا الى عمالهما **ولما** نصب معوية ابنه يزيد لولاية العهد اقعده في قبة حمرا فجعل الناس يسلمون على معوية ثم يميلون الى يزيد حتى جا رجل ففعل ذلك ثم رجع الى معوية فقال يا امير المومنين اعلم انك ان لم تول هذا امور المسلمين لاضعتها والاحنف جالس فقال له معوية مالك لا تقول يا ابا بحر فقال اخاف الله ان كذبت واخافكم ان صدقت فقال جزاك الله عن الطاعة خيرا فامر له بالوف فلما خرج الاحنف لقيه الرجل بالباب فقال يا ابا بحر اني لاعلم ان شر من خلق الله هذا وابنه ولكنهم قد استوثقوا من هذه الاموال بالابواب والاقفال فلسنا نطمع في استخراجها الا بما سمعت فقال الاحنف يا هذا امسك فان ذا الوجهين لا يكون عند الله وجيها وكان الاحنف يقول لا تطلبوا الحاجة الى الكذوب فانه يقربها عليك وهي بعيدة ويباعدها وهي قريبة ولا الى احمق فانه يريد ان ينفعك فيضرك ولا الى رجل له الى صاحب الحاجة حاجة فانه يجعل حاجتك وقاية لحاجته وقال رجل لعبد الملك بن مروان اني اريد ان اسر اليك شيا فقال عبد الملك لاصحابه اذا شيتم فانهضوا فنهضوا فاراد الرجل الكلام فقال عبد الملك قف لا تمدحني فاني اعلم بنفسي منك ولا تكذبني فانه لا راي لكذوب ولا تغتب عندي احدا قال افتاذن يا امير المومنين بالانصراف قال اذا شيت **ومما** يتعلل به من نوادر الكاذب ويجري في ذلك مجرى الفكاهة بعض الهزل لاجمام النفس عن الجد ما حدث المدايني قال كان عندنا بالمداين دهقان يقال له دينار وي وكان خبيثا فقال له والي المداين ان كذبت كذبة لم اعرفها فلك عندي درهم وشراب فخرجها فقال له دينار وي هرب لي غلام فمكث عني دهرا لا اعرف له خبرا فاشتريت يوما بطيخا فشققته فاذا الغلام يعمل فيه خفا فاذا هو اسكاف فقال العامل قد سمعت هذا قال كان لي بردون فدبر فوصف لي تنور الرمان فالقيتها على دبرته فخرج في ظهره شجرة رمان عظيمة قال وقد سمعت هذا ايضا قال كان لغلامي فروة فطرحنا فحملها القمل سليمي قال قد سمعت هذا ايضا فلما راى انه سيطل عليه كل ما جا به قال لي وجدت في كتب ابي صكا فيه اربعة الاف

طرف من نوادر الكاذب

درهم والصك عليك فقال هذا كذب وما سمعته قط فقال انما خاطرت عليه واخذ وذكر
الرهن قال كان ذنبا عرابيان فقال احدهما خرجت مرة على فرس لي فاذا انا بظلمة شديدة
فيممتها حتى وصلت اليها فاذا قطعة من الليل لم تنتبه فما زلت احمل عليها بفرسي حتى انبهتها
فانجابت فقال الآخر لقد رميت ظبيا مرة بسهم فعدل الظبي عنه فعدل السهم خلفه ثم
تياسر فتياسر السهم ثم علا الظبي جبلا فعلا السهم ثم انحدر فانحدر فاخذه وذكروا ان قاصا كان
يكثر الحديث عن هرم بن حيان فاتفق معه هرم في المسجد وهو يقول حدثنا هرم مرة بعد
باسنا ولم يعرفه هرم فقال له يا هذا تعرفني انا هرم بن حيان ما حدثتك من هذا بشيء فقال
له القاص وهذا ايضا من عجائبك انه ليصلي في مسجدنا خمسة عشر رجلا اسم كل واحد منهم هرم بن
حيان فكيف توهمت انه ليس في الدنيا هرم غيرك وشبيه بهذا ما يحكى انه وفد ابو القسم
بن بابك على الصاحب وانشد مدائحه فيه فطعن عليه بعض الحاضرين وذكر انه منتحل ينشد
قصائد قد قالها ابن نباته فاراد الصاحب ان يمتحنه فاقترح عليه ان يقول قصيدة يصف
فيها الفيل على وزن ما عددت الحدثان سابقة وعنا علتها فقال ابو القسم قصيدة من مرة
التي اجاد فيها واستحسنها الصاحب وقال له سكت حتى انك ولام الطاعن عليه على
كذبه وادعائه انه منتحل شعر غيره فقال يا مولانا هذا والله معه ستون قصيدة كلها على هذا
الوزن لابن نباته وحدث الصاحب عن الوزير ابي محمد المهلبي ان بعض الاحداث من بغداد
من اولاد ارباب النعم فارق اباه مستوحشا وخرج الى البصرة وكان في الفتى ادب وظرف فدخلها
وقد انقطع به وتحير في امره فسال عن رئيسها فانه من اهلها من الفضلاء فوصف له نديم الامير
كان يلي في ذلك الوقت من المهالبة فقصده وعرض عليه نفسه وعرفه امره فقال ان
اصلح الناس لمنادمة هذا الامير وهو من احوج الناس اليك ان صبرت منه على خلق اقول وما هي
قال هو رجل مشغوف بالكذب لا يصبر عنه ولا يفيق منه ولا بد لك من تصديقه في كل شيء يقوله
وكل كذب يختلقه لتحظى بذلك عنده وان لم تفعل ذلك لم امنه عليك فقال الفتى انا افعل
ذلك واستعده بما يحبه ولا اتجاوزه فوصفه هذا النديم لصاحبه فقال لا يكون بغداديا
يبغي الادب فحضر فرضي حسن ادبه وقام بشروط الخدمة واستحضر فحضر واعجب به وخلع عليه و
له صلة من ثياب ودراهم وغيرها ووضع بين يديه سوداء كله واحضر مجلس انسه وهو في اثناء ذلك
ياتي بالعظائم من الكذب فيصدقه الى ان قال مرة وقد اخذ الشراب من الفتى ان لي عادة في
كل سنة ان اطبخ قدورا كبيرة وقت ورود دجاج خراسان فادعوهم واطعمهم من تلك القدور الوا
فتحير الفتى وقال انا شيء في هذه القدر بادية لم ار بها بني تميم بحر قلزم فغضب الامير وامر

بتمزيق الخلع عليه ورد الصلة الى الخزانة وطرده في بعض الليل واقبل على النديم يعنفه
ويلومه وغاب الفتى الى باب النديم وبات عليه الى ان اصبح وعاد الرجل الى ترابه فدخل عليه
واعتذر بالسكر وضمن ان لا يعود لمثل ذلك فاستوثق منه النديم ثم عاد الى صاحبه وحسن امره
وقال انه كان بعيد عهد بالشراب فلم يحتمله قوته وعمل النبيذ فيه عملا لم يشعر معه بشيء مما
جرى وانه بكر الي يزعم ان اللصوص عند عوده الى بيته غاروا عليه وارادوا ان ياخذوا منه صلة
الامير وما نهم عن ذلك فتواطيه خلعة الامير فرسم الامير اعادته الى المجلس واضعف له في اليوم
الجائزة وزاد في الخلعة والكرامة وجعل الفتى يتقرب بانواع التقرب اليه وانواع الكذب الامير يصدقه
وحلف عليه الى ان جرى ذكر الكلاب الزينية الصغار فقال الامير فقد كان عندي منها عدة في
غاية الصغر حتى اني كنت آمر بان تلقى في المكحلة وكان لي مضحك لعشيبه فآمره ان يكحل من تلك
المكحلة اذا نام وسكر وكان اذا اصبح وافاق من سكره يرى تلك الكلاب وهي تنبح في عينيه ولا يقدر
عليها لصغرها قال فقام الفتى وخلع الثياب المخلوعة عليه وترك الجائزة وعدا عريانا وقال الاصبر على
كلاب تنبح من اجفان العين اعملها ما شئت وفارق البصرة وعاد الى بغداد وورد على الصاحب
وقيل علي بن العميد شيخ حسن الهيئة والشيبة مقبول الشارة والبزة يرجع الى فضل كثير وتفنن
في العلوم ويقول شعرا جيدا ولكنه كان مشغوفا بالكذب وكانت له اوابد وعجائب يحدث بها
عن نفسه ولا يتحاشى عن فيسو فمما حكى انه قال اني سلكت طريقا بالروم في شدة البرد فلما انتع
النهار سمعنا في الهوا اصواتا مختلفة وكلاما عاليا ولم نر احدا فاذا قوم كانوا سلكوا ذلك
الطريق قبلنا في الليل وجمدت اصواتهم من شدة البرد في الجو فلما حمي النهار وطلعت الشمس على
الاصوات الجامدة ذابت فكنا نسمعها واحد يقول شد الرحل واخر يقول اسرج الدابة وانا
بجانب ذلك من كلام جماعتهم وذكر انه وجد في هذا الطريق جبلا اسود فقد يرد حجلة فلما
طلعت عليه الشمس تقطع وطار وسقط رحله على الطريق وان ذلك من اجتماع خطاطيف كثيرة جمد
اصابها البرد وادخل كل واحد راسه في است الاخر وصارت على هيئة الجبل فلما استها
الشمس طارت

المجلس السادس والستون من كتاب خلق الانسان تفسير قوله عز وجل وفي انفسكم افلا تبصرون في توكل الانفس وتفويضها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مصرف الامور وصارف المحذور ويعلم ما في الصدور ويبعث من في القبور يجازي من
الصغير باجتناب الكبير ويجازي بالكثير على اليسير يفتح الابواب ويسبب الاسباب ويمنح المتوكلين
بغير حساب ويرزق من يشاء بغير حساب ويرزق محرره الاخلاص بانوار الهداية ويغدق وتحابه

التوكل بامطار الكفاية ويسيل في شعاب التفويض امواه السعادة ويشير عن منبع التسليم موارد
الارادة ويبيح تجارة من عامله بمزجاة بضاعته ويصحح عمل من سامحه بتقليل طاعته هو
القدير الذي لا يظاهره نظير الكبير الذي لا يوازره وزير الملك الذي لا يساويه نديد
الجليل الذي لا يناويه مديل القديم الذي لا ينازعه عظيم اللطيف الذي لا يضارعه
حليف احيا كل حي بعد ابادة وابدى كل شيء بلا عادة وابدع كل خلق فملاه من الحكمة وانشا
كل عز فعمره بالرحمة على من شاقه لينزع ويرجي من حاده ليرجع ويقابل الذنب بالتجاوز والشكر
بالمزيد ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان الله غني حميد ارسل محمدا عبده رسولا
نبيا وانتضاه حبيبا صفيا فلم يعد لعين نبي من الهدى حتى اثاره ولم يطفئ نبي من
التقى الارفع مناره ولم يدع شيئا من الحق الا اعلى اناره واعلن شعاره حتى اشرقت به
في اكوام مطالعها نجوم الخيرات وتورثت بكائنه في ازكى منابتها غصون الحسنات واقرت
بيمن مبعثه كربات الزمان واقشعت على بركة مولده ظلمات الحدثان فصلوات الله عليه
وعلى اله الذين استناروا وانالوا من الاجر جزيله ومن الذكر جميله وادخروا من لسان الصدق اريحه
ومن ثناء الخلق صحيحه **التوكل** من الخصال التي قرنها الله بالايمان فقال عز من قائل
وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين وقال وعلى الله فليتوكل المؤمنون ثم قال في موضع آخر
وعلى الله فليتوكل المتوكلون فخص توكل المتوكلين من توكل المؤمنين ثم ذكر توكل خصوص
الخصوص فقال ومن يتوكل على الله فهو حسبه فلم يردهم الى شيء سواه وذكر جل وعز فيه سيد
المرسلين من الخطاب الذي يقف المهتدي على هدايته ويرتقي بالمسترشد الى اقصى نهايته
فقال وتوكل على الحي الذي لا يموت وقال وتوكل على العزيز الرحيم الذي يراك حين
تقوم فاختلفت درجاتهم لاختلاف طبقاتهم وعلى ذلك تنوعت اختلاف عباراتهم **فقال**
ابن عطا التوكل هو ان لا يظهر فيك انزعاج الى الاسباب مع شدة الفاقة اليها ولا تزول
عن حقيقة السكون الى الحق مع الوقوف عليها **وقال** ابو تراب النخشبي هو طرح البدن في
العبودية وتعلق القلب بالربوبية فان اعطي شكر وان منع صبر **وقال** ذو النون هو ترك
تدبير النفس والانخلاع من الحول **وقال** مرة اخرى هو خلع الارباب وقطع الاسباب **وقال**
السري التوكل هو صدق الانقطاع الى الله وصدق الانقطاع الى الله هو ان لا يكون لك حاجة
الى غير الله **وقال** صوفي من التوكل ان لا تطلب لنفسك ناصرا غير الله ولا لرزقك قاسما غير الله
ولا لعملك شاهدا غير الله **وقال** آخر الحمد لله الذي قطع العلائق عن المنقطعين اليه
ووهب الحقائق للمتصلين به والمتوكلين عليه **وقال** ابو بكر الزقاق التوكل هو رد العيش الى

يوم واحد واسقاط هم غد **وقال** سهل بن عبد الله هو الاسترسال مع الله على ما يريد وقال
علامة التوكل ان لا يسال ولا يرد ولا يحبس وقال التوكل حال رسول الله صلى الله عليه وسلم
والكسب سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال مرة اخرى من طعن في الحركة فقد طعن في
السنة ومن طعن في التوكل فقد طعن في الايمان وقيل التوكل نفي الشكوك والتفويض
الى مالك الملوك **وقيل** ليحيى بن معاذ متى يكون الرجل متوكلا فقال اذا رضي بالله وكيلا
وقال ابو الحسين الفارسي من سكن الى شيء دون الله فهلاكه فيه سكن ابليس الى علم نفسه فميز
بين النار والطين فهلك وسكن هاروت وماروت الى عبادتهما فهلكا وسكن قابيل
الى قامته فهلك وسكن فرعون الى الماء وجريه معه فقال اليس لي ملك مصر وهذه الانهار
تجري من تحتي افلا تبصرون فجعل هلاكه في غرق الماء واغتر نمرود بالطير وهي النسور التي
حملته في الهواء فجعل هلاكه في بعوضة دخلت منخره وسكن سليمان الى ملكه فانتزع منه
كما قال الله تعالى ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب وسكن يوسف الى
عناية الذي ظن انه ناج منهما وقال له اذكرني فلبث في السجن بضع سنين وعرف عيسى قدر
العبودية فقال اني عبد الله فرفعه الله اليه وتوسل موسى بالفقر فقال رب اني لما انزلت
الي من خير فقير فقيض الله له شعيبا حتى دعاه واواه وبلغ امره الى ما بلغ من هناك وحيث طلب
الطعام مع الخضر من غيره منعا كما حكى الله عنهما فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية استطعما
اهلها فابوا ان يضيفوهما فكل ما تسكن اليه فهو تاركك لذلك وكل ما تميل نحوه فهو مائل
عنك وكل ما تعتمد عليه فهو ساقط بك

سكنت اليه آنسا بوصاله ❊ فلما رآني فيه باعد القربا
ونوقني نيلا فلما قبلته ❊ جفاني كاني نلت منه غصبا
ورغبني في فضله فاعتمدته ❊ فصار اعتمادي فضله عنده ذنبا

وقال ابو يزيد الفت العبادة فوجدتها احلى من العسل وآيست من الخلق فاستغنيت به
ووجدته كافيا فتوكلت عليه ووجدته عالما فاتخذته استاذا **وقال** الحسين بن منصور لابراهيم
الخواص ما صنعت في هذه الاسفار وقطع المفاوز القفار فقال بقيت في التوكل اصحح
نفسي عليه فقال الحسين افنيت عمرك في عمران باطنك فاين الفناء في التوحيد **وقال**
بعض المجاهدين في سفر الحج خرجنا حفاة ودخلنا البادية حتى نتعل كل شيء ظله وما زادنا
الا التوكل وما مطايانا الا الارجل لعلنا نلحق بعض غبار القوم فلم نلحق **وسئل** شقيق البلخي عن
التوكل وهو يعظ الناس ويذكر فتركه وذهب الى بيته ثم عاد فتكلم في التوكل فقيل له انظر في

كتابي فقال لا ولكني استحييت اذ تكلمت في التوكل وفي بيتي رغيفان فتصدقت بهما ثم تكلمت
في التوكل وكان الفضيل بن عياض يقول يا رب اني لاستحيي ان اقول توكلت عليك لو توكلت
عليك ما خفت ولا رجوت غيرك وكان الشبلي يقول ما من احد الا وتوكله على الله و
انقطاعه الى الله ولكن حقيقة التوكل ترك التوكل يريد ان ادعاء التوكل وهو شيء مجبول عليه
كل احد لنفسه اولى من ينتحل التصوف خلاف التوكل وقد نبه بعضهم على هذا المعنى فقال التوكل
على الخالق من طبائع الخلق للعجز المعجون بجبلتهم والحاجة المركبة في طبيعتهم وتايدك على ذلك
انك لو ناديت الامة البلهاء والمراة الورهاء والشيخ المجدد والشاب الغرير والبدوي الفح والقافي
الاعجم الهندي الابكم والرومي الطمطماني والكيس الذكي والغمر الغبي لوجدت في اثنا حديثهم واعراض
كلامهم تسليما اليه امرهم وتفويضا اليه سواهم وانقطاعا عن اسبابهم باستطاعتهم ولوذانا من حدود
المراد بتسهيله عليهم هذا الذي هو اصل في الجوهر وازل في الكون فاما ادعاء القوة وضمان الارث
والاستبداد بالقدرة والاستغنا ممن مقلب القلوب ومحول الاحوال ومصرف الامور فما لا يقدم
عليه الا من شا نظر لنفسه ونقص علمه بامره وقل اعتباره في عمره وحسن ظنه بما اعير من طاقته
واعين عليه من نقص غيره ولو انعم النظر او ايد بالتوفيق لعلم انه مملك امرا ثم مسلك عليه ومولى
شانا ثم مستولى عليه وان الذي مرض لعوسيوا اليه لا تخلص بعد المحتاج الى تاييده ونظره
الفقير الى توفيقه وتسديده وقال ابو علي الدقاق انما هذا اربع مقامات فيه كل احد
منهما على قدره وفهم عليها التوكل ثم تسليم ثم تفويض ثم رضا فالمتوكل يسكن الى وعده
وصاحب التسليم يكتفي بعلمه وصاحب التفويض يرضى بحكمه وصاحب الرضا يفرح بما كان من عنده
فالتوكل صفة المومنين وامنيا اولياء الله المخلصين والتسليم صفة ابرهيم عليه السلم والتفويض والرضا
صفتا سيد المرسلين محمد صلعم فكان لا ينطق عن الهوى وما كان يصنع ورعا ابدا وسيل
الشبلي عن التوكل فقال ان يكون لله كما لم يكن فيكون الله له كما لم يزل وسيل سهل بن عبد الله
عن التوكل فقال التوكل وجه كله ليس له قفا وسيل بعضهم عن التوكل فاطرق ساعة ثم قال اذا
كان المعطي هو المانع فما يجدي الحيلة وما يغني الوسيلة واذا كان ايتاؤها اجتنابها فما
هذه المحاولة وما هذه المزاوله

مشيب الذي يكفي الشباب بشيبه ⁂ فكيف تعرفه وبانيه هادمه

ودخل جماعة على الجنيد فقالوا نطلب الرزق فقال ان علمتم اي موضع هو فاطلبوه قالوا فنسال الله
ذلك فقال ان علمتم انه ينساكم فذكروه فقالوا ندخل البيت ونتوكل على الله قال اتجربون الله بالتوكل
هذا شك قالوا فما الحيلة قال ترك الحيلة ورأى صوفي بالبادية فضيل ابن الزاد قال تقدمته

الي المعاد

الي المعاد فقيل فاين الراحلة قال زادنا خشيت في الاخرة وقال ابو موسى الديبلي التوكل هو ان
يستوي عندك الكرخ والبادية ويقال انه قيل لابي يزيد ما التوكل فقال لما تقول انت
فقال ابو موسى ان اصحابنا يقولون لو ان السباع والافاعي عن يمينك ويسارك ما
تحرك لذلك سرك فقال ابو يزيد نعم هذا قريب لكن لو ان اهل الجنة في الجنة
يتنعمون واهل النار في النار يعذبون ثم خرجت تميز بينهما خرجت من جملة التوكل
وهذا حديث عن اعلى احوال التوكل واعز انواع العلم وهو العلم بالحكمة وهو ان ما يفعله الله
هو الواجب الوقوع الحسن الورود فلا يميز بين اهل النار وبين اهل الجنة بالاضافة الى اصل
العدل والحكمة كما لا تمييز في النار بين الاحراق والتدخين بالاضافة الى النظر في
مصالح الاشياء ولوازمها وابو يزيد قلما تكلم الا عن اعلى المقامات ولا يكاد ينظر الى
الجزئيات ويقال ان حبيب العجمي كان له امراة ربما تطالبه بما لا يطيقه ولا يد له به
فيخرج في ابتداء امره الى الجبانة متوكلا على الله فيتعبد بالنهار ويرجع فلما كان عند المسا
خرج صفر اليدين يعز نحو اصابه ادخاله في بيته فصاحت امراته واخذت بتلابيبه وقالت
لست ارضى منك بهذا اما ان تكفيني المؤنة او تخلي سبيلي فقال لها يا هذه ان لي استاذا
اجرت نفسي بالنهار منه فمهما اجتمعت اجرتي اخذتها واتيت به متوكلا عليه قالت
كيف لا يعطيك شيئا ونحن في هذه الشدة قال ان استاذي لا يعطي الا اذا شاء وليس
لي ان اطالبه ما لم افرغ من العمل الذي كلفني فتصبرت المراة بقوله اياما فلما اشتد بها
الامر قالت لست ارضى منك دون ان تطلب اجرك او بعضه من استاذك او تستبدل
استاذا غيره فواعدها ان يحتال لذلك فلما اصبح خرج الى متعبده وبقي الى الله ما خرج
به وحين امسى عاد الى منزله فاذا ابصر ولم يخرج اليه حيد لاناس ورا ورأى المائدة
موضوعة وقال ان الاستاذ استاذك قد وجه الينا الدقيق واللحم وهذه الاكياس
المشدودة على ايدي قوم صباح الوجوه فصاح الكلام فقالوا ان استاذ
حبيب يقرئه السلام ويقول هذا ما ساءت عملك عندنا اضعافا ما املت فطب نفسا وقر عينا
فبكى حبيب حتى كاد يغشى عليه وقال يا هذه انما وجه هذا مولاي الذي من انقطع
اليه امره كفاه ومن اعتمده اغناه فانتبهت من غفلتها وساعدته في عبادته

واذا امرؤ القى اليك زمامه ⁂ فالدهر في كفيه طوع طائع
اذا كنت ترجو الامام ⁂ ودفع بن خاقان في شافع
فقل للغريم اتاك القضا ⁂ وللضيف منزلنا واسع

ولبس ابن بغا الناس كنت ساهه ∴ مشتبه يلقى النائبات
ترى درعه حصنا والسيف قاضبا ∴ وذخيته سموسين والسوط تعولا

وقال بعض العلماء ان التوكل من الوكالة فتعتمد على الله ولا تعتمد معه غيره ومثاله
في المشاهد الوكيل في الخصومات بباب القاضي فلا يكون التوكل واثق القلب مطمئن النفس
بوكيله الا اذا اجتمع فيه اربع خصال الهداية اولا فلا تخفى عليه من غوامض الخصومة
شيء والقدرة ثانيا فيستجري في الخصومة ولا يخاف ولا يجبن ولا يستحيي ولا يضعف عن
اقامة الحجة بشيء من الصوارف الموهنة والعوادي الموهنة والفصاحة ثالثا وهي السلاطة
وقوة اللسان فوق العلم والقدرة باسباب الخصومة ولا كل عالم بمواقع الخصومة وموارد
الحجة منطلق اللسان يحل عقدة عن نرخ البيان في عبارته والشفقة رابعا لتكون باعثة
له على بذل ما يعلمه ويقدر عليه اذ كانت القدرة والاستطاعة لا تغني عن الهداية
ولا تجزي عن الامانة والرعاية وكم من جري جري في الاجراء بريء من الخصم فيسر حسوا
في ارتغاء ومعلوم ان السكون والثقة بصاحب هذه الخصال على قدرها في التحيز و
الاختلال والقصور والكمال الى ان ينتهي الى حد اليقين فاذا عرفت هذا في باب الوكالة
بين الناس في المعاملة فاعتبر به التوكل على الله فان علمت بانه رب المشرق والمغرب
لا اله ولا خالق ولا مدبر ولا مقتدر سواه واتقنت ان العلم حاك لكل احد على الحقيقة
والقدرة على كل شيء بالكلية فله وعنده ووثقت بان تمام العطف والتحنن والعناية وما
هو تمام معنى الرأفة والرحمة يحمله العباد وبالاحاد في جمل النعم وفي الافراد عنه ومن لدنه
فتوكل عليه ولا تلتفت الى غيره ولا الى نفسك وحولك وتبرأ من قوتك فانه لا حول ولا
قوة الا به فان احسست من نفسك مع هذه الاحوال المعلومة بالفتور في التوكل و
القصور في الاعتماد والتسليم فذلك اما لضعف القلب او ضعف اليقين فسكون القلب و
طمأنينته شيء وصدق اليقين وقوته شيء آخر كما قال الله تعالى اولم تؤمن قال بلى ولكن
ليطمئن قلبي وكم من مطمئن لا يقين له كسائر ارباب الملل من اليهود والنصارى والمجوس وعلى
العكس كاصحاب الحق اذ الهم القوة تقليدا لا علما وتحقيقا فتوارد من هذه الاحوال المختلفة
في القوة والضعف للتوكل اربع مقامات احدها ان يكون حاله في حق الله والثقة
بكفالته والركون الى وكالته كحال الطالب المحقوق في الثقة بالوكيل الذي
فصلنا احواله والثانية ان يكون حاله مع الله كحال الطفل مع والدته التي لا يعرف
غيرها ولا يعوج على سواها ولا يعتمد الا اياها اذا اراد شيئا ان يذهب عنه تعلق

مقامات التوكل اربع

بذيلها

بذيلها وان غابت ناداها وان حضرت لزمها واعتلقها وهذه الحالة حالة طبيعية
غير تمييزية والثالثة هي الحالة التمييزية وهو ان يكون حاله مع الله في اعتصامه
به وتوكله عليه اذا لمت به حادثة او نابته نائبة حال الفتى الناشئ بوالده البر العطوف
الرحيم الرؤوف او حال الرجل العامل بسلطانه المقسط العدل الراعي الحامي الذي شغب لراحته
ويستيقظ لرقيته وكل من اصحاب هاتين المقامتين متوكل اما بالحيلة كما يتكلف الصبي امه
ويفزع اليها واما بالمعرفة والمعاملة كما يستعين الفتى المترعرع بابيه في اموره ويستنصر
الرجل المحتمي بسلطانه على زمانه فيلتفت الى الوسائط ويعتمد الاسباب ويتبع الرسوم و
ينتهج الدراهم والمتوكل الحق هو المنتهي الى المقامة الرابعة الموفية على المقامات المنيفة على سائر
الدرجات فيترك الاماني ويلغي الامال ويدع الاختيار ويعزب عن الاسباب وحتى عن التوكل
نفسه فلا يلتفت اليه ولا يعرج عليه ويكون بين يدي الله كالكرة في يد اللاعب بل كالميت
في يد الغاسل لا كالصبي الاخرق الذي يفزع بامه ويعلق بذيلها او يعدو من خلفها بل
كالصبي الكيس الذي يعلم انه وان لم يعد خلف امه فالام تطلبه ولا تدعه وانه ان تعلق
ترضعه من غير طلب ولا رغبة كالمعشوق الفتان على غضب العاشق الهائم ان تجنبه
افضل عنده من ان ينتظر عفوه او اعراضه او هو سبب من ان يستدعي وصالا او يرضيا وهذه
المقامة تمنع الدعاء وتحظر السؤال وتدعو الى السكوت والاخبات ويحمل على الاسترسال فناء في
صاحب النعم ابتداء من غير دعاء وطلب كما انها تسبق اليه قبل استحقاق واستيجاب
والمقامة التي قبلها لا توجب ترك السؤال انما توجب ترك السؤال من غيره وقطع الرجاء
عمن دونه والتي قبلها توجب الاستغاثة به على المسئلة من غيره الى ان يرجع الامر ويظهر
الى تاسيل عاجز مسئلة وانامة مطايا الطلب في ساحة فقره شروا له وكل حالة من هذه الاحوال
الاربعة فانها اعز واشد من التي قبلها والتي هي قبلها اهون تماما وامكن مراما مما بعدها
والرابعة مع عزة وجودها وصعوبة مرتقاها بعيدة المطمع في دوامها واتصالها
لا تصال الآفات اللطيفة بالاحوال والعوائق الصادة عن درجة الكمال ومما اشبهها
حمرة الخجل وصفرة الوجل ثقلا فان انبساط القلب للاسباب طبيعي والانقباض منها عارض
كما ان انبساط الدم الى اطراف البدن طبيعي وانقباضه عارض والوجل انقباض الدم
عن ظاهر البشرة الى الباطن حتى يمحي عن الظاهر الحمرة التي كانت تتراءى من الدم من
البشرة من وراء ستر رقيق من الجلد اللطيف وذلك عرضة بزوال ولا يلبث فيدوم
فكذلك انقباض القلب بالكلية من الحول والقوة واعتماد الاسباب المعهودة واعتلاف

الوسايط الموجودة فانها تألم وتزول الالم الا ان يستحكم بالملابسة دواعيها وتتصل
على المجاهدة نوايبها فيرجى ان يكون ذلك مثل صفرة المريض الدايمة احيانا او صفرة
العاشق الصادق العشق اللازمة له ازمانا فيكون الحال فيه مثل اوصاف الشمعة الموقدة
صفرة لون وسكب دمع وذوب جسم وحرق قلب وينبغي ان يعلم ان التفكر في الاشيا
لا يوجب بقاها للعبد ولا ايثاره بها ولا حفظها عليه بل هي الي الاذهاب والافنا
اقرب منه الي الايثار والابقا اذ كان بقا ما في الدنيا من الدنيا قال الله تعالى وما
اوتيتم من شي فمتاع الحيوة الدنيا انك نعم المتاع لو كنت تبقى غير ان لا بقا للانسان
فان ذهب منها ما ذهب فصبر ورضي كان صادقا في توكله وان جزع واضطرب كان كاذبا
في توكله ولولا الامتحان لكثر الصادقون ولولا البلا لما استقام السالكون وقد قال الله
سبحانه ولنبلونكم بشي من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر
الصابرين وهذا الابتلا بهذه الاشيا هو من الاخوة لانها ضد الدنيا كما قال الله
وما عند الله خير للذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون بعد قوله وبشر الصابرين في قوله الذين
صبروا وعلى ربهم يتوكلون فصبروا على مصايبهم بحسن ظنهم به وصبروا على توكلهم ليتم بذلك
حالهم ويعلو به مقامهم فالصابر قد يقام في التوكل وهو عند مشاهدة القضا بليه والشكر
اعلى من ذلك وهو شهود البلا نعمة والرضا فوق ذلك كله فانه بالقلب فلا يعلو كما ان الشكر
باللسان فلا يشكو فاهل الفهم عن الله هم المتوكلون عليه قد زهدهم فيما يفني ورغبهم فيما يبقى
حين فهموا الخطاب وكانوا اولي الالباب وذلك انه اضاف ما عندهم وصفه بالنفاد والفنا
ليزهدوا فيه كما قد زهد ولي في نفوسهم او يا لوهها منه فكيف يبقي ملكهم فيما باعوا بل كيف يملكون
شيا والعبد وما له للسيد كيف ولو تمنى المتمنون نهاية الاماني فكانت على ما تمنوا لكان رضاهم
عن الله في تدبيره ومعرفتهم بحسن تقديره خيرا لهم منها كما قال الله ولو اتبع الحق اهواهم بمعنى اماينهم
لفسدت السموات والارض ومن فيهن فالمتوكل يكشوف له العواقب مطلع على السراير عالم بخفايا
اللطف موقن بحسن التدبير من الخالق الخبير البصير يجب له سرور متحلى بما اراد حاشا لقهم منهم
من الاخلاق متحلي بما اعار من الاوصاف متادب بما اكسا من الاداب يتشوق بعمله على مقدار
ما كشف ويتعرف من سره على معيار ما عرف كما قال ابو سليمان الداراني اذا لاحظت الاشياء
من عز فقد حدث لها الهما آخر وقال بعض العارفين اذا رايت الاشيا كلها كشي واحد رايت
ما لم تره قبل ذلك وسمعت ما لم تسمع وفهمت ما لا تفهم وقال بعضهم لا ترى العجب حتى لا ترى عجبا
واذا لم تر عجبا رايت العجب فالعلما بالله لم يتوكلوا على الله لاجل ان يحفظ دنياهم عليهم ولا لاجل

ان يوصل

ان يوصل مرادهم اليهم ولا يشترطون عليه حسن القضا بما يحبون ولا يبدل لهم جريان احكامه
بخلاف ما يكرهون ولا ليغير لهم سابق مشيته ولا يحول عنهم سابر سنته التي قد خلت في
عباده من الابتلا والاختبار كلا فهو اعظم في صدورهم واجل في قلوبهم وهم اعقل منه
واعرف به وانما اخذوا انفسهم بالصبر على احكامه كيف جرت وطالبوا قلوبهم بالرضا عنه
كيف شا وقال رجل لمالك يا ابا عبد الله اني تعلقت باستار الكعبة فتبت من كل ذنب وحلفت
ان لا اعصي الله تعالى فيما استقبل طرفة عين فقال له ويحك ومن اعظم معصية منك تتالى
عليه ان لا ينفذ حكمه فيك وانما توكل العلما بالله على الله من اجل انه يحب المتوكلين ومن اجل
انه اهل التفويض اليه ومستحق الاعتماد عليه اذ كان هو الكفيل الاجل والوكيل الاول
حين سمعوا بقوله والله على كل شي وكيل ثم استوى على العرش يدبر الامر ما من شفيع الا
من بعد اذنه وحين فهموا افوض له ومن احسن من الله حكما ولما عقلوا من خطابه اليس الله باحكم
الحاكمين ولما عرفوا هو الامر بالتوكل والنادب اليه والباعث عليه اذ سمعوا افمن هو قايم
على كل نفس بما كسبت امن يملك السمع والابصار ومن يدبر الامر فتوكلوا عليه استحيا
منه وخشية انه التهم له وقوة ثقة به فمنهم من توكل عليه لاجل هذه المعاني كلها
ومنهم من توكل عليه لشاهدة بعضها فكل عبد توكله على الوصف الذي به عرفه وكل
عارف فعن التجلي الذي اصابه وذلك على قدر قربه منه وذلك القرب على قدر العلم به
وكل ذلك درجات توكل تعظيم واجلال وتوكل ثقة وتنزيه وتوكل تحقق ويقين وتوكل
حب له وتوكل خوف منه وتوكل حسن ظن به وتوكل تسليم له وتفويض اليه وتوكل علم
بحسن تقديره وحكيم تدبيره واعلى هذه الدرجات من توكل عليه للاجلال والتعظيم وله
اوسطها من توكل للحبة له والخوف منه وادناها من توكل عليه تسليما له وتعبدا اليه
واما توكل صديقي المقربين فذلك مما لا تحتمله عقول اولي الالباب فلا يسعه مستودع كتاب
بل ما هو اقصى غاية هولا ينتزهون قلوبهم اولئك عن مثل ذلك فكان التوكل درجات
فلهم مقامات ولمقاماتهم معاملات من فيقول التوكل على الله تدبير الله امره كيف شا
ليظهر رضاه ومن الحمد له سبحانه على بلايه ليظهر صدقه ومثال ذلك كما جا في الاثار
يا رب من اوليائك من خلقك قال الذي اذا اخذت منه المحبوب سالمني ومن الصبر و
الصمت عند اضطراب النفس وجوعها ان لا يتكون من يرحمه الحق لا يرحمه ولا يا اسي على رضا
استودعه ولا يعادي من اخذه منه لا سيما اذا تبين عاقبة الامر وان الاخذ مبتلى
وانه معافى اذ لم يكن هو ذلك العبد الظالم فيرحم اهل البلا ويترحم عليهم ويرق لهم

ما زال يظلمني واحمله حتى ربيت له من الظلم ويحمد الله على ما عوفي من مثله فيشتغل بشكر الله عن
الدعاء على ظالمه قال ابو سليمان الداراني لما بلغه عن مالك بن دينار انه قال للمغيرة اذهب
فخذ تلك الركوة من البيت فلا حاجة لي فيها وكان يتوضأ منها اليه فقال ولم قال يوسوس
لي العدو ان اللص يأخذها وكان مالك لا يغلق بابه فقال ابو سليمان هذا من ضعف قلوب
الصوفيين هو قد زهد في الدنيا فما عليه من اخذها والامر على ما قال ابو سليمان لان الزهد
متى تحقق دخل فيه الرضا والتوكل فاصدق الناس توكلا واحسنهم يقينا اقلهم همّا وايسرهم
الحي كما جاء في الحديث هب لنا من اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا حتى لو رد عليه
ما اخذ منه لم يرجع فيه لانه لا يفوته الا ويجعله صدقة في سبيل الله كما يروى ان عمر
سرقت ناقته فطلبها حتى اعيا ثم قال في سبيل الله فدخل المسجد فصلى ركعتين فجاءه
رجل فقال له يا ابا عبد الرحمن ان ناقتك في مكان كذا فلبس نعله ثم نزعها وقال استغفر
الله وجلس فقيل له الا تأخذها فقال اني قد كنت قلت في سبيل الله وحكي بعض الصالحين
قال رأيت بعض اخواني في النوم بعد موته فقلت ما فعل الله بك فقال غفر لي وادخلني
الجنة وعرضت علي منازلي فيها فرأيتها قال وهو في ذلك كئيب حزين فقلت دخلت
الجنة وغفر لك وانت واجم حزين فتنفس الصعداء ثم قال نعم اني لا ازال حزينا ابدا
قلت فلم ذاك فقال اني لما رأيت منازلي من الجنة رفعت لي مقامات في عليين
ما رأيت مثلها ففرحت بها فلما هممت بدخولها نادى مناد من فوقها اصرفوه عنها
فليست هذه له هذه لمن امضى السبيل فقلت وما امضاء السبيل قيل لي قد كنت تقول
للشيء في سبيل الله ثم ترجع فيه فلو كنت امضيت السبيل لامضيناها لك وكان بعضهم
نائم بجنبه رجل معه هميان فانتبه الرجل وفقد هميانه فاتهمه به فقال كم كان
فذكره فحمله الى البيت ووزنه من عنده ثم اعلمه اصحابه انهم كانوا اخذوا الهميان مزحا
فجاء هو واصحابه متنصلين معتذرين وردوا عليه ما اخذ منه فابى وقال خذوها
حلالا فما كنت لاعود في مال اخرجته في سبيل الله فلم يقبل والحّوا عليه فدعا ابنا
له وجعل يصرّها صررا ويبعث بها الى الفقراء وسرق فرس ربيع بن خثيم وهو قائم
يصلي فلم يقطع صلوته ولم ينزعج لطلبه فجاءه الناس يعزونه فقال اما اني قد كنت
رأيته وهو يحل قيل وما منعك ان تزجره قال كنت فيما هو احب الي من ذلك يعني
الصلوة فجعلوا يدعون عليه فقال لا تفعلوا وقولوا خيرا فاني قد جعلتها صدقة
عليه وهذا المرء قد عفا اثره ودرس خبره فمن عمل به فقد احياه واظهره وشاده

وعمره

وعمره وقد كان نعلمنا طريقا الى الله عليه لسابلة من اوليائه المخلصين وقال
بعض الخطباء انكم لو توكلتم على الله لكفاكم ولو اسلمتم وجهكم له لاغناكم فاعتصموا بحبل الله من قبل
ان ينقطع العصم واقطعوا عن قلوبكم علائق الخلائق من قبل ان يتصل الندم وروى موسى بن جعفر
عن ابيه عن جده محمد عن ابيه علي بن الحسين عن ابيه عن علي ابيهم عليهم السلم ان النبي صلى الله عليه
واله وسلم قال ما من مخلوق يعتصم بمخلوق دوني الا قطعت اسباب السموات والارض دونه
فان دعاني لم اجبه وان سألني لم اعطه وما من مخلوق يعتصم بي دون خلقي الا ضمنت السموات
والارض رزقه فان سألني اعطيته وان دعاني اجبته وان استغفرني غفرته وقال ما بالكم
تصرفون مع مخايل الآمال تصرف السحائب على الجنوب والشمال اهل هي الا استمتاع ايام وخدع
احلام وبقية اسلاف ومفرقة الاف وغاية كل عناء وفناء وكل فناء ثم انكم بها المغرمون
تحرصون عليها وتحزنون فلو طرحتم علائق الآمال لاسترحتم من نوائب الاحوال ولو توكلتم
لكفيتم ما ترهبون واوتيتم ما تطلبون قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو توكلتم على
الله حق توكله لرزقتم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا

ارى المرء يمسح رشح الجبين ... ويشغل بالرزق قلبا جبانا
ولو راقب الله في امره ... لما فاته حظه اين كانا
الى الطير وذات الوكود ... تغدو خماصا وتمسي بطانا

وحدث بعض الصالحين قال كنت بالبادية فتقدمت القافلة فرأيت قدامي انسانا
فسارعت حتى ادركته فاذا امرأة بيدها عكازة تمشي على تؤدة فظننت انها اعيت فادخلت
يدي في جيبي واخرجت عشرين درهما فقلت خذيها وامكثي حتى تلحقك القافلة فتكتري بها
ثم ائتيني حتى اصلح امرك فقالت بيدها هكذا في الهواء فاذا في يدها دنانير فقالت انت
اخذت الدراهم من الجيب وانا اخذت الدنانير من الغيب وكذا من صح توكله وحكى ابو ايوب
الاقطع المصري قال اقمت مرة بالحرم عشرة ايام فوجدت ضعفا فحدثتني نفسي فخرجت الى
الوادي لعلي اجد شيئا فرأيت شلجمة مطروحة فاخذتها فوجدت في قلبي منها وحشة
ان افطر بعد عشرة على شلجمة سعنة فرميت بها ودخلت المسجد فاذا انا برجل اعمى جلس
بين يدي ووضع قمطرا وقال هذا لك فقلت كيف خصصتني بها فقال كنا في البحر منذ
عشرة ايام واشرفت السفينة على الغرق واشفينا على الهلاك فكان نذري ان اتصدق
بهذا على اول من يقع عليه بصري من المجاورين فقلت افتحها ففتحها فاذا فيها كعك سميذ
مصري ولوز مقشر وكعك بسكر فقبضت قبضة من هذا وقبضة من ذا وقلت رد الباقي

لي صبابتك هدية مني لهم وقد قبلتها ثم قلت في نفسي يدخل ابليس الجنة من عشرة ايام
وانت تطلبه من الوادي وفي خطبة اخرى كلكم يسري في ليله ويصبح يومه ويجد في ابتغاء
تعبير يومه ستمنعون من رضاع الآمال بفطام الآجال ستحبون عن مناخ الاغترار الى دار
القرار فما هذا الامل الطويل والعمر قصير وما هذا الحرص البعيد والاجل قريب وما هذا
الطلب الشديد ولم ينسك ربك وما هذا الجمع العتيد وبلغة من قوام العيش حسبك ه
عن عبد الله بن مسعود في قول الله عز وجل ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ امره
انه قاض نظهور امره على غيره وجاعل لكل شيء قدرا ان يكفر عنه سيئاته حتى يفوز بسعادة
الدارين ويحظى بفضل الخالقين

المجلس السابع والستون من كتاب خلق الانسان تفسير قوله عز وجل وفي انفسكم افلا تبصرون يتضمن الكلام في صبر الانفس ورضاها وقناعتها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي انتظم عقود الثناء في سلك حمده واجتمع جميع الاشياء في طاعته حق كثر احسانا
ان يحصى بكلمة وجل امتنانه ان يشكر حق الشكر على اقله طابت القلوب بمعرفته وحارت
الابصار في قدرته وسعت الاقلام الى طاعته وارتفعت الايدي نحو اجابته يعطف بالمحبوب
على المحذور ويخرج من الظلمات الى النور يهدي القلوب بضياء منه الى الانوار وينفي الصدور بشفاء
ما بعده استقام لا انقطع ووسايل رحمته عن كل سايل ولا انقطع سحايب نعمته عن اهل نقيم نعمائه
او دكل ما بل وبدنيم بكفاياته صعد كل غايل لا يخفى الصابرين عن بحر حاجز ولا يعزي المحسنين
عن فضل ظاهر لا معدل عن بابه للراجين ولا معقل عن جنابه للاجلين ينقض احسانه رايح ه
الاحوال ويقرب امتنانه نازح الامال لا يخيب من رجاه ولا يرد دعاء من ناداه لا يملك الضر
والنفع سواه وهو الله لا اله الا هو نقوم عفوه عنا اذا اقعد التفريط بنا ويهدي لطفه لنا اذا
دار التحير على قلبنا احمد الاه اعلاه الروح باعتقادها مثل انطلاق اللسان باعتدادها
احمده بوسعي وطاقتي واتوسل اليه بعجزي وفاقتي وارضى بتدبيره جهدي وعجزي وارى من
تقديره كدري وصفوي واصبر على حكمه راضيا بقضائه واقنع بما قسم في سائر العطائه
واصلي على المبعوث لشمل الدين جامعا ولكلمة الله ناصرا المذكور في دعوة ابرهيم نبيا المبشر به
في الكتب مليا المنتظر في مطالع انوار الانبياء المترقب في موارد ادوار الاصفياء المطرز اسمه على
اكرم الدين المقرب منزله وآدم بين الماء والطين الجاهد في الله حتى اصبح الدين مرفوع العماد راسخ
الاوتاد عالي الاطواد فدا الكلمة في البلاد والعباد ذلك محمد صفوة البرية وخيرة الخليقة ومفخر
العالم وسيد ولد آدم صلى الله عليه وآله وسلم صلوة متصلة الامداد متكاثرة الاعداد وسلم تسليما

روى ابو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من مرض ليلة فصبر ورضي بها عن
الله خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه هذا لمن جاد بنفسه عن الله ليلة واحدة فكيف
بمن جاد عليه بنفسه في جميع عمره ورضي عنه في امره وهل يجود اكرم الاكرمين واجود
الاجودين على مثل هذا الا بلقائه الكريم حتى يبلغ ما وصفه تعالى بقوله ولسوف يرضى
اي يعطى حتى يرضى وانما يعطى ما يعقل وما لا يعقل كما روى جابر بن عبد الله يقول الله تعالى
يا اهل الجنة هل بقي لكم شيء لم تنالوه فيقولون وما هو ربنا فيقول رضواني ولا شيء اكبر منه كما
ذكر الله جنات عدن ثم قال ورضوان من الله اكبر ورضوان الله في الجنة للعبد على قدر
رضا العبد عن الله في الدنيا فمن اوجب الله له الرضا عنه في الدار الدنيا بجميع ما يجري
عليه من حكم الله فحظه في الجنة الرضوان كله وقال بعض الصالحين الصبر ان يصبر على البلاء و
الرضا بالقضاء وهو الذي يستوجب العبد به من الثواب ويصبر في النعماء عما يدعو اليه الهوى مع
القدرة عليه والتمكن منه وهو صبر يعظم عند الله ثوابه ويحق عليه الصعاب وثواب الصابرين
اوفى واوفر من ثواب المحسنين وجزاءهم اكمل واجزل من جزاء المجاهدين فيوفون على كل جزاء
وثواب كما قال الله تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وروى ابو سعيد الخدري عن
النبي صلى الله عليه وسلم من يتصبر يصبره الله ومن يستعفف يعفه الله وما اعطى احد عطاء هو خير
واوسع من الصبر والتصبر ما يكون من عزم المؤمن على الصبر فاذا عزم عليه حفته المعونة من الله فيهون
عليه ما كان من قبل يجاهده ويقاسيه وعلى هذا امر الله عباده بقوله اياك نعبد واياك نستعين
فانه سقدم الاقدام في العبادة بما اعطي من القوة عليها ثم سؤال المعونة لتقوى القلب ونمد النفس
وقد قال الله تعالى فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا وجاء في الاخبار لن يغلب عسر يسرين
ومعناه ان اليسر يتكرر ويكون الثاني غير الاول فاليسر الاول هو اليسر الاصلي حجة الله على عبده وهو
ما اعطى العبد من الآلة والعلم والمعرفة والقوة ولكن مع هذه الاسباب النفس وطغيانها والشهوة
وشيطانها فاحتاج العبد الى يسر آخر اذا اخذ في العمل وهو العون له ولهذا قال الله عز من قائل
لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم واصبر وما صبرك الا بالله فالاول امر بالعبادة والثاني تنبيه على
العناية ثم ترقى من درجة الثاني درجة بك فقد ارتقى من منزلة الانقياد واستوى على ذروة الافعال
كما قال صلى الله عليه وسلم بك احيا وبك اموت فاذا جاء العون تم الامر وذلت النفس وخمدت الشهوة
وهرب الشيطان وما تبعه بالطل ابن حقين ولم يكل الواحد باثنين وصار العبد عند ذلك كنجم طار عنه
غباره وكنجم انحسر عنه سحابه بل كشمس اضاء نهارها وروضة فاضت انهارها ونفثات
للاستذكار انجارها واما قوله صلى الله عليه وسلم وما اعطي عبد عطاء هو اوسع من الصبر فذلك

من قبل ان الصدر قد انشرح والنور قد انفسح كما قال الله تعالى أفمن شرح الله صدره للاسلام
فهو على نور من ربه فحينئذ يلقي النفس بيديها سلما لمولاها في امره ونهيه وجميع احكامه عليه
وتدبيره له فليس للقلب منازع لان الصدر متى اشرقه الصبر حل بالنفس من ذلك الاشراق حتى
ثم يزداد النور فيدخل العظمة وهي نور القربة فتتم الرهبة من الله ثم يزداد النور فيدخل الطمأنينة
فتخشع النفس للقلب فيسمع سواد الخيرات فتتصل اسباب البركات فالعبد بالمرتبة من اول الانوار راض
ثم يزيد فهو صابر قانع ثم يزيد فهو صابر قانع راض ثم يزيد فهو صابر قانع راض مراقب ثم يزيد فهو
صابر قانع مراقب واله ثم يزيد على هذا كله فهو متفرد قد انفرد بحبه لربه وتعرى عن اوصاف
قلبه لغلبة الانفراد على الصبر والقناعة والرضا والمراقبة فيتم الفناء عنها بظهور الانفراد
لمحبة الله عليها فسقوط الاحوال وسقوط الاوصاف سئل بعض الصوفية عن المحبة فقال فناء وصف
المحب في بقاء وصف المحبوب وقال ابو عبد الله القرشي ابى الله ان يحيي نفسا حتى يميتها وان يجمع
حالا حتى يفرقها وقيل ما الاتصال الا بالانفراد وما الحيوة الا في الموت اي ما حيوة القلب
الا في اماتة النفس وانشد

عجبت منك ومني … افنيتني بك عني
ادنيتني في محل … ظننت انك مني

فاذا انفرد العبد به صار في قبضته كما قال صلعم عن جبريل عم عن الله تبارك وتعالى حين يقول
كنت سمعه وبصره ويده ورجله ولسانه وفؤاده فبي ينطق وبي يعقل وبي يمشي وبي يبصر
وبي يبطش فهذا كله للصابرين من الحابسين انفسهم على حكم الله السائرين من النفس الى الله جميعا
ما قال علي عليه السلم الصبر مطية لا تكبو وحسام لا ينبو وانه من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد
وقال بعضهم الصبر تاج حلي العقل اذ المرء لا يصبر على ما يكره الا بكمال عقله كما جاء في الحديث
العقل ثلثة اجزاء حسن المعرفة بالله وحسن الطاعة له وحسن الصبر على اوامره وقوله عليه السلم
الصبر نصف الايمان فانما ذلك من قبل ان الايمان معرفة اصول الدين على اليقين والعمل بفروعه
على الاخلاص فعلا للواجبات وتركا للمحرمات ولا يمكن المثابرة على هذا العمل مع مشقته على
الانفس ولا على هذا الترك مع موقع لذاته في الانفس الا بعزيمة الصبر فكان الصبر نصف الايمان بهذا
الاعتبار وان حمل الحديث على خصال الايمان فالايمان اوامر ونواهي والصبر انما يكون عن النواهي
لما جبلت عليه النفوس من الانصباب اليها والانكباب عليها فكان الصبر نصف الايمان ومن
وجه آخر ان الاحوال في الاجمال على قسمين اما نافع واما ضار وحال الانسان بالاضافة الى ما يضره
حال الصبر عليه وبالاضافة الى ما ينفعه حال الشكر عليه فكان الصبر نصف الايمان والشكر نصفه الآخر
ولكل ما يقع الصبر عنه دواع وصوارف والدواعي البواعث على الصبر عنه والانتهاء منه اما من جهة

الهوى ثم تزيد على الملذ واما من جهة الغضب فمن دواعي الولاية وكان الصوم صبرا على مقتضى دواعي الهوى
من اقتضاء الشهوتين بطنا وفرجا دون دواعي الغضب كان الصوم نصف الصبر وربع الايمان وقد جاء
في بعض الروايات ان النبي صلعم سئل عن الايمان فقال الايمان هو الصبر وهو على تغليب الاعمال المختلفة
الاسماء باختلاف المبادي والموارد مع اتفاق المعاني والمصادر فتسمى عفة اذا كان صبرا على اقتضاء
شهوتي البطن والفرج وفي المصائب سلوة وفي النوائب وقارا وفي احتمال بطر الغنى ضبط النفس وفي
الثبات عند القتال نجدة وفي كظم الغيظ حلما وفي حمل المؤن سعة الصدر وعلى حفظ الاسرار
كتمانا وعلى اداء الحقوق امانة وعن فضول الدنيا زهدا وعن الشبهات ورعا وعلى تزجية
العيش باليسير قناعة فلما اخذ الصبر بجوامع خصال الانسان غلب عليه كما قال صلى الله عليه وسلم
الحج عرفة وكما قالوا التصوف هو الخلق الا ترى الى جمع الله تعالى معظم هذه الخلال في الصبر بقوله
والصابرين في البأساء على ما جاء في التفسير انها المصيبة والضراء انها الفقر وحين البأس انه
صدق القتال حين جدت الصدمة اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون وصفهم بالصدق
في معاملة الله كما وصفهم بالتقوى عن محارم الله ومن تتبع لباب المعاني واعرض صفحه عن قشور
الالفاظ وظروف العبارات تبين معنى الصبر في جميع هذه الخصال ثم ما عليه لو اختلف اللفظ
اذا استقام المعنى عليه وما انصف قول القائل

سموا نداك هدية فاجبتهم … متعرضا وكفاهم الايماء
ايراد معنى كل شيء لاسمه … امر للعقل فيطلب الاسماء

ولما جاء رسول نصارى بني تغلب الى عمر وقال ان خيارنا قد تبرأ من عز الينا انك انا
ضعفين وان تشرع الينا الالسنة الرهاف فقال لعمر اذن اجوركم جور العبد المعافى كعاده
الله في سواكم فقال او خيرا من ذلكم الضعف في الصدقة والخمس في العشور ومن عز ان يكون ذلك
جزية سائر اهل الكتاب فرضي به لك عمر فقال سموها انا شئتم فهي عندنا الجزية فهذا على اعتبار
معنى الصبر في عموم تناوله سائر خصال البر وكتب عمر الى ابي موسى الاشعري عليك بالصبر فان
الصبر الى الايمان واعلم ان الصبر صبران واحدهما افضل من الآخر ان الصبر في المصيبات حسن
واكرم الصبر عما حرم الله احسن وكان اذا قرا قوله تعالى في آية الصبر اولئك عليهم صلوات من ربهم
ورحمة واولئك هم المهتدون قال نعم العدلان يعني الصلوة والرحمة ونعم العلاوة يعني بها الهدى
وقال المامون لله الفضل بن سهل اي رجل هو لولا خصلتان عجلة الى الفرصة من قبل ان
يستبين حال العاقبة وقلة الصبر في النوائب على انتظار الفرج وفي كلام الحكماء في الصبر قطب
الامور الذي عليه تدور وقليل علم من اعلام الفضل الاكبر والصبر سببه واليه ينتسبه فاجعل الصبر معقلك

الذي تلجأ اليه ومفزعك الذي تعتمد عليه فانه يقوم بنصرتك ونجح طلبتك وكان بعض الصالحين
في جيبه رقعة يخرجها كل ساعة ويطالع فيها وفيها واصبر لحكم ربك فانك باعيننا وسبح
بحمد ربك وانشد ما اعتاضني من آلمبت له ثوبًا من الصبر لا يبلى على الزمن

ان الكريم اذا نابته نائبة … الفيته وجميل الصبر في قرن ولعبد الله بن طاهر

اني وجدت وفي الايام تجربة … للصبر عاقبة محمودة الاثر
وقل من جد في امر يطالبه … واستصحب الصبر الا فاز بالظفر
سامر جتي يعلم الصبر انني … اخو الذي يطوي عليه جوانحه
واقبل ميسور الزمان وانما … ارى العيش مقصورا على من يسامحه

المعدل بن غيلان العبدي ولست بنظار الى جانب الغنى … اذا كانت العلياء في جانب الفقر

واني لذو صبر على ما ينوبني … وحسبك ان الله اثنى على الصبر
الصبر مفتاح ما يرجى … وكل صعب به يهون
فاصبر وان طالت الليالي … فربما امكن الحرون
وربما نيل باصطبار … ما قيل هيهات لا يكون
وصابرت ايامي بصبر حلون لي … عواقبه والصبر مثل اسمه صبر
صبرت ومن يصبر يجد غب صبره … الذ واحلى من جنى النحل في الفم

ومر رجل بامراة من خاصرة واذا ابن لها مسجى بين يديها وهي تقول يرحمك الله يا بني فوالله ما
كان مالك لبطنك ولا امرك لعرسك ولقد كنت لي لين العطفه برحيمك اقل مما يسخطك
فقلت لها يا امة الله منه خلف قالت بلى ما هو خير منه ثواب الله والصبر على المصيبة
وقيل لامراة اصيبت بواحدها فاحسنت الصبر كيف تصبرين عن مثله فقالت لو رأيت فيه
دركا ما اخترت عليه لو دام لي ما دمت له وقال بعضهم شهدت امراة بالبادية وبين يديها
ابن لها يجود بنفسه فوثبت اليه فغمضته وعصبته ورحمت عليه ثم تنحت فقالت ما احق من
البس النعمة واطيلت له العافية وادبته النظرة ان يحسن عند الصبر بما اوتي والشكر على ما مضى وقد
تكلم اهل هذا اللسان في حقيقة الصبر بحسب احوالهم واوقاتهم فقال الجنيد هو تجرع المرارة من
غير تعبيس وانه لشديد على ما يحب فكيف على ما يكره وقال ابن عطاء هو الوقوف مع البلاء بحسن الادب
وقيل هو الفناء في البلوى بلا ظهور الشكوى وانشد

ساصبر كي ترضى واتلف حسرة … وحسبي ان ترضى ويتلفني صبري
اجلك ان اشكو الهوى منك انني … اجلك ان تومي اليك الاصابع

وامر وطري

وامر وطري في بحر عزك ما سكنا … على انه بالرغم عنك خارج

ووقف رجل على الشبلي فقال اي صبر اشد على الصابرين فقال الصبر في الله فقال لا فقال
الصبر في الله قال لا فقال الصبر مع الله قال لا قال فايش قال هو الصبر عن الله فصرخ الشبلي صرخة
كادت روحه تتلف الصبر يجمل في المواطن كلها الا عليك فانه لا يجمل

الصبر عنك فمذموم عواقبه … والصبر عن ساير الاقوام محمود
وكيف الصبر عنك واي صبر … لظمآن عن الماء الزلال
وكيف الصبر عمن حل مني … بمنزلة اليمين من الشمال
اذا لعب الرجال بكل شيء … رايت الحب يلعب بالرجال
رايت الصبر عن حبك لا يلتوي وقد رمته … واني لرفيق القلب للشعر واذكته
وانت الحجر الاسود لو يحلو لقبلته
واني لصبار على كل حادث … ولكنني من خطة البين اجزع
ومن ذا يطيق الصبر بعد خليله … ومن ذا الوثاب البين لا يتضعضع

وعلى هذا اصبح يعقوب عازما على الصبر وقائلا فصبر جميل اي فشاني صبر جميل فلم يتمن حتى قال
يا اسفى على يوسف وقيل ان هاهنا اربع مراتب الصبر وهو لا يفرق بين حالي النعمة والمحنة وا ...
وهو سكون الخاطر في النعمة والمحنة والتصبر وهو الهدوء مع البلاء مع وجدان اثقال المحنة والصابر
وهو الصبر على الصبر حتى يستغرق الصبر في الصبر ويعجز الصبر عن الصبر

صابر الصبر فاستغاث به الصبر فصاح المحب بالصبر صبرا
صبرت فلم اطلع هواك على صبري … واسررت ما القى من الوجد في صدري
مخافة ان يشكو ضميري صبابتي … الى دمعتي سرًّا فيجري ولا ادري

وقيل حبس الشبلي وقتا في المارستان فدخل عليه جماعة فقال من انتم قالوا احبابك زاروك
فاخذ يرميهم بالحجارة واخذوا يتسللون فقال لو كنتم احبابي لصبرتم على بلائي ورأى حدث
بليل وجه شيخ بنعله فقيل له الا تستحي فقال لجرم عظيم هذا بدء عمن انتهى الى ما وصل تلك ما راى
وسئل بعض المشائخ بماذا يروض المريد نفسه فقال بالصبر على الاوامر واجتناب الزواجر وصحبة الصالحين
وخدمة الفقراء ومجالسة الفقراء وتمثل بالبيتين

صبرت عن اللذات لما تولت … والزمت نفسي هجرها فاطمأنت
وكانت على الايام نفسي عزيزة … فلما رأت صبري على الذل ذلت

واما الرضا فهو من منزلة الصبر من المقامات الاكتسابية ومن الحالات الانتهائية وكان الصبر

على أوامر الله وعن نواهيه من اكتساب العبد الصبر على مقاساة ما يتصل به من حكم الله من مواهب
الله لا باكتساب العبد فكذلك بداية الرضا من جملة المقامات يكتسبها العبد اكتسابا
ونهايته من جملة الأحوال يوجبها الله إيجابا ومن تحلى بالرضا فقد لُقّي بالترحيب الأوفى
وأكرم بالتقريب الأعلى ولا يكاد العبد يرضى عن الله إلا بعد أن يرضى عنه الله كما قال الله تعالى
رضي الله عنهم ورضوا عنه فإذا كان العبد راضيا عن الله علم بذلك أن الله راض عنه قال موسى
عليه السلام إلهي دلني على عمل إذا عملته رضيت عني قال إنك لا تطيق ذلك يا موسى فخر موسى ساجدا
متضرعا مجيبا فأوحى الله إليه يا ابن عمران إن رضاي في رضاك بقضائي وأوحى الله إلى داود
عليه السلام يا داود تريد وأريد ولا يكون إلا ما أريد وقال الفضيل يقول الله عز وجل عبدي
[illegible] وقال إن لم تصلح أمرك على تقدير الله لك لم يصلح على تدبيرك لنفسك
وقال الشبلي التدبير شك والاختيار شرك وقال الجنيد مرضت فتمنيت العافية
فرأيت فيما يرى النائم أن لا تدخل فيما بيننا وبين ما نريد وقال أبو يوسف بن حمدان خرجت إلى
مكة على طريق البصرة ومعي جماعة من الفقراء فيهم شاب كنت أغار عليه من حسن سمته وطول
صمته ومراعاة حاله فلما وصلنا إلى المدينة مرض الفتى مرضا مبرحا وانفرد عنا فمضيت إليه
مع جماعة من أصحابنا فلما رأيناه وشدة ما به قال بعضهم لو أحضرنا طبيبا فلعله يكون
عنده دواؤه فتبسم الشاب من ذلك فقال يا أشياخي وأحبابي يا أهل الخالق بعد الموافقة
من أراد الله له حالا وأراد هو غيرها أليس قد خط لنفسه في إرادته وقال رويم لو أن جهنم
في عيني اليمنى ما سألت الله أن يحولها إلى عيني اليسرى وقال الرضا استقبال الأحكام
بالفرح وقال أبو عبد الله النباجي يريد عبيد أهل الدنيا من مواليهم أن يرضوا عنهم وإنما
إرادة الله من عباده فهو أن يرضوا عنه وما كان رضاهم عنه إلا بعد رضاه عنهم وقال
عبد الواحد بن زيد الرضا باب الله الأعظم وجنة الدنيا ومستراح العارفين وقال شقيق في
قوله تعالى ومن يؤمن بالله يهد قلبه أي إلى الرضا والتسليم فقال سهل بن عبد الله
المؤمنون في الكافرين قليل والصالحون في المؤمنين قليل والصادقون في الصالحين
قليل والصابرون في الصادقين قليل والراضون في الصابرين قليل والعارفون
في الراضين قليل وقال بعضهم طريق السالكين أطول وهي طريق الرياضة وطريق
العارفين أقرب لكنه أشق وهو أن يكون عملك بالرضا ورضاك بالقضاء وقال
الواسطي استعمل الرضا جهدك ولا تدع الرضا يستعملك فتحتجب بروحه عن حقيقته
فالسكون إلى الأحوال يحجب عن محولها وعليهن أقوله إياكم واستحلاء الطاعات

فإنها سموم قاتلة وقال أبو عبد الله النباجي من عباد الله خلق يستحيون من الصبر يتلقون
مواقع أقدار الله بالقضا وخرج بعض الصالحين يوما وفي كمه صرة فافتقدها فإذا هي قد أخذت
من كمه فقال بارك الله له فيها ولعله أحوج إليها مني وأوصى النبي صلى الله عليه وسلم ابن
عباس فقال اعمل لله تبارك وتعالى باليقين في الرضا فإن لم يكن ففي الصبر خير كثير وفرق إلى
أهل المقامات درجة إلى أوسطها وروي أنه عليه السلام قال لطائفة من المؤمنين ما أنتم فقالوا
نحن المؤمنون فقال ما علامة إيمانكم قالوا نصبر عند البلاء ونشكر عند الرخاء ونرضى بمواقع القضا
فقال مؤمنون حلماء علماء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء وقال أبو الدرداء ذروة الإيمان الصبر
للحكم والرضا بالقدر وفي الحديث المروي من طريق أهل البيت إذا أحب الله عبدا ابتلاه فإن صبر
اجتباه وإن رضي اصطفاه وأهل الرضا يرون من الرضا أن لا يقول العبد هذا يوم شديد
الحر ولا هذا يوم شديد البرد ولا يقول الفقر بلاء ومحنة ولا العيال هم وتعب والاحتراف كد ونصب
ولا يعتقد بقلبه شيئا من ذلك لا يقوله بلسانه بل يرضى القلب ويسلم اللسان وتطيب الروح وتسكن
النفس ويتنعم العقل بوجود حلاوة التقوى واستحسان حكم التدبير كما قال عمر بن عبد العزيز
أصبحت وما لي سرور إلا في انتظار مواقع القدر وقالوا أحظ الخلق من اليقين على قدر حظهم من
الرضا وحظهم من الرضا على قدر عيشهم مع الله عز وجل وقالوا من الرضا أن لا يذم شيئا ولا
يعيبه وتشاهد الصانع في جميع ما صنع وبعضهم يجعلون هذه الأشياء في باب الحياء من الله
ومنهم من يقول الحياء من حسن الخلق مع الله ومنهم من جعله من باب الأدب بين يدي الله وهو داخل
في الجميع إذ ليس من الحياء ولا من الوفاء ولا من الخلق ولا من الأدب يتخطى ما أراده وفعل مراده
ولا الإزراء على ما أبدعه وعلى ضرب من الحكمة والتدبير صنعه نظر عمرو بن عبيد إلى واصل بن عطا
وكان طويل العنق معوجه وقال أرى عنقا لا يفلح صاحبه أبدا فسمعها واصل فقال يا ابن أخي إن
من عاب الصنعة فقد عاب الصانع ونقل رواة أن النبي صلى الله عليه وسلم ما عاب طعاما
قط إن اشتهاه أكله وإلا تركه وقال أنس بن مالك خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم
عشر سنين ما قال لي لشيء فعلته لم فعلته ولا لشيء لم أفعله لم لا فعلته ولا قال لشيء كان ليته
لم يكن ولا لشيء لم يكن ليته كان وكان يقول لو قضي لكان وقالوا إن أعمال طلاب الرضا من الله
عز وجل مضاعفة على أعمال المجاهدين في سبيل الله قال الله تعالى مثل الذين ينفقون أموالهم في
سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة ثم قال ومثل الذين ينفقون
أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنة بربوة فكم في هذه الجنة من سنبلة
وحبة فهي للذين قال فيهم والله يضاعف لمن يشاء وإنما هؤلاء هم أهل الرضا عنه الذين لا يكونون

مع انفسهم فيما يجري لامر ربهم فيما بعد وقال بعض العارفين قد نلت من كل مقام حالا الا
الرضا فما لي منه الا مشام الريح وعلى هذا لو ادخل الخلائق الجنة وادخلني وحدي النار لكنت بذلك راضيا
وقيل لآخر قد نلت غاية الرضا فقال الغاية لا ولكن مقام من الرضا قد نلته لو جعلني جسرا على
جهنم يعبر الخلائق علي الى الجنة ثم ملأ بي جهنم تحلة لقسمه وبدلا من خليقته لاحببت ذلك من حكمه
ورضيت به من قسمه وقال الروذباري لابي عبد الله بن الجلاء الدمشقي قول فلان وددت ان
جسدي قرض بالمقاريض وان هذا الخلق اطاعوه ما معناه فقال يا هذا ان كان هذا من
طريق الاشفاق على الخلق فاعرفه وان كان من طريق التعظيم والاجلال فلا اعرفه ثم غشي عليه وضاع
لبعض الصوفية ولد صغير ثلاثة ايام لا يعرف له خبر فقيل له لو سألت الله ان يرده عليك فقال
اعتراضي عليه فيما قضى اشد علي من ذهاب ولدي واختلف ثلاثة من الصوفية اي مقاماتهم افضل
عبد يحب الموت شوقا الى الله وعبد يحب البقاء ليدأب في طاعة الله وعبد قال لا اختار
بل ارضى بما يختار لي مولاي ان شاء احياني وان شاء اماتني فتحاكموا الى بعض العارفين فقال
صاحب الرضا افضلهم لانه اقلهم فضولا فكان مقام الرضا اعلى من مقام الشوق وهكذا ينبغي
ان يكون لانه دخل في هذه الدار بغير اختيار فكذلك ينبغي ان يخرج واجتمع ذات يوم وهيب
بن الورد وسفيان الثوري ويوسف بن اسباط فقال الثوري قد كنت اكره موت الفجاءة
قبل اليوم فاما اليوم فوددت اني مت فقال له يوسف ولم قال لما اتخوف من الفتنة فقال
يوسف لكني لا اكره طول البقاء فقال الثوري ولم قال لعلي اصادف يوما اتوب فيه واعمل
صالحا فقالا لوهيب ايش تقول انت فقال لا اختار شيئا احب ذلك الي احبه الى الله فقبل
الثوري ما بين عينيه فقال روحانية ورب الكعبة يعني مقام الروحانيين وهم المقربون اهل
الروح والريحان والمحبة لله والرضوان كما قال فاما ان كان من المقربين فروح وريحان اي
لهم روح من نسيم القرب وريحان من طيب الحب وايضا لما ذكر ان لاصحاب اليمين من كل كرب وهول
سلامة وكان المقربون اعلى منهم كرامة كان ايضا في مفهوم الخطاب لهم من كل كرب روح بما هم فيه
ورتب في قوله عز منه القرب والحب فبذلك علوا ولذلك فضلوا وهكذا كان بعضهم يقول
سر العارف في الاشياء واقف مثل الماء في البئر لا يحجب المقام وان اخرج خرج ومثل لسان
الميزان في اعتداله بين كفتين ايهما انزل له مال به وقال آخر قلبي مثل الماء يجري ثم يريده
اي لا يقف على وصف فحيثما اجراه المجري سار يجري وقال آخر قلبي مع القلوب كالخاتم مع المحبوب
ومما يحكى في الرضا ما حكي عن المغربي قال جهدت ان استوي في الرضا فلم استو فرأيت في
النوم انك تريد ان تستوي نفسك على الرضا فاستقر في الحج فاني ثم عبدا يقال له

الياس بن مفرج هو يبلغك من الرضا فتهيأت من الشام الى الحج فسالت فدللت عليه فجئته
فاذا قصر بابه حديد وارماح واتراس منصوبة وغلمان وحجاب فقلت في نفسي خرجت الى العدو وجئت
فقال الياس لك لا ابتدئه قد قصدنا هذا من الشام فنظر الى باب داره فخرج اليه شيخ فخرج قوم
فعلقوا بي ورقة وبي اليه فدخلت عليه فقال لي ويلك مثلك يزدري باولياء الله فقلت له
اني ظننت اني انما اقصد رجلا فقيرا اعطى من بلاء او في خرابة او في مسجد على ساحل فجئت الآن
الى رجل على بابه اراه رماح الخط وسيوف الهند قال وما يضرك ذلك اذا كنا بالله وبه ثم نزع ما
علي والبسني جبة صوف فقال ارم واسكني بيتا فلما كان المغرب ناولني تفاحة وقال افطر عليها
فلما كان بعد العشاء الآخرة قال لي انزع ثوبك وامرني بالدخول في الماء وكان شتاء فلم ازل
ارتعد الى الصبح ودخلت البيت وصمت نهاري فلما كان الليل ناولني تفاحة وامرني بعد العشاء
الآخرة بالدخول في الماء وكان في الليلة الثانية كقوته واكثر وفي الليلة الثالثة حمي علي
الماء فقال لي من العشي حمي عليك الماء قلت نعم قال فكيف ترى نفسك قلت ساكنة فقال اصبر الى
حتى مرتان يلحق عليك تنبه رجل مطالب بالخراج بكسر كعابه وشغل ابن يكون فقبض علي وادخلت
دار الطالب بالخراج واخذت بالمقارع كعابي فالتفت الي وقال كيف ترى نفسك قلت اراها ساكنة
فقال الان على هذا الخراج دعوه ينصرف ثم قال لي ان شئت فكن برا او بحرا فقد استوت نفسك على الرضا
ومما يحكى في الصبر والرضا بالقليل ما حدث ابو العتاهية قال بينا انا في حبس الرشيد اذ دخل
علينا رجل ذو شارة وهيئة فسلم وجلس ساعة لا ينطق فقلت له اصلحك الله ان المحبوسين استروحوا
الى الاخبار ويتطلعون الى الحديث وقد دخلت فاحدثنا بشيء من امرك ولا امر غيرك فقال انا ابن رسول
الله صلى الله عليه وسلم فكان الداخل دهشة فابطؤوا بامري فلم يبدأوني بالعطاء والتأنيس
ثم اقبلت على العبد الثاني فقلت مصدوق وتقرع عليه كل واحد منا قصته ثم اخرج اليه سويقا
كان عندي فسقيته وبينا هو يشرب اذ دخل الاعوان فقالوا قم فقد امر بقتلك فارتعنا ودهشنا
وهو ساكن الجأش وبرع النفس حتى استتم السويق ثم قال انا حاضر بن ابي عيسى بن عبد الله بن الحسن الزكي

اقول:
تعودت مس الضر حتى الفته ... واسلمني حسن العزاء الى الصبر
وصيرني يأسي من الناس راجيا ... لسرعة صنع الله من حيث لا ادري
ووسع صدري للاذى كثرة الاذى ... وقد كنت احيانا يضيق به صدري
اذا انا لم اقبل من الدهر كلما ... تكرهت منه طال عتبي على الدهر

ثم مضى غير مرعوب ولا منذعر فلم نر له جاشا ولا اجمع قلبا منه ولم نعرف له خبرا ثم اني لقيت
بعد سنين بالموقف فتعرفت اليه وقلت ما كان شانك بعدنا فقال ادخلت على الرشيد فقد

النطع وجرّد السيف وعصبت عيني وامر بقتلي فرأى شيخي يحركان فقال لم تحرك شفتيك الا ام
لك فقلت بدعاء علمنيه مولاي فقال اجهر فقلت اللهم يا من لا يؤده قضاء عن كل ذي سلطان
منيع ولا يدفع بلاؤه عن كل ذي مجد رفيع ويا كاشفا لهم عن المأسور الضعيف عند معضل الخطب
ودافع النقم عن المضطهد اللهيف عند مقطع الكرب اسالك باجل الوسايل اليك واقرب الوسايل
محمد خاتم النبيين واهل بيته وبالمبين اهل بيته الطاهرين ان تجعل لي من امري فرجا وتيسر لي من محنتي
مخرجا انك سميع الدعاء قال فاغرورقت عيناه وقال لم تحي بحرا لبني تراب ادعوا اليه زادا وولدا
والحقوه باهله فاخرجت الى المدينة ثم ههنا حال فوق الرضا وهو الشكر على البلاء ومن لا يسكت عنه
لا من وجه واحد بل من وجوه اذ لم يكن ذلك في البلاء في الدين وكان في الدنيا التي لا يبقى لها حال
وعلى هذا جاء في الادعية اللهم لا تجعل مصيبتنا في ديننا ولا الدنيا اكبر همنا وحبس صديق لبعض
الصالحين فارسل عليه بالشكر فلم يصبر فضرب وطولب فاثر ادبر معا مجوسي مبطون وقرن به في
قيده معا فكان يحتاج ان يقدم مع المجوسي لاستفراغ ما به فقال له اشكر الصالح على عادته اشكر
الله فقال الى مثل هذا البلاء فما انعم على مثل هذا البلاء داين لو كان ذلك الزنار مع هذا البلاء
في وسطك وهذا الغبار على كتفك ما كنت تصنع مجد الله كثيرا او صار من الصبر الى الشكر فلم يلبث
حتى تخلص لما اخلص سمعتها من الشيخ الفقيه ابي سعد العابني الصوفي رحمه الله هذا واحد والثاني
انه ما من بلية الا ويمكن ان يكون اعظم واكثر مما هي عليه بل ما من بلاء الا وهو تادب للعبد
وتكفير للذنب وما من عبد الا ولا ادب واحتقب الذنب الا وهو يستحق اكثر مما نال ومن استوجب منه
القتل والاستيصال فاكتفى منك بالتعريك والتثقيف كان حقيقا منك بالشكر والرضا رمى
بعض الصالحين بعض الطرقات فارسل عليه طشت رماد فسجد سجدة الشكر فقيل له في ذلك فقال
من استوجب ان يصب عليه النار فاكتفى منه بالرماد داناما وجب عليه ان يشكر وقيل للحسن هلا تخرج
للاستسقاء فقال انتم تستبطئون المطر وانا استبطئ الحجر والثالث انه ما من عبد وان كان من
المعصومين الا ويصدر منه بادرة الخطا على اطوار عمره واناء دهره اما فعلا واما تركا وسبيل
العبودة النظيفة منه ولا يكون ذلك الا بالجزاء فالجزاء واجب على الخير والشر وهو اذا وقع في دار الابتلاء
حجل ولا دوم وصفة لا عظم وفي دار الجزاء لا ينقطع مدده ولا يمتنع فرضه فيحق علينا الشكر
من قبل حصته الجزاء ومن قبل قلبه مع استحقاقه ودوامه وشدته وفي الحديث اذا اذنب
العبد ذنبا فيصيبه بلاء في الدنيا فالله اكرم من ان يعذبه ثانيا والرابع ان هذه المحن
والنوايب مكتوبة لا بد منها فاذا استقبلها العبد بالشكر والرضا خار الله له فيها وافضى به
منها الى كل خير وسلح وبجح وفلاح وينزع نفسه من الدنيا المشوب سرورها بالاحزان

المحزون

المحزون صحتها بالاسقام المكنونة راحتها بالالام وستقيم بهم الى الاخرة التي ليس فيها ورد فيها
كدر ولا النعيم فيها غير فيكون استشعار الفرح في موارد الغموم والالتحاف برداء الشكر في مواطن الصبر
اهون للنوايب وادعى للعرو وفتح دار المصايب والتجافي عن منهل الثواب فيكون حاله حال من يعالج
من المرض بشاعة الادوية الكريهة وصعوبة اتم النيل من الاطراف فكساه الله البدن وبعد ذلك
الدواء الكريه واكمل الحوام نعمة مشكورة موفورة لما اسفر عنه من المنفعة الموفية والراحة الدائمة
ولو لم يكن في الابتلاء الا تمحيص الذنب وتاديب من مواخذته تكفير وتطهير وتجافيه انعام و
اكرام لكان في ذلك النعمة العظيمة والموهبة الجسيمة

بنو كعب وما اثرت فيهم يد ... لم يدمها الا السوار
بها من قطعه الوضح ... وفيهما من جلاله افتخار
وما في سطوة الارباب عيب ... ولا في ذلة العبدان عار

فاذن ما البلية الا وفيها خيرة عاجلة ثم عليها وعنها عوض ومثوبة آجلة وهي ذاهبة
فانية والمثوبة دايمة باقية فهذا موقع الشكر من الآلاء والرضا بالبلاء فالشكر والصبر هما
من صاحبه بمنزلة شريكي عنان وفرسي رهان وعن هذا قال عمر رضه لو ان الشكر والصبر بعيران ما
باليت ايهما ركبت واما القناعة فهي من الرضى بمنزلة الورع من الزهد هذا اول الرضا وذلك
اول الزهد وبالقناعة فسر الرزق الحسن في قول الله تعالى ليرزقنهم الله رزقا حسنا وبها
فسرت الحيوة الطيبة في قوله عز وجل فلنحيينه حيوة طيبة ومكتوب في الصحف الاولى
اذا اغنيت عبدي عن اربعة اشياء عن طبيب يستشفيه وعمل في يدي اخيه وعن باب السلطان
يستعديه وعن جار يوذيه فقد احييته حيوة طيبة وقال وهب بن منبه العز والغنى يجولان
فلقيا القناعة فاستقرا وقال ذو النون من قنع استراح من اهل زمانه واستطال على اهل اقرانه
راى حكيم ياكل ما تساقط من البقل على راس الماء فقال ان خدمت السلطان لم تحتج الى اكل هذا
فقال الحكيم وانت لو قنعت بهذا لم تحتج الى خدمة السلطان وخرج ابن قتادة المري الشاعر
الى المنصور للامتداح فراح عليه راعي ابل بلبن فشرب منه شربة ثم مسح على بطنه وقال
سبحان الله اتيت على امير المومنين وهذه الشربة تكفيني فرجع ولم ياته ومن كلام الفرس من
كانت قناعته سمينة طابت له كل مرقة وقيل تمام العافية بالقناعة في الميسور والرضا
بالمحتوم وقيل لابن المقفع لم قنعت بالخمول لم لم تطلب معالي الامور فقال رايت المعالي
مشوبة بالمكاره وانشد العتبي

يسرك اني نلت ما نال جعفر ... وما نال الفضل ويحيى بن خالد

القناعة

وان امير المؤمنين اعصى معصم ... بالمرهفات البوارد
وعيني تحسى منيتي مطمئنة ... ولم اتجشم هول تلك الموارد
فان عظيمات الامور منوطة ... بمستودعات في بطون الاساود

وقال عبد الملك بن مروان لاعرابي تمن فقال العافية والخمول فاني رايت الشر الى ذوي النباهة سريعا فقال لبنيه سمعت هذه قبل الخلافة وقال ثمامة دخلت على المامون وتحته فراش ادم حشيت من الريش فسلمت فامسك قبضة ساعة ثم اقبل علي بوجهه فقال وعليك السلام يا ثمامة ما العيش قلت الحرة وترك ذكر العاقبة فقال احسنت والله يا غلام اعط الفتى دينارا فما لبثت بها ثم قام يريد دار الحرم فقلت يا امير المؤمنين تريد من السؤال فقال الا تقوم لهذا بيت المال وقال بعض الصالحين انتقم من حرصك بالقناعة كما تنتقم من عدوك بالقصاص ويقال ان الجنيد كان جالسا ايام الموسم وحوله جماعة كثيرة من الفقهاء والفقراء فجاءه انسان بخمسماية دينار ووضعها بين يديه وقال تفرقها على اصحابك فقال الك غير ذلك فقال نعم دنانير كثيرة فقال او تريد غيرها مالك فقال نعم فقال الجنيد خذها فانك احوج اليها منا ولم يقبلها ومن شعر الحلاج

طلبت المستقر بكل ارض ... فلم ار لي بارض مستقرا
اطعت مطامعي فاستعبدتني ... ولو اني قنعت لكنت حرا

وفيه لا مال ابلغ للمرء كالكفافة ولا لباس احلى للعرض كالعفاف ولا عز كالطاعة ولا غنى كالقناعة وليس السعيد من وكل قلبه بالذخاير الفاخرة وملا بيته من الخزاين الزاخرة بدون المحارم من المكارم والرفيع من الشرف بطنه ملآن والجار جايع وماله مصون والعرض ضايع يغدو في اللهو ويروح ويوقر بالخوف ظهره وكنت من استشعر الياس واظهر التجمل للناس واستكثر قليل النعم وادرع الصبر على حدوث القسم ان احتج الجوع فلاداء الفرايض المكتوبة والشكر لله على المنح الموهوبة يراه الناس ذليلا في نفسه عزيزا في ماله موفورا في دينه مجردا في ماله يخلو بالليل اذا اظلم والصلوة ويصبح في النهار اذا اقبل والحسنات لا يخاف فقرا ولا يحذر شرا او اي مخافة على الحر مع الطاعة للخالق والشفقة على المخلوق واي عيش مع الرضا عن الرازق والغنى عن المرزوق وقال عبد الملك بن مروان لعبد الله بن يزيد بن ابي خالد القسري ما مالك قال شيئان لا عيلة علي معهما الرضا عن الله والغنى عن الناس فلما نهض من بين يديه قيل له هلا اخبرته بمقدار مالك فقال لم يعد من ان يكون قليلا فيحقرني او كثيرا فيحسدني وحدث بعض الصالحين قال حججت سنة من السنين فرايت ماء كثير الزحام فجعلت اتخلل الاخبية وارد الاقبية طمعا في ان ارى رجلا له فضل وعلم فاجلس اليه فبينا انا

الخبر

تخللها

اتخللها اذ هجمت على رجل قد التف بثوبه وغطى وجهه فسلمت عليه وقلت لو اظهرت وجهك فقال وما اربك فقلت وما عليك لو كشفت فقال ها هنا ما اكبر الزحام واخاف ان ارى شيئا يحجب الله علي فيه امرا فلا اتوب منه فقلت الك مال فقال اما مال فلا ولكن بحمل يستتر معه الخلة ويقدر بكف بعون العيلة وصبر تعتد به الايام وعلم ان الاقسام قد جفت عنها الاقلام وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ليس شيء يباعدكم من النار الا وقد ذكرته لكم ولا شيء يقربكم من الجنة الا وقد دللتكم عليه ان روح القدس نفث في روعي انه لن يموت عبد حتى يستكمل رزقه فاجملوا في الطلب ولا يحملنكم استبطاء الرزق على ان تطلبوا شيئا من فضل الله بمعصيته فانه لن ينال ما عند الله الا بطاعته الا فان لكل امري رزقا هو ياتيه لا محالة فمن رضي به بورك له فيه ووسعه ومن لم يرض به لم يبارك له فيه ولم يسعه ان الرزق ليطلب الرجل كما يطلبه اجله قال الشاعر احلف الله تعالى وما قسم لك لا يخطاك وتتعب وما كتب لك لا يتعداك وتسعى والفايز بسواك ابنت يا ام خالد رب ساع لقاعد قال الرشيد لاسحق الموصلي يا اسحق ذكرت البارحة جارية كنت قبل الان قبلت في حبوة المهدي فاردت ان استعيرها الي بعض من يحتج بحجب من الامر يطلبه القادر عليه ويجري بالمقدور لغيره فما اشترى في هذا المعنى شيئا ان تحضر فانشدته

الارب باغي حاجة لا ينالها ... وآخر قد تقضى له وهو آيس
يحول لها هذا وتقضى لغيره ... ويكفي الذي يقضى له وهو جالس

فقال احسنت والله اعدها علي فاعدتها فطاب نفسا بالبيت عن الجارية وامر لي بالف دينار وقال في اخرى يا اكرم تدابرون في الهوى وفي التقوى تجمعون وتعاطون على طلب الدنيا وفي ابتغاء الاخرة تعتبون لا ادري امجبورون انتم فالعذر واسع ام مخيرون فالهم ضايع وليس احدكم الثلاثة سويا لا ويحصل من الكفاية عليه ثلاثة لا يمين تسد نفسا بيرد منهما الما او في سواها من فضول العيش يطيل كده وعناه انما انت المرافق كلها بالصحة والهجرة والعافية جميعا في الكفاية دار جنة

هل العيش الا راحة وكفاية ... وقوت ويكفيني من القوت بزره
وما الفقر الا في القناعة بالذي ... يكون كفافا في المعيشة قدره
وما الذل الا في المطامع والمنى ... وما الفقر الا ما يحل بفقره
وما محنة يمنى تعد عظيمة ... بما شقى جهل وان تق وعره
ولله في جنب المكاره كلها ... مصالح فيها واحب العبد شكره
دع الحرص فالرزق المقسم واجب ... فلا حلوه يحلو لك يوما ومره
وقد يحصي الاعمال والعمل الفتى ... من العمل الزاكي الرضا ما يسره

وفي اخرى ان في الحرص ما يقرب من كل نائبة وهجنة ويؤدي الى كل تعب ومحنة والقناعة من

اسمح الخلايق واسمحها والرضا من انور الطرايق واوضحها والصبر الصبر فانه يترك عدله والصدق
الصدق فانه لا يضر اثنا بدا قال بعض العلماء من احب ان يكون الله معه على كل حال فليلزم
الصدق والصبر فان الله مع الصادقين وان الله مع الصابرين

صبرا اذا ما ساء امر فربما ✿ يسوك امر ثم يونس غبه
فاجر الغنى فيما يمض فواد ✿ ولا اجر فيما تشتهي وتحبه

ويحكى عن خالد بن صفوان قال بت ليلة استمتع بالمنى واقلب قلبي على جواني الغنى فملكت البحر الاخضر والذهب الاحمر وجعلت ما بين كوفان الى اسياف عمان فاخرة اللباس وفارهة الوشا وسارحة النعم فاذا الذي يكفيني من ذلك رغيفان وطمران ووجدت بخط الشيخ الامام القاضي يوسف بن اسماعيل القاضي القضاة على بن علي

لاكلة من جشيب الخبز تشبعني ✿ وحسوة من قراح الماء ترويني
وخرقة من دنيء الثوب تسترني ✿ حيا وان مت تكفيني لتكفيني
فلم اردد في الابواب مضطهدا ✿ كما يردد نور في الفنادين
لا احفلن ولايات فتنت بها ✿ فما عرضي والدنيا فما ديني
والبس بشكي للسلاطين عن الملك ✿ في زي المساكين

ومما جاء عن ايمة الادب في القناعة وترك الطلب لما بعث سليمان بن حبيب المهلبي من السند الى الخليل بن احمد يسئله اللحاق به ويمنيه فابى وكتب اليه يقول

ابلغ سليمان اني عنه في سعة ✿ وفي غنى غير اني لست ذا مال
سخي بنفسي اني لا ارى احدا ✿ يموت هزلا ولا يبقى على حال
وان بين الغنى والفقر منزلة ✿ مخطومة بجديد ليس بالبالي
والرزق عن قدر لا العجز ينقصه ✿ ولا يزيدك فيه حول محتال

فكتب اليه سليمان يقول له ما مالك الذي لغنا لك عنا فكتب اليه الخليل

للناس مال وبي مال الان ما لهما ✿ اذا تحارس اهل المال حراس
مالي الرضا بالذي اصبحت املكه ✿ ومالي اليأس عما حازه الناس

فكتب اليه سليمان يقول ما مالك اما اذا ابيت فاكتب الى بجوامع لغو الرفع موسوم بالوصف والخفض محرور بالاضافة ولما الا ... وذكر النضر بن شميل قال كان الخليل يقاسي الضر بين اخصاص البصرة واصحابه يقتسمون الرغايب بعلمه في النواحي وحدثنا المبرد عن الجرمي قال لما دخل المامون حين دخل العراق يوجه الى الاصمعي في ان يجيه وهو بعيد والمامون

فكتب اليه

يقول

يقول لك انكم بالاصمعي فكلمه ابو الداودي امير البصرة وكلمه يحيى بن اكثم قاضيها فاعتل بالكبر والضعف ثم قال لاصحابه حدثني ابو عمرو بن العلاء انه كان يقال بالكفاية والدعة سال الدنيا والامرة وهما بي الجهالة فاعتذر بثقلي في حرص في ما ليس اليه مع عظيم رغبته فيه ثم راى على حمار دميم تمس رجلاه الارض فقيل له بعد الخلفاء تركب هذا فتمثل

ولما ابت الا ظراق ابورد ها ✿ وتكديرها الشرب الذي كان صافيا
شربنا برنق من هواها مكدر ✿ وليس يعاف الرنق من كان صاديا

هذا واملك ديني ونفسي احب الي من تلك مع ذهاب بهما

المجلس الثامن والستون من كتاب خلق الانسان تفسير قول الله عز وجل وفي انفسكم افلا تبصرون في شكر الانسان نعم الله عز وجل

بسم الله الرحمن الرحيم

الشكر لمن لا ينقطع مدد نواله ولا ينتهي امد افضاله مبدع مفاخر الخلق الاولين ويكفيهم اسباب الرزق ونعما فقد بدت في التاريخ البعيد ويوقن الغريب العزيز بذكره عثرة العيش البهيم وتطره شفاء الاحشاء العظيم من نوال الاماني ومن وكله الى نفسه هلك ومن استطال بطاعته لا يعجز ومن الخوف خشيته لا تمرى محبوت عظمته العقول وقبل العيون وفات حكمته الاحلام وقبل الظنون تشهد بكبريائه العقول والالباب وتسجد لآيته الملوك والارباب تطلع بتدبيره القمرات ويخضع لتدبيره الثقلان تسبح له الريح لواقح والسحاب سوافح والليل يرخي السدول والصبح واضح الحجول والنجوم الطالعة تخوضها في بحر دياجيها عامرا ماوه وروض افاقيها والارض تمرون في مناكبها ويسيرون في مشارقها ومغاربها والنجوم اذا اطلعها نهارها والشمس انوارها اسرارها والطير اطلقه بعد جنحها والخيل غادية بخود وجهها كل اولئك ناطق عن فضله بافصح لسان ومخبرونه بعدله باوضح برهان وهو سميع لكل احد منهم وكيف لا يعلم وهو اللطيف الخبير وسامع كل امل منهم وكيف لا يبلغ وهو على كل شيء قدير تقدست عجايب صنعه عن الايام وتحيرت في بدايع خلقه ابصار الانام نظر منه على الاسرار كل عين لطايف الانوار وفي الارض ايات للموقنين وفي انفسكم افلا تبصرون له الامر في العالمين كله ومنه عن كل احد وذلك نحمده مستسلمين خاضعين ونعبده مطيعين طائعين ونقصد وجهه صادقين ونرد مغفرته مسارعين ونصلي على عبده ورسوله الباسط بركات شريعته سهولا وجبالا الفايض معجزات نبوته يمينا وشمالا السائل بشعاب الامن والايمان في شرق البلاد وغربها الحجيج منه شعوب العدل والاحسان في بعد الاماكن وقربها صلى الله عليه وعلى آله الذين

كما نقوم بالسواعد وطول الاوسعوا معه الى اعلى درن الله تعالى وسلم تسليماً قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الطاعم الشاكر بمنزلة الصايم الصابر وذلك لانقسام الايمان الى الشكر والصبر كما جاء
في الحديث ان الايمان نصفان نصف للشكر ونصف للصبر وقال عمر لو ان الشكر والصبر بعيران ما
باليت ايهما ركبت والعبد في اطواره واطاره وخلال ليله ونهاره بين محبوب ومكروه و
الايمان يقتضيه الشكر على ما يحبه اذ لا فالى من اراده وماذا دسواده والصبر على ما يكرهه تسليماً
لمن الحكم منه والامر كله من لدنه فاذا اوفى بهما فقد وفى على الايمان حقه فاذا طعم العبد فذلك
مما تحبه النفس وتؤثره فاذا شكرت فقد اتت بنصفها مقتضاه ايمانه واذا جاعت فذلك مما
تكرهه وتتاذى به فاذا صبرت فقد اتت بالنصف الباقي وعلى هذا جميع احوال السراء والضراء
والشدة والرخاء الى ان يظهر حقيقة ايمانه فيطيب عيشه في الدنيا ويلقى الله بالشكر والصبر راضيا
عنده ربه كما كان هو راضيا عن ربه وقد قيل ان الشاكر مع المزيد لانه في شهود النعمة والصابر مع
الله لانه في شهود المبتلي وقد قال الشبلي من هنا قال ان الشكر هو رؤية المنعم لا رؤية النعمة فيفرح
بالمنعم لا بالنعمة ويشكر الى المنعم لا الى النعمة ومثاله السلطان اذا دعه مسافراً قام لانسان بمركوب فان كان
فرح الموهوب له لكان الفرس وفراهته وسبقه فقال له حظاً من الملك لاستواء الامر عنده في حصول هذا
الفرس من ناحية الملك او من ساير الاسباب اما دون مصير الفرس مطلب بلى ان اسباب الغنى كثيرة
وان كان سروره وفرحه به من قبل انه منحة الملك ولانه على اصطناعه اياه فهو امر ابيل
وفي تحامل الذين اهوا الملوك في صنايعهم وارتجاعهم كثيرا ما انعموا به على حواشيهم وان كانت
الفرح به لانه ذريعة له الى الخروج في خدمة الملك فيرتقي بالتقرب في خدمته الى اسعد حال اي
الى نيل الزلفى لديه واحراز الحظوة والقرب منه فيحصل له قبل الملك بما يرى من حضوره في خدمته
ومغافيته لارادته فيرتقي الى رتبة من لا يصل احد الى الملك الا بواسطته ولا يحصل على مراده الا
الابعنايته واذا كان ارتياح الاول بعين الفرس لا بانه موهوب الملك فهو بمعزل عن معرفة صنيعة
الملك والثاني وان كان اعتداده بحصوله من الملك لا بعينه فهو من جملة اغتنام النعمة وان كانت
لسديها ناس الحال بالاضافة الى من لاحظ المنعم دون النعمة ولا ينظر الى النعمة من حيث
النعمة بل من حيث جلالة المنعم فلا يعجبه منها الا قدر ما يتوصل بها الى قرب المنعم والفوز بالوصول
اليه والخلوص عن العلايق بالاسباب والاعتكاف على الوسايط فلا يريد النعمة الا ليصل بها
اليه الا انه يريد المنعم عليه وعلى هذا انشد له مرة امر ان الشكر هو الغيبة عن الشكر برؤية المنعم فيكون
غايبا عن النعمة حاضرا لدى المنعم وانشد
رعوقتها فلم ترث الشاهد وليل المحب بلا اخر ✽ فيا قامة الغصن الناظر ✽ ويا طلعة القمر الزاهر ✽

ويا غايبا

ويا غايبا حاضرا في الحشى ✽ سلام على الحاضر الغايب ✽
وقال الجنيد الشكر ان لا ترى نفسك اهلا للنعمة وعبارة محمود القصار شكر النعمة ان ترى
نفسك فيها طفيليا وانشد ✽ قليل منك يكفيني ولكن ✽ قليلك لا يقال له قليل
وان لم يكن الا تعلل ساعة ✽ قليل فاني نافع لي قليلها ✽
واني ليرضيني قليل نوالكم ✽ وان كنت لا ارضى لكم بقليل ✽
بحرمة ما قد كان بيني وبينكم ✽ من الود الا عدتم بجميل ✽
هل لي نظرة اليك سبيل ✽ يروى منها الصدى ويشفى الغليل ✽
ان ما قل منك يكثر عندي ✽ وكثير من الحبيب القليل ✽
اني وان كنت لا اراك ولا ✽ اطمع في ذاك آخر الابد ✽
لقانع بالقليل آمله ✽ اشفي عليلا به من الكمد ✽
يهون ذاك الحزين ان علمت ✽ نفسي اني وانت في بلد ✽
ليت ذاك الفراق فارقنا ✽ وليت ذاك الوصال متصل ✽
وليت ذاك الحبيب واعدنا ✽ وكان يقول انه لم يكن عمل ✽
يا من رأى قبلي قتيلا بكى ✽ من شدة الوجد على القاتل ✽
بسطت كفي نحوكم سائلا ✽ ماذا تردون على السائل ✽
ان لم تنيلوه فقولوا له ✽ قولا جميلا بدل النائل ✽
او كنتم العام على عسرة ✽ منا فمنونا الى قابل ✽
كذا الصب انس بالتمني ورضا بالقليل وشكر على اليسير حكى ابو موسى الحامض قال قال عبد الملك
بن مروان في مجلسه وعنده الاخطل وعدي بن الرقاع العاملي من الشعراء وقبيصة بن ذؤيب
والشعبي من العلماء وافنا الناس على منازلهم ومراتبهم ما اصح بيت قالته العرب في الرضا
باليسير من الحبيب فقال الاخطل قول اوس بن حجر يا امير المؤمنين ✽ واني لارضى غير الرضا
واقنع بالموعد الكاذب ✽ قال الشعبي يا امير المؤمنين ارضى من هذا الموضع واحسن منه قول كثير اذ يقول
واني لارضى يا عز بالذي ✽ لو ابصره الواشي لقرت بلابله ✽
بلا وبان لا استطيع وبالمنى ✽ وبالموعد الكذوب واخلف آجله ✽
وبالنظرة العجلى وبالحول ينقضي ✽ اواخره لا نلتقي واوايله ✽
فقال الاخطل الكلبي اصح من هذا يا امير المؤمنين محمد العكلي اذ يقول
اليس الليل يجمعني وليلى ✽ رضيت بذا وذاك بنا التداني ✽

نرى وضح النهار كما أراه ... ويعلوها الظلام كما علاني

فقال عبد الملك ارضى من هولاء كلهم القائل

ولما لم اجد سببا اليها ... يقربني واعيتني الامور

حججت وقيل قد حجت سليمى ... ليجمعني واياها المسير

وقال بعضهم سبب زوال النعم الى الكفران وسببه التي الشكر ولكن الشكر بمجرد المقال
ضرب من الحلاوة والدلال ولكن الشكر باللسان هو الاعتراف على وجه الاستكانة بجلال
النعمة والشكر بالاركان الاتصاف بالوفاق والخدمة والشكر بالجنان هو الاعتكاف على بساط
الشهود بادامة الحرمة وعلى ان لكل من هذه الاحوال تعلقا بالغير لجميع هذه الاعمال
تسببا الى وسائط من غيرها لا يتم شكر الله بها اما لم يوفر على غيرك حقه منها اما
بالجنان فان تضمن الخير والشفقة على كافة الخلق واما باللسان فان تحسن القول لهم
واما بالاركان فبالتوفية بما يرجع عليهم حتى ان شكر العينين ان تستر كل عيب تراه فيهم و
شكر الاذنين ان تستر كل قبيح تسمعه منهم وحتى اذا لقيت معارفك فلا تسالهم على العادة
في التلطف والتحفي في مسئلة الحال تشوفا واهتماما ولكن على استخراج الشكر منهم والنطق
لهم الى ان يحمدوا الله ويحمدوه معهم كما جاء في الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال لرجل كيف
اصبحت فقال بخير فلما عاد السؤال حتى قال في الثالثة بخير احمد الله واشكره فقال عليه السلم
هذا الذي اردت وحمد الله معه وقال ابو على الجوزجاني لا ينبغي للعبد ان يشكر الله وهو مقيم على
الذنوب فانه لا يكون اخف من عبد يشكر سيده على نواله ثم يخالفه في افعاله وحكى
الجنيد قال كنت بين يدي السري العب وانا ابن سبع سنين وبين يديه جماعة يتكلمون في الشكر
فقال لي يا غلام ما الشكر فقلت ان لا يعصى الله بنعمه فقال يوشك ان يكون حظك من الله
لسانك فلا ازال ابكي على هذه الكلمة التي قالها السري وقد فسروا قوله عليه السلم
لربه تعالى وتقدس فك رهاني وتقبل مني بان ذلك هو التوفيق للشكر فان النفوس
مرتهنة بالنعمة فانما يفكها الشكر ولا يبلغ العباد كنه شكر الله عز وجل ففزع رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى الله تعالى ان يتولى فكاك رهانه بجوده وكرمه وقد قال الله
عز وجل ان عذابها كان غراما فبقدر الشكر النجاة من الغرام وبقدره الانفكاك
من الرهان فاما تمامه فالانبياء عنه قاصرون والاولياء مقصرون فكيف بمن بطره
النعمة وطغيه الدهر عن يستعين بنعمه على معصيته ويتكبر باحسانه على خليقته قال
الله تعالى كلا لما يقض ما امره وكيف يقدر ادمي على ان يخرج من لحمه ودمه الذي اصله

لا يبلغ العباد كنه الشكر

تراب

تراب ومعه شهوات نفسه وخطيئات كسبه واعراض طبعه ما يبلغ كنه امره الذي هو اهله
وحقيق بلوغه هيهات ما ابعده من التمام واصعبه على المرام وقد مزجت الطينة بالنقص
والقصور وحفت الاحوال بالشوائب والنوائب

يا نفس خوضي بحار الجد او غوصي ... فالناس من بين معموم ومخصوص

لا شيء في هذه الدنيا نحاطبه ... الا احاطة منقوض بمنقوص

ولذلك فزع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ربه حتى يكون الذي يعجز عنه الخلق هو الذي
يفكه ويعوض من هان الشكر الا ترى في مناجاة رسول الله صلى الله عليه وسلم اية يا رب
اسبغت على النعم السوابغ فشكرتك عليها فكيف لي بشكر شكرك فقال الله تعالى تعلمت
العلم الذي لا تفوته علم بحسبك ان تعلم ان ذلك من عندي فعلى هذا احياء العبد من تتابع
نعم الله دون اداء باللسان بالشكر شكر ومعرفة التقصير في الشكر شكر واعتقاد قلة الشكر
مع كثرة النعم شكر والعلم بان ابتداء النعمة تفضلا من غير استحقاق شكر وان المزيد عليها
بعد الاجتهاد جزاء شكر وحسن الاستكانة والاستباحة بموارد النعم شكر وقالوا الشكر على الشكر
اتم من الشكر وذلك بان ترى شكرك بتوفيقه وبكون ذلك التوفيق من اجل النعم
عليك فتشكره على الشكر ثم تشكره على شكر الشكر الى ما لا ينتهي وما لا انتهاء له فنهايته
في بدايته فيسند من الابتداء على العجز ظهره ويبني على الاعتراف بالقصور امره وفي هذا
المعنى يقول محمود الوراق ... شكر الاله نعمة موجبة لشكره ... وكيف شكري بره وشكره من بره

ويقول ايضا ... اذا كان شكري نعمة الله نعمة ... على له في مثلها يجب الشكر

فكيف بلوغ الشكر الا بفضله ... وان طالت الايام واتصل العمر

اذا مس بالسراء عم سرورها ... وان مس بالضراء اعقبها الاجر

وما منهما الا له فيه نعمة ... تضيق بها الاوهام والبر والبحر

وقال احمد بن ابي فنن ... وكم من يد للفتح عندي جميلة ... وما لست لعطي من اياديه اكثر

متى تشكر النعمى التي قد صنعتها ... اذا كنت تولي نعمة حين تشكر

وقال اخر ... ومن الرزية ان شكري صامت ... عما فعلت وان برك ناطق

ارى الصنيعة منك ثم اسرها ... اني اذن ليد الكريم لسارق

وقال القاضي ابو الحسن ... ابى فضله ان اعتدى غير شاكر ... لانعمه او يعتدى غير منعم

سأثني فان لم يبلغ القول مبلغا ... فان لسان الحال ليس باعجم

فكيف يبلغ شكرنا نعمة ربنا واين يقع الحالي من الازلي والذي لا يبقى من الذي لا يفنى بل

الجزء الذي لا يتجزى عن الشيء الذي لا يتناهى وابن الثماد البرض من فيض البحر
وأين نيل الأرض عند الكواكب وفي مناجاة بعضهم إلهي أنت تعلم عجزي عن مواقع شكرك
فاشكر نفسك عني وعن هذا المعنى عجز الإمام عن قضاء حق الرسول فسألوا الله تعالى أن يقضيه
عنهم فقالوا اللهم صل على محمد ولما كانت النعمة من الله ابتداء علينا من غير استحقاق
منا جرى ابتداء الكتاب بالحمد لله لعجز الخلق عن أداء حق حمده ولو بعد السعي والاجتهاد

إلهي لقد أحسنت بدءا وعودة إلي فلو زعني إلهي أن أشكرا
ولو أن لي في كل منبت شعرة لسانا يحول الشكر فيك لقصرا
سبحان من لو سجدنا بالخناق له على شبا الشوك والمحمي من الإبر
لم يبلغ العشر من معشار نعمته ولا العشير ولا عشرا من العشر
إلهي لك الحمد الذي أنت أهله على نعم ما كنت منك لها أهلا
متى زدت تقصيرا تزدني تفضلا كأني بالتقصير استوجب الفضلا
إلهي لقد أحسنت عودا وبداة إلي فلم ينهض بإحسانك الشكر
فمن كان ذا عذر لديك وحجة فعذري إقراري بأن ليس لي عذر
سأشكر لا أني أجازيك نعمة بشكري ولكن كي يقال له شكر
وأذكر أيامي لديك وحسنها وآخر ما يبقى من الذاهب الذكر
أهنت بعيني بالعجز عن شكر بره وما فوق شكري للشكور مزيد
ولو أن شيئا يستطاع استطعته ولكن ما لا يستطاع شديد
وكم لك نعمى لو تصدى لشكرها لسان معيد لاعتراه كلول
أكلف نفسي أن أقابل عفوها بجهدي وهل يجزي الكثير قليل
يا منة لك لولا ما أخففها به من الشكر لم تحمل ولم تطق
بالله أحمل مني ثقل فادحها فإنني خائف منها على عنقي
لم أكفر الفضل ولكنه فقر من معروف شكري
وسع الفضل على قدره واشكر الفضل على قدري

والشكر لله عز وجل لا ينبغي أن يكون أقل مما قيل في بعض المخلوقين

شكرك معقود بإيماني تحكم في سري وإعلاني
عقد ضمير وفم ناطق وفعل أعضاء وأركان
لئن عجزت عن شكر برك قومي فأقوى الورى عن شكر برك عاجز

فان

فإن ثنائي واعتقادي وطاعتي لأفلاذ ما أوليتنيه مشكر

ولما كان العبد لا يخلو في غالب أحواله من الغفلات والهفوات في نفسه والنزغات
والهمزات من شيطانه دخل في الشكر تقصيره وفي الحمد تعذيره وفي الكلمة العليا الترغيم وعلى
العروة الوثقى توهين حتى يصير القلب معلقا بعد أن كان منطلقا ومنقبضا بعد أن كان
منبسطا وحرجا ضيقا بعد أن كان منشرحا وأعمى بعد أن كان بصيرا وأصم بعد أن كان سميعا
وكل هذه الآفات اللطيفة والظلم المتراكمة عليه من قبل التقصير في الشكر وقد بين الله تعالى
لنا بأنه لم يكن مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ولعموم التقصير في الشكر
ما قال العدو اللعين ولا تجد أكثرهم شاكرين وقد جاء في تفسير قوله تعالى لأقعدن لهم
صراطك المستقيم لأقطعن طريق الشكر وجاء في الخبر أن الله تعالى قال لنبي إسرائيل إني ابتلي عبادي
بنعمتي فإن تقبلوا أتممت وإن شكروا زدت وإن غيروا أبدلت وفي بعض الآثار الصنائع ودائع
فمن زارع ومن مضيع والأيادي مزارع فمن حلو ومن مر وأنشد

لعمرك ما المعروف في غير أهله وفي أهله إلا كبعض الودائع
فمستودع قد ضاع ما كان عنده ومستودع ما عنده غير ضائع
وما الناس في شكر الصنائع عندهم وفي كفرها إلا كبعض المزارع
فمزرعة طابت فأضعف زرعها ومزرعة أكدت على كل زارع

وفي بعض الخطب الشكر شجرة برة والتوفيق من أنوارها والزيادة في النعمة من ثمارها
تسقيها سماء الهداية بسحابها وتغذوها أرض الرعاية بسائل معاينها وتحميها
يد البركة بيمناها وعز بها أحرز السعادة في مكانها

لا أنطقن في برك حتى أن شكري بشكر غير موات
أنا أرض ونيل كفك سحاب والأيادي وبل وشكري نبات
لا تحسبن إذا أوليتني نعما أني أخو وهن في الشكر أو كسل
فإنني نخل شكر إن جنى ثمرا أجناك من قول له أحلى من العسل

قال بعض الأفاضل الشكر نسيم النعمة ومفتاح المزيد وثمن الجنة وكتب محمد بن عبد الملك
الزيات في كتاب لو لم يكن في الشكر إلا أنه لا يرى إلا بين نعمة حاضرة وأخرى منتظرة
ثم قال لابن الأعرابي كيف تراهما يا أبا عبد الله فقال الحسن من قرطي لؤلؤة وياقوت بينهما
وجه حسن وفي كلام بعض البلغاء موضع الشكر من النعمة موضع القرى من الضيفان إن وجد
لم يرم وإن فقد لم يقم وفي كلام آخر فقد أراحني بيسره بل أتعبني بشكره وخفف ظهري من

نقل المحن لا يمل ثقلها باعتياد المنن ولا يحيا بتحقيق الرجا بل انما يحيى بفرط الحيا فانا
له رقيق بل عتيق واسير بل طليق وفي بعض الخطب وانه كما يجب الشكر لمن انعم وترجب
الانعام على من شكر ونشر وان البر لا شكر كالسارى بغاب قفره والروض تخطاه مطره
وان النعم في الشكر مواردها ومصادرها كما ان الراحة بالصبر مبادئها ومصايرها
فمن عرف النعم مقدارها واحسن جوارها زلت والاحت وارتحلت كالضيف الذي يعجم القرى
لا يريم ومع الجفا لا يقيم اجتمع علي وجعفر ابنا ابي طالب والعباس بن عبد المطلب عليهم السلم
فتذاكروا المعروف فقال علي عليه السلم المعروف كنز من الكنوز وحصن من الحصون فلا يزهدنك
فيه كفر من كفره عليه وقد شكرك عليه من لم تستمتع بشي منه وقد يدرك من شكر الشاكر
من اضاع جحود الجاحد وقال العباس المعروف كنز من الكنوز لا يتم الا بثلاث خلال تعجيله وتصغيره
وستره وقال جعفر اعطى الله درجته في الملايكة المقربين اهل المعروف من الحاجة الى
اصطناعه للناس الطالبين اليهم لانك اذا اصنعت معروفا كان لك اجره وذخره ومجده و
سناوه واذا ابتغت ذلك الى نفسك فاطلب غيرا بعا ابتغيت الى نفسك من غيرك وتبتغي
جزاء ما صنعته لجدك بمن سواك وفي اخرى ان النعمة اذا لم يعلق بالشكر قطينها ولم
يوثق بالنشر رهينها لم تغير عواري مواهبها عن ارتجاع ولم يلبث عوادي نحاسها
عن انقشاع واذا اعتلقت بالشكر اقام وحشيها غير نافر واتصل بايديها نغابر فاشكروا
ربكم واعبدوا وافعلوا الخير وازهدوا واجتهدوا الاخر نكم واكدحوا وادابوا انفسكم
وانصبوا وعاجلوا انما اقول لكم بالاتباع وقابلوه بالتعجل اليه والاسراع ان دون كرمه
ميعادا بيوم مضروب وعدد نكم امد حكم مكتوب يضيق عند ذلك بكم مجال الاهواء وتنمحي
اجال البقاء ثم لا عذر في التعذير مع الاعذار ولا وجه للتقصير مع الانذار فلا تبدلوا
طاعة الله تبديلا ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا الا وهو الدنيا بحذافيرها
متاع قليل جميعها بجماهيرها فلا تحملوا رزق فنائها حقا ولا تظنوا زخرف هواها
صدقا فالموعد اقرب الى المرء من ظله والاجل ادنى الى الوريد من حبله والثواب بالعمل معدي
والجزاء على الاحسان مضمون وهذا الاحسان هلال نجح بعد الافقار وهذا المعروف
نور تعجم بعض الاثمار وهذا العمر العزيز اذا ذهب لا يرجع ذاهبه وهذا الامكان المطمع متى غاب
لا يحضر غايبه وهذا الشباب اذا مضى لا يعود طريا وهذا العيش اذا انقضى لا يكون هنيا
ولا والله ما هو الا عمر قصير واسف طويل والا ندم كثير ومتاع قليل وفي العزى قابلوا نعم
الله عليكم بقدرها لديكم واصحبوها بما يجب لها عليكم وحتو لي في عبادة الله حبا الا بحجة العقو

واتحوا الى تدبر ايابا بتر عينا لا يرمقها الفتور واشكروا ربكم فانه ضمن بالشكر الزيادة فيما
خولكم وعلى يزاد امتزاجه ارزاقكم وان النعم لتبدو واهلة ثم تنموا بالشكر بدورا وتزداد
بالذكر له والتحدث عنه كل يوم نورا وان النعمة اذا اكملت اذنت بالزوال الا ان تصان بالورع ولا
النظر الى المنعم بعين الشكر والاجلال والى النفس بعين العيب والاذلال والى النعمة بعين الاستقلال
والى الدنيا بعين الفنا والزوال وسيل بعض الصالحين من اشكر الناس فقال اربعتهم اشكر الناس
واسعدهم الطاهر من الذنب يعد نفسه في المذنبين والراضي بالقليل يعد نفسه من الراغبين
والقاطع دهره بذكر الله يعد نفسه من الغافلين والدايب في العمل عمره يعد نفسه من
المقصرين فهذا هو اشكر الشاكرين وافضل المومنين ومما جا في الموازنة بين الشكر والصبر
وصحة مواردهما على شي واحد فان الصبر انما هو نصرة داعي الدين على داعي الهوى فالحال
بالاضافة الى داعي الدين حال شكر وبالاضافة الى داعي الهوى حال صبر ولتواردهما على شي واحد
كان القول بفضل احدهما على الاخر تفضيل الشي على نفسه وباعتبار حالكما شيين
والاعمى اذا كف النظر الى الصور لفقد البصر فلا يستحق بكمالها والبصير اذا اشتهى ا
نظره الى جميل وصبر جر عليهما شكر البصر وجودا وافتقادا فقد دخل الشكر في صبر
ذاك والصبر في شكر هذا ثم اذا شكر البصير بصره بالنظر في عجايب صنع الله وفاء حقه
من الاعتبار والادكار وارتقى به الى معرفته وقدرته وحكمته وجوده كان هذا الشكر فوق ذلك
الصبر وكذلك كما بر وصرف ما انعم الله به عليه من المال بما اباحه له الى حاجة اخيه ولا سيما
اذا كان ذلك بجهد المقل على ذي الرحم الكاشح فوق مقاساة العديم ضيق الحال دون فقد الحاجة
صبرا عليه فاذا انضاف الى الصبر الاول شكره لله تعالى على ان اقدره على مثل ذلك الصنيع
كان شكره فوق صبر الصابرين فاما اذا كان شكره نعمة الله عليه بان لا يستعين بها
على معصيته وتصرفها في ملاذه المباحة له فصبر العديم فوق شكر هذا الواجد فقد قضى وطره
من جدته واستعمالها في شهوته لكنه ما تخطى المباح وفي المباحات تنعم وحذر عن
المحظورات الا انه لا بد من عزيمة على الصبر عن الحرام سوى ان هذه العزيمة اوهى واوهن
من صبر عنه السماحة بجهد المقل على الحميم الكاشح والجار الحاسد بل العدو المضطر الى
الباخع فيبذل حاجته له تحقيقا ان هذه الصبرة تختلف بسبب اختلاف احوال القلب في اليقين
والايمان فما كان الى الايمان اقرب وبالاخلاص اشبه فهو عند الله ازكى واوجه وكان الجنيد
يقول ليس فضل الغنى من حيث الوجود ولا فضل الفقر من حيث العدم ولكن في القيام بشروط ما
عليهما ومن حيث كان شرط الغنى بقيام ما ابتلي به من صفات اسبابه واستماعه وكان

وكان شرط الفقير بقيامه بما ابتلي به من صفات انزعاجه واستيحاشه كان الفقير الصابر افضل
ولما خالفه ابو العباس بن عطا وقال بفضل الغني الشاكر على الفقير الصابر دعا عليه الجنيد
فابتلي بما اصيب به من هلاك الولد وذهاب المال وزوال العقل بضعة عشر سنة فرجع
بعد الافاقة الى تفضيل الفقير الصابر ومتى لاحظت الحصول تفضيله والعرض عن المدل
المجمل لمخفف للساكن وخادم المحتاجين على ما كانت عليه اختاي رحمهما الله الكبرى في
التبلغ بادنى مسكة فايثار ذوي الخصاصة بطيب الطعام وفضل الكسوة والصغرى في انزال
الناس منزلة نفسها فانهما خولتا فلا تسخط احد من معاد فهذا الى ما الهمتنا الا كما يبسط الا
بل والدنا الله ولا تنازع خلقا فيما تحويه من اموالها ولا تطالبه بضمان فيما اسلفته عليها
افضل من كل فقير صابر وحكى بعض الصالحين قال رايت في بعض الاسفار شيخا كبيرا فانيا
فسالته عن حاله فقال كنت في ابتداء عمري اهوى بنت عم لي وكانت تهواني فوقع على
انها طلبته عن العلم به والوصف له فاتفق انها زوجت مني فليلة زفافها الي قالت تعالى نحيي هذه
الليلة شكرا لله على ما جمع بيننا فصلينا الليلة ولم يتفرغ احدنا الى صاحبه فلما كانت
الليلة الثانية قلنا كذلك فنحن سبعين سنة نحيي على رسم تلك الليلة اليس كذلك
يا فلانة فقالت العجوز كما يقول الشيخ فقس حالها في الشكر على نعمة الوصال على الصبر في محنة
الفراق ثم سلني ايهما افضل ومما جاءت الحكايات في شكر نعمة الله بالاحسان الى عدوك
بما امكنك منه واوصله اليك حكى محمد بن الفضل قال كنت الف زينب بنت سليمان
بن علي بن عبد الله بن العباس واكتب عنها اخبار اهلها وكانت لها جارية يقال لها
كتاب كاتبة مليحة فوقعت في نفسي فنظرت اليها يوما وقلت لها ان كتاب اشغلت
قلبي قالت اقعد احدثك حديثا كان بالامس انفع لك مما على الارض وانت من كتاب ايضا
على وعد قلت هاتي قالت كنت اس عند الخيزران وعادتها اذا كنت عندها ان
تجلس في عتبة باب الرواق واجلس بازائها وفي الصدر مجلس معد للمهدي وهو يقصدها
في كل وقت فيجلس ساعة ثم ينهض فبينا نحن كذلك اذ دخلت علينا امراة من خواصها
فقالت ابالباب امراة لها جمال وخلقة رثة تستاذن عليك وقد سالتها عن اسمها
فامتنعت ان تخبرني به فقالت لي الخيزران ما ترين فقلت ادخليها فلا بد من فائدة
او ثواب فدخلت امراة ذات جمال كاجمل من رايت من النساء فسلمت وقالت انا مزنة امراة
مروان بن محمد الجعدي فقلت لا حياك الله الحمد لله الذي ازال نعمتك وهتك سترك
اتذكرين يا عدوة الله حين اتاك عجائز اهلي يسالنك ان تكلمي صاحبك بالاذن في

انظر حال الاختين
الكبرى والصغرى

دون

دفن ابرهيم بن محمد الامام فوثبت عليهن واسمعتهن ما اسمعت وامرت باخراجهن على الجهة التي
اخرجن عليها فضحكت فما انسى حسن ثغرها وعلو صوتها بالضحك ثم قالت اي بنت عمي
اي شيء الجهل من حسن صنع الله لي على العقوق حتى تاسيتني فيه لقد اسلمني الله ذليلة فقيرة
اليك فكان هذا مقدار شكرك على ما اولاك ثم قالت السلام عليكم وولت فصاحت بها
الخيزران ليس هنالك على استاذنت فاذنتيه ثم قالت لعمري لقد صدقت وانا تمارت في الذلك
ما انا عليه من سوء الحال وضنك العيش قالت زينب فوثبت اليها انا والخيزران لنعانقها
فقالت ليس في ذلك موضع مع الحال التي انا عليها فقالت الخيزران فالحمام اذن وامرت جماعة
من جواريها بالدخول معها وتنظيفها واخذ ما علا جسمها من الشعر وخرجت من الحمام
فخلع عليها وطيبت وخرجت الينا فعانقناها واجلسناها في الموضع الذي يجلس فيه
المهدي اذا دخل فقالت لها الخيزران هل لك في الطعام فانا لم نطعم بعد فقالت ما
فيكم احوج مني اليه فاتي بالمائدة فجعلت تاكل غير محتشمة وتضع بين ايدينا وتلقمنا و
ايدينا فقالت لها الخيزران فاذن فقوم محبي تعادي لنفسك مقصورة من مقاصير ما
ويحول اليها ما تحتاجين اليه ثم لا نفترق حتى يفرق بيننا الموت فقامت فطفنا دارنا واوسع
مقصورة وانزهها وحول اليها ما احتاجت اليه من الفرش والخزائن والجواري وغير ذلك
من سائر الاشياء وخلفناها فيها فقالت الخيزران هذه المراة قد كانت فيما
كانت فيه وقد مستها ما ترى وليس يغسل ما في قلبها الا المال فاحملوا اليها خمسمائة
الف درهم فحملت اليها ودخل المهدي فحدثناه بها وبما فعلناه بها ولا والله ما
انتظر ان اعرف الجواب حتى وثب في وجهي وقال يا زينب وفي رواية اخرى انها
زينب بنت عبد الله بن حسن بن حسين امراة ابرهيم بن محمد الامام هذا مقدار شكرك الله
عز وجل وقد امكنك الله من مثل هذه على هذه الحال التي هي عليها والله لولا محلك
من قلبي لحلفت الا اكلمك ابدا فقلت قد اعتذرت اليها ورضيت وقصصت عليه
قصتها وما فعلت الخيزران فقال للخادم على راسه احمل اليها الف الف درهم
وابلغها سلامي واعلمها اني ما سررت منذ دهر سروري بمكانها وقل لها انا اخوك
ومن موجب حقك فلا تدعي حاجة الا سالتنيها ولولا اني اكره اذاك لحملت الحضرة
اليك سلما فذهب الخادم بالمال والرسالة فاقبلت الساعة فسلمت على المهدي وشكرت
له فعله واثنت على الخيزران وقالت ما على امير المؤمنين حشمة وما انا الا احدى امة بل
امة وقعدت في محادثتنا ساعة ثم قلت الى منزلها فخلفتها هنا كانها لم

ترك في ذلك العصر فهذا الحديث خير لك من كتاب وقد وهبتها لك مع هذا ؞ وعن الربيع
قال رفع الى المنصور رافع ان عند رجل من اهل الكوفة ودايع لبني امية واموالا فامر
بالاحتفاظ للرافع واشخاص المرفوع عليه ففعلت فلما حضر الشخص انفذته اليه حضره ؞
فاستحضره وقال له قد رفع الينا ان عندك لبني امية ودايع واموالا فاخرج عنها
على الجملة الجميلة ولا تحوجنا الى الجد بك فقال له غير جزع ولا هياب ولا فرق
اوارث بني امية انت يا امير المومنين فقال لا قال اوصيهم في تركتهم انت فقال لا قال
فعلام تسالني عما لا مدخل لك فيه في دنيا ولا دين فاطرق المنصور طويلا وبان الغضب
في وجهه ثم رفع راسه فقال ان بني امية خانوا المسلمين في فيئهم فانا ولي المسلمين في
حقهم وعلي ارتجاع كل ما لخصوص من اموالهم فقال له الحجة والله يا امير المومنين بعد فوق هذا
الى اقامة البينة العادلة على ان ما ذكرته قبلي من ودايع ثم رفع راسه الي فقال
سمعت يا ربيع لا اري الرجل حر وعليه حجة ثم قال للرجل الك حاجة يا شيخ فقال نعم تقدم
الى الربيع بانفاذ كتابي الى اهلي ليسكنوا بسلامتي فقد راعهم ما جرى علي فتعجب المنصور
من ثبات عزمه وقال يا ربيع افعل ذا لك ثم قال الك حاجة اخرى قال نعم يا امير المومنين
عظيمة تجمع بيني وبين الرافع علي فوالله الذي لا اله الا هو ما لبني امية عندي وديعة
ولكنني لما مثلت بين يديك كرهت ان اجحد واحتج بما يحتج به ان تركني قلت ما قلت فاستحضر
المنصور الرافع عليه فحين بصر به الشيخ قال يا امير المومنين حسب بعبدك لا نزال ان لم
يكن هذا الغلام مملوكا لي فر اتلى في نحو في دعت اليه ثلثة الاف دينار فتجتها
فالعاد الى منها لحية وانحق فاغتاظ المنصور وامر بضربه فلما راى الغلام وقوع الحق
به قال العفو يا امير المومنين فقد صدق في قوله وانما تعنته وكذبت عليه لاستريح منه
فاطرق المنصور مليا ثم رفع راسه الى الشيخ وقال له احسانك واستغنايك اليه ؞
خلصاك من مكروه بك وكفرة انعامك عليه اوقعه ومكنك منه فخذ بيده وانحو باهلك
وان شئت فاعف عنه شكر الله انعم عليك ومكنت من عدوك فقال الشيخ نعم يا امير المومنين
وهو حر لوجه الله وقد سمحت عنا بدرسه وعلته من ما لي فثلثة الاف دينار اخرى
وقال المنصور لاحل هذا اردت ولا انصح الاصدق فقال ان حق كلامك يا امير المومنين
وانصرف قال الربيع وكان المنصور بعد هذا لا يتعقب بين يديه رجل فنظره الا قال
لي ويحك يا ربيع ما رايت مثل ذلك الشيخ ثم يذكر الغلام فيلعنه ومما
يستحسن من منظوم كلامهم في الشكر والاعتداد قول محمد بن سعيد الكاتب ؞ ؞

ساشكر عمرا ان تراخت منيتي ؞ ايادي لم تمنن وان هي جلت
فتى غير محجوب الغنى عن صديقه ؞ ولا مظهر الشكوى اذا النعل زلت
راى خلتي من حيث يخفى مكانها ؞ فكانت قذى عينيه حتى تجلت

ابو سعيد الثغري ؞ اشكر نعمى منك مشكورة ؞ وكافر النعماء كالكافر
مواهب لربك الامل ؞ تضاهى في كرم وافر
لازلت من شكري في حلة ؞ لابسها ذو سلب فاخر
فعندك ايرما اوليت نكرا ؞ ولا انكري لما اسديت نكرا
كالماء اصابع مصوع بسرا ؞ علمني به واصنوع شكرا

راى المبرد البحتري فناله من الفتح فقال
تريد تفضلا وازيد شكرا ؞ فذلك دابه ابدا ودابي

والغرض في الشكر اكثر من ان يحصى ويقصى ولكن هذا ابو تمام سنوالناس بعو له واكد شكره
بضرب من التمويه والتوباليجعى من الضمير بالفواد والنور بالسواد فقال
لين جحدتك ما اوليت من نعم ؞ اني لباللوم احظى منك بالكرم

حتى غلبه على هذا الاحسان البحتري في شكر الفتح فجاء ارق من السحر وانقى من الدر فقال
الثني الى الايام من بعد قسوة ؞ وعاتبني دهري المسيء فاعتبا
فلا نهضت من ثقل الليالي براحة ؞ لين لم اصبح بشكرك متعبا

وهذا موضع التعلل ببعض ابيات الاعراب المليحة في اثنا اشعارهم الفصيحة قال ابو صخر الهذلي
اما والذي ابكى واضحك والذي ؞ امات واحيا والذي امره الامر
لقد تركتني احسد الوحش ان ارى ؞ اليفين منها لا يروعهما الذعر
فيا حبها زدني جوى كل ليلة ؞ ويا سلوة الايام موعدك الحشر
عجبت لسعي الدهر بيني وبينها ؞ فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر

وتبعه المولد على ذلك فقال وجمع بين انواع من الاقتباسات
اما والذي ابكي واضحك عبده ؞ واطعم من جوع وآمن من خوف
لما كان في قلبي سوى ما سلبته ؞ وما جعل الرحمن قلبين في جوف

وذكر جميل بثينة وقد احتضر فقال في آخر ساعة من ساعات دنياه
لا والذي يسجد الجباه له ؞ ما لي بما دون ثوبها خبر
ولا بفيها ولا هممت به ؞ ما كان الا الحديث والنظر

ابو العباس بن الاحنف لما اتهمته فوز بجاريتها جمل

زعم الرسول بانني جمشته ... كذب الرسول وفالق الاصباح

ان كنت جمشت الرسول فصافحت ... كفاي كفي قابض الارواح

ويستحسن قول الجاهلي في مثل هذه الاقسام

اتوقا على شوق وانت بخيلة ... وقد زعموا ان لا يحب بخيل

بلى والذي حج الملبون بيته ... ويشفي الهوى بالنيل وهو قليل

جمل: حلفت يمينا غير ذي مثنوية ... فان كنت منها كاذبا فعنيت

حلفت لها بالبدن تدمى نحورها ... لقد شقيت نفسي بكم وشقيت

ومن ابيات الفرزدق: حلفت باعناق المطي تواصلا ... عجالا والماتحات الصفاح فكبكب

لام اتتنا بالوليد خليفة ... من الشمس لو كان ابنها البدر انجب

ومنها: حلفت برب مكة والمصلى ... واعناق المطي مقلدات

لقد قلدت حلقي بني كليب ... قلائد في السوالف باقيات

ومن الطريف الناصع في هذا قول الاسلامي

اما والذي ناجى من الطور عبده ... وانزل فرقانا واوحى الى النحل

لقد ولدت حواسك بلية ... تبيح على قلبي وثقلا على ثقل

آخر: سل جزعي منه ابت عن خاطي ... هل خطر الصبر لي على بالي

لا غير الله سوء فعلك بي ... ان كنت ارضيت فيك عذالي

ومن رقيق اقسام المولدين قول العلوي الكوفي

اني سالتك بالتفاتي اللحظ من تحت السجوف ... وبما جنت تلك العيون على القلوب من الحتوف

وبسطوة المولى اذا ارمى على العبد الضعيف ... لا تجمعي من البخيل وسطوة المولى العسوف

وقول ابي عيينة المهلبي

سالتك بالقرابة والذمار ... وحق الاهل مع حق الجوار

فاني عنك مشتغل بنفسي ... ومحترق عليك بغير نار

وانت توعدني وليس عندي ... على نار الصبابة من وقار

ابن المعتز: اما وريق بارد وثغر ... شيبا بطعم عسل وخمر

ما الموت الا الهجر او كالهجر ... ومن كريم ايمان العرب

اوفيا الى الكوفيا آء هنا طارق ... نحن بني الاعداء ان لم تنحر

ومن اشعار

ومن اشعار الشاميين: زعموا ان من تشاغل باللذات عمن يحبه يتسلى

كذبوا والذي يقاد له البدن ... ومن طاف بالحرام وصلى

ان نار الهوى احر من الجمر ... على قلب مدنف يتقلى

ومنها: حرمت مناي منك ان كان ذا الذي ... اتاك به الواشون عني كما قالوا

ولكنهم لما راوك سريعة ... الى غيرنا اهوى وشوا بي واحتالوا

فقد صرت اذنا للوشاة سميعة ... ينالون من عرضي ولولاك ما نالوا

ومن حجازيات الموسوي

احبك ما اقام منى وجمع ... وما ارسى بمكة اخشباها

وما الدفع الحجيج الى المصلى ... يجرون المطي على وجاها

وما نحروا بخيف منى وكبوا ... على الاذقان مشعرة ذراها

نظرتك نظرة بالخيف كانت ... جلاء العين بل كانت قذاها

ولم يك غير موقفنا وطارت ... بكل قبيلة منا نواها

فواها كيف تجمعنا الليالي ... وآها من تفرقنا وآها

واقسم بالوقوف على الال ... ومن شهد الجمار ومن رماها

واركان العتيق وبانييها ... وزمزم والمقام ومن سقاها

لانت النفس خالصة فان لم ... تكونيها فانت اذن مناها

نظرت ببطن مكة ام خشف ... تبغم وهي ناشدة طلاها

فما عجبي ملامح منك فيها ... فقلت اخا الغريب اما تراها

فلولا انني رجل حرام ... ضممت قرونها ولثمت فاها

المجلس التاسع والستون من كتاب خلق الانسان تفسير لما تضمنه بعض معاني قوله عز وجل وفي انفسكم افلا تبصرون في انابة الانفس وتوبتها

بسم الله الرحمن الرحيم

يا مولى الآملين وموئل السائلين وكهف الطالبات الطالبين وكفيل رغبات الراغبين ومقيل عثرات المذنبين وقابل توبة المنيبين وسعت رحمتك الارض والسماء وعمت نعمتك الرجال والنساء لا يزيد في ملكك ان تعاقبنا وتاخذنا ولا ينقص من خزائنك ان تعطينا وترحمنا وقد استبد بنا بعدنا من رحمتك وتوسلنا اليك بنيل مغفرتك من اعتقاد جرمه ما جنينا ومن الجنوح الى الاستصفاح اسهاما نا صغى كل ذنب

بدا خطيها وتمحو كل جرم تخللها فاجعل اللهم اطيب اوقاتنا واسرها اوان الانابة اليك
وافضل عيشنا وانضرها زمان التوكل عليك وهب لنا ربنا من رحمتك خفيرا لا يخفر
ومن وسيلة رافتك امينا لا يغدر ومن حسن رجائك حساما لا ينبو ومن صدق تاميلك
مركبا لا يكبو ومن لطيف حفظك شهيدا لا يغيب ومن جميل صنعك شفيعا لا يخيب
فانت الذي تقبل اليسير وتجازي بالكثير وتحتسب من حسنات عبادك ما لا تحتسب وتعفو
عن خطاياهم كثيرا انما ترتكب عنهم ولا ترغب في الجزاء وتهب لا تنقص من العطاء تقبل من دنا
منك وتقبل على من نأى عنك اخذنا بابك بيد الرجاء وجئناك بوجهة الدعاء وفضلك
شرعة الرغبات وجودك نجعة الحاجات فاقبل توبتنا واقل عثرتنا واجب دعوتنا
واقض حاجتنا صل على محمد عبدك ونبيك وحبيبك وصفيك الصادع بحجتك
اللائح بكلمات العلي الحق المعلن شعائره الواضع للباطل الماحي آثاره صل عليه صلوة
تسعد بالقرب منك والزلفى وتصعد درجته على الملأ الاعلى صل عليه وعلى آله الذين
كانت اقدامهم في الاسلام سنية وانوفهم في حماية دينك حمية وسلم تسليما
كل احد مطلوب برعاية جوارحه ومحمول على حراسة قلبه وجوارحه لئلا تنحرف شيء منها
بباطل لما تفعله من غير مجاوزة الحد او معصية عند مجاوزته فيكون في الحالين
مسرفا على نفسه ومضيعا لطاعة ربه ومعطلا اعمال ما سخر الله له من خلقه فيقوم عليه
الحجة ويعظم الندم بالحسرة على الاكباد يصفها احد كما قال صلى الله عليه وسلم لن
تتحسر اهل الجنة على شيء الا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله فيها هذا في
تضييع الوقت واضاعته فما ظنك بافساده بالمعصية وابطاله فهنالك يجتمع مع فوت
الثواب استحقاق العقاب ويلتقي مع اساءة العمل شنعة الاباق وحقيق مثله ان قلبه في
الموقف المجموع له الناس حسرات ويتفلذ كبده ندمات ويتبرأ منه كل عضو ويداعي
كل مفصل وينهب كل شعرة حياء وبكاء وعويلا واسفا فعند ذلك تداركه الله تعالى
عباده الذين فرطوا في جنبه واسرفوا على انفسهم ومن عليهم بالاقالة وفي القوس
منزع وبالانابة وفي البقيا مطمع وفتح لهم من رحمته عليهم ورافته بهم باب التوبة عن
يمينهم وباب الدعاء تجاه وجوههم وبسط لهم يده باخذ عثراتهم في مسائه وينعشها في
صباحه كما روى ابو موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله لا ينام
ولا ينبغي له ان ينام باسط يده لمسيء النهار ان يتوب بالليل ولمسيء الليل ان يتوب
بالنهار حجابه النور لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه كل شيء ادركه بصره فعند ذلك

ينقطع

يستوي

يستوي القلب على صراط الله ويشرق له نوران من عند الله نور الحق حتى يمنعه عن الباطل
ونور العدل حتى يمسكه عن الطريق المائل روى عبد الله بن العباس عن النبي صلى الله عليه
وسلم وعلى عترته الطاهرين انه قال لم ار شيئا احسن طلبا ولا اسرع ادراكا من حسنة حديثة
لذنب قديم ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين سيئة العبد ظلمة
وحسنته نور من انوار ايمانه وادراك النور الظلمة اسرع شيء كالصبح والليل اذا احتط
عن الصبح نقابه فصل الليل خضابه وطبق الضياء الارض بعساكره وتولى رايات الظلام
عن آخره

لا ادابي طلبا ولا اذا ما تلى هربا فقد اتعب وقد اسكد
كالليل يطلبه النهار بضوءه فظلامه بضيائه مطرود

فاذا اعطى العبد الصحيفة يوم القيمة يجد تحت كل سيئة مكتوبة تائبا باهرا بنوره ظلمة
السيئة فربما اتى العبد على خطيئة كان اقترفها يشق عليه النظر اليها فيتكرهها رحمة ربه
فستر عليه تلك العظيمة ويقال له جاوزها لانه قد كان دعاه ايام الحيوة في الدنيا بيا
عظيم العفو يا حسن التجاوز فاذا انتهى الى آخرها غفر له ما فيها وستر عليه فيصير
جميع ما فيها بياضا ونورا الا حسنة الحسنة قد علته واذهبته فينظر الخلق الى
صفحة حسناته فيقولون طوبى لهذا العبد لم يذنب قط ذنبا فعند ذلك يقول هاؤم اقرؤا
كتابيه اني ظننت اني ملاق حسابيه فهو في عيشة راضية في جنة عالية هذا هو
موئل التوبة واما شرطها فاربعة الندم على ما سلف وترك مثل ذلك في الحال والعزم
على ان لا يعود في الثاني وبغض الذنب اما من حيث لا ينبغي الندم عليه ورد ظهره
ولا ينبغي اساءته طول عمره واوصافها المتممة ايضا اربعة انتباه القلب عن رقدة الغفلة
والاصغاء الى ما يجري في الخاطر من الصوارف والزواجر وهجران اخدان السوء واصحاب
الشر وملازمة اخوان الخير استضاءة بانوارهم واستذراء في ظلالهم واصل التوبة الاعتبار
ولكن عرف الاستعمال في العباد الاعتذار وفيما بينه وبين الله التوبة وانما ذلك لان الله
تعالى هو الذي ابتدأ بالنعمة على عبده قبل الاستحقاق وفطر العبد على طاعته في الابتداء
فاذا ندم العبد على اساءة بدرت عنه فقد رجع الى الله فيما كانت فطرته عليه ورجع الله
له الى ما كان من احسانه اليه والتوبة والاوب الرجوع ولا يطرد هذا المعنى في الندم
توبة اذا كان نادما لافيا للعقاب وقد تختلف صور التوبة على اربعة اوجه لانه ان كان ساهيا
عن ذنب وعثر على تفصيل ما فعله من جرمه فتوبته اما على الجملة من الذنوب او على ان
عطا تقليده المخالفة فتوبته انكان مخطئا في الاعتقاد متمسكا من المذاهب بالباطل

التوبة

ولا يتم فتوته بان يشكر لنفسه ويستعمل الندم في تلك الحال على العجلة ومع هذا الشك ترو
عقاب المخطئين في الآراء والمذاهب وان كان معتقدًا في الحسن انه قبيح فتوبته ان يشكر في
حسنه بدخل معتقده في توبته ويحمله بفضل الله من قبل نفسه وان كان عليه حقوق الناس
فتوبته ان يأخذ بردها والتخلص منها بحسب الامكان والعادة كما هو مشهور من الفضيل بن عياض
واما اذا تاب من هذه المعاصي ثم تذكرها ففي لزوم تجديد التوبة خلاف بينهم فقال بعضهم لا
يلزمه وان كان يستحسن منه لو فعله وقيل واجب عليه ذلك وبذلك يخرج من الاصرار على القبيح
واما ذكر الذنب ففيه ايضًا خلاف بينهم كما يحكى عن الجنيد قال دخلت على السري يومًا فرايته متغيرًا
فقال دخل علي شاب فسالني عن التوبة فقلت له التوبة ان لا تنسى ذنبك فعارضني فقال بل التوبة
ان تنسى ذنبك فقلت ان الامر عندي على ما قاله الشاب فقال ولم فقلت لاني اذا كنت في حال
الجفاء فنقلني الى حال الوفاء فذكر الجفاء في حال الوفاء جفاء

يا من يحمل ذنبا الراح شاربها … اقبل بوجه الرضا في ساعة الغضب
تناس ذنوبي عمدًا ان حفظ الذنوب فذكرهن من الذنوب

ولعل قول السري عبارة عن احوال المريدين والتائبين تارة لهم وتارة عليهم وقول الجنيد
اشارة الى حال المحققين لا يذكرون ذنوبهم مما غلب على قلوبهم من عظمة الله ودوام ذكره وعلى
هذا قول الثوري التوبة ان تتوب من كل شيء سوى الله وقول ذي النون المصري ذنوب
المقربين حسنات الابرار اذ توبتهم عند سيئة لا استعظام ما فرطوا فيه وقصروا واعتذارهم
خطيئة لشدة استحيائهم عما اعتذروا

اعتذاري اليك من غير ذنب … كاعتذاري اليك من الغفلة
كل خطب من الخطوب عظيم … في دواعي رضاك أيسر خطب

وقال ابرهيم ابن فاتك التوبة ان تكون لله وجهًا بلا قفا حتى تفنى كالشمع الذي يفنى من جميع ويحترق
عن آخره

من كل وجه هو وجه بدت … جمرة نار في اعاليها
ارواحها تاكل اجسادها … عمدًا وتفنى حين تفنيها

واعلم انه يحرق العاصي بنار الندم حتى يخلص من صدأ الذنب خلوص الذهب بالحمى والا فلا
يطهر من خبث الذنب غير نار جهنم نعوذ بالله منها وقال رويم التوبة هي التوبة من التوبة
وقالت رابعة استغفر الله من قلة صدقي في قولي استغفر الله ومن هنا قيل ان توبة الكذابين
على اطراف لسانهم يقولون استغفر الله من غير اقلاع وكان يحيى بن معاذ يقول الهي لا اقول
لا اعود لما اعرف من خلقي ولا اضمن ترك الذنوب لما اعرف من ضعفي ثم تفكر وعلم انه لا يجوز
في طريق العلم ان لا يقول العبد لا اعود لانه شبيه بالجراة على الله تعالى فعاد في مناجاته

وقال

وقال الهي انا اقول لا اعود ولعلي اموت قبل ان اعود وكان يقول الهي حجتي عندك يقيني بان الحجة
لك وكان يقول الهي حجتي حاجتي ووسيلتي فاقتي وعقدتي اقراري بان لا عذر لي وكان
ابو عثمن يقول لعفوك عفوك له في طلب العفو عفوك له في الدهر عن طلب العفو عفوك
وفي الاقبال عليك عفوك وفي الادبار عنك عفوك وسئل ابن زياد عن العبد اذا خرج الى الله
عن اي اصل يخرج اليه قال على ان لا يعود الى ما منه خرج ولا يراعي من اليه خرج ويحفظ
سره عن ملاحظة ما منه تبرأ فقيل له هذا حكم من خرج عن وجوده فكيف حكم من خرج عن
عدمه فقال الذي في وجود الحلاوة في المستانف عوضًا عن ادراك المرارة في السلف وقال
ابن عطا توبة الانابة ان يتوب العبد خوفًا من عقوبته وتوبة الاستجابة ان يتوب العبد
حياء من كرمه وطاعة الجوارح ان يرجو العبد ثوابه على عبادته وطاعة القلب ان يخاف
العبد على الطاعة حياء من تقصيره وعلى هذا سئل الشبلي اي الاعمال ارفع ثوابًا فانشد

اذا محاسني اللاتي ادل بها … كانت ذنوبي فكيف اعتذر

فيا لله من هذه الاختلافات تائب يتوب من الذنوب والسيئات وتائب يتوب من الزلل والغفلات
وتائب يتوب من رؤية الحسنات ومشاهدة الطاعات وعلى هذا قول ابي علي الدقاق
اول الامر التوبة واوسطها الانابة واخرها الاوبة فمن تاب خوفًا من العقوبة فهو صاحب توبة
ومن تاب طمعًا في الثواب فهو صاحب انابة ومن تاب مراعاة للامر لا رغبة في الثواب ولا
رهبة من العقاب فهو صاحب الثواب فهو صاحب اوبة الا ترى ان التوبة صفة المومنين
قال الله تعالى وتوبوا الى الله جميعًا ايها المومنون والانابة صفة الاولياء والمقربين
قال الله تعالى وجاء بقلب منيب والاوبة صفة الانبياء والمرسلين قال الله تعالى نعم العبد
انه اواب وقال الخواص الناس في التوبة على احوال رجل يسوف بالتوبة مدافع بها
اغتر بطول الامل ونسي هجوم الاجل فهذا ان ادركه الموت ادركه على الاصرار وآخر تائب ما لم يجد
شهوة فاذا وجدها ركب هواه واضاع المحاسبة لنفسه فهذا المستوجب للعقوبة من الله
ورجل تائب بقلبه الا ان نفسه تدعوه الى الشيء مما يكره فهذا يحتاج الى الادب لنفسه
وفايدته على قدر مجاهدته ورجل مديم للحساب قد قام على ساق مقام الخصم فهذا مستوجب
للعصمة من الله ورجل قد هام به خوفه من ذنوبه ولم يبق فيه باقية فهذا المتوحد
بولاية الله وكان ابو حازم يقول نحن لا نريد ان نموت حتى نتوب ونحن لا نتوب حتى نموت
وسمع مطرف رجلا يقول استغفر الله واتوب اليه فاخذ بذراعه وقال لعلك لا تفعل
من وعد فقد اوجب وقال يحيى بن معاذ على قدر الخروج من الذنب يكون افاقته

الفارسي فقال رجوعك من ذنب قد علمته الى استحلالك من رجوعك اليه مع اصلاح سريرتك
وعلانيته وقيل لابي حفص لم تبغض الدنيا فقال لاني قد باشرت فيها الذنوب
فقيل له فهي ايضا دار اكرمك الله فيها بالتوبة قال لاني من الذنب على يقين وهو من صحة
توبته وقبولها على امل وهو من قول الجنيد من شهد من نفسه زلة واحدة فلا يعتمد
على شيء من حسناته وان كثرت ويقال ان العقوبة واجبة على من زل بغير شرط والعفو
مقرون بشرط التوبة والتوبة مقرونة بالقبول والقبول الى غيره ان شاء قبل وان شاء رد
فله الفضل اذا قبل مع عظيم معصية وكفران حق نعمته وله العدل ان عاقب بعد الاستحقاق
وتقوية الاعتذار والانذار فالواجب على المذنب ولزوم الاكتئاب وملازمة التنصل والاستغفار
والاستشعار والوجل الى الاجل حتى ما قيل ان التوبة ذوبان الحشا لما كان من الخطا

وكيف ينام الليل من جر انه ... على مدرج تعتاده الاسد الورد
نجد بالرضا لا ابتغي منك غيره ... وذلك فيما كنت عودتنا بعد
لست على سخطك جلد القوى ... ولا على عتبك شاكي السلاح
فهل لانس بان من رجعة ... وهل لحال فسدت من صلاح
كيف القرار ولم ابلغ رضا ملك ... تبدو المنايا بعينيه وتحتجب
وانك كالدهر مثنونا جلاله ... والدهر لا ملجا منه ولا هرب
ولو ملكت عنان الريح اصرفه ... في كل ناحية ما فاتك الطلب

غضب رجل على غلام له فاستشفع الغلام الى سيده انسانا فشفعه فاخذ الغلام يعفر
في الارض خده ويسقي الارض دمعه فقال الشفيع ولم ذلك كله وقد تاب عليك وعفا
عنك فقال السيد انه يطلب الرضا وليس ذلك اليه فانما يبكي لاجله

دنت لطيفها كيما نصالحه ... في النوم حين ابى الصلح يقظانا
فلم تجد عند طيفي طيفنا فرجا ... ولا اوى لتشكيه ولا لانا
فبت لا تسالني العفو سرعة ذا ... فلم يكن هاهنا منك الذي كانا

وقالوا ان الذنب بمنزلة المرض العارض في النفس والتوبة بمثابة معالجتها حتى تعود
الى صحتها فكما ان الغالب على اصل الامزجة في الانفس هو الصحة وانما يعرض المرض
باسباب متغيرة وعلل مؤذية فكذلك كل انسان يولد على الفطرة ويدرك على الصلاح
والرشاد وكما ان البدن يكون في اول الامر واهيا واهنا ثم يكتسب الكمال ويكتسي الزيادة
والنماء على التربية والتغذية فكذلك النفس لا تكون قبل العناية بها كاملة في معناها

وانما تكمل

وانما تكمل بتزكيتها عن الرذائل واستعلائها بالانابة وتثقيفها بالعلم والورع وكما ان
البدن ان كان صحيحا كان على الطبيب المعتني به ان يحفظ عليه صحته وان كان سقيما كان
عليه ان يزيل عنه الآفات المعتلة له والامراض المطيفة به والاعراض المجتمعة عليه فكذلك
النفس ان كانت زكية طيبة طاهرة فشان المعلم الواعظ الذي هو طبيب الانفس ان يحمي صحتها
وطهارتها عن الزوال ويحفظ استقامتها عن التغير والاختلال ويزيدها من صفائها
ويوفر عليها من محاسنها ورغائبها وان كانت مختلة معتلة قد غادرت الصفا مستغلظة
الصفا مائلة عن طهارة فطرتها الى الكدورة متنحية عن سنن حالاتها من الاستقامة
الى الاعوجاج ومن القوة الى الانكسار ومن الصلابة الى الانفصام فينبغي له ان يسعى في
اعادة السلامة والاستقامة اليها بتعريف صاحبها المريض معالجتها بالانابة الصحيح
والتوبة النصوح وكما ان الامراض المعتلة للبدن لا تعالج الا باضدادها فتقابل الحرارة
بالبرودة والبرودة بالحرارة ليرد البدن عن الميل الى احدى الكيفيات نحو الاعتدال
فكذلك الامراض المعتلة للانفس القادحة في القلوب تعالج باضدادها فيعالج مرض الجهل بالتعلم
ومرض الكبر بالتواضع ومرض البخل بالتسخي ومرض الشره بالعفة ومرض التعاطي بالتوبة
ومرض الخلاف بالانابة وكما انه لا بد من تجرع مرارة الدواء وشدة الصبر على ما يلتذ ويشتهي
لتتم علاج الامراض البدنية فكذلك لا بد من تجرع مرارة الزهد والتقشف واحتمال عناء
المجاهدة والصبر على معاناة الفقر وفطم الطلف حتى تتم الانابة وتصدق وتصح التوبة و
نحو تحصيل الدواء وطلب الشفاء على ان الموت يحيي وينقذ من مرض البدن وهذا الابعاد
مبتلى في بدنه بوجع شديد والم عظيم الا وهو بين ان ايما الامرين المحل وقوعا واسرع نزولا
اما شفاء قريب او موت وحي فاما مرض النفس ان لم يعقبه الشفا والصحيح فيه الدوا فالموت
اتصال الالم وحين يتضاعف عذابه وعلى ان كل دواء لا ينفع في كل داء ولو كان صدور ذلك
الدواء من جهة واحدة مثلا من البرودة او الحرارة ولكنه يختلف في ذلك بحسب الامزجة والعادات
والمساكن والصناعات والسن والاهوية والفصول من السنة ونحو ذلك وكذلك بالنظر الى
حال المريض ومادة العلة بحسب القوة ام بحسب التجارب فالحاذق من اطباء الابدان اولا
ينظر في هذه الاسباب والاعراض ويستقري احوالها هذه الاحوال ثم يقابل حال الدواء بحال
الداء ويوازن بين الامرين ويأخذ عيار كل واحد منهما بميزان صحيح وقياس مستقيم لا
يعترضه المجازفة ولا تخيفه المساهلة فكذلك ينبغي ان علاج العلماء الذين هم اطباء
النفوس لمرضاها على قدر العلل وقوى المرضى واحوال المرض والاسباب المثيرة له والاعراض

اللاحقة به وكما ان العلاج الواحد في مرض البدن لا يصلح لجميع المرضى فكذلك الحال في
امراض النفوس فان كان المريض الذي يعالج من هذا القبيل في ابتداء امره وعلو سنه
فالذي يبتدأ به من المعالجة هو تعليمه اداب العبادة وسنن الشريعة فان كان آفته من
قبل المال واقتنائه منه ما لا يحتاج اليه ويمتنع به عن صرفها لجهة بما يخفف الهم
عن الزيادة الشاغلة بصرفها الى جهة من له اليه الحاجة الماسة وان كانت الافة من
قبل الرعونة والتعزز فيتصدى مثله الى خدمة المشايخ والخوف بين يدي الاصحاب و
التبذل فيما بين الجلساء والتذلل للمساكين الفقراء لينكسر بذلك التعزز بهذا التذلل
انكسارا لشيء بضده وان كان الغالب عليه حب التنظف في الملابس والتقزز من الادناس
فمثله يؤمر بكنس مأوى المشايخ وخدمة مطابخهم في غسل القصاع وتجمير التنانير وايقاد
النيران لمفارق المزابل العماير ومحو عادة الصورة الفانية الثانية التي عن قريب
متزايله ومال كان تفكر في الهزال وكذلك اذا كان الغالب عليه شره البطن و الفرج
فان مثله يلزم الصوم ومكابدة الجوع والطعام اللذيذ حاضر يمعن في اكله الحاضرون
لتذعن له نفسه في الصبر عن المطاعم الموسية والماكل المحرية وان كان الغالب عليه الغضب
ونزواته والغيظ وعدوانه فانه يؤخذ بالسكوت والسكون وخدمة من في خليقته شراسة
وفي طريقته وعورة حتى يروض على الاذعان والامتنان وكان الشيخ المريد المرودي يروض
نفسه في الشتاء الحلبي الغداة الكالحة في مربدها بانغماس بشار غرنة والبرد يستر
وجه الماء او الضنا وجه الهوا وبالقيام على الراس في حمامات الملتهبة نارا حيث يكون
شعب وقودها وتشتعل صعود دخانها تدريبا للنفس على ملابسة القيام بالليل ومكابدة
الشدايد صابرة مطمئنة حتى تم له الاستقامة وتخلص منه الانابة ولا شيء في الارتقاء
الى هذه الغاية ان لم يطاوع النفس النقل عما ينصد عنها عزوها دفعة او تكلفها بسند
ما اعتادته مرة مثل النقل عن نوع من الخصال ونوع الاولى وهو كما تغسل مثل الثوب
الممتلي من الدم ابوال او لا آثار النجسة لكي اذا [illegible] لون الدم وقوته بوساطتها
كصفاة الماء القليل الذي عند الغاسل وهو كما يترتب الصبي في اول صباه بانبساط
البدل الى الكرة والصولجان ثم يتحول من اللعب الى الزينة بالثياب المصبغة والحلي المصوغة
ثم ينتقل الى اعشاق الاعمال والحرص على الرياسات ثم من بعد ذلك كله ان كان فيه صنعا
يرغب في اعمال الخير وتقديم ما يكسبه السعادة الدايمة والنعمة الباقية وكذلك لا
شيء في صدق الانابة وصحة التوبة من المجاهدة في الوفا والثبات في العزيمة والنفاد في

الامر

الامر فانه اذا عزم المريد على رفض الشهوات واخلاص التوبة عن السيئات فربما تتواتر عليه اسباب
الملذات وتتوفر جهات الطيبات على ما اعليه سنة الله تعالى في نقض العزايم وفسخ الهمم فان
كانت النفس مزودة ثابتة والعزيمة صادقة قوية والتوبة نصوحا جازمة لم ينسف بما عزم
عليه من الصبر والكف عن تلك الاسباب ولا اشتهوا الشيطان من تلك الشعاب وان الفت النفس سريع
اليها ولكن حبل العزيمة مغار ولا عود الا انقضاء اهناك كل يوم توبة منقوضة وانابة
مرفوضة وكما ان لكل عضو من اعضاء البدن حال صلاح يعالج من فساده على حكم ذلك العضو
ليعود الى الصلاح فكذلك لكل فعل من افعال النفس مثل تلك الحال وعلاج الافة الحالة به
المفسدة له بمفارقتها من جهة الاشتغال الى ما يخالفها وتوبة عنها وانابة الى ما يزيلها
فتوبة محب الدنيا هو محبة الله تعالى فانه اذا لم يصح للعبد محبة الله تعالى لم يصح توبته
عن محبة الدنيا كما قال الله تعالى قل ان كان اباؤكم وابناؤكم الى قوله احب اليكم من الله ورسوله
وجهاد في سبيله فتربصوا وانما لم يصح هذه المعالجة ولم يصح هذه التوبة لان الاطباء
المرضى هم العلماء والعلماء المسموع قولهم اليوم مقبلون على الدنيا مكبون عليها متنافسون
فيها متهافتون بسببها فهم المرضى المتعاطون العلاج العاجزون في كتبهم عن الانضاج
فلذلك كان الداء عضالا والمرض مزمنا عقاما يرون المريض قد اشتفى والعلاج قد تناهى ولكن
لا طبيب يهتدي اليه ولا مريض يرغب فيه وكما يعالج حب الدنيا والتوبة عنها بالانابة
الى الله والتوفر على اعمال الدار الاخرة التي هي ضد الدنيا فكذلك علاج البخل والتوبة
عنه ببذل المال على من عرف ومن لم يعرف كان الزبير بن العوام من اعظم مياسير مكة فقال له
النبي صلى الله عليه وسلم كتب الله ان التقى خلقها والممسك تلفا فجعل يعطي يمينا ويسارا
وجعل صاحبه الحرب لا الثوى شيئا ابدا وما سمع هذا الحديث حتى جا القيامة وكذلك
التوبة عن كل شيء من السيئات والخرمات فانما هي بالمصير الى ما يخالفها ولا تعد ولا بد من
التوبة عن البخل ببذل جميع المال في الوجه الذي لا ينبغي وعلى من لا يحتاج والاحسان اليه
بعود البخيل تبذيرا او هو شبيه مثل البخل بل اشد من البخل فيكون الحال فيه كمن يعالج
البرودة بالحرارة الى حد يغلب عليه الحرارة غلبة مفرطة محتاجا الى التدارك بطلب
البرودة بل المطلوب هو الاعتدال بين التقصير والتبذير حتى يستقيم به القدم على الحد الوسط
الذي هو ابعد الوسايط عن الطرفين ولا معيار صحيح في الاعتبار هو ان يحكم فيه قاضي النفس
فان كان احد الطرفين اسهل عليها والذ لديها من الطرف الآخر في الطريق في التوبة عن
الشح اللئيم هو مخالفة الاسهل الى الاثقل وتكلف الاطيب الى الاشد بشاعة وكراهية عليها

ولا يزال المرتاض المعتني باصلاح القلب يترقى في هذه الرياضة درجة درجة حتى ينقطع عن
القلب شلاء العلاقة المال ويصير المال كالماء وعند ذلك لا يترجح عنده البذل على الامساك
ولا يهوى النفس في مهاوي الارادات ولا ترتبط بحبال العادات فتصير النفس حرة عن
العلائق واسبابها خارجة عن الوسائط وابوابها راجعة الى ربها مطمئنة راضية
مرضية ولما كان الوسط الحقيقي بين الطرفين في غاية الغموض بل هو ادق من الشعر واحد من
السيف فلاجرم من استوى على هذا الصراط المستقيم في الدنيا جاز من مثل هذا الصراط في
الآخرة وقلما ينفك العبد عن ميل عن الصراط المستقيم الذي هو الوسط بين الطرفين حتى لا
يميل الى احد الجانبين فيكون قلبه متعلقا بالجانب الذي مال اليه فكذلك لا ينفك
عن عذاب ما واجتياز على النار وورودا بها وان كان ورود دهشة لا ورود دخول او
عبور عليها مثل البرق الخاطف قال الله تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما
مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا وهم الذين قربهم في الافعال الى الصراط الذي هو الوسط اكثر
من بعدهم عنه الى احد الطرفين ولاجل عسر الاستقامة ما تعبد الله عباده ان يدعو
في فرائضه عليهم كل يوم سبع عشرة مرة اهدنا الصراط المستقيم **وكان اكثر دعا النبي م**
اللهم ارني الاشياء كما هي وقول النبي صلى الله عليه وسلم شيبتني سورة هود لمكان قول الله
فيه واستقم كما امرت والاستقامة على سواء السبيل في غاية الصعوبة والادراك علما
وعملا ولكنه يجب على كل احد ان يجتهد في مقاربته ان كان مقصرا وقاصرا عن حاق درجته
وذلك بحسن الانابة وصدق التوبة **ومن كلام بعض الخطباء** ما لكم يجب عليكم ثمال الخوف
من الذنوب ولا يمطر منكم سحاب الدمع المسكوب لتلتم تشيم على وجوهكم مكتبين في عيبتكم
بمن يعيبكم الى عنكم مصرين لا تقصدون في اتباع الهوى اقتصادا وتصعدون ولا تلوون
في انتجاع المنى اصعادا فكم هذا التعثر في اذيال الخطيئات وكم هذا التعلق باكمام
الشهوات وكم من توبة لا ترجى قبولها وانابة يخاف ان لا يتم حصولها فاين استكانة
المذنبين واين ضراعة المنيبين اما علمتم ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ويذكر
الذاكرين ويغفر للمستغفرين **روى** ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله افرح
بتوبة عبده المؤمن من المضل الواجد ومن العقيم الوالد ومن الظمآن الوارد **وفي خطبة
اخرى** الليل والنهار مناهل الآجال وردوها باحسن الاعمال وانتم في الشباب من اجل
الاعمال فاسلكوها مع الرفقاء الاخيار والدنيا دول فخذ توبة الى توبة والعمر قصير
فعليكم التسويف بالتوبة يحقق احدكم دينا الى ذنبه ولا ينصح نفسه في رجوعه الى ربه لو لم

فارغا عما اليه دعي مشغولا بما عنه نهي حاضره غايب عند الاعتبار وغايبه حاضر
عند الاعتذار فاحذروا رحمكم الله انفسكم من غفل الذنوب وطهروا قلوبكم عن
صدا العيوب واعلموا ان مقصد القلوب قريب ومكان الرضا خصيب وحبل الزلفى
للآيبين موصول ومثاوي الحسنى للتايبين مأهول **ويحكى ان** بعض الفتيان استهواه
الشيطان من سماوة التقى واعلقه حبال الهوى ثم ندم واراد الرجعى فخاف من الله واستحيى فلما
بعل بامره وضاق صدره قال على كل حال مولاي ارحم واكرم وعفوه ربي من ذنبي اعظم فاتيت
وابات قد قضت تلك الاسباب فما ادري فيما يرى انا يرى قد كتب علينا فكفيناك ثم اترى علينا
قلبناك فالآن اذا اقبلت الينا قبلنا

سابرك ما بيني وبينك منهما ۞ فان عدت عدنا والوداد سليم
تواصل قوما لا وفاء لعهدهم ۞ وتترك مثلي والوفاء قديم
ولو قد بلوت الناس عند عهودهم ۞ رجعت الى عهدي ولست تهيم

ومن اخرى ليعلم كل احد ان وراء هذه الايام يوما الحكم فيه بالحق والفوز فيه بالصدق
والجزاء فيه بحساب الاعمال والقصاص على وزان الافعال والثواب فيه على الحسنات و
العقاب على السيئات من وفى يوفى اليه ومن طفف يطفف عليه ومن يعبد الله على حرف
فما اضل عمله ومن نجا باساءته لحسناته فاكذب امله التوبة التوبة فلا يقبل الا الاعمال الاعدل
والانابة الانابة فلا زكاة للافعال الا بعدها **كان** يزيد بن مريد يقول في بعض مواعظه
الآن قبل ان تسقم فتضنى ثم تهرم فتفنى ثم تموت فتمنى ثم تقبر فتبلى ثم تنشر فتحيا ثم تبعث
فتشقى ثم تحضر فتدعى ثم توقف فتجزى بما قدمت فامضيت واذهبت فاقنيت من موبقات
سيئاتك وسالفات شهواتك وملفقات فعلاتك الآن وانتم سالمون الآن وانتم مستعتبون
تمنى قوم عند يزيد الرقاشي فقال اتمنى انا كما تمنيتم فقالوا تمن فقال ليتنا لم نخلق وليتنا
اذ خلقنا لم نمت وليتنا اذا متنا لم نبعث وليتنا اذا بعثنا لم نحاسب وليتنا اذا
حوسبنا لم نعذب وليتنا اذا عذبنا لم نخلد

فلو انا اذا متنا تركنا ۞ لكان الموت راحة كل حي
ولكنا اذا متنا بعثنا ۞ فنسأل بعده عن كل شي

قيل لحاتم على ما بنيت امرك قال على اربع خصال علمت اني ميت فلم اركن الى الدنيا
وعلمت ان عملي لا يعمله غيري فاشتغلت به وعلمت ان الموت يأتي بغتة فبادرته وعلمت
اني بعين الله في كل حال فاستحييت منه **وكان الفضيل** بن عياض كثيرا ما يقول لابنه

يا بني ارفق بنفسك فكان يوما خلف الامام يصلي وسمع سورة الرحمن فجعل يتلوى وابوه يا
انا سمعت قوله حور مقصورات في الخيام فيقول لابنه الا يا ابه لكنني سمعت يعرف المجرمون
بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والاقدام دخل الاسكندر مدينة فتحها فسأل عن اولاد الملوك
بها فقال اهلها بقي رجل منهم يسكن المقابر فدعاه فاتاه فقال له ما دعاك الى لزوم
المقابر فقال اردت ان اميز بين عظام ملوكهم وعظام عبيدهم فوجدتهما سواء فقال له
الاسكندر هل لك ان تتبعني فاحيي شرفك وشرف آبائك ان كانت لك همة فقال همتي عظيمة
فقال وما هي قال حيوة لا موت معها وشباب لا هرم معه وغنى لا فقر معه وسرور لا مكروه
فيه قال ليس عندي قال فدعني التمسه ممن هو عنده كان قس بن ساعدة على عهد الجاهلية يخطب
متوكيا على عصى فيقول مطر ونبات وآباء وامهات واموات بعد اموات وضوء وظلام
وليال وايام وفقير وغني وسعيد وشقي ومحسن ومسيء ما لي اري الناس يذهبون ولا يرجعون
ارضوا بالمقام هناك فاقاموا ام تركوا فناموا ان الارباب الفعلة ليصلح كل عامل عمله
كلا بل هو الله اله واحد ليس بمولود ولا والد اعاد وابدى واليه المعاد باعث لما دامت ثمود
وعاد وابن الآباء والاجداد اين الحسن الذي لم يشكر والظلم الذي لم ينتقم كلا ورب الكعبة
ليعودن كما بدا ولما ترعون اليوم تحصدون غدا تعلمون ان لله عليكم حقوقا فهل
تسعون في ادائها وان هذه الايام صحائف اعمالكم فهل تعمرونها قبل انقضائها
تظنون انها دائمة وقد اسرعت في مرورها وتحسبونها مضيئة وقد استولى الخلاف على
قرونها فيا لله من ذاهب لا عوض عنه ومرتحل لا بدل منه وداع مفجوع به حين نزل ورحل
ما سوف عليه بعد ما ارتحل فاغتنموها قبل ان يصير القريب نائيا والمقيم ماضيا قبل ان
يكون الحصول بدا والوجود عدما قبل ان يضرب الادبار على العقبين سير ادق الخنا فلا
اقالة لعثار ولا توفيق لانابة واعتذار ذكر العتبي انه قيل لرجل عند الوفاة قل لا اله الا الله

فقال ٭ آه وبلي على الشباب وفي اي زمان فقدت شرخ الشباب ٭
حين نالت العيون وارخص المهر ٭ وزال الحجاب عن كل باب ٭

وقيل لآخر وقد قرب خروج نفسه وانقطاع نفسه قل لا اله الا الله فقال

لهف نفسي على الزمان وفي اي ذهني الا زمان ٭
حين ولى الشتاء واستقبل الصيف ٭ وطاب الراح والريحان ٭

واحتضر آخر منهم فقيل له قل لا اله الا الله فقال

بر الليل وطاب الماء والتذ الشراب ٭ ومضى عنا حزيران وتموز وآب ٭

زمان م

قرحى

ان قضى لوقته وقالت امرأة لرجل كان منزله قريبا من حمام منجاب ببغداد يا رجل اين الطريق الى
حمام منجاب فاومى اليها وارشدها الى طريق غير مسكن خراب لا منفذ لها وتبعها
اليها ففجر بها فلما حضرته الوفاة قيل له قل لا اله الا الله فقال

يا رب قائلة يوما وقد تعبت ٭ كيف الطريق الى حمام منجاب ٭

ومات لوقته هكذا يبدل سوء الخاتمة ويهوي بالحذو لين مدرجة العاقبة وما شفع
ثمامة او بشامة تعصف عليها رياح الخريف بسوء عرفها في اوان الربيع وما يجدي
على الصحيح المستهتر بالشهوات الرديئة المعتاد للاغذية الموبية صحته اللطيفة اسباب
الاسقام المعتورة لها دواعي الآلام فلئن تلك ان تعود الصحة سقاما والسقام حماما
والوجود عدما والغرور ندما فيا حسرتا على تضييع الايام في ارتكاب الآثام ويا اسفا
على تدارك لما امكن حين لا ينفع التاسف ولا يجدي على المرء التلهف الا ان الغاية بعيدة
فما المعطي قصير وان المحاسبة شديدة فالتوبة يسيرة ما للشيب لا يتوب وقد شاب
والشيخ لا يتعظ حتى يفترش التراب وما الموقن بعطاء لا ينفك رهانا عن المظالم وعابر مواقف
العرض الاكبر لا يعف عن المحارم وما المشغول بعمارة مربع حجيم وسحاب صيف متقشعة عن ملك
ليس له زوال وليس عنده انتقال روي عن انس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم
خطب ذات يوم فقال من في الدنيا ضيف وما في يده عارية وان الضيف مرتحل والعارية
مؤداة مردودة الا ان الدنيا عرض حاضر يأكل منه البر والفاجر والآخرة وعد صادق
يحكم فيها ملك قادر فرحم الله امرأ نظر لنفسه ومهد لرمسه ما دام رسنه مرخى وحبله
على غاربه ملقى قبل ان ينفد اجله فينقطع امله وروي سهل بن سعد قال جاء جبريل عليه السلام
الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد عش ما شئت فانك مجزي به واعلم ان شرف المؤمن
قيامه بالليل وعزه استغناؤه عن الناس وفي الخبر هيهات قد اخذت العزة
بالاسماع والابصار وما قت الغفلة بالالباب والافكار لا الاشارة العلماء مسموعة ولا مشورة
الفصحاء مسموعة تنسون دينكم والديان لا ينساه وتضيعون عمركم ومن ورائكم ربع برء
ترسون ولا تحطون الا ثانية بيا لكم وتوثرون الحيوة الدنيا ولا تعملون للآخرة من
اشغالكم ملكتم الآمال فاطلتم وقلتم تصلح اعمالكم وما فعلتم هجرتم الحق وقلتم بعثا وتم
ورفضتم الخير وقلتم سنزداده وهممتم الفانية وقد جبرتم اخلاقها وتركتم الباقية
وقلتم سنشتاقها ٭ ولو كنت ذا شوق لجنة مسلما ٭ على خير اهلي بالمجون حلولا ٭
ولكن وذا العامري مظنة ٭ كما ان عهد العامري غلولا ٭

وضاكم مجر وحبكم قبلي … وعطفكم صد وسلمكم حرب

وانتم بحمد الله فيكم فظاظة … وكل ذلول من مراكبكم صعب

اذا ختم بالعبقري فاكم … تدلون ادلال المقيم على الود

صلوا وافعلوا فعل المدل بوده … والا فصدوا وافعلوا فعل ذي الصد

ومن الاشعار الرائقة اللائقة بما يقصده الصالحون ان يكون ملحة المجلس

قرة عيني لابد منك وان … اوحش بيني وبينك الزلل

قرة عيني انا الغريق فخذ … كف غريق عليك يتكل

احين ارغمت حسادي وساءهم … جميل فعلك بي اشمت حسادي

فان تكن هفوة او زلة بدرت … فانت اولى بتقويمي وارشادي

ولو لم يكن ساخطا لم اكن … اذم الزمان واشكو الخطوبا

وما كان سخطك الا الفراق … افاض الدموع واشجى القلوبا

اراقب ايك حيني … وانظر عفوك حتى تتوبا

راي هفوة زلت بها قدمي … وما هفا الرأي الا زلت القدم

صفحا فلوشى قلبي عن صحيفته … لظل يقرأ فيه الخوف والندم

يا سيدي قد عثرت خذ بيدي … ولا تدعني لا انتعش تعسا

واعف فان عدت فاعف ثانية … وقد يداوي الطبيب من نكسا

لا شيء اعظم من ذنبي سوى املي … وحسن صفحك عن جرمي وعن زللي

فان يكن ذا وذا في القدر قد عظما … فانت اعظم من ذنبي ومن املي

المجلس السبعون من كتاب خلق الانسان تفسير قوله عز وجل وفي انفسكم افلا تبصرون بعض الكلام فيما في الانفس من عفتها وتقويها وزهدها وورعها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله فاطر الارض والسماء وخالق الاصباح والامساء صدرت عن تقديره صدور القضاء وعنت لتدبيره وجوه الانشاء يختبر الطاعم في الضراء ويستدرج من عصاه بالسراء برز الاناسي في امصارها والطير في اوكارها والوحش في قفارها والحيتان في بحارها على الغرائم حكمه وقضائه فلا يجري في سلطانه الاما يشاء يعطي الكثير بلا وسيلة ويمنع فلا تغني الحيلة يونس نفوس الابرار بتوفيقه ويمكن قلوب الاخيار بتصديقه ويحلي هموم الواجدين الطائفة ويحلي صدور العارفين اوصافه فخلق قوى النسم وقسم فضله فيما قسم

فتح

فتح ابواب الرغائب ومنح اسباب المواهب فتم ما انتشر من مصالح الامور بعنايته وقرر انشراح الصدور بكفايته زين الدنيا بمتاعها ثم زهدهم فيها بانقطاعها وابتلى النفوس بحبها وامر القلوب بفضل تقواها اصغر فيها من زكيها ونجاء لا من دنسها من دساها بيده هوادي الهدى فلا يهتدي الا به ليه وفي قبضته مرافق الرزق فلا يستقي الا باغاثته عليه لا اله منه لخائف ولا فرار عنه لعارف ولا حيلة على الحكم مما امره ولا وحشة مع الانس بذكره نتفضل ونتوسل له اميلا او نضاله ونتخلى وكيلا ولا نتبوع عن طاعته ميلا ولا نهتدي الى غيره سبيلا ونصلي على محمد عبده ورسوله المبعوث وغصن الدين يابس ووسم اليقين دارس فعاد به عود الدين اخضر ناضرا ووجه اليقين ازهر باهرا صلى الله عليه وعلى آله الذين ازداد بهم الخير اشراقا والخير انتظاما واتساقا **العفة** ضبط النفس عن اللذات المشتركة بين عامة الحيوانات من جملة المذوقات والملموسات وليس معنى ضبط النفس عنها رفضها بالجملة وقهر الشهوة وحصر الهوى على كل حال ولو كانت الشهوة مما يستغنى عنها ويتحرز بالجملة منها لما كان خلقها في اصل التركيب عبثا وبالا على صاحبها وكيف ولجل المذوقات ضرورة بقاء البدن ولجل المناكح ضرورة بقاء النسل ولكن معنى ضبط النفس عنها هو ان يجري امرها على اربعة انحاء ان يتناول منها ما ينبغي وفي الوقت الذي ينبغي وعلى المقدار الذي ينبغي ومن الوجه الذي ينبغي فيكون شهوته تحت طاعة عقله واشارة الجميل على الكلف بل اشارة اللذة بنفسه لذة من حيث هو جميل بما ذكرنا من الاوصاف الاربعة لا ان يسمح له من حيث انه لذيذ يهوى نفسه وشهوته بجهله وضراوة عادته وتسويل شيطانه وكذلك في الغضب حاجة الانفس من العار والحماية والذمار والقبض على ايدي الشهوة والاخذ بعنان الهوى فيكون عنده كالشيء المحظور الا الاصل المباح النوع كالرخصة التي يستباح بها الشيء مع قيام الحرمة **وقد قال بعض البلغاء** في تمثيل امرها انهما يجريان من العقل مجرى المركوب الذي يركب عند الحاجة باربعة اشياء بسرج بذل الله وشكيمة بكبحه وعنان يثنيه وسوط يجمعه فاذا نزل عنه راكبه ارسله الرباط والشكال الا يجد على حال من الاحوال سبيلا الا الى رشده فيملك نفسه ويحمي على عقبه وكما يخاف من هذا المركوب الشرود فقد يخاف منه الحران والشرود الشهوة الشرة وحرانه الخمود وشرود الغضب التهور وحرانه الجبن وآفة الشرة اغلب من آفة الخمود وفي الغضب على العكس ولهذا كانت المواعظ والوصايا في معالجة الشرة والجبن اكثر والمبلغ منها في معالجة ضديهما الا ان الشرة اشبه بما يكون طبعا من الجبن والجبن اشبه بما يكون طبعا من الشرة فلا بعد

الشره وقد يعد الجبان ويصلح معها لجنة الشره دون الجبن ويستحكم عادة الامساك
عن الاوطار من غير ركوب الاخطار ولا يستحكم عادة الاستهانة بالعظائم الا بركوب
الملاهم واسباب الشره ليس بمرغوب عنها والشره عينه مرغوب عنها واسباب الجبن
مرغوب عنها والجبن نفسه ليس بمرغوب عنها فبين الشره والجبن والجود والتهور مفارقات
من حيث هذه الاضافات والاعتبارات ولا يكون الا بخاله في المحمود من توسطهما عفة
وشجاعة من حيث ان ذلك طاعة الشهوة العقل في تناول الملاذ وطاعة الغضب العقل في
دفاع المحاذر فاذن العفيف لن يشتهي الملذات التي يستغني عنها ولا يحرم نفسه من اللذات
التي يحتاج اليها وعكسه الشره فيكون العفيف ضابطا لها كلها والشره ساقطا تحتها كلها
ثم قد يحمل الانسان على الاعفاء من غير ان يكون على احدى اربعة جهات احدها العلم
بالنتيجة كمن يذوق الاشربة او يجتنب الاطعمة فيكون حاله حال العفيف الذي يكفيه الطفيف
وهو لو استطاع الاكل لاحتجفه وتحسفه كالعقاب المصعود ولو امكنه الشرب لاستفه
واستقه ولا الرمل الملآء في الوادي والثاني الامتناع من الشيء كما لو قدم طعام بين يدي
جليع من الطعام نزع عن المدام والثالث فرط الشوق فان من صدق عشقه لانسان لم
يرع بغيره وان كان موجه قال الاصمعي بعث جارية فقالت تبتغي فقلت كل بكلك تنول
فقالت وكل بكلك بعنه لكن النفث وراك فانه رآك كل العشرة فالتفت فصاحت
يا كذاب لو كنت صادقا ما التفت والرابع عدم العلم بالشيء فان من لم يذق اللحم لم يؤثره
على الزيت ومن لم يجد طعم الجنى عز عليه مقاساة الغربي قال علي كرم الله وجهه مناسقا
ان ههنا علما جما لو اجد له حملة وقال لو لقيت مائة قلوبهم كالذهب المصفى ثم اخذت
من المائة عشرة ثم اخذت من العشرة واحدا ثم اخبرته ببعض ما عندي اذن لقال علي الكذب
العرب في ذلك لان الناس اعداء ما جهلوا فاذا اطلعوهم باب من العلم تقصر دونه افهامهم كذبوا
قائله فعلى هذا من القسم الاول اكتفاء اصحاب السلطان من العلو والمجد بتقريب العلماء
واجلال الزهاد بمعتقد وما يعدون من جملة الاخيار من غير ان يسلكوا في طرائقهم او
يتخلقوا باخلاقهم فهو ضامن للجسم بالاسم وعن الجسم بالتشبيه ومن الثاني وصية الناس
والمثرين عند الموت لدى الاستغناء والفوت قيل لميمون بن مهران ان رقية امرأة
هشام بن عبد الملك ماتت فاعتقت كل مملوك لها فقال يعصون الله تعالى مرتين
يتجملون به وهو في ايديهم بغير حق فاذا صار لغيرهم اسرعوا فيه ومن الثالث رضا
اصحاب الدنيا بمتاع الغرور عوضا من الثواب واحوال الزهاد يرغبون في الدنيا الفانية

ويرغبون عن الآخرة الباقية ونلهيهم بها قيل للعتابي ان فلانا عاقل قال اذن لا يفرح
بالدنيا ولا يرغب فيها وعلى هذا قول محمد بن الحسن انا اوصي بثلث مالي لاعقل الناس صرف
ذلك الى الزهاد في الدنيا لكمال عقلهم ومن الرابع غفلة الناس عن نعيم الآخرة وانصبابهم
الى زخرف الدار الحاضرة مع تعبهم ونصبهم فيها وطول شقائهم بها

ارى اشقياء الناس لا يسامونها ❀ على انهم فيها عراة وجوع
اراها وان كانت تحب فانها ❀ سحابة صيف عن قليل تقشع

بو قطعهم العبر ولا يرجعون ويعظهم الغير ولا يسمعون لا ينهاهم ابناؤها الاجيال ولا يحذرونها
ولا يمنع اولادها الا باقواتهم ولا يسامونها يجدون كل مرارة في شرابها ويردون كل غصة
من رايها والانفس مع ذلك تعز بها زائدة الولوع والاكباد من هو بها باديه الصدوع
فيا للرجال انها لا يبقى قليلها ولا يسامها عليلها ايدوم دوامها ويعني طيبها ويكثر
نصبها ويقل نصيبها ❀ احبك لا اني ارى لك نعمة ❀ علي ولكن قل عني حبيبها
وما هجرتك النفس انها قلتك ❀ ولكن قل منك نصيبها

دخل ابن السماك على الرشيد فدعا بشربة ماء فقال يا امير المؤمنين ان منعت هذه الشربة
فبكم تفتديها فقال بالدنيا كلها قال لو ارسلت شربتها فمنعت خروجها بكم
كنت تفتديها فقال بالدنيا كلها فقال انما تصنع بدنيا لا تساوي عند فقرها شربة
ماء ويحكى ان سليمان بن عبد الملك دخل المدينة فاقام بها ثلاثا فقال اما ههنا رجل
ادرك اصحاب رسول الله يحدثنا قالوا بلى ههنا رجل صالح يدعى ابا حازم
فبعث اليه فاتاه فقال له سليمان يا ابا حازم ما هذا الجفاء قال واي جفاء رايت مني قال اتاني
وجوه اهل المدينة ولم تاتني قال اعيذك بالله ان تقول ما لم يكن لم تعرفني ولا انت عرفتني
ايتك لها قال صدق الشيخ ثم قال يا ابا حازم ما لنا نكره الموت قال لانكم اخربتم آخرتكم وعمرتم
دنياكم فانتم تكرهون ان تنتقلوا من العمران الى الخراب قال صدقت فكيف القدوم على الله
قال اما المحسن فكالغائب يقدم على اهله واما المسيء فكالعبد الآبق يرد على مولاه فبكى سليمان
وقال ليت شعري ما لنا عند الله قال اعرض عملك على كتاب الله فانك تعلم ما لك عند الله
قال فاين اصيبه من كتاب الله قال عند قوله ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم قال
فاين رحمة الله قال قريب من المحسنين ويحكى ان سليمان بن عبد الملك لبس يوما احسن ما عنده من
الملابس وجلس في ابهى المجالس ودعا باحسن جارية يحظاها فقال لها كيف ترين فقالت

انت نعم المتاع لو كنت تبقى ❀ غير ان لا بقاء للانسان

١٦١

ان خلوت من العيوب وبت ما ٭ يكرم الناس غير انك فاني

فلما كان من الغد مرض على فراش الموت فاتيتم في غرفة فوقع بصر على ابي غنم فقال يا بني ما سالك هذا الملك وكنت عسيفا او راهبا اسيح لا ال الحجا غاديا فبلغ ذلك ابا حازم فقال الحمد لله الذي جعلهم عند الموت يتمنونا ولم يجعلنا نتمنا ما هم

الا ليت كعبا كان قدم قبله ٭ من الخير ذخرا ولكن شر اكله

ليس الفتى ما كان قدما من تقي ٭ اذا اعرض الدار الذي هو قابله

ولما احتضر عمر بن هبيرة الفزاري امير العراقين قال الله در البغالين الموكفات والله لوددنا اني راعي ابل لرجل بني الملكة فواحسرتا عليهم يظلمون انفسهم ولا يبالون ثم يتمنون حال الصالحين حين لا ينالون كلا انها غمر الابصار مل العيون وامل الامنيا مد الظنون لا يصفو عيش قوم الا وان يكدر على آخرين ولا يتم مراد حاضر الا نفسه عن غاير ولا يسلم سالم فيما ترى العين الا وسقامه من سلامته ولا يزيد احد في نبي العمر الا ونقصانه في زيادته ثم لا يخلو مع هذا نفس من اخوان ولا نفس عن حدثان ولا زيادة عن نقصان ولا ربح عن خسران ولا سرور عن حسرات ولا راحة من بليات

تذكر عهدا بالفلاة رشا اوها ٭ قصير وسقاها الذي يد فراعها

هي المال لولا قلة الخفض وسطها ٭ فمن شاء قاساها ومن شاء باعها

حدثت بعض الصالحين قال لقيت علي بن محمد بن جعفر بن احمد بن جعفر بن محمد بن زيد بن الدقاق علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليهم السلم بالكوفة بعد خلاصه من حبس الموفق وكان حبس مرتين مرة كلفنا اليه بعض اهله ومرة لسعاية عليه وهنيته بالسلامة وقلت قد بعد الوطن الذي بسلك والخوانك الذين يحبهم فقال يا ابا علي ذهب الاتراب والشباب في الاصحاب ثم انشد ٭ هب بي بقيت على الايام والابد ٭ وتلت ما شئت من مال ومن ولد من لي برؤية من قد كنت الفه ٭ وبالشباب الذي ولي ولم يعد

قال بي هذا الذوب فيها وانه احل عنها وذاهب منها ولاحق من تقدمك من الاخوان ومضي قبلك من الخلان بينا المرء يكدح في سعيه لها دايبا اذ تراه صريع سعيه وقيل سيفه كدود القز ينسج على نفسه الي ان لا يجد مخلصا عن نسجه ويموت بسبب عمله الذي بيداه اولنا وفوق نسج فكذلك العبد لا يزال نفسه بعلايق الدنيا من مال وجاه واهل وولد وصديق وحزل فلا يجد لنفسه مخلصا منها ولا يمكنه ان يقطع سلسلة من سلاسلها عن نفسه ولو يجهد جهيد وسعي شديد الى ان يفرق طارق الموت بينه وبينها

عمي

١٣٤

عن آخرها والقلب قد نبتت فيه مخالبها في يجاذبها الى الدنيا ويد الموت تجذبه الى الاخرة فقيل في انا ان ينشر اعضاوه بالمناشير ليدا يسر فيسري الم النشر الى القلب من جانب الم يسري من صميم القلب الى الاعضاء ويدب دبيب النار في الحلفاء

المرء ان المرء مادام عايشا ٭ حتى يامر ما يزال البعا يجده

كدود كدود القز ينسج دايما ٭ ويهلك غما وسط ما هو ناسجه

فهيهات ان يعن الحسرات لا تطفيها الاماني بالندامات وان يد الفنا سارع اردنا اهوال وان عقبي امرها بعصف على زهرات انسها بالدثور وان حال اهلها بعد والراغب فيها الى البور فتعففوا عن محارم ربكم تكونوا عابدين وارضوا بما قسم لكم من الرزق تكونوا زاهدين اغنياء وصاحبوا الناس بما تحبون ان يصاحبوكم به تكونوا عدولا اذكيا ولا تتعبوا انفسكم بما يحمل مستور في اكله غير متعب شيا قد قدر له انه كان قبلكم اقوام جمعوا كثيرا واملوا بعيدا وبنوا شديدا فاصبح جمعهم بورا ومساكنهم قبورا واملهم غرورا ٭ لما وضع الاسكندر في تابوته قبل العشاء تكلموا فقد كان يسمع لكم ويبصر لكم فقال الاول يا ايها الساعي المتعب جمعت ما خانك عند الاحتياج وودعك عند الاحتياج فلا قرابة تعضدك ولا وزير يفتقدك وقال الثاني قد ذهبت زهرة بصره كما ذهب شعاع الشمس بنور النبات وقال الثالث هذا الاسكندر صاحب الاسر اصبح اليوم اسيرا وقال الرابع فهذا ملك من كان يخافك فهل انت من الذي كنت تخافه وقال الخامس بل اهل الامن ما كنت تخاف من زواله بلاء وقال السادس انظر والى الجسم النابا كيف انقضى والى ظل الغمام كيف انجلى وقال السابع قد كان هذا الشخص سالما قبله ولا يبالي عما بعده وقال الثامن ورد علينا هذا الجسد بما كان يستقيه وقال التاسع ما ارغبنا فيما فارقت واغفلنا عما عاينت وقال العاشر ما ابعد شبه مكانك الذي انت به اليوم من مكانك التي به الامس وقال الحادي عشر لم يفتن هذا الجسد ويحته من هذا الدنيا حتى قص الدنيا محجتها منه وقال الثاني عشر انك امس كان انطق منك اليوم وانت اليوم اوعظ منك بالامس وقال عامر بن قيس الدنيا والدة الموت ميراث الدول ودعية الفجايع ناقضة المبرم مرتجعة للعطية وكل من فيها يجري الى ما لا يدري وكل مستقر فيها غير راض بها وذلك شهيد على انها ليست بدار قرار وقال بكر بن عبد الله وما الدنيا اما ما مضى منها فحلم وما بقي منها فاماني وقيل لخالد بن صفوان من ابلغ الناس قال الحسن لقوله فضح الموت الدنيا وقيل لزاهد كيف تجد نفسك عن الدنيا فقال اليقنت اني خارج منها كارها فاحببت ان اخرج منها طوعا وقيل لحكيم صف لنا الدنيا واوجز فقال الحكيم سمع فقال ابراهيم الخيخ كربتكم وبين اقوام اقبلت الدنيا عليهم

وبدلوا منها وادبرت عنكم فتبعتموها وسئل بعض العلماء عن غبنة الناس في دنياهم
مع شدة اتعابها اياهم فقال ذلك لقلة معرفتهم بها كالصبي الغر اعجبه من لين الرقشاء
لونها وحسنها فلم يبرح حتى قتله نهشها ولو انهم عرفوها حق معرفتها لنظروا اليها نظر
اللبيب الى وجوه العقود ونظر المجروح الى اشفار الحجاز ونظر المخمور الى الشراب فلا اسمها يطيق
ان يذكر بين يديه ولا اذا احضر امكنه النظر اليه ولا ذوقه وان حلف واكره عليه قال
بعض الصالحين من عرف عف ومن عف خف وقال آخر من عرف نقص اليد من الملك والقلب
من التمتع بلوغ الحق ان لا يفكر في الحصول الغنى لا ابالي بالغنى

ومن يك للدنيا اشد تصونا ۞ يجد من الدنيا اشد تصونا

ومن كلام معوية انا قد اصبحنا في دهر عنود وزمن شديد يعد فيه المحسن مسيئا ويزداد
الظالم عتوا لا ننتفع بما علمنا ولا نسأل عما جهلنا ولا نتخوف من قارعة حتى تحل بنا
فالناس على اربعة اصناف فمنهم من لا يمنعه من الفساد الا مهانة نفسه وكلال حده ونضيض وفره
ومنهم المصلت لسيفه المجلب برجله المعلن بشره قد اشرط نفسه واوبق دينه لحطام ينتهزه
او مقنب يقوده او منبر يفرعه ولبئس المتجر ان ترى الدنيا لنفسك ثمنا ومما لك عند الله عوضا ومنهم
من يطلب الدنيا بعمل الاخرة ولا يطلب الاخرة بعمل الدنيا قد طامن من شخصه وقارب من خطوه
وشمر من ثوبه وزخرف نفسه للامانة واتخذ ستر الله ذريعة الى المعصية ومنهم من اقعده عن
طلب الدنيا ضئولة في نفسه وانقطاع سببه فقصرته الحال على حاله فتحلى باسم القناعة وتزين باسم
الزهادة وليس من ذلك في مراح ولا مغدى وبقي رجال غض ابصارهم ذكر المرجع واراق دموعهم خوف
المحشر فهم بين شريد ناد وخائف منقمع وساكت مكعوم وداع مخلص وموجع ثكلان قد اخملتهم التقية
وشملتهم الذلة فهم في بحر اجاج افواههم ضامزة وقلوبهم قرحة وعظوا حتى زهدوا وملوا وقهروا
حتى سئموا وذلوا وقتلوا حتى قلوا فلتكن الدنيا اقل في اعينكم من حثالة القرظ
وقراضة الجلم واتعظوا بمن كان قبلكم قبل ان يتعظ بكم من بعدكم وارفضوها ذميمة فانها
قد رفضت من كان اشغف بها منكم وقال بعض الخطباء ايها الناس لا بد من الرحيل قريبا
بعدت المراحل ولا قرار دون التحويل في عاجل اليوم واجل فبطل الغرور في الاجل وارجاء
الطول المهل والايام تطلبه حثا وتقربها والليالي تحث به ركبا وتعقيبا لا يبرح واحد
ما يشتهي منها حتى يعود مفقودا والرافل الخيلاء به على ظهرها حتى يصير ملحودا ۞

عجبا لقوم يعجبون برايهم ۞ وارى بعقلهم الضعيف قصورا
هدموا قصورهم ببناء بقائهم ۞ وبنوا لهم القبور قصورا

ادبرهم

ادبرهم الردى بعد الغبطة موارد كابية ودعاهم الداعي الذي لا بد من اجابته فسلبوا من بين العز
والامكان على اعين الابصار والاعوان انضر ما كانوا شبابا واوفر ما كانوا اسبابا كانوا اغض
العيش غض الكاسر لين الافنان ويرخون للعو طيب العيش قريب المكان فانظروا اليهم وما يوالي
والى ديارهم رسوما خوالي فيا لغالب صار مغلوبا ويا لسالب غاد مسلوبا ويا لاكباد باردة في
لحد حزنى واعين قريرة استعبرت وقد سعى الهدى المخبران ماسدلان في غاية وقته
ملبسة ديباجا ووشيا وحريرا تكاد ترتج بها الدنيا نضرة وسرورا فما دام على ذلك قطين
ان تغدى عنده ففعل وكان يشتكي شيئا في جوفه وكنا نظن انه عرض طفيف فانقطع عرق
في جوفه فتغدى عنده ولم يمكنه المقام فانصرف ومات بعد ثلثة ايام صلى عليه الرشيد
واخذ البيعة لموسى وغادرت قباب الخيزران ملبسة مسوحا فقال ابو العتاهية

رحن في الوشي فاصبحن عليهن المسوح ۞ كل نطاح على الدهر له يوم نطوح
لتموتن ولو عمرت ما عمر نوح ۞ فعلى نفسك نح ان كنت لا بد تنوح

وقال آخر يا اهل الاوطان ومرحل الاعمار بعد السكون والاحوال تحول وعلائم الاقدار والاعمار
تزول تسعون وترعون والحاصل حسرة والاسف عنه وتبرة غاية الامر وحسرة ونهاية
الضحك عبرة وانما احسان الليالي اساءة وعقبى مسرات المساعي مساءة وانما الحظ من البقاء
كالحظ على الماء والنصيب في الحيوة من الامال كالنصيب في المنام من الخيال كم من اناس شهدناهم

فغابوا ورجال دعوا فاجابوا ۞
ثم انقضت تلك السنون واهلها ۞ فكانها وكانهم احلام

فيما تتعبون ولمن تجمعون اما تعلمون ان النفس كالهلال انما تجدون النحس في اكنافها لاتهمل
عرينها الارقات ارتجاعها ولا تهمل عطيتها من جوار ارتجاعها ولا يبرح رايدها بالدفع والكفاح
ولا يسع طالبها العلل والمعاذير ولا ينظر مقتضيها انواقا ولا يبلغ بقاء ولا يبقي عدوا
ولا يرعى صديقا ۞ وكانت لنا اصدقاء سواء ۞ واعداء سوى فنا حسدوا

فماتوا جميعا بكاس المنون ۞ فمات الصديق ومات العدو

فانكم لا تعتبرون بالمثلات التي رأتها الاعين ولا تزدجرون بالايات التي روتها
الالسن فهذا انظر كم الى المهل فاستعذبتم مشارعه وافتكم الامل فاسوغتم مضاجعه
فهيهات هيهات سيعود ظلكم في البقاء خائبا ونجمكم في طول الرجاء غائبا وان هذه
الوجوه الناضرة ستعود عن قريب كالحة باسرة وهذه الايدي الناعمة سيرجع من سرع
خاذلة قاصرة وهذه القدود الرائعة والاغصان الناضرة والعيون الدعج والحواجب الزج

كلها اكوله الازكا الجموع الذي يأكل ولا يشبع

اضحت قبورهم من بعد عزهم ... تسفي عليها الصبا والحرجف الشمل
لا يدفعون هوانا عن وجوههم ... كأنهم خشب بالقاع منجدل
ناداهم صارخ من بعد ما قبروا ... اين الاسرة والتيجان والحلل
اين الوجوه التي كانت منعمة ... من دونها تضرب الاستار والكلل
فافصح القبر عنهم حين سائله ... تلك الوجوه عليها الدود تقتتل
قد طال ما اكلوا دهرا وما شربوا ... فاصبحوا بعد طول الاكل قد اكلوا

وهذا موضع التعلل باخبار من عرف الدنيا حق معرفتها وتصورها بصورتها من الملوك الاكياس فعف عنها وزهد فيها وتخلى منها يحكى ان كيخسرو لما راى طاعة الدنيا له ولين اعنة الاقاليم لسلكه وتقلب احوال الزمان على رايه ومراده نظر بعين عقله اليها وغض عين هواه عن غرورها وحتم رايه في الاعراض عن اعراضها واقبل بنحره عن طرق الاملاك الى طرق النساك الى ان جمع القواد والاعضاد وحشر الوجوه والاعيان فقال لهم يا عمومتي واخوتي واولادي اني ذاهب الى ربي ومشتغل عن معاشكم بمعادي ومستخلف عليكم لهراسف عوض عن روحي وابناء عمومتي ومرتضيه لاستقامة امره وصلاح سيرته وانفي للارتياب انه حافظ لكم وصايتي فلا تخالفوني فيما حكمت واجمعوا الى طاعته من امكنه عليكم فبكوا كثيرا وجزعوا طويلا وتاسفوا جميعا على مفارقته ملك في صورة ملك ثم انه ولاه البلاد وملكهم الاصقاع وامر بكتبة العهود لهم والاستيثاق منهم وقسم كنزا من كنوزه بينهم واعطى بعضهم ثيابه وملابسه ودوابه وجوده رضياعه وكثير الحبه ويشيرين فرشته وقضى حق كل احد بما تقتضي به الحقوق وقسم كنزا له آخر في الفقراء والمساكين والعميان والمضطرين في الزمنى واليتامى والمرضى والايامى واخرج كنزا له آخر لعمارة الحصون والرباطات ومواضع العبادات واصلاح القناطر والجسور وسد المراصد والثغور ومداواة المرضى والمرورين واسعاد الغارمين والمنقطعين ثم دعا لهراسف فاقعده على سريره وتوجه بتاجه واعطاه خاتم ملكه وامر القواد بمبايعته ومتابعته وقال له انما جرت العادة من المتقدمين بان يسموا اسلافنا الملوك اربابا لان افعالهم اذا وافقت العدل والخير وادت الى المصلحة وراحة الخليقة شابهت افعال الله في كلية العالم فالالهية ربوبية سماوية والملكية ربوبية ارضية ويجب لمحل هذا الاسم ان يلزم احكام تدبير

الخالق

الخالق فيما امكنه منه وائتمنه عليه من امور خلقه ويبني على الجود والرافة والحكمة عامة امره فيكون خليفة له في ارضه وقائما عنه في مصالح عباده وبلاده الى كلام طويل في استعمال العدل والاحسان ثم ودعهم وهام على وجهه وساح في الارض حتى عميت عقبته عن العلم بوقف على خبره ولا اثره وعن جرير بن عبد الله البجلي ان النعمان بن المنذر الاكبر خرج متنزها ومعه عدي بن زيد فمر بالقبور بظهر الحيرة فقال له عدي ابيت اللعن اتدري ما تقول هذه القبور قال لا قال فانها تقول

من رآنا فليحدث نفسه ... انه موف على قرب زوال
رب ركب قد اناخوا حولنا ... يشربون الخمر بالماء الزلال
عصف الدهر عليهم عصفة ... وكذاك الدهر حال بعد حال

فانصرف من متنزهه حزينا كئيبا وقال لعدي اذا كان في السحر فاحضرني فحضره فوجده قد لبس المسوح ثم ساح على وجهه فلم يعرف له خبر ويحكى ان هشام بن عبد الملك خرج ذات يوم متنزها في عام قد بكر وسميه وتابع وليه فاخذت الارض زخرفها من اختلاف انوارها وفواتح ازهارها فنزل ارض الرصافة واديا كانها فرشت بالعبقري وبسطت عليها انماط الزرابي وسواقي الماء تتسلسل فيها كانها انياب الحيات في صفاء ماء الحبوب وقد ضربت له سرادق من حلق كانها زهر الربيع ثم اذن للناس فلما اخذوا مجالسهم نظر الى خالد بن صفوان كالمستنطق له فقال خالد اتم الله سرورك يا امير المؤمنين بنعمه واوزعك شكرها بفضله وكرمه وتابع لك المزيد فيها حتى يصلها بعد طول التعمير بالنعمة الباقية في الدار الاخرة فتكون لاجلة خيرا لك من العاجلة يا امير المؤمنين ما اجد شيئا ابلغ في قضاء حقك من ان اذكرك نعمة الله عليك وانبهك لشكره ولا اجد في ذلك شيئا ابلغ من حديث عن بعض سلف الملوك ان اذن لي فيه امير المؤمنين قال هات فقال بلغني ان ملكا فيما خلا اجتمع له سعة الملك وفتاء السن وصحة الطباع وكثرة المال وكل ذلك بيد عوالي الباطل وبعث على البطر والتباهي خرج في عام مثل هذا العام بناحية الخورنق والسدير فاشرف وابعد النظر حتى رجع نظره اليه حسيرا لطول ما سافر في عدده وعدده ورجاله وماله فقال لمن حوله لمن هذا قالوا للملك ايها الملك ثم نظر الى ضحو بلاد الحيرة فنظر الى بساتين الانهار الجارية وشواخص الجنان الزاهية واشراف القصور العالية فقال لمن هذا قالوا لك ايها الملك فقال عند ما اعجبته نفسه ورأى انه ابسط من الملك له اهل اوتي احد مثل ما اوتيت فانبعث له

رجل من حملة الحجة فقال ايها الملك انى سائلك افتاذن فى الجواب قال نعم اخبرنى عما
انت فيه مما اعجبك اشئ لم يزل ولم تزل فيه ولا يزول عنك ولا تزول عنه ام شئ كان
لمن قبلك ثم صار اليك قال بل شئ كان لغيرى ثم صار لى قال فهل عندك امان من
مثل ما نزل عمن قبلك ان لا ينزل بك قال لا قال فلا اراك اعجبت بشئ يبقى انما سررت
بشئ يفنى ولا تدوم لك بهجته ولا تبقى عليك نعمته وتكون مواخذا بتبعته غدا فيما
لم يحظ منها ابدا قال صدقت فما المخرج وكيف لى الذهب قال لى احدى الخصلتين اما ان
تقيم فى ملكك فتعمل بطاعة الله مؤثرا لها على هواك واما ان تلبس امساحا فتلحق بهذا
الجبل حتى ياتيك اجلك قال فما لى ان فعلت احدى الخصلتين قال ملك عظيم لا يطعن
ونعيم مقيم لا ينفد وشباب ناعم لا يهرم وعيش دائم لا يبيد قال فانى ناظر لنفسى و
مختار لها احدى الخصلتين فان اقمت فى ملكى كنت وزيرا لا تعصى وان اخترت بعض
الفلوات كنت رفيقا لا تجفى فاذا كان السحر فاتنى يقرع بابه قال فلما كانت اوقات الموعد
اتاه الرجل فوجده قد القى عليه تاجه وتهيئا للذهاب فلحقا جميعا وذلك قول عدى بن زيد

ايها الشامت المعير بالدهر ∴ اانت المبرء الموفور
ام لديك العهد الوثيق من ∴ الايام بل انت جاهل مغرور
اين كسرى كسرى الملوك انو ∴ شروان ام اين قبله سابور
واخو الحضر اذ بناه واذ ∴ دجلة تجبى اليه والخابور
شاده مرمرا وجلله كلسا ∴ فللطير فى ذراه وكور
وتفكر رب الخورنق اذ ∴ اشرف يوما وللهدى تفكير
سره ملكه وكثرة ما يملكه ∴ والبحر معرضا والسدير
فارعوى قلبه وقال وما ∴ غبطة حى الى الممات يصير
وبنو الاصفر الكرام ملوك ∴ الارض لم يبق منهم مذكور
ثم اصبحوا كانهم ورق جف ∴ فالوت به الصبا والدبور

هذا هو المحو لمن ابصر الراى وهو رشيد والصدق لمن القى السمع وهو شهيد ولعله تنبه
حقيقة هذا الامر على النقل اما لا اظلام نظرها بسبب اظلامة الشبهات بها واكتناف
الشهوات لها واما الغموض المسلك اليه وخفا معناه وتشابه اقسامه فلنذكر
بعض ما قالوه فى تحقيقه وتقسيمه وحرروه من وصفه وتفهيمه قالوا ان الزهد
هو الرغبة عن الشئ المرغوب فيه الى ما هو خير منه وفى كتاب الله تعالى شاهد

الزهد

على ذلك اذ يقول فى اخوة يوسف عليه السلام وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين
وصفهم بالزهد اذ ارادوا ان يخلو لهم وجه ابيهم وكان ذلك احب عندهم من يوسف فباعوه
رغبة عنه الى ما هو احب عندهم منه فاذن من باع الدنيا بالاخرة احديهما بالاخرى
فهو زاهد فيما رغب عنه صاحبتها لغة الا ان بيع الدنيا بالاخرة هو الزهد فى عرف الاستعمال
كما خص الاستعمال الميل من الحق الى الباطل بلفظ الالحاد ومن كان انقباضا عن الاشيا كلها
الى شئ واحد جعل الهمة كله هما واحدا بحيث يرفض كل شئ عن قلبه ولا يريد غيره فهو الزاهد
المطلق ومن كان انقباضا عن كل مرغوب فيه من الدنيا وطالبا لما هو خير منه فى الاخرة من
نعيم الجنة الباقية فهو ايضا زاهد ولكنه دون الاول لشوب الرغبة عن الشئ بالرغبة
فى مثله والذى يترك من حظوظ الدنيا الشئ دون الشئ كالذى يرفض المال ويحفظ الجاه
او يتقلل فى القنية ويترفه فى المتعة ولا يتخطى قدر الكفاية او يجتزى فى المطاعم بالبلغة
ولا يدع التزين باللبسة فدرجته بين الزاهدين فى الدنيا درجة من يتوب عن بعض الذنوب
دون بعض فى التائبين وكما ان التوبة عن بعض الذنوب دون بعض صحيحة فالزهد فى بعض
امور الدنيا دون بعض صحيح وربما يكون صدق العزوف عن بعض منها مرقاة الى حسن العزوف
عن جميعها وكما ان اتصاف الرغبة عن الشئ زهدا يكون مرغوبا فيه شرطا فالقدرة عليه
حتى تصح الرغبة عنه مع التمكن منه والميل اليه شرط ايضا فقيل لعبد الله بن المبارك
يا زاهد فقال الزاهد عمر بن عبد العزيز اذ جاءته الدنيا متبرجة راغبة فتركها واما انا
فاما العجز اذا طال يده عما يحمى الاجام فى افراطها التصرف فى الحظوظات ولا بد فى اثارة هذه الرغبة
عن احديهما الى الاخرى من العلم بهما وعلى قدر العلم يكون الزهد فى احديهما والقصد للاخرى
والدنيا كالماء الى الحدور فى السيلان او كالثلج عند الشمس فى الذوبان والاخرة كالنجم
فى بقائه واعتلائه ويبيع احديهما بالاخرى على قدر العلم فى قوته وضعفه حتى ان من
قوى علمه وصدق يقينه باع نفسه ايضا مع بيعه ماله منهما بالاخرة كما قال الله تعالى
ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة وقد عقب جل وعز فى هذه المبايعة
واذن ان رابح هذه المفاصلة كما قال فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وعرفنا معشر عباده
خساسة احد العوضين ونفاسة الاخر فقال قل متاع الدنيا قليل وقال عز من قائل
وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير ولما قال رجل من الصحابة رضى الله عنهم اللهم ارنا الدنيا
كما تراها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقل هكذا ولكن قل اللهم ارنيها كما اريتها
الصالحين من عبادك وذلك من قبل ان الله يراها حقيرة كما هى اذ كل مخلوق بالاضافة

الى جلال الله لا يخفى وان جل ذلك في نفسه وعظم مقداره فكيف بالذي هو بالاضافة الى السماء
الدنيا حتى السموات العلى بمنزلة النقطة التي لا حجم لها في الدايرة دع عنك ما وراء السموات
فان حال السموات مع حال الارض منها فالله عز وجل يحتقر الدنيا من حيث علمه بها ونظره
في ذاتها والعبد يحتقرها الا بالنظر في عينها ولكن بالاضافة الى ما هو خير منها
فيتركها له ويبايع القهر وان رغب عنه حتى ابا ما عرضه على البيع رغبة عنه فلا يبرا
في صورة الحزازات التي لا خير فيها فالمبايعة من كل احد هو استبدال ما هو خير عنده
بالذي هو ادنى لديه فكذلك الزهد يقتضي ترك المزهود فيه ليصح له احد بدله فيجب
ترك الدنيا باسرها مع اسبابها واعراضها وعلايقها وزخارفها وتلبيدها وتطايرها
فيخرج اولا من القلب حبها بحيث لا يلتفت اليها ويخرج من اليد والعين متاعها وصورها باعلا
اواصر العبادات والنظر بالاعتبار في الموجودات وقطع مشاهدة الجزئيات بتصور
الكليات والا كان الزهد فيما يدفع اليه بمنزلة من سلم المبيع ولم ياخذ الثمن فذلك هو الخسران
المبين وليس من الزهد ترك الدنيا على سبيل السخا باموالها واستمالة قلوب اهلها
بمتاعها فكل من ذلك وان كان محمودا او في احكام الفتوة معدودا ولكن لا مدخل لها
في الزهد ولا مثل ما يفعله الشيخ محمد القتال من قوله لبعض عنا لان ابني البناء
ووقف ذلك على المسجد الذي هو حليفه والرباط الذي هو نزيله فكل ذلك من نوع
خلقان مختلفان انما الزهد فيها تركها على اهليها بسبب خساستها ورغبة في
الاخرة لا لاجل نفاستها الا ترى انه قد لا يخرجها على عقابه من لا يؤمن بالاخرة ويتحلى
بشعار المروة والفتوة من لا يركب له في حلية الزهادة ولا ورود له من شرب الارادة
وانما الترك لها ينبغي ان يكون على مثال ما ترك امام الائمة ابو حنيفة فانه لما
اخلص لله العبادة واستبدل بالدنيا الاخرة واعتاض عن النوم السهر وبالراحة
النصب فكان يصلي الفجر بوضوء العشاء ويوخر الغذا الى العشاء وترك ما كان له من
الاموال وعلى عهد المتاجرة في الثياب على معامليه واخرجها من ملكه في سبيل (الله)
فكان اذا جاء المحدثون بمال قال هو لك وفي واذا احضره بريشمال قال انت اولى به
فبارككم وكلنا الله عنكم ونعم وعليهم غيظان ولا يعتد به احسن بشيء من ذلك
اليهم حتى قال ابن ابي ليلى لابن شبرمة اما ترى الى هذا ابن الحايك لا نفتي في مسالة
الا رد علينا فقال ابن شبرمة لا ادري اهو ابن الحايك او ابن الخراز انما هو لكني
اعلم ان الدنيا تغدت راغبا اليه فهرب منها وهربت منا مولية فطلبناها

من الزهد في نفسه مختلف متفاوت فمن زاهد في الدنيا وهو لها مشتهي واليها ملتفت
يغري نفسه تركيبه وهو بالمزهد اشبه فان الزاهد لا يعجب كسبه ثم يغيب بدنه
في الطاعة ويبذل فلسه ثم يزين لنفسه بالزهادة لانه يقاسي الصبر على ما فات بل ويماري
النصب فيما يفعل ومن زاهد ترك الدنيا احتقارا لها بسبب وسلك فيما بعد ان حسنه (شركا)
فيذهب بنفسه من كبرها منها فهو رتبا ينظر في نفسه ويلتفت الى خاله ويعتمد عن قوتها و
حرمتها منها من محاسنها ومن زاهد كما زهده منها لها وما كسبه منها ولا وبا صحبه
دونها لم يعجج على نفسه ولم ينظر في زهده وهو المبتدي يتفضل على الزهاد المطل بها و
على جميع العباد العارف بامر الدنيا والاخرة بحجتها الحايز لشرف الحالين بصدقهما ومثله
لمن ترك وليما المجاز شيئا واخذ على الحقيقة كل شيء فيكون كمن ترك دونه واخذ لولوة
فيكاد سروره وطهارة يده عن البعرة يعادل سروره باشتماله على الدرة ومثل هذا الزاهد
مامون الغيب عن اخطار الدنيا بالبال سالم الحجب عن تقلب الاحوال كما ان صاحب الدرة عن (البعرة)
امين من الاستغناء المايج عن الوضعة قال ابو يزيد لابي موسى بن عبد الرحيم فيما اذا تكلم قال
في الزهد عن الدنيا فقال وقال ليسلط اني ان تكلم في شيء الدنيا ليس حتى نزهد فيها
ومثال ذلك من قصد الى دار ملك كلم محال وجهه وجميع داره الطيبة حيوة فتبعه من حول
الدار كلب الباب فالقى اليه كسرة خبز حتى اشتغل بها ودخل الرجل الدار افترا ببلك الكلب
الى الفنا فاعرض عن مع ما اشتهى اليه من قرب الملك ونعيم الابد خبز شيئا فالشيطان كلب
على باب الله يمنع عنه عباد الله والدنيا لقمة ان تلذذ بالاكلها مضغة تاذيت بثقلها ثم
نتنها وحيوها ومدة نوكل كما اكلت وقرب عملك كما شربت وشعصك الارض كما نقصت منها
عليها حتى عمالك ولا بقي عليك ما لم يحن بها اختيارا او اضطرارا ولنسبة جميع (الدنيا)
مدة حيوتها بالاضافة الى نعيم الاخرة وبقاءها اقل من نسبة تلك البعرة او هذه اللقمة
الى جميع زخرف الدنيا ومتاعها وكيف يشتغل الفاني البايد بالباقي الخالد والى نقد
الكدر الثابت بالصافي الخالص ومن اين نسبة الجزء الذي لا يتجزى الى الشيء الذي لا يتناهى
فاذا لا يلتفت الزاهد الى زهده الا وقد نظر الى ما زهد فيه الا ما يعتد به ولا يعتد به
الامر مقصور على ما زهد فيه لاجله ولا يتم على الا بتوفيق من ربه ووقوع من امره يهدي به
من يشاء من خلقه ولا يكون زهده مثله لارتياحه من عذاب الاخرة ولا لارتياحه بنعيم
الجنة كما يكون زهد الخائفين او زهد الراجين

فانه ما ارتاح نحو طلابها ✿ وهنا ولا ارتاع من اسودها

بل لا يكون كذلك الا لمن لا يشتهي الا الله وطلب الزلفى لديه والوصول اليه فيكون زهده زهد الموحدين
الذين اصبحوا وهمومهم هم واحد لا يطلبون غير الله ولا يانسون الا بالله كما قيل ان العارفين
بحضرة الله في الارض لا يانسون بغيره ومثل اولئك الخائفين الراجين وان وصلوا الى نعيم
الجنة مثل الصبي الساكن الى عصفوره اللاعب بحمامه المشغول عن نعيم الملك السعيد
المتبرج بزينة الدنيا في صحن ايوانه وذلك لقصور حاله عن ادراك عز الملك ونفاذ
الامر وعلو السلطان ؛ مرغي كه خبر ندارد از آب زلال ؛ منقار در آب شور دارد همه سال ؛
بلبل شاخ ز زلف خويشتن سلسله كرد ؛ تا خلق بهانه وير ايله كرد ؛
وقد قسموا ورع الانفس حسبما قالوه في زهدها وتنوعها على اربع درجات الاولى هي الورع
عما يوجب ارتكابه التفسيق وسقوط العدالة عند القضاة وفتوى الفقهاء وهذا ادنى درجات
الورع الثانية ورع الصالحين وهو التحذر عما يتطرق اليه شبهة التحريم وان ساغ ذلك
في الفتوى وهو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك
والثالثة ورع المتقين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبلغ الرجل درجة المتقين حتى
يترك ما لا باس به مخافة مما به باس وقال عمر كنا ندع تسعة اعشار الحلال مخافة
الوقوع في الحرام ومن هذا كان بعضهم اذا استحق عشرة دراهم اقتصر على تسعة وترك الواحد حاجزا
بينه وبين النار وكان آخر ياخذ ما ياخذ بنقصان حبة ويعطي بزيادة حبة وكان يوزن
بين يدي عمر بن عبد العزيز مسك بيت المال فاخذ انفه حذرا ان يصل اليه ريحه وقال هل
ينتفع الا بريحه ومن هذا يتورع المتقي عن الاطعمة الشهية ومن لباس الزينة خيفة ان يهيج به
النفس الامارة بالسوء الى مواقعة محظور وربما لا يمد العين الى ما يتمتع به الناس لئلا تهيج
دواعي الرغبة فيه على ما قال الله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا
منهم زهرة الحيوة الدنيا وعما يروى عن المسيح عم لا تنظروا الى اهل الدنيا فان بصيص
ثيابهم وبريق اموالهم يذهب بحلاوة ايمانكم ومن هو ظلم من رق ثوبه رق دينه وفسر لباس
التقوى الذي وصفه الله بالخير بالصوف الخشن الرابعة ورع الصديقين وهو توقي
ما لا يراد به الا القوة على الطاعة او يسلم صاحبه بعض خواطر المعصية كما يحكى ان
ذا النون المصري كان محبوسا فكانت تبعث اليه امراة صالحة بطعام تشتريه بغزلها
وكان يقاسي الجوع ولا ينال منه ويقول بانه جاء على طبق ظالم يريد السجان
ولم يكن بشر الحافي يشرب من الانهار الكبار التي حفرها السلاطين واطفأ بعضهم
سراجا اشعله غلامه من دار ظالم وشرب بعضهم الدواء واشير عليه بالمشي فقال

لم امش

الورع

لم امش قط في غير طاعة ولا اعرف شيئي هذه وجهها فيها وكان ابو حنيفة لا يستظل بجدار
جار له فاسق فان الجار منه دينا فلم يجلس بعد ذلك في ظل داره وقال كل قرض جر نفعا
فهو حرام وامثال هذه الافعال انما يوجد في غش النفس وقف بقول الله تعالى ثم ذرهم فرات
كل ما لم يكن لله حراما عليها فادرج ان شئت عنه باتجاهه الى مطار الدرجة الاولى من الورع عما
يقدح في العدالة ويسقط الشهادة وان شئت ايها الصالح المهتدي ابا لك ان
تخرج بحضر الفتاوى فان مطامح نظرها مجاري امور السياسة الدنياوية من القانون
الذي يستعمله الامراء والقضاة ومواقع قياساتها موارد المعتاد من الاحوال المعتورة من الاحرار
المشاهدين الذي يقع بلا امتثال على سهو من الخطا فينظر في الزكوة الى ما يسقط طلب
الساعي وفي الصلوة الى ما يبعد القهر والوالي ففي كتب الاحكام الى ما هو محل الافتاء ومقصود
الصلوة الانزلاف الى الله وليس في الخروج منها انزلاف ومقصود الزكوة النجاة من مهلكة
البخل كما في الحديث ثلث مهلكات شح مطاع الحديث وهبة الرجل ماله من زوجته في
اخر الحول لو انتهاب منا لها اليه لابطال الزكوة من نفسهما لم تزدهما الا الشح المطاع
فكيف تتوخى منه النجاة وكذلك من يلجي زوجته باساءة معاشرتها الى ان
تفتدي نفسها عن صداقها فان ذلك حرام محرم وان كان مفتي الفقيه بصحة الابراء ليقول
الله فان طبن لكم عن شيء منه نفسا وكذلك السؤال على الملا حياء لهم فربما يعطي بالحياء لا عن طيبة
نفس ورضا فان المستحيي يستخف المرارة الملك في جنب الحياء ويستهين بما كفته الاحجام
ماء وجهه ولا فرق بين ان يأخذ ماله بما يؤذي به ظاهره من مقارض السيد وبين ان
يأخذ ماله بما يؤذي به باطنه من مقارض العقول فالكل مصادرة وكذلك اذا سالت
وجه ورعك وتقواك فقلما اكلت بدينك واذا اغتصب عن زهدك في دنياك او سالت
الناس فالذي يطلب منه ولا لك فيكما سح فقد فذ العرض الملك هنا اذا كنت زاهدا
متقيا فاما اذا اكلت به وانت فيه كاذب فقد اخذت العوض عما ليس لك فعليك شرعا
الذي نفث فيه الفقهاء فالاولى بالرجل ان لا يرضى عن نفسه ولا ينظر بعين الاجلاد الى فعله
بل ينبغي ان يراجع عقله ويستفتي قلبه كما قال عليه السلام استفت قلبك وان افتوك وافتوك
ومن الامثلة التي ضربوها للزهد في الدنيا والصدود عن زخارفها انها كالظل الذي
يتحرك وهو في حال امتداده سائر غير ساكن ودائم غير ثابت وان كان لا يرى ذهابه
وزواله فالظل متحرك في الحقيقة ساكن في الظاهر حتى نظر حقيقته ونظر ظاهره
وكان الحسن بن علي يقول انا اغترار بظل زايل حمق وانشد

احلام نوم او كظل زائل ۞ ان اللبيب بمثلها لا يخدع
وان امرأ دنياه اكبر همه ۞ لمستمسك منها بحبل غرور

نزل اعرابي بقوم فقدموا بما حضرهم فاكل ثم قام الى ظل خيمة لهم فنام فاجتلبهم بخيمة فاقتلعوا
الخيمة وتحملوا فلما انتبه الاعرابي حين اصابته الشمس انشأ يقول

الا انما الدنيا كظل بنيته ۞ ولا بد يوما ان ظلك زائل

وتحقيق تمثيل الدنيا بالحلم انها مختلفة الصروف من المحذور والمحبوب وكذلك قالوا
انها كرجل نام نومة فرأى فيها ما يكره وما يحب ثم انتبه على غير حاصل بما رأى وقالوا
بانها كامرأة مخطوبة لا ينقطع عنها الخطاب الا وان يصبح فرح ناكحها وفي اخبار عيسى عليه السلم
انه كوشف بالدنيا فرآها في صورة عجوز هتماء عليها من كل زينة فقال لها كم تزوجت
قالت لا احصيهم قال فكلهم مات عنك او كلهم طلقك قالت بل كلهم قتلت فقال عيسى
عليه السلم بؤسا لازواجك الباقين كيف لا يعتبرون بازواجك الماضين وقال العلاء بن زياد
رأيت في النوم عجوزا شوهاء ذات لون حائل وجلد قاحل وشعر مائل وفم بائل
ورأيت الناس يتهافتون عليها ويقبلون بكليتهم اليها فقلت لها من انت قالت او ما
تعرفيني انا الدنيا فقلت اعوذ بالله من شرك قالت اذن فاهجر المنقوش ودع عنك
امر النقد وحكى الفضيل بن عياض عن ابن عباس قال يؤتى بالدنيا يوم القيامة في صورة
عجوز شمطاء شوهاء سوداء الانياب والنظر اليها القبيح ولا الدنو منها فتشرف عليهم فيقال
تعرفون هذه فيتعوذون بالله من معرفتها فيقال هذه الدنيا التي تشاجرتم عليها
ثم تقذف في جهنم فتنادي اي رب اين اتباعي واشياعي فيقول الله الحقوا بها اتباعها
واشياعها وفي الحديث تمثيل الدنيا وشأنها بالماشي في الماء هل يستطيع الذي
يمشي في الماء ان لا تبتل قدماه وفي حديث اخر مثل هذه الدنيا مثل ثوب شق من
اوله الى آخره فبقي متعلقا بخيط في آخره فيوشك ذلك ان ينقطع وفي آخر مثل
طالب الدنيا مثل شارب ماء البحر كلما ازداد شربا ازداد عطشا حتى يقتله وعن الحسن قال
بلغني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه انما مثلي ومثلكم ومثل الدنيا كمثل قوم سلكوا
مفازة غبراء حتى اذا لم يدروا ما سلكوا منها اكثر او ما بقي انفدوا الزاد وحسروا
الظهر وبقوا بين ظهراني المفازة لا زاد ولا حمولة فايقنوا بالهلكة فبينما هم
كذلك اذ خرج عليهم رجل في حلة يقطر رأسه فقالوا هذا قريب عهد بريف فلما انتهى
اليهم قال يا هؤلاء قالوا يا هذا قال علام انتم فقالوا على ما ترى قال ارأيتكم ان

هديتكم

هديتكم الى ماء رواء ورياض خضر ما تعملون قالوا لا نعصيك شيئا قال عهودكم ومواثيقكم
فاعطوه عهودهم لا يعصونه شيئا فاوردهم ماء رواء واراهم رياضا خضرا فمكث فيهم ما شاء الله
ثم قال يا هؤلاء قالوا يا هذا قال الرحيل قالوا الى اين قال الى ماء ليس كمائكم والى رياض
ليس كرياضكم فقال اكثرهم والله ما وجدنا هذا حتى ظننا انا لن نجده وما نصنع بعيش
خير من هذا وقالت طائفة وهم اقلهم الم تعطوا هذا الرجل عهودكم بالله لا تعصونه شيئا
وقد صدقكم في اول حديثه فوالله ليصدقنكم في آخره فراح فيمن اتبعه وتخلف بقيتهم
فبدرهم عدو فاصبحوا من بين اسير وقتيل وقد مثلوا شهوات الدنيا وما ينتهي اليه
امرها بالاطعمة المشتهاة وما يؤول اليه حالها وقالوا ان ما يستلذه الانسان من لذات الدنيا
فانه يجد لذلك بعينها عند الموت من الكراهة والبشاعة والنتن والقبح مثل ما يجده
الطاعم للاطعمة اللذيذة اذا بلغت آخر هضمها ومستقر قرارها في البدن وكما ان الطعام
كلما كان الذ طعما واكثر دسما كان رجيعه اقذر منظرا واشد نتنا فهذا امثال [illegible]
اللاحقة في الدنيا بالاطباع على قدر قوتها وكثرتها في انفسها ومن هنا كان التوجع
بالمصائب على قدر ما يصاب بها من الاهل العزيز والمال النفيس ونحو ذلك فكلما كان
وجوده امتع واسر كان فقده ادهى وامر ومن هنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
للضحاك بن سفيان الكلابي الست تؤتى بطعامك وقد ملح وقزح ثم تشرب عليه اللبن
والماء قال بلى قال فالى ما يصير قال الى ما قد علمت يا رسول الله قال فان
الله عز وجل ضرب مثل الدنيا بما يصير اليه طعام ابن آدم وفي رواية اخرى ان الله ضرب
الدنيا لمطعم ابن آدم مثلا وضرب مطعم ابن آدم للدنيا مثلا وان قزحه وملحه قال الحسن قد
رأيتهم يطيبونه بالافاويه والطيب ثم يرمون به حيث رأيتم وقال ابن عباس في تفسير قوله
عز وجل فلينظر الانسان الى طعامه قال الى رجيعه ومن امثلتهم في هذا الباب
قولهم انهم في حال الدنيا كقوم ركبوا سفينة فانتهت بهم الى بعض الجزائر فخرجوا اليها لحوائج
يقضونها وحذرهم ركاب السفينة الابطاء فمنهم من بادر في الرجوع لم يعوزه اوسع
الاماكن واوفقها ومنهم من توقف يستمتع بازهارها الفائحة وانوارها المتناسقة وثمارها
اليانعة ولطيف اطيارها الصادحة الشادية وجواهرها ومعادنها المختلفة الالوان
والصور والاشكال ثم انتبه لخطر فوت السفينة ولا يجد موضعا الا بها اسرع العود فحصل
في الرجوع فهو وان لم يتهيأ له الا من ضيق المكان بسبب الاستمتاع بالنظر والاستيناس
بالصور ما تهيأ للاول الا انه لما لم يشتغل باوزارها لم يصبه من اثقالها ما اصاب

مستجب تلك الاشجار الرايقة من معادنها والثمار المونقة من اشجارها وهذا الذي حمل
منها ما حمل الى بيعه السفينة خاليا محضا فكيف شغل الحمق على العدو بما اخذ منها
نادم وعليه سادم فلا انفارة المحمول المستريح ولا هو لحمله يطوف فاما من توغل العياض
وتوحل في الرياض وابعد في مسيره عن السفينة حتى نسيها فلا هو يسمع نداء الركاب
ولا هو يامن ركوب الافات في الاخطار ولا هو يتمكن لكثرة العوايق والجواذب من العود فهم من بين
فريسة السباع ومن تايه على وجهه لكبد اسه حتى يهيم في اودية البليات بعيدا
عن الوطن غادما للاهل والسكن خاصلا على شغل فرفيها يدينها الى النار فهذه امثلة
طلاب الدنيا وكل ذلك يدعو الى الزهد فيها والرغبة عنها ولا يتم الزهد فيها الا
باربع خلال صفاء النفس عن كدورة الدنيا وطهارة القلب عن ادناسها والانس بذكر
الله والحب لله وصفا النفس وطهارة القلب لا يكونان الا بالكف عن الشهوات والانس
والحب لا يتمان الا بكثرة الذكر ودوام الفكر وكل ذلك عن الباقيات الواقيات شاغل
عن العبد فاذا جاء العذاب من قبل رجله جاء قيام الليل يدفع عنه واذا جاء من جهة
يديه جاءت الصدقة تدفع عنه فتكون الاعمال الصالحة من المنجيات فاما ما يرجع الى
صفاء النفس وطهارة القلب فانه من المسعدات تسعد العبد بالزلفى والقبول وتبلغه
ماوى الكرامة المامول وهذه السعادة تتعجل عقيب الموت واوايلها الان ينتهي الى
حقيقة اللقاء مصايرها فان عقيب الموت يصير القبر روضة من رياض الجنة وكيف
لا ولم يكن له الا مونس والا محبوب واحد وكانت العوايق تعوقه والموانع تصده عن الانس
به ودوام ذكره ومطالعة جماله فقد ارتفعت العوايق وانحلت الشكول واقلت المحجوز وتجلى
المحبوب فتقدم المحب عليه مسرورا ناجيا من الافات امنا من وعيد الفراق وكل ذلك
لزهده فيما كان يصده منه ويبعده عنه دونه فاما محب الدنيا فكذلك لم يكن له
الا محبوب يطلب منه وغصب عليه وحيل بينه وبينه وسدت عليه طريق الرجوع اليه
وانما الحيلة فيه فما حال من كان له واحد يوخذ منه ذلك الواحد
وليس الموت الا مفارقة احوال الدنيا وما تحببه النفس منها بالقدوم على الله ولا الذ
منى سوى ما قربت النفس عنه استعمال البدن ولا الاخر تسوى الاشياء اما تاخر
عنها الم فاحاها عند ترك هذا الاستعمال فكل دار من النفس دنيا وكل ما بعد الموت
فهو اخرة وهذا الغاصر بينهما على ما قاله الصديق اشد ما قبله واهون ما بعده
فاذن سالك طريق الاخرة هو المثابر المواظب على اسباب هذه الخلال الاربع التي هي

الجسم

الصفا

الصفا والطهارة والذكر والفكر وحاصلها كل ما يقطع عن شهوات الدنيا ويبغض اليه
ملاذها ويحمل على الاعمال الخيرية ويهون عليه صعابها وكل ذلك لا يمكن الا بالبدن
وقوته ولا بد في ذلك من اسباب يصح وسوى معها فالقدر الذي لا بد منه في ذلك
منه اذا اخذه العبد من الدنيا للاخرة لم يكن من ابناء الدنيا وكانت الدنيا في
حقه مزرعة الاخرة ومرحلة السفر ومناخ الظاعن ومنزل الراحل وان اخذ ذلك بحظ
النفس وعلى قصد الاخلاد الى الدنيا والتنعم بملاذها صار من ابناء الدنيا والراغبين
فيها اما استحقاقا لعذاب الاخرة ويسمى ذلك حراما واما حيلولة بينه وبين
الدرجات العلى وتعريضا لطول الحساب ويسمى ذلك حلالا وطول الموقف للحساب ايضا
عذاب لمن نوقش في الحساب فقد عذب واذا كان حلالها حسابا كان ايضا عذابا
الا انه عذاب ادنى دون الاكبر بل لو لم يعقب حسابا وانما الحقه فوت الدرجات العلى
لكان ما يرد على القلب من هذا التحسر ايضا عذابا الا ترى انه اذا سبقك اقرانك
واشكالك بسعادات دنياويه كيف تتقطع نفسك عليها حسرات مع انها
زايلة حايلة طهارة وقرارة مشوبة بالكدورات محفوفة بالمنغصات فكيف
بفوات نعيم لا يحيط على الوصف بادناه ولا ينتهي من الاشياء الى منتهاه ولذلك
قال عمر لو اعرف حسابها حين كان به عطش فعرض عليه ماء بارد بعسل فادار
على كفه ثم امتنع عن شربه وعلما استعمل ابا الدرداء على حمص بلغه انه اتخذ كنيفا
فكتب اليه من عمر بن الخطاب امير المؤمنين الى عويمر اما كان لك في بناء فارس والروم
ما يكتفي به عن عمران الدنيا حين اذن الله بخرابها فاذا اتاك كتابي هذا فقد
سيرتك وانت واهلك الى دمشق فلم يزل بها حتى مات وكان سليمان النبي عليه السلام
يطعم الناس لذايذ الاطعمة وهو ياكل خبز الشعير جعل الملك على نفسه بذلك امتحانا
فالصبر عن الشهوات مع الامكان اشد واعز ومنعها مع قرب التناول اشق وعن هذا
تزوى الدنيا عن الانبياء والاولياء الامثل منهم فالامثل وهو كما يحمى الاب العطوف
ولده ما يضره من لذيذ الفواكه وشهي الحلاوى حبا له لا بخلا عليه فاذن كل ما
كان حظ المرء في العاجل فهو الدنيا ولا يمكن ان يكون لله تعالى كما قال الله تعالى
اعلموا انما الحيوة الدنيا لهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد
وسواد هذه الاوصاف هي ما ذكره الله تعالى بقوله زين للناس حب الشهوات
من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام

واحد فذلك متاع الحيوة الدنيا ومن الاشياء ما صورته الدنيا وهو لله وهو كل ما
يستعان بقدر الحاجة منه على التقوى والعبادة وان كان في مطعم شاله او ملبس
تصيبه وعلى العكس اذا اريد بالكف عنه التشوق والاشتهار وفي الحديث من طلب
الدنيا حلالا مكاثرا مفاخرا لقي الله وهو عليه غضبان ومن طلبها استعفافا
عن المسئلة وصيانة لنفسه جاء يوم القيمة ووجهه كالقمر ليلة البدر وحدث [illegible]
قال كنت على باب بني شيبة في المسجد سبعة ايام طاويا فسمعت في الليلة الثامنة وانا
بين اليقظة والنوم الا من اخذ من الدنيا اكثر مما يحتاج اليه اعمى الله تعالى عين قلبه وصرف
عنه محاسن نفسه وانما ذلك من قبل ان الدنيا مع العبد علاقتان علاقة مع النفس وهي
حبه لها وتشتمل ذلك على جميع صفاتها المتعلقة بالدنيا من الكبر والغل والحسد و
الرياء والمداهنة وسوء الظن وحب الثناء وايثار التكاثر والتفاخر وعلاقة اخرى مع البدن
وهي الاشتغال باصلاح اعيان موجودة لاتمام اعراض مقصودة فيشتمل ذلك على جميع
الحرف والمهن فالقلب انما تعمى عينه عن ابصار ما عليه امره في الحال والمآل اذا انشبت به
علاقتا النفس وعلاقات البدن علاقات النفس بالهوى وعلاقات البدن بالشغل والحاج
وان كان قصده زيارة البيت لا ركوب الراحلة ولكنه لا بد في الوصول الى البيت من مركب
يركبه يسير عليه الى مقصده وهذا البدن ايضا مركب النفس يقطع به العبد مسافة
العمر الى ربه وهذه الاعيان التي هي الدنيا لم تخلق الا لعلف هذا المركب الذي يسير به العبد
الى الله تعالى فان البدن لا يبقى الا بمطعم وملبس ومسكن كما لا يبقى الراحلة في طريق الحج الا
بمثل ذلك ومثال العبد في توفره على البدن ونسيانه لامر السير الى الآخرة مثال الحاج
الذي لا يزال في طريق الحج على اصلاح الراحلة مكبا وعلى تعهدها وترفيهها في
المرتع الخصيب والمورد القريب منصبا حتى تفوته القافلة غافلا عن الحج ناسيا للمقصد وعلى
العكس فانه لم يعرج على راحلته الا بالقدر الذي لا بد منه من قوتها على السير ويكون نافذ الهمة
مستمر العزيمة نحو المقصد حتى يسبق الرفقاء ويحظى بالمراد فكذلك راحل الجد نحو الآخرة
على مركب البدن لا يقبل عليه ولا يشتغل به الا بقدر الضرورة الداعية اليه كما يأتي
المستفرغ الكنيف عند الضرورة ولا فرق بين ادخال الطعام في البطن وبين اخراجه من البطن
في ان كل واحد منهما ضرورة البدن ومن همته ما يدخل في بطنه فقيمته ما يخرج من بطنه
ولو عرفوا المآل وفقهوا ولكنهم جهلوا وغفلوا فحسبتهم شاغل الشغل واتصل الكمل بانهم من كثرة
الاشتغال في اودية النسيان فاتعبين من الربح بالخسران من الزيادة بالنقصان فهاويين لا

يخلص احد عن مهواة من مهاويها الا ويقع في ابعد منها انما قالوا لا ينفك عن سبب من
علائقها الا ويتعلق بآخر منها ابدا فان انهم تفرقوا على ذلك احزابا ففرقة لم تتجاوز
نظرهم امور معاشهم في الدنيا ما عاشوا فهم يكدحون في كسب القوت ليأكلوا ويأكلون
ليقووا على الكسب ويكسبون نهارا ليأكلوا الليل ويأكلون ليلا ليتعبوا نهارا كسير
السواني دائبين لا يستريحون الا بالموت وفرقة اخرى كانوا ابعد من هؤلاء نظرا ففطنوا
انه من العناء ان يكدوا من غير راحة وطول التعب من غير حاصل فانتزوا بما في ايديهم قضاء
الاوطار والتمتع بالملاذ يأكلون كما تأكل الانعام ويلعبون كما تلعب الصبيان واخرى
ظنت ان السعادة في الجمع والتكاثر يجمعون ما لا يأكلون ويبنون ما لا يسكنون يبخلون على
انفسهم بما يجمعونه ويتركونه لمن لا يحمدهم فمن يرثونه ولا يعتبر بهم معتبر ولا يزدجر
عن شوطها فيهم مزدجر واخرى ذهبت في ذلك الى التفاخر والمراءاة ومراعاة دواعي المدح
والثناء يصرفون كدهم وكدهم في الملابس الحسنة والدواب النفيسة والغلمان [illegible]
والدور العالية والآلات الفاخرة حتى يقول الناس انهم ذوو مروة واصحاب نعمة وثروة
فهم آناء الليل واطراف النهار في تعهد مواقع نظر الناس واخرى ظنت ان السعادة في الجاه والكرامة
والمنزلة عند الناس وانقيادهم لهم بالتواضع والاعظام والتوقير والاكرام يسعون
الناس الى طاعتهم بتقلد الولايات وارادة العلو في الارض على الجبابرة فقد شغلهم
ايثار تواضع الناس لهم عن التواضع لله وحسن التصرف على حكم الله ولامثال هؤلاء من [illegible]
الجهل الى جانب الزيادة كثير قد نيفوا على السبعين وكذا لمن اسرف منه الى طرف النقصان
حتى ظنت منهم طائفة في ترك الدنيا دار المحن والبلايا وارادة الآخرة مأوى النعيم
والسعادة الى ان قتلوا انفسهم واحرقوا ابدانهم وطائفة عرفوا اعراضها سهوا ولكنهم اتوا
قوامها اشد الرياضة وعظم المجاهدة فقد عقول فرقة منهم ومرض آخرون وظن قوم
منهم عند ذلك ان الشريعة تكليفات وتشديدات وان الله مستغن عن عناء المتقين
وعبادة المتعبدين فعاودوا الشهوات بعد الاقلاع عنها وورع الانفس منها
واخرى ظنت ان العبادات طريق الوصول فاذا تم الوصول وحصل المحصول فلا معنى لاتعاب
النفس والرجوع الى الطريق كذلك حتى تحزبوا ايضا احزابا كثيرة وانما الفرقة الناجية
واحدة وهي المتبعة لما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة فلا يترك من الدنيا
ما يكون بلغة لتحصيل الآخرة ولا يتبع من دواعي العادات ما يكون زادا الى المعاد غير مجاوز
حدود الورع والتقوى فانه صلى الله عليه وسلم لما ذكر الفرق المتعددة على السبعين

بالضلال والهلاك وان الناجي منها واحد قالوا يا رسول الله ومن هم قال اهل السنة
والجماعة قالوا وما اهل السنة والجماعة قال ما انا عليه واصحابي والذي كان هو
واصحابه القصد من غير تفريط وافراط العدل القوام الوسط بين الطرفين احب الامور الى
الله فيكون العبد زاهدا فيه لا راغبا عنه بالكلية فهذا هو لبعض العلماء وسلوكه
طريق الزهد فيها اوردناه لحاجة في نفسنا قضيناها ثم عدنا الى ما كنا امليناه
في هذا المجلس من الاخبار وآثار الصالحين في الزهد والتقوى قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اشرف الكلام كتاب الله واوثق العرى تقوى الله واقوى السبل الزهد في
الدنيا وخير الملل ملة ابرهيم واحسن السنن سنة محمد واشرف الحديث ذكر الله وخير
الامور عواقبها وشر الامور محدثاتها واحسن الهدى هدى الانبياء واشرف القتل قتل
الشهداء واعظم الضلال الضلالة بعد هدى وخير الهدى ما اتبع وشر العمى عمى القلب و
اليد العليا خير من اليد السفلى وشر الندامة ندامة يوم القيمة حيث لا توبة ولا اقالة
وشر الناس من لا ياتي الجماعة الا دبرا ولا يذكر الله الا هجرا وخير الغنى غنى النفس وراس الحكمة
مخافة الله والنوح من عمل الجاهلية والغلول من جمر جهنم والشعر من مزامير ابليس والخمر
جوامع الاثم والنساء حبائل الشيطان والشباب شعبة من الجنون وشر المكاسب كسب
الزنا وشر المآكل مال اليتيم والسعيد من وعظ بغيره والشقي من شقي في بطن امه وكل ما
هو آت قريب والعجز كثير ومن يعمل به قليل والقناعة مال لا ينفد وخيركم من طال
عمره وحسن عمله وحسن الملكة نماء وصلة الرحم مثراة في المال منساة في الاجل وسباب
المؤمن فسوق وقتاله كفر وحرمة ماله كحرمة دمه وروى ابو ايوب الانصاري عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال حلوا انفسكم بالطاعة والبسوها قناع المخافة واجعلوا آخرتكم
لانفسكم وسعيكم لمستقركم واعلموا انكم عن قليل راحلون والى الله صائرون فلا يغني عنكم
هنالك الا عمل صالح قدمتموه او حسن ثواب حزتموه انكم انما تقدمون على ما قدمتم و
تجازون على ما اسلفتم فلا تخدعنكم زخارف دنيا دنية عن مراتب جنات علية فكان
قد كشف القناع فارتفع الارتياب ولاقى كل امرئ مستقره وعرف مثواه ومقيله وروى
مجاهد عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عيسى صلوات الله عليه مر بمدينة
خربت عمرانها وسقطت بنيانها وقال لبعض حوارييه اتدري ما تقول هذه القرية
قال لا قال انها تقول جاء وعد ربي الحق فبئست انصاري بعد غراسها وجفت اشجاري
بعد نضارتها وخربت قصوري ومات سكانها فها هي عظامهم في جوفي واموالهم المجموعة

من حلال

من حلال وحرام في بطني ولله ميراث السموات والارض ثم تنفس عيسى الصعداء وقال العجب ممن
طالب الدنيا والموت يطلبه ومن باني القصور والقبر منزله ومن الضاحك ملء فيه والنار امامه
والجزاء قدامه بالمرصاد لا بالكثير تشبع ولا بالقليل تقنع تجمع لمن لا يحمدك وتقدم على من لا يعذرك
فواحزني عليك اذا بعثت من قبرك ووجدت مالك في ميزان غيرك وقال ايضا يا معشر
الحواريين اني قد اكببت لكم الدنيا على وجهها فلا تنعشوها بعدي فان من نكد الدنيا ان الله
عصي فيها وان الاخرة لا يدرك الا بتركها الا فاعبروها ولا تعمروها وقال ابو هريرة قال
لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا هريرة الا اريك الدنيا جميعا بما فيها فقلت بلى
يا رسول الله فاخذ بيدي واتى بي واديا من اودية المدينة فاذا مزبلة فيها رؤس ناس
وعذرات وخرق وعظام ثم قال يا ابا هريرة هذه الرؤس كانت تحرص حرصكم وتامل املكم
ثم هي اليوم عظام بلا جلد ثم هي صائرة رميما وهذه العذرات الوان اطعمتكم
اكتسبتموها من حيث اكتسبتموها ثم قذفوها من بطونهم فاصبحت والناس يتحامونها وهذه
الخرق البالية كانت رياشهم ولباسهم فاصبحت والرياح تصفقها وهذه العظام عظام دوابهم
التي كانوا ينتجعون عليها البلاد فمن كان باكيا على حاله من دنياه فليبك فاجهشنا جميعا
في البكاء وقال صلى الله عليه وسلم ان المؤمن بين مخافتين بين اجل قد مضى لا يدري ما الله صانع
فيه وبين اجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه فليتزود العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه
لآخرته ومن حيوته لموته ومن شبابه لهرمه فان الدنيا خلقت لكم وانتم خلقتم للآخرة فوالذي
نفسي بيده ما بعد الموت مستعتب وما بعد الدنيا دار الا الجنة وقال علي عليه السلم
من جمع ست خصال لم يدع للجنة مطلبا ولا عن النار مهربا اولها من عرف الله
فاطاعه وعرف الشيطان فعصاه وعرف الحق فاتبعه وعرف الباطل فاتقاه وعرف
الدنيا فرفضها وعرف الاخرة فطلبها وقال عليه السلم الدنيا وان طالت قصيرة والماضي
للمقيم عبرة والميت للحي عظة وليس لامس اذا مضى عودة ولا المرء من غد على ثقة وكل لكل مفارق
وكل بكل لاحق فاصبروا على عمل لا غنى بكم عن ثوابه وارجعوا عن عمل لا صبر لكم على عقابه ان الصبر
على طاعة الله اهون من الصبر على عذابه اعلموا انكم في نفس معدود وامل ممدود واجل محدود
ولا بد للاجل ان يتناهى وللنفس ان يحصى وللسبب ان يطوى فاتقوا الله الذي اذا قلتم سمع وان
اضمرتم علم وبادروا الموت الذي ان اقمتم اخذكم وان هربتم ادرككم وانظروا
اين من سعى واجتهد واعد واحتشد وجمع وعدد وبنى وشيد وزخرف ونجد وفرش ومهد
فالارض سترة دركا لم يكن شيئا مذكورا ولو ان ما لم يكن لبيته كما انظروا الى انتشار اللؤلؤ

هذا الكلام فانك ما ترى مما تعجب صدقه مناسب في المعنى وترتيبه في اللفظ وحلاوة في القلب وكانه
على ما قاله ابن عباس والله لكان هذا الكلام نزل من السماء وقال جعفر بن يحيى هكذى
تكون البلاغة ان تقرن بكل كلمة اختها فلو رجع الاول الثانية قبل طلوعها ويوكد الثانية
الاولى قبل انقضائها وتزيد كل واحدة في نور الاخرى وضيائها وكل كلام امير المؤمنين
علي عليه السلام حلو بليغ جزل شريف اخذ من البلاغة بهي شعارها ويرتقي الى اشرف
درجاتها الا انما تخلع دثار فصاحته فتنسب اليه فلا يخلو عن اثر التكلف والتعسف
ولو حفظ عليه ما له من المحاسن لاستغنى عن افتعال الباطل ودعوى الزور ومن لسه
مثل هذا الكلام المثبت للزاهد المتقي على زهده وتقواه الصادف للغاوي الطاغي
عن غيه وطغواه وذلك قوله عليه السلام عند من جرى عنده من ذكر الدنيا انها دار
صدق لمن صدقها ودار نجاة لمن فهم عنها ودار غنى لمن تزود منها مهبط وحي الله
ومصلى ملائكته ومسجد انبيائه ومتجر اوليائه ربحوا فيها الرحمة واكتسبوا فيها الجنة
آذنت ببينها وآذنت بفراقها فما هذا الذم عن وعظها والتعلل بذمها متى خدعتك
الدنيا ام متى استذمت منك المصارع اباءك في البلى ام بمضاجع امهاتك في الثرى
كم مرضت بيديك وعللت بكفيك تطلب له الشفاء وتستوصف له الاطباء غداة لا يغني
عنه دواؤك ولا ينفعه بكاؤك فلا تكونن ممن يرجو الجنة من غير عمل ويؤخر التوبة لطول
الامل يقول في الدنيا بقول الزاهدين ويعمل فيها بعمل الراغبين ان اعطي منها لم يشبع
وان منع منها لم يقنع يعجز عن شكر ما اوتي ويبتغي الزيادة عليها اولئك لا اعمال لها
يعني بل الجاهلين فانه يتمنى يعني المغفرة ويرتب المعصية وقد عمرنا ما يتذكر فيه من تذكر
فلله امرؤ راقب ربه وخاف ذنبه وعمل صالحا وقدم خالصا اجتنب محذورا واجتنب
محذورا ورمى غرضا واحرز عوضا كابر هواه فكذب مناه ما العجب الا ممن يرى المدبر
درك ما لم يكن بفوته ويسوءه فوت ما لم يكن ليدركه فليكن سرورك بما نلت من امر آخرتك
وليكن اسفك على ما فاتك منها وما اتاك من الدنيا فلا تكثر به فرحا وما فاتك فلا تكثر
عليه جزعا وليكن همك لما بعد الموت ونعوذ بالله من دنيا تحرمنا الاخرة ومن امل يحرم
العمل ومن حيوة تحرمك حسن الممات اذ اخلى الناس سعيا واحزمهم صفقة رجل اتعب بدنه
في اماله وسعد بها عن معاده فلم تشاء على المقادير على ارادته وخرج من الدنيا بحسرته
وقدم بغير زاد على آخرته انما الناس فيها رجلان رجل باع نفسه فاوبقها ورجل
ابتاع نفسه فاعتقها ولما عرض على عمر ما افاء الله على المسلمين من حلي كسرى واعلاق

خزانته

خزانته التي يجل قدرها ان يقدرها المقوم او يبلغها التثمين قال احنف بامراة
غرته الدنيا اهل يبلغني مغرور منها الا دون هذا وما خير امرئ مسلم سبقه علي ان
كسرى لم يزد على ان تشاغل بما اوتي عن آخرته بل جمع لزوجته ولم يشتغل عن يومه بجمع
لزوج امرته او زوج ابنته او امراة ابنه ولم يقدم لنفسه اشترى شريح القاضي دارا بثمانين
الف درهم فدعاه علي عليه السلم وقال يا شريح بلغني انك اشتريت دارا وكتبت كتابا واشهدت
شهودا فقال شريح قد كان ذلك يا امير المؤمنين فقال اما والله يا شريح لا ينظر في كتابك
ولا يسال عن دارك حتى يخرجك منها شاخصا ويدخلك في قبرك خاليا انظر رحمك الله
ان لا تكون الى مشرع الفناء بابها وعلى ربع الخراب بناؤها ولا تفضي الى مكان المصائب
حدودها ولا تنفتح نحو سبيل النوائب طريقها والا فكن كذلك فان بناء الاخراب له في
مكان لا انتقال منه ومر الحسن بن علي ع على دار بعض اهل قاتمة فقال يا بني ارى هذا
الباب مهجورا بعد ان كان معمورا افنا داره قايل من داخل هكذا باب من دخل فاجاب
وغاب فاب فانصرف الحسن باكيا ماسوولا ومتاسفا متعظا وسال رجل بعض الصالحين كيف
ترى الدنيا فقال تخلق الابدان وتجدد الامال وتقرب المنية وتباعد الامنية قال
فما قال اهلها قال من ظفر بها تعب ومن فاته نصب قال فما الغنى فيها قال قطع الرجا
عنها قال فاي الاصحاب ابر واوفى قال العمل الصالح والتقى قال ايهم اضر واطغى قال
النفس والهوى قال فما المخرج قال في سلوك المنهج قال اوصني قال قد فعلت وكان لي بعض
الصالحين ان يخرج الى المقابر اذا هدات الاصوات ونامت العيون فيقول يا اهل الغربة
والتربة يا اهل الوحشة والوحدة يا عسكر الاموات يا ضيفان الاموات قد سلا حميمكم
واشتهلت [illegible] ووزعت عياركم وتعطلت آثاركم فلا تنظرون احدا ولا ترجعون ابدا وعن ابي
بكر الهذلي قال كنا عند الحسن فاتاه آت فقال يا ابا سعيد دخلنا آنفا على عبد الله بن
الاهتم فاذا هو يجود بنفسه فقلنا يا ابا معمر كيف تجدك قال اجدني والله وجعا لما في محرا
على ما مضى ولكن ما تقولون في مائة الف في هذا الصندوق لم تؤد منها زكوة ولم يوصل
بها رحم قلنا فلم كنت تجمعها قال كنت والله اجمعها لروعة الزمان وجفوة السلطان
ومكاثرة العشيرة والاخوان فقال الحسن واها على موئل ما لا يبلغه وجامع ما لا ياكل جمعه
فاوعاه وشده فاوكاه من باطل جمعه ومن حق منعه اصابه حراما واورثه عدوا احتمل
اصره وباء بوزره فيا لها غصة لا انتقال وتوبة لا اشال وحسرة لا انقطاع وندامة
لا تقع حسن الدنيا والاخرة ذلك هو الخسران المبين ومر الحجاج يوما من الكوفة بحيرة

يليق بها او يحجبه بعض ادبارها فقيل هي هند بنت النعمن بن المنذر الاصغر وقد كف منها
البصر واقعدت من الكبر فبنى عنانه اليها ودخل واثنى عليها فقالت من انت فتى لها
فاكرم واجل محضره وقالت نعم قصدت قال قصدنا لحمتك ونظرا اليك فقال اوجب الله لك
حقا يصلح به عملك واشاد لك ذكرا ورفع قدرا فاجمل شكره وعلى محبته ان لا تستعين بنعمته
على معصيته ولا تغترن بجنود الغادرين المرتجعة والعطايا المتشعبة فانت خلقت له
ووجهت اليه فكم اشتملت ايامها هذه الارض على ما كانت بين يديه بقاليدها وبحب سلطانه
انا اليهما فاذا هو تراب بطاه الاقدام قال النعمن وبينى تحدثني يا ابنة الملوك ببعض
ما رايت قالت كنا اذ نرى صرف الزمان وما كر به الجديدان وما ابقى مما مضى وما نرى بين امثالنا
حرة الاعاد عبرة وما من قوم كانوا في غضارة عيش الا امكن الدهر عليهم حتى صيرهم مثلا
وما من احد له شعبة من سلطان الا انال البلا اليه وعطف الدهر عنانه عليه وعلى
قدر الرفعة يكون الصرعة ومن سره حال فانه الخزي والمغرور من غره يومه ولم يخف سوما
يأتي على تحبيك ما اراك الدهر بلوا عظا وعن جعفر بن محمد الصادق لا يزال العز قلقا
حتى يأتي دارا استشعر اهلها الزهد في الدنيا فيوطنها وسئل علي بن موسى الرضا عن صفة
الزاهد فقال متبلغ بدون قوته مستعد ليوم موته متبرم بحياته وقال الحسن
الزهد في الدنيا ان تبغض اهلها وتبغض ما فيها وقال بعضهم هو ترك ما فيها على من
فيها وقال آخر هو ان تترك الدنيا كما هي لا تعول ابنى بناءا ولا تهدم سجنا كما خرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم منها ولم يضع لبنة على لبنة وقيل الزهد ترك الدنيا وقيل هو العزوف
عن حظوظ النفس كلها وقال بشر الزهد في الدنيا هو الزهد في الناس فقال
ابو سليمان الداراني الزهد ترك كل شيء يشغلك عن الله ثم قرا قول الله تعالى الا من
اتى الله بقلب سليم وقال هو القلب الذي ليس فيه غير امر الله وكان حبيب البدوي
يقول الزهد والزاهد من خنع فقنع واقترف فاعترف ووجل فعمل وحاذر فبادر
افاد ذخيرة وطالب سريع وقدم مهادا واستظهر زادا وقال لاخيه يا اخي انت طالب
ومطلوب يطلبك من لا يفوته وتطلب ما قد كفيته فكان ما غاب عنك قد كشف
لك وما انت فيه قد نقلت عنه يا اخي كانك لم تر حريصا محروما ولا زاهدا مرزوقا
وقال الشبلي الهي هب لي الامل من جناح بعوضة حتى يزهد فيها من يدك الخير المعروف
وكان السري يقول لا يطيب عيش الزاهد اذا اشتغل عن نفسه ولا يطيب عيش العارف
اذا اشتغل بنفسه وقيل لبعضهم لم زهدت في الدنيا قال لما زهد في اكثرها

انفت

انفت من الرغبة في اقلها وقال ضوي الدنيا تطلب لثلاثة اشياء للغنى والعز والراحة
فمن زهد فيها عز ومن قنع استغنى ومن قل سعيه استراح وقال ابو الحسن الزنجاني من كان
راس ماله التقوى والورع كلت الالسن عن وصف ربحه وقيل لم ينظر احد الى الورع فضاق
عليه الامور الا فزع الى التعلل والتعفف وتكلم ابو سعيد الخراز في الورع فمر به عباس
بن المهدي فقال اما تستحيي تجلس تحت سقف ابن الدوانيقي وتشرب من بركة زبيدة وتعامل
بالمزيفة وتتكلم في الورع ثم انشد
فضح ما كنت حليته بسيفك خلالا فاصنع بالسيف ان لم تك قتالا
وقال ابراهيم بن شيبان كنت اصحب ابا عبد الله المغربي في البادية فكلمني يومين او
ثلاثة فقلت له بعد ثلاثة ان الشيخ لا يكلمني فقال لانك قلعت حبشية تبع الله
من غير اذن قال وخرجت يوما واذا شاب عليه عباءة وبيده كوز فقال ايها الشيخ
اريد ان اسالك عن مسئلة في الورع فاني رجل تركت المكاسب وخرجت الى الله وقد اعتقدت
ان لا اكل الا من البنود وربما اجيء الى قشور البطيخ وسائر ما قد سبقني الجمل الى الاكل
فيشاء وله شيء قال فقلت سبحان الله في هذا الارض من يتورع في مثل هذا المقدار
فاذا هو على ارض من فضة وقال في الغيبة حرام وغاب عن عيني وجاءت اخت بشر بن
الحارث الى احمد بن حنبل وقالت انا نغزل على سطوحنا فتمر بنا مشاعل الطاهرية
ويقع الشعاع علينا فيجوز لنا ان نغزل في شعاعها فقال احمد من انت عافاك الله قالت
اخت بشر الحافي فبكى احمد وقال من بيتكم يخرج الورع الصادق لا تغزلي في شعاعها
وقال علي العطار مررت بالبصرة في بعض الشوارع فاذا مشايخ قعود وصبيان يلعبون
فقلت اما تستحيون من هؤلاء المشايخ فقال صبي من بينهم هؤلاء المشايخ قلت ورعهم
فقلت هيبتهم وقال سهل بن عبد الله من لم يصحبه الورع اكل راس الفيل ولم يشبع
وقال داود الطائي ما اخرج الله عبدا من ذل المعاصي الى عز التقوى الا اغناه
بلا مال واعزه بلا عشيرة وآنسه بلا انيس وقال ابو القسم النصراباذي الزاهد غريب
في الدنيا والعارف غريب في الآخرة وقال الجنيد الزهد خلو القلب عما خلت منه اليد
والورع استصغار الدنيا ومحو آثارها عن القلب وقيل ترك الدنيا مع ذكرها صفة
الزاهدين وترك الدنيا مع نسيانها صفة العارفين وقال احمد بن ابي الحواري الزهد
هو خلع الراحة وبذل المجهود وقطع الامال وقال رجل لذي النون المصري متى اكون زاهدا
في الدنيا قال اذا زهدت في نفسك وقال محمد بن الفضل البلخي ايثار الزهاد عند

الاستغناء وايثار القيام عند الحاجة وقال محمد بن علي الكتاني التي الذي لم يخالف فيه
كوفي ولا مدني ولا شامي الزهد في الدنيا وسخاء النفس والنصيحة للخلق اي هذه الاشياء
محمود بكل لسان ممدوح من كل انسان وقال بشر الحافي الزهد ملك لا يسكن الا في
قلب خالي وقال ابو عثمن المغربي الزهد ان تترك الدنيا ثم لا تبالي من اخذها وقال
محمد بن خفيف الزهد سلو القلب عن الاسباب ونفض الايدي من الاملاك وقدوة الزهاد
عيسى عليه السلم توسد يوما حجرا فقال له الشيطان اما كنت تركت الدنيا فما
بدا لك فقال وما فعلت قال توسدت الحجر وتنعمت فرمى الحجر وقال خذه فيما تركته
لك وجلس يوما في ظل حايط فاقامه صاحب الحايط فقال انما اقمتني انت انما اقامني
الذي لم يرض لي ان اتنعم بظل الحايط وقال ابو سفين بن معمر الزهد في الدنيا معرفة
صغر قدرها كما قرا الحسن قوله سبحانه وتعالى الذين يشترون بعهد الله وايمانهم
ثمنا قليلا ان الثمن القليل هو الدنيا بحذافيرها قال واذا عرفت صغر قدرها
لم يضرك ان تتنعم بها بعد ان تكون عارفا بقدرها وكان ابو بكر الفارسي صاحب كتاب
الاصول على مذهب الشافعي بخراسان ينكر ان يكون الزهد ترك التنعم بمتاع الدنيا و
كان اذا يروى له احاديث في الزهد عن الدنيا ونفض اليد عن زخرفها وزينتها
عارضهم بقول الله قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده وان النبي لا يحرم ما احل
الله وقد قال الله تعالى يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك والحجة لا يرفع القران
اساس والخبر نباء ورفع وكان ابو حامد القاضي من اصحابهم يقول لا يصح الزهد في
الدنيا لان الانسان لا يخلو منها وتمتع بها ويسكن فيها ونشا عليها واشرب قلبه
حبها وجبل على عمارتها فلا سبيل الى انسلاخه منها وما تقول لجفاة الصوفية
فهو قول يقولونه لا فعل يفعلونه وهل هم الا حملة كلهم على غيرهم وشاؤهم
ما يتنهونه من كد غيرهم فلو صح لهم زهد لزهدوا فيما في ايدي الناس وسعوا مع
الساعين في اسباب الرزق ويعجبني ابيات الذين ترهبوا سوى كلهم كد النفوس الشحايح

واعجب من ذا معظم في حيوته … سعاة حلال بين غاد ورايح

وعلى ان اقلالهم زهدهم من الكسل وسوالهم اصل في الدناءة ومدحهم الفقر من باب الازراء
بنعم الله تعالى اهذا قول هذا القاضي منهم واما ابو سعيد البسطامي من اصحابهم
فهو كان لا يقف في هذا الانكار على القول دون الفعل كما حدث عنه امامنا ابو بكر
الشاشي رحمه قال كان ابو سعيد من اعاجيب الرجال فسئل يوما من قول النبي صلى الله

عليه وسلم اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا واحشرني مسكينا فانه رفع مغضبا يقول من قال
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مسكينا فهو كافر بالله ثم اقبل على السايل وقال والله لولا
اني اعلم جهلك وغرابتك لامرت بك حتى تسحب على وجهك وتضرب بالسياط جلدك وكتفك
تلقفت هذا من هولاء الحمقى المكدين المحتالين الملحدين الذين وصفوا النبي صلى الله عليه وسلم بهذا
النعت وبما يجري مجراه ان النبي كان غنيا ولا الحمقى يقول اغنيا غنيا بالله ذلك الغنى مربوط بالايمان
والتوحيد والاخلاص والطهارة وما اريد شيا من ذلك فان كل ذلك موجود له في الغاية
ومدخر له جزاوه في الاجل وانما اعني الغنى الذي هو الاثاث والمتاع والثياب والدواب والخدم
فقيل له فان الله يقول ووجدك عايلا فاغنى قال هذا حجتي فان العايل هو المثقل بالدين
ومن ازاحة الحال وقد كان هذا قبل البعث فلما بعثه ازاح علله فنور قلبه وملا من الدنيا
يده والام جيش الجيوش وعقد الالوية وهادى الملوك وعمل الصحابة ووفد الوفود واعطى المؤلفة
وانفق على النساء وقرى الضيفان وكسب المجد ومن قوله لمن مات من الصحابة من مات وترك
مالا فلورثته ومن ترك دينا او خلف كلا فعلي والى اين من قوله ما روي في المناهي انه عليه السلم
كان اذا دخل شهر رمضان اعطى كل فقير وفك كل اسير وابن افراسه وبغاله وسيوفه ودروعه
وبروده ووروعه الى لكل منه اسم يحسنه واصابه واناقته على نظر ابنه واين ما كان
يدخرو لنفقة عامة وقوت عياله والله ما انتم الا من تقليدكم القوم تخلوا عندكم بادعاء الذين
وقاتلوكم عما حويتم الايمان وانتم ايها الاغنيا الخبير برسول الله وبصحابته من هولاء الذين
لبسوا هذه المرقعات يتكففون الناس ولا يعمل اثر عناه ابو بكر من احمقاية دنياه بل كان
غنيا ومنع من العجز الذي كان فيه وكان غنيا ابو بكر انشط الهمة ومجد حاله ورفاهية عيش المصلين
برو الوالدين عليه وكان زهده من حيث انه لا يفرح بما يرزق منها ولا ياسى على ما عزب عنها
ولا يتوسع في المطعم والملبس بل ليس الخشنة ويجتزي بالعلقة واذا جاءه مال لم يتحه ولم يقبله وكان
اذا جاءه في القايلة لم يمسكه الى الليل وما نحره واذا جاءه بالليل لم يمسكه الى القايلة حتى الليل
كان يمن ويتفضل ويتيح ويجود فهذا من اقوال هولاء الفقهاء انكشفنا على ما حضرنا ثم رجعنا
الى ما كنا فيه من افعال الصوفية الفقراء انها اخرجت بهم تخليهم عن الدنيا وزخارفها التي قبضتها
ايديهم من نايلها وطار فيها ذكروا ان السري لما زهد في الدنيا ترك التجارة فكانت اخته تغزل
عليه من غزلها فابطات عليه ذات يوم فقال لم ابطات قالت لان ثوبي اليوم غزلي وذكروا انه
محاطا وان ما ظاهره عنده اجود فامتنع السري من طعامها وسو في انه لا ياكل بما عندها شيئا ثم
دخلت عليه اخته ذات يوم فاذا عنده عجوز تكنس بيته وكانت تاتيه كل يوم بقرص فاغتمت

اخته لذلك وشكت الى احمد بن حنبل اخاه فقال له احمد في ذلك فقال اني لما اشبعت
من طعامها لما كانت تكابد من اسباب تحصيله في فيض الله في الدنيا في غد مني وقال ابو
عبد الله التستري رايت في النوم كان القيامة قامت والخلق كلهم في الموقف فرايت طيرا
ابيض ياخذ واحدا واحدا في الموقف ويدخلهم الجنة فقلت ما هذا الطير الذي قد من الله تعالى
بها على عباده قال فرمى الي برقة ففتحته فاذا فيه مكتوب هذا الطير يقال له الورع
طوبى لمن رزقه ومكث مالك بن دينار بالبصرة مدة اربعين سنة فلم يصح له ان ياكل من تمر
البصرة ولا من رطبها لاستيلاء بعض المتغلبة عليها فلم يذقها حتى مات وكان اذا انقضى
وقت الرطب قال لاهل البصرة وكشف عن بطنه قد نقص الرطب ما اكلته وانا مالك بن دينار
وهذا بطني ما نقص منه شي وما زاد فيكم شي وكان عمر بن عبد العزيز يقسم تفاح الفي اذ تناول
ابن له صغير تفاحة فانتزعها من فيه واوجعه فسعى الى امه مستعبرا فارسلت الى السوق
فاشترت له تفاحا فلما رجع عمر وجد ريح التفاح فقال يا فاطمة هل اتيت من هذا الفي
شيئا فقالت لا وقصت عليه القصة فقال عمر والله لقد انتزعتها من ابني وكانما انتزع
روحي من بدني ولكني كرهت ان اضيع نصيبي من الجنة بتفاحة من في المسلمين وكان عند فاطمة
جواهر نفيسة يجل قدرها ويعظم خطرها اثرتها ابوها فقال لها اما ان تاذني في فراقك
فاني اكره ان اكون وهذه الجواهر في بيت قالت لا بل اختارك يا امير المؤمنين عليها
وعلى اضعافها لو كانت لي قال فامر بها فوضعت في بيت مال المسلمين فلما مات عمر واستخلف
يزيد قال لفاطمة ان شئت رددتها عليك قالت قد طابت بها نفسي في حياته فارجع
فيها بعد موته لا والله لا يكون هذا فقسمها يزيد في اهله وولده

ابيات تليق بهذا المحل وتدعو الى الزهد في الدنيا والتمسك بالورع والتقوى

يا نازل الدنيا بمحل ۞ قد حان منها المرتحل ۞ قد زال امن عقل ۞ اين الشباب يا فعل
ها هو قفار كالطلل ۞ ان كنت لم تعلم فسل ۞ فهي الليالي لم تزل ۞ تطوى بنا طي الرسل
ما لاح نجم فاشتعل ۞ الا كما لاح افل ۞ فانما الدنيا دول ۞ كم امل قبل سرك
او نازل قبل رحل ۞ ثم مدوف بعسل ۞ يا نفس ما هذا العلل ۞ كم قد رماك بزخ الطول

ومن يحمد الدنيا لخير يساله ۞ فسوف لعمري عن قليل يلومها
اذا اقبلت كانت على المرء حسرة ۞ وان ادبرت كانت كثيرا همومها

وقال الصلصال بن دلهمس في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الابيات وهي قصة

تخير قرينا من فعالك انما ۞ قرين الفتى في القبر ما كان يفعل

ولن يصحب الانسان من بعد موته ۞ ولا بعده الا الذي كان يعمل
الا انما الانسان ضيف لاهله ۞ يقيم قليلا عندهم ثم يرحل
كل اجتماع فله فرقة ۞ لا بد يوما من فراق الخليل
يا عجبا انا نلهو وقد ۞ نودي في اسماعنا بالرحيل
وان امرا يبتاع دنيا بدينه ۞ لمنقلب منها بصفقة خاسر
الم ترها ترقيه حتى اذا صما ۞ فرت حلقه منها بشفرة جازر
وللدنيا دوائر دائرات ۞ امذهبة بالعزيز وبالذليل
وللدنيا يد تهب المنايا ۞ وتستلب الخليل من الخليل
ايا من قد تهاون بالمنايا ۞ ومن قد غره الامل الطويل
الم تر انما الدنيا غرور ۞ وان بقاء ما فيها قليل
المقادير لا تناولها الاوهام ۞ ظنا ولا تراها العيون
وله الفناء فيما تراه ۞ حركات كانهن سكون
توقوا من تصاريف الليالي ۞ فان نعيمها دون الزبابا
هما غربان ليل او نهار ۞ ثمارهما الا يا للبرايا
لعمرك ما الدنيا بدار اقامة ۞ اذا زال عن عين البصير غطاؤها
وكيف بقاء المرء فيها وانما ۞ ينال باسباب الفناء بقاؤها
اين من كان قبلنا اين اينا ۞ من رجال كانوا لجماعة زينا
ان دهرا اتى عليهم فافنى ۞ معشرا منهم سياتي علينا
هم في بطون الارض بعد ظهورها ۞ محاسنهم فيها بوال دواثر
وانت على الدنيا مكب منافس ۞ لخطابها فيها حريص مكاثر
اذا انت لم تشغو وانت اخو الغنى ۞ يجرك الى طيب المعاش اخو الفقر
اذا انت لم تزرع وابصرت حاصدا ۞ ندمت لما ضيعت في زمن البذر
اذا الرجال ولدت اولادها ۞ واضطربت من كبر اعضادها
وجعلت اسقامها تعتادها ۞ تلك زروع قد دنت حصادها
كم اناس في نعيم عمروا ۞ وذرى ملك تعالى فبسق
سكت الدهر زمانا عنهم ۞ ثم ابكاهم دما حين نطق
كم ترانا يا اخي نبقى على ۞ جولان الموت في هذا الافق

نحن ارسنا الى دار البلى ❊ نتوالى عنقا بعد عنق
وما اهل المنازل غير ركب ❊ رحيلهم رواح وابتكار
لنا في الدهر آمال طوال ❊ نرجيها واعمار قصار

المجلس الحادي والسبعون من كتاب خلق الانسان تفسير قوله عز وجل وفي انفسكم افلا تبصرون يشتمل على ذكر مراقبة الانفس واستقامتها

بسم الله الرحمن الرحيم

البقاء للحي الذي لا يزال ولا يزول والدوام للملك الذي لا يجور ولا يحول والحكمة للعليم الذي لا يضل والعظمة للعزيز الذي لا يذل والحكم للحكيم الذي لا يجهل والامر للحليم الذي لا يعجل والمراقبة لجلال من لا يجور حسابه ولا يحيف ثوابه وعقابه والاستقامة على طاعة من تسبح بحمده الاشياء ولا يحجب عن ملكه الاموات والاحياء يكفي فضله الفاقة والخصاصة ويرجع عدله العامة والخاصة بصر فحكم الامور على مشيئته وتصرف لطفه المحذور برحمته يبدئ كل شيء ويعيده ويحيي كل حي ويبيده منظم عقود الحوادث في سلك المصالح ومجري سرب المناجح في ربقة المناجح لا ينقطع نعمته على عباده مددا ولا ينتهي فضله على خلقه امدا يتشفع باوائل الحسان توابعها ويتبع بلواحق امتنانه سوابقها ويعرفنا النعمة بطارقها ويصل بنا الى محبته بانتهائها تعالى الحق عن ان تبلغه الاوهام فتدركه وجل تقديره ان تناله الاهواء فتملكه لا اله الا هو اليه المآب وعليه الحساب ومنه الهدى واليقين وهو الملك الحق المبين نحمده على نعم تثاقل الجبال بحامده كما نشكر الامام ونصلي على الرسول الناطق بالحق المنقذ للخلق الناهج للدين الشافع للموحدين المقيم للدين القويم المستقيم على الخلق العظيم محمد المخصوص بالدرجة العظمى المرموز بالشفاعة والزلفى المعضود بالمعجزات الباهرة والآيات الزاهرة صلى الله عليه وعلى آله واصحابه الشاهدين للوحي والقرآن التابعين لهم باحسان روى جرير بن عبد الله البجلي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وليست المنزلة الا لسلامة هذه الحال ولا يوصل اليها الا بعد محاسبة العبد ما سلف منه ومراعاة الوقت الذي هو فيه حتى يكون حدوث المتوهم على حصول المتحقق وحتى يصفو له ما هو غير ناظر الى ما قدم مضى ولا معرج على ديما وعملا ولا آخذ منه الوقت الا ما باخذ المبرد من السيف يسحقه ولا يمحقه ويصقله ولا يبطله ان يحاسب نفسه باحكام الشريعة وادى ما علته علية احكام الحقيقة فلا قلب الا وكيف ما تقلب وفي فضاء المحاسبة ولا نفس الا وكيف ما تردد

ففي جوانح المراقبة وانه عليه رقيب ومن نفسه قريب فما يراقبه في خواطره الا وهو يتمثله في جوانحه

اعيذ مهاة الرمل مني البكا ❊ فان لليلي بالمغيب رقيب
اغار على نفسي لها ويغار لي ❊ على نفسها ان الهوى لعجيب
وان الكثيب الفرد من جانب الحمى ❊ الي وان لم آته لحبيب
لك الله اني واصل ما وصلتني ❊ ومثن بما اوليتني ومثيب
واني لاستحييك حتى كانما ❊ علي بظهر الغيب منك رقيب
وان انتزالي الفرد في جانب الحمى ❊ على النأي عني والصدود قريب
ولما التقينا دل قلبي على الهوى ❊ دليلا نجت خام وجنيب
ولي نظرة لا املك العين اختها ❊ مخافة يثنوها علي رقيب
وهل ينفعني اليوم دعوى براءة ❊ لقلبي ولحظي بالاثيم مريب
واقبلني في القلب فضل عنبوقه ❊ خليطان ريق بارد وضريب
ولو نفضت تلك الثنيات بردها ❊ على الصبر المحرور كان يطيب
فيا برد ما ذاب منه ذوب برده ❊ على ان قلبا عليه ندوب

قال المحاسبي فاذا صار العبد في المحاسبة والمراقبة كانه يعاين ربه باليقين من غير توهم عبد الله كانه يراه فاذا عبد الله كانه يراه استحيا منه ووجل عنه وكان مخبتا نقيا بارا تقيا خاشعا زكيا فاذا ذكر العبد اطلاع الله عليه امتلا قلبه من الهيبة حتى يبقى كالمبهوت الحائر وحتى لا يكاد يعطو ويعتريه ولا لسانه الكلام ولا جوارحه الحركات ولا جوانحه الخطرات فان فعل شيئا من ذلك فعله بالتكلف ويتعاطاه على التعسف كما يروى عن موسى عليه السلم انه لما نودي من الشجرة ارتعدت فرائصه وبقي كالميت لا يتحرك منه عضو وانا لنجد ذلك من انفسنا ونراه من امثالنا ان العبد ليقف بين يدي من يهابه ويستحي منه فيبقى حيران مغضوض البصر مبهوض الجناح ينفصد جبينه عرقا ويتغير لونه حياء فكيف بالمراقب ربه المحاسب نفسه حدثنا ابو بكر بن مجاهد المقرئ قال تقدم ابو عمرو بن العلاء يوما يصلي بالناس وكان لا يؤم فتقدم مضطرا فلما وقف مكانه قال للناس استووا فغشي عليه فلم يفق الا بالجهد فقيل له في ذلك فقال حين ما قلت استووا وقع بقلبي خاطر من انه كان يقول يا عبدي هل استويت لحظة حين حتى تقول للخلق استووا وقال بعض الحكماء ان الله اللطيف ركب الانسان من جوهرين متضادين متباعدين احدهما سماوي يشتاق عند كماله بالعلم وطهارته بالعمل الى ما هنالك والآخر ارضي يشتاق عند تكدره بالجهل وتدنسه

بالهوى الى ما ههنا فالواجب على الانسان ان يستقيم على العلم الحق والعمل الصالح ليرتفع الى ما
هو مشوق جوهره الكريم ولا يميل بزيغ الهوى وعوج الراي الى ما هو مشوق جوهره الخسيس وان
يعلم ان واحدًا من افعاله متى صدر منه غير مستقيم لم يوده جودة الباقي واستقامتها الى ما
خلق له ودعي اليه بل يكون ذلك ابعد له عن طريقه واضل له عن محجته فيبور لاجله سعيه ويحبط
جميع ما عمله وسبب ذلك ان تحصل لهذا الجزء الخسيس منه على سوء طباعه في شي من الاشيا الا
تقف على حد بل يترجح الى ما هو اعظم منه ثم الى ما هو عظيم جدًا حتى انه سيبلغ به من فرط الجرأة
وشدة الجهالة الى ان يترك حرمة المسجد والايات وجلال الافاضل والعلماء واعظام المساجد و
المتعبدات والاحتجاب للتنزيل والايات فلا يبقى عنده هيبة لشي من المعاني الالهية كما يحكى عن يزيد
من فعله العظيم بالمصحف حين فتحه مستعملا انا يوول اليه امره وبعد ان وضع راس سيد الشهداء
ابي عبد الله الحسين عليه السلم بين يديه ولا شك انه متى صار كذلك لم ينفع مع نجاسة نفسه
سائر ابواب القرب من صلوة وصيام وحج وزكوة فان الراي اتيانها واقامته لها الى ان يكون الا كالشي
المنافي طبعًا واعتيادًا او رسمًا او ايمانًا او سمعة ورياء او هزاة وخداعًا فلا يقبل عند الله
ولا عند الناس ولا عند الملائكة ثم يتادى في الاخرة الى العذاب المنتج عن الدين الجاحد للشرايع
والمتعاصي بالمقت والخسار ويبقى في العذاب والبوار وكل ذلك لانهماكه في الشرارة والدوام
على الجرأة والاصرار واذ عرفت هذا فلنقل ان الاشياء المستحقة في الانفس اما
حسية استبيانها باحد المشاعر الخمسة واما عقلية لا يستعان في استبيانها بشي من
اعضاء البدن كمعرفة الفعل والفاعل والقوة والضعف والخير والشر والفضيلة والرذيلة
والتماثل والتضاد والوجود والعدم والعلم والجهل وان النفس تتصور المحسوسات وتحكم
عليها بانها جزويات منقضية ولعلها زايلة مستحيلة وهذا الحكم منها عليها غير
زايل مستحيل فتوهمن عند استثبات المعنيين منها ان احد الصنفين منها كلي وجودي
ابدي والصنف الاخر جزوي كاين فاني فيعلم بذلك ان محل هذه الصورة العقلية
لو كان الاعضاء الحاسة تحصل العرفان بها جزويا لا كليا ومستحيلا فانيا لا دايما
باقيا فمحلها اذن هو الجوهر الاخر الشريف السماوي وهو ان كان متحدا بالجوهر الاخر الخسيس
الارضي فليس سبيله سبيل الاعراض القايمة بالنفس التي تكون وتفسد من غير فساد محلها لكنه
جوهر سماوي ذو قوى ذاتية ومستعد لقبول اعراض مقدسة وصالح لان تاديه افعال
اختيارية وسائق الى كمال ما وراءه كمال وصاير الى جمال ناهيك به من جمال وكلما
كان هذا الجوهر الشريف اقل التفاتا الى صاحبه الخسيس واشد احتجابا عن اثاره وافعاله كان

اوى على حيازة كماله واستنارة جماله وان اتحاده به قريب الشبه من اتحاد الزيت بالزيتون
واتحاد دماء الورد بجرم الورده او اتحاد النار بالحديدة الذي اذا فارقه بقي مجردًا لا طعم
ولا لون ولا رايحة وحديدة سوداء وظلمة لا نور ولا ضياء وكما ان ليس انما جوهر ليس يكون
قابلا لا انما عرض اتفق اذا الحجر لا يصلح لقبول الالم واللذة والماء لا يصلح لقبول الرقم ولكن
كذلك احد جوهري النفس لا يصلح لقبول العلم والحكمة والجوهر الاخر منهما لا يصلح لقبول
اللون والحرارة ثم انا اذا ابصرنا خشبتين متساويتين في قدريهما او حجرين متفاوتين في
حجميهما حكمنا على الخشبتين بالمساواة وعلى الحجرين بالتفاوت ثم علمنا مع ذلك ان
المساواة المطلق المعقول عندنا والتفاوت المطلق المعقول ليسا مباينان لهذين المشاهدين
فان محل المعقولين الجزء النفيس منا ولم يعتنا وله زوال الاعراض ومحل المشاهدين الجزء
الخسيس منا ولم يفارقه سرعة الزوال والاضمحلال فاذن احد المحلين جوهر جسماني ارضي
يوقف عليه بالبرهان وكما ان العاشق اذا راى صورة معشوقه منقوشة على جدار او
راى ثوب معشوقه معطرا وحلا على الانسان بحلم ويتذكر بهما المعشوق ويعتقد ان الصورة
شبيهة به الا انها انقص منه وان الثوب غير شبيه به الا انه قريب العهد بنفسه كذلك
النفس اذا اطلعت بوساطة الحس على الخط المستقيم او على العدد المحكم او على الحال المشاكلة
او على الوقت الموافق انبعثت على تذكر العدالة المطلقة والحكمة المطلقة والنظام المطلق
والاستقامة المطلقة وعلمت ان هذا المطلع عليه يحاكي الحق لديها الا ان احدهما جزوي
مبتذل مشوب ناقص والاخر كلي ابدي خالص كامل فيعلم بهذا ان المحل كان الحسية وان
كانت مباينة للصور العقلية فلا مانع من ان تكون سببا لانتباه العقول عن رقدتها
وافاقتها من غفلتها اذ هي تحاكيها وان كانت لا تماثلها

كما دل الغزال يكون لكنما هو دونه ✿ والنرجس الغض الجني اغض منه جفونه
من كان لم يرقه فضله ✿ فغير القياس يصونه
وذكرتنيك والذكرى عناء ✿ مشابه فيك بينة الشكول
نسيم الروض في ريح شمال ✿ وصوب المزن في راح شمول
ذكرت بها قضيب البان لما ✿ غدوت تميل في الحلل اختيالا
تحاكيه قوامًا واهتزازا ✿ وتشبه انعطافا واعتدالا

وقد قال الرضي في تشبيه هذه الحال من المحسوسات الى المعقولات حين رسم من صورتها لستقيم
استقامته في افعالها الكريمة انها بمثابة الحركة واليقظة للحيوان عن النومة فانه متى استيقظ

بالحركة اللاحقة به من خارج فقد كمل التعاطي الحركات الاختيارية من ذاته فحرشان شوقنا
وجرّ امراموزان قلت من انتم فصدرت وقالت ٭ امية سوالك العالمينا ٭
٭ نحن من ساكني العراق وكنا ٭ قبل قاطنين مكة حينا ٭
٭ قد سلقنا الى الدنا ان قربت ٭ عسى ان نجرشان شونا ٭
فالمراقبة اذا اجنه الليل وهدات الاصوات وسكنت حركات العباد هاجه الوجد وهيّمنا
عن الخواطر المزعجة وسكن الى العبادة واطمان بالمناجاة وكاد ان يطير قلبه فرحا بالخلوة
وسرورا بالانفراد فاذا قام الى المصلاة واضطربت اعضاؤه واقشعر جلده ووقف شعره ورجف
فؤاده اجلالا لاله وتهيبا منه ثم رفع يديه وذكر اسمه فهاج من قلبه جلاله واستولى عليه
بها آوه فلو رايته وقد نكس راسه ورفع صوته وقلبه وجل ودموعه سايلة هامية ودموع
جوى جامية فوق تغلب عليه الاحزان وترة تعلوه الاشواق قد اطلع مولاه عليه بالرضا واقبل
الله بوجهه الكريم واذا نجوه مواد الاحسان من فوق عرشه العظيم فاستقريا الله فرحه ويعظم امله
واستغرقت عقله حلاوة مناجاته واتصلت به من الله مواد كراماته فهو كذلك دابه حتى اذا انقضى
ليله وقد نا الصبح اقبل على الدعا والاستغفار فكم من حنين ومن انين ومن حسرات وندامات
وكم من قلق وانزعاج فكم يشكر نفسه ويعتذر من تفريطه ويشكر الله على توفيقه حتى اذا
اسفر الصبح واضا النهار لزم الكآبة وتوحش لمخالطة الناس فنظر الى الدنيا بعين الرغبة عنها
والى اهلها بعين الحسرة عليهم حين عدم اهل الرحمة مخلوقين للحق مشغولين بالباطل كادحين
في الامر الزايل كارهين للقيام متكرهين على الرحيل فلا انس ولا سرور ولا راحة ولا سكون حتى
تنقضي مدته وتنتهي توبته فعند ذلك راحته لا راحة له قبلها فهو يستعد للموت ويستعد
للذهاب ويستعد للرحيل ٭ وقال الواسطي افضل الطاعات حفظ الاوقات وهو ان لا يطالع العبد
غير حده ولا يشاهد غير ربه ولا يصاحب غير وقته وقال بعضهم المراقبة مراعاة السر
بملاحظة الغيب مع كل لحظة ولحظة وخطرة وخطفة ٭ وقال ابو عثمان المغربي افضل ما
يلزم في هذه الطريقة محاسبة النفس بالمراقبة وسياسة العمل بالعلم ومحافظة الحال
بالادب ٭ وقال الحسن بن علي الدامغاني عليكم بحفظ السراير فانه مطلع على الضماير ٭ وقال
بعض البعض عباد خراسان من قدر اولع بالجهد والزم التقشف انما علمت ان ما نقادرن
بعملك اقتدا في جنب ما يطالع بقلبك وما تطالع بقلبك هنالك في جنب ما تطالع السر
فاترك القسمة في سرك وعملك عمرو وما تقارب من عملك عملك ٭ وقال ذو النون من راقب الله
في خطرات قلبه عصمه الله في حركات جوارحه ومن خاف الله فر اليه ومن فر الى نجا بالله و

ابن

ابن عمر بغلام يرعى غنما فقال له غلام بعنا شاة من غنمك فقال لست لي انما انا عبد قال قل
لاهلها الذيب قال فاين الله فاشتراه من مواليه والغنم التي كانت معه واعتقه واعطاه الغنم ٭ وقال
عثمان لاعرابي ازدد زاد ابن ربك فقال بالمرصاد فراعه امره ٭ وقيل لحاتم الاصم على ما ذا بنيت امرك
قال على اربع خصال علمت ان رزقي لا ياكله غيري فلم اهتم به وعلمت ان عملي لا يعمله غيري
فانا به مشغول وعلمت ان الموت ياتيني بغتة فانا مبادره وعلمت اني بعين الله في كل حال
فراقبته واستحييت منه ٭ وقال عبد الرحمن بن يزيد بن معوية وكان من صالحي قريش لرجل
له ارضى ما انت فيه قال لا قال فاجمعت ان تنقلع قال لا قال فالذي لله عند ههنا تعمل فيها
قال لا قال افتامن ان ياتيك الموت الساعة قال لا قال فهكذا عمل من يراقب الله و
يحاسب نفسه ٭ وقال ابو حازم لسليمان بن عبد الملك راقب ربك ان يراك حيث نهاك
ويفقدك حيث امرك ٭ وحدث عبد الله بن خفيف قال خرجت من مصر اريد الرملة فقال
لي عيسى بن يونس المصري بالصور شاب وكهل قد اجتمعا على حال فلو نظرت اليهما نظرا
لعلك تستفيد منهما قال فدخلت الصور وقصدت المسجد وكنت عطشان جوعان
وفي وسطي خرقة وليس على كتفي شي لاني كنت على الرداع في الاولى فلما دخلت المسجد فاذا
بشخصين جالسين مستقبلي القبلة فسلمت عليهما فلم يردا الجواب فسلمت ثانيا وثالثا
فلم اسمع جوابا فقلت نشدتكما بالله الا رددتما جوابي فرفع الشاب راسه من مرقعته ونظر الي
وقال يا ابن خفيف ما اقل شغلك حتى تتفرغ للقيا انسا ونظر الكهل الي وطاطا راسه
في المكان فبقيت عندهما حتى صليت الظهر والعصر فذهب جوعي وعطشي واعيا
فلما الم الليل قلت له عظني فرفع راسه وقال يا ابن خفيف نحن اصحاب المصايب ليس
لنا لسان العظة فلبثت عندهم ثلثة ايام لا آكل ولا اشرب ولا انام ولا رايتهما فعلا
من ذلك شيئا الا انهما دارا على ما اما ما الطهارة فكانا على طهر واحد فلما كان اليوم
الثالث قلت في نفسي احلفهما ان يعظاني فرفع الشاب راسه وقال يا ابن خفيف
الدنيا قليل وما بقي من القليل الا قليل فخذ من القليل الكثير يا ابن خفيف عليك
بصحبة من يعظك بلسان فعله ولا يعظك بلسان قوله والسلام عنا يا ابن خفيف
في حفظ الله ٭ وحدث بشر بن الحارث قال رايت في طريق شابا وهو يمشي مكسا و
على نفسه فتقدمت اليه وقلت يا فتى من اين قال من عنده قال فالى اين قال اليه
قلت ففيم النجاة قال في الزهد قلت فكيف الوصول قال بالمراقبة والتقوى قلت اوصني
قال استوصلت قلت نعم قال فر من الخلق وعاشل الله ما الصدق قلت فاذن لي في

صحبتك قال امرك ان تفر من الخلق واصحبك وكن خصلة واحدة ان لا انسان فلا تنسى
ومضى على وجهه واحصر ابو رستم الغانمي فتى يقتلان يلعبون فقال يا قوم احزنني عن قوم ارادوا
سفر الحجاز وابا النهار دعن الطريق وناموا بالليل حتى يبلغون مقصدهم فانتبه شاب وتنبه
على مراده واستقام على الطاعة ولزم العبادة حتى مات وقال رجل لابرهيم بن ادهم يا ابا اسحق
انا رجل اسرف على نفسي فاحب ان تحدثني شيئا فلعل الله ان يلين قلبي فيتوب علي فقال ابرهيم
ان قبلت مني اربع خصال اوصيك بها لم يضرك ما عملت بعدها قال وما هي قال اما الاولى
فاذا اردت ان تعصي الله فلا تاكل من رزقه قال فمن اين اكل قال ايحسن ان تاكل من
رزقه ثم تعصيه قال لا فهات الثانيه قال اذا اردت ان تعصيه فلا تسكن شيئا من
بلاده قال هذا يا ابرهيم اشد من الاولى اذا كان الشرق والغرب له فاين اسكن قال
يا هذا ايحسن ان تسكن بلاده وتاكل رزقه ثم تعصيه قال لا فهات الثالثة قال اذا
اردت ان تعصيه فانظر موضعا لا يراك فيه قال يا ابرهيم هذا اشد مما تقدم وهو
يعلم السرائر ويبلو الضمائر قال يا هذا ايحسن ان تاكل رزقه وتسكن بلاده ثم تعصيه
بمرأى منه قال لا فهات الرابعة قال اذا جاء ملك الموت ليقبض روحك فقل اخرني
حتى اتوب قال لا يقبل شيئا قال اذا جاءك منكر ونكير فخاصمهما بقوتك قال ما لي بهما
يدان قال اذا وقفت غدا بين يدي الله وامر بك الى جهنم فقل لا اذهب اليها فقال يا ابرهيم
حسبي حسبي وخرج بعض ملوك العجم متصيدا فتفرد عن اصحابه فيما ابتغى من تيسير صيدا يطلبه
الى قرية وحيدا فوجد في دار منها امراة شديدة صباحة الوجه وملاحة الشكل
فاعجبته وراودها عن نفسها فقالت دعني حتى اصلح من طعامك ومن امر نفسي ما تحتاج
اليه فجاءت بخوان قد اشتمل على عدة قصاع من لون واحد مما طعمه فقالت نحن
النساء كلنا على ذوق واحد فالملك لا يراقب امره ولا يصون نفسه فانزجر الملك
بكلامها واشتغل عما هم به واستعصم وركب فلما جاء زوجها قصت عليه القصة فكره زوجها
ان يقربها مخافة ان يكون للملك فيها حاجة فاعتزلها حتى استعدى عليه اهلها
اليه فقالوا اعز الله الملك ان لنا ارضا في يدي هذا الرجل فلا هو يعمرها ولا هو يردها
علينا فقال الملك ما تقول قال رأيت في هذه الارض اثر الاسد فتخوفت فقال الملك
وفهم القصة اعمر ارضك فان الاسد لا يدخلها فنعم الارض ارضك وكان السلطان الماضي محمود
بن ناصر الدين تغمده الله برحمته يفرط في اختصاص اياز التركي بنفسه وتقديمه على غيره
لحسن ادبه الاحوال في خدمته فكان يوما من الايام قائما بين يديه وهو يخاطبه

ووجهه يتغير ويتلون وهو لا يلتفت عنه ولا يلوي وجهه منه حتى طال ذلك فسأله فقال
اجد في صدري اذى فامر بان يفتش عنه فاذا عقرب في عظم جثة مثلا قد لسعته بضع
عشر لسعة فقال له لم لا تذهب وجعلت تعالجه حتى لسعتك هذه اللسعات فقال ما كان
يشغلني شي عن مراقبة اوامرك ومراعاة نوبة خدمتك ولو ان فيه ذهاب روحي وسمعي
وبصري فقال السلطان لو سخا الناس على ايثاره وتقديمه وهذا من دابه واحد
ادابه وكان لبعض الامراء غلام يقدمه على غيره تقديما شديدا ولم يكن الغلام قيمته
ولا الجمال صورة فكانوا يقولون في ذلك فاراد لهم ان يبين لهم فضله على غيره وكان راكبا
مع خيله ورجله فبدا جبل عليه ثلج فنظر الامير الى ذلك الجبل واطرق فطار الغلام
بفرسه الى ذلك الجبل ولم يلبث الا يسيرا حتى جاء بالثلج فقال الامير انما احضنه باكرامي
وافتالي لان كل واحد شغلا او شغله مراعاة لحظاتي ومراقبة احوالي وكان لبعض
ملوك الهند وزير فالتفت الى بعض الجواري او الوقفات لصوت احس فرأى الملك ذلك
فخاف الوزير ان يتوهمه نظر ريبة فمن ذلك اليوم الى آخر يومه جعل ينظر كذلك الى جانب
توهم الملك ان ذلك كان خلقة فهذا مراقبة مخلوق لمخلوق لا يعلم غير ما يظهره فكيف
مراقبة من لا يغيب عنه ما تضمره فليتحفظ من يعلم انه مرقوب وليتيقظ من يوقن انه
مطلوب * راقب الله في الامور جميعا * انما تلقاه نزول سريعا *

ان بعد الظلام ضوء نهار * ان بعد الشتاء تلقى ربيعا *
ان في التقوى والعفاف من * الآفات والغائلات حصنا منيعا *
واذا ما استقمت لله يوما * نلت ما رمت من هناك جميعا *

دخل المبرد على احمد بن حنبل بالبصرة فقال له احمد بما عنيت من العلوم قال بشيء من
اشعار العرب واخبار الناس فقال اكتب هذه الابيات

اذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل * خلوت ولكن قل علي رقيب *
ولا تحسبن الله يغفل ساعة * ولا ان ما يخفى عليه يغيب *
لهونا لعمر الله حتى تتابعت * ذنوب على آثارهن ذنوب *
الم تر ان اليوم اسرع ذاهب * وان غدا للناظرين قريب *

فوا اسفا من عارض غرور اخلف ودقه * ولامع سرور كذب برقه * ويا حسرتا على
حران يحمل اخطاء التنزه * وحران مظلم خذله الضوء *
سحاب عنا في صوبه وهو رتق * ويجرعنا في نقضه وهو مفعم

وبدا ضياء الاسلام شرقا ومغربا ۞ وموضع رجلي منه اسود مظلم
بالخيبة من خسر جنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين ۞ وبالجرأة من يخاف
اعين الناس ولا يخاف ولا يراقب ديان يوم الدين ۞ راود اعرابي امة في بعض الليالي عن
نفسها فقالت انما تستحي قال ومن ولا يرانا الا الكواكب قالت واين مكوكبها او قال
سليمان بن عبد الملك لعمر بن عبد العزيز وقد ارادا خلوته في بعض الليالي هل يرانا احد
قال نعم من لا يحتاج الى تحديق وترنيق ۞ وكان عمرو بن عبيد يوصي الناس بتحفظ وصية يا داود
وكان اوحى ان الله جعل لعباده عفوا لا عاقبهم بها على معصيته وانا بهم على طاعته و
الناس بين محسن ينعم الله عليه ومسيء يخذل لان الله اياه ولله النعم على المحسن والحجة على
المسيء فاولى من تمت عليه النعمة في نفسه ورأى العبرة في غيره ان يضع الدنيا بحيث
وضعها المعطي ما عليه منها ولا يكثر مما ليس له فيها فان الدنيا دار فناء لا سبيل الى بقائها
ولا بد من لقاء الله واحذركم الله الذي حذركم نفسه فانه يراكم وعلمكم فراقبوه ولا تخفى
عليه ما اضمرتم فاتقوه وتحملوا انما الخيرة للعجزة حتى طار والى دار ليس لهم فيها او من
ولا يقدرون فيها على توبة وانا استخلف الله عليكم واستخلفه فيكم فاما الاستقامة على
شرائط العبودية فقد قال ابو بكر الصديق في قول الله عز وجل ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا
ان معناه اخلصوا ولم يشركوا وهذا القول اشارة الى مراعاة الاصول في التوحيد وتجريده
من الشوائب فالفروع تبتني على الاصول والنبت على قدر المطر والثمر بحسب الشجر ولا يجتنى من الثمام
التمر ولا من العوسج التين ونحن متى استقرينا احوال الصديق وجدناها في غاية الصفاء ونهاية
الاخلاص في وحدانية الله والتصديق للرسول والنفي لاسباب الشك والشرك قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما احد من الناس عرضت عليه الاسلام الا كانت له كبوة غير ابي بكر فانه
لم يتلعثم اي لم ينتظر ولم يتمكث وقالت عائشة توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فوالله لو
نزل بالجبال الراسيات ما نزل بابي لهاضها اشرأب النفاق وارتدت العرب فوالله ما
اختلفوا في نقطة الا طار ابي بخطلها وغنائها في الاسلام انه كان والله لا نعلم الا بذي و
مات قام علي عليه السلام على باب البيت الذي هو مسجى فيه فقال كنت والله للدين يعسوبا اولا
حين كفر الناس واخرا حين فشلوا وطرت بعنانها وفزت بحبائها كنت كالجبل لا تحركه العواصف
ولا تزيله القواصف فكانت الاستقامة التامة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم للصديق في
خروج من الدنيا بعد استخلاص جزيرة العرب عن الشرك والالحاد للتوحيد على صورة عبد
اخلص الولاية لمولاه وعلم ان عباده كلهم قد اعرفوا عن طاعته وجنفوا الى مخالفته فحمله

بجملة الصدق في دينه وطريقه الاستقامة على امره وخلق الوفاء بعهده حتى علم ان الله لا
لا ينقضهم والذي لا يردعهم على مجاهدتهم بالسيف فعل الطبيب المجرب الذي خاف انسياب الداء العضال
على نفس العليل وعلم ان السبيل الى العلاج هو الكي والانضاج فاوقع بصناديد المرتدين تدريجا
الى استنقاذ الجمهور من الهلاك موقنا ان الله وان تقبل على اخوانه المؤمنين بتجردهم في هذا
الجهاد مع انفار الناس واجناد العرب وقد اوحى واوهن اضدادهم فرهب المعهد في مصيبة
رسول الله فانهم متى سمعوا بنصرة الحق اختيار الملوك لحيد عقبى الامر لهم بكيت فيستقيموا
على الحق ويستولوا على نصب الجهاد فكونه حال القيام امر الدين على تدبير بعد الثناء شبهها
بحال الانشاء بعد الاخلال والعافية عقب السقام ۞ وحتى يروي انه لما شيع خالد بن الوليد
في توجهه الى قتال مسيلمة باليمامة ونظر الى الاستقامة جنده على الدين وتجردهم عن الدنيا
احب عز وجهم على الدنيا على تلك الاستقامة قبل ان يصلوا الموعد وقال اللهم فنا بالطعن
والطاعون اذ كان الشام بلاد الطاعون فاجتمعتم في خروجهم ذلك على الاستقامة ۞
وكان ابو بكر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اول المستقيمين على شرائط العبودية وافضل
المخلصين في احكام التجريد والتسليم ۞ وقد فسر ابو بكر الحجي تفسير ابي بكر الصديق الاستقامة
بالاخلاص في التوحيد والتبري من الشرك فقال نفوس الموحدين نفوس تمت عن جميع ما لحظ من
نعوتها وصفاتها واستقصت كل ناح منها وانقطعت عن الشواهد والعوائد وعجزت عن اظهار
الدعاوى بين يدي مالك اسمعت قوله ولا يشرك بعبادة ربه احدا وقال عمر في قوله جل وعلا ان الذين
قالوا ربنا الله ثم استقاموا انهم استقاموا بالطاعة وعضوا بالنواجذ على دينه ولم يروغوا
روغان الثعالب اشارة الى شدة التوقي والتحرز بين الرخص والتجوز وكان يحدث عن نفسه وعن
عن حاله كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في وصفه فلم ار عبقريا يفري فريه ۞ وذكره عمرو بن العاص
بهذا التحرز والاحتراز عن الدنيا بعد ان القت اليه مقاليدها وملت في يديه معانيها ه
فقال ابن خيثمة بحب له الدنيا افلاذها والقت اليه افلاذ كبدها والقت له عن محبتها او الطمه
نحمتيها وامطرت له جودا انا منه شعابها ودفقت في محافلها فقص منها مضا وقصر منها
قبيصا وجانب غرتها ومضى خماصا وما ابتلت قدماه ۞ وقال حذيفة بن اليمان في نزاهة
عمر عند توغل الناس في الدنيا وانتقالهم عما كانوا عليه من التقشف والتصون تركنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم ونحن متوافرون مستقيمون وما منا الا ان احد لو فتش الا فتش عن عجائبه او منقلة
الا عمر وابن عمر ومن العجب شهادة ثابت بن قرة الحراني بفضل عمر من هذه الجهة على غيره وهو رجل
صابئ غير مؤمن بحقية الملة الحنيفية ۞ والفضل ما شهدت به الاعداء ۞ قال فضلت امة النبي العربي

على جميع الامم الخالية بثلثة لا يوجد لهم نظير بعمر بن الخطاب فانه تم لطفاء العجم ولطف في ايالة
العربية فاتى لتدبير الامور وابن الدنيا اجلبا باو فتح لها ابوابا وهيا اشرايط واسبابا باقية
انوارها لغير غافية اثارها فلم يرزا من جميع المغانم شيئا ولم يونل لنفسه واهليه منا لا
وبحيث عصمه بالزهادة والقناعة التي لا يحتمل اليها نفس مع التمكن والقدرة والسلطان
والسطوة والدولة والهيبة والطاعة والاجابة وفتح الدنيا بالدين واغان الدين على الدنيا
ودارى في موضع المداراة وما رايى في موضع المماراة واظهر الضعف مع قوة واظهر القوة مع رافة
فذلت له القلوب وخضعت له الرقاب وشاحبة الامثال بحجته وشامرت الالسنة بالثنا
عليه لو بيقظته وراحته للدوق وقسوته للرحمة ومنعه للعطا وهيبة للعبرة وقوله
للقابلة وشيه للاغاثة فيفض الليل بنفسه عن اهل الريبة ويحيى النهار بعدله عن ظلمة
الجور والشرارة تعرفه في كل امر بتقصير ولا يرضى بيذل لمجهوده فناب يحدث بالغايب المحي
محدث مروع لا يبتو اليقين ظنه ان اتاني لم يتبدل وان قال لم يحتمل وان تواضع لم يزد الا علو
بتناسب في اموره تتشابه مستقيم على الصدق مقيم للحق ليله كنهاره وسره كجهاره وباطنه
كاظهاره وعلانيته كسره لا يقفوه قاف ولا يخرج من السواد ولا يلحقه لاحق وان ذكر كعب
الجواد والحسن البصري فانك اذا وقفت على كلامه ومواعظه وزهده وحكمته عرفت علو درجته
وسلطان دينه وقوة عقيدته واستقامة طريقته وانتقال مرتبته ونقاء طويته
مع الفقه في الدين والصلابة المتين والاحتساب العظيم وابو عثمان الجاحظ فانك لم تجد مثله
وان رايت رجلا اسبق في ميدان البيان منه ولا ابعد شوطا ولا امد نفسا ولا اقوى منه
اذا اقبل سيله بمحل وجد البليغ المشهور وكل لسان المسحنفر الصبور واشيح بحر العلم الزاخر
الجيور ومتى رايت بباحة كلامه رايت سحرا كثير الوشي قليل الصنع بعيد التكلف قريب
المجتنى حلو المذاق عذب المساغ بديع الحلي مليح العطل له سلاسة كسلاسة الماء ورقة
كرقة الهوا وحلاوة كحلاوة الباطل وغرة كغرة كليب بن وايل فسبحان من سخر له البيان
وعلمه وسلم في يديه قصب البرهان وقد جمع الاتساع البحري والاستعارة الشابة
والكفاية البائنة والصريح المنقى والتعريض الجنى والمعنى الجيد واللفظ الفخم والطلاوة
والحلاوة ان جد لم يسبق وان هزل المرح وان قال لم يعارض وان سكت لم يعترض هذا قولي
الصادق وانتم في الاثنين الاخرين اسابعة على ما عن لنا واتصل بكلامنا فان وقع سوا
لرايكم فاعتقدوه واكتبوه وان يقع بكلام ذي حرمى عن كلمات المسلمين فدعوه لغيركم ۞ ۞
فلا الكرخ الدنيا ولا الناس قاسم عذل الى تفسير الاية قال ابن عباس في تفسير هذا استقاموا

اداء ما افترض عليهم وقاموا على الصدق فيما بدلوا من انفسهم وهذه اشارة الى الخروج
عن المعهود او مفارقة الرسوم والعادات حتى قال بعض الصالحين الاستقامة في التعبد هو
اتيان ما وظف الحق تعالى على شرط الواجب وشرط الواجب الاتيان به على غير ملاحظة العوض
فان من عبد الله على معوضة بطل العمل لم يكن عبدا شاكرا بل كان تاجرا مربحا ومما
مستكثرا ۞ واذا جعلت الفضل وصلة غيره ۞ ادخلته في حيز النقصان ۞
وقال بعض الصوفية الاستقامة ما زان والاعوجاج ما شان وقال بعضهم ان الروح سماوي
خلقت للطاعة وان النفس ارضي خلقت للشهوة قال الله تعالى ان النفس لامارة بالسوء فهذا
خلقها ودابها الامارة ربي فقهرها بالنور الوارد على القلب فعند ذلك ينشرح الصدر ويقع
النفس ويتخلص الروح من اسرها ويتعلمها به وهذا العلم ما يوجل القلب عند اشراق هذا النور عليه
ويكون هذا الوجل من اللوائح واللوامع كما قالت عايشة انما الوجل في القلب كاحراق السعفة
اي لا يكاد يلبث طويلا لا انه يقين ولذلك قال محمد بن الحنفية الايمان ثابت واليقين خطرات وهذا
لاهل القصد والاستقامة فاما العارفون المقربون فهذا لهم دايم وهم الذين يذكرون الله على
كل حال لا يقطع ذكرهم وقلوبهم ابدا وجله لانه بنور يقينهم قد صارت قلوبهم بين يديه يعبدونه
كانهم يرونه كلهم في قلبهم وقلبهم عند ربهم سئل ابو جعفر الشاشي عن الغريب فقال الذي يطلبه
رضوان في الجنة ولا يجده ويطلبه مالك في النار ولا يجده ويطلبه جبريل في السموات
ولا يجده ويطلبه ابليس في الارض ولا يجده فقال له اهل المجلس فقد تفطرت قلوبهم بابا
جعفر فاين يكون هذا الغريب قال في مقعد صدق عند مليك مقتدر فضج الناس بالبكا
قال ذلك القايل الاول وكذلك اهل القصد والاستقامة تقشعر جلودهم لانها نفوس لا تحمل
ما يرد على قلوبها فيقشعر منه جلودها فاما العارفون الا لمعون فلا يعتريهم هذا لان
نفوسهم قد اطمانت الى رؤية الملكوت ومرنت على ذلك واعتادته ومثل ذلك مثل جرة لم يصبها
الماء فاذا وضعتها في الماء انشفت وسمعت لها نشيشا فاذا تكرر وورود الماء عليها
واعتادته وشربت منه لم يسمع ذلك النشيش لانها قد تشربت من الماء وارتوت فكذلك
العارف قد ارتوى من سقيا الله فلا تعتريه في الوجل والاشفاق والقلق والاضطراب ما
يعتري قال اشهر حكماء الاوايل ما زلت اشربه ولا ارتوي فلما عرفت الله وتبسمت عن شرب
وسكرت من غير خمر ۞ وقوم من الخمر يصحو بعد سكرته ۞ وشارب الحب حتى الموت سكران ۞
ذاك الذي سكره بروبه من عطش ۞ وذاك وعلى سكره ما عاش عطشان ۞
اعني الشارب بين الكاسين فاما ۞ يروي اخو العشق والمعشوق ريان ۞

فهذا في الشعر على معنى ما في حكمة الاوايل وما في كلام الاوايل على ما في اشارات الصوفية وفي
الصوفية شقيقة طرايق الفلاسفة وهذه كتبهم في الالهيات مشحونة باجزاء هذه الرموز و
الاشارات وبالجملة الحكمة مشاعة بين الخلق لا تنسب الى جيل ولا تقف على قبيل وانما حظوظ
الخلق فيها على اقدار مشاربهم منها وقال يحيى بن معاذ المستقيم من سعى في طاعة الله من غير علاقة
ونظر للعامة من غير طاعة وتعبد بقلب وجل واعتبر بما يرى من غير شهوة وتفكر من غير غفلة
وقال ابو علي الجوزجاني كن صاحب الاستقامة لا صاحب الكرامة فان نفسك متحركة في طلب الكرامة
وربك يطالبك بالاستقامة وقيل بين الطالب من الاستقامة اي طلبوا من الله ان يقيمهم
على حق العبودية وقال ومن استقامة قلب العبد ان لا يطلب من غيره شيئا ولا يسال الا
ما كفاه ٭ دخل سالم بن عبد الله مع هشام بن عبد الملك في البيت فقال له هشام سل حاجتك قال
اكره ان اسال في بيت الله غير الله ٭ قيل لرابعة العدوية لو كلمت اهلك ان يشتروا لك خادمة
تكفيك بعض مؤنة بيتك فقالت اني لاستحي ان اسال الدنيا من يملكها فكيف اسالها من لا يملكها
واشتمل حبس ابي جعفر المنصور على جماعة من الشيعة وفيهم رجل من الاندلس واتفق ان الحجاب غاب عنهم
ليلة العيد فقيل لهم من كانت له حاجة فليكتب بها رقعة الى اهله فان الباب يغلق فعمد كل
منهم الى حاجته فكتب وعمد الاندلسي الى قطعة رق فكتب فيها بسم الله الرحمن الرحيم
الى الله تبارك وتعالى من عبده وابن عبده فلان بن فلان اللهم اذكرني حيث نسيت وغاب عني حيث
بليت وصلني كما حييت قال فانتصف الليل حتى جاءنا فرع رسول المنصور الباب واخرج الرجل
وادخل على المنصور فقال له اسهرتني الليلة ثم ارتد فقال على النور وعليك التغير حيث
في ان احببت قوما بهم جلست هذا المجلس قال اذهب الى اي بلاد الله شئت ٭ وقال
ابن عطا الاستقامة في العبودية هو الوفا بالعهود والحفظ للحدود والرضا بالموجود والصبر على
المفقود ولا يعظم المستقيم من لا يريد ولا يختار ولا يكره وانما يرد عليه من الجبار ولا يحط رحله
من اودية الاجتهاد في وادي الاعجاب ولا ينظر الى النفس ولا يغتر بالاحوال وهل يهمد البلاء سوى
النظر الى النفوس والاعتماد على الاحوال فانه وكل ايهما فهو درك الشقا وفي درك الشقا شماتة
الاعداء ٭ اقول الكاد اليوم ان ابلغ المدى ٭ فيبعد عني ما اقول اكاد
فالى جهادي عزلتي مقصر ٭ وعجزي عن طول الجهاد جهاد
وان جاي عودة منك بالرضا ٭ والا تحظي في المعاد بعاد
وقيل لبعض الزهاد في الهند ممن اقتنيت استقامة سيرتك في النسك فقال من عرق حيوان
شاهدتها فاقتفيت اثرها كالنحلة التي لا تعمل عجزا تاوي اليه وانما تاوي اذا احتلبت الى عمل

غيرها فكذلك اذا احتجت الى ظل او كن للمبيت نزلت حيث وجدت ظلا او كنا ورايت حداة
مع قطعة من اللحم قد احتوشتها الطيور وآذتها فالقتها فاستراحت ورفضت الدنيا ونجوت
ورايت النحل يقع على الزهر فياخذ انظف ما فيها من غير ان يفسدها او ينقصها شيئا فاحتذيت
من كل شيء احسنه ورايت الديك الحربي يقع على الشطوط وحده بلا زوج ولا قرين فتسليت عن الناس
ورضيت بالوحدة ورايت مومسة تزين نفسها وتجلس على الحائط طامعة فيمن يرغب فيها فاذا
هدات العيون وانقطع المرء رجعت آيسة واستراحت من عذاب الرصد فقنعت وآيست من الناس و
نظرت الى امراة عجوز في يدها اسورة عاجية تصعد وتنزل فيسمع لها صوت فنزعت واحدة بعد
آخر وهي بينها في شغل وعناء الى ان عمدت فنزعت بعضها فخلصت فطلبت الراحة باخراج الملك من
اليد ورايت راميا ارخى احدى عينيه لتقويم السهم وجمع نظره اليه وقوته فسكر وهو لا يشعر
فصرفت قلبي بكليته على خط مستقيم الى الواحد الحق الاول الآخر الباطن الظاهر ولم ازدد وقفت
وقال بعض الحكما استمرت الملل من دعوة الرسل الى العدل الحكيم لجموح الانس فزيد لمستعمل ما
جاءت به الرسل بعد النفع العظيم في الدنيا من انتظام الامور الاجر الجزيل في الآخرة فزيد للعمل
من يستعملها الدرجات التي حصوا بها فتراهم يولون بوجوههم شطره فانظر الى الحكمة من الرحمة والنعم
ثم اقام واستقم ٭ وذكر الجنيد انه راى شابا من المريدين في البادية تحت شجرة من ام غيلان
فقلت ما اجلسك ها هنا قال حال افتقدته قال فمضيت فلما انصرفت من الحج وجزت بالموضع
اذا انا بالشاب في موضع قريب من الشجرة فقلت ما جلوسك ها هنا فقال وجدت ما كنت اطلبه
في هذا الموضع فلزمته ولزوم العبد آثار العبودية اقامة والتزام احكام الربوبية استقامة كما
ان لزومه آداب الشريعة عبادة والتزامه احوال الطريقة عبودية والعبادة لمن له علم اليقين
والعبودية لمن له عين اليقين والعبودة لمن له حق اليقين فمن لم يبخل بنفسه له فهو صاحب عبادة
ومن ضن بقلبه عن غيره فهو صاحب عبودية ومن بذل له روحه في محبته فهو صاحب عبودة وقيل
لا يستقيم العبد في العبودية الا ان يخلع رداء الربوبية ويتبرا من الحول والمنة ويتولى الى
ظل الطول والمنة وقيل العبودية ان تسلم اليه كلك فاذا صار كلك له صار كلك عليه و قال
الجريري عبيد النعم كثيرون وعبيد المنعم قليلون وهم المستقيمون الذين عزوا من النعم اليه و
يطمئنون في الاشغال اليه فهم خيرة الله في الارض الذين لا يابهون لا ابه لما انصرف عمر بن عبد
العزيز من دفن سليمان بن عبد الملك وكان قد عهد اليه بالخلافة صفقت له مراكب سليمان ليركب منها فانشد
ولولا التقى ثم النهى خشية الردى ٭ لعاصيت في حب الصبا كل زاجر
قضى ما قضى فيما مضى ثم لا ترى ٭ له صبوة اخرى الليالي الغوابر

ثم قال ما شاء الله لا قوة الا بالله قربوا تعالى

المجلس الثاني والسبعون من كتاب خلق الانسان تفسير قوله عز وجل وفي انفسكم افلا تبصرون ۞ يشتمل على الخلوة والعزلة ۞

بسم الله الرحمن الرحيم

الاعتماد على فضل الله وطوله والاستناد الى قوته وحوله والاعتضاد بعونه وعنايته و
الاعتداد بلطفه ورعايته والاستغاثة باحسانه وعفوه والاستعاذة من بأسه وسطوه
والانذلال في رضائه باقطع الاستطاعة والاعتراف لجلاله بالعجز عن اداء واجب الطاعة و
الاعتزال عن الجميع الى فنائه باخلص الرجوع والانثيال من الاسور على دعائه باصدق الخضوع فهو
الذي يغفر الذنوب ويستر العيوب ويغيث المكروب ويعز الجحد ويهيض الجناح ويجبر الكسير
ويرحم الاسير ويسهل العسير وينصر المضطهد الضعيف ويونس المستوحش اللهيف يسقي البلاد و
العباد ويرد كيد الحساد ويعطي الاعمال اليوم المعاد يكفي المهمات ويمحو السيئات ويقبل الصدقات
ويشكر على الحسنات يهدي الى الحق سبيله ويأتي بالفوز دليله ويطلع الصدق على لسان وليه
وينبع الحق من فؤاد عارفيه ويونس بنور اليقين فؤاد من خلا بالفكر فيه خاطره ويقرب ورود
البصير طرفه من جال في ملكوته ناظره احمده ثناء عليه والثناء اصدق قيلا واعتزل
عما اثابه اليه ولا اتابع الهوى سبيلا واشكره شكر العارفين بعدد العارفة بغوايتها الالسن
الواصفة واصلي على عبده ورسوله ارشد الانبياء دليلا واحمدهم سبيلا واوسعهم في اداء الرسالة
باعا وابسطهم بعيب النبوة ذراعا واصدعهم مما جاء به حجة وابينهم الى ما دعا اليه محجة واوسعهم
في الحق خطوة وافرعهم على الخلق حظوة اصلي عليه في ليلي ونهاري وعشيي وابكاري صلوة
تطيب وتفوح وتغدو وتروح صلوة ليس لمزيدها انقطاع ولا لمديدها انسلاخ واسلم تسليما
لا يبقى لمن آثر الله على من سواه من العزلة في ابتغاء آية توحشا من غير الله ومن الخلوة في اتمامه
انسا بالله والتصوف شجرة اسقي عروقها من منبع التفرد وجمع غصنها من منبع التوحد قد
انبتها الله في قرارة الفقر وحفها والطلع من زهرة الفاقة ثمرها وجعل الانقطاع عن غيره
من زيها الصافي والانس به وصل من ظلها الصافي والاعتصام بحبله من اوسع رغابها
والتصرف على حكمه من اطيب جناها ۞ قال ابو عثمان المغربي من اختار الخلوة على الصحبة ينبغي
ان يكون خاليا من جميع الاذكار الا ذكره وعن جميع الارادات الا امره وعن جميع مطالبات النفس الا
حكمه ۞ وقال يحيى بن معاذ انظر انسك بالخلوة معاد في الخلوة فان كان انسك بالخلوة ذهب انسك
اذا خرجت منها وان كان انسك به في الخلوة استوت بك الاماكن في الصحاري والبراري وقال الوراق

جليس

جليس الصديقين وانيس الصادقين وقال العبادة حرفة وحوانيتها الخلوة ورأس مالها الاجتهاد
والسنة وربحها الجنة ۞ وقال ابو عبد الله الرملي ليكن خدنك الخلوة وطعامك الجوع وحديثك
المناجاة فاما ان تموت واما ان تصل ۞ وكان الشبلي يصيح ويقول الافلاس الافلاس فقيل وما الافلاس
قال الاستيناس بالناس ۞ وحدث ابو العباس الدامغاني قال اوصاني الشبلي وقال الزم الوحدة وامح
اسمك عن القوم واستقبل الجدار حتى تموت ۞ ودخل شعيب بن حرب على مالك بن مغول وهو في داره
بالكوفة جالس وحده فقال له انا تستوحش في هذه الدار وحدك فقال ما كنت اظن احدا يستوحش مع الله
وعن خلف بن ابراهيم قال جئت لاطلب ابراهيم بن ادهم في يوم مطير فطلعت الدار فاذا هو قاعد تحت الرباب
وقد تقرب الوكف فلما نظر الي قال ارض بالله صاحبا وذر الناس جانبا ۞ وكان الفضيل بن عياض
يقول كفى بالله محبا وبالقرآن مونسا وبالموت واعظا ۞ وقال ابو الربيع الزاهد لداود الطائي اوصني
فقال صم الدنيا واجعل فطرك الاخرة وفر من الناس فرارك من الاسد واتخذ الله مونسا ۞ وقال ابو
يزيد من عرف الاخرة فليس له في الدنيا رغبة ومن عرف الدنيا فليس له في العيش حلاوة ومن
عرف الله فليس له مع الخلق لذة ۞ ومن بعض الحكماء توحد فانك ان فعلت وطلبة الاعين وطية الارجل
وانشد ۞

عليك باقلال الزيارة انها ۞ تكون اذا دامت الى الهجر مسلكا ۞
فاني رأيت الغيث يسأم دائبا ۞ ويطلب بالايدي اذا هو امسكا ۞
وطول مقام المرء في الحي مخلق ۞ لديباجتيه فاغترب تتجدد ۞
فاني رأيت الشمس زيدت محبة ۞ الى الخلق ان ليست عليهم بسرمد ۞

وقال بعض الحكماء انما يستوحش الانسان بالوحدة وخلاء ذاته وعدم الفضيلة من نفسه فيتكثر
حينئذ بملاقاة الناس ويطرد الوحشة عن نفسه بالكون معهم فاذا كانت ذاته فاضلة ونفسه
كاملة طلب الوحدة ليستعين بها على الفكرة ويتفرغ لاستخراج العلم والحكمة ۞ وقال بعضهم انسلخوا من
جلودكم انسلاخ الحيات ودبوا دبيب الديدان وتجرعوا الذعاف تعيشوا واستحيوا الملمات تحيوا
وطيروا ولا تحدوا واوكروا قصير الطير اوكارها كونوا اغناما مع الغنم الجنادل المحمية وسماد ل
نفسي الديدان المنطرحة وشاهين بسيط العظام البالية خفافيش لا تبرز نهارا الخفاء الطيور
خفافيشها وجانبوا الناس مجانبة السباع الضارية فما اكثر ما يقولون واقل ما يفعلون
وما اكثر ما يسمعون واقل ما ينتفعون وشر المقال ما ضاع وبالله الاستعانة وعن الناس البراءة

ومن سلك غير هذا الطريق ضل وذل ۞ ابن هرمة ۞
ان السباع لتهدى عن فرائسها ۞ والناس ليس يهاد شرهم ابدا ۞
الله يعلم اني حين ابصرهم ۞ ارى اناسا ولكن لا ارى احدا ۞

بلوت أخلاء هذا الزمان * فأقللت بالهجر منهم نصيبي
وكلهم إن تأملتهم * صديق العيان عدو المغيب
ودبت اخواني لاسره * تكفني خبرتي وتجريبي
فكلهم أروغ من ثعلب * وكلهم أغدر من ذيب

البستي: دعني فلي أخلاق ديباجي * ولست أبدي للورى حاجتي
مثل التي تحفظها مترفي * وباجتي تكرم ديباجتي

القاضي ابو الحسن: ما تطعمت لذة العيش حتى * صرت في وحدتي لكتبي جليسا
ليس شيء اجل عندي من نفسي * فلا ابتغي سواها انيسا
انما الذل في مداخلة الناس * فدعها وعش كريما رئيسا

عبد الصمد الطبري: ولقد درست فما ابتغي لابسا * حلل الغنى الف الفطا الاخرسا
لم ادرع طمعا ولم امدد يدا * عز النوال ولا انجرت فلوسا
واذا اردت منادما لم القني * الا على عز العلوم حريصا
فترى الكتاب مجالسي ومودعا * سمعي فصولا لملتقي ونصوصا
لا مغنيا اشري ولا مستمرئا * جمهم اللقا ولا اعلي خروصا

ابو سليمان الخطابي: اذا خلوت صفا ذهني وعارضني * خواطر كطراد البرق في الظلم
وان توالى صياح الناعقين على * اذني عرتني منه حكلة العجم

الفقيه ابو الحسن البيهي كان الشيخ
الف باقلي وريق عن زيت * واصطبارا على لزوم البيت
خوشتر از بارتبت شادي باد * افضل من اشتها لعل وليت

منصور الفقيه: قد اولع الناس بالتلاقي * والزهد لي فيهما
وانما منهم صديقي * من لا اراني ولا اراه

كن لقعر البيت حلسا وارض بالوحدة انسا * لست بالواجد خلا او ترد اليوم امسا
ما راينا احدا سوى * على الخبرة فلسا
وقال
الناس بحر عميق والبعد منهم سفينه * وقد نصحتك فانظر لنفسك المسكينه
كل من اصبح في دهرك من قد تراه * فهو في خلفك مقراض وفي الوجه مرآه
ما اكثر الناس لا بل ما اقلهم * الله يعلم اني لم اقل فندا
اني لافتح عيني حين افتحها * على كثير ولكن لا ارى احدا

وفي بعض

وفي بعض الآثار وجدنا خير الدنيا والآخرة في الخلوة والقلة وشرهما في الكثرة والخلطة وفي بعضها اذا اراد الله ان ينقل العبد من ذل المعصية الى عز الطاعة آنسه بالوحدة و اغناه بالقناعة وبصره بعيوب نفسه ومن اعطي ذلك فقد اعطي خير الدارين ورأى اياس بن قتادة العبشمي شيبة في لحيته فقال ارى الموت يطلبني واراني لا افوته اعوذ بك من فجاءة الامور يا بني سعد قد وهبت لكم شبابي فهبوا لي شيبي ولزم بيته فقال له اهله تموت هزلا فقال لان اموت مؤمنا مهزولا احب الي من ان اموت منافقا سمينا ۞ وقال عمرو بن عبيد للمنصور ان الله اعطاك الدنيا باسرها فاشتر نفسك منه ببعضها وان هذا الذي اصبح بيدك لو بقي في يد من كان قبلك لم يصر اليك فاحذر ليلة تمخض بيوم هو آخر عمرك فبكى المنصور ثم قال سل حاجة قال نعم يا امير المؤمنين لا تعطني حتى اسألك ولا تدعني حتى آتيك ۞ وقال عيسى بن موسى امير الكوفة لابن شبرمة القاضي قاضي ابي لا تغشانا فيمن يغشانا قال ان جئتك قربتني فتنتني وان اقصيتني احزنتني وليس عندي ما اخافك عليه ولا عندك ما ارجوك له ۞ ويحكى ان الرشيد طاف بالبيت فوطئ جرادة فلم يدر ما عليه فيها فبعث المأمون الى الفضيل بن عياض فسلم عليه وقال امير المؤمنين يقرأ عليك السلام ويقول ان الينا حاجة فاحب ان تصير الينا فلم يجب الفضيل فرجع المأمون وقال انه رجل احمق فسر به اليك حاجة فقام الرشيد مغضبا حتى وقف على الفضيل فقال له رحمك الله قد كان الواجب ان تأتينا وتعرف حقنا اذ ولانا الله اموركم وصيرنا الحكام عليكم وانا بين عزيمة بكم واذ لم تأتنا فقد اتيناك اني وطئت الآن في الطواف على جرادة فما ديتها فبكى الفضيل بكاء شديدا حتى علا صوته وقال اذا كان الراعي يسأل الغنم هلكت الغنم وانما يجب على الراعي ان يرتاد لغنمه آمن المرعى واجود الكلأ واعذب الماء فاذا كنت يا امير المؤمنين عن معالم الدين غافلا فلا فائدة في فتوى عن تلك فخجل الرشيد حتى عرق وانصرف ۞ وكان اهل الادب لا يقربون مجالس الخلفاء ولا يسعهم فاذا قيل له في مزاحمة معيشته وحرمته مطمح مما نال اهل السلطان من نعيم خفض العيش ورغد الحيوة انشد ابياتا:

تلوم على ترك الغنى باهلية * زوى الدهر عنها كل طرف وتالد
ترى حولها النسوان يرفلن في الكسا * مقلدة اجيادها بالقلائد
ايسرها اني نلت ما نال جعفر * من الملك او ما نال يحيى بن خالد
وان امير المؤمنين اغصني * مغصهما بالمرهفات البوارد
دعيني تجئني منيتي مطمئنة * ولم اتجشم هول تلك الموارد
فان جسيمات الامور مشوبة * بمستودعات في بطون الاساود

ومن شعر عبد الله بن طاهر كيف عيش امرئ له كل يوم ... علم دون بابه منشور

واذا الريح حركت صوت طبل ... من بعيد فقلبه مذعور

يا غنيًا عن العساكر والبعث ... هنيئًا لك المقيل الوثير

ومما يؤنس بالعزلة ويوحش من الخلطة ما يحكى عن الحسن انه قال كلمات احفظهن من التورية قنع ابن آدم فاستغنى اعتزل الناس فسلم ترك الشهوات فصار حرًا ترك الحسد فظهرت مروته صبر قليلا فتمتع طويلا وكان سفين الثوري يقول هذا وقت السكوت وملازمة البيوت وحكى بعضهم قال كنت في سفينة ومعنا شاب من العلوية فمكث معنا سبعًا لا نسمع له كلامًا فقلنا يا هذا قد جمعنا الله واياك منذ سبع ولا نراك تخالطنا فانشأ يقول

قليل الهم لا ولد يموت ... ولا امر يحاذر ان يفوت

قضى وطر الصبى وافاد علمًا ... فغايته التفرد والسكوت

وكان الفضيل يقول اني لاجد للرجل عندي يدًا اذا لقيني ان لا يسلم علي واذا مرضت ان لا يعودني وكان سعد بن ابي وقاص وسعيد بن زيد اما يوصيهما بالعقيق فلم يكونا يأتيان المدينة للجمعة وغيرها حتى ماتا وقال اسحق بن ابرهيم لو لم يكن في العزلة اكثر من انك لم تجد اعوانًا على الغيبة لكفى وفي العزلة السلامة من آفة الرياء والتصنع للناس واستعمال المداهنة معهم والمواربة في رضاهم ومنها السلامة من المآثم والمنكر تراه فلا تغيره والامان من غوايل اهله وغايلهم اذا غيرته قال الفضيل من خالط الناس لا يسلم من احد اثنين اما ان يخوض معهم اذا خاضوا في الباطل او يسكت اذا رأى منكرًا فيأثم ومنها السلامة من آفات النظر الى زينة الدنيا وزهرتها والاستحسان لها والتذاذ بما فيها من زبرج غرورها ومنع النفس عن التطلع اليها والاستشراف لها ومن مخالطة اهلها ومنافستهم عليها قال الله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجًا منهم زهرة الحيوة الدنيا لنفتنهم فيه وقال صلى الله عليه وسلم انظروا الى من هو دونكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم وانشد

اذا كنت تهوى ان تسر فلا تكن ... على حالة الا رضيت بدونها

ومن عز العزلة وفوايدها انها خاتمة عنك ذل الاماني وقاطعة رق الاطماع ومغنية عن الناس وحق ما قال من قال من آثر العزلة حصل العز لو قيل العزلة عن العامة مروة تامة وقيل معاشرة الاشرار يورث سوء الظن بالاخيار وفي العزلة انها تستر الفاقة وتكشف جلباب التجمل والتجمل من شيم الاحرار وشمايل ذوي الاخطار وانشد

ولا عار ان زالت عن الحر نعمة ... ولكن عارًا ان يزول التجمل

ان الكريم ليخفي عنك خلته ... حتى تراه غنيًا وهو مجهود

كم فاقة مستورة بمروة ... وخصاصة مطوية بتجمل

لو يود الم الملابس لم يجد ... بيض الثياب على امرئ في محفل

وفي العزلة انه معينة لمن اراد نظرًا في علم او اثارة لدفين رأي واستنباطًا لحكمة لان شيئًا منها لا يتم الا مع خلاء الذرع وفراغ القلب ومخالطة الناس ملغاة ومشغلة وقال بعض الحكماء من الطيور من جعل اجتماعه في اعتزال العمران والمواضع النائية عن الناس فليتشبه به من اراد النظر في كتب الحكمة ولما اخذ محمد بن الحسن الشيباني في تصنيف الجامع الكبير خلا في سرداب وامر اهله ان يراعوا امر غذائه ووضوءه فيقدموا اليه حاجته منهما ولا يوردوا عليه شيئًا يشغل خاطره واقام في خلوته وكيلا وفوض اليه امره كله ثم اقبل على تصنيف الكتاب فلم يتم الا جل نزل اليه حتى وضع بين يديه فانكره فقال لمن انت فقال انا صاحب الدار ابتعتها من فلان يعني وكيله فاحتاج الى الانتقال وقال بعض الاحيا لا يتمكن احد من الخلوة الا بالتمسك بكتاب الله والمتمسكون بكتاب الله هم الذين استراحوا من الدنيا بذكر الله الذاكرون بالله عاشوا بذكر الله وماتوا بذكر الله ولقوا الله بذكر الله وقيل لبعض العباد ما اصبرك على الوحدة فقال ما انا وحدي انا جليس الله جل وعز اذا شئت ان يناجيني قرأت كتابه واذا اردت ان اناجيه صليت وقيل لبعضهم الى اي شيء افضى بكم الزهد والخلوة فقال الى الانس بالله وحكى سفين بن عيينة قال لقيت ابرهيم بن ادهم في بلاد الشام فقلت يا ابرهيم تركت خراسان بلادك قال ما تهنأت بالعيش الا ههنا افر بديني من شاهق الى شاهق فمن رآني يقول موسوس او حمال او ملاح وقيل للحسن يا ابا سعيد ههنا رجل لم نره قط جالسًا الا وحده خلف سارية فقال الحسن اذا رأيتموه فاخبروني فنظروا اليه ذات يوم فدلوا الحسن عليه ومضى الحسن اليه وقال له يا عبد الله اراك قد حببت اليك العزلة فما يمنعك من مجالسة الناس فقال امر شغلني عن الناس قال فما يمنعك ان تأتي هذا الرجل الذي يقال له الحسن فتجلس اليه فقال امر شغلني عن الناس وعن الحسن فقال الحسن وما ذاك الشغل يرحمك الله قال اني اصبح وامسي بين نعمة وذنب فرأيت ان اشغل نفسي بذكر الله على النعمة والاستغفار على الذنب فقال له الحسن يا عبد الله انت عندي افقه من الحسن فالزم ما انت عليه وكان الفضيل يقول اذا رأيت الليل مقبلا فرحت به وقلت اخلو بربي واذا رأيت الصبح ادركني استرجعت كراهية لقاء الناس وان يجي من يشغلني عن ربي ومن آفات المخالطة التمضمض باعراض الناس والتفكه بمغابيهم والاستراحة بغيبتهم بذكرهم فان خاضوا فيه اثمت وان سكت شاركت فالمستمع احد المغتابين ومنها لزوم الامر بالمعروف

والنهي عن المنكر اللذان السكوت عنهما معصية والوفا بهما تعرض لصنوف من المكروه
ربما يجر طلب الخلاص منه الى معاص اكبر مما نهى عنه وقل ما يخلو الامر فيه من اثارة الخصومات
وتحريك غوايل الصدور ⁂ وكم سقت في آثاركم من نصيحة ⁂ وقد يستفيد البغضة المتنصح
وما مثله الا كجدار مايل يريد الانسان ان يقيمه فيوشك ان يسقط عليه نعم لو وجد
اعوانا يمسكون الحايط حتى يحكم بدعمه استقام وانت اليوم لا تجد الاعوان فدعهم وانج براسك
ومنها ان من خالط الناس داراهم ومن داراهم راءاهم واثنى عليهم بحق وباطل والمخالط اذا جامل
المتعادين صار من شرار الناس الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم ان من شر الناس ذا الوجهين
ياتي هولاء بوجه وهولاء بوجه وان لم يلقهما جميعا بما يوافقهما ثقل عليهما وعاداه
وادنى ما يقوله من يلقى المسلم عن الحال والاهل والبال في خلاء الاهتمام بحاله ثم ذكر
الشوق الى اللقا ولعله لو مات سنين لا يذكره ولئن كان اليه شي من الحنين والميل فالعادة
جارية في التزيد على ما هو عنده قال السري لو دخل علي اخ فسويت لحيتي بيدي لدخوله
فخشيت ان اكتب في ديوان المنافقين وكان الفضيل جالسا وحده في المسجد الحرام فجاء اليه
اخ له فقال له ما جاء بك قال المؤانسة يا ابا علي فقال هي والله بالوحشة اشبه هل
تريد الا ان تتزين لي واتزين لك وتكذب لي واكذب لك اما ان تقوم عني واما ان اقوم عنك
ولقي حاتم الاصم حامد اللفاف فقال كيف انت في نفسك فقال سالم معافى فكره حاتم جوابه
فقال يا حامد السلامة من وراء الصراط والعافية في الجنة وقال ابن سيرين لرجل كيف
حالك فقال وما حال من عليه خمسماية درهم دينا تقضي بها دينك وخمسماية تعود بها على
عيالك ولم يكن عنده غيرها ثم قال والله لا اسال احدا عن حاله ابدا وانما فعل ذلك لانه خاف
ان يصير سواله من غير اهتمام بامره نفاقا ورياء فلذلك كان سوالهم ابدا عن امور الدين و
احوال القلب في معاملة الله وان سالوا عن امور الدنيا فعن اهتمام وعزم على القيام بما يظهر
لهم من الحاجة وسد ما بين من الخلة قال بعضهم اني لاعرف اقواما كانوا لا يتلاقون ولو حكم
احدهم على صاحبه بجميع ما يملكه لم يمنعه واري الآن اقواما يتلاقون ويتساءلون حتى عن الدجاجة
في البيت ولو انبسط احدهم لحبة من ماله لمنعه فهل هذا الا محض الريا والنفاق وعن هذا ترى
المتلاقين يقول هذا كيف انت ويقول صاحبه كيف انت فالسايل لا ينتظر الجواب والمسوول
يشتغل بالسوال ولا يعرج على الجواب علما من الجانبين ان ذلك سوال ريا وتكلف لا سوال اهتمام
وتلطف ولو لم يكن في المخالطة الا استضرار ما في الناس من الاخلاق الذميمة والافعال القبيحة
بسبب طول المشاهدة وكثرة الرؤية ولم يكن فيها احد الشرين اما مخالقة الناس باخلاقهم

وهو معيل فدخل ابن سيرين منزله فاخرج له الف درهم فدفعها اليه وقال خمسمائة
صح

او مقتهم

او مقتهم واستثقالهم بالانكار عليه لكان في ذلك المحنة العظيمة والبلية الشديدة والمؤنة
الغليظة واذا كانت الرحمة تنزل عند ذكر الصالحين لما يكون عند ذلك من انبعاث القلب على
الاقتدا بهم والاستنان بسنتهم والتشكي لما عليه الانسان من القصور والتقصير وفعل ما يقابله
تنزل اللعنة عند ذكر الفاسقين لما يتعرض ذكرهم من اسباب هذه الخصال فاذا كان هذا حال الذكر
فكيف يكون حال المشاهدة ولا يخفى باحوال اهل الزمان وبعدهم عن مقام الصالحين فليكن
الرجل السعيد على ترك ذكرهم وبمعزل عن لقائهم فانه يوذونه مرة بالغيبة ومرة بسوء الظن في
التهمة ومرة بالافتخارات المجحفة والاطماع الكاذبة ومرة بالنميمة نقلا او الكذب عليك
وربما يرون من افعالك ويسمعون من اقوالك ما لا يبلغه فهمهم ولا يتناوله عقولهم كنهه فيظنون
ظن السوء ويسيئون بك الظن ويحتسبون زلاتك في اعمالك ويتخذونه ذخيرة لحين ابتلايك قال
بعض الحكما لصاحبه اعلمك بيتا هو خير من عشرة الاف درهم ثم انشد

اخفض الصوت ان نطقت بليل ⁂ والتفت بالنهار قبل الزوال
ليس للقول رجعة حين يبدو ⁂ بقبيح يكون او بجمال
اذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه ⁂ وصدق ما يعتاده من توهم
وعادى محبيه بقول عداته ⁂ واصبح في ليل من الشك مظلم

وايضا فان ظاهر احوال الناس جميل والمخالطة تكشف عن عيوبهم ويضع العلم بعيوبهم عن
هذا قال ابو الدرداء اخبر تقله وانشد

من حمد الناس ولم يبلهم ⁂ ثم بلاهم ذم من يحمد
وصار بالوحشة مستانسا ⁂ يوحشه الاقرب والابعد
اذا ما الناس جربهم لبيب ⁂ فاني قد اكلتهم وذاقا
فلم ار ودهم الا خداعا ⁂ ولم ار دينهم الا نفاقا

ابو الطيب

وكان بعض الاعراب يلازم شجرا ويقول هو نديم ان حسبي لم يتم علي وان تفلت في وجهه احتمل وان
عربدت عليه لم يغضب فسمع الرشيد ذلك فقال
زهدني في الندماء وكان بعضهم يلزم الدفاتر والمقابر فقيل له في ذلك فقال لم ار اسلم من
وحدة ولا واعظا اوعظ من قبر ولا جليسا امتع من دفتر وقال سفين بن عيينة
قال لي سفيان الثوري في اليقظة في حيوته وفي المنام بعد موته اقلل من معرفة الناس
فان التخلص منهم شديد ولا احسب اني ما اكره الا ممن عرفت وجمع بعض العلماء آداب العزلة
فقال اولها ان ينوي المعتزل بعزلته كف شر نفسه عن الناس اولا ثم طلب السلامة من

ثم الاشارة ثانيا بتمام الخلاص من آفة القصور عن القيام بالحقوق ثالثا الى التجرد بكلية الهمة
لعبادة الله رابعا ثم لكي يكون في خلوته مواظبا على العلم والعمل والذكر والفكر ليجتني من
هذه الاشجار الاربعة ثمار العزلة وليمنع الناس عن ان يكثروا غشيانه وزيارته فيشوش وقته
وليكف عن السؤال عن اخبارهم واحوالهم وعن وقوع الاخبار في السمع مثل وقوع البذر في الارض
لا بد من ان ينبت في القلب منه وساوس وهموم والخواطر تتفرع عروقها واغصانها وسيع
احاديث النفس اجزاؤها وانجاسها والمعتزل عن جميع ذلك نفسه وحده فاجراه يقطع الوساوس
الصارفة عن ذكر الله وليقنع باليسير من المعيشة مطعما وملبسا والا الجأه التوسع الى الناس
وليجتنب من طمع الناس عن عزلته اوذمهم افعاله مما يحول بينه وبين قلبه وكل ما حاد وشغل وقف
عن السير في طريق الآخرة والسير الشرعي اليها هو المواظبة على ورد وذكر مع حضور القلب
او بالفكر في جلال الله تعالى وحكمته وقدرته او بالتأمل في دقائق الاعمال ومفسدات الاحوال
ملتمسا للقلب عنها او تحرزا للنفس منها وليعلم ان من لا يتمكن في قلبه من ذكر الله ومعرفته ما
يأنس به لم يحتمل وحشة العزلة ومن تمكن من قلبه ذلك لم يحتمل اذى المخالطة وتمنى التوحد
بجميعه ويستوفد رعايا بغيره ويكون انسه في البادية القفار والمواضع الاعفال عن الناس

واني لاستغشي وما بي نعسة ✽ لعل خيالا منك يلقى خياليا ✽
واخرج من بين الجلوس لعلني ✽ احدث عنك النفس بالسر خاليا ✽
احب الكاف القفر من اجل انني ✽ به لا تغني باسمها غير معجم ✽
یاد من زمیان سبو لبالب یاد تو ✽ تنها زهمه جهان من وتنها تو ✽
خورشید نخواهم که برآید با تو ✽ آیی بر من سایه بناشد با تو ✽

وقيل الانفراد في الخلوة اجمع لدواعي السلوة ومنه قولهم خلا لك الافق لجنابك وكان
الجنيد يقول لمكابدة العزلة ايسر من مداراة الخلطة وكان يقول من اراد ان يسلم له دينه
ويستريح بدنه وقلبه فليعتزل الناس وليستوحش من الاغنياء وليجانب السلطان كما يجانب الرجل
السباع الضارية والهوام العادية وسئل عن الخلوة فقال ان السلامة مصاحبة لمن طلب السلامة
بترك المخالطة وترك التطلع الى ما اوجب العلم مفارقته ومجانبته وقال ذو النون لم
ار شيئا ابعث لطلب الخلاص من الوحدة لانه اذا خلا لم ير غير الله فاذا لم ير غيره لم يحركه الا حكمه
ومن احب الخلوة فقد تعلق بعمود الاخلاص واستمسك بركن شديد من اركان النجاة وراى ابراهيم
الخواص رجلا في البادية حسن الادب حاضر القلب فسأله فقال كنت اعمل بين الناس والمعارف
في التوكل والرضا والتفويض فلما فارقت المعارف رسوخي مما كان معي سوى ذلك الا ذرة بحق حق

الطالب نفسي ههنا بدعاتهما اذا انفرد عن المعلومات والمعارف وكان ابو المسيب الصوفي
من كبرائهم وكان ينفرد في المجالس الشعثه وسأله الدراج ليلة في المسجد فقال له من اين
انت فقال انا من كل مكان فقال ومن كان من كل مكان فاعلامته قال ان يستوحش من نفسه ولم يستو
منه شيء قال فجاءت اليه الشبلي فنظر اليه فقال البس هذا من دواب هذا الاصطبل فان رحمته وقت
بعض الحكماء حين قيل له ما ذا رفضت الناس فقال لم ار الا معدوما او باغيا حسدا او صديقا
يعتمد علي في ايام صداقته ثم انشد ✽

اناس امنّاهم فنموا حديثنا ✽ فلما كتمنا السر عنهم تقولوا ✽
ولم يحفظوا الود الذي كان بيننا ✽ ولا حين هموا بالقطيعة اجملوا ✽
آخر ✽ لا تحسبن ... [illegible] ✽ خالط الزارة بالحلاوة ✽
آخر ✽ يجني الذنوب عليك ايام الصداقة للعداوة ✽
احذر عدوك مرة ✽ واحذر صديقك الف مرة ✽ فلربما انقلب الصديق فكان اعرف بالمضرة
شر السباع الضواري دونهم وزر ✽ والناس شرهم ما دونه وزر ✽
كم معشر سلموا لم يؤذهم سبع ✽ وما نرى بشرا لم يؤذه بشر ✽
عوى الذئب فاستأنست بالذئب اذ عوى ✽ وصوت انسان فكدت اطير ✽
فللّيل انا وانا في الليل حكمة ✽ وللصبح ان لاح النهار تنور (?) ✽
لقد خفت حتى لو تمر حمامة ✽ لقلت عدو او طليعة معشر ✽
فان قيل خير قلت هذا خديعة ✽ وان قيل شر قلت حق فشمر ✽
آخر ✽ اخشى بني آدم فكلهم ✽ لله عاص فكن لهم دغلا ✽
استقم الحر ان ظفرت بهم ✽ وامزج لهم من لسانك العسلا ✽
لا تعرف بالبازل المقيم ولا ✽ تبك على ظاعن اذا ارتحلا ✽
من غاب او حال عن مودته ✽ تخل عنه واطلب به بدلا ✽
فانت في الناس واجد بدلا ✽ اذا طلبت الخلان والخللا ✽
ولا تقل احفظ الذمام ولا ✽ انس فلانا واحسن الفعلا ✽
وبل مع الريح حيث تنتقل ✽ عن كدر العيش واتبع الدولا ✽
وكن ذليلا اذا قهرت فان ✽ احسست عزا فكن له بطلا ✽
فقد جعلت الزمان اشطره ✽ اخذت منه الهموم والجدلا ✽
فلا ارى وافيا بذمته ✽ والغدر كل الانام قد شملا ✽

وكن من الناس من ابيك فلا ... اقرب منه مستوحشا وجلا
ان تستشير الناس منتصحا ... فامدد له كيف ما اشتهي طولا
خالط على الناس فسبوك الى ... الظرف وشنعت عليهم السبلا
قدم واخروا سلك بهم سبلا ... يلقون فيها العثار والزللا
واسخر بهذا الانام كلهم ... واسرق متاع الرفيق ان غفلا
هذا الساعي وقد امرت بها ... وهي صواب فدونك العملا
ان رجال الوفاء قد ذهبوا ... لان بحر الوفاء قد افلا
اني رايت الزمان منقلبا ... وكن له من رجاله رجلا
هذا كتاب الحذوت فتحفه ... من فيلسوف بقرتني نزلا

وحكى في هذه الابيات ان المامون مر بانطاكيه الى بلاد الروم فنزل بكوكر قرية من قرى انطاكيه فنظر الى زيتون والى كروم فقال لمن هذا قالوا الرجل يقال له ابن طلاب وقال صاحب القصيدة اعشن بني آدم قالوا نعم قال وما فعل قالوا شيخ كبير امر منزله قال اتوني به فلما مثل بين يديه استنشده هذا الشعر فلما بلغ قوله ان رجال الوفاء قد ذهبوا قال المامون بحرت بهذا البيت بعد ان استحقت التاديب اذهب لسبيلك فقال يا مجاز وصيته بعبرة في باقي وقفت بين يدي امير المؤمنين ورجعت صفر اليدين قال او ما ترضى ان نقلت منا فقال او اصفه هذا الفضل الى ذلك الفضل فضحك المامون وامر له بعشرة الاف درهم

ومما جاء من الحكايات في ايثار الخلوة واختيار العزلة حكي عن ذا النون قال وصفوا لي عابدا بالجزيرة فحملتني نفسي على المقابلة فاتيته ممسيا فقلت السلام عليك يا عابد فلم يجبني ثم اعدت الثانية فلم يجبني فقلت بحق معبودك الا اشرفت علي فاشرف علي شيخ قد سقط حاجباه على عينيه من كبر سنه فقلت له اوصني فاومى الي بيده اني لا اكلم احدا فكنت عنده يومي فسمعته يقول في مناجاته الهي عجبت ممن استانس بك كيف يستانس بالخلق وعجبت ممن عرف خزائن ملكك كيف اتكل على الادميين فقلت كفاني من الوصية ما قد سمعت ورجعت الى قرية بقربه فسالت اهلها كم لهذا الشيخ في هذا المكان قالوا منذ سبعين سنة قلت فلم يكلمني قالوا منذ خمسين سنة ما رايناه يكلم احدا قلت من اين طعامه قالوا اما رايت النخل الذي يجتمع حول صومعته طعامه العسل يمر باكل عنبه وعرضنا عليه الطعام غير مرة فابى

وقال المامون ليحيى بن اكثم اشتهي ان ارى بشر بن الحرث قال اذا اشتهيت يا امير المؤمنين فالليلة ولا يكون معنا ثالث فركبا وكان بشر يجلس في دهليزه فدق يحيى الباب فقال

بشر

بشر من هذا فقال يحيى من يجب عليك طاعته قال واي شيء تريد قال احب لقاءك قال طايعا او مكرها ففهم المامون فقال ليحيى قل في هذا الشيخ مطبوع فقراء رجل يقيم الصلوة العشاء الآخرة ثم خلا يصليان فاذا الامام حسن القراءة فلما اصبح المامون وجه اليه من جاء به فجعل يناظره في الفقه ويجعل الرجل يخالفه ويقيم الحجة عليه فغضب المامون كان يكن يذهب بك الى اصحابك وتقول تخطات امير المؤمنين فقال والله يا امير المؤمنين اني لاستحيي من اصحابي ان جئتك فقال المامون الحمد لله الذي جعل في رعيتي من يعجب عني اذا زرته ومن يستحيي من ان يجيئني اذا دعوته ثم سجد لله شكرا وقيل لبعضهم ههنا احد تستانس به فقال نعم ومد يده الى مصحف حوله فقال هذا وانشد

وكتبك حولي لا تفارق مضجعي ... وفيها شفاء للذي انا كاتم
كاني سقيم قد اصيب فؤاده ... وهن حوالي الراقون والتمائم

وذكر الجنيد قال بكرت الى السري يوما فانشدني في الثناء الى الطول فقلت كيف بت آنفا فانشد يقول

اوحش الناس خاليا فانس الا ابو حشتي وانفرادي

وقال بعضهم العزلة في الحقيقة اعتزال الخصال المذمومة لا الانقطاع من الاخوان والتباعد عن الاوطان فلهذا قيل العارف كائن بائن اي كائن مع الخلق بالشخص بائن عنهم بالسر

كالبدر بعيد في السماء محله ... وكانه معنا القريب جنابه
نظرت الى الاطلال فقلت ليلى ... هناك وابن ليلى من ظعان
وان مقيمات بمنعرج اللوى ... لابعد من ليلى وهاتيك دارها
ارى الحي الذين غدوا ... بكرة للرحيل قبل الزوال
علموا انني مقيم وقلبي ... معهم سائر امام الجمال

وقال بعضهم البس مع الناس ما يلبسون وتناول ما ياكلون وانفرد عنهم بالسر وعلى هذا الاسم الخلوة ما دام المرء في صحبة النفس وان عجز هو وحيدا فريدا قال ابو يزيد في المنام كيف اجدك فقيل فارق نفسك وتعال وسئل بعضهم كيف الطريق اليه فقال له اعزل الطريق تصل وقال ابو سليمان الداراني ما رجع من رجع الا من الطريق فاذا وصلوا اليه لم يرجعوا عنه ابدا وسئل الشبلي عن حقيقة الوصول فقال ان تزول عنك نفسك ولا تاخذ منك وقت انشا يقول

ما زلت اعرف ايامي وانكرها ... حتى استنارت فلا بيض ولا سود
وخاض بي في بحار الفكر مختبطا ... لا القرب قرب ولا البعيد بعيد

ومما جاء في الاخلاف رفض الاهل والولد وفساد الامر بكاتبهم في الحديث خياركم كل خفيف

الحاذ وحظ من صلوة قالوا يا رسول الله وما الخفيف الحاذ قال الذي لا اهل له ولا ولد
وسال الحسن صبياً اذا فقال انا اكثر ما نصطاد فقال كل طريدة لي فبكى الحسن وقال هلك
المثقلون ونجا المخفون ✿ وكان معوية كثيرا ما يقول لولا يزيد لابصرت رشدي ✿ وقيل
لسفين بن عيينة في قبول عطاء السلطان فقال صاحب العيال لا يفلح وقيل لبعض الحكماء
لو اتخذت اهلا وولدا فقال انا من نفسي في بلية اقاسيها فكيف اضم اليها من يزيد
فيها ما انشد يقول ✿

الاهل شغل وفي الاولاد منقصة ✿ والله قد يحبب الفرد فاقتصد ✿
لو كان في كثرة الاولاد منقبة ✿ ما قال لما اتخذ الرحمن من ولد ✿

وحكى الهيثم بن عدي قال حج معوية بيزيد مكة حتى اذا كان بالابواء اطلع في بير عادية
فاصابته اللقوة فاتى مكة فلما قضى نسكه وصار الى منزله دعا بثوب فلفه على راسه وعلى
جانب وجهه الذي اصابه فيه ما اصابه ثم اذن للناس فدخلوا عليه فقال ان اكن
قد ابتليت في احسني وما يبدو مني فقد ابتلي الصالحون قبلي وارجوا ان اكون منهم وما كان
لي على نعمة الا اعطاني والله ان كان عتب بعض خاصتكم لقد كنت حدبا على عامتكم فرحم الله
امرءا دعا لي بالعافية قال فجع الناس له بالدعا فبكى فقال له مروان ما يبكيك يا امير المؤمنين
قال كبرت سني ورق عظمي وكثر الدمع في عيني وخشيت ان تكون عقوبة من ربي ولولا
يزيد لابصرت قصدي ✿ ومما يحكى في اعتزال عمل السلطان وترك التصرف ولزوم البيت
واغتنام الكفاية واعتاق النفس عن ذل المطالب انه حكي ان رجلا من المتصرفين خرج في عسكر المعتصم
وهو يريد مصر وقد الح ان يتصرف ويتعيش فلم يحظ بشي مما امل حتى دخل المعتصم مصر قال
الرجل فاصبحت يوما وقد نفدت نفقتي وتقطعت ثيابي وانا من الهم والغم على ما لا يوصف
عظما فقال لي غلام من غلماني اي شي نعمل اليوم فقلت خذ لجام الدابة فبعه فانه محلى
بالفضة وابتع مكانه لجاما حديدا واشتر لنا خبزا سميذا وجديا سمينا ففعل واقعد
ورمى اليه وعجل لا تدع ان تبتاع مما ابتعناه كوزا نبيذ شيرويه ففعل الغلام وحصلت
متفكرا في امري ومن الا في وما اعمل فاذا بباب الدار قد دق دقا شديدا حتى كاد ان
ينكسر فاذا رجع شديد فقلت للغلام في كان واقفا بين يدي بادر فانظر ما هذا
والى ما فتح الباب حتى كسر وامتلأت الدار الغلمان الاتراك وغيرهم واذا باشناس حاجب
المعتصم ومحمد بن عبد الملك الزيات وهو الوزير وقد دخلا فطرحت لهما ما لم يتجملا عليها
فاذا معهم حفارون فلما رايته ذلك بادرت فقبلت ايديهما فقالا لا بأس عليك خبز وقدمهما

لحسني

اياه

له محمد وانا ما

اياه وانا في خوف عظيم من راي في جملة اهل العسكر طمعا في التصرف وذكرت حالي وما ادت
اليه فوجدنا اجيال الحفارون يحفرون في وسط الدار حتى بلغوا اربعة وانا واقف
بين ايديهما او سناحد منهما فقال النقيب انما امرنا اشناس الى محمد بن عبد الملك فقال انا والله جائع
فقال فاقدمه ذلك فقلت عندي لك انا سيدي عندي جدي سمين وشيء من نبيذ فقالوا نعم فقدمته
في احضاره فقال لي هاتم انا ما عندك فقدمت الجدي وما كان فاصلح وابتيع لنا فاكلوا وسلا
ايديهما فقال اشناس عندك من ذلك القرقيع فقلت نعم فسقيتهما من الكوز ثلثة اقداح
ثلثة اقداح وجعل احدهما يقول لصاحبه ظريف وما ينبغي ان يصنع الناس فيتبين لكن
على تلك الحال ونفسي قد قويت وذهب ما بي اذا رفع التكبير عند الحفارين فاذا قد
عثروا من جلادة باب فرحوا ابا البشارة الى المعتصم وخرجت المراجل فما عرفنا ان يقولوا
قال احدهما الامرهذا الشيخ الذي اكلنا طعامه وشربنا شرابه وتركناه بالاشيء وهو
من اسوء الناس حالا قد عدم هكذا فقال الاخر فعل ما ذا فقال يحفن له من كل مرجل
حفنة فانها لاثنين فيها او يكون قد اغنيناه وقد صدق امير المؤمنين الخبر فالاهات
مرجل فجعل كل واحد يحفن بيده من كل مرجل حفنة بالكفين ثم حملا المال وانصرفا فنظرت
فاذا قد اعطاني نحو عشرين الف دينار فانصرفت بانصراف المعتصم الى العراق والمال معي
فابتعت ضياعا ولزمت منزلي وتركت التصرف ✿ وذكر ابو الحسين عبد الله بن محمد السامري
قال كنا نعمل وعن احداث في ديوان اسحق بن ابرهيم بن مصعب الطاهري وكتب ملازمين
مجلس فيه من الكتاب له مروة وخلق جميل تعرفه بابي غالب فزدنا جماعة من الكتاب تزويرا
بحال وقف اسحق على جرمه فطالبهم وظفر ببعضهم وهرب الباقون وكان ممن هرب الفتى الذي
كنا نلزم مجلسه فغاب سنين كثيرة حتى مات اسحق فبينا انا ذات يوم في بعض شوارع بغداد
اذا انا به فقلت ابو غالب قال نعم واذا الحالة ابينة في نهاية الفراهة وسرج محلى وعليه ثياب
حسنه فقلت عرفني حالك فقال في المنزل فصرت معه الى منزله فاحتبسني في ذلك اليوم فرايت
مروة حسنه وامرا جميلا فسالته عن خبره بعد مفرقه واستشرحته اياه فقال لي لما طلبنا
اسحق استترت فلما بلغني ما فعل به من كان فينا احينياه ضاقت علي بغداد ولم آمن
نظرا في فخرجت على وجهي خوفا منه ومن عقوبته فلم ازل استخفيا الى ان وافيت بابا
مصر ثم رحلت عنها او قد نفدت نفقتي وبعت التي وصرت الى حلب ثم منها الى حمص وانا
اريد مصر للتصرف فغاز ابائع في كل بلدة بعض ما معي حتى دخلت مصر وما معي الاخمسة دنانير
ودابة وسرج ولجام محلى وثياب قد اخلقت فوجهت بالسرج واللجام فبعتهما فاستاجرت

داراً وابتعت سرجاً ولجاماً بغير حلية فكنت اركب كل يوم وتعذر علي التصرف وعرى عني كل
ما كان معي ومن كان عندي فلم يصبر علي الا غلام واحد وجعلت حالي كل يوم ترق وتضعف
حتى اضطررت الى بيع الدابة فبعتها وبعت السرج وانفقت الثمن ثم جعلنا نبيع ما في البيت
قطعة قطعة حتى لم يبق في البيت شيء سوى البيت وآيست من الفرج واصبح الغلام ذات يوم فقال
يا مولاي ايش نعمل فقلت لا والله ما ادري خذ منطقتي فبعها وابتع لنا ما نحتاج اليه
وابتع لنا لحماً بدرهم واجعلها في التنور واجعل تحته جوذابة فقد قرمت نفسي الى ذلك
فخرج الغلام وبقيت في الدار وحدي افكر في امري وانا في دار غربة لا احد يعرفني ولا
انسان يسعفني ولا لي وجه للتصرف ولا اشغل بلوح فضاق صدري ولحقني ما كاد يغلب على
عقلي فبينا انا على تلك الحال اذا جرذ قد خرج من كوة البيت الذي انا فيه جالس وفي فيه
دينار فوضعه ثم عاد الى موضعه فما زال ينقل حتى نقل ثلاثين ديناراً فصففها وجعل
ينقل عليها ويلعب بها وانا انظر اليه وقد قويت نفسي وزال الفكر عني وحدث لي فكر
في حفر الموضع فخرج الجرذ عنه والجرذ على حاله في رقصه وتقلبه ثم مضى فاتبعته واخذت دنانير
لبركة الحكاية فذهب وقت فاخذت الدنانير وجمعتها وشددتها وجاء الغلام ومعه
ما قد ابتاعه فتغدينا جميعاً فقلت له يا بني قم فابتع لنا فاساً قال لاي شيء تريد هذا او
من عمل الفكر السوداوي فقلت قد عزمت على هدم دار القوم فضحكت وحدثته بالحديث فكاد
يموت فرحاً ومضى وابتاع الفاس واغلقنا الباب وحفرنا الموضع برفق فيها نيف الاف
دينار فاخذناها واصلحنا الموضع فقال لي غلامي اما ان اخذت بها سفاتج وانفذتها
بها وانت بموضعك فاذا صح لنا السفاتج ببغداد كتبت اليك فقدمت واما ان اخذت
السفاتج وشخصت فاقمت فاذا صح كتبت الي فقلت هذا هو الرأي فاخذت سفتجة بالمال
بعد ان تركت منه ما احتاج اليه لمؤنتي ونفقة سفري وانفذت الغلام بها فلما كتب
الي بصحتها شخصت فوافيت واصلحت منزلي وتأثثت وابتعت ضيعة ومستغلاً وتركت
التصرف وتنكرت عمل السلطان واغتنمت الدعة والفراغ فهذا حديثي فدعوت له وانصرفت
ومن حديث الاصمعي انه لما دعاه المأمون الى مدينة السلام لينادمه منادمة الرشيد
اعتل بالكبر والضعف فقيل له في ذلك فقال الدنيا بحذافيرها الدعة والفراغ وهما حاصلان
لي فاعذرني في انضاء الركاب طمعاً في الزيادة وقال مصعب بن عبد الله بعدما
اعتزل السلطان وعمله لابنه يعظه يا بني ان من استغنى عن الناس احتاجوا اليه فاصلح
مالك واقلل من مجالسة الناس فان فيه رجالاً تقتبس منهم ولا جاه يدفعون به عنهم ولا

قوم يفضلون به عليهم استغنوا باموالهم ولم يحتاجوا الى الناس فاما هم الناس ومما ينشد في هذا
الباب ويستحسن قول بكر بن المستعين الكاتب

تمتعت بالاقبال عصر شبيبتي ... ولذة عمر المرء عصر شبابه
فلما تولى وانثنت دولتي به ... فككت فؤادي عن اسار اكتئابه
وعدت الى بيتي وعذت بعفوتي ... وودعت باب الملك بعد انتيابه
فيا طيب عيش المرء في صحن داره ... على كسرة عن كسبه من شرابه

وقول الرضي

لما رايت الزمان نكسا ... وليس بالحكمة انتفاع
كل رئيس له ملال ... وكل راس به صداع
لزمت بيتي وصنت عرضا ... به عن الذلة امتناع
اشرب مما ادخرت راحا ... لها على راحتي شعاع
لي من قواريرها ندامى ... ومن قراقيرها سماع
واجتني من عقول قوم ... قد اقفرت منهم البقاع

ومن شعر الفقيه ابي الحسن الميمي

ارحت روحي من العذاب ... بطلقي نفسي عن الطلاب
وعزفها عن فضول دنيا ... زند المعني بهن كابي
قطعت نفسا بنزر قوتي ... وعقر داري ورحم بابي
ركاع في وخصب خلقي ... وانا لي الجدب في جنابي
واقنعاني بما اتاني ... والهياني عما نابني
نصحت نفسي على علوم ... احرزت منها احبى الصواب
منادماً كل فاضل ... عيبة الموت في التراب
ترفعا عن نداء قوم ... قد صغرت عنهم وطابي
حتى اذا جد في ملال ... فزعت منها الى الشراب
واخوة اسوة كرام ... بهم من الحاكم مثل ما بي
قد طابقوني على اختياري ... ووافقوني على انتخابي
فهم من الجد في حضيض ... وهم من الفضل في الروابي
وهم اذا حصلوا وعدوا ... اعز من رجعة الشباب
نغنا وذا ما حييت شاني ... وذا وذا ما بقيت دابي

من كتاب الى تراب ۞ ومن تراب الى كتاب ۞

قد ذيلنا هذا المجلس ونريد ان نكفر بعض ما نستغفر الله عنه بما في بعض الخطب وهو ۞
ليس للعبد مثل ربه فانيبوا اليه واعتصموا به واعلموا ان من انس به استوحش عما سواه
ومن عرفه حق معرفته انكر من عداه ومن انس بطاعته اعتلى في الدارين محله ومن اعترى ما في
غيره لم يغادر قدره ومن ادرع ثوب العفاف فقد امن جميع محاذيرها ومن استغنى بقدر الكفاف
فقد ملكها بحذافيرها ومن لزم قرارة داره وارجع على حاله غشاوة استاره واعرض عن ابناء
قومه ودافع يوما بيوم فذلك الذي درت له اخلاف الراحة واعذوذبت له مشارب النعمة
سأل زياد في امرته العراقين جلساءه من انعم الناس عيشا قالوا الامير واصحابه قال دعوا
عنكم ان لاعواد المنبر لروعة وان لصوت لجام البريد لفزعة انعم الناس عيشا رجل له دار
ملكها وامرأة قد رضيته ورضيها وسداد من عيش يعوله فهو يخلو في جوف داره ويقبل على
دراسة كتبه لا يعرفنا ولا نعرفه فانا ان عرفناه وعرفنا اتعبنا ليله ونهاره وافسدنا دينه
ودنياه فقال عبيد الله بن الحسن العنبري القاضي من اراد ان يسمع كلاما من ذهب فليسمع هذا الكلام
رحم الله عبدا اجتهد في عبادته واقبل على ما يعنيه من حاجته يخلو في ظل بيته بطاعة
ربه ودراسة كتبه ترجى كما تنقود وابر الايام ويريح نفسه من مغاراة الانام فلا نصب
له الشيطان الحبائل ولا يوجد اليه الحاسدون الطوائل ولا يصليه الحرص بحره ولا يقلبه
الامل على جمرة تحي له القناعة اذا اعوز المال والاسباب وينجح العمل الصالح اذا احان الاهل
والاصحاب هذه هي الزهادة وهذه هي محض الارادة ونحن ايضا نقرع بابها ونعلق اسبابها
ولعل نفسنا ادركت طلابها ودعوة صادفت جوابها وعلى عزيمة صدق في العبادة
نتطاوع وحال رغبة في الانابة تراجع ۞

فان تدن دار العامرين مسرة ۞ فقلبي بهم من ذي الزمان يطيب ۞
وان يهجروا ابعدا على قرب دارهم ۞ فليس لداءي ما حييت طبيب ۞

المجلس الثالث والسبعون من كتاب خلق الانسان تفسير قول الله عز وجل وفي انفسكم افلا تبصرون في صحبة الانفس ومعاشرتها ومعاينتها ومخالطتها ۞

بسم الله الرحمن الرحيم

العزة والسلطان والرحمة والاحسان والمنة والطول والقوة والحول والقدرة التي تحار
في موارده العيون والعظمة التي لا تنال ادنى جلالها الظنون والحكمة السارية في
الارض والسماء والمشية القاضية للسراء والضراء لمن ظاهت لتقديره الاشياء وجرى

على امره الابداع والانشاء لمن يعتبر بفضله المجاهدين بالحسنات ويدل تبعده المجاهرين بالسيئات
لا يرد العارفين ولا يردي الغائبين ولا يضيع اجر المحسنين ولا يصلح عمل المفسدين يفتح الابواب
ويسبب الاسباب ويرفع عن قلوب اوليائه الحجاب ويلين بدعاء اصفيائه الصعاب ينعم ويعطي
الكتاب في الكلام ويسعد كلماته المداد ويحفي الاقلام ولا تستقل باحصى سماحة القلب واللسان ولا
يحتمل اداء مواهبه الثقلان اذا اضللنا فهو يهدينا واذا اقللنا فهو يغنينا واذا اخفنا فهو يكفينا
واذا انكرنا فهو يكتبنا يامر بالمعروف ويجزيه ويبيع للملهوف وينجيه ويحب الصالحين ومن
اقتدى بحججهم ويكرم المحسنين ومن قاد الى طريقتهم وعلى محجتهم نشد ونسأل الله ان يلقي فنائه
ويفضل صلاح احوالنا من اوليائه مجيد ومن ذلك ما اردنا وقدمنا من هذا ما قصدنا نذهب وهو
الحليم العفو ونأمل وهو الكريم المرجو ونصلي على رسول الرحمة وهادي الامة محمد المختار من اروم
هاشم المصطفى على جميع بني آدم جزاه الله من معاشر خلقه بالواجب عليهم من قضاء حقه وصلى
الله عليه وعلى آله الطيبين وجميع صحابته الطاهرين واجب على كل احد ان يحسن ايراد
الاخلاق الطيبة ليستعملها مع الناس في مواضع الصحبة وان يخلط نفسه باهل الخير متخلقا
بخلائقهم ويتبعهما في مرتجي امره في الفضل سائرا في طرائقهم ويجتهد ان لا تزال القلوب تتعلق
منه بنصيحة او كفاية في امر دين او مهم دنيا وان يستدعي محبة الناس بالتواضع ومودة
الاخلاء بالمؤانسة والمشاورة والثقة والطائفة وفائدة العلماء بالخدمة والملازمة
وبعز الكبراء بالطاعة والمتابعة يستظهر على من دونه بالافضال وعلى نظرائه بالانصاف
والاجمال وعلى من فوقه بالاعظام والاجلال وعلى من يواديه ويناويه بحسن الدفع ولين
المقال وليس بحكيم من لا يعاشر من لا يجد في معاشرته بدا حتى يجعل الله له فرجا ومخرجا
ومن الاخذ بوثائق الامور ولازمة التدبير صحبة العقلاء فان من استقرى احوال العاقل
فكانما يجتني مواقع الجود وشآبيب القطر والعاقل هو الذي يصل في العاقل ويوافقه فاما الجاهل
فلا يوافق الجاهل ولا العاقل ومثال ذلك المستقيم من الخط الذي ينطبق على المستقيم فاما
المعوج فانه لا ينطبق على المعوج ولا على المستقيم وينبغي ان يتأمل الرجل بين جرته الرجال قبله
ومحضا اختبارهم له فيعتقل من انس العقد ويشربه على الصفو والكدر وحسبك ان يكون
لك من اخيك كثرة وقد قيل من لك باخيك كله واذا اقامت القوم الذين تصحبهم وتعاشرهم
فحدث عندك مثل ما عندهم وافضل وتنافسون في اظهار ما عندهم فان نافستهم كنت احمل
منهم وان امسكت افقضون ذلك فضربتها كمالا فيهم وكانك تمتن عليهم بحديثك وانصتوا لك
ما انصتوا لغيرك وتلقوك باحسن القبول وتام الاقبال وربما تمارى جلساؤك والمرانيا ج

اللجاج فان ضبطت نفسك كان تحاكمهم اليك لانني افسد للصحبة وازرى بالمروة من اللجاج والمرا وهل الناس في ذلك الا بين امرين من ان يكون ظالما او مظلوما وكفى باحدهما اثما وبالاخر ذلا ظل اهل ثور ان رجلا للملك بعد موت ملكهم فنبئوا واحدا فقال فيلسوفهم لا يصلح هذا للملك فقالوا ولم قال هو كثير اللجاج وليس يخلو في ذلك من ان يكون ظالما او مظلوما والظالم لا يصلح للملك لظلمه والمظلوم احرى ان لا يصلح لضعفه فقالوا له صدقت انت اولى به منه وسئلوه عن معاملة الناس ما عندكم وكانسهم بما سهم ومخالطتهم على اهوائهم ومخالفتهم باخلاقهم بما يديم وصلهم ويشد محبتهم **كان** على عهد كسرى رجل يقول من يشتري مني ثلث كلمات بالف دينار فيطير منها الى ان اتصل خبره بكسرى فاحضره وسأله عنها فالتمس احضار المال فاحضر فقال الرجل ليس في الناس كلهم خير فقال كسرى هذا صحيح قال ولا بد منهم فقال صدقت فاين الثالث قال فالبسهم على قدر ذلك فقال له كسرى قد استوجبت المال فخذه فقال لا حاجة لي فيه قال فلم طلبته قال لاني اردت ان ارى من يرى الحكمة بالمال فاجتهد كسرى في قبوله فابى والمحمدة للرجل في صحبة اخوانه الى الاستقضاء على النفس والى ترك الاستقضاء عليهم في مطالبتهم بما يلزمهم له والاستقضاء على النفس ينقسم الى تسهيل الحجاب لهم والى حفظ غيابهم والى القيام بحقوقهم في عيادة المرضى وحضور الجنائز ومجامع الافراح والاحزان والى بذل المال لهم عند حاجتهم في الحوادث والى بذل الجاه لهم وترك الاستقضاء عليهم ينقسم الى الصبر عليهم والاحتمال لهم عند تركهم الواجب عليهم من الحقوق والى الصفح عن الاثم قولا وفعلا **قال** بعضهم ليسعى الرجل في اخوانه ان يكون جار الهم من الحدثان فان لم يمكنه فليجهد ان لا يكون عليهم مع الزمان وانشد في هذا المعنى **لعبيد الله بن طاهر** خليلي لو كان الزمان مساعدي ❊ وادنيتماني لم يضق بكما صدري

فاما اذا كان الزمان معاندي ❊ فلا تصحباني عونا علي مع الدهر

آخر

جزى الله عني صاحبا لي لو انه ❊ وان كان مولاي القريب وخاليا

اعان علي الدهر اذ حل بركه ❊ كفى الدهر لو وكلته بي كافيا

العجلي

اخي بنا الدهر المشتت شملنا ❊ فضج مع الدهر الملح على القرب

وما ترك السلطان لي من بقية ❊ فويحك مهلا لا تحمل على القلب

اجرت على الجرحى اجازة صارم ❊ فيا لك من خل يجهز على الجرحى

فانت كفحل الشول سامة ❊ وبرك بافي الخيل سائمة ترعى

وقد وفي علقمة بن لبيد العطاردي شرط الاستصحاب في وصيته لبعض اولاده فقال يا بني ان نازعتك نفسك الى صحبة الرجال الحاجة اليهم فاصحب من ان صحبته زانك وان

خدمته صانك وان يحفظك له صانك وان تحملك مؤنته ماتك اصحب من ان قلت له صدق قولك وان صلت به سدد صولك اصحب من ان مددت يدك لفضل مدها وان راى منك حسنة عدها او بدت منك ثلمة سدها اصحب من ان سالته اعطاك وان سكت عنه ابتداك وان نزلت بك ملمة كفاك وان اصحبت الى ماله واساك وقال المهدي بن ابان قلت لولادة العبدية وكانت من اعقل النساء اني اريد الحج فاوصيني قالت اوجز فابلغ ام اطيل فاحكم فقلت ما شئت قالت جد تسد واصبر تفز وزينك بذنبك وفرعرضك بعرضك وتفضل تخدم واحلم تقدم قلت فمن استعين قالت الله قلت من الناس قالت الجلد النشيط او الناصح الامين قلت فمن استصحب قالت الصديق المسلم او المداجي المتكرم ثم قالت يا بناه انك تفد الى ملك الملوك فانظر كيف يكون مقاملك بين يديه **وقال** عبد الله بن المعتز اخوان الصدق زينة في الرخاء وعدة في البلاء يضعون من المقلوب بصرف النجاب عن المحبوب وان اخوان السوء يضن عند النكبة ويتقلبون مع النعمة ومن شانهم التوسل بالاخلاص والمحبة الى ان يظفروا بالانتفاع ثم يكونون لا عين بالانفعال ولا سماع بالاقوال فاذا اخلوا نالوه لم يذكروه ولم يشكروه وعولوا على انهم خدعوا صاحبهم عنه وفروه وان لم ينالوه اذاعوه وتشروه فان لم تنل مطاعنهم فوالذي لا اله الا هو ثم احمل الحرف على القايل وان اسرحت الى مصادقتهم ادعوا المخبر بك لطول العشرة فكان كذب حديثهم صدقا وباطله حقا وانشد لابراهيم بن عباس الصولي

واني واعدادي لدهري محمدا ❊ كملتمس اطفاء نار بنافخ

اخ كنت اوي منه عند اذكاره ❊ الى ظل باذخ العيون باذخ

سعت نوب الايام بيني وبينه ❊ فاقلعن منا عن ظلوم وصارخ

ومما يراعى في اداب الصحبة ان لا يحدث الاحد من اخوانه اصابة الخط من الدنيا استهانة ولا تحقيره استضاعة ولا لما كان يعلم من قدره استصغارا بل ان زاده قليلا الا كان اثر فيه وان لا يحدث للعبد ارتفاع من الدنيا بعد للاو ابنا زاله على المتظر اليه في الحفظ والاكرام بل لو انقبض عنه كان ما دحه اكثر من ذامته وكان هو اولى بالتعطف عليه والانصاب اليه ولا سبب لقطيعة الوصلات مثل كثرة العتاب وطرحه بواحدة دليل قلة الاكرام بامر الصديق وطي الامور عنه كذلك لانه انشاء جميعه لعنه بومتر ولئلا يسلطه عليك فينبغي ان لا تحجح الامر كله من بين يديك وباخذ باحد جانبيه بل لا تضع سرك عنده من لا سترله عندك بل ما تكتم عدوك ولا نظر عليه صديقك بل ينبغي ان يكون فلذلك الصديق مثلا ولا يكون بهم الامنا حسن واحد وهذا الرسم في السياسة قال الرسطاطاليس للاسكندر اذا كان

سر الملك عند الاثنين دخلت على الملك الشبهة واتسع على الرجل المعاذير فان عاقبهما عاقب
اثنين بذنب واحد وان اتهمهما اتهم بريا بجناية مجرم وان عفا عنهما كان العفو عن احدهما ولا
ذنب له وعلى الثاني فلا حجة عليه **قالوا** وملاك امر الصحبة وعنوان كتاب الملاقاة هو البشر فانه
الجامع لرضوان الله ومحبة القلوب من الناس والمستميل اليك من لا تجري عليهم نعمتك **دخل**
الفضل بن يحيى على ابيه يوما منكسرا فقال له يحيى ما لي اراك منكسرا يا بني قال دخلت دار امير المؤمنين
فلم تقع عيني على احد الا جل في عيني فعظمته فما تحرك لي احد منهم ودخل اخي جعفر فقاموا اليه من
اخرهم فقال ذلك لك يا بني لبشره وحسن لقائه وبشاشة لقائك واللقاء عند الاحرار اكبر من الاعطاء
والبشر اثر من البر **وقد** جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا التقى المسلمان كان
احبهما الى الله احسنهما بشرا لصاحبه فاذا تصافحا انزل الله عليهما مائة رحمة تسعون
منها للذي بدا **قال** بعض العلماء ذلك من قبل ان المؤمن عليه سمة الايمان ووقاره وبهاؤه
وجلاله فاحسنهما بشرا اتمهما واعقلهما لذلك عن الله عز وجل وادركهما لما شرف الله به عليه حتى
يظهره ويبشره لعلمه بالله ومنته عليه ولان المؤمن عطشان الى لقاء ربه شوقا اليه [illegible]
عليه فاذا راى المؤمن او سمع كلام الله الذي انزله او راى نبيه اهتش لذلك وجده وسمح قلبه
ما يجد من اثار مولاه الذي قد قلق تربما من اجل حبسه عنه فيطيب ويبشر بذلك فيظهر بشره
فانما اشار الحب الى الله بما له من الحظ من الله واما التصافح فهو كالبيعة لان من شرط الايمان
الاخوة والصحبة والولاية والخلطة فاذا لقيه وصافحه فكانما بايعه على هذه الخلال وكلما التقيا
جددا بيعته فجدد الله لهما ثوابهما كما يجدد ثواب المصاب بتجديد الاسترجاع وكما تزيد النعمة
بتجديد الحمد فهي من امهات هذه الاداب لما فيه من حرمة الاسلام وتعظيم النور الذي جعله الله في قلبه ويزين
احواله به وعلى هذا قول ابن عباس ان الركن يمين الله يصافح بها عباده على ما فسرناه فيما جمعنا
من جملة اغربة الاحاديث ولانهم يوم الميثاق بايعوا الله فصافحوا الحجر فلما انزل من الفردوس ووضع
في ركن البيت جعلوا اليه ليجددوا البيعة ومن هنا قالوا ان ذلك المسح الاستلام فانما الامن الاسلام
في ادب اللقاء ثم **نظام** امر الصحبة وقوامها وملاك قاعدة العشرة ومساكها في اربعة اشياء
الموافقة والشفقة والايثار والخدمة وعنوانها الموافقة **قال** الاصمعي سمعت الرشيد يقول اجزع
المهدي على رخم جاريته وكان رايه في قبرها فبكى عليه فبلغ المنصور فعزمه وكتب اليه احزان اولك
امر الامة وانت تجزع على امة فكتب اليه المهدي اطال الله بقاء امير المؤمنين اني لم اجزع على قيمتها
ومفارقتها وانما جزعت على كفايتها وموافقتها **وذكر** عند بعض الافاضل تزويج بعض الملباس
المشاهير لبنته الفائقة في الجمال الموفية في الحسن على اقصى درجات الكمال من يضاهيها في الجمال

وسعد

وسعد الحال وان الناس اتفقوا على انه ليس في نساء العالم احد في حسنها كما ليس في رجالهم احد في حسنه
وقيل هل يتوهم محل بارد فاجابهما فقال الاعظم شيء هو اتفقت القلوب ومناسبة الطباع ومما انشد
في الموافقة ۞ وعني لي من قلبي وغيبت كاغني ۞ وكنا جميعا كانوا وكانوا حيث ما كنت
اخر ابي لما تحبب لكتابة الذي بفيه شراب لاعافت شيئا ولو نيت في حبل الحنظل في الصاب

ماحطك الواشون من رتبة ۞ عندي ولا ضرك مغتاب
كانهم اثنوا ولم يعلموا ۞ عليك عندي بالذي عابوا

اخر لذيذ الكرى حتى اراه محرم ۞ ونار الاسى بين الحشا تتضرم
واني واياه لعين وانسها ۞ واني واياه لكف ومعصم

البحتري قال في ابي نوح وقد مرض في مرض الفتح

ومرضتما وتقيا فكان دعاؤنا ۞ ان تبقيا ونكون انفسنا الفدى
لك غادة ان لا تزال تشير بكه ۞ فيما اراه موافقا او مسعدا
تتجاريان على الصفاء محبة ۞ فكانما تتجاريان الى مدى
لو يستطيع وقال غادية الضنى ۞ او يستطيع وقيته صرف الردى
فالنفس واحدة وان اصبحتما ۞ شخصين غاديا في الوفاء واغتدى
روح يدبر منكما حركاتها ۞ بدنين ذا عبد وذا سيدا

العتبي وفتية قد طبعوا على الاخا ۞ وصيرت اهواهم فيه هوى
ان قال بعض لا اجابوه بلا ۞ ظرفا وان قال الى قالوا بلى

نحو صم شتى وهم نفس فتى ۞ نطالحة الكاتب
هموم اناس في امور كثيرة ۞ وهمي في الدنيا صديق مساعد
يكون كروح بين جسمين قسما ۞ فجسماهما جسمان والروح واحد

وقيل ملاك صحبة الاكابر الاحتراز والاحتشام والاعراض عن الاعراض والامساك عن كلام تكلف
الخوار او يوجب اعادة الخطاب وملاك صحبة الاشكال حسن الاستماع وكثرة الانبساط وملاك
صحبة الاصاغر الاحسان اليهم والتجافي عنهم على انه لا بد في ادب صحبة الناس من حسن الحديث
اذا حدثت وحسن الاستماع اذا حدثت ولم ار في احد من الناس كمال هذين الوصفين من غير ان
مال احدهما بالاخر كما رايت في قاضي القضاة الامام الاجل عبد الصمد بن محمود رحمة الله عليه **وفي**
الحاديث الشعبي قال صحبت عبد الملك بن مروان فما رايت احسن حديثا منه اذا حدث ولا احسن
انصاتا منه اذا حدثته ولا اعلم منه اذا خولف واخطات في صحبته اربع مرات حدثني يوما بحديث

فقلت آمنه علي يا امير المؤمنين فقال انا علمت انه لا يستغنا دا امير المؤمنين وقلت له حين اذن لي
عليه انا الشعبي يا امير المؤمنين فقال انما ادخلنا حتى عرفناك وكنت عنده رجلا فقال اما علمت
انه لا يكنى احد عند امير المؤمنين وسالته ان يكتبني حديثا فقال انا نكتبه ولا نكتب وحكى مالك
بن عمارة قال كنت اجلس مع جماعة من بني هاشم في ايام الموسم فنخوض في فنون العلم فلا اجد عند احد
ما اجده عند عبد الملك بن مروان من التصرف في فنون العلم وحسن الاستماع اذا حدث والحلاوة
اذا احدث فقلت له يوما وقد تفرق اصحابنا الحق بك السرور ربما ارى من تفضلك فقال لك ان
تعش قليلا فسترى العيون الي طامحة والاعناق نحوي قاصدة فاذا كان ذلك فلا عليك ان تعمل
الي ركابك فان املا ايديك قال فلما افضى الامر اليه اتيته فوجدته على اجل ما عهدته فقال انت
ما كنت قلت لك قلت اجل يا امير المؤمنين وهذا الذي اعجله كان والي اليك فقال والله ما هو بميراث
ادعيته ولا اثر وعيته ولكني احدثك عن نفسي بالشي الذي سما بي في هذا الموضع ما مارست ذا
ود قط ولا ذا قرابة ولا شمت بمصيبة عدو لي ولا اعرضت عن محدث حتى ينتهي ولا قصدت كبيرة
من محارم الله تلذذا بها ولا وابنا عليها وكنت من عبد مناف من سيدها ومن بيتها في اوسطها فلا
فكنت ارجو بذلك ان يرفع في اليه فقد فعل قال فاقمت عنده طويلا ثم تغديت معه يوما كما
كنت افعل فلما قام من حضر نهضت لاقوم فقال على رسلك ايها الرجل ايما احب اليك المقام
عندنا فلك النصف في المعاشرة والمحالفة لم التخوص فلك الحبا والكرامة فقلت يا امير المؤمنين اما
انا برئيت هنا فاني خرجت من اهلي على نية زيارة امير المؤمنين ثم عائد اليهم قال فارجع اذن الى اهلك
واحدث بهم عهدا والخيار في زيارتنا والمقام فيهم اليك وقد امرنا لك بعشرة الاف وكسوة وحملان
انزانا مالا انا بدك فقلت والله يا امير المؤمنين لقد ذكرت ما كنت قلته فقال لا خير فيمن لا يذكر اذا وعد
ودع صحبتك السلامة وقيل ملاك صحبة السلطان في مجلسه ضبط الاطراف ورزانة المكث
والصمت الجميل فلا تلتفت الى شيء ولا تنزعج لشيء ولا تبتدي بما لم تكن اهلا له ولا تقيا صاعنه وحكى
ان طستا سقطت من اعلى الايوان في ربع ملك خراسان فتزلزلت له الدار وارتاع اهل المجلس
وانزعجوا من مجالسهم ومواقفهم وابو القسم الكعبي المتكلم ساكن كان على راسه الطير لم يرتع ولم يلتفت
فكان الامير على ذلك العهد اسماعيل بن احمد يقول لا يصلح للوزارة الا ابو القسم واول ما ارتفع
امر عريب عند المامون واعتقد بها الخلفاء من بعده دون سائر المغنيات المحسنات انه حدث
علي بن محمد بن الرشيد قال حضرت مجلس المامون في خلوة فاذا عريب قليمة تغني من تحلة يدها اليسرى
على الحايط وانا في لا انظر اليها اذا اقبلت عقرب تسعى على الحايط حتى لسعتها واقرت في الصوت الذي
كانت فيه ولم يتبين منه شيئا غرضته فلما فرغت من الصوت رفع المامون راسه اليها فراها

متغيرة

متغيرة اللون مضطربة الاعضا فقال لها بالك فقالت يا سيدي شيء اصابني لا ادري ما هو فقلت
ولكني ادري لسعتها يا امير المؤمنين عقرب فامر بها بالجلوس وطلبت العقرب فقتلت فعجب المامون
ومن حضر تعجب من صبرها ولسعتها انها تمم صوتها لما حدث عليها ومثل هذه الحكاية في شان
المسكة تحدث عبد الرحمن بن اسحق القاضي فان شابا به اشتمل على زنبور وهو جابر بين يدي المامون
فلسعه في عدة مواضع من بدنه وهو مقبل على المامون حتى استوفى ما اذا امرنيهما وتامل المامون
وقد تغير وجهه وانتقع لونه فساله عن حاله فقال اذا ان ثوبي اشتمل على بعض ذوات السموم فامره
بالقيام ونفض ثيابه فقام وقد وسم جسده فكان تمام صحبة الاكابر ضبط الاطراف وملك
الحركات وطول اللبث على حسن الاستماع وتحمل الاذى قايما وقاعدا قال ومن حسن الادب في
هذا الباب ان لا يطلق لفظ الصحبة في الاصاغر لمن هو فوقك ويتعظم قدره عن اللفظ المشترك
قيل لمنصور المغربي كم صحبت مع ابي عثمن المغربي فنظر شزرا وقال لا الصحبة ولكني خدمته فلا
بد من خدمة السلطان في الصبر على سوء اللقا وطول الحجاب والاستيثار وحمالها قالوا ابن محب
السلطان فليصبر على قسوته صبر الغواص على ملوحة ماء البحر والصوفية لا يصحبون مشايخهم الا بترك
الاعتراض وتلقي امرهم بالرضا وغاية الاستكانة وتمام الانقياد بل لزوم السكوت والسكون كان
اصحاب ابي حفص الحداد لا ينبسون عنده بكلمة حتى يتأمم وكان حديثهم وقديمهم لديه في نفار
واحد وفي نصاب احد الطراق اوالحبا تا وسكون الطراق وقلة حركة كان على رؤسهم الطير حتى بينا
بالكلام فلا يتكلمه الا اولوا الدرجات والسبق منهم

من آل ابي موسى ترى القوم عنده ** كانهم الكروان ابصرن بازيا
مرمين من ليث عليه مهابة ** تخاف الاسود الغلب منه تعاديا
فلا يعرفون الضحك الا تبسما ** ولا ينبسون القول الا تناجيا

كان

وحكى الجنيد قال لما دخل ابو حفص الحداد بغداد كان معه انسان اصلع لا يتكلم بشي
فسالت اصحاب ابي حفص عن حاله فقال هذا رجل انفق عليه مائة الف درهم واستدان مائة
الف اخرى انفقها ايضا الا يرضى له ابو حفص ان يتكلم بحرف وقال ابو عثمن المغربي صحبت
ابا حفص وانا غلام حدث فطردني وقال لا تجلس عندي فانصرفت امشي الى خلفي ووجهي تقابل
له قبلا او اليه ظهري واعتقد ان احفر لنفسي بئرا على بابه وانزل واقعد فيها ولا اخرج
منها الا باذنه فلما راى ذلك مني اعادني الى خدمته وانشد

وقد قلت شوقا ليتني كنت عنده ** وما قلت اجلالا لا اله ليته عندي
واستخبر الاخبار من نحو ارضه ** واسال عنها الركب عهدهم عهدي

اعلى ان الناس بعدك شاوقد

وانشد في السكون والسكوت تعجبًا واحتشامًا قول المهلهل لكليب بن وايل

اودى الكرام من المعاشر كلهم ۞ واستب بعدك يا كليب المجلس

وتنازعوا في امر كل عظيمة ۞ لو كنت شاهدهم بها لم ينبسوا

وذكر هذا الشان ابو نواس في قطعة نادرة له فقال

وما الخبر الا كليب بن وايل ۞ ليالي يحمي عزه منبت البقل

واذ هو لا يستب خصمان عنده ۞ ولا الصوت مرفوع بجد ولا هزل

ولبعض الصوفية اهابك ان اقول هلكت وجدًا ۞ عليك وقد هلكت عليك وجدا

ولو ان الرقاد دنا بعيني ۞ اقمت من البكا عليه حدا

ولما ادخل الفضل بن سهل الى الرشيد ليصحب المامون وقد وصفه له يحيى بن خالد بحصر فلم ينطق فانكر الرشيد ذلك فقال يا امير المومنين ان من ابين الدلالة على فراهة المملوك افراط هيبته لمولاه فقال الرشيد احسنت اذ كنت سكت تقول هذا وان كان هذا شي ادركك من فرق لغير بعد انقطاعك انه لاحسن واحسن ثم ضمه الى المامون ۞ ومن احسان الصحبة وكرم العشرة ان تداري من شاء خلقه حتى يعذب لك منه ما كان ملحًا ويسهل لك ما كان وعرًا قال بعضهم خطبت امراة فاجابت فقلت انا سيّي الخلق فقالت اسوء خلقًا منك من يحوجك الى سوء الخلق وكان عند الحسن بن الحسن امراة تميمية فضجر يومًا فقال امرك بيدك فقالت اما والله لقد كان في يدك عشرين سنة فحفظته افا اضيعه في ساعة صار في يدي فقد رددته اليك فاعجبه حسن مداراتها واحسن بعد ذلك صحبتها وكان ابوه الحسن طلق امراتين قرشية وجعفية وبعث الى كل واحدة منهما عشرين الفًا فقالت القرشية جزاه الله خيرًا وقالت الجعفية متاع قليل من حبيب مفارق فراجعها وقال انها اكرم صحبة وما فسد من الصحبة ويبقي الخلة الاغضا على العيوب والتجافي عن الاساة والاحسان عند الجفوة حدث نصير الخادم ان المعتمد على الله بعث الى عريب بشعر ليس بموزون ولا صحيح وامرها ان تضع فيه لحنًا وان تحضر حتى تغنيه به وكانت عريب في بقية علة فدخلنا اليها وعندها علي بن يحيى المنجم فاعلمناها فلما دفعنا اليها الرقعة ضجرت وقالت بم اغني في هذا الهذيان الذي هو لا شعر ولا حديث الا بقول

كما قول هذا الظريف الاديب

اذا جفاني خليلي وصلته وبررته ۞ لان قلبي يصفيه ودة لا عدمته

وفي مثل المبرد وكنت اذا الصديق اراد غيظي ۞ فاشرقني على حنق بريقي

غفرت ذنوبه وكظمت غيظي ۞ مخافة ان اعيش بلا صديق

وقال

وقال مطيع بن اياس ولئن كنت لا تصاحب الا صاحبًا لا تزل الماثر نعله

لم تجده ولو جهدت واني لك بالصفو ليس يوجد مثله

النابغة ولست بمستبق اخًا لا تلمه ۞ على شعث اي الرجال المهذب

بشار اذا انت لم تشرب مرارًا على القذى ۞ ظمئت واي الناس تصفو مشاربه

فعش واحدًا او صل اخاك فانه ۞ مقارف ذنب مرة ومجانبه

كثير

ومن لا يغض عينيه عن صديقه ۞ وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتب

ومن يتتبع جاهدًا كل عثرة ۞ يجدها ولم يسلم له الدهر صاحب

تحمل اخاك على ما به ۞ فما في استقامته مطمع

واني له خلق واحد ۞ وفيه طبايعه الاربع

عمر بن عبد العزيز فلا تنح من يواصلني ۞ مني صفا ليس بالمذق

فاذا الخ لي حال عن خلق ۞ داويت منه ذاك بالرفق

ابو العباس ثعلب اذا انت وافقت الرجال لكرمهم ۞ كانك مملوك لكل رفيق

وكن مثل طعم الماء عذب وبارد ۞ على الكبد الحرى لكل صديق

قالوا ومما يعتمد في الصحبة الشرف في النفس والصحة في العقل والحرية في الافعال والحرية في الاخلاق وانها مثل قوايم السرير يستوي الا باربع قوايم فكذلك لا يطرد اسباب الصحبة الا بهذه المعاني الاربعة ولا تقوم كرم الاثنا ولا تبقى المودة لها من اضدادها وفي وصايا بعض ملوك العجم انه لا شي اضر من معاشر سخيف او مخالطة وضيع وانه كما ان النفس تصلح والعقل يزيد على مخالطة الشريف الاديب الحسيب كذلك يبطل ويفسد على معاشرة الدني الخسيف حتى يزيلها ذلك عن فضلها ويغيرها عن جوهرها وكما ان الريح اذا مرت بالطيب حملت طيبًا تحيي به النفوس وتحيي به الحواس كذلك اذا مرت بالنتن محملته الجيف به النفوس واضرت بجوارحها فما اعلقهما منه على ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الجليس الصالح مثل الداري ان فاتك عطره لم يفتك ريحه ومثل الجليس الفاسد مثل صاحب الكير ان لم يحرقك شرره اذاك بدخانه وفي حديث علي عليه السلام مقاطعة الاحمق قربان الى الله ۞ وانشد

لا تصحب اخا الجهل واياك واياه ۞ فكم من جاهل اردى حليمًا حين واخاه

يقاس المرء بالمرء اذا ما هو ماشاه ۞ وللشي من الشي مقاييس واشباه

وللقلب على القلب دليل حين تلقاه ۞ آخر

ان كنت تبغي العلم او اهله ۞ وشاهدًا يخبر عن غايب

فاعتبر الارض باسمائها ... واعتبر الصاحب بالصاحب

اني لآمن من عدو عاقل ... واخاف خلا يعتريه جنون

فالعقل فن واحد وطريقه ... أدرى فارصد والجنون فنون

اخ لم يزل كالشهد منه اخاؤه ... يزيد على مر الدهور وفاؤه

له خلق لو مازج البحر لم يكن ... اجاجا واروى واردي البحر ماؤه

تقارن اذا قارنت شروا انما ... يزين ويزري بالفتى قرناؤه

ومن لا يخاف الله لا يؤمن من غائلته ولا يوثق بمخالقته واذا اساء الخلق وانما العقل في اعتياد الاخلاق السيئة يكون الرجل مغلوبا في يد غضبه مملوكا من شهوته عاجزا عن تهذيب احواله وتقويم خلائقه فلا خير في صحبة مثله ويسند هذا الشعر الى علي عليه السلام

ان اخاك الحق من كان معك ... ومن يضر نفسه لينفعك

ومن اذا ريب زمان صدعك ... شتت شمل ماله ليجمعك

وكان سهل بن عبد الله يقول اجتنبوا صحبة ثلثة نفر من الناس صحبة الجبابرة الغافلين والقراء المداهنين والمتصوفة الجاهلين وقال بشر الاخوان ثلثة اخ لآخرتك واخ لدنياك واخ لتأنس به ومن المأمون الاخوان ثلثة احدهم مثله مثل الغذاء لا يستغنى عنه والآخر مثله مثل الدواء يحتاج اليه في وقت دون وقت والثالث مثل الداء لا يحتاج اليه قط وقال بعضهم الناس بعضهم فيه حلو كله ومثله لا يشبع منه وآخر مر كله ومثله لا يؤكل بل يرفض ويلفظ وآخر فيه حموضة فخذ منه قبل ان يأخذ منه وآخر فيه ملوحة فخذ منه قدر الحاجة فقط وقيل مثل جميع الناس مثل الشجر والنبات فمن الشجر ما له ظل وليس له ثمر وهو مثل الخلاف والسرو ونحو ذلك في شجر السرو ومنهم مثل له رفاه وماله ثمر وهو مثل الاخ النافع في الدنيا والآخرة فان الدنيا ظل زائل وحلم باطل ومن الشجر ما له ثمر وليس له ظل مثل الكرم فانه ليس له ساق يستظل تحته وفيه النفع الكبير وهو مثل الاخ النافع في امور الآخرة ينفع من يقرب منه فلا يقصر احدا

وكنت كالكرم من تكرمه ... ملتفتا او راقبا قريبا

ومنها ما له ظل وثمر وهو صاحب العلم والعمل فان الاخ مثله خير الدنيا والآخرة وسعادة اخيه تعلما من علمه وتقبيلا لما في عمله وشكله في ذلك ما قيل

كانكم شجر الاترج طاب معا ... حملا ونورا وطاب العود والورق

ومنها ما ليس له واحد منهما مثل ام غيلان تقصد جنا ولا يستظل بذراه ويمزق الثوب فلا يؤمن من اذاه وانشد في هذا المعنى

الناس شتى اذا ما انت ذقتهم ... لا يستوون كما لا يستوي الشجر

هذا له ثمر حلو مذاقته ... وذاك ليس له طعم ولا ثمر

وقالوا في آداب الصحبة وحقوق اهلها ان حق الجليس اذا دنا ان يوسع له واذا حدث ان يقبل عليه وقيل حق جليس الملوك ان يكون حافظا للسر صابرا على السهر وقيل اكرم صحب الملوك من حسنت موافقته وقلت مؤنته وفي الحديث مثل الاخوين مثل اليدين يغسل احديهما الاخرى كما ان اليدين يتعاونان على غرض واحد فكذلك الاخوان وقالوا في المواساة انها على اربع درجات احدها ان تنزله منزلة اهلك وعبيدك وتصرف فضلة مالك عنه والجائك اليه من غير ان تحوجه الى السؤال فان احوجته الى السؤال فذلك غاية التقصير في حق الاخاء والثانية ان تنزله منزلة نفسك شريكا لك في مالك قال الحسن كان احدهم يشق ازاره لاخيه باثنين والثالثة هي ان تؤثره على نفسك وتقدم حاجته على حاجتك والرابعة وهي الدرجة العليا ان يتعدى هذا الايثار من المال الى النفس فتقيه بنفسك وتفديه على حكم الاخلاص وحكي انه سعي بجماعة من الصوفية الى بعض الخلفاء فامر بضرب رقابهم وفيهم ابو الحسين النوري فبادر الى السياف ليكون اول مقتول فقيل له في ذلك فقال احببت ان اوثر اخواني بالحيوة ولو بلحظة فكان ذلك سبب نجاة الكل عن قتلهم جميعا وفي هذه الدرجة العليا او درجة الايثار او المشاركة يقول الله تعالى وامرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون اي هم خلطاء في الاموال لا يميز بعضهم في مال وملك عن بعض وقال علي بن الحسين عليه السلام لرجل هل يدخل احدكم يده في كم اخيه او كيسه فيأخذ منه ما يريد من غير اذنه قال لا قال فلستم باخوان وكان ابو سليمان الداراني يقول لو ان الدنيا كلها لي فجعلتها في فم اخ من اخواني لاستقللتها له وقال اني لألقم اللقمة اخا من اخواني فاجد طعمها في حلقي وفي حديث علي عليه السلام لعشرون درهما اعطيها اخي في الله احب الي من ان اتصدق بمائة على المساكين ويروى وقال ايضا لان اصنع صاعا من طعام واجمع عليه اخواني في الله احب الي من ان اعتق رقبة ويروى ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل غيضة مع بعض اصحابه فاجتنى منها سواكين احدهما معوج والآخر مستقيم فدفع المستقيم الى صاحبه فقال له يا رسول الله كنت احق بالمستقيم مني فقال ما من صاحب يصحب صاحبا ولو ساعة من نهار الا سئل عن صحبته هل اقام فيها حق الله او اضاعه وقال عليه السلام ما اصطحب اثنان قط الا كان احبهما الى الله ارفقهما بصاحبه وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بئر يغتسل فامسك حذيفة بن اليمان الثوب عليه وستره حتى اغتسل ثم جلس حذيفة ليغتسل ففعل مثل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتركه لاباء حذيفة ذلك عليه ودخل محمد بن واسع ومالك بن دينار دار الحسن والحسن غائب فاخرج محمد سلة فيها طعام من تحت سرير الحسن واندفع

يأكل فقال له ما لك كف يدك حتى يجيء صاحب البيت فلم يلتفت اليه واقبل على الاكل فدخل الحسن فقال
بابي لله هكذا كنا لا نحتشم بعضنا من بعض حتى ظهرت انت واصحابك وقيل اذا استقضيت اخاك
حاجة فلم يقضها فذكره ثانية فلعله نسي فان لم يقضها فكبر عليه واقرأ هذه الآية والموتى يبعثهم
الله وقال ميمون بن مهران من لم ينتفع بصداقته لم يضرك عداوته وفي الحديث الا ان
لله اواني في ارضه وهي القلوب فاحب الاواني الى الله اصفاها واصلبها وارقها اصفاها من الذنوب
واصلبها في الدين وارقها على الاخوان قالوا ومن حق الاخاء ما هو في السكوت وفي الكلام فمن
السكوت عن ذكر عيوبه حاضرا او غائبا وترك المباراة والمناقشة معه والتجسس على احواله وان
لا يبث سره ولا يذكر احدا من جملته بقبيح وان لا يبلغه ذلك عن احد وان لا يخطر له ببال
كما لا يفوه بلسانه وفي الكلام التودد باللسان واظهار المساهمة والمواساة في السراء والضراء
والشدة والرخاء وفي الحديث اذا احب احدكم اخاه فليخبره وقال عمر ثلث يصفين لك ود اخيك
ان تسلم عليه اذا لقيته اولا وتوسع له في المجلس وتدعوه باحب اسمائه اليه ومن ذلك ان تثني عليه
بما يعرف من محاسنه عند من يؤثر هو الثناء عليه وكذلك ذكر ما يفرح به واستحسان ما يحصل له
والشكر له على احسانه ولو على نيته واراد به احسانا ما هم به قال علي عليه السلام من لم يحمد اخاه على حسن
النية لم يحمده على حسن الصنيعة وابلغ من ذلك كله في جلب المحبة الذب عنه والنصح منه في الغيب
وفي الحديث المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ولا يخذله واهماله واسلامه ليمزق عرضه كاسلامه
ليمزق جلده ولحمه واخس باخ يراك والكلاب تفترسك وتمزق لحمك ولا يحركه داعي الغيرة
على الذب عنك والانتصار لك ولذلك شبه الله الغيبة باكل لحم الاخ ميتا والملك الذي يمثل
في المنام ما يطالعه الروح من اللوح بالامثلة المحسوسة يمثل الغيبة باكل لحم اخيه فان من يرى انه
يأكل لحم ميت فانه يغتاب الناس وتذاكر اثنان حديث المخالصة في الاخوة ونظر الغيب فقال احدهما
ما ذكر اخي بعيب الا تصورته جالسا فقلت فيه ما يحب ان يسمعه حاضرا وقال الثاني ما ذكر اخي
الا تصورت نفسي في صورته فقلت فيه مثل ما احب ان يقال في ونظر ابو الدرداء الى ثورين
يحرثان في فدان فوقف احدهما يحك جسمه فوقف الاخر فبكى وقال هكذا الاخوان في الله يعملان
في الله فاذا وقف احدهما وافقه الآخر وقال ذو النون لا تصحب مع الله الا بالموافقة ولا مع الخلق
الا بالمناصحة ولا مع النفس الا بالمخالفة ولا مع الشيطان الا بالمراغمة وفي قوله صلى الله عليه وسلم
احسن مجاورة من جاورك تكن مسلما واحسن مصاحبة من صاحبك تكن مؤمنا اشارة الى فضل
الصحبة على الجوار وفضل الايمان على الاسلام وقال ابرهيم النخعي لا تقطع اخاك ولا تهجره عند الذنب
يذنبه فانه يركبه اليوم ويتركه غدا وهو من الحديث اتقوا زلة العالم ولا تقطعوه وانتظروا فيئته

ويحكى

ويحكى ان اخوين في السلف انقلب احدهما عن الاستقامة فقيل لاخيه الا تقطعه ولا تهجره فقال
احوج ما كان الي في هذا الوقت وانا احق بان آخذ بيده وان اتلطف له في المعاتبة وادعو له بالعود
الى ما كان عليه وفي شعر عمر بن ابي ربيعة زيادة على هذا وهو

وخل كان عين النصح عني ... وسمعا لما اهوى سميعا
اطاف بغية فنهيته عنها ... وقلت له ارى امرا شنيعا
اردت رشاده جهدي فلما ... ابى وعصى اتيناها جميعا

وقيل اكرم من تصحبه الاكابر من حسنت موافقته وقلت مؤنته وقيل هلاك الامر من صاحب
يحسن القول ولا يحسن العمل وقيل الاخوان كالسلاح فمنهم كالرمح يطعن به من بعيد ومنهم
كالسيف الذي لا يفارقك ومنهم كالسهم يرمى به ولا يعود اليك وقيل تستحب من الخريف الخصب
وفي الربيع الزهرة ومن الجارية الملاحة ومن الغلام الكيس ومن الصاحب الرفق ومن القريب
الانبساط ومن الغريب الانقباض وقيل لا شيء لصحبة الاحرار من هتك اعراضهم فان الحر لا
يرضيه من عرضه شيء وكان الفضل بن يحيى كاتبا فذا في صناعته فبينا الفضل يوما في
خلاله في بيته يملي عليه كتابا ويخفض صوته فاحتاج الكاتب ان يستفهمه ما يخفى عليه من
كلامه فاستعاده حرفين فشق ذلك على الفضل فقال للكاتب كم تستعيد في ثلاثة اسطار وكان
الفضل صلفا تائها بنفسه فلما قال للكاتب هذا القول القى قلمه في دواته واطبقها وقال
للفضل يعني انا تعاشر الاحرار وهذا كنت ارجو منك فندم الفضل على ما كان منه وقال له
عد الى كتابك فحلف الكاتب باغلظ الايمان لا يكتب له ابدا فقلق الفضل من ذلك ودار بينهما
كلام كثير ونادى الخبر الى يحيى بن خالد فركب من ساعته حمارا مصريا كان ركبه من داره الى دار
ولده فاستشعر الفضل انه هجم عليه فلما رأى اباه قام وقعد يحيى في الصدر وجلس الفضل ثم امر
الكاتب ان يجلس فقال فيما ذا انتم فقال الفضل كنت املي عليه كتابا فقال لقد بلغني الخبر وصدق
الرجل الملوك لا يخدمون الا للاعتزاز بهم فاذا استعمت كاتبك بمثل هذا الكلام ولو غرست
صدره فيما ذا اعتذر بصحته ثم اقبل على الكاتب فقال عفيناك مما كرهت وامرنا لك بمائة الف
درهم فاختلف اليه الشغل في بعض الاعمال التي تصلح لها قال فما مرت الا ايام يسيرة
حتى فوض اليه العمل وحل ما حل وكان هذا الكاتب احد من ولي عليهم وامر باحضار اموال
الفضل خصوصا فصار اليه بعض اوليائهم فقال له انك تحرمت بصحبة هؤلاء القوم
ووجبت عليك حقوقهم فان انت هجمت على عورة من عوراتهم فانت اولى بسترها ورعاية
لحقهم فدمعت عيناه ثم اخرج من جيبه رقعة بخط الفضل وقال واي عورة تكون مثل هذه

الرقعة التي اصبتها لي في دواته فاذا فيها بسم الله الرحمن الرحيم يتصدق مجي بماية الف درهم لتفريعلي في صلاة العصر يوم كذا وتاخيري اياها عن وقتها شغلاً بامر من امور السلطان وكان علي بن الهيثم التغلبي كاتبا للفضل بن الربيع فبكر الفضل يوما للقعود للمظالم وتاخر علي فلما جاء وتمكن من مجلسه عذله الفضل عذلا اسمعه من حضر فقام علي وقال

ألفاني الفضل خيصا جيدا ۞ فعافني وازورعني صدا

فظن والظنون قد تعدى ۞ اني لا اصيب منه بدا

اعد منه الف الف بعدا ۞ وانصرف فوجه الفضل في اثره فلم يعد يعمل مع السلطان ولا لغيره

ويقال ان المنصور سخط علي احمد بن يزيد السلمي فصرفه عن ارمينيه والزمه بيته فمضي لحيه الي معن بن زايدة الشيباني وهو يتقلد اليمن للمنصور فكتب اليه معن الي يا امير المؤمنين ان سخطه لحق احمد بن يزيد بنا سيدي امير المؤمنين ولم يزل الملوك يعاقب علي الشيا وتصفح عن اشيا فاما الذي تعاقب عليه فالقدح في الملك وافشا السر والتعرض للحرم واما الذي تصفح عنه فاحتجان الاموال وما اشبهها فانه مال الخادم للمخدوم في يومه وغده فان كان احمد بن يزيد اتي ما يعاقب عليه الملوك فاينبغي ان يكون حيا وان كان احتجن مالا فاحمد خير لامير المؤمنين من ارمينيه واموالها والسلام فقال المنصور اف لكم معاشر الكتاب هب عليكم ان تخبروني بحجتي حتي ولي به معن بن اليمن علي لو شفا عن ابيه ووجه الي احمد بن يزيد فخلع عليه ورده الي عمله وكان اسمعيل بن داود صديقا ليحيي بن خالد والفضل بن الربيع خاصا بهما وكان كل واحد منهما يطلعه علي سرايره لصاحبه فقال اسمعيل انا كما قال الشاعر

واخوان صدق لست مطلع بعضهم ۞ علي سر بعض كان عندي جماعها

يبيرون في الارض الفضاء وسرهم ۞ الي صخرة اعيا الرجال انصداعها

لكل امرء شعب من القلب فارغ ۞ وموضع نجوي لا يرام اطلاعها

ومما يروي في حسن الصحبة وكرم المخالطة كان حارثة بن بدر الغداني قد غلب علي زياد وكان الشراب قد غلب عليه فقيل لزياد ان هذا قد غلب عليك وهو مستهتر بالشراب فقال زياد كيف باطراح رجل يسايرني مذ دخلت العراق فلم يصكك ركابي ركابه ولا تقدمني فنظرت الي قفاه ولا تاخر عني فلويت عنقي اليه ولا اخذ علي الشمس في الشتاء قط ولا الروح في صيف ولا سالته علي ولا اتقص مني ولا اغتاب عني احدا ولا سالته عن علم الا ظننته لم يحسن غيره فلما مات زياد جفاه عبيد الله فقال له حارثة ما هذا التكرم

معرفتك بالمحال عندابي المغيرة فقال لعبيد الله ان ابا المغيرة قد كان يسرع بروعا لا يلحقه معه عيب وانا احدث وانما انسب الي من يغلب علي وانت رجل تديم الشراب ومتي قربتك فظهرت رائحة الشراب منك لم آمن ان يظن بي مثل ذلك فدع الشراب وكن اول داخل واخر خارج فقال له حارثة انا لا ادعه لمن يملك ضري ونفعي افادعه للحال عندك قال فاختر من عملي ما شئت قال توليني رامهرمز فانها ارض عذاة وسرق فان بها شرابا وصف لي فولاه اياها فلما فلله يقول ابو الاسود الدولي

احار بن بدر قد وليت ولاية ۞ فكن جرذا فيها تخون وتسرق

ولا تحقرن يا حار شيئا فانما ۞ نصيبك من ملك العراقين سرق

وانك تلقي الناس اما مكذب ۞ يقول بما يهوي واما مصدق

يقولون اقوالا ولا يتبعونها ۞ وان قيل هاتوا احققوا لم يحققوا

وباه تميما بالغني ان للغني ۞ لسانا به المرء الهيوبة ينطق

وكن جازما في اليوم ان الذي به ۞ يجي غد يوم علي الناس مطبق

ولا تعجزن فالعجز اوطا مركب ۞ وما كل من يدعي الي الخير يرزق

اذا ما دعاك القوم عدوك كاذبا ۞ فحل حار اوجح لست من يحقق

وممن يذكر بكرم الصحبة وحسن الالفة وشدة الاحتمال المامون قال احمد بن ابي داود ما رايت المامون قط انكر علي جليسه شيئا وما رايته سار بعد الي رايه وارادته بل يتقرمنع هواه ويعامله كما يشاه وكان لا يدنو منه احد الا غلب عليه بعد ان يكون فيه آلة خسيسة او نعمة وكان يقول انا لا استصلح من احد منا بالانكار ادبا الا والذي يفسد به من ادابنا اكثر ومن الغبن الغابن والخذلان البين ان يفسد الرجل ادبه ليصلح به من يصحبه وان يحمل ليعقل حشمه او يخف ليتوفر خدمه وحدث النضر بن شميل قال دخلت علي المامون ذات يوم وعلي اطمار رثة فقال لي تدخل علي الخليفة في مثل هذه الاطمار فقلت ان الحر شديد ولا يدفع الا بمثل هذه الاطمار فقال لا ولكنك قشف ثم تجارينا الحديث فقال حدثني هشيم بن بشر عن مجالد عن الشعبي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم اذا تزوج الرجل المراة لدينها كان في ذلك سداد من عوز فقلت حدثنا عوف عن الحسن عن علي بن ابي طالب عليه السلام قال اذا تزوج الرجل المراة لدينها كان في ذلك سداد من عوز وكان المامون متكيا فاستوي جالسا وقال يا نضر السداد لحن فقلت هو في مثل هذا الكلام لحن وانما لحنه هشيم لانه كان لحانا وانما السداد القصد في الدين والسداد ما تسد به الشي فقال هل تعرف ذلك العرب فقلت هذا العرجي من ولد عثمان قال

اضاعوني واي فتى اضاعوا ⁂ ليوم كريهة وسداد ثغر

قال نحّى الله من لا ادب له ثلث مرات ثم قال انشدني اجود ما قالت العرب في عفة الطالب وكرم الواهب فقلت هذا اعرابي بني اسد حيث يقول

اطلب فما يطلب الكريم واحسن الطلبا ⁂ واحلب الدرة الصفا ولا احلب اخلاف اهل الحلبا
اني رايت الفتى الكريم اذا رغبته في كريمة رغبا ⁂ والنذل لا يطلب العلاء ولا يعطيك شيئا الا اذا رهبا

فقال لي احسنت اكرم شعر قالته العرب في الصحبة واحسان العشرة وانصاف العشيرة فقلت هذا ابن عروة حيث يقول

اني وان كان ابن عمي كاشحا ⁂ لمزاحم من خلفه وورائه
واكون والي سره فاصونه ⁂ حتى يحق علي وقت ادائه
واذا كرهت له فعال الامرح ⁂ لا شيع منه ذاك في اعدائه
واذا جفاني لم اضيع عهده ⁂ بل زدت في ارعائه ووفائه
واذا دعا باسمي ليركب مركبا ⁂ صعبا ركبت له على سيسائه
واذا استجار بوزنه ونصرته ⁂ واذا تصعلك كنت من قرنائه
واذا الحوادث اجحفت بسوامه ⁂ قرنت صحيحتنا الى جربائه
واذا رايت عليه ثوبا ناعما ⁂ لم يلقني متمنيا لردائه

فلم يكلمني عندها بشيء ومد يده الى دواة وجعل يكتب شيئا لا ادري ما هو وقال لي يا نضر كيف تامر اذا اردت ان تترب الكتاب قلت اتربه قال فهو ماذا قلت مترب قال فمن الطين قلت طنه قال فهو ماذا قلت مطين ثم ناول الكتاب خادما فمضى به الى الفضل بن سهل فقال لي ما السبب الذي وصلك به امير المؤمنين بخمسين الف درهم فاخبرته فقال يا سبحان الله الحنت امير المؤمنين فقلت كلا انما لحن الوزير انما لحن هشيم لانه كان لحانا فقال لي حدثني عن الخليل بن احمد فقلت مررنا انا والخليل الى دمنة الاعراب فاذا هو على سطح له فقال استووا فبقينا متحيرين لم ندر ما قال لنا فاستخرجها الخليل بن احمد من قوله ثم استوى الى السماء اي صعد وانقع امره اليها فصعدنا اليه فقال لنا هل لكم في خبز فطير ولبن هجير وماء نمير فقلنا لا فقال سلاما فبقينا متحيرين ولم ندر بما قال الاعرابي انه سالكم متاركة لا خير ولا شر فاستخرجها الخليل من قوله تعالى واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما قال الفضل هذا احسن مما حكيت للخليفة وادى من عنده عشرين الفا فانصرفت الى اهلي بخمسين الفا ومما قالوا في ادب المؤاخاة واحسان المصاحبة ابذل لصديقك دمك ومالك ولمعرفتك رفدك

ومحضرك

ومحضرك العلانية بشرك وتحيتك ولعدوك عدلك وانصافك واضنن بدينك وعرضك عن كل احد الا ان تضطر الى بذل العرض للوالي او للوالد اني سمعت من صاحبك كلاما او رايا يعجبك فلا تنتحله تزينا به عند الناس واكتف من التزين بان تجتني الصواب اذا سمعته وتنسبه الى صاحبه واعلم ان انتحالك ذلك سخطة لصاحبك واساءة للصحبة وان فيه مع ذلك عارا لا تكونن من خلقك ان تبتدئ حديثا ثم تقطعه وتقول سوف كانك روات فيه بعد ابتدائه وليكن ترويتك فيه قبل التفوه به فان احتجان الحديث بعد افتتاحه سخف اخزن عقلك وكلامك الا عند اصابة الموضع فانه ليس في كل حين يحسن الصواب وانما تمام اصابة الراي والقول باصابة الموضع وان اخطاك ذلك ادخلت المحنة على عقلك وقولك حتى تاتي به في موضعه وهو لا بهاء له ولا طلاوة ليعرف العلماء حين تجتمع معهم انك على ان تسمع احرص منك على ان تقول ان اردت ان تمازح احدا ممن يشاكلك في طول الحديث فاجعل غاية ذلك الجد ولا تعدون ان تكلم في ذلك بما لم تهز لا فاذا بلغ بك الجد او قاربه فدعه ولا تخلطن بالجد هزلا ولا بالهزل جدا فانك ان خلطت بالجد هزلا سخفته وان خلطت بالهزل جدا كدرته غير اني قد علمت موطنا واحدا ان قدرت على ان تستقبل فيه الجد بالهزل اصبت الراي وظهرت على الاقران وذلك ان يتورد متورد بالسفه والغضب وسوء اللفظ فتجيبه اجابة الهازل المداعب برحب من الذرع وطلاقة من الوجه وثبات من المنطق اذا رايت صاحبك مع عدوك فلا يغضبنك ذلك عليه فانما هو احد رجلين ان كان رجلا من اخوان الثقة فانفع مواطنه لك اقربها من عدوك لشر يكفه عنك او عورة يسترها منك او غائبة يطلع عليها لك فاما صديقك فما اغناك ان يحضره ذو ثقتك وان كان رجلا من غير خاصة اخوانك فباي حق تقطعه من الناس وتكلفه ان لا يصاحب ولا يجالس الا من تهوى تحفظ في مجلسك ومنطقك من التطاول على اصحابك وطب نفسا عن كثير مما يعرض لك فيه صواب القول والراي لئلا يظن اصحابك انك انما تريد التطاول عليهم اذا اقبل عليك مقبل بوده فسرك ان لا يدبر عنك فلا تنعم الاقبال عليه والتفتح له فان الانسان طبع على ضرائب لؤم فمن شانه ان يرحل عمن الصق به ويلصق بمن رحل عنه لا تكثرن ادعاء العلم في كل ما يعرض لك فانك من ذلك بين فضيحتين اما ان ينازعوك فيما ادعيت او تخلو في يديك الامور فيكشف منك التضييع والعجز ان اسلمت منك فضلا فتطلعت الى ان تذكره او تسمعه فاعلم ان ظهوره منك من جهة الاستحياء به اقرب لك في قلوب الناس من العيب اكثر مما تعرفه لك من الفضل واعلم انك ان صبرت ولم تعجل ظهر لك بالوجه الجميل المعروف ولا تخفين عليك ان حرص الرجل على اظهار ما عنده وقلة وقاره في ذلك

باب من الخرق والخفة واللوم وان من خير الاعوان على ذلك السخاء والكرم ان اردت ان تلبس لباس الجمال
وتحلى حلية المودة وتسلك الجدد الذي لا خبار فيه ولا عثار فكن عالما كجاهل وناطقا كعيي
فاما العلم فيرشدك واما قلة ادعاء العلم فينفي عنك الحسد واما المنطق فيبلغ حاجتك
منه اليه واما الصمت يكسبك المحبة والوقار لكن عليك فيما بينك وبين عدوك العدل
وفيما بينك وبين صديقك الرضا وذلك ان العدو خصم تصرعه بالحجة وتغلبه بالحكام وان الصديق
ليس بينك وبينه قاض فانما هو رضاه وحكمه اجعل غاية بينك في مواخاة من تواخي ومصافاة
من تصافي الاعصاء ولا تعلن نفسك على انه لا سبيل لك الى قطيعة اخيك وان ظهر لك منه ما تكره
وان ليس كالمرأة يطلقها اذا شئت ولكنه عرضك ومروتك فانما مروة الرجل اخوانه
واخدانه فان عثر الناس على انك قطعت رجلا من اخوانك وان كنت معذورا نزل ذلك
عند اكثرهم بمنزلة الخيانة للاخاء والملال فيه وان انت مع ذلك تصبرت على مقاربته على غير الرضا
دعا ذلك الى العيب والنقيصة فالارتياد الارتياد والتثبت التثبت واذا نظرت في حال من
ترتاده لاخائك فان كان من اخوان الدين فليكن فقيها ليس بمراء ولا حريص وان كان من اخوان الدنيا
فليكن حرا ليس بجاهل ولا كذاب ولا شرير ولا مشنوع فان الجاهل اهل ان يهرب منه ابواه و
الكذاب لا يكون اخا صادقا لان الكذاب الذي يجري على لسانه انما هو من فضول كذب قلبه
وانما سمي الصديق من الصدق وقد يتهم صدق القلب وان صدق اللسان فكيف اذا ظهر الكذب على اللسان
وان الشرير يكسبك الاعداء ولا حاجة لك في صداقة تجر اليك العداوة وان المشنوع شانع صاحبه
البس للناس لباسين ليس للعاقل بد منهما ولا عيش ولا مروة الا بهما لباس انقباض وانحجاز من الناس
تلبسه للعامة فلا يلقونك الا متحفظا متشددا متحرزا مستعدا ولباس انبساط واستئناس تلبسه
للخاصة الثقات الذين تلقاهم بسنات صدرك وتفضي اليهم بمكنون حديثك وتضع عنك مونة الحذر
والتحفظ فيما بينك وبينهم واهل هذه الطبقة الذين هم اهلها قليل جدا قليل الا ذا الراي لا
يدخل احدا من نفسه هذا المدخل الا بعد الاختبار والتكشف والثقة بالصدق والنصيحة والوفاء
وكمال العقل وجزالة الادب واعلم ان لسانك اداة مغلبة يتغالب عليها عقلك وغضبك وهواك
وجهلك وكل غالب عليه مستمتع به وصارفه في محبته فاذا غلب عليه عقلك فهو لك واذا غلب عليه
شيء من اشباه ما سميت فهو لعدوك فان استطعت ان تحتفظ فلا يكون الا لك ولا يشاركك فيه
عدوك فافعل اذا نابت اخاك احدى النوائب من زوال نعمة او نزول بلية فاعلم انك قد ابتليت معه
اما بالمواساة فتشاركه في البلية واما بالخذلان فتحمل العار لا تعتذرن الا الى من يحب ان يجد
لك عذرا ولا تستعينن الا بمن يحب ان يظهر لك براءة ولا تحدثن الا من يرى حديثك مغنما ما لم

يغلبك الاضطرار اذا اعتذر اليك معتذر فتلقه بوجه مشرق ولسان طلق الا ان يكون ممن
قطيعته غنيمة اعلم ان اخوان الصدق خير مكاسب الدنيا زينة في الرخاء وعدة في الشدة ومعونة
على خير المعاش والمعاد فلا تفرطن في اكتسابهم وابتغاء الوصلات والاسباب اليهم واعلم انك واجد
رغبتك من الاخاء عند اقوام قد حال بينك وبينهم بعض الابهة التي تعتري اهل المروات فتحجزهم
كثيرا ممن يرغب في امثالهم فاذا رايت احدا من اولئك قد عثر به الدهر وعرفت نفسك انه ليس في دونه
منه وابتغاء لك مودته ومواصلتك له مودة فاغتنم ذلك واعمل فيه اذا كان ذلك عند فراغ
صنيعا او كان لك عليه طول فلا تمتن حياء ذلك بامانته وتعظيم التصغير له ولا تقصر في قلة
المن على ان تقول لا اذكره ولا اصغي سمعي الى من يذكره فان هذا قد يستحيي منه بعض من لا يوصف
بعقل ولا كرم ولكن احذر ان تكون في مجالستك اياه ومما تكلمه به او تستعينه عليه او تجاريه
فيه شيء من الاستطالة بجدد الصنيعة ويكدر النفوس محمد في الصحبة الصبر مع الزمان
فيطيب عيش الانسان مع كل احد وعلى كل حال وفي كل اوان ومكان وقد احسن القائل

من سابق الدهر كبا كبوة ... لم يستقلها آخر الدهر
فاخط على الدهر على ما خطا ... واجر مع الدهر كما يجري

يقال لما حفر عبد الله بن عامر بن كريز بالبصرة نهره المعروف بنهر عامر ركب يوما ومعه غيلان
الضبي فقال له يا غيلان ما انفع هذا النهر لاهل هذا المصر فقال نعم اصلح الله الامير يسقيها هم و
ابناؤهم فيه ميرتهم ويتعلم منه السباحة صبيانهم فلما عزل عبد الله وولي زياد وكان مولعا برفع آثار
عبد الله اراد ان يرفع هذا النهر ولم يمكنه لفرط منافع الناس به فركب يوما ومعه غيلان على شط
ذلك النهر فقال زياد ما اضر هذا النهر لاهل هذا المصر فقال غيلان نعم اصلح الله الامير تغرق منه دوابهم
ويكثر به بعوضهم وتغرق فيه ولدانهم فعجب الناس من تصرفه مع الدهر ويقال خلا خالد بن صفوان
بابي العباس امير المؤمنين يوما فقال له يا امير المؤمنين اني فكرت في امرك وسعة ملكك فوجدتك قد
ملكت نفسك امراة واحدة واقتصرت عليها وحرمت نفسك التلذذ باستطراف الجواري والتمتع
بما تشتهي منهن ان منهن الطويلة الغيداء والبربرية العجزاء والبضة البيضاء والحجازية الادماء
من مولدات المدينة تفتن بمحاورتها وتغلب بحملها ودلالها واين انت من بنات احرار فارس و
خراسان واجلاب الترك والروم والنظر الى ما وجد من التخفر والتعطر وحسن الخدمة والى ما
لهولاء الاجلاب من البراعة والرشاقة ووقع ذلك من ابي العباس وتشوق الى ما سمع من حسن نعتهن
فبقي متفكرا فيما سمع من ذلك اذ دخلت عليه زوجته ام سلمة المخزومية وقد خرج خالد فرأته
متفكرا فقالت اني لانكرك يا امير المؤمنين فهل حدث امر تكرهه وما زالت به حتى خبرها

القصة كما جرى بينه وبين خالد قالت فقلت لابن الفاعلة وخرجت من عنده وارسلت مواليها
لقتل خالد ان ما وجدوه وراح خالد الى الجسر موقع حديثه من امير المؤمنين ولم يشك في الصلة و
الجائزة فبينما هو في المسجد يصلي بين اصحابه اذ اقبلت الموالي فسال عنه قال خالد فخففت الصلوة
فقلت ها انا ذا خالد فسبق الي احدهم بخشبة واخر بحجر فاقتحمت البئر فركبت فمرت بردة وفي ورد
كفله بالخشب فعقر وكاد يرمي بي وتعادوا في طلبي ففتهم ركضا بعد ان نالني منهم ما اختفيت
في منزلي اياما ولم احضر ابواب وطلبني امير المؤمنين فلم يظفر بي فبينا انا كذلك مختفي بعد
ايام اذ هجم علي قوم من حيث لا اشعر فقالوا اجب امير المؤمنين فقلت انا لله وانا اليه راجعون
لا ادري شيخا اضيع من محي فركبت الى الدار فاذ قد دخلت فاصبته وحده خاليا فرجع الي
عقلي فجلست في المجلس باب عليه ستور رقاق فقال لي امير المؤمنين يا خالد لقد كنت وصفت
لي صفة سكنت نفسي اليها وارتاح صدري لها فاعدها علي وسمعت خلف الستر حركة فقلت
اسمعه خلف الستر وان الستر واقع انه لم احتمل لنفسي فقلت يا امير المؤمنين كنت حدثتك ان
العرب يقول الشر اسم الضر من الضر فانه ما من احد عنده امرأتان الا كان في ضرر وتنغيص عيش
قال برئت من قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت حدثتني بهذا ابدا قلت بلى يا
امير المؤمنين ولكنك نسيت قال فاتم الحديث اذ قلت وحدثتك ان الثلث من النساء اذا
اجتمعن عند رجل كالاثافي تغلي عليهن القدر قال قد برئت من قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان كنت سمعت هذا الحديث حدثتني ابدا قلت بلى يا امير المؤمنين قال فاتم الحديث اذ قلت و
حدثتك ان الاربع شر مجموع لمن كن عنده تشيبنه وتهرمنه وتسقمنه بهذا احدثك و
لكن نسيته وسولت لك نفسك شيئا اخر قال اتكذبني قلت اتقتلني نعم والله ان ابكار
الاماء رجال الا انهن بغير خصى قال فسمعت من وراء الستر ضحكا فقلت نعم والله يا امير المؤمنين و
اعلمتك ان بني مخزوم ريحانة قريش وانه عندك اكرم الرياحين ثم تطمح بعينك الى اضغاث
الاماء من حرائر النساء وغيرهن من الاماء فضحك ابو العباس تعجبا وقيل لي من وراء الستر
صدقت يا عماه والله لهذا حدثته ولكنه بدل وغير فانسللت وتركتهما يختصمان و
يتعاتبان فاذا بعد هدو من الليل جاءني رسول ام سلمة بعشرة الف درهم وشيء فكان الامر كذلك
ابو العباس بعد ذلك الا بتلك وقال لا ارجل الزمان **ومما** قال لي بعض العلماء في احسان
الصحبة ان الخلق كلهم سفر بينهم لكم السفينة بركابها وحتما ما قيل ان الناس كركب في
سفينة يسار بهم وهم نيام ومن شرط المسافرين ان يحسنوا صحبة من يرافقهم في سفرهم الى
ان يبلغوا مقصدهم **حدث** ابو بكر بن محمد الشامي انه قال صحبت في بعض اسفاري على غلام

لي

لي استقصيته في خدمته وحضر في جرير الطبيب فانشد في
اكرم رفيقك حتى ينقضي السفر ٭ ان الذي انت توليه سيتشر
ولا تكن كلئام اظهروا ضجرا ٭ ان اللئام اذا ما سافروا ضجروا
ان الانسان اما ان يكون في دنياه وحده او مع اهله وولده وجاره وذويه واما ان يكون
مع عموم الخلق وحق عليه ان يحسن الصحبة في جميع هذه الاحوال فان كان وحده فهو وان كان في
الصورة شخصا واحدا فهو في الحقيقة كثير وفيه من خلق الله جنود وواجب عليه ان يحسن
صحبتها ويقوم بحقوقها فمن الجنود المجتمعة في الانسان التي يجلب بها الى النفس ما يعجبها
ويفيدها حياة ويعقب عنها بعد الموت سلامة وغضبه الذي يحمي به الذمار ويدفع عنها
المضار وعقله الذي يستصلح به الامور ويستوي منه طرق حسن التدبير فهو من هذه الجهة انفس
ثلثة مجتمعة متغالبة فالمغلوب منها في يد الشهوة يا مثال الخنازير السبعة والتابع للغضب
من السباع الضاري اقرب فاكرم الخير الى الملك انزع وليس عليه ابطال الاولين الاصل بل العقد
بالثالث واعطاء اولهما نصيبهما الذي يحسن معه خلطها حتى يكون كريم الصحبة مع كل واحد
منهما ولكن التصيل العدل على الاتصاف لحوماد ام الروح والبدن في هذا العالم مجتمعين
معا فمن سيفانيتوان ولله ما اناله الامر الى القديم فكانه ينظر الى هذا المعنى في قوله
فانصف لخالك الدهر ما عشتما معا ٭ كفى بالممات فرقة وتباينا
وقريب منه قول القايل ٭ زودينا بحسن وجهك ما دام ٭ فحسن الوجوه حال تحول
وصلينا نصلك في هذه الدنيا ٭ فان المقام فيها قليل
هذا في صحبتك مع نفسك فاما صحبتك مع اهلك وولدك ومن يضمه كنفك ويكنفه حفظك
فاحسانها بالتوسعة عليهم والتجافي عن الاساءة بهم على اثم التوقي من جناياتهم والعناية عليهم و
صحبتك مع الناس فادنى الاحوال في ذلك كف الاذى عنهم واوسطها ان لا الاحسان اليهم و
اعلاها احتمال الاذى منهم مع اسداء الاحسان اليهم نزل جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم
بقوله خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين فقال يا محمد جئتك باكرم اخلاق الاولين
والاخرين تفضل من قطعك واعط من حرمك واعف عمن ظلمك **ومما** جاء من الاحاديث في خصال
الصحبة مع الخاص ومع العام قوله عليه السلم في كف الاذى المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده
وقال في بسط الاحسان الخلق عيال الله فاحبهم الى الله ابرهم بعياله **وقال** في معاملة الناس
احب ان تعامل به من سره ان يزحزح عن النار فلياته الى الناس ما يحب ان يوتى اليه **وقال**
في توقير من يصاحب من المشايخ من اجلال الله اكرام ذي الشيبة **وقال** في احسان الخلق سعهم اكرم لن

نسعوا الناس باموالكم فسعوهم باخلاقكم فقال ان الله يحب السهل الطلق وقال في الاصلاح بين
المسلمين افضل الدرجات اصلاح ذات البين وافساد ذات البين هي الحالقة وقال في
اقالة العثرات من اقال مسلما عثرته اقاله الله يوم القيمة وقال في ستر عورات الناس من
يتبع عورة اخيه المسلم تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف بيته وقال في السعي
للمسلمين قيامك مع اخيك ساعة خير من اعتكافك سنة وقال في المبادرة بالسلام والمصافحة اذا
التقى المسلمان فتصافحا قسمت بينهما مائة رحمة تسعة وتسعون لاحسنهما بشرا وقال في
نصرة المسلم بظهر الغيب ما من امرئ ينصر مسلما في موضع ينتهك فيه عرضه ويستحل حرمته الا نصره الله
في موضع يحب ان ينصره وقال في مداراة اهل الشر خالطوا الناس باعمالكم وزايلوهم بالقلوب
وقال ما وقى المرء به عرضه فهو له صدقة وقال في التحذير من مجالسة الاغنياء اياكم ومجالسة
الموتى الاوهم الاغنياء الاغنياء وكان اذا راى في المسجد مسكينا جلس اليه وقال مسكين جليس لي
مسكين وقال في تنزيل الناس منازلهم اذا جاءكم كريم قوم فاكرموه وفي مخالقة الناس
باخلاقهم اوحى الله الى داود يا داود خالق اهل الدنيا باخلاق الدنيا واهل الاخرة باخلاق الاخرة
وفي صحبة الجوار قال عليه السلم اتدرون ما حق الجار ان استعان بك اعنته وان استقرضك
اقرضته وان افتقر عدت عليه وان مرض عدته وان مات اتبعت جنازته وان اصابه خير هنأته
وان اصابته مصيبة عزيته ولا تستطيل عليه بالبناء واذا اشتريت فاكهة فاهد له منها والا
فادخلها دارك سرا ولا تخرج ولدك ليغيظ بها ولده ولا تؤذه بقتار قدرك الا ان تغرف
له منها وقال في القرابة انا الرحمن وهذه الرحم شققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته
ومن قطعها قطعته وقال ساووا بين اولادكم بالعطية وقال في المماليك اتقوا الله فيما
ملكت ايمانكم اطعموهم مما تاكلون واكسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم من العمل ما لا يطيقون فان
الله ملككم اياهم ولو شاء لملكهم اياكم وقال في الزوجات خيركم خيركم لاهله وانا خيركم لاهلي
وكان عليه السلم من افكه الناس مع نسائه وقال في الصحبة في الله يقول الله يوم القيمة اين
المتحابون في جلالي اليوم اظلهم في ظلي وقال ان حول العرش منابر من نور عليها قوم
لباسهم نور ووجوههم نور ليسوا بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء هم المتحابون في الله
والمتزاورون في الله والعز بعض الحكماء كلاما في اصطحاب الاخوان في الطريق الى الله قال
برزت طائفة تقتنص فنصبوا الحبائل ورتبوا الشرك وهيأوا الطعم وتواروا في الغيب وانا
في سرب طير اقتاد رمانا اذ لحظنا فصفر مستدعين فاحسنا الخصب واصحاب فانخ في
سدد ناديه ولا نزعنا ان قصدنا تهمة فابتدرنا اليهم مقبلين وسقطنا خلال الحبائل

فاذا

فاذا الحلق تنضم على اعناقنا والشرك تتشبث باجنحتنا والحبائل تتعلق بارجلنا ففزعنا الى
الحركة فما زادت الا عقدا فاستسلمنا للهلاك وشغل كل واحد منا ما خصه من الكرب عن الاهتمام
لاخيه واقبلنا نتبين الحيل في سبل الخلاص زمانا حتى انسينا صورة امرنا واستانسنا بالشرك
واطمانا الى الاقفاص فالتفت ذات يوم من خصاصها فلاحظت قفصا من الطير خرجت رؤوسها
عن الشرك وابرزت عن اقفاصها تطير في ارجلها بقايا من الحبائل لا يؤودها فتقوتها النجاة
ولا يثنيها فتضبطها الهبوة فذكرتني ما انسيته ونغصت الي ما القيته وكدت اغل باسفا
وتسل روحي لهفا فناديتهم من وراء القفص ان قربوا مني تتوقفوني على حيلة الراحة فقد اعياني
فذكروا وانجوع المقتنصين فازدادوا الا انفا فناشدتهم الخلة القديمة والصحبة المصونة و
العهد المحفوظ حتى حل بقلوبهم الثقة واشتفى عن صدورهم الريبة فتوافوا حائمين محضرين فسالتهم
عن حالهم فذكروا انهم ابتلوا بما ابتليت واستيأسوا واستأنسوا بالبلوى ثم على الحين نحب الحبالة
عن رقيق والشبكة عن الحنق وفتح باب القفص وقيل لي استغنم النجاة وطالبتهم تخليص رجلي من
الحلقة فقالوا لو اقدرنا لابتدأنا ولو نستفيك العليل فنهضت معهم من القفص لطير فقيل لي ان
امامك نقاعا من الحذور الى ان تاتي عليها قطعا فاقتفينا اثارنا نتجنبك وعقد بك سواء
السبيل فتناوبتنا هذا الطيران بين صعد في جبل الزاد في واد معشب خصيب الى ان جديب
حتى تخلف عنا جناية وجزنا مرببرو وافينا هامة الجبل فاذا امامنا تلك شواهق تنبو
عن قللها الالواحظ وتسقط قبل التحليق اليها الخوافي والقوادم وقال بعض لبعض تادعوا
فلا نامن الاعداء الا بعد ان نجوز هذا ناجين فما نفضنا الجناح حتى امنا على ست من سول
انتهينا الى الشامخ فلما تعلقنا تخومه قال بعضنا هل لكم في الحمام ضد اد هنا القصب
وبيننا وبين الاعداء مسافة قاصية فرايتنا ان نجم ابعاننا فان الشرود على الرلحة اهدى الى
النجاة من الانقباض موقعنا على قلته فاذا جنان مخضرة الارجاء غامرة الاقطار مثمرة
الاشجار جارية الانهار يروي بصرك نعيمها مصور ويكاد طيبها يتهايش العقول
يستهب الالباب وشماتة نسيمها رواح لا يدانيهما المسك المرتقي ولا العنبر الطري و
يسمعك باغان شجية والحان مطربة فاصبنا من ثمارها وشربنا من انهارها ومكثنا بذرب
ما اطرحنا الاعياء وقال بعضنا لبعض لا محيد عنه كالامن ولا منجاة كالاحتياط ولا احتراس
من اساءة الظنون وقد استبدنا القام بهذه البقعة على شفا غفلة ووراءنا اعداؤنا
يقتفون اقدامنا ويتفقدون مقامنا فهلموا ننظر هل البقعة وان طاب بها الثوى فلا طيب
كالسلامة واجمعنا على الرحلة وانفصلنا عن الناحية وحللنا بالناس فاذا الشامخ

برأسه في عنان السماء تسكن جوانبه طيور لها الوان اعذب الحانا واحسن الوانا والطف صورا واطيب
معاشرة واكرم صحبة منها ولما حللنا في جوارها عرفنا من احسانها وتلطفها وايناسها
ما ان يجيء يوصف لحسنها وان قصرنا عليه مدة عمرنا بل استمددنا اليه اضعافا ولما تقرر بيننا
وبينها الانبساط اوقفناها على ما اهمنا فاظهرت المساهمة في الاهتمام وذكرت ان وراء هذا
الجبل مدينة يتبوأها الملك الاعظم كل مظلوم استعدى به وتوكل عليه كشف عنه الضر بقوته
ومعونته فاطمأننا الى اشارتها وتيممنا مدينة الملك حتى حللنا بفنائه منتظرين لاذنه فخرج
الامر باذن الواردين ودخلنا قصره فاذا نحن بصحن لا يفي بوصف رحبه فلما جزناه رفع لنا
الحجاب عن جناب فسيح مشرق استضفنا الدنيا الاولى حتى وصلنا حجرة الملك فلما رفع لنا الحجاب
ولحظ الملك في جماله وفرط اشراقه وبهائه عيوننا تعلقت بسرادقه ودهشنا دهشا غافلنا
عن الشكوى فوقف على ما اغشينا فرد علينا الشباب بلطفه حتى اجرانا على تكالمه وعمرنا بين يديه
من قصتنا فقال ان نقدر على حل الحبائل عن ارجلكم الا عاقدوها واني منفذ اليهم رسولا يسومهم
ارضاكم واماطة السوء عنكم فانصرفوا مغبوطين وهو ذا نحن في الطريق مع الرسول واخواني متشبثون
ويطالبون الى حكاية بها الملك وسأصفه وصفا موجزا فاقول انه الملك الذي مهما اصلت في
خاطرك كمالا لا يمازجه نقص وجمالا لا يشابه قبح صادفته مستوفى لديه وكل جمال بالحقيقة
له وكل نقص ولو بالمجاز فمنفي عنه كل الحسن وجهه ولجوده يده من خدمه فقد اغتنم السعادة القصوى
ومن حرمه فقد خسر الاخرة والاولى فهذا ما قاله الحكيم على سبيل الرمز بالصحبة في طريق الاخرة
ومن اقاسيمهم في اداب الصحبة قول ذي النون لا تصحب مع النفس ولا مع الشيطان الا بالمخالفة
فانه يفتح لك سمعه ويفتعين بالجهال من الخير حتى يصطادك عند تمام المنابذة فقاتله بالاضداد
فان دعاك الى الدنيا فقل هي فانية وان دعاك الى الشهوات فقل هي ندامة وان دعاك الى
الكبر فقاتله بمعرفة اصلك وفرعك حمأ مسنون وماء مهين وان دعاك الى العجب فقل كيف
اعجب بما ليس مني انما هو توفيق وعصمة وكيف اعجب بعملي ولا ادري بما يختم لي فقال له يوسف
بن الحسين عند مفارقته اياه من اخالط ومن اصحب فقال من لا يحتاج ان تكتمه ما يعلم الله
منك والا فاجعل للناس ظاهرك ولله باطنك ودارهم في نفسك وخادعهم عن دينك وعاشرهم
بالتي هي احسن وسئل ابو الحسن الدينوري ما الذي يجب على الاخوان اذا اصطحبوا فقال
التواصي بالحق والتواصي بالصبر قال الله تعالى وتواصوا بالصبر وكان شرط ابرهيم بن
ادهم مع من يصحبه ان يكون الخدمة والاذان له وان يكون يده في جميع ما يفتح الله عليهم من
الدنيا كيدهم وكان رحمه الله يعمل بالنهار وكانوا يجتمعون بالليل في موضع وهم صيام فكان

هذا

ابرهيم

ابرهيم يبطي في الرجوع من العمل فقالوا نأكل فطورنا دونه حتى يعود بعد هذا اسرع فافطروا وناموا
فلما رجع ابرهيم وجدهم نائمين فقال لعلهم لم يكن لهم طعام فعمد الى شيء من الدقيق كان هناك فعجنه
واوقد النار وطرح الملة فانتبهوا وهو ينفخ في النار واضعا محاسنه على التراب فقالوا له
في ذلك فقال قلت لعلكم لم تجدوا فطورا فاحببت ان تستيقظوا والملة ادركت فقال بعضهم ابصروا
اين عملنا وما الذي يعاملنا وحكي انه كان في سفر ومعه ثلاثة نفر فبلغوا مسجدا في بعض المفاوز
وكانت ليلة باردة ولم يكن للمسجد باب فلما كان وقت النوم ناموا وقام ابرهيم على الباب الى وقت
الصباح فقيل له لم تنم قال خشيت ان يصيبكم البرد فقمت مقام الباب فقال ابو علي الرباطي
صحبت عبد الله المروزي وكان يدخل البادية بلا زاد فقلت ان اصحبه بلا زاد فلما صحبته قال الي ما احب
اليك تكون انت الامير ام انا فقلت لا بل انت قال وعليك الطاعة قلت نعم فاخذ مخلاة ووضع
فيها الزاد وحمل على ظهره فاذا قلت له اعطني حتى احمله فيقول الست انا الامير فعليك الطاعة
قال فاخذنا المطر ليلة فوقف على راسي طول الليل الى الصباح وعليه الكساء وانا جالس يمنع عني
المطر فكنت اقول في نفسي ليتني مت ولم اقل انت الامير قال اذا صحبك انسان فاصحبه
بالحق كما رأيتني صحبتك او انفرد وقيل لذي النون مع من اصحب قال من اذا
مرضت عادك واذا اذنبت تاب عنك

اذا مرضنا اتيناكم نعودكم وتذنبون فنأتيكم فنعتذر

وقال ابو سعيد الخراز صحبت الصوفية خمسين سنة ما وقع بيني وبينهم لاني
كنت معهم على نفسي وعن ابرهيم بن شيبان قال كنا نصحب ابا عبد الله المغربي
ونحن شباب وسافرنا في البراري والفلوات وكان معه شيخ اسمه الحسن قد صحبه
سبعين سنة فكان اذا جرى من احدنا خطأ وتغير علينا قلب الشيخ نستشفع بهذا
الشيخ حتى يرجع لنا الى ما كان اعظاما لحرمته ومعرفة تقلد طول صحبته وعن
ابرهيم بن شيبان قال كنا لا نصحب من يقول نعلي وعن احمد القلانسي وكان من
استادي الجنيد صحبت قوما بالبصرة فاكرموني فقلت مرة لبعضهم اين
ازاري فسقطت من اعينهم وقال احمد بن ابي الحواري لابي سليمان الداراني ان فلانا
لا يقع من قلبي فقال ولا من قلبي ولكنا لعلنا اوتينا من قبلنا لسنا من الصالحين
فلسنا نحبهم فهذا من اتهام النفس وتبرئة الناس وهو احد اداب الصحبة ومما يجب
من حقوق الصحبة التجافي عن العيوب والاغضاء على الذنوب وعما يجب في
صحبة الاحداث ومن لم يرتض برياضات اداتهم التلقي بالتاديب والتقويم كتب

كان ء

ابو الخير البناني لابي جعفر محمد بن نصر يجهل الفقرآء عليكم لانكم اشتغلتم بنفوسكم عن تهذيبهم واما كيف تهذيبه وتاديبه وعمله فذلك نذكر الصفة لا الموصوف لئلا يوحشه نصك على عينه وقد جمع ابو عبد الرحمن السلمي اداب الصحبة في كتاب و جملتها حسن الخلق ومعاشرة من توثق بدينه وتستوثق من امانته والصفح عن عثرات الاخوان وقلة الخلاف عليهم واحمادهم على حسن نياتهم والتباعد عن منافستهم في نعم الله عليهم وان لا يواجههم بما يكرهون ولا يحتجب عنهم ولا يهجرهم ويستحي منهم في كل حال وبفاتحهم ببشاشة الوجه وطلاقة اللسان وبسط الكف وصدق الوعد ودوام العهد وحفظ الاسرار وايثار الارفاق وقبول الاعذار واحتمال الاذى وبسط المعروف وتليين الكنف وتسهيل العطف وصدق الوفاء وحسن التغافل ونشر المحاسن وستر المقابح واظهار الفرح وبذل النصيحة وبسوط انسهم وان يراعي صلاحهم لا افرادهم و يحب لهم ما يحب لنفسه ويكرم كل احد منهم على قدره ويتسهل معه على سجيته ولا نطرحه في وجهه ويكون نطوع امره ونهيه ووفق له وعمله وهذه المعاني اجمع في سلك النظم منها في النثر ومحاضرتها بالشعر اعذب واعجب كما قيل في صدق المواخاة

تريدين ان ارضى وترضى وتمسكي ... زمامي ما عشنا معًا وعناني

اذن ابصري الدنيا بعيني واسمعي ... باذني فيها وانطقي بلساني

(الموسوي) انا الكري يوما نناظر في وجههم ... مثل القذي ما نعا عيني من الوسن

لقد تمازج قلبانا كانهما ... تراضعا بدم الاحشاء لا اللبن

(المهلبي الوزير) ان كان رايك في الرحيل ... فان رايي في الرحيل

اوكنت قاطنة اقمت ... وان ظعنت لذيد سولي

كالنجم يصحب في المسير ... ولا يزول لدى النزول

(بعض المتقدمين) اميل مع الذمام على ابن عمي ... واقضي للصديق على الصديق

وان الفيتني ملكا مطاعا ... فانك واجدي عبد الصديق

(القاضي ابو الحسن) وتركي مواساة الاخلاء بالذي ... تنال يدي ظلم لهم وعقوق

واني لاستحي من الله ان ارى ... بحال اتساع والصديق بضيق

(اخر) كنا نعاتبكم ليالي عودكم ... حلو المذاق وفيكم مستعتب

فالآن اذ ظهر التعنت فيكم ... ذهب العتاب وليس عنكم مذهب

(اخر) احب من الفتيان كل مواتي ... وكل غضيض الطرف عن عثرات

موافقني

يوافقني في كل امر احبه ... ويحفظني حيًا وبعد وفاتي

فمن لي بهذا ليت اني وجدته ... فقاسمته مالي من حسناتي

(اخر) يا حياتي يا حياتي ... اشرب الكاس وهات

انما الوافي بعهدي ... من وفا بعد وفاتي

(البحتري) لا تبخلن اخا وان ابصرته ... لك جافيا ولما تحب منافيا

والغصن يذبل ثم يصبح ناضرا ... والماء يكدر ثم يصبح صافيا

(الشافعي) مرض الحبيب فعدته ... فمرضت من حذري عليه

واتى الحبيب يعودني ... فبرات من نظري اليه

(اخر) كم صديق عرفته بصديق ... صار احظى من الصديق العتيق

ورفيق رايته في طريق ... صار عندي هو الصديق الحقيقي

(اخر) لعمرك ما مال الفتى بذخيرة ... ولكن اخوان الصفا الذخائر

اذا ما اتت من صاحب لك زلة ... فكن انت محتالا لزلته عذرا

شاهدما في ضميري ... من صدق تضمرك ... فما اريد وصفه ... فذلك عني يعرك

كانا من بشاشتنا ظللنا ... بيوم ليس من هذا الزمان

لو كان يرضيك قطع كفي ... افردت يمناي من شمالي

كسونا اخوتنا بالصفا ... كما كسيت بالكلام المعاني

فانك لا عدمتك للعلى ... اخ لا كاخوان هذا الزمان

اخلاء الرخاء هم كثير ... ولكن في البلاء هم قليل

فلا يغررك خلة من تواخي ... فما لك عند نايبة خليل

نحن في خلة الصفا وانتم ... كاليدين اصطفت شمالي يمينا

ضمنا الحلف واصلنا دائمًا ... في الملمات والتقفنا غصونا

وجدت نفسك من نفسي بمنزلة ... هي المصافاة بين الماء والراح

ذو الود عندي وذو القربى بمنزلة ... واخوتي اسوة عندي واخواني

ورب نائي المعاني يصحبه ابدا ... لصوته محض ودان ليس بالداني

ان دهري اذا تغير عهدي ... لبعيد وان دنى لي باق

معه خالطت فوادي ودبت ... في عروقي وخالطت في عظامي

شفيعك من قلبي بكين مشفع ... وحظك من ودي حمى ممنع

فلا انا ابغي في هواك زيادة ۞ فايسره مرضي وادناه مقنع
عليك سلام الله اني مودع ۞ اليه وما يستودع الله اوسع

المجلس الرابع والسبعون من كتاب خلق الانسان تفسير لقول الله عز وجل وفي انفسكم افلا تبصرون ۞ في ميل الانفس وحبها وهواها وعشقها

بسم الله الرحمن الرحيم

لله الامر النافذ والحكم الصائب لا يؤوده الطلاب لطالب ولا يرزاه اعطاء الرغائب لا يحدث عليه حادث ولا يرثه وارث يعلم الضماير وسرائر السرائر ويجيب اهواء الصدور ويدرك اشباه الامور جعل القلوب في اهوائها متقلبات والجوارح على اشكالها جانحات والنفوس الى الافها مائلات لا يغيب عنه هواجسها ولا يعزب عن علمه وساوسها لا يخفى عليه اسرار مكنها وما تسقط من ورقة الا يعلمها يحفظ كل نفس بنهارها والليل والنهار بكلاءها لا انفاد لقدرته ولا منتهى لعظمته ولا مرد لقضائه ولا احتجاب من رؤيته ولا اخر لامنه ولا تبديل للامر لديه ولا ملجأ الا اليه ولا عول الا عليه تجلى جلاله تعالى اولياؤه ونصب عنهم اوليا بحارا ولا اختيار على طاعته حالا ولا مزيد وراء رضاه مجالا ونصلي على محمد عبده الرسول الى الاحمر والاسود المبعوث الى الادنى والابعد المحمد بالملائكة مشتوين المؤيد بنصره وبالمؤمنين المرشد من القران بالحبل الممدود المقدم في الانبياء بالمقام المحمود من الحوض المورود وذو الشفاعة في اليوم المشهود المعضود بالصحابة الاخيار المرفود بالعترة الابرار الذين لحظوا الايمان بعين الاعظام وحفظوا الاسلام بصدق الاهتمام وخفضوا العلام الشرك بيد الانتقام ورفضوا معالم الكفر بسيف الاصطلام ۞ قالت الحكماء ان اول ابواب العلاقة ميل النفوس وثانيها الحب وثالثها الهوى ورابعها العشق والميل هو ما يلائم النفس بالتعارف الروحاني كما قال صلى الله عليه وسلم الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف ورواه سلمان الفارسي ودوي على عليه السلم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الارواح تلاقى في الهوا فتشام فما تعارف منها ائتلف وما تناكر اختلف وقد نظم الحديث من قال

ان القلوب لاجناد مجندة ۞ لله في الارض بالاهواء تأتلف
فما تعارف منها فهو مؤتلف ۞ وما تناكر منها فهو مختلف

اخر: بعثت اليك بضاعتي ومودتي ۞ قبل اللقاء شاهد الارواح

وقال جميل العذري: تعلق روحي روحها قبل خلقنا ۞ ومن بعد ما كنا نطافا وفي المهد

وزاد

وزاد كما زدنا فاصبح ناميا ۞ وليس اذا متنا بمنتقض العهد
ولكنه باق على كل حادث ۞ وزائرنا في ظلمة القبر واللحد

واما الحب فهو الشغف المتولد عن دمان النظر وطول الصحبة حتى يجد الرجل صديقه وود لدعوته وقد قسم الحب بعد هذا المجلس باب في قسمه ان شاء الله تعالى والهوى اسم لما فضل من المحبة وزاد عليها والعشق اسم لما فضل من الهوى وزاد عليه ويحكى ان حكيما كان عند بعض الملوك فنظر ودبرة الى جارية للملك كان يهواها وقد اشرفت عليه ولم يعلم الملك بذلك فلما نظر اليها تغير لونه وارتعدت فرايصه وغشي عليه فعجب الملك من ذلك فسال عن حاله فاعتذر بعارض في الاوقات فلما خرج سال الملك الحكيم هل تعرف دواء هذه العلة قال نعم واعرف داءها ان امرتني اخبرتك فقال لقد حببت ذلك قال انه نظر الى من يحب فلحقه ذلك الاضطراب لانه انفتح قلبه فحرك جسمه فقال له الملك فانا نحب اهلينا واموالنا ولا يصيبنا هذا فقال ليست هذه تلك المحبة هذه محبة الروح وتلك محبة النفس فظهر اختلاف هذه الاحوال لاختلاف اسبابها وغاياتها وكان خادم للمعتضد بالله تعشق بعض جوارى المقصورات فكانا عدة وجوها مختلفات الصور اسود واحمر واصفر ونحوها فكان تراءى في بعض اخبار السقوف بتلك الوجوه فيموج الدار ويزعج الخدام ويخرجون عنها بانها بعض العمار من الجن ويقضى الخادم في اثناء ذلك من النظر الى الجارية ويحضر المعزمون والكهنة واصحاب الطلسمات والرقاقون فكل يقول لنفسه تحرجه وتدليسه حتى نظر المعتضد في بعض الايام الى الخادم وقد اطال الجارية وتغير لونه واضطرب اعضاؤه وعلا نفسه فرابه امره واخذه عليه بالضرب حتى فرقوه ووقفوا على امره وحدث النابغة الذبياني في ابنه النعمان وقوله منها حين اشرفت عليه وهو منادم النعمان ويشاربه

الا ابا ثابت الظبي الذي يروق شفاه ۞ ولولا الاسد الحمام قد التمس فاه

معروف وانها اشرفت يوم عليه فتغير لونه وكان يغشى عليه وبلغ بعد ذلك اخذ الشيء منه ما لم يملك معه نفسه حتى تنبه النعمان على الامر وهم به وندم النابغة وقال الاعتذار ان الشهوة والهوى لا يبلغ هذا المبلغ من الانسان ولا الحب المشترك للاشياء ذلك وانما هو للعشق المبرح وربما يوضع بعض هذه الالفاظ موضع البعض فقالوا لحبك الشيء يعمي ويصم وقالوا عين الهوى لا تصدق وقالوا الراي نايم والهوى يقظان وقال مالك بن اسماء بن خارجة

اعوطي منه على بعض الحب ۞ ام انت اكمل الناس حسنا
منطق صايب وتلحن احيانا ۞ وخير الحديث ما كان لحنا

وقال عمر بن ابي ربيعة

خرجت غداة البحر اعترض الدمى   فلم ار احلى منك في العين والقلب
فوالله ما ادري احسنا رزقته   ام الحب اعمى مثل ما قيل في الحب
على انني ادري ومالي جهالة   فانك ست معمور الفؤاد من الكرب
بانك عز الحسن في الناس كلهم   واملح خلق الله في الشرق والغرب

اخر

فما الشمس يوم الدجن يوم غمامة   ولا البدر في اضوائه ليلة البدر
باحسن منها بل تزيد ملاحة   على ذاك امر راى المحب فلا ادري

الاقرع بن معاذ

تنام وتاباها نفى الدمع راده   وفي المرط لفاوان الحجاز ها ثقل
فوالله ما ادري ازيدت ملاحة   وحسنا على النسوان ام ليس لي عقل

وعلى هذا قالوا الناس يعدون ادبانا لاهواءهم لا اهواء لادبانهم وذلك لان العاشق لا يعشق في اكثر الاحوال الا غير النهاية في الجمال والكمال او غير الموصوفة بالبراعة والرشاقة فان سئل عن محبته لم يقم بحجة واحال على الهوى وسائر القلب وعلى انه حكى احمد بن سليمان بن وهب قال قال لي ابي يا بني قد ترى تهتك عمك ابي علي بهذه الجارية يعني ريا فاقم بنا اليه نعذله ونعنفه فمضينا اليه فبدا ابي فقال يا اخي العلم انفع والوعظ انجع وقد اشتهر بك الهوى الى الغوى بعد ان كنت من ذوي الاراء والدهاء ثم نظر الي كالمستعين في كلامه فقلت ما احسن ما قيل

واني لتلحاني على ان احبها   رجال تعزيهم قلوب صحائح

ويقال ان البيت الذي انشده احمد هو هذا

يلومك في ليلى وعقلك عندها   رجال ولم تذهب لهم بعقول

قال عمر بن ابي منصور فاستقاو بادرني عمي فقبل راسي واحتضنني واسمعني ما زاد بي فكان اول ما غنت

قد كنت اعذل في الصبابة اهلها   فاعجب لما تاتي به الايام
فاليوم اعذرهم واعلم انما   سبل الغواية والهدى اقسام

فقربني من العذل بما كان اثر في نفسي من تراخي باستماعه مراده في عذل عمي وقد يؤثر الانسان جفاء الحبيب على وفاء غيره ويعرض عمن يقبل اليه وينفر عمن يتهالك عليه ولا علة لذلك غير الحب كما قال المجلاح الحارثي

ابى غيرنا سوى جمل وتابى وصالنا   لعمر ابي جمل لما انصفت جمل
تمر فما يزداد الا حلاوة لدينا   وتحلو عن جمل فما تحلو

وقال المجنون في مثله

اعزي القلب عن ليلى باخرى   سوى ليلى فيابى غير ليلى

اخر

الا رب طالبة وصلنا   ابينا عليها الذي تطلب
اردنا رضاك باسخاطها   ومنعك من نعلها اطيب

جميل

جمل وليس

ولرب عارضة علينا وصلها   بالجد تخلطه بقول الهازل
فاجبتها بالقول بعد تنكر   حتى بثثته عن وصالك شاغل
لو كان في قلبي كقدر قلامة   فضل وصلتك او اتتك رسايل

وقد سئل بعض الحكماء عن الهوى فقال لا ادري ما هو الا اني اعلم انه جنون الاهي ولما قيد الشبلي وحبس وسقي الادوية قال كم تعذبون هذا الهيكل هذا جنون ربي لا جنون طبعي فكان كثيرا ما ينشد

قالوا جننت بمن تهوى فقلت لهم   ما لذة العيش الا للمجانين

وقيل من علامات الهوى نفس صاعد وقلب واجد ووجد زائد وانشد

لعمرك اني يوم ادخل بيتها   لعلة بعض الواردين لوارد
وجاءت الى ستر من الباب خلفه   سجاف وقد قامت عليها الولايد
لتسمع شعري وهو يقرع قلبها   بوحي تؤديه اليها القصايد

اخر

اذا سمعت مني بديعا شغفت   له نفسها تقديمه القلايد
وذي نفس صاعد ثان بلا عايد   تبرا عواده من السقم الزايد

وسئل آخر عن الحب فقال عين تارق وكبد تحترق وقلب يخفق ثم انشد

ولي كبد حري ونفس كانها   بكف عدو ما يريد سراحها
كان على قلبي قطاة تذكرت   على ظما وردا فهزت جناحها

وقيل الحب ان تواصل من يقطعك وتسايل عمن لا يذكرك وانشد

الا انما الان الله ان يسقي الحمى   بلى فسقى الله الحمى والمطاليا
واني لاستسقي لبين بالحمى   ولو كان لي الجمر ما استسقيا ليا

اخر

اسايل من لاقيت هل مطر الحمى   فهل بيا الي مني الحمى كيف حاليا
فقلت لما اعرض البين دوننا   وارض عليها اثر عبر وقتام
على البعد بات الملاح وازنات   بحق النوى او لم يرد رف سلام
تعرض للاشفال الحمى كانما   وقوف المطايا عندهن حرام

وقيل الهوى داء يصيب الروح ثم يشتمل على الاعضاء وامراض الجسد حاله القلب من الاعضاء والاعضاء منه في ضعفه وضعفها وكما ان اعراض الهوى وامراضه كثيرة فكذلك اسبابه والعوالة كثيرة ايضا منها ما يقبل الدواء ومنها ما لا يقبل الدواء ولا يحتمل الشفا كما قيل

فمن لسقيم يكتم الناس ما به   لزينب نجوى صدره والوساوس
اقول لباغي الشفا من يجيء   بزينب ادرك بعض ما انت لابس

فانك لا تدري بسقمي بها ... فاني من طب الاطباء آيس

ولست بناس ليلة الدار مجلسا ... لزينب حتى يرمس النفس رامس

خلاء بغير او هوا ويحضن ... دجنتها وغاب من هو حارس

وما نلت منها محرما غير اننا ... كلانا من الثوب المصرح لابس

نجيين نقضي اللهو من غير مأثم ... وان رغمت بالكاشحين المعاطس

اخر

وجدت من الهوى نارا تلظى ... على كبدي وتلتهب التهابا

وداء الحب اهونه شديد ... وداء الحب يقتل من اصابا

ولها ولا ذنب لها حب كاطراف الرماح ... ملقى الفؤاد بجدعه فالقلب مجروح النواحي

اخر

ومن يعلق حب ليلى فؤاده ... يمت او يعش ما عاش وهو كليم

واني وان اجمعت عنك تجلدا ... على العهد فيما بيننا لمقيم

افي الحق هذا ان قلبك فارغ ... صحيح وقلبي في هواك سقيم

على دنا البدن ان كان جسمها ... على النأي في طول الزمان يريم

اخر

وفي كبد مقروحة من يبيعني ... بها كبدا ليست بذات قروح

اباها علي الناس لا يشترونها ... ومن يشتري ذا علة بصحيح

أأن من الشوق الذي في جوانحي ... انين غصيص بالشراب جريح

اخر

ودعتهم من حيث لم يعلموا ... ورحت والقلب بهم مغرم

واستحسنوا ظلمي فمن اجلهم ... احب قلبي كل من يظلم

ابو الشيص

وقف الهوى بي حيث انت ... فليس لي متأخر عنهم ولا متقدم

اشبهت اعدائي فصرت احبهم ... اذ كان حظي منك حظي منهم

اجد الملامة في هواك لذيذة ... حبا لذكرك فليلمني اللوم

واهنتني فاهنت نفسي صاغرا ... ما من يهون عليك ممن اكرم

وقيل الهوى ارتياح في الخلقة وفرح يجول في الروح وسرور ينشأ في الجواهر فيتسع في مستقرها ومحل لطيف المسالك يتصل باجزاء القوى منتشرات في الحركات وهو عين القلب ولفظ الحس وجميل الحركة واشارة النفس حتى اذا اشتعل ناره واستطار اواره وصار بحيث يذهب العقل وينهك البدن ويشغل القلب عن كل نافعة وحتى كان خيال المعشوق نصب عين العاشق الغالب على عقله والخاطر كل حين بباله كما قيل

لم الق ذا شجن يبوح بحبه ... الا حسبتك ذاك المحبوبا

ولها

ولها عليك واني بك واثق ... ان لا ينال سواي منك نصيبا

غيرها

وداع دعا اذ نحن بالخيف من منى ... فهيج احزان الفؤاد وما يدري

دعا باسم ليلى غيرها فكانما ... اطار بليلى طائرا كان في صدري

مجنون

هذا هو الهوى على الاوصاف التي ذكرناها اذا طال العهد واستمرت به الايام صار عشقا مبرحا ويادي الى الجنون والوله والمرض والتلف قال الجنيد مرض استاذنا السري فلم نعرف لعلته دواء ولا علمنا السبب سببا فوصف لنا طبيب حاذق فضربنا واخذنا تفسرته في قارورة فنظر اليه الطبيب فقال لقد اعياني وصف هذه العلة وجعل ينظر اليه طويلا ثم قال اراه لعاشق فاخبرت استاذنا به فتبسم ثم قال قاتله الله ما ابصره وقال السري مرة لو شئت ان اقول ما ايبس جلدي على عظمي ولا اسل جسمي منه وبحبي الا عشقه لقلت ثم غشي عليه وكان اذا افصح في بعض الاوقات ببعض هذه الحال يغشى عليه وقال الاعرابي حين انتهى امره الى العشق بعد الهوى والحب

لدار سلمى امت يوم فارقت ... جنوب الحمى تلي وحشت مقيمها

اسيلة مجرى الدمع مهضومة الحشا ... منعمة تشفي السقيم نسيمها

تعشقتها بعد التجنب والهوى ... فحين حديثات الصبى وقديمها

كما حن محزون نأى عن بلاده ... ولاحت له منها بروق يشيمها

وقد سمت نفسي الصبر عنها فلم اجد ... لها طاقة بالصبر حين اسومها

وما ذكرتها الا وجدت لذكرها ... تباريح تفري في الفؤاد كلومها

وقال البحتري

اسيتم هل الدهر وعد صادق ... فيما يؤمله المحب الوامق

مالي فقدتك في المنام ولم تزل ... عون المشوق اذا جفاه الشائق

امنعت انت من الزيارة رقبة ... منهم فهل منع الخيال الطارق

اليوم جاز بي الهوى مقداره ... في اهله وعلمت اني عاشق

وقال اخر في جنون العشق

الا يا لنفسي قد عصتني ... وقلبي قد ابى الا الحبيبا

وعقل لا يزال الدهر يهفو ... كان به لماما او جنونا

اخر

وكنت اذا ما جئت سعدى بارضها ... ارى الارض تطوى لي ويدنو بعيدها

من الخفرات البيض ود جليسها ... اذا ما انقضت احدوثة لو يعيدها

الا ليت شعري بعدنا هل تغيرت ... عن العهد ام امست كعهدي عهودها

اذا ذكرتها النفس حنت بذكرها ... ورعت وحنت واستخف جليدها

اخر وجآؤا اليه بالتقا وتدعوا الرقي ٭ وصبوا عليه الماء من الم النكس
وقالوا به من اعين الجن نظرة ٭ ولو علموا قالوا به نظرة الانس

وقال جران العود في وله العاشق

بيوم ارتحلت برحلي قبل بردعتي ٭ والعقل منتله والقلب متبول
ثم انصرفت الى نضوي لابعثه ٭ للسير اثر الغوادي وهو معقول
فمن يك لم يعرض فانني وناقتي ٭ بحجر الى الحمى غرضان
تحن وتبدي ما بها من صبابة ٭ واخفي الذي لولا الاسى لقضاني
ابيني افي يمنى يديك جعلتني ٭ فافرح ام صيرتني في شمالك
ابيت كاني للتوله دايم ٭ حذار النوى او خيفة من زيالك
تعاللت كي اشجى ومابك علة ٭ تريدين قتلي قد ظفرت بذلك

وقال اعرابي في شدة الوجد

وما وجد ملواح من الهيم حليت ٭ عن الماء حتى جوفها يتصلصل
يحوم وتغشاها العصي وحولها ٭ اقاطيع انعام تعل وتنهل
باكثر مني غلة وتعطفا ٭ الى الورد الا انني اتجمل
وانشد ثعلب وما وجد مغلول بصنعا موثق ٭ بساقيه من ماء الحديد كبول
قليل الموالي مسلم بجريرة ٭ له بعد نومات العشاء اليل
يقول له الحداد انت معذب ٭ غداة غد او مسلم فقتيل
باكثر مني وجد يوم راعني ٭ فراق حبيب ما اليه سبيل
اخر فما ام اغلاط اقامت فراخها ٭ على فنن في الضال ذي المنحنى الغض
راى بودنيق البحر منهن غرة ٭ فكفكف سبغيهن كالنجم في القض
وما ام خشف اقبلت بعد رقبة ٭ لتمنحه من ضرعها صفوة المحض
فابصرت المعبوط ردع اهابها ٭ وقد جندل الصحصحان على الارض
باوجد مني يوم قالت جنانها ٭ استوطن بعد الظاعنين ام تمضي
اخر وما حايمات حمن يوما وليلة ٭ على الماء يغشين العصي حواني
يرين حباب الماء والموت دونه ٭ وهن لاصوات اليه رواني
لو ابنك لا يصدرن عنه لوجهه ٭ ولا هن عن برض الحياض دواني
باكثر مني لوعة وغليلة ٭ اليك ولكن العدو عداني

وقال ان

وقال ان في تلف العشق ٭ العشق جزخارة التلف ٭ يحسن فيه الذبول والدنف
عابوه اذ لج في تصلفه ٭ الحسن ثوب طرازه الصلف
وانشد ابو تراب الخادم لامير المؤمنين القايم بامر الله
القلب من خمر التصابي منتشي ٭ من ذا عذيري من شراب معطش
والنفس في اسر الغرام قتيلة ٭ وكم قتيل في الهوى لم ينعش
جمعت علي من الغرام عجايب ٭ خلقن قلبي في اسار موحش
خل بعيد وعاذل متقبح ٭ وموانع يؤذي ونمام يشي
وانشد بعض الصوفية يكاد الاسى لولا التعلل بالاسى ٭ يفرق ما بين الحشا والمفاصل
هدى الله قلبي بعد طول صبابة ٭ اليه يحن فالبعد لاشك قاتلي
ومن شعر المجنون عجبت لعروة العذري امسى ٭ احاديثا لقوم بعد قوم
وعروة مات موتا مستريحا ٭ وها انا ذا اموت بكل يوم
وفي كلام ابي يزيد من قتله حبه فديته رويته ومن قتله عشقه فديته منادمته
اشار بالعشق الى زيادة المحبة ويقال ان المجنون لما اشتد وجده بليلى قال قومه لابيه
لو حججت بقيس لعل الله يريحه من بلائه ويشفيه من ضناه ففعل وخرج به فباتوا بمخرة
فناحت حمامة على غصنها فقال
لقد هتفت في جنح ليل حمامة ٭ على فنن تبكي واني لنايم
كذبت وبيت الله لو كنت عاشقا ٭ لما سبقتني بالبكاء الحمايم
ولما كان بخيف جمع دعا داعيا يدعو بليلى فخر مغشيا عليه فلما افاق قال
وداع دعا اذ نحن بالخيف ٭ البيتين فلما وصل الى البيت امره ابوه ان يتعلق باستار الكعبة
ويقول اللهم ارحني من حب ليلى فقال اللهم زدني لليلى حبا وانشا يقول
ذكرتك حين استانس الوحش والتقت ٭ رفاق من الافاق شتى قلوبها
دعا المحرمون الله يستغفرونه ٭ بمكة يوما ان تمحى ذنوبها
فناديت يا رباه اول سولتي ٭ لنفسي ليلى ثم انت حسيبها
انه ثم فارق اباه وهام على وجهه في البراري القفار حتى تلطف الوصول اليه بعض معارفه
بشعر ليلى وهو الا ليت شعري والخطوب كثيرة ٭ متى رحل قيس مستقل فراجع
بنفسي من لا يستقل بنفسه ٭ ومن هو ان لم يحفظ الله ضايع
فبكى بكاء شديدا واغمي عليه فلما افاق قال ابياتا منها

وبانت لاحشاء القلب حبيبها ... نزائع شوق من مطيع وسامع
بارك في كرم الليلي اذا انجت ... بها النفس عندي من خصيم ونافع

ثم قال

الى الله اشكو نيه شقت العصا ... هي اليوم شتى وهي امس جميع
مضى زمن والناس يستشفعون بي ... فهل لي الى ليلى الغداة شفيع
اعائدة يا ليل ايامنا الاولى ... مدى الدهر ام ما ان لهن رجوع

ثم غشي عليه فتركته فلما كان الغد طلبناه فلم نجده حتى في ثلثة ايام لا نجد له اثرًا حتى سعل جبلا واثرنا منه على وادٍ فاذا هو ميت منحنيًا بحجره الى ليلى قد كتب لا ايامًا قلايل حتى نالت حزننا ايضا وروى ان مجنون بني عامر رُأي في المنام بعد وفاته فقيل له ما فعل الله بك فقال جعلني حجة على المحبين وروي انه لما خلا السن وتزوج بها يوسف عليه السلم انفردت عنه وتخلت بالعبادة وانقطعت الى الله فكان يدعوها الى فراشه نهارًا فتعده الى الليل فاذا دعاها ليلا سوفته الى النهار فقال لها يا يوسف انما كنت احبك قبل ان اعرفه فاذا عرفته فما ابقت محبته محبة سواه حتى قال لها ان الله امرني بذلك فجعلني طوعًا اليه وطاعة لامر الله فعندها سكنت اليه واخبار العشاق ومحنة الظرف كثيرة والتصانيف فيها معروفة مشهورة وليست مجالستنا لها ويكفينا ان ننبه على حقيقة العشق فانه امر موجود في الانفس وهذه الحال التي ذكرنا في نفس الانسان من امر الله تعالى بالمعرفة له والتنبه عليه في قوله جل وعز وفي انفسكم افلا تبصرون الا يعرف بما ركب فيها وربطها كما لعدته ورحمته وحكمته والعشق في الانفس من خلق الله عز وجل وحكيم صنعه ولطيف تدبيره عام ذلك في الحلال والحرام ومن الرجال والنساء اما في الحلال فلحكمة التناسل ومزيد التواصل واما في الحرام فللمحنة والابتلاء كي يصبر العبد فيثاب كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عشق وعف وصبر حتى مات لقي الله شهيدا وحدث الاصمعي عن يونس قال بلغني ان قومًا جاؤوا الى ابن العباس بفتى محمول ضعيفا فقالوا استشف لهذا فنظر الى فتى حلو الوجه عاري العظام فقال له ما بك

فقال

بنا من جوى الاسقام والحب لوعة ... تكاد لها نفس الشفيق تذوب
ولكنما ابقى حشاشة ما ترى ... على ما به عود هناك صليب

فقال ابن عباس رأيتم وجهًا اعتق ولسانًا اذلق وعودًا اصلب وهوى اغلب مما رأيتموه اليوم هذا شهيد الحب لا دية ولا قود وحدث الاصمعي قال رأيت بالنابغة المخزومي متعلقا باستار الكعبة وهو يقول اللهم ارحم العاشقين واعطف عليهم قلوب المعشوقين فقلت له أفي مثل هذا الموضع فيقول هذا اليوم تقول هذا القول فقال اليك عني فوالله ان الدعا لهم افضل من حجة بعمرة ثم انشا يقول

يا هجر كف عن الهوى ودع الهوى ... للعاشقين يطيبا يا هجر
ماذا تريد من الذين جفونهم ... قرحى وحشو ثيابهم جمر

فلم يكن العشق عندهم من الامور المذمومة عليها فاجتنابها ولا من الذنوب المرغوب عنها ولهذا انا يمرض العشق الصالحين ولم يحفظ عن الانبيا ولا الاوليا وقال يحيى بن معاذ لو كان لي من الامر شي لم اعذب العشاق بالنار لان ذنوبهم ذنوب اضطرار ليس لهم فيه اختيار وقد انصف القايل

فنحى الله حب العامرية فاصطبر ... عليه وقد تجري الامور على قدر
الا ينبل من شا ما شاء انما ... يلام الفتى فيما استطاع من الامر

وقال آخر

احقا عباد الله ان لست خارجا ... ولا والجا الا علي رقيب
ولا زايرًا فردًا ولا في جماعة ... من الناس الا قيل انت مريب
ولا ريبة في ان تحن نجيبة ... الى الفها او ان يحن نجيب

ومن شعر الوليد بن يزيد

الا يا لقوم للرقاد المسهد ... وللماء ممنوعا عن الحايم الصدي
وللحال بعد الحال يركبها الفتى ... وللحب بعد السلوة المتمرد
وللقلب لا تماثيلا بعمرو ... ولا السبيل الرشد فيه بمهتدي
وللمرء يلحى في التصابي وقبله ... صبا بالغواني كل قرم ممجد

وقد ذكر عبيد الله بن عبد الله بن طاهر من ابتلي به من هذا العارض من الانبيا عليهم السلام في كلمة فقال

قد لامني اللائمون في الملومينا ... ليس جرمي كما زعمت عظيما
انا ان كنت عاشقا فلداءٍ ... ما اتته الاخيار قبلي قديما
انبياء الهدى وخيرة خلق الله ... طرًا والاعظمون قديما
فتنت صاحب الزبور من المحراب ... اذ ظل للصلوة مقيما
ذات فرع اوفى محلل منها ... بدنًا ناعمًا وكشحًا هضيما
وبرات على الركي فتاة ... فتنت بالجمال موسى الكليما
ولقد قيل ان هاجر كانت ... فتنت قبل ذاك ابرهيما
ولقد هم يوسف بالذي هم ... وقد كان طاهرًا معصوما
ولقد تيمت فؤاد رسول الله ... عرس بن حارث تتيما
احمد المصطفى فمن انا حتى ... تنكري ان اكون نضوًا سقيما
انما ينبغي التعجب ممن ... كان من فتنة النساء سليما

ويمكن ان تكون الحكمة الالهية في العشق تزكية الطبع وارهاف الهمة والاجتهاد في
الطلب والتوفر على التادب والتظرف والتعود للتحلم والتجمل على ما يحكى ان الفضل بن
سهل ذا الرياستين كان يرسل احداث اهله الى حكيم بخراسان يتعلمون منه الحكمة وكان
اذا انصرفوا من عنده اعترضهم الفضل فيريش سهامهم ويثقف صعادهم يحدثونه عن الشيخ
يوما انه قال لهم قد تادبتم وسمعتم الحكمة فهل فيكم من عشق قالوا لا قال اعشقوا واياكم والفساد
فان العشق يفصح من لسان العيي ويفتق من حيلة البليد ويسعد من حركة المضطرب ويبعث على التجمل في
الى الذكاء والظرافة واللباقة والنظافة فقال لهم الفضل صدق الشيخ فيما قال افتدرون
من اين اخذ هذا الراي قلنا لا قال ان بهرام جور كان له ابن واحد يرشحه للملك بعده
وينقص عنده همته ولا سمو باداب طبيعته فكان يقلقه ذلك منه ويغصه ويتهمه مضضه
وكان لا يزداد على طول تاديب المؤدبين الا بلادة وتاخرا الى ان قال له يوما بعض مؤدبيه
انا نرجو صلاحه ونتوقع فلاحه قال ومما ذاك قال لانه رأى ابنة فلان المرزبان فعلقها و
وعشقها عشقا مبرحا فهو يهذي بها ولا ينطلق لسانه الا بذكرها فقال بهرام الآن
انجح ونفلح ثم دعا ابا الجارية فقال له اني مسر اليك سرا فلا يعدونك واعلم ان ابنه
عشق ابنتك واني مزوجها اياه فأمرها بالاطماع في نفسها ومراسلته بامرها من غير
ان يراها حتى اذا استحكم طمعه فيها تجنت عليه وتنكرت وازورت فاذا استعتبها
اعلمها انها لا تصلح الا لمن يوثق بفضله ويتوسل لعقله وانه بمعزل منه اذ لم يتادب
باداب الملوك ثم قال للمؤدب خوفه مني وشجعه على مراسلة الجارية الى ان بلغ الامر منتهاه
بالتجني والتهاجر وعلم الغلام السبب الذي كرهته له فجهد في طلب الادب وتادب باداب
الملوك من الفروسية والضرب بالصولجان حتى مهر في ذلك كله وخرج له ابوه من
اسباب ذلك والالة وملابسه ومفارشه ما يصلح لمثله ثم قال المؤدب امض الى الموضع
الذي وقع اني نفسه به من حب هذه الجارية ليس لما يزري به ويعيبه فتقدم اليه
بان يرفع امرها الي ويسالني ان اخطبها له فدخل ذلك ودعا الملك ابا الجارية
ورسم تزوجها اياه وتعجيل نقلها اليه وقال لابنه لا يهون عندك هذه الجارية
لم اسلها ابا لك فاني امرتها بذلك واعلم السبب وقال له اعلم يا بني انها اعظم
الناس بركة ونعمة عليك لما دعتك اليه من التادب والتخلق باخلاق الملوك
حتى بلغت الحد الذي يصلح للملك فوفقنا من الاكرام بحسب ما استحقته ففعل الفتى
له ذلك وعاش مسرورا [illegible] ورفع بهرام مرتبة المرزبان ابي الجارية وعقد لابنه

للملك

الملك من بعده ثم قال ذو الرياستين سلوا الشيخ لم حملكم على ذلك فسألوه فحدثهم بحديث بهرام
بعينه وحدث الاصمعي قال سمعت موسى بن جعفر يقول الهوى جليس ممتع واليف مونس وصاحب
مبهج وملك غالب وسلطان قاهر ومسالكه لطيفة ومذاهبه متضادة واحكامه نافذة
ملك الابدان وارواحها والعقول وآراءها والقلوب وخواطرها والعيون ونواظرها
اعطي زمام طاعتها وقياد تصرفها توارى عن الابصار مدخله وغمض في القلوب مسلكه
وقوي على الاحوال امره فكم بانبائه يشجع قلب الجبان ويسخى كف اللئيم وتنقاد له طاعة كل ممتنع
وتذل له عزة كل منتصر وذكروا في احاديث الفرس واسمار ملوكهم ان كيقباد كان ذات يوم
على صرح مشرف ينظر الى بساتين ومزارع ما تقع العين الا على خضرة وعمارة وواد سايل وكان قد
اشرب في قلبه العمارة وحيوة الارض فبينما هو ينظر ويسرح بعينه في مسارح العين اذ لمح
على البعد منه سوادا على بياض في خلال الخضر فنظر اليه من ياتيه بخبره فاخبره ان رجلا كان
ياتي من قرية الى اخرى سكران فسقط في مزرعة كالميت من شدة السكر فسقط عليه غراب
فاقتلع عينه كما يفعل بالميت فغم كيقباد ذلك واهمه وبلغ منه وامر فنودي بتحريم الخمر وتشدد
الامر على شاربها فتحامى الناس شربها برهة من الدهر ثم انه في بعض الايام افلت سبع من دار
السباع ولم يقدر احد على اخذه ورده حتى مر به شاب مقبل الشبيبة فاخذ باذنيه
وركبه كما يركب الحمار وسيره ورده واسلمه الى حفظة السباع فانتهى امره الى كيقباد فتعجب
وقال ان هذا الفتى ما يخلو من ان يكون مجنونا او عاشقا ودعا به فقال له اصدقني
قصتك في تجاسرك على الاسد فقال اعلم الملك اني كنت عاشقا ابنة عمي عشقا لا ارى الدنيا
بها وكنت من عمي على موعد من تزويجها اياي فاخلفه وزوجها غيري لما احدثه وراحة
عيش وضيق ذات يد فلما بلغني الخبر هامت نفسي وهممت بقتل نفسي فقالت لي امي وقد
اشفقت على نفسي يا ابناه هذا امر لا تستظهر عليه الا باقداح من الراح فانها تخفف
عنك بعض ما بك فقلت من لي بها مع نهي الملك عنه فقالت اشرب في خفية مما عتقت
في دارنا فالضرورة تبيح المحظورة ومن الذي يتم عليك فتناولت شربات بعد كبابا
وعزمت بقوة الشراب والعشق والشباب ففعلت ما فعلت فاعجب الملك حسن قوله وثبات
قلبه ودعا بعمه فرسم له بمخالعة ختنه وتزويجها ابن اخيه واستخلص الفتى لنفسه واعانه
على دهره وبعث الى المنادين فنودي في الناس ان اشربوا من الراح ما يعينكم على صبر
الاسود واياكم والمصير منها الى حالة تقتلع الغربان اعينكم ووصف بعضهم الهوى فقال
الهوى ملك عسوف وسلطان ظلوم دانت له القلوب وانقادت له النفوس قد ابيح العقل ينثره

والشا ر رسوله والمخط نايبه والفكر قايده والزمان رايده مستقره غامض ومحله لطيف وعلاجه
عسير وانشد ليس خطب الهوى بخطب يسير ۞ لا ينبيك عنه مثل خبير

ليس امر الهوى يدبر بالرأي ۞ ولا بالقياس والتفكير
انما الامر في الهوى خطرات ۞ محدثات الامور بعد الامور
سلني عن الحب من لبس يعرفه ۞ ما الطيب الحب الا انه نكد
طعمان حلو ومر ليس يعدله ۞ في حلق ذايقه سم ولا شهد

وقال ابرهيم النظام قلت لبنكه الهندي ما العشق فقال عندي صحيفة في وصفه بالهندية
لا احرجها او ترجمها فكان فيها ان العشق ارتياح يجول في الفكر واهتزاز يخالط الروح وجوهر
فلكي فسحه النجوم بمقدر مطارح شعاعها وتولد النفوس بوصلة اشكالها وتعمل الاوهام
بلطيف خواطرها وتدبر مجاريها وهو مع ذلك يجلو العقول ويصقل الاذهان وتقاف
لكل وتمال الارتياحات ما لم يفرط فاذا افرط عاد عناء وسقما وعرضا سببهما لا ينجح
حيلة ذوي حول ولا ينفع فيه دهاء ذي دهي ولا تنفع علاج آسي ولا رقية راق بل يزيد
العلاج في دائه ويجلب الاطفاء من زاده هذا ما قيل في خصايص العشق وقوانينه ووجه الحكمة
في تقديره وخلقه في الانفس ويمكن ان تكون الحكمة فيه ايضا ارادة لين العريكة وكرم العطف
وسماحة النفس كتب رجل كان في حبس ذي اليمينين طاهر بن الحسين استوجب القتل اليه
رقعة يقول فيها انا امرك استجار لديدي فكتب اليه طاهر حركت مني ساكنا وانطقت
وكتب تحته ۞ ايا جار ديدي انت في حبس طاهر ۞ ووالبك لو تدري عليك شفيق
وبالجار ديدي لا تخف شر طاهر ۞ وانت لديدي ان تكون طليق
ثم امر ان يحصى من في الحبس فامر باطلاقهم مع الرجل عن آخرهم وان يعطى كل واحد منهم بدرة
اكراما منه لجوار ديدي وهي امراة بخراسان كان طاهر في حداثته يعشقها ويمكن ان يكون
الحكمة فيه تخليص القلب عن الهموم المختلفة وان يصير جميعها هما واحدا الى ان ينتقل الحال الى
امر لا غاية بعدها ولا شي من العلاج عنده كان محمد بن عبد الرحمن بن ثابت الناسك تحضر عن رقة
في بعض حوايجه الى مدينة السلام فوافى فيه من اهلها كما يكون من بهجة الاحداث المترفين
فبينا هو في بعض الطريق مارا اذ ابصر بجارية حسناء جميلة ذات ظرف وشكل فاعجبه ما رأى منها
فتحير وتم استطار القلب بها واعقل ناسيا لما سواها وجعل كلما اراد صرف نفسه عن الفكر
فيها ابت نفسه الا طمعا وحبا فرجع الى منزله كئيبا حزينا ظل يومه متفكرا اذا هو بها
فاستطير لبه فلما رأى اصحابه حاله وتغيره لو نسألوه عن امره فلم يقل لهم شيئا وبقي دايما الا يجيبهم جوابا

فمكث

فمكث بذلك حينا لا يعلم به احد من اخوانه لا ظنا ولا انقطع عنهم وترك زيارتهم فعند ذلك علموا
انه عاشق فجاءه اوثق اخوانه في نفسه واشدهم حبا له واحرصهم على مودته فلامه وعذله على ما
هو فيه وترك اعلامه فعند ذلك انشا يقول

لا تعجلوا بملامتي ۞ قامت على قيامتي ۞ احببت اجمل من مشى ۞ فلقد عدمت سلامتي
علقتها فاتبعت طرفي ذلالي بكرامتي ۞ من كان يعرف بالعلامة فالهموم علامتي

ثم تمادى به الخلوة والوحدة حتى رفض الدنيا واسبابها وصار احدوثة ببغداد بهم
ويمكن ان يكون الحكمة فيه سبب الاختيار من العبد وخلعه رداء رايه وارادته فلا يختار الا
ما يختار المعشوق ولا يحب الا ما يحبه ولا يستعد الا بذكره ولا يحن الى غيره ولا يكون الى
غيره اهله ولا يستحي الا من صوبه كما قيل

الا حبذا المكان الذي قابل الحمى ۞ ويا حبذا من اجل ظبيا احاضره
ولو ان لي ظبيا يوما بوجهها ۞ سحاب الثنايا لاستهلت بواطره

وقال شريح القاضي في زوجته زينب التميمية وكان يحبها ويواصل من اجلها اهلها

اذا زينب زارها اهلها ۞ حشدت واكرمت زوارها
وان هي زارتهم زرتها ۞ وان لم يكن لي هوى دارها

آخر للمتنابات فيمن احبه ۞ وبيان لسان هواي ومن شكلي
الا انها البين الذي حال دونه ۞ ثبات من زينب واهلك من اهلي

وكما ان تناهي الحب ان لا يرى غير المحبوب ولا يحب غير ما يحبه ثم اذا تناهى هذا التناهي صار
عشقا كذلك تناهي العشق الاتحاد بالمعشوق فاذا تناهى هذا التناهي واشتهى كما يتناهى الى محبة
من ليس له ابتداء وانتهاء فيكون مجاز العشق مجازا ويصل الى حقيقة المحبة وطريقة الاولى دوم

ما هوى الا له سبب ۞ يبتدي منه وينشعب
فارحبا ما مزجت به ۞ رب جد جره اللعب

آخر انهال شاهد امري عن مغيبه ۞ وجد هزل الهوى بي وتلعبه
بانا دخان زحت دمعي قطعته ۞ هب لي من الدمع ما ابكي عليك به

آخر ولي فؤاد اذا طال الغرام به ۞ طار اشتياقا الى لقيا معذبه
يفديك بالروح صب لو يكون له ۞ اعز من روحه شي فداك به
قلت من انتم فصدتني وقالت ۞ امبتدي سؤالك الغالبيا
نحن من ساكني العراق وكنا ۞ قبله قاطنين مكة حينا

فقصدنا ان اذ نالت غزالات عني ان يجرسا نونا
المرء يريد الدهر في كل ساعة ... له حالة فيها التغير يطلع
وابى امرئ في غاية ليس نفسه ... الى غاية اخرى سواها تطلع
وعلى هذا كان امير عمر بن عبد العزيز قبل الخلافة في التنعم والتوفر على الدنيا وزبرجها و
التكلف في امتياز زخارفها ثم لما ان تقلد الخلافة رفضها الى غاية التقشف والزهد
فقيل له في ذلك فقال ان لي نفسا توّاقة لا تنتهي الى حد الا تجاوزه واشتاقت ما هو فوقه وكانت
منيتها في رغبات عن الدنيا الخلافة فلما نالتها تاقت الى الجنة وهذا المعنى هو كامن مجبول
عليه في اصل الفطرة وبين ذلك ان جميع احوال الناس في الدنيا لا تزيد على اربعة اطوار
اولها ما يكون في سن الصبى اذا استحكم قوة التمييز من استلذاذ اللهو واللعب ثم ما يكون بعده
في سن البلوغ من الزينة وحب الكسا من فضل الثنا اعتاده من قبله ثم ما يكون
بعده في سن الكهولة من حب الرياسة واصلاح المال كما يقول
الاخنس بن شهاب التغلبي في هذه الحال وفيما تقدمها
رفيقا لمن اعيا وقلد حبله ... وحاذر جرّاء الصديق الاقارب
هذه حاله في الصبى والشبيبة ثم وصف سن الكهولة والحنكة فقال
فاديت عني ما استعرت من الصبى ... فللمال عندي اليوم راع وكاسب
وهذا هو آخر لذات الدنيا كما قال الله تعالى اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر
الآية ثم من بعد ذلك يظهر في سن الاشد حب العلوم وايثار الحجر والعمل للدار الآخرة
وتتوق النفس الى الاعمال الصالحة وتعرض عن اللذات الفانية وقد ذكر هذه الاطوار
ابو دلف العجلي في شعر له وقال
العب الى العشرين في طلب الصبى ودع الرويه
ثم اقبل من الفتوة تاركا سبل التقيه
فاذا بلغت الاربعين فسام بالهمم العليه
لقد ذكر جميع مآرب النفس وما يتعاطاه اهل الدنيا من اسباب المروة والفتوة ثم تحول
هنا الى الستين ثم اياس من الدنيا الدنيه
وعليك صومك والصلوة وتوبة تمحو الخطيه
وتحل من دنياك واختمها باعمال زكيه
واستغفر الله الغفور بحسبة وبحسن نيه

ولئن

ولئن جنيت ثمار نعمته لاعظمت المحنه
واما مسارعة العشق الى بعض الناس دون بعض فقيل انه من اختلاف الطبائع في الرقة و
القساوة وسرعة الالف وابطائه كما قال الاحوص
الا لا تلمه اليوم ان يتبلدا ... فقد غلب المحزون ان يتجلدا
وما العيش الا ما تلذ وتشتهي ... وان لام فيه ذو الشنان وفندا
اذا انت لم تعشق ولم تدر ما الهوى ... فكن حجرا من يابس الصخر جلمدا
ويحكى ان معوية قال لعمرو بن العاص امض بنا الى هذا الذي تشاغل باللهو وسعى في هدم مروته
حتى نعيب عليه فعله يريد عبد الله بن جعفر فدخلا عليه وعنده شايب خاثر وهو يلقي على
جواريه اغاني فامر عبد الله بتنحية الجواري لمجيء معوية ووثب الشايب خاثر وتنحى عبد الله
عن سريره لمعوية فاجلسه الى جانبه ثم قال لعبد الله اعد الينا ما كنت انت فيه فامر بالكراسي
فالقيت فاخرج الجواري فتغنى الشايب بقول قيس بن الخطيم
ديار التي كادت ونحن على منى ... تحل بنا لولا نجاء الركائب
تبدت لنا كالشمس تحت غمامة ... بدا حاجب منها وضنت بحاجب
ورددته الجواري فحرك معوية يديه وتحرك في مجلسه ثم مد رجليه فجعل يضرب بهما وجه السرير
فقال له عمرو ابتدئ ان الذي جئته لتلحاه احسن منك حالا واقل حركة فقال معوية ان الكريم
طروب الوقت وقيل ان امر العشق يدور على خاطري العقل والطبع جميعا ويختلف باختلاف
احوال المعشوقات في الشرف والخساسة حتى قالت الاوائل ان الله تعالى حرك الجماد للنمو بان جعل
فيه قوتين فاعلة ومنفعلة بالكيفيات الاربع البسائط فتولدت منه الحشائش والفطر والكمأة
وحركت النبات بما تقدم في الجماد وبالتناسل والاستمداد في مكان واحد وشعرة متصفين
شقا متصلا اذا عدمها الحركة الاختيارية وصله فصلا اما عندا ولحركة النمو فليس من جهة
عند النمو الاول الاتصال والانفصال جميعا منهما من جهة وجهة وحرك الحيوان بما تقدم
في الاولين وخصه بالحس والحركة الذاتية اذ فضل بصفته وجعل كل واحد منهما طالب
الآخر طلبا عشقيا وسلطه على المقدمين وحرك الانسان بما حرك به الثلاثة وسلطه
عليها وخصه بالعقل المستعمل لآلات الصناعات والعلوم والتركيب والتحليل والبرهان
والاستدلال فان قوي كان عشقه للبحث والبرهان على الامور الغامضة وان ضعف
عشق بحسن نصفه الآخر وفي ذلك يقول الغائب
كل فتى يطلب ما فاته ... من نصفه من جانب النصف

وذاك عكس لامور الفتى ۞ اذا رقا بالعشق الى خلف
والعشق لا ينفعه بل به ۞ شعلة مصباح الهدى يطفى
لا تعشقن ما بدؤه ظلمة ۞ فالنور من امثاله يختفي
ومن يكن في فكره ظلمة ۞ فعقله عن ربه منتفي

وقال بعضهم ان العشق طمع يتولد في القلب ويجتمع اليه مواد من الحرص فكلما قوي ازداد صاحبه في الاهتياج واللجاج وشدة القلق وكثرة السهر وعند ذلك يكون احتراق الدم واستحالته الى السوداء ومن طغيان السوداء افساد الفكر ومع فساد الفكر يكون الغرام ونقصان العقل ورجاء ما لا يكون وتمني ما لا يتم حتى يودي ذلك الى الجنون فحينئذ ربما قتل العاشق نفسه وربما مات غما وربما نظر الى معشوقه فيموت فرحا اشفاقا وربما شهق شهقة فتختفي فيها روحه اربعة وعشرين ساعة فيظنون انه قد مات فيقبرونه وهو حي وربما تنفس الصعداء فتختنق نفسه في تامور قلبه وينضم عليه القلب فلا ينفرج حتى يموت كما قال

كتمت الهوى يوم اللوى فتتابعت ۞ بي زفرات ما بهن خفاء
يكدن يقطعن الحيازيم كلما ۞ ترقت بهن الزفرة الصعداء

وربما ارتاح وتشوق الى النظر او رأى من يحب فجاة فينبسط روحه ويخرج الى خارج فتخرج نفسه فجاة وانت ترى العاشق اذا سمع بذكر من يحب كيف يهرب دمه ويستحيل لونه وربما يذهب دفعة الى عمق البدن من داخل منعقا عن لقائه فلا يرجع الى مكانه فيموت فاذا كان الامر يجري الى هذا الحد فلا سبيل الى زوال هذا العارض عن احد بتدبير الادميين ولا شفا المبتلى به الا بلطف من رب العالمين لان المكروه العارض بسبب قائم مطرد بنفسه شبيه ان اللطف في ازالته بازالة سببه فان الامراض باسبابها فاذا وقع سببان وكل واحد منهما علة لصاحبه لم يكن الى زوال واحد منهما سبيل فاذا كان العشق سبب السوداء والسوداء سبب اتصال الفكر وكان اتصال الفكر سبب احتراق الدم والصفراء وقلبهما الى السوداء فالسوداء كلما قويت قويت الفكرة والفكرة كلما قويت قويت السوداء هذا هو الداء العياء الذي يعجز عن علاجه الاطباء

وان فتى كالسيف الا انه ۞ تحت الضلوع قليل لحم الكاهل
مثل الذبالة ضوؤها لك معجب ۞ والنار تاكل جسمها من داخل

وبالجملة العشق سبب الاتحاد فان كان في الاشكال فهو بسبب قوة الاتحاد وان كان في الاشخاص فهو بسبب صلاح الاتحاد وما تواليه التوالد بنفسين والمختص منه الانسان بما ذكرنا فهم الانسان ايضا فمن محيط ومحاط به فالمحاط به هو الجسم الذي هو محيطه وان الفلك محيط بحره وبره

ورطوبته ويبسه ونهاره وليله وسعوده ونحوسه والمحيط بالجسم والبحر والبر والنهار والليل والرطوبة واليبوسة والسعود والنحوس هو الفلك والنجوم ايضا العقل فان كان الحسن ثانيه في الانسان عقله عشق الاشياء العقلية وان كان ثانيه جسمه عشق الصور الجسمانية فيجب على العاقل ان يجتهد في تقوية عقله فان لم يقدر على ذلك اجتهد في اضعاف جسمه من غير ضرر وفي اماتة الشهوات وقيل ان امر العشق يدور على قوة النفس وضعفها وعلو الهمة وسقوطها ولهذا كان الرجال المذكورون الكبار الانفس في الحلم البعيد خلق الله من هذه البلية من جهة طبايعهم الابية ونفوسهم الغالبة اذ لا شيء اشد على هولاء من التذلل والاستكانة واحتمال التجني والاستطالة كما قال الاعرابي

فان تقبلوا بالود نقبل بمثله ۞ والا فانا نحن ابى واشمس
واني لاهوى من لا اتبع الهوى ۞ واكرم خلافي وفي صدود
وفي النفس عن بعض الفرع غلظة ۞ وفي العين عن بعض البكا جمود

وقال بعض عشاق العرب ۞ والله لا نظرت عيني اليك ولو ۞ سالت مدامعها شوقا اليك دما
ضيعتني محمد اكشح خافظه ۞ ما خان قط حبيب يعرف الكرما

اخرى ۞ صل من دنا وتناس من بعدا ۞ لا تكرهن على الهوى احدا
قد اكثرت حوا ومن ولد ۞ فاذا جفا ولد فصل ولدا
سلام عليها ما احبت سلامنا ۞ فان كرهته فالسلام على اخرى
حلاوة ليلى يا حلام بطونها ۞ علوا ولم يسمع بها قبل صاحب
فلما تولى ود ليلى بجانب ۞ وقوم يولينا القوم وجانب
وما انا بالنخل الملول ولا الذي ۞ اذا صد عني ذو المودة احرب
ولكنه ان دام دمت وان يكن ۞ له مذهب عني فلي عنه مذهب
لقد ذل من يحوي هواه خريده ۞ وقد ضل من تقضي عليه كعاب
ولكنني والحمد لله حازم ۞ اعز اذا ذلت لهن رقاب
ولا يملك الحسناء قلبي كله ۞ وان شملتها رقة وشباب
واجري فلا اعطي الهوى فضل مقودي ۞ واهفو ولا يخفى علي صواب
اذا لم اجد من خلة ما اريده ۞ فعندي لاخرى عزمة وركاب
وليس فراقها ما استطعت فان يكن ۞ فراق على حال فليس اياب

تميم بن معد صاحب مصر

من ملني فليمض عني راشدا ⁂ ولئن عرضت له فلست براشد

ما ضاقت الدنيا علي برحبها ⁂ حتى رأيتك في الحبيبة زاهد

وقال هذا المعروف في ذم المتعاشقين ⁂ تبكي عيونهم دمعا وانفسهم ⁂ في اثر كل مليح وجهه حسن

وقد قال الاخر قبله ⁂ فعدلت بين جماله وفعاله ⁂ فاذا القباحة بالملاحة لا تفي

ولهذا قيل ما المرض هو الا آفة للذين تلزمهم اشغال وهموم اضطرارية دينية او دنياوية ومن هذا
لما سئل الشعبي عن العشق قال شغل قلب فارغ ومن امثالهم من الفراغ تكون الصبوة وللحكماء الا انه لم
هذا العارض لتيقنهم انقلاب الامور واستقامتهم ما في الاعجاز بالصدور وان الدنيا دار غرور لا مقام سرور
ومغنى فراق لا ربع هوى واشتياق ومثوى اشتغال وانقطاع وملتقى ساعة لوداع

لقد كان حب النفس لو دام وصلنا ⁂ ولكنما الدنيا متاع غرور

وكنا قديما قبل ان يظهر النوى ⁂ باحسن حال غبطة وسرور

فما برح الايام حتى بدت لنا ⁂ بطون الهوى مقلوبة لظهور

ويحكى ان جعفر بن سليمن بن علي بن عبد الله بن عباس شغف بجارية كانت من احسن قيان عصرها
وجها وغناء وصوتا وظرفا فاشتراها بعشر الف دينار ومائتي ناقة واربعة اعبد من النوبة
يرعونها فان مولاها استامه بها ذلك كله وحظيت عنده وولدت منه سيد اهله في زمانه
احمد بن جعفر وكان بلغ عبد الملك بن صالح الهاشمي شغفه بها فكتب اليه يعذله على الهوى ويعرفه
عاقبة تلك البلوى حفظك الله يا اخي بالسبتة على حظك واقبل بك الى رشدك واعاذك
من شر هوى نفسك انه لما تأت من دارك وانقطعت اخبارك استهديت من رائح اخبارك
ما انطوى عني من تصرفك في احوالك لان همي لم يزل موكلا بالشفقة عليك والمراعاة لامورك
لما انبئت انك محبب بنفسك وجليل قدرك ونبيه ذكرك وعالي شرفك وما اوتيته من دينك و
مروتك من طلعتك في طاعة هواك وانك وهبت كلك لمن لا يهب بعضه لك واثرت لذة المزح
ظاهرها بو انفصالك وامنت في عواقبها المكاره لك وليتك اذا املكت نفسك ولم تجنح الى ما
يزيل عنك اللوم بنفسك وصرفها الى ما استحقها ولئن كنت رايت ما بذلته من نفسك وافيا
بقيمة من صحبته له لقد لبثت نفسك بعين محض صادقة النخيل وقومتها بقيمة بخوسة القدر
فليت شعري من ابن اتاك السهو والاختيار امن طاعتك انتصابي ام من قبولك مشورة ووسط فلعمري
انه لقد اتاح الاخبار امر احدثك عنا الراي سورة الشراب وارتياح الاطراب والاصغاء الى
اقتران منزل الاشعار بنغم الاوتار وامتزاج دقيق المعاني بسجع الاغاني فلقد حكمت غير العقل واثرت غير
المستحق للاثرة وهلا فكرت في انك قد ملكت فؤادك قينة انت بالعصمة لها اولى من القينة بها ولم

حلقتها

حلقتها على انتاذ من وقاه القيان ولم تحرز فيها من شهور عنودهم اما والله لئن راجعت رايك ونظرت
مشورة عليك لتعلمن اني لك ناصح من نفسك ومن نصائحك ولئن اقمت على تماديك ان المصيبة بك
لعظيمة مع عظم قدرك في انفسنا وسعة امالنا الا نعلك وفيك والله يوفقك لما هو اولى بك والشبه
بقدرك والسلام فلما وصلت هذه الرسالة اقامته واقعدته ولم يقدر على الجارية فتنحى فلما سلمها باعها
بالثمن الغالي وكانت شهوى امرأة مغنية عوادة تحضر المجالس وكانت من الجمال في النهاية فاخبروا
عبد الله بن طاهر بخبرها فاحضرها المجلس فرأى ما ادهشه ومال اليها ولم يحتمل الا ونهاها فبلغ
الخبر المعتصم فكتب الى عبد الله يا عبد الله بن طاهر نازعك الهوى عنان حزمك فاجبته وارتك لذلك
القبيح حسنا وقبلته وما كنت بذلك موصوفا ولا بالتورط في المكروه موقفا فان كان للشيما ابت
من تزويج هذه المرأة فضرر يجب قبوله اعلمته امير المؤمنين ليكرمك باحتمال ذلك فاجاب
عبد الله ايد الله امير المؤمنين لو كان الحب اختيارا لم تحتثم القلوب مرارة ذوب الاجسام ولا تجرعت
صبابة الهجران لكنه بديهة الابصار وخطرة القلوب وغرس الشيطان ونتيجة اللجاج وما كنت اقول
من وجد بنفيسة المتاعة الدهر وغلط فيه الزمان فاختاره لنفسه واصطفاه لا لانه ولان انعم امير
المؤمنين الجمع عما وسعته لله وجد عندي شافعا اليه فترك اللوم عليه وبسط عذري فيه والسلم
ويحكى ان بعض تلامذة افلاطون الحكيم ابتلي بحب جارية فاخل بمركزه من مجلسه فامر ان يطلب فحضر
فلما مثل بين يديه قال اخبرني يا فلان هل تشك في انه لابد لك من مفارقة حبيبك هذه يوما ما
ام لا تشك فقال التلميذ ما اشك فيه فقال افلاطون فاجعل المرارة التي تصير في ذلك اليوم في هذا
اليوم وارح ما بينهما من خوف المنتظر الباقي الذي لابد من محنته وصعوبة معالجته بعد الاستحكام
وانضمام الالف اليه وزيادته فيه فقال التلميذ لكني اجد انتظاري به سلوة مرور الايام
وادوم فقال افلاطون وكيف وثقت ايها الرجل بسلوة الايام ولم تعف الها على المرور والادمان
ولم امنت ان ياتيكما الفراق قبل السلوة وبعد الاستحكام فتضاعف عليك البلاء ويتزايد العنا
فبجل له الرجل وشكره وردع نفسه عما شار عن هو لها ولم ما ادهشها الى الامر مضى الى اخر
فصار اخره اولا ويروى ان بعض العشاق رأى في وصف المحبين فقيل له في ذلك فقال وحق من شق
المقابح بالمحاسن وانار عقول المصابر عن المعايب يحسن كل ما يجالد وجه الي من كل جمال بما يحققه
له وكل نقص وعيب فلو بالجمار شفوعيته ومميز فيه وعجز عليه عشقك

عشقك الذي عيني عليها غشاوة ⁂ فلما انجلت قطعت نفسي الومها

حطت عليك التقي حتى كانما ⁂ يكفيك بوساها ومنك نعيمها

ولا شي في الاحرار اسرع بلة الالف وعاقبة للهوى مثل من النفس على الهجر الا بعد خال ل

وارتياضهما بالنوى والبعد حينا بعد حين كما قال العلام الفزاري

واعرض حتى يحسب الناس انما ... بي الهجر لا والله ما بي لها هجر

ولكن اروض النفس انظر هل لها ... اذا فقدت يوما احبتها صبر

وقد غلب على هذا المعنى هذا الفزاري واشتهر به وامتحنه الناس حتى قال هرون بن ابي حفصة

يا ايها الذي نزلت بغني واهلي ... هل الدهر مفض لناس رجوع

اتانا لكي يروع فؤادي ... ثم يشتد عند ذاك ولوعي

فلما قال هرون بن ابي حفصة هذين البيتين سقط بيتا الفزاري كما انه كان يحسن قول ابي ذويب في قريب من هذا المعنى

ديار بها الواشون ما يبرحونها ... ورقبة من يهوي فكيف نزورها

سانركها حتى يقال لقد سلا ... وابعث قلبي كل يوم يزورها

فلما قال قيس بن معاذ بن الملوح مجنون بني جعدة

لحقا عباد الله ان لست صادرا ... ولا واردا الا علي رقيب

ولا ناظرا الا وطرفي برده ... بعيد المراقي في السماء مجيب

ولا زائرا وحدي ولا في جماعة ... من الناس الا قيل انت مريب

وهل ريبة ان تحن نجيبة ... الى الفها او ان تحن نجيب

فلما رايت الهجر ابني مودة ... وطارت باصغار علي قلوب

هجرت ديارا ما الاحباب ولا ... بنفسي مهجور الى حبيب

سقط بيتا ابي ذويب ثم قال الاول

وما هجرتك النفس انك انها ... قلتك ولا ان قل منك نصيبها

ولكنهم يا املح الناس اولعوا ... بقول اذا ما جئت هذا حبيبها

فسقط قول المجنون ثم قال آخر هجرتك لا اني هجرتك عن قلى ... ولكن بعض الهجر ادوم للوصل

فسقط ما تقدمه ثم قال الحلاج وتتخذ الهجران سترة بيننا ... وخير الوصال الدائم المستتر

فسقط هذا ايضا ثم قال سيف الدولة رب هجر يكون من خوف هجر ... وفراق يكون خوف فراق

فسقط الجميع وغلب على المعنى

المجلس الخامس والسبعون من كتاب خلق الانسان تفسير قول الله عز وجل وفي انفسكم افلا تبصرون في انقسام المحبات وافتنان الانفس في المودات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لمن برحمته تعقد اسباب الرغبات ومن نعمته يفتح ابواب المحبات وبارادته تتصل مودات
وعلى حكمه تنسل شعاب المودات لا يجلي حكمه في الحادثات ولا يطيش سهمه في الكائنات برا الخلق
من اصول متجانسة مؤتلفة وصورهم في تراكيب متباينة مختلفة الطينة متحدة ومختلفة الالوان
والعناصر متفقة ويفترق الاكوان والمناحي مع تشابه صفاتها وتعرض افنان الاهوا في ارتيادها
والطرق مختلفة وتتشعب اودية الآراء في اعتقادها حتى ائتلف الكل بهذا الاختلاف في طريقة التحير
دائبين وفي قبضة التدبير داخلين كل فريق ظهراهم عاكفين لا يبرحون وكل حزب بما لديهم فرحون
حتى خضعت لفاطر النفوس والطباع وخالق الابصار والاسماع مصاير الامور ومبادي الاشياء
وقام بالتقدير له والتسبيح بحمده مبادي الارض والسماء يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء
قدير له الحكم واليه المصير ارسل عبده محمدا لمن الملل باعوجها وسلك به في السبل نحو اقصدها
فاصلح في ذات الله حجاجها واحسن الى امته ادلة الا با لوم ما يحتلبون به السرا ويتنجون
به الحجة البيضاء صلى الله عليه وعلى آله الذين كانوا اجمال الاسلام وخواص الانام وعمال الايام واعلام
الاحكام وسلم تسليما مستوفقا بالدوام ماموما من الانفصام ميل النفوس بعضها الى بعض مركون
في الجبلة حتى في طبائع البهم من الحيوانات وحتى في جواهر كثير من الجمادات وذلك كالالماس
مع الذهب فانه اذا اقرن بالذهب التزق به ولزمه ويقال انه لا يوجد الالماس الا في معدن الذهب
وجذب المغناطيس الحديد الى نفسه وامساكه كما يفعل العاشق بالمعشوق والنار بالشمع المضروب المجمر
نجي في شاكلة من طبيعتهما ومناسبة بين ذاتيهما ثم اذا دلك الحجر بالزيت هرب منه الحديد
ولكن حجر الحديد انما يجذب الحديد بالذات والحديد انما هرب منه بالعرض العارض والمانع لحا
ولكن الشان الان فيما اذا دلك بالثوم لم يجذب الحديد فذلك ايضا بالعرض الا انه اذا طرح
في دم التيس عاد يجذبه اليه فليت شعري الى اي شيء يفعل عند ذلك الى العرض او الى
الجوهر فان كان الى الجوهر فقد صارت جوهرية شيء واحد في نوعين مختلفين من جنسين مختلفين
وذلك ان الخلاف الواحد اقرب من خلافين ويمكن الحكم في ذلك انه بالعرض وذلك ان العرض
يدخل على الجوهر فيحصله ايضا فاذن حجر الحديد انما ينفعل جذبه الحديد بالجذب وانما يختلف
عن جذبه بالعرض الداخل عليه والدم يفعل في ذلك العرض عنه كالاجر يحلو الحديد والنحاس
من اوساخهما فالجوهر يفعل الشيء بوجه واحد وبالعرض يفعل باكثر من واحد فظهر بهذا ان تجاذب
حجر الحديد بمعنى فيه ركز في جوهره وان عرض ذلك اذا دلك بالثوم لعارض عرض ومن عجيب
المغناطيس نوع يقال له الحجر الباهت وهو حجر في لون الحرقبة لا يظهر للاحسا اذا رآه الانسان
ضحك حتى يموت لا يمسك عنه الا ان يستر عنه بعد ان يكون قد رآه ثم ان وقع عليه العرق

وهو طاير في شكل عصفور الشوك الذي يقال له السقاني اسود المطوق احمر وعيناه احمر ورجله
ايضا احمراء ان يطلع فضله لوقته ورآه الانسان يترجز فالفعل الاول للمناسبة وميل
في هذه الخاصية والثاني لامتناع سبب عارض وهذا الحجر كثير الوجود بارض تبت وزعموا ان اهلها
يرونه فلا يقربهم كثير ضرره والغريب الطاري على بلادهم كلما تقع عينه عليه يندفع في الضحك الدائم
منه قول المنطقي نشاني مردارى تبت باشد اندر كلي كه كشف خندان :: والهند
تسمي حجر القمر جندروو ومعناه عاشق القمر وذكر يحيى النحوي انه عند الهلال يظهر في وسطه لمعة
بياض في كودلى لون القمر وياخذ في الزيادة بزيادة نور القمر الى ابتداء ثم ياخذ في النقصان
بنقصان نوره حتى يضمحل ويمحي في السواد ويعود عند الهلال على الحال الاولى وزعم الهند انه
لشدة مناسبته ومشابهته بالقمر ما يترشح الماء ويقطر منه حين الاستقبال والقرب منه ويبطل
ذلك عنه بوحين عند الاجتماع كما يكون من الحجر والمدة على ابر القمر وقيل ان الماء انما يكون
اكثر ما يقطر منه اذا وضع في مسيرة وذكر في اخبار السند اخاف حكماء الاسكندر في جملة ما
من اهداه اليه حجر كان يغلي اذا وضع في الشمس من ذاته ما آ فهذا الحجر بمناسبة القمر يعمل في تهييج
الرطوبات واثارة المانعات عمل القمر وقد الطيل بينهما في الجبلة والخاصية وحتى ذكر
الرهاوي انه يبلي الكتان بلألاء القمر وامر هذا الجاذي في جذبه التبن واشناقه له ولزامه
اياه ايضا من ميل بينهما جبلة قال القاضي الهروي ::

يا من وقع الكسوف بعد ركت له لحة جاذبي :: كما سلبت الفؤاد شوق ما سلب التبنة الجاذبي ::

وقال ابو بكر القهستاني :: لها شعر كالجاذبي ذات حسنًا :: كحنا النخل يا ذا بيننا ::
وطبعي مجذوب نحوها كذا التبن نحو جاذبيتها :: وقال المنطقي

:: جو كا هي شدم كرد باي ميزا :: نكا باميجا دو آز لبان ::
:: دراو بزم ازتو جو اتش بشمع :: جدا كردن ازوي بكشتن توان ::

ومن نوادر الحكايات ان المتوكل لما اقتعد على تخت سوع امنايؤا له فيما اصابوا من اعلاق
الجواهر ونفايس الطرايف حجر الفي درج مختوم بخاتم فدعو بحامل فتلامه فسالوه عن الحجر
فقال الا اخبركم اوبعثني امير المؤمنين انه ينبغي ان يحمل الى ملك الروم فلبث لحجد مولاي حاجة
العراق فحلف له المتوكل بايمان مغلظة انه يرده اليه ما هناك فقال هذا حجر اذا مس الشعر
حلقه واستغنى فاعلم ذلك عن النوره والحلق بالمواسي فدعوا برجل على ساعده شعر كثير فمرّوا
الحجر على شعره فلم يبق في ساعده شعرة واحدة ففرح المتوكل وامر بالخادم ان يرده الى بلاد الروم
فقال الخادم لنا اذن في سيدي بالبدرقة فان هذا الحجر يحتاج ان يطرح كل سنة عند طلوع

الشعرى العبور في دم تيس حار فيبدو مجوا بالخادم فلما وصل وطلع الشعرى وفقد الحجر طرح في الدم
فبطل عمله فكان يعلو هذا الحجر الشعر من العنصر الذي عليه الى نفسه حتى ينفصل عنه ويلتصق به هذه
المشاكلة الطبيعية ومذهب الى ذلك بعض الفلاسفة التباعد المنافرة والمغايرة فهذا انموذج في الميل بين جواهر
من الجمادات وفي المنافرة لبعضها من بعض والميل بين طبايع الحيوانات بعضها الى البعض والمنافرة
لبعضها عن بعض ايضا في موجودة متعارف وهذا الدلفين اميل حيوان الى الانسان ولا يزال يستنقذ
الغريق في لجج ما ويحارب السمك العظام التي تحتشي على السفن حتى يدفعها عنه وكان ابو محمد الموفق بادي
اذا دفع اليه مسئلة مشكلة معضلة لا يهتدي الى حلها يقول ادعي الدلفين يستقبلني فيقع في من هنا
الجوداب والزمار صوت صعب يعجبه الدلفين فالاصوات النافرة ساثر باستماعها عجب بطاعة الجب
ولذلك يصحب السفن ويلتذ باصوات اهلها فاذا راى الحوت الاعظم يريد الاهلاك بها
وكسرها او نكب الزاموره فدخل اذنه فلا يزال الزاموره فيها حتى يفر الحوت الى الساحل يطلب حرفا
او صخرة فاذا اصاب ذلك لا يزال به يضرب راسه حتى يموت وركاب السفن يحبونه ويطعمونه
ويتعهدونه لما يدفع عن سفينتهم ويسلوا به من عز السمك العادي واذا القوا شبكه
ليصطادوا السمك فوقع فيها الزامور حيا واعتقوا اكرامه لما اضافه السمك لو اقعه في الشبكة
احيانهم يحبونه لاجل اشفاقهم بمكانه وهو يحبهم طبعا وجبلة والانعت طاير عجيب لذوجتا
فاذا تحركت فرخه ودرجت ضربت وجهها باجنحتها فيدعو فيها المحك والغضب المطبوع فيها
الى قتلها فاذا ماتت كابت عليها الابوان فاقاما به للمأتم عليها ثلثة ايام ثم ان الام في
اليوم الثالث تشق جنبها حتى يقطر دمها على تلك الفراخ الميتة فيصير ذلك نشورا لها وحيوة
بعد موتها والافعى تزاوج دابة بحرية وعادتها انها تاتي الافعى شط البحر فتصوت وصوتها يهيج
تلك الدابة البحرية والافعى اذا جامعها الذكر واسمه الافعوان قطعت له راسه فان ظفرت به اكلت
راسه من شدة عشقها له وذكور الجراد يفعل ذلك باناثها والزرازير اناثها شديدة العشق
لذكورها اذا ماتت عنها ازواجها احدثت على نفسها متى تموت فلا تكاد ذكر ابعده ومن حيث
الطير ما يرى اناثها اذا ماتت ازواجها تمتنع من الطعام والنوم ليالي كثيرة وتضر نفسها كما
الناكبة على زوجها بنتف الصعدا آو زفرات الصعداء لا تفطن شيئا ايا ما متتابعة وببلغ
من حب كل واحد بعضها بعضا انه ان اخذ منها صياد بشبكته واحدا وثب كلها حتى يدخل
الشبكة كراهة فراق بعضها بعضا ومن حب الغزى البرية ولدها انه اذا اصيد ولد من خلقها
تبعه [illegible] بيوته مع ولدها والحرن دابة صغيرة في حجم الجدي ساكنه حبا غبرا ان
لها من قوة الجسم وسرعة الحضر ما يعجز القناص وفي وسط راسها قرن واحد منتصب مستقيم

يشارك جميع الحيوان فلا يفعلها بل تحتال الصيد عليها بان تعرض لها فتاة عذراء وضيئة فاذا رأتها
وثبت الى حجرها كانما تريد الرضاع وهذه محبة فيها طبيعية ثابتة فاذا صارت في
حجر الفتاة ارضعتها من ثديها على غير حضور اللبن حتى تصير كالنشوان من الخمر والوسنان من
النوم فيأتيها القناص فيشدها وثاقا على سكون منها بهذه الحيلة وليس من الحيوان اشد
حبا لصاحبه من الكلب من طاعة الزجر والبصبصة والبشاشة لصاحبه والمغادرة
فان الكلاب على صيد وثبا واسرع ناصبا راسه رافعا اذنيه مستعدا كالفارس البطل الشجاع
المخدوع نشاطه في الطلب وهو يعلم ان الصيد ليس بحاضر لكن في ذلك منه حسن طاعة وصدق تشمير
ومتابعة امر وسرعة مواتاة واذعان والتناجح بعض اجزاء الكلب لبعض اذا كانت اخوة لاب وام
فلا مزيد عليه وانها اذا طرح لها الطعام في الوسط لم يختطف واحد منها ذلك لكنها تتعاطاه
بسكون وانصاف وتمكين بعضها البعض من مناسبته ولا محاربة عليه وعجائب هذا الجبل والخصال
في طباع البهم من هذه الحيوانات اكثر من ان يحصرها كتاب وكثير من ذلك في كتاب الحيوان لفضلاء
المنطق وللجاحظ وغيرهما مفصل مذكور ولاشتهار الكتابين لم نحتج ان نتعرض لاخبار شيء منهما
في هذا المجلس فهذا هو الجبل المطبوع عليه والتحاب الراسخ في الانسان ثم في الانسان زيادة خلاف في
الشرع مع اقتضاء الطبع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن مالف وقال لا خير فيمن لا يألف ولا
يؤلف وايضا فان في ذلك زيادة عموم في نوع الانسان صعودا من الاداني الى الاعالي وانحطاطا
من الاعالي الى الاداني يوالي الفقير الغني حاجة اليه في نيل واستعانة بجدته وثروته و
الغني الفقير ضرورة الى خدمته وتشوقا الى اظهار مواقع صنيعته وفي بعض الاحوال تحننا
وتعطفا على فقره وفاقته واذا كان ذلك بين الاكفاء المصطحبين والقرناء المتوادين استغنوا
بخالصة التوادد والتحاب عن المحاسبة والمحاذية بل استفادوا به فضل قوة على احكام التدبير
واستفادة صواب الراي في مفاصل الامور كما قيل

خليلي ليس الراي في صدر واحد ... اشيرا علي اليوم ما تريان
أأركب صعب الامور اذ لو له ... سخران لا يرجى الجبن اوان

حتى بعثه قدر للتحابب بين اهل المعيشة ويتبع وجوه الخير والراحة وان بين عقلاء الحكماء وساعف
بمسرة زمان كانوا للاخوان زينة ويدعون اليها للنزهة وان زيد هم بمساءة كانوا عدة
يا نوبها للسلوة ويبرزون تيقظا وعضدا في دفع الظلامة ورد النائبة كما قال القائل

من كان ذا عضد يدرك ظلامته ... ان الذليل الذي ليست له عضد
تنبو يداه اذا ما قل ناصره ... ويأنف الضيم ان اثرى له عدد

وقال آخر

وقال آخر
اخاك اخاك ان من لا اخا له ... كساع الى الهيجا بغير سلاح
وان ابن عم المرء فاعلم جناحه ... وهل ينهض البازي بغير جناح

ويروى لامير المؤمنين علي عليه السلام
تكثر من الاخوان ما استطعت انهم ... عماد اذا استنجدتهم وظهور
وليس كثيرا الف خل لصاحب ... وان عدوا واحدا لكثير

ثم لا ينبئ عن كرم الاخلاق ومودة العقلاء ومطاوعة الاخوان ومواتاة الاخدان كتب ابو دلف العجلي
الى عبد الله بن طاهر اشارة يحثه واستتبعه باللطيف الموقع من قلبك حملني على قول بيتي شعر حملتهما
ترجمة المطرح عما بينهما وهما
وان اخوة العظما تبقى ... مدى الدنيا وما تبقى بسباق
ونهمت الوداد اليك يبقى ... بقلب حشوه شوق التلاقي

فكتب اليه عبد الله جوابا
رايتك قد عقدت صدقت ودادا ... فقابلها بمثليها ودادي
ولست بزايل عنها بشيء ... من الدنيا الى يوم التنادي

وقال رجل لخالد بن يزيد بن معوية ما اقرب شيء قال الاجل قال فما ابعد شيء قال الامل قال
فما اوحش شيء قال الموت قال فما آنس شيء قال الصاحب المواتي وانشد
احب من الاخوان كل مواتي ... وكل غضيض الطرف عن عثراتي
يوافقني في كل امر اريده ... ويحفظني حيا وبعد وفاتي
فمن لي بهذا ليت اني وجدته ... فقاسمته مالي من الحسنات

وكما ان اللاتي تكون الاخية في الامن والمسرة والراحة فلا ابتي كذا ثم في الهم والوحشة
لمن يختارنا قال في الاول وفي اغتنام وصالهم والاعتلاق بحبالهم قول سهل بن هرون
الاخ ذخر خزان ذخر آخرة ... وذخر دنيا لكل معمل
فافضل الذخر في الحيوة اخ ... يزوي في الموت صالح العمل

ابو تمام
لعمرك ما مال الفتى بذخيرة ... ولكن اخوان الصفا الذخائر
ذوو الود مني وذوو القربى بمنزلة ... واخوتي اسوة عندي واخواني
عصابة جاورت آدابهم ادبي ... وهم وان فرقوا في الارض جيراني
ارواحنا بمكان واحد وغدت ... اجسادنا بشآم او خراسان

قال ابن عباد
مولاك مولاك الذي ان دعوته ... اجابك طوعا والدماء تصيب
فلا تخذل المولى وان كان ظالما ... فان بعقبى الامور تراب

ابو فراس
وانك لا تعدمك العلى اخ ... لا كاخوة هذا الزمان
كونا اخوتنا بالصفا كما كنت ... بالكلام المعاني

احكما آتيه ابغيه حاجة … رجعت الى اهلي وجهي بما آتيه
يلومون جالاً بعد لخيرتهم … فازددت الا رغبة في اخائه
ومن مختار ما قالوا في الوداع لنائي من فراق الاحباب ونائي الاصحاب قول ابي دلف
لعمرك ان قربت بقربك اعين … لقد سخنت بالبعد منك عيون
فسر او اقم وقف عليك محبتي … مكانك من قلبي عليك مصون
فما اقبح الدنيا اذا كنت غائبا … وما احسن الدنيا بحيث تكون
اخر انا والذي لو شاء لاغفلني النوى … لئن جمع عيني لما غبت عن قلبي
وكل مصيبات الزمان وجدتها … سوى فرقة الاحباب هينة الخطب
اخر عذيري من الغضبان والذنب ذنبه … اما يتقي الرحمن في قتل مسلم
اقام على الهجران يوما وليلة … وفي ساعة منه هلاك المتيم
اخر واذا الظلام تكشفت اطنابه … وتوحشت بردائه اسبابه
ناديت يا ملك السماء الا ترى … رجلا تولى قتله احبابه
الراضي بالله مجاري فلك الحسن التي في وجناتك … وبما اعقل الانام من ركن صفاتك
لا تدعني والنوى يجرح قلبي بحياتك … خالد بن يزيد الكاتب
يا شادنا امل العيون لحظها لما استقل … او في على شمس الضحى كان الشمس ظل
يا زينة الدنيا ومن ملك الايام له يقل … لا تسألني الفراق فان قلبي لا يحل
ابو العتاهية ابيات عتبة اتي منها على تلف مطل
قالت واي الناس يعلم ما تقول فقلت كل … والحب ان لم يطيب وعتبة تملق وتقل
وبلي من الاظعان انه لو ابعته فاستقلوا … لا كنت الا حيث ما كانوا من الدنيا وحلوا
العيش بعد فراقهم هذا هو الخطب الاجل … يا معشر النفر الحجيج اتيتم ما لا يحل
اتروون اذ الحج مفترض وان القتل حل … ابو الفرج الببغا
لقد عز العزاء على لما … تصدى في ليقتلني الصدود
اذا بعد الحبيب فكل شيء … من الدنيا ولذتها بعيد
واشعار المحدثين مع قربه من طباعنا لا يخلو من التعقيد ولا يسلم من الكرور والاسترخاء وانما الكلام المبسوط والشعر المطبوع للعرب كما يقول جميل لبثينة في هذا المعنى
فان وجدت النفس انك خاليا … وانت حبيب النفس في الجد والهزل
فلا تقتليني بالفراق فلم اصب … من الامر ما فيه يحل لكم قتلي

وقال

وقال بعض الصوفية ان غاية العشق ان لا يقنعه القرب مخافة البعد ولا يئسه البعد رجاء القرب فهو كيف ما كان مصطلي بنار الشوق ومعذب بعذاب العشق انشد
وما في الدهر اشقى من محب … وان وجد الهوى حلو المذاق
تراه باكيا في كل حال … لخوف تفرق او لاشتياق
فيبكي ان نأوا شوقا اليهم … ويبكي ان دنوا خوف الفراق
فتسخن عينه عند التنائي … وتسخن عينه عند التلاقي
آخر انا والراضات بكل فج … ومن صلى بنعمان الاراك
لقد اذكى فراقك نار قلبي … وما ابقيت جهدا في هواك
الحق الامر يك بصرم حبلي … مريهم في احبتهم بذاك
فانهم اطاعوك فطاوعيهم … وان عاصوك فاعصي من عصاك
جميل الا طال كتماني بثينة حاجة … من الحاج ما تدري بثينة ما هيا
وما زادني النائي المفرق بعدها … سلوا ولا طول الليالي تقاليا
الم تعلمي يا عذبة الريق انني … اظل اذا لم الق وجهك صاديا
لقد خفت ان القى المنية بغتة … وفي النفس حاجات اليك كما هيا
وحكى سرور الكبير قال كنت قائما على راس المامون عند بروزه وخروجه الى الروم وبيده درع يريد ان يلبسها اذ خرجت اليه جارية تتخطاها فلما راته قالت ما لك يا امير المؤمنين فقال اريد الخروج الى بلاد الروم فقالت قتلتني والله يا سيدي واذرفت دموعها وانشات تقول
فادعو دعوة المضطر يوما … يثيب على الدعاء ويستجيب
لعل الله ان يكفيك حربا … ويجمعنا كما تهوى القلوب
فقال يا سرور احفظها وتعهدها الى رجوعي فلولا قول الاخطل
قوم اذا حاربوا شدوا مآزرهم … دون النساء ولو باتت باطهار
لاخرجتها معي ثم انشأ يقول
فيا حسنها اذ يغسل الدمع كحلها … واذ هي تمحو الدمع عنها الانامل
عشية قالت في الكلام قتلتني … وقتلي بما قالت هناك تحاول
ثم خرج فلم ازل اتعهدها واعتلت علة اشفقت منها حتى ورد علينا وفاة المامون ببلاد الروم على عين يقال له عين البذندون فلما بلغها خبر وفاته تنفست الصعداء وتوفيت
وحكى محمد بن اسحاق ان سرية للنبي صلى الله عليه وسلم بلغتها قوما من الكفار فحملوا فقتلوهم وفيهم شاب

مريض فقال النفر من المسلمين هل لكم في امر لا يضركم تحملونني اليه او لنبك للنبوة حتى اوصي لبعض بحاجتي ثم شانكم وما تريدون قالوا نحملناه فلما اشرف عليهم صاح بامراته منهن اسلمي حبيش قبل نفاد العيش ثم انشأ يقول

ارايتكم اذ جئتكم فسالتكم ❊ وما لاهل اهلي بالحجى والودائق
فلا ذنب لي قد قلت اذ اهلنا معا ❊ اثيبي بود قبل احدى الصفائق

اي قبل احدى الخطوب الدواهي ثم قضى نحبه وهذا الذي ذكرنا من حديث الالفة والمحبة وتركب الميل والهوى في الجملة لم يختلف فيه احد الا انهم اختلفوا في شعبة منه وهو ان هذه الجنايات تجري في سواء الجملة على المشاكلة والمشابهة ام على المغايرة والمخالفة فقالت طائفة بالمشاكلة لان التحاب يقتضي الاتحاد ولم نجد الشي الا يشاكل الامر كيف تولد المحبة بين العاقلين من باب تشاكلهما في العقل والتلاؤم بين الاحمقين وان تشاكلا في الحمق لان العقل يجري على ترتيب وتقدير يجوز ان يقع به الاتفاق بين اثنين بخلاف الحمق وعلى هذا قول القائل

وقائل كيف تهاجرتما ❊ فقلت قولا فيه انصاف
لم يك من شكلي ففارقته ❊ والناس اشكال والاف

وقال علي بن جهم

وما المكر الا للنساء وانما ❊ عدوك من اخوانه حين تصارحه
واني لطب بالامور وعالم ❊ ركين رزين ثابت الراي راجحه
يميل الصديق والعدو وانما ❊ تعادي اللبيب كفوه وتصالحه
ولا ذنب للعود القماري انما ❊ عرفانه انت عليه روائحه

آخر

وما غربة الانسان في شقة النوى ❊ ولكنه والله في عدم الشكل
واني غريب بين بست واهلها ❊ وان كان فيها اسرتي وبها اهلي

وقالت طائفة اخرى بالمغايرة وان الشي لا يهوى الا ضده ولا يحب الا نقيضه انما الانسان يعشق الى كماله ويطلبه ويجد لها عند الله كالقبيح الذي يعشق المليح والجاهل الذي يحب العالم والفقير الذي يميل الى الغني والواجد الذي يعطف على الفاقد ثم اذا استوت الاقسام عاد التكافؤ الى التمانع وتباينهم التحاسد والتنافر والتفاسد وكيف ما كان الامر يجري ذلك على المشاكلة والمشابهة او المخالفة والمغايرة فاسباب وجوده لا يخلو اما ان يكون ذلك لذاته لا ليتوصل به الى مقصود غيره بان يكون ما تحبه الانسان محبوبا عنده لمحبته ورؤيته ومعرفته وتستحسن اخلاقه وشمائله بسبب مناسبة وموافقة بين الطبائع سواء كان ذلك المستحسن صورة ظاهرة من حسن الخلق او صورة باطنة من حسن الخلق مثلا وربما يكون ذلك لا من قبل الخلق ولا من قبل الخلق ولكن لمناسبة باطنة

اوجبت الالفة والموافقة والاشياء الباطنة والمناسبات الطبيعية كثير تخفيه الاسباب ليس في الطاعة استقرا وقعا واحصاؤها ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر اختلف وفي بعض الالفاظ تلتقي وتشام في الهوى وفي حديث آخر ان ارواح المؤمنين لتلتقيان على مسيرة يوم وما راى احدهما صاحبه قط ويروى ان امراة بمكة كانت تضحك النساء وكانت بالمدينة اخرى فنزلت المكية على المدنية فدخلت على عائشة فاضحكتها فقالت اين نزلت فذكرت فقالت صدق الله ورسوله سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الارواح جنود مجندة الحديث وقال صلى الله عليه وسلم لو ان مؤمنا دخل الى مجلس فيه مائة منافق ومؤمن واحد لجاء حتى جلس اليه ولو ان منافقا دخل الى مجلس فيه مائة مؤمن ومنافق واحد لجاء حتى جلس اليه وكل ذلك يدل على ان شبه الشي ينجذب اليه وان كان هو لا يشعر به ولذلك قيل كل انسان يانس الى شكله كما ان كل طير يقع مع جنسه ولذلك لا ترى شيئا من الحمام الوحشية يستطيب الحمام الاهلية ولا يزدوج احد الزوجين الا مع واسباب هوى الحب ولهو هنا الميل كلها غريزية لا تختلف بين المحق والمبطل والمؤمن والكافر وكل ذلك ما بين محمود ومذموم ومنه ما يجب الامور اللائحة به والاحوال المعتورة له فهذا من الهوى الذي يرجع الى ذات المحبوب ويتشعب من الغريزة الجبلية عليه الطبائع ومن ذلك ما لا يرجع الى ذات المحبوب بل يكون هو الانسان له ومحبته اياه لا لذاته بل لينال غيره فيكون وسيلة وذريعة الى ما تحبه والوسيلة الى المحبوب محبوب وهو كما يحب الناس الذهب والفضة لا لذاتهما فانه لا يشبعان من جوع ولا يكنان من حر وبرد ولكنهما وسيلة الى اقتناء المحبوبات واشتراء الشهوات فعلى هذا يحب الرجل مخدومه لانتفاعه بماله وبجاهه ويحب المتصلين به لحبه جاله عنده وطالب العلم اذا كان لا يقصد بعلمه وجه الله بل لينال به الجاه والمال واقبال وجوه الناس اليه فهو لا يريد العلم لذاته ولشرفه في نفسه ولكن الغرض هنا الادنى والحظوظ الراجعة الى الدنيا ومن ذلك ما يرجع الى الحظوظ من الآخرة وهو فوق الاول كمن يحب العلم ليتوسل به الى العمل وثابر على العمل في الآخرة ويسعد بالزلفى الى الله وكذلك اذا علم غيره لا ليستكثر به ويتزين باختلاف الناس اليه واقبالهم منه ولكن ليتقذه من الجهل ويبلغه درجة العلم وفي الحديث من علم وعمل وعلم فذلك يدعى عظيما في ملكوت السماء وهو داخل في رتبة المحبين في الله ومن جعل صدر المتعلم منه مزرعة لحرثه الذي بسبب ترقيه الى الرتبة العظيمة في ملكوت السماء حتى ان من تبرع في اصلاح المؤمنين او عابد بالابدان لمن اعتمد دنياه او لو غسل ثيابه او طبخ طعامه ويكون ذلك منه على قصد ان يتم له الفراغة ليتوفر على طلب العلم او على العبادة فهو من جملة المحبين في الله والكافي المكفي كلاهما

وعظور

من جملة اولياء الله وحتى ان من تزوج ليصون دينه وتتم عفته وليولد له ولد صالح واحب زوجته
نظرا الى ما بها من المصالح والمناجح فهو ايضا محب في الله بل اذا كان غرضه رضا الله وطلب رضاه
فاذا لم يكن غرضه كان ايضا محبا لله لانه لا يصح محبته لشيء مع المحبة الصادقة منه لله الا وفيه شيء
مما يحبه الله وان خفي ذلك على المحب بل اذا اجتمع في القلب محبتان واحديهما صالحة للتوسل بها
الى امر الله فالمحبتان لله وفي الله فليس في محبة الله التخلي عن حظوظ الدنيا وعن هذا امرنا في
الدعاء بطلب الحسنيين دينا واخرة وان نقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وفي
الحديث اللهم لا تشمت بي عدوي ولا تسؤ بي صديقي ولا تجعل مصيبتي في ديني ولا تجعل الدنيا اكبر
همي وفي حديث آخر اللهم اني اسألك رحمة انال بها شرف كرامتك في الدنيا والاخرة واذا لم يقتض حب
السعادة في الاخرة حب الله فكذلك حب السلامة والكفاية والكرامة في الدنيا لا يكون منافيا
لحب الله والدنيا والاخرة عبارتان لحالتين احديهما ادنى من الاخرى والحق منهما رسوم وللنفس من كل منهما
نصيب فليس من محبة الانسان نصيبه فيما هو ابعد منه بدرجة من نصيبه فيما هو ادنى واقرب
اليه الا ان من نصيبه العاجل ما يضاد نصيبه الاجل والعاجل لا يبقى له والاجل باق ودائم واحد
النصيبين من الاخرين والمضاد منهما لصاحبه وغير المضاد دنيوي واخروي في الامرين الشريعة
فامرته الشريعة على العبد اجتنابه بفعله وكراهيته بعقله اذ ليس عليه ان يكرهه
بطبعه وهو كما يكره تناول طعام بحضرة ملك يعلم في نفسه ان الملك يكره تناوله بحضرته وان كان
الطعام شهيا ملذا ولكن عقله يمنعه عن تناوله لما يتبعه من سوء الادب والامتهان في الابتداء
فان محبة الله لا ينقصها محبة غير الله من الاشياء المرتبطة به المنتظرة اليه وكل منهما اذا اتصل
بمحبة الله ثواب وقد يزيد الحب وينقص بحسب قوة الاسباب وضعفها وبحسب كثرة الاعراض
وقلتها فان الذهب والفضة وان تساويا وزنا كان حب الذهب ابدا على الفضة لزيادة حصول
الاعراض بالذهب واذا لم تضاف الاعراض دينا ودنيا دخل الجميع في حب الله وكلما كان منها اقرب
الى الايمان وامس باعمال الاخرة فهو ادخل في باب حب الله وعلى العكس وكذلك الحكم في الزيادة
والنقصان من كل ذلك وهذا امر مستقيم مطرد اذا جعل الدين فيه اصلا والطاعة معلما ثم يعامل
عليه اهل الدنيا فيرد الفرع الى الاصل ويتحرج حكم الدنيا من الاخرة وفي بعض الآثار يعامل الناس
في القرن الاول بالدين حتى رق الدين فتعاملوا في القرن الثاني بالوفا حتى ذهب الوفا وفي الثالث
بالمروة حتى ذهب المروة ولم يبق الا الرهبة والرغبة واما اذا اخلت المحبة لله وفي الله عن الوسايل
والوسايط فان ذلك يعلى عن عرض سلكها وصعوبة مدخلها وعزة وجودها اذا خلت في اعلى درجات
الكمال وعز خارج عن نوع من العلايق وان لم يكن تلك العلاقة ليتوسل بها الى امر واحبه الله

فان من آثار عليه المحبة ان تعدى من المحبوب الى كل ما يتصل بالمحبوب فيحب من محبة المحبوب من يحب
المحبوب ومن محبة المحبوب وفي كلام بعض الصوفية من احب المؤمن احب كلبه وعلى هذا يعبر كثير في اشعار
الديار والدمن والطلول والرسوم قال مجنون بني عامر

امر على جدار ديار ليلى ٭ اقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبي ٭ ولكن حب من سكن الديارا

فعلى هذا يحب محب الله جميع خلق الله ويشفقون عليهم ويرفقونهم ويكرمونهم ولا يكادون يفرقون
بينهم حتى بين البلاء والنعمة فان الكل من الله ثم اذا اضاد فينظرهم مع ذلك فيما يحق من حق
الله في علم او عمل او صفة مرضية عند الله من حسن خلق او مراعاة ادب فتتضاعف المحبة
وتترايد اللواعج لما يرى في ذلك من آثار ما يحبه الله ومن احب محبوبا احب محبة المحبوب وقد
ينتهي ذلك الى ان لا يحب الا نصيب المحبوب وما هو ارادة المحبوب

اريد وصاله ويريد هجري ٭ فاترك ما اريد لما يريد
وليس لي في سواك حظ ٭ فكيف ما شئت فاختبرني النبي
يا من يعز علينا ان نفارقهم ٭ وجداننا كل شيء بعدكم عدم
ان كان سركم ما قال حاسدنا ٭ فما لجرح اذا ارضاكم الم

وقد يبلغ ذلك الى حد يلتذ الانسان بالالم الذي يجده من المحبوب وبتزه اساته به

لا اراق الله حبي من اراق دمه ٭ ولا املا انسل قلبي قلبه ترحا
يترى بو يحابي في مسرته ٭ فكلما ازددت سقما زادني فرحا

وتلخيص هذه الكلمات ان جميع ما يقبل عليه الانس من المحبات التي ذكرنا انها لا تخلو عن اربعة اوجه
اما ان يكون ذلك للذة لما فيها او يكون ذلك لمنفعة لما بها والمنفعة اما ان تكون من قبيل
الفضيلة واما ان تكون من قبيل اللذاذة ايضا واما ان تكون من قبيل اجتماعهما في المنفعة معا
ولكنها لما كان اصل القسمة لذة بلا عاقبة منفعة كمصادقات الباعة والتجار المعاشرين على
الطرف والحرص الفاحش والجمع الكثير على مساواة بينهم في ضيق المقوين والاحوال مع سعة الظرف
وحسن الحال ومنفعة ولذة بلا فضيلة كمصادقات المصرفين المترفين ومعاشرة معاشر
جند المشاهدين ومنفعة ولذة وفضيلة كمصادقات الاخيار الكرام العلماء الحكماء الاجواد الكبار
المتقين المتحابين على الخير الله وفي الله والمصادق على اللذة والمنفعة معا او واحدة واحدة لا ينظر
الى المشاكلة والمناسبة واما الاراسيا بهما الا تتفق حتى يتجانس فالود يعجب لذة تورة محبة
حيوانية لا يتبعه ومرة محبة انسانية مشغلة اللذة والمنفعة اذا ادته وهذه اما اللذة

فروق بطراته وطراوته واما المنفعة فاشفاعا بطاعته وخدمته والولد يحب والده لانه اصله وكله
واما الحب محبة انسانية فلانه عايله وكافله فيكون ذلك محبة منفعة خالية عن اللذة ثم الوالد
للولد يكون احب من الولد للوالد لانه لخصلة لا يشركه في اولاده اولاد اخرون وان شرك في والده اولاد اخر
وان شرك في والده اولاد ولانه اسبق زمانا في اختلاط الالفة لاحوال المختلفة ولانه كسب الوالد كطرح
المال مع تلبيده قيل للمرتج عليه ايهم احب الطيور اليك فقال الخفاش اذا كان ما علمت بناه فاختلفت المحبات
من اجل هذه المعاني وكذلك محبة العاشق والمعشوق مختلفة فالعاشق يطلب من معشوقه متعة الجمال والمعشوق
من عاشقه منفعة المال والجمال نقد والمال نسيئة ووعد فيكثر دواعي الشكايات في البين وتستمر حبال النفرات
من الجانبين حتى ربما ينعكس ذلك لان انتهاء المال المفرط الذي لا يمال عنه الى قبح البشاعة وبخل الشارع و النافر

كنا واسباب الهوى متفقه ؛ نغدو من الود معا في ورقه
فاليوم اذ اسبابنا متفرقه ؛ قد صادت الدنيا علينا حلقه

واما محبة الاخيار الافاضل المنظمة للاوصاف المتفرقة وفيها وقد بلغت الغاية في الصفاء والنهاية
في البقاء والقوة فيها الهوى والرأي على تمهيدها وتعاونت النفس والروح في تشييدها وتظاهرت الفضيلة
واللذة على تأكيدها وتضافرت مودة القلب الى الايام على توطيدها وتحمت حضا فرمبانيتها اجوانبها
ان يلم بها طايف الزوال او يعتورها حادث الانتقال او يتسلط على نحرها خطر التنكر والاسترداد او
يرتقي اليها شر فاما عن القوم والاشراب او يكون في الامكان حيوة لاحدهما دون صاحبه او في الوجود انفصال
معاني تخصص حقها عن الاخر حتى كان ذات احدهما في الاتحاد ذاته وصفاته في الجمع والتفريق والقبض
والبسط صفاته كما يروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي عليه السلم يا علي انت مني وانا منك وقال
صلى الله عليه وسلم لعلي عليه السلم اكتب كتابا الى النجاشي ولم يرد عليه فكتب اما بعد فانا وجدناك في الحزن
لنا كانك معنا وفي النعمة بك كانا منك لانا لما رجونا الا لامر الاولى ولا حسبنا الا من نحو الا ابنا
فلما قرا الى النبي عليه السلام قال الحمد لله الذي جعل في اهل بيتي مثلك وشد ازري بك وكان
المتوكل يقول اني لاحب الرجل فيبلغني ان الفتح بن خاقان لا يحبه فابغضه واني لابغض الرجل فيبلغني ان
الفتح يحبه فاحبه وفي كلام سليمان بن عبد الملك قد اكلنا الطيب ولبسنا اللين وركبنا الفاره ووطئنا
العذراء فلم يبق من لذتي الا صديق اطرح بيني وبينه مؤنة التحفظ وقال بعضهم الدنيا لذات بعدد
منها لذة ساعة ولذة يوم ولذة ثلث ولذة شهر ولذة سنة ولذة دهر فاما لذة ساعة
فالجماع واما لذة يوم فمجلس الشراب واما لذة ثلث فلين البدن بعد الاستحمام واما لذة شهر فالفرح
بالعرس واما لذة سنة فالفرح بالمولود الذكر واما لذة الدهر فلقاء الاخوان مع الجدة وجرى
عند عبد الملك بن مروان تمني الاشياء وتمني اللذات فقال انما اتمنى محادثة الاخوان الغر في الليالي

القمرة

القمرة على الكثبان العفر وانشد بشار في ايثار لذة المجلس الانيس على كل لذة

ان الشباب وما ترى عجبا ؛ صرف الغواني فانصرفت كريما
وصحوت الا من لقاء محدث ؛ حسن الحديث يزيد في تعليما

وهذا الوليد بن يزيد المتهتك في اللذات عدوها واحدة واحدة وكرر ذكر الشراب والنديم الكريم ففضله
على سائرها فقال

اسال الله خير هذا الصباح ؛ من خير الضحى وخير الرواح
اشهد الله والملائكة الابرار ؛ والعابدين اهل الصلاح
انني اشتهي السماع وشرب الراح ؛ والعض في الخدود الملاح
والنديم الكريم والخادم الفارة ؛ يسعى علي بالاقداح
يفهم الغمز والاشارة بالكف ؛ ويمشي لدي مشي الرياح
والنديم الكريم والكاعب الطفلة ؛ تمشي في سموط الوشاح

ومن كلام الوليد بن يزيد المنثور في هذا الفن اذا وافق السماع الذي يسري في لطف القلب
ويدب في اجزاء النفس من الشراب ما ذكا عرقه وعذبت على اللهوات طعمه وخلص من شوائب العكر جرمه
وناب عن وميض الال شعاعه وتجلى بين العصابة لونه وكان الندماء اخوانا اشباه
وخلانا اصفياء سماح الاخلاق كرام الاعراق قد ازكتهم المعرفة مواددتهم الحكمة والفهم الخاصة
وهذبتهم الموافقة وكان الغرض في المراتب الاتراك الى ... والتعديل الطباع
وايثار المنافع ونفي الخلاف واحكام الايتلاف وختم المحارم وشيمة النسائم على وجه سماحة وسور هواء
وصفو مكان ونضرة كلاء من كتب بارع الظرف ناعم الطرف فايق الوصف صبيب الراي ذكي الفطنة ضاف
الكمال في اصل الصبا كالشد وطا بانا واجد لعنا بها كان نهاية السرور ومن الشعر المشهور في استدامة
صحبة المتخالصين قول متمم بن نويرة في مرثية اخيه مالك

وكنا كندماني جذيمة حقبة ؛ من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرقنا كاني ومالكا ؛ لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

وكان من ابن جذيمة انه كان ملكا شديد الحمية عظيم الانفة والغيرة وعجب عن النساء الهبة العلة [illegible]
فلم يكن له زوجة يسكن اليها ولا ولد يقربه عينه فاتخذ [illegible] بين الندمين [illegible]
وطالت بهما دهرا طويلا ولم [illegible] رجل من لخم فقال له عدي بن جميل
الوجه [illegible] حسن العبارة كثير [illegible] ومنطقه [illegible]
فنادمه [illegible] في الشراب [illegible]
الا ان ذلك [illegible]

وكان بها تعلقت منه عمرو الذي قيل فيه كبر عمرو عن الطوق واصبح فخرج الى شواهد الحيرة فلم
تمر به ناقة ولا فحل الا نحرها او يلحق الى ان اتيا بهما اثما نهما وفرق على الوارد والصادر لحومها
وركب جذيمة بعقب ذلك فلما رأى اللحوم مقسمة والدماء تجري اقبل يسأل عن السبب فاخبر بعضا
الى اخته فوقفت بالباب آخذة بعضادتيه ثم قالت

حدثيني وانت لا تكذبيني … ابحر زنيت ام بهجين
ام بعبد فانت اهل لعبد … ام بدون فانت اهل لدون

فقالت بل زوجتني وندمان شاعرها ان علوة ان نصاها انتهما فاصطفق ذلك عليهما وتحو
عدي ان يحال عليه فنجا وحر اهله ان الحيرة يسكر ابنها الكوفة ليلة الشريح فقتل نديمانه
ودفنهما بباب الكوفة وبنى عليهما قبرين وسماهما الغريين واقام عليهما حنوية في شرب كاسا ويجرى
عليهما كاسين على نديميهما وكان له عليهما دهر يوما بؤس ويوم نعيم فكان اذا اتى باب الكوفة يوم البؤس
غريبا قتله وغرى بدمه القبرين فلذلك سمي الغريين ويوم النعيم يخوله ويحوله الى ارضات وما
زال القرآن على ذلك الى ظهور الاسلام فهذا في شرح الصنفين واسماء الحبيبين كيف من خصائص
الحرية والحرية في الشخص ان يرتقي في الاسم ابن نفسه وكان الحضا له وخصائص طباعه الجيدة
يستغني فيهما عن صحبة من سواه كما قيل

با ما بتما شاشوا ربا وتو … كرخو وخويش در تماشا وتو

فاذا ظهر مثل هذا النفس مصفوق بشكلهما وهذه الخاصية واضافا كل احدهما الى الآخر وانصل
خصائص هذا بخصائص ذلك فقد تضاعف الفضل والكمال وازداد الحسن والجمال وحظي العين بالنور
وفاز القلب بالسرور وانى ذلك ومن ان يكون نيل الاعرابي اللذ صحبه قال او كان البقيم انشد

واذا اسقا الله من زمانك واحد … فهو المراد وابن ذاك الواحد

وسئل صاحب المنطق عن الصديق فقال انسان هو انت الا انه غيرك وسئل مرة اخرى فقال شخص آخر هو انت
وقيل المجنون في غامر اهل السماك فقال الليل وكان يعض الواحدين في الحب ينادي حبيبه يا انا فاجابه
حبيبه يا انت ومن كلام الحلاج اذا اقترن الكثيف بالكثيف سمي تجاورا واذا اقترن المائع بالكثيف سمي
اجتماعا ومماسة واذا اقترن المائع بالمائع سمي تخليطا واذا اقترن اللطيف باللطيف سمي تماسا او اولا
اقترن الروحاني بالكثيف سمي تعشقا واذا اقترن الروحاني بالروحاني سمي اتحادا ومما يعلل به

في هذه المعاني من الاشعار

ما جمعنا ايام الصدور وطالبنا بمعناه فاستغنا بالصدور يقينا
انزانا في هذا الامر بوجه ولكن نحن لا نهتدي الى سطر دينا

سبب تسمية الغريين

وله

اذا ما كنت مختارا خليلا … ظالمن خليلك ان تخونا
فالك لم تعتد اخا امين … ولكن قل ما تلقى الامينا
والحمون الى الاحناء محا … ان يتخلوا اقسام التحيل
ولعل ايام المحبين منتهي … فعلام يكثر عتبنا ويطول
قد علمت بسلك الدمع مني … وبنا من النحيل نحيلا
فاذا ما نطقت كنت كلامي … واذا ما سكت كنت الغليلا
انت همي وفكرتي وحديثي … وفؤادي اذا اردت مقيلا
انت حديثي في النوم واليقظة … انعت فما اهتدي بين الحفظه
وواعظ فيك الى وواعظه … لو كنت غير رباه عنك عظه
نفسي اخي لي في الامور مساعد … قلبي وله جسمان والروح واحد
اذا غاب عني لم اجد لطعم لذة … لان فؤادي نصفه متباعد
فيا حسن ما ارض صحيح هواهما … محبين كالغصنين اثناهما الحب
بوافق هذا ذاك في كل ما اشتهى … فروحاهما روح وقلباهما قلب
بروحين في تقضيب ناعم … من رأى بحرا على الارض يمشي
تلوان الشمس كانت مثله … لم يكن تطلع الا بالرشى
روحه روحي وروحي روحه … ان يشا شئت وان شئت يشا
ان من العفاف والقلب يحب … مثل جري الدموع من الجفان
وعلى الصبر خوف فؤادي … كحلول الارواح في الابدان
ليس من ساكن تحرك الا … انت حركته خفي المكان

عجبت منك ومني افنيتني بك عني … ادنيتني منك حتى خشيت انك اني
ان قلت ما كنت غيري فلست احد والذاه … وان دعونك مولى فذعوني ابتاي
فالحب لعنزي وان شئت حناني … كذا الخالطت نفسي وليس نفسي سوائي

ومما يحكى في حسن المحابين احدهما يحنو صاحبه حتى اذا مات احدهما لم يعش صاحبه ما ذكر ابن حفظ
عن ابي الهيثم عن ابي الاحدف قال كنت اطوف بالبيت فرأيت شابا قد علا المراهق الحسن اسمه في كنا
فلبث فيهم ثم قال لي من اين انت قلت من اهل البصرة قال وبها حاج قلت نعم قال اذا دخلت البلد فاخرج الى
الحمق ثم نادها يا هلال يا هلال تخرج اليك امرأة فانشدها هذا البيت

وقد كنت ارجو ان تكون منيتي … بمشغلك حتى تنظري ميت الحب

فحملني هذه الرسالة وانشدني هذا البيت ثم مات مكانه فلما دخلت النباج ابن الحجي فناديت يا
هلال الحزينة فخرجت الي جارية لم ار احسن منها وجها وقدا قالت وما صنع قلت مات فخرت كانها ميتة
وحكى الهيثم بن بكير الخارجي ان عروة بن حزام وعفراء بنت مالك العذري نشآ جميعا فعلقها غلام
الصبي وكان يتيما في حجر عمه حتى بلغ وكان عروة يسال عمه تزويجها فيسوفه الى ان خرج في عير
لاهله الى الشام ووفد على ابي عفراء ابن عم له من البلقاء كان حاجا فخطبها فزوجها اياه فحملها
واقبل عروة حتى اذا كان بتبوك نظر الى رفقة مقبلة من نحو المدينة فيها امراة على جمل احمر
فقال لاصحابه والله لكانها شمائل عفراء فقالوا له ويحك ما تتركنا تذكر عفراء على حال من
الحال فلم يبرح الامر فيهما ان نخ ناقتها الاحمر كلاما حتى سمع القوم فذلك قوله

وإني لتعروني لذكراك روعة ⁂ لها بين جلدي والعظام دبيب
وما هو إلا أن أراها فجاءة ⁂ فأبهت حتى ما أكاد أجيب
وقد علمت نفسي مكان شفائها ⁂ قريبا وهل ما لا ينال قريب
فقلت لعراف اليمامة داوني ⁂ فإنك إن أبرأتني لطبيب
وما بي من سقم ولا طيف جنة ⁂ ولكن عمي الحميري كذوب

ثم انصرف الى اهله فاحتد به البكاء والهلاس حتى لم يبق منه شيء فقال ناس انه لمسحور وانه به جنة وان
بالموسوس والحضارم من اليمامة طبيبا يقال له سالم له تابع من الجن اطب الناس فساروا اليه من
ارض بني عذرة حتى جاوره فجعل يسقيه وينشر عنه فقال له عروة هل عندك من رقية الحب فانصرفوا
عنه حتى مروا بطبيب بحجر فعالجه وصنع به مثل ذلك فقال له عروة اني والله ما ادري ما بي ولكن
دوائي شخص بالبلقاء مقيم فانصرفوا به وهو يقول

جعلت لعراف اليمامة حكمه ⁂ وعراف حجر إن هما شفياني
فما تركا من سلوة يعرفانها ⁂ ولا رقية إلا بها رقياني
وقالا شفاك الله والله ما لنا ⁂ بما ضمنت منك الضلوع يدان
فويلي على عفراء ويلا كأنه ⁂ على الصدر والأحشاء حد سنان
كأن قطاة علقت بجناحها ⁂ على كبدي من شدة الخفقان
فوالله ما حدثت سرك صاحبا ⁂ شفيقا ولا فاهت به الشفتان
سوى أنني قد قلت يوما لصاحبي ⁂ ضحى وقلوصانا بنا تخدان
ألا حبذا من حب عفراء أينما ⁂ أراك وطلح حين يلتقيان

فلما قدم على اهله وكان له اخوات اربع ووالدة وخالة فمرضته دهرا فقال لهم يوما اعلمن اني لو نظرت

الى عفراء فعجلوا انه سعى بنا فخرجوا حتى نزلوا البلقاء مستخفين وكان لا يزال يلم بعفراء فينظر اليها
وكان عندهم رجل كثير المال من بني عذرة قد اضاف الناس ويغشى منزله من بهم فيوما من الايام فيمن قدم عروة ومنا
بسوق البلقاء اذ لقيه رجل من بني عذرة من بعض غسانه حين قدم واجتمع فقال له سمعنا انك مريض واراك
قد سلمت فلما امسى هذا الرجل يتعشى مع زوج عفراء وقال له متى قدم عليكم هذا الكلب الذي قد فضحكم في
جميع الناس قال اي الكلب تعني قال عروة قال او قد قدم قال نعم قال لئن علمت بمقدمه ولو علمت ضممته الي
فلما اصبح زوج عفراء بعثا استدل عليهم حتى جاءهم فقال ان لم تنزلوا ولم ترفوا ان تعلموني فيكون منزلكم عندي
كذا وكذا انه لم اهتدي فقالوا انهم تحول الليلة القبلة او من غد فلما ولى قال عروة لاهله قد كان من
الامر ما ترون والله لئن لم تخرجوا معي لاركبن راحلتي فلا تروني او ترحلوا معي فلحق بقومنا فليس شيء اشد من
ظهورهم وارتحلوا ونكس عروة فلم يزل كذلك حتى نزلوا وادي القرى حدثنا ابو عبد الله بن مصعب الزبيري
عن ابيه قالوا انا لعروة بن الزبير وصبحة وادي القرى فقيل له هل لك في عروة بن حزام قلت الذي يحب
من الحب ما يلقى قالوا نعم فمضيت حتى جئته في بيت مشحة من الدوم فاذا شاب امثال التماثيل حوله امراته
ووالدة وخالاته فقلت انت عروة قال نعم قلت صاحب عفراء قال نعم وانا الذي يقول فالتفت الى اخواته فقال

من كان من أمهاتي باكيا أبدا ⁂ فاليوم إني أراني اليوم مقبوضا
يسمعنه فإني غير سامعه ⁂ إذا علوت رقاب القوم معروضا

قبرنا فاحضر خمش وجوههن ويشققن جيوبهن قال عروة بن الزبير فانصرفت الى منزلي فما
وصلت حتى لحقني رجل فقال انه قد مات عروة فلما بلغ عفراء موته قالت لزوجها يا هناه قد
كان من امر هذا الرجل ما قد بلغك والله ما كان الا على الحسن الجميل وانه قد بلغني انه قد مات وقيل
ان يصل الى اهله بارض عذرة فان رايت ان تاذن لي فاخرج الى قبره في نسوة من قومي فنبكي
عليه فعلت فاذن لها في ذلك فخرجت وهي تقول

ألا أيها الركب المخبون ويحكم ⁂ بحق نعيتم عروة بن حزام
فلا نفع الفتيان بعدك عيشة ⁂ ولا رجعوا من غيبة بسلام
وقل للحبالى لا يرجين غائبا ⁂ ولا فرحات بعده بغلام

فلما انتهت الى قبره لم تدع شيئا من البكاء والنحيب والعويل والجزع الشديد حتى ماتت فدفنت قريبا من
قبره فبلغ الخبر معاوية فقال لو علمت بهذين الشريفين لجمعت بينهما وحكى الهيثم بن عدي عن
ابن عباس قال خرج اناس من بني حنيفة بوادي الغضا يهون فبصر منهم فتى يقال له عباس
جارية من بني عامر في اناس منهم خرجوا للنزهة ايضا فعشقها فقال لاصحابه والله لا انصرف
حتى ارسل اليها فطلبوا اليه ان يكف وان ينصرف معهم فابى فاقبل وارسل الجارية حتى وقع في

عندي

نفسها فاقبل في ليلة اضحيان متقلدا سيفا وهي بين امرأتها نايمة فايقظها فقالت اما فاتق الله وانصرف
والا والله ايقظت الحي فيقتلوا اليك فيقتلوك فقال والله للموت اهون علي مما انا فيه ولكن لك امر
علي ان تصطنعني يدك حتى اضعها على فوادي ثم انصرف فاعطته يدها فوضعها على فواده وانصرف
فلما كانت الليلة القابلة اتاها وهي في مثل حالها فايقظها فقالت له مثل مقالتها وردت عليها
مثل قوله ثم قال لها الا لك الله علي ان تمكنيني من شفتيك ارشفهما ان انصرف ثم لا اعود اليك فامكنته
من شفتيها ساعة فرشفهما ثم انصرف فوقع في نفسه مثل النار فنذر به فقال الحي ما لهذا الفاسق
في هذا الجبل اخرجوا بنا حتى نخرجه منه فارسلت اليه ان القوم يأتونك الليلة فاحذر فلما امسى
على مرقب وحمل قوسه واسهمه واصاب الحي من آخر النهار مطر وتندى فلم يأتوه فلما كان في آخر
الليل وذهب السحاب وطلع الفجر خرجت وهي تريده وقد لبسها الندى والطل ونشر شعرها وكانت معها
جارية من الحي فلما راها ظنها من كان في عباير خرجتا متمشيان فنظر اليهما وهو على المرقب فظن انهما ممن يطلبه
فرماهما بسهم فاخطا قلب الجارية وصادف الاخرى واخذ الجبل فاذا هو بالجارية تتخبط في دمها
فقال عند ذلك : نعب الغراب بما كره : لا ازالة للقدر : تبكي وانت قتلتها فاصبر والا فانتحر
ثم وجا بشاقصة في اوداجه حتى مات قال وجا الحي فوجدوهما ميتين فدفنوهما معا واحب يزيد
بن عبد الملك حبابة حبا بلغ حتى كانت اذا غنت طرب يزيد طربا شديدا وكان يقول لها اذا غنته قولي
من ربع المسلمين ولو مهم فيقولون لبيك فقال العلماء بعد يلحقني ادركها ولعلك الملم على احد بعدي غم وحزن
فلتنظر هل يمكن ان تدالت لها في بستان ممطور بالفاق تحية الناس عنهما واقبلا على الاكل و
اللهو والشرب والغنا حتى شرقت بحبة رمان فماتت فكان الا ان عشيه ما وناسك كانها فقامت قيامة
يزيد وابى ان يدفنها من شدة عشقه حتى شكا اليه شيوخ بني امية وقالوا هذه سنة بني على ما
ومشى الى قبرها مع انه لم يكن لولا وانشا يقول

فان تسل عنك النفس او تدع الهوى : فباليأس تسلو عنك لا بالتجلد

وكل خليل راني فهو قائل : من اجلك هذا هامة اليوم او غد

ثم بات بعدها باسبوع حتى لحق بها واحب يحيى بن عتاب بن عبد الله بن عنبسة بن سعيد
بن العاص مغنية بالمدينة وكان يكتمها حبها ثم قال لبعض اصحابه عشية امضينا اليها حتى نراها
فلما صار اليها وغنت قال فديتك تغنين

احبكم حبا بكل جوارحي : فهل لكم علم بما لكم عندي

اتجزون بالحب المضاعف مثله : فان الكريم من يجزي المودة بالود

فغنته ثم قالت والغني احسن منه واصدق ثم اندفعت تغني

للذي ودنا المودة بالضعف : وفضل البادي به لا يجازى

لو بذلنا لكم ملا الارض واقطارها ثم والسما : زا

فاشتبك عليها وبلغ ذلك عمر بن عبد العزيز في لياليه فاشتراها بمائة الف درهم وبعث بها الى يحيى
بن عتاب فاقامت عنده حولا ثم ماتت فلبث بعدها قليلا ثم مات اسفا ودفن الى جانب قبرها فقال
اشعب الطامع هذا شهيد الهوى فانحروا على قبره سبعين نحيرة كما كبر رسول الله صلى الله عليه واله
على قبر حمزة رض سبعين تكبيرة وبلغ هذا الحديث ابا حازم فقال انما المحب فمن وجل يبلغ هذا

المجلس السادس والسبعون من كتاب خلق الانسان تفسير قول الله عز وجل وفي انفسكم افلا تبصرون يشتمل على بيان محبة الاشياء بارئها تبارك وتعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لا ينتهي الحمد الى غايته ولا ياتي العد على الايته تتعدد معرفة العارفين الائه بعد هدايته
وتحير عقول الواصفين في الاحاطة بغايته يرجع راجيه على اكرم القبول ويصل طالبه باحسن السؤل
يطلع الانوار من اجواز مجنه ومن طي الليل والنهار بعمارة مربديه وتشهد اثار الصنع باحسانه
القديم واحكام الوضع بصنعه العزيز ومسح الباب الانسان وارباب الانسان الى تعدد الحكم ما اثار البديع
القوي لا يبحو لحوله القوي الا بنعول لحوله الظاهر لا باشاراته والباطن لا يظهر احد عليه والواهب لا
نايل لا بمنح والقاسط لا امسك لما منح والعفو عما سلف والرحيم في الوشف لما دمكا ابدا وابدا كما انشا
وجاد فاغنى وراى فنفى والصبح ثم كحله والمرمن ثم شجحه ولعله ثم وفا وحاسبه ثم عفا دبر وصرف
ومنع وشرفه فرق والف ودنى ووفق وخاطب وكلف وبعث النبي الامي الهادي الهدي الى الدعوع
الطاهر فظهور الكواكب والنجوم الساطعة في المشارق والمغارب حتى عمت بركاته عموم الضياء والمجد
طالع وتتابعت حسناته تتابع القطر والرزق فاليم صلوات الله عليه وعلى اله الذين كانوا في نوادي
الدين مصابيح سنو الطلع وعلى هو ابي الحمد بن صفاح لوامع سلامه وتحيته واعظامه واكرامه
الانسان يحب نفسه ويريد دوام وجوده ومحبته غيره لاجل نفسه وخاصة ذاته حتى ان
محبته سائر اصحابه وجميع ما له وعشيرته كل ذلك يرجع الى محبته نفسه
لان بقا ما تحفظ له في وجوده او في كمال وجوده بعدد الاسباب تختلف في الحياة في دنياه بها
وحتى كاد بعضها يعادل حب الانسان نفسه كالاب يحب المنافع لذات الولد لا ليستمر بها الى نفسه نفعا
ويكره خلولها بالابن او يبقى دمها وقد فادى من اجل ذلك من قبله لذة محبته صادقة اجمع على
اصفيائها الهوى والعقل وتقرر على المخاصمها الراي والدين والخلق ما بين كل الاجل من خيره

ورقده فيجعل منافع نفسه ويستعين به على كثير من ارابه واسبابه فلم يبعد منه محبة خالصة
بل على قدر انتفاع العبد به في حاله وقوته وقوام عيشه ومحبة الرعية الصالحة للملك العادل
ينبغي ان يكون من جنس محبة البنات للاب البر العطوف والخادم الرؤوف الحفي المعني وكذلك محبة من
علمك ادبا وافادك علما بل هو فوق تلك المحبة حتى قيل للاسكندر ما بالك تعظم معلمك فوق
تعظيمك لوالدك فقال لانه هو في سبب حيوتي الباقية وابي سبب حيوتي الفانية فتختص هذه
المحبة كلها باربعة اقسام حب الانسان نفسه بوصف كمالها وصلاح حالها وحب من احسن اليها
يرجع الى نفسه وجودا او بقاء وكمالا وحب من كان محسنا في الجملة ولو الى غيره من سائر الناس

وكل امرئ يولي الجميل محبب ... واحسن وجه في الورى وجه محسن

وحب من كان بينه وبين نفسه مناسبة وان كانت مستترة في الباطن عن ظاهر للغائبين
حتى لو اجتمعت هذه المعاني في انسان واحد بان كان في نفسه جميل الصورة كريم الاخلاق حميد
التدبير محسنا الى الناس عامة والى ولده ووالده خاصة كان المضاف بالمحبة له يصير [illegible]
المحاسن العظايم والشمايل الجلايل فاذا عرفت هذا وكان حب الانسان لنفسه ضروريا فكان حب من
به وجوده اولا ومنه بقاؤه وكماله ثانيا وثالثا ومعاده ومرجعه [illegible] ضروريا وان يحب الانسان
نفسه واوصافه [illegible] الذي اوجده من عدم واكمله من نقص واعطاه من [illegible] وافناه عن [illegible]
ومن هنا قال الحسن من عرف نفسه عرف ربه ومن عرف الدنيا زهد فيها فاذن لا
يمكن الانسان ان يحب نفسه من حيث يحبها الا وقد احب من به ثباتها وهو كالمحرور
الضاحي للشمس في الوديعة التي تشوي كل شيء اذا احب الظل احب الاشجار التي يكون بها الظل والماء
الذي يكون به الابتداء وكل ما في الوجود بالاضافة الى قدرة الله وصفاته العلي بمنزلة الظل [illegible]
الى الشجر كالنخل المايل بالاضافة الى الشمس كالخيال الدائر بالاضافة الى الشخص المايل وكل محسن سوى الله
فاحسانه راجع الى الله من الله ومعه في احسانه انما هو مأمور مجبول عليه ومنزلة الخازن ملك امره باذلال
نعمة منه اليك والله هو خازن ما اعطاه فلانا الذي تراه محسنا اليك ثم ملكه اباه ثم وفر دواعيه
مع حبه لذلك الشيء وتخديره بهما اكده عليه على ان اترك بره ولم يمكنه ان يمسكه عنك وانما متاع
مستبدل لما اعطاك حظا لنفسه هو اوفر عنده منه من ثواب او ثناء او مكافاة تجري في العجز
المباينات بمعتبر المفاوضات فاذن حقيقة الحب على الاحسان لا يكون الا لله عز وجل المتفرد
بالاحسان على اجمالها في اربع جهات هي الاصول المتحمل عن التحديد بالتفصيل ويتجاوز عن العد
في التفصيل وتلك الاصول الاربعة هي الاحسان بالايجاد او الاحسان وجدك من عدمه وخلقك من شائع

وكذلك ثانيا في اعضاء هي من اسباب الحاجات كالعين واليد والرجل ومن ذلك ادعائه [illegible] وايد المحاسن وهو انت
المراة مثل تقويس الحاجبين وتحميض الاحمرين وحمرة الشفتين وتلون البشرتين يكون مثال الضروري وهذه
الاشياء في خلقه من النور الخارجة الماء والغذاء ومثال المحتاج اليه الدوائر والفواكه ومثال الزوائد
خضرة الاشجار وبهجة الانوار فان الحمد لله ان على افضل البنية واكمل الصورة واحسن التقويم واعدل
التركيب كما شرحناه في مجالس الخمسين الاول يعد ذكر خلق الانسان ثم المخلوقة بجميع الخليقة والمحصى له في ارزاق المعيشة
واوفى النعمة من الواجب لها انواع الفضائل والماثر والقاسم له اقسام المرافق والمرافق والميسر له المنجيات فوقه
لها والمسهل له المهلكات عصمه منها والهادي له الى سبيل الطاعة والمعرفة في دنياه الخاضعة والموصل له سبل
النجاة حتى يدرك الفوز والسعادة في الاخرة ويحظى منه بالقرب والزلفى والمقيم له في مقامات الشكر والعبادة مع
حاجتنا اليهما لاستغنائه عنهما الحقيق ان يكون العارف به من بقائه في غمار محبته ومخلصا في ندائه [illegible] به
وسرور ابصره منهم [illegible] ومستغنيا عن كل احد اليه ومعتمدا دون كل شيء عليه حتى يفوز
بكريم العناية وعظيم [illegible] وبعد نهاية رحمته ومحبة حقيقية قبوله وكراماته وقد ذكرنا في المجلس المتقدمات
المحبة الحقيقية من خصايص المشاكلة الاتحادية والشيء متى كان ادخل في باب الكثرة كان ابعد عن وصف
وادهب عن قوانين المحبة وعلى العكس حتى قيل في حقيقة [illegible] التي لا يتم وجوده بمجموع خواصه
في آخر غيره وعلى هذا المعنى [illegible] في الدنيا ويتم البعث والجزاء في الآخرة والمحبة الحقيقية تقتضي
هذا الاجتماع والاتحاد حتى قيل حبيبك اخوك [illegible] في الصداقة فكيف في المحبة بل
وفي مجلس الشيخ ابي سعيد بن ابي الخير قوله عز وجل يحبهم ويحبونه فقال المقري يحبهم ودعه يحبهم
صدق يحبهم لانه انما يحب نفسه اشارة الى انهم صنايعه ومن احب صنيعته فقد احب نفسه والوالد
اذا احب ولده من حيث هو ولده فقد احب نفسه وكل ما في الوجود سوى الله فهو صنع الله اما على الابداع
او على التوليد فان احبهم فانما احب صنيعه وما احب الا نفسه فاذا لم يحب الا نفسه فمعنى ان ما احب
العبد اذا انتهى الى معرفة هذه الحالة حتى عن نفسه وعن غير الله علم ان لا القائم على كل نفس بما كسبت
ولم ير نفسه من حيث وجد بل من حيث اوجد فالموجد يقوم باق والموجد ذاهب فان وبهذا نزل قوله عز وجل
واسجد واقترب فامر رسوله بطلب القرب فقال في سجوده اعوذ بعفوك من عقابك واعوذ برضاك
من سخطك واعوذ بك منك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك فالعوذ بالعفو من العقاب
مشاهدة الفعل فقط فكانه لم ير الا الله وافعاله فعاذ من فعله بفعله ثم اقترب ففني عن مشاهدة
الافعال وترقى الى موجبات الافعال وهي الصفات فعاذ برضاه من سخطه ثم راى وراء ذلك عزا فما
فاقترب وترقى من مقام ملاحظة الصفات الى مشاهدة الذات فقال اعوذ بك منك وهذا فرار منه
اليه فلما وصل واستقر اخرج عن فنائه نفسه وخرج من ملاحظتها فقال لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت

على نفسك فكان هو المثني وهو المثنى عليه اشارة الى انه لا يثني الا هو فكان اول مقام اقصى نهايات الوجد
وانتهاؤه الى الحال وبرزخ المحب المنفردين الفانين الباقين على ما تقتضيه المحبة الحقيقية و
الاتحاد اليقيني بين ذلك الذات الفضيلة المحضة من نهايات الكمال المطلق في الفاضل المحض لا يحجز
المحب الا الكامل المطلق الذي كل نقص ولو بالوهم فهو منفي عنه وكل عيب ولو بالمجاز فهو منفي عنه وكل
وصف من اوصاف الجمال والجلال اذا اتصف بنعت هذا الكمال وقد يكون ذلك الكمال بالذات
بل هو وان انتهى في الكمال فانما هو بما افاض عليه الحق المحض والواحد الفرد فاذن لا يمكن لذلك
المنتهي ان ينتهي الى ذلك الحق الفرد الا بعد ان يفنيه الحق عن نفسه ويحييه بوجوده وقد
حتى يتمحض له بمحبته ويصير بحيث لا يمكن ان يمحض محبته لاحد غيره اذ قد اقترن ذلك الوصف بالذات
على الكمال الذي لا يزال تعلق المحبة المحضة كما قلنا الاتحاد فيكون ذلك المنتهي في الكمال متصفا بافعاله
احواله وافعاله من فاض عليه الكمال في مقام المحبة بارادة الله فلا يفعل الا ما احبه واراده ولا يختار
الا ما امره ووصيه ولا يؤثر الا سره ولا يركن الا اليه ولا يتكلم الا عنه ولا يتفكر الا فيه ولا يتنفس الا له
وهذه احوال تلطف عن العبارة وتدق عن الاشارة قلب هائم وانزعاج دائم ووجد كالنار تتقد
وقلب في حرارة الكبد وولهٍ يذيب الجوارح وانزعاج كالغصن بين الرياح ونفس تتصعد الى
التراقي ودمع يتحدر من الماقي واحشاء تقوى من اليدين ولعنائه شكوى الجناحين واذكار تنتهي
له الاسماء والصفات والجماع متوجهة الذات بحال لا ينقصه الجفا ولا يزيده البر بينهما
العبد خطر من نفسه وصواحبه الروية لا يحمد الا الله ولا ينظر الا الى الامر فنومه والاقرار كسيل
جار في جوف كل ما تربه اقل او طلب ما طلع احرق كل ما القيه عن آخره اجتث اصول الشجر
وكانت عروقه وعروق اغصان الشهوات وكانت ودقيقة مشيئة مولاه مشيئته وارادته ارادته
فانشأ من شجر الفقد من المشيئة حتى لو امر عليه لا يرى جزءا لما كان من تركه من جميع مشيئاته
لهذا الحال ان ذهب عن نفسه اليه واحترق قلبه في حبه وخالف هواه في طاعته وترك
مشيئته لمشيئته قال ابو بكر الكتاني جرت مسألة المحبة بمكة ايام الموسم فتكلم فيها الشيوخ
والجنيد ساكت اصغرهم سنا فقالوا هات ما عندك يا عراقي فاطرق رأسه ودمعت عيناه ثم
قال عبد ذاهب عن نفسه متصل بذكر ربه قائم باداء حقوقه ناظر اليه بقلبه احرقت قلبه
انوار هيبته وصفا شربه من كأس وده وانكشف له الجبار من استار غيبه فان تكلم فبالله
وان نطق فعن الله وان تحرك فبامر الله وان سكن فمع الله فهو بالله ولله ومع الله وقال
المحبة دخول صفات المحبوب على صفات المحب وهو من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم حاكيا
عن الله تعالى حكاية فاذا احببته كنت عينه التي يبصر بها واذنه التي يسمع بها ويده التي يبطش

بها

بها وسئل مرة اخرى عنها فقال هي افراط الميل بلا نيل وزاد عليه الحارث المحاسبي
فقال المحبة ميلك الى الشيء بكليتك ثم ايثارك له على نفسك وروحك ثم موافقتك له سرا
وجهرا فيما سرك او ساءك ثم علمك بتقصيرك في حبه وكان الشبلي يقول يحبك الخلق لنعمائك
وانا احبك لبلائك يحبك الخلق للبقاء وانا احبك للفناء ثم قال لما اصبح الخلق الى سكرة فقيل
واي سكرة فقال سكرة نعيمهم من ملاحظة انفسهم وافعالهم واحوالهم ثم انشأ يقول

وتحيتي حيا واني لميت ** وبعضي من الهجران يبكي على بعض
واني واياه لنحن المصادق ** يموت ان يهوى جميعا ولا ندري
ومن ابن الى ابن واني كما ترى ** اعيش بلا قلب واسعى بلا قصد

وقال المحبة هي محاء القلب عما سوى المحبوب وقال مرة اخرى قال هي نار تحرق ما سوى مراد المحبوب

ابا الغيث عون ويابنت مالك ** تحيرت فيما فاتنا من وصالك
خذي بيد واحد منا ليصفو لك الهوى ** ولا تجمعينا كلنا في حبالك

وسمع ابو حمزة الخراساني بعض اصحابه يلوم بعض اخوانه على اظهار وجده وغلبة الحال على كتمان
سره في مجلس فيه بعض الاضداد فقال لا تقض يا اخي فاغتب غالبه يسقط التمييز ويجعل الاماكن
كلها مكانا واحدا والاعيان عينا فلا تشتغل بلومك فسأ ولا تردها استعار ثم انشد

فدع المحب من الملامة انها ** بئس الدواء لموجع مقلاق
لا تطفئن جوى بلوم انه ** كالريح تغري النار بالاحراق

وقيل من صدق في محبته لم يقرع قط باب معصيته وانشد

لما ملكت فؤادي ** وحزت صفو ودادي ** وصرت اعرف مني ** بما يجن فؤادي
هجرت من غير جرم ** لمحجفني رقادي ** انت الحبيب ولكن ** هذا فعال الاعادي

قال الهيثم بن عدي قلت لاشعب كيف ترى اهل دهرك فقال يسالونا عن احاديث الملوك
ويعطون عطاء العبيد فختام يجادلون ارديته المحبين ويفعلون افعال المخالفين حتى
عجبوا انهم لا يحضرون وجاء رجل الى الشبلي فقال كم تقال نفسك بهذه الدعاوي
كم تحرق قلبك بهذه النيران فانشأ يقول

اني وان كنت قد اسات في اليوم ** لراجع للعطف منك غدا
استدفع الوقت بالرجاء وان ** لم ار منكم ما ادعى ابدا
اترضى بكم واندبها ** نفس ترى الغي فيكم رشدا

ومما قاله الشبلي في تمثاله كل محبة لا تمحو آثار الفهوم والعلوم فليس محبة وزاد عليه ابو يعقوب

السوي لا تصح المحبة حتى تخرج من رؤية المحبة الى رؤية المحبوب بفناء علم المحبة من حيث كان له المحبوب
في الغيب ولم يكن هو بالمحبة فاذا خرج المحب الى هذه النسبة كان محبا من غير محبة واصل هذه
الاحوال العلم المحبة ما صح اثرك وفي كلام الجنيد لا تصح المحبة بين اثنين حتى يقول الواحد للاخر
يا انا وقد شرحناه من قبل ومما قال الشبلي المحب اذا سكت هلك والعارف اذا لم يسكت هلك
وقال المحبة ما لا تنقصه الاساءة ولا يزيد الاحسان ولا يغيبه القرب ولا يحيله البعد وانشد

اغيب عنكم بود لا يغيره :. راي المحل ولا صرف من الزمن

فان اغب فلعل القلب يجمعنا :. وان اغب فقبيل الهم والحزن

اخر

تغيب فاشتاق شوق الحبيب :. ويرجع والشوق لي اولع

فكان لك الامر في الظاعنين :. وكان لك الشوق اذ ترجع

واني لاستحييك حتى كانما :. على بظهر الغيب منك رقيب

فلا تتركن نفسي شعاعا فانها :. من الوجد قد كادت عليك تذوب

قيل لصوفي اين حظ المحبين من حالهم قال حيث جاءهم المحبوب بما لم يستجيزون معه له
لا يسجون والهون دونه لا يطيقون

وبدا لي من بعد ما اندمل الهوى :. برق تالق موهنا لمعانه

برق بحاشية الردا ودونه :. صعب الذرى متمنع اركانه

فدنا لينظر كيف لاح فلم يطق :. نظرا اليه ورده سجانه

فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه :. والماء ما سحت به اجفانه

وقيل المحبة بذل المجهود والحبيب يفعل ما يريد وانشد

بذلنا لك المجهود يا املح الورى :. فزايلنا بالعقول والالبا

فزايلك المجموع منك فاتنا :. لامرك يا شمس الضحى نهار الربا

اطلبني وسوفي وعدتي ولا تفي :. واتركني معلقا ان تجودي فتسعفني

انا راض بما صنعت وان كان مسلفي

وسئل رويم عن المحبة فقال الموافقة في جميع الاحوال وانشد

ولو قلت لي مت مت سمعا وطاعة :. وقلت لداعي الموت اهلا ومرحبا

وكذلك قال الشبلي حين سئل عن المسالة اتسع قلوب المحبين فقال اي سرور من احبوا او موافقة من طلبوا
ثم انشد :. اسر بمهلكي فيه لاني :. اسر بما يسر الالف حبا

فلو سئلت عظامي عن بلاها :. لانكرت البلى وسمعت مجدا

ولو امتزجت

ولو امتزجت من سقمي بنادي :. هب الشوق يسال ان يردا

وانشد ابراهيم بن فاتك لشيخه ابي علي الروذباري

روحي اليك بكلها قد اجمعت :. لو ان فيك هلاكها ما اقلعت

تبكي عليك بكلها حتى يقال :. من البكاء تقطعت

فانظر اليها نظرة بترحم :. فلطالما متعتها فتمتعت

وقال سهل بن عبد الله من عرف الله بعظمته وعبد لمخافته وعلامة خوفه اجتنابه ما نهى عنه ومن عرف
الله بجوده وكرمه ونصحه لخلقه رجاه وعلامة رجائه رغبته في عبادته وحبه لطاعته ومن عرف
الله بفضله وكرمه وسعة رحمته وسابغ نعمته الى خلقه احبه وعلامة محبته ايثاره على نفسه
ووجده وماله فكان حال المعرفة بالرحمة فوق احوال العارفة وحال المحبة فوق احوال الراهب
كان المعرض عن متاع الدنيا مخصوص باسم الزاهد والمواظب على فعل العبادات وامثال القيام والصيام مخصوص
باسم العابد والمتصرف في الملكوت بفكره المتقلب بمساعد الوصول بقلبه مستديما لشروق نور
الحق في سره مخصوص باسم العارف والخاشع بمجموع الدنيا بمقامات الوجد ودخان الانزعاج
مخصوص باسم المحب وعلى هذا قال بعض المشايخ ليس من احتجب بالخلق عن الخالق كمن احتجب بالحق عن الخلق
وليس من طال اليه باقدام معرفته كمن طار اليه باجنحة محبته وليس المشتغل على غيره كمن بوقلقه
وعليه حافقه فالمحب فارق شاهد غالب ذاهب مغبوط مغبوط مستبشر مستعبد

ان القتيل مضرجا بدموعه :. مثل القتيل مضرجا بدمائه

حتى كانه وهو واجم في وارد كابته محفلا لان العلم بما فعلوا عنه وحتى كانه وهو في جلباب من
قد نضاه وتجرد عنه الى عالم الملكوت وله امور خفية فيه وامور ظاهرة عنه يعرفها من يعرفها
وينكرها من ينكرها وبالجملة من اثر عرفانا بعرفانها فقد قال الامام الشافعي ومن وجدها كانه لا
يجدها بل وجد الحبيب فقد نظر بحر الوصول وهناك درجات ليست باعلى من درجات مسلك
قبله ولا بادنى منها ولكنها لا يفيهما الحقيقة لا يوديها العبارة ولا يكشف المقال عنها غير الحال
ومن احب ان يعرفها فليتدرج الى ان يصير من اهل المشاهدة لا المشاهدين ومن الواصلين الى
العين ومن السامعين للخبر والحاصلين على الاثر ومن الاخلاق في هذه الحال حتى يرتقي الى
احوال الاخلاف كان الزهد عند غير المحب معاملة كانه يشتري بالمتاع الذي تركه متاع
الاخرة ونعيمها الباقي وعند المحب تبرعا لما اشتغل سره عن الحق وكذلك العبادة عند غير
المحب معاملة كانه يعمل بعد ثيابا دانية لما ياخذه في اخرة باقية ثوابا بالمكافئ عنه من سعي جزاء
لما قدم من عمل وعند المحب ايثار من الهموم والغم وتذليل الهوى والقلب لعبره بالتعويذ من بعض

العزور الى جناب الحق عن طالب لا اجر ولا باعث لمعوضة ولكن بهيم الحق ومودة لعريضة ثم ان المحب
ليمعن بعد ذلك باعتياده وانقياده حتى يغشاه في غير زمان ارتياضه واجتهاده فيكاد الح
شباعا ج منه القلب الى جناب القدس بتذكر من اسره امرا يغشاه غاشية فيكاد يرى لطف الحق
في كل شي ثم انه ليبلغ بهذه المجاهدة مبلغا ينقلب عنه وفيه سكينة يبصر الحظوظ
مالوفا والوسيص شيئا او يحمل مناهجه مستقرة كانها صحبة مستمرة ويستمتع فيها بصحبته
فاذا انقلب عنها انقلب عطشان لسقا يلوم نفسه على التقصير ويهيم بنبهات التعذيب
ولعله الى هذا الحد يظهر عليه ما به ليسكن فاذا تغلغل وتوغل في هذه الموارد فلا ظهوره
فكان وهو غايب حاضرا او هو ظاعن مقيما كما حكى يوسف بن الحسين قال كنت مع ذي النون فجاءه
رجل فقال اين ابا يزيد فقلت انا ابو يزيد فقال من ابو يزيد ليتني رايت ابا يزيد
فبكى ذو النون فقال ان اخي ابا يزيد فقد نفسه فوجد الله فصار يطلبها مع الطالبين
ومن خصايص المحبة ان لا ينظر العبد الى سواه ولا ينظر الا به عنه كما جاء في الحديث اذا احب
عبدا نظر اليه واذا نظر الى عبد لم يعذبه وكيف ينظر العبد المحب الى غيره وهو ينظر اليه
ورحمة فالمحبة تزيد ايثارا من المحب الاول اللطيف الخبير لعبده واكرام بنظر من العبد في نفسه له
كما قال اخوة يوسف حين رعى افضل محبة الله ليوسف عليهم تالله لقد اثرك الله علينا وان كنا لخاطئين
وقال الرسول صلوات الله عليه ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده ومن
خصايص المحبة المحنة وعلى هذا جاء في الاثر اذا احب الله عبدا ابتلاه واذا احبه الحب البالغ
اقتناه قيل وما اقتناه قال لم يترك له اهلا ولا مالا وقالوا اذا رايته يحببك ورايته
تبتليك فاعلم انه يريد ان يصافيك وقال بعض المريدين لشيخه قد طولعت بشي من المحبة
فقال يا بني هل ابتلاك المحبوب بسواه فاثرت عليه اياه قال لا قال فلا تطمع في المحبة فانه لا يعطيها
عبدا حتى يبلوه وفي الحديث ان رجلا قال يا رسول الله اني احبك فقال استعد للفقر فقال اني
احب الله فقال استعد للبلاء فالبلاء اعز ما لقي المحب واخلاقه فقد كره مع محبته ان يصبر على
اخلاقه كما قال ولذلك فاصبر الفقير من اوصاف محبوبه كما قال الحبيب مسكينا فاهل محبته
ان يسلكوا طريقه ويتخلقوا اخلاقه

احببت من اجله من كان يشبهه ... وكل شي من المعشوق معشوق
حتى حكيت بجسمي ما بمقلته ... كان جسمي من عينيه مسروق

واذا لم يكن المحبوب شبيه في المحبوبين لا ينبغي ان يكون للمحب شبيه في المحبين

قلت له والجفون قرحى ... قد اقرح الدمع ما يليها

مالي

مالي في ليعني شبيه ... قال والعبرت لي شبيهها

ومن خصايص المحبة حب كلام الحبيب وحب كتابه وانشد

وكتبك حولي لا تفارق مضجعي ... وفيها شفاء للذي انا كاتم
كاني سهو بالفواد مولة ... وكتبك من حولي الرقى والتمايم
وكتب لطاني هن اخفى ادرجت ... على وصف احوال وتانيس ارواح
جعلن تعاويذ الجنوني كانما ... امسن يحل في مسالي واصباحي

قال بعض المريدين كنت وجدت حلاوة المناجاة في بدء الارادة فداومت على قراءة القران ليلا
ونهارا ثم لحقتني فترة فانقطعت عن التلاوة فرايت في المنام قايلا يقول لي ان كنت تزعم
انك تحبني فلم جفوت كتابي اما تري ما فيه من لطيف عتابي فانتبهت وقد اشرب في قلبي محبة
القران وقالوا لا يكون العبد مريدا حتى يجد في القران كل ما يريد وقال ثابت البناني
كابدت القران عشرين سنه وتنعمت به عشرين سنه وقال مرة اخرى كابدت الليل عشرين
سنة وتنعمت به عشرين سنه ومن خصايص المحبة تقديم امور الاخرة في كل ما يقرب الى الله
على امور الدنيا من كل ما يهوى الانفس والتذلل لاولياء الله من العلماء والعباد والتعزز على
ابناء الدنيا والمجاهدة في طريق المحبة بالمال والنفس جميعا والانقطاع من كل شي اليه ووجود
الانس والوحدة والروح بالخلوة والالتذاذ بحلاوة الخدمة وان لا يسكن الا اليه وان لا
يعتمد الا عليه وفي قصة برخ العبد الاسود الذي استسقى به موسى عليه السلم ان الله اوحى اليه
ان برخ نعم العبد الا ان فيه عيبا قال يا رب وما ذاك قال يعجبه نسيم الاسحار ومن احبني
لا يسكن الى شي ولا يانس بشي ومن خصايص المحبة الخروج الى الله من الدنيا بالزهد فيها
والخروج اليه من النفس بايثار الحق على الهوى والخروج من العمل باسقاط الثوبة والطمع الاجر
والجزا وان الواقفين في مقامات الاجر وعبادتهم بالجوارح دون القلوب هم المخلصون لا المخلصون
والمخلصون لا المخلصون يعبدون الله لا يخلطون اعمالهم دون الله كما انهم يحشرون مع اتباع المحبوب
من الاحباب ووفاتهم ما ادرك الصادقون من لطف في وصلهم ومن ماحب قبل لبعض المحبين وكان قد
بلغ المجهود في بذل ماله ونفسه حتى لم يبق منهما بقية وحيل بينه وبين كثير من امره
ما سبب هذه كله فقال كلمة سمعتها من مخلوق وعملت في هذا العمل سمعت محبا وقد خلا بمحبوبه
وهو يقول انا والله احبك بقلبي كله وانت معرض عني بوجهك كله فقال له المحبوب ان كنت تحبني
شفو علي فقال يا سيدي اهلكتك ما ملكت ثم اشفق عليك روحي حتى لك فقلت هذا خلق
لخلق وعبد لعبد فكيف ... يا ايهم المقرب ما اطيبكما ... ذا وطمع الانس من على بكا

اي عيش لابن قر بوا ... قد سقوا بالعذب من شر بكا

ومن خصايص المحبة ان المحب كالاً ينكو البلاء من الحبيب لا ينهله البلاء عن ذكر الحبيب حكى عن سهل بن عبد الله في العلة التي كان به فكان يداوي الناس منها ولا يداوي نفسه فقال

اي دوست ضرب الحبيب لا يوجع

يا من يعز علينا ان نفارقه ... وجداننا كل شيء بعدكم عدم

ان كان سركم ما قال حاسدنا ... فما لجرح اذا ارضاكم الم

وكان الجنيد يقول من علامة المحب في المداره والاسقام هيجان المحبة وذكر الحبيب عند نزول البلاء وحلول اللاواء ولقد ذكرتك والسياط تلفني ... عند الامير وساعدي مغلول

ولقد ذكرتك والذي انا عبده ... والسيف عندي والقنا مسلول

فلو بصرتني عدي في وسط زورق ... وقد هاجت الارواح في كل جانب

ونفسي على مثل السنان متيمة ... لما اعترتني في الله ايدي الحبائب

وبذكرتيها وصلها وحديثها ... على حالة تنسي وصال الحبايب

ومن خصايص المحبة ان الذكر لا يكون عن نسيان والرؤية لا يكون عن غيبان فلا يكون في نفسه موضع الا وهو معمور بمعنى لم تعملها الا عليه ولا من قلبه مكان الا وهو موشى بذكره مطرز باسمه لا لاني انساك اكثر ذكراك ... ولكن بذاك يجري لساني

انت في القلب والجوانح والنفس ... وانت الهوى وانت الاماني

كل عضو مني يراك من الوجد ... بعين غنية عن عيان

فاذا غبت عن عياني ابصرتك ... مني بعين في كل مكان

ومن خصايص المحبة ان يكون نهار المحب كالليل سوادا وليله كالنهار بياضا

كم ليلة فيك لا صباح لها ... افنيتها قابضا على كبدي

وانت خلو نائم في دعة ... شتان بين الرقاد والسهد

وكم نهار عدمت بهجته ... كانه ليل هايم كمد

تغيض عيناي بالدموع وقد ... وضعت خدي على بنان يدي

وقالوا ادع مراقبة الثريا ... ونم فالليل مسود الجناح

فقلت بعل الفراق القلب عني ... افرق بين ليلي والصباح

ومن خصايص المحبة كتمانها اجلالا للحبيب وغيرة عليه وحياء منه وهو من الوفاء عند اهل الصفا اذ كانت المحبة سر المحبوب في خزانة القلوب

اصونك

اصونك ان ادل عليك وهما ... لان الظن مفتاح الغيوب

اهابك ان اقول هلكت وجدا ... عليك وقد هلكت عليك وجدا

تباريح صدودك عني ... وشايتك وانا عاشقك عني

ذاك اني لا اكون صفاح غيري ... فاذا ما خلوت كنت التقي

هل الحايم العطشان يسقي بشربة ... من الحزن يروى ما به فيبوح

فقالت بحقي ان سمعناك شربة ... تخبر اعدائي بها فتبوح

اذا ما بالحبيب المنايا وقد دنا ... الى اجلي صب الفؤاد سفوح

لبس اذن ما وفي المحبة سرها ... وابي اذن من حبكم لصحيح

ابا جبلي بقان قلبي اليكما ... ستر هوى ستائر لقاكما

كتمت جميع الناس وجدي عليكما ... والصبر بي في الاحشاء حتى هواكما

دعا الكتمان قلبي الحنين وانه ... لتوشك عيني ان ترى من بكاكما

وقالوا اقريت قلت ما انا صالح ... لصوت شعاع الشمس لو كان بين

فاني بها غير ذكر بخاطر ... يهيج نار الحب بالوجد في صدري

اذا اشتبهت دموع في خدود ... تبين من بكى ممن تباكى

فاما من بكى فيذوب وجدا ... وينطق بالهوى من قد تباكى

ومن خصايص المحبة ان المحب حتى ينام عن عياني حتى يسوم من معاشرة خلقه ويعتد وذب لمن يلقاه شوقه يحنو على الصغير ويجل الكبير ويبسط من الخامل ما يبسط من النبيه ويرفع من المجهول كما يرفع من الوجيه وكيف لا يمن ولا ينبسط وهو فرحان بالحق ومحل شيء فانه يرى فيه لطف الحق وكيف لا يستوي الجميع عندهم سواسية كاسنان المشط طلعة القطاع باضاع اهل الرحمة قد شغلوا ابالباطل تركوا ما امروا وخوا ما كلفوا او اقبلوا على ما كفوا وكذلك المحب يتخلى ويعتزل عن نقيضه الموت بل ظمان الى الموت كما قال المعروف الكرخي من يكره من جنبك الا المليق الا لقائك وجواد وكيف لا وهو يعبر بين افناء الفاني والباقي الملاشي وصفوح وكيف لا ونفسه اكبر من ان يباشر او يحرجها انه يشير وعنا الاحقاد وكيف وذكره شغلون بالحق عما اوفى وسفر في اللون المحب حين سئل وقيل صف لنا المحبة فتغيرت لونه واضطرب حاله وقال ان علامة المحب لله في الظاهر ان يكون كثير الصمت قليل العبارة كثير التفكر ناحل الجسم ذابل العقل هايم القلب مصفار اللون قليل الطعم كثير السهر شديد القلق ستوحشا من الخلق مستانسا بالخلوة ان خوطب لم يسمع وان اطعم لم يستلذ وان نهى لم يروا وان شهد لم يعرف وان غاب لم يفتقد وان

غلب لم يحزن وان مرض لم يألم وان جوعي لم يفرح وان جاع لم يغتم وان عري لم يشعر ليله تفكر ونهاره
عبرة وطول الليل يناجي ربه ويشكو اليه قلبه

اذا ما شكوت الحب قالت كذبتني … فما لي ارى الاعضاء منك كواسيا
فلا حب حتى يلصق القلب بالحشا … ويضعف حتى لا يجيب المناديا

وكتب يحيى بن معاذ الى ابي يزيد سكرت من كثرة ما شربت من كاس محبته وكتب اليه ابو يزيد
غيرك شرب بحور السموات والارض وما روي بعد ولسانه خارج وهو يقول هل من مزيد

عجبت لمن يقول ذكرت ربي … وهل انسى فاذكر ما نسيت
شربت الحب كاسا بعد كاس … فما نفد الشراب وما رويت
قد سكر القوم دور كاس … وكان سكري من المدير
سكران سكر هوى وسكر مدامة … انى يفيق فتى به سكران
لي نشوتان وللندمان واحدة … شيء خصصت به من بينهم وحدي

وحدث ابراهيم بن شيبان قال كنا على جبل طور مع شيخنا ابو عبد الله المغربي ومعه اصحاب نحو
من ستين او سبعين فجاء ذات يوم شاب وانجم عليه اثر الخشوع فكنا اذا صلينا قام فصلى
معنا واذا اجارينا العلم قعد ناحية يسمع ما بيننا ذات يوم نحن قعود تحت شجرة في مكان عشب
ولطفه كان في ايام الربيع فتكلم الشيخ وانجر الكلام الى علوم المعارف الجليلة ولطف القول جدا
فرايت الشاب تغير ولم يزل يضطرب بين يديه من العشي ثم غاب فلم نره بعد ذلك

فلو عرف الحشا لما تضمنت … من الوجد والبلوى اذا لتفجرا
ولو نظروا بين الجوانح والحشا … راوا اسطر كتاب الحب في كبدي سطرا
لم يدر من يغدو اعني مقاصده … ابقي اذا اتيت من قلبي بمقياس
لما اقتحمت الناس في عيني واعينهم … اذا نظرت فلم ابصرك في الناس

وقال ابو بكر الواسطي الغرض من المحبة مرض البال فهو الداء وليس الداء العناء فليتباعد من مواضع
الاهوال ليتقاعد من موارد الاتصال ثم انشد على اثره

ذرني عجي مشتبق مطمئنة … ولم تحتشم هول تلك الموارد
فان جسيمات الامور منوطة … مستودعات في بطون الاساود

وحدث يوسف بن الحسين قال دخل ذو النون على رجل من المحبين وهو عليل فقال يا ناسك في
حبه من لم يصبر على ضربه فقال الرجل يا ذا النون يا ناسك في حبه من لم يتلذذ بضربه فقال
ذو النون بل ما ناسك في حبه من لم يرى وجد الحبة وعلا ما نابه في قلبه فقال الرجل بل ناسك

في حبه من وجد قلبه في حبه وهذا القول هو الاشبه بحقيقة الحب وحتى قد اشتهر
ذلك في اشعار اهل الحب الحجازي كما قال الاعرابي

وسايلتموا بعدكم كيف حاله … وذلك امر بين ليس يشكل
فلا انا لو اعز قلبه هو عندكم … ولكن من الجسم المعذب فاسألوا
وولا النايل ما ينفصل في رحيل … يهوي هواك وما اجتنبته اجتنابا
يمشي مع بدني والقلب عندكم … فمن يعيش اخو ما قلبه هبا
ادوت ببرق لاح في نجد الدجى … تذكرني الاحباب والمنزل الرحبا
لمرت عناني في يد الحب مطلقا … وفتشت عن قلبي فلم اجد القلبا
فقد صحوت في نزل محبو سالما … وقلبي من حبيهما ان تشققا

البحتري

بدني ضعفت عن ان تمزق جيبها … وما كان قلبي حاضرا فيمزقا
قالت وقد فتشت عنها كل من لاقيته … من حاضر او بادي
انا في فؤادك فارم لحظك نحوه … ترني فقلت لها واين فؤادي

وحكى ابو الطيب المكي ان سمنون الخواص الذي سمى نفسه سمنون الكذاب كان جالسا على شط دجلة
وبيده قضيب يضرب به فخذه حتى يا نغظم وتبدد لحمه وهو يقول

كان لي قلب اعيش به … ضاع مني في تقلبه
رب فاردده علي … فقد ضاق صدري في تطلبه
واغث ما دام بي رمق … يا غياث المستغيث به

وحدث الرواة ان كثير عزة دخل ذات يوم على عبد الملك بن مروان فقال له يا كثير انشدني
من قولك في عزة فقال لا بل انشدك ما مدحتك به يا امير المؤمنين فقال عبد الملك نحن ابن ابي
طالب عليك بموجد الشعر عندك الا انشدتني بعض ما قلته في عزة فانشد

عذيري من العذال لما تركوني … لما بي اما في العاذلين لبيب
يقولون لو سكنت قلبك لارعوى … فقلت وهل للعاشقين قلوب

ينشدها وعيناه تهملان دمعا فقال له عبد الملك ويلك يا كثير هل رأيت احدا احسن منك
قط قال نعم يا امير المؤمنين خرجت ذات يوم وانا على بعير او ضع عليه ايضا فاذا انا باعرابي في
برية ليس بها انيس فاذا انا برجل قد نصب حبالة فقلت ما اقعدك ههنا قال ابتغي صيدا فقال والله وهو في
ههنا قال نصبت شركا لي قلت فان ان جهد صيدك المعتبر من صيدك قال اي والله ونحن في مجاعة
كرامة فانحنا اليه فلم البث الا قليلا اذ قام بعيد واني شركه فاذا فيها ظبية اذ تأمله

كاحسن ما يكون من الظباء واسمنها فاخرجها من الشرك ثم جعل ينظر الى جيدها وعينيها وانبرى يلثم عينيها وعيناه تذرفان دمعا ثم ارسلها من يده وقال

اذهبي في كلاءة الرحمن ... انت مني في ذمة وامان
لا تخافي بان تهاجي بسوء ... ما تغنى الحمام في الاغصان
لا تخافي فالجيد منك لليلى ... والحشا والبغام والعينان

وطارت الظبية ذاهبة ومكث عنده ثلاثة ايام ما ينقضي عجبي من صنيعه ذلك بكل ظبية يصطادها حتى خفت الارماك والهلكة فارتحلت عنه وودعته فلم ار احدا اصدق منه عشقا واجرى عبرة واصبر على الاقواء والقيض في الشرك والنزول مشعر من ميح للطعمة فتعجب عبد الملك من شانه قال اخبر الشبلي في مارستان بغداد دخل عليه جماعة من اصدقائه واحبابه فقال من انتم قالوا اصدقاؤك ومحبوك فاقبل عليهم يرميهم بالحجارة فانهزموا فقال يزورونني فقال كذبتم فلم ورب الكعبة لو كنتم احبابي لصبرتم على بلائي ثم قال الشبلي عندكم مجنونا وانتم اصحاء مساكين فقالوا نعم فقال زاد الله في جنوني وزاد في صحتكم حتى يزداد دون صحتي وازداد جنونا ثم قال

لي جنون الهوى ومالي جنون ... وجنون الهوى جنون الجنون
جنوني مجنون ولست بواجد ... طبيبا يداوي من جنون جنون
قالوا جننت بمن تهوى فقلت لهم ... ما لذة العيش الا للمجانين
هي الوفادة من لا يستعد لها ... ولعصب الامر وابر المساكين
من كل الشوق قد مات عاشقه ... كانت من دواعي الوجد مجنون

وقال ابو الحسن بن سنان المصري اثار المحبة اذا ابعدت ورياحها اذا هبت وانوارها اذا اشرقت وامطارها اذا اغدقت لما ابقت عوما ولا اهتدت لعوا الا ابيوت اثار المختلفة ويبدي سترة ثم انشد يقول

ولنا الرياح مع العشي تناوحت ... نهتن حاسدة وهجر عيونها
ثلاث عوض من طرفه الوحيا ... وهم ان ينطق فاستحيا
جزوه لي سفين من حسنه ... انا ان عز فاولنا احيي
ادير على الكاس لا اشرب انجلي ... ولا اطلبا من عندها تلك الحلي
احب التي صدت وقالت لتربها ... دعيها الثريا منه اقرب من وصلي
انا التي احبت محبتي في عندها ... معلقة بين الجحود مع التهل

وقال ابو علي الكاتب روائح نسيم المحبة تفوح من المحبين وان كتموها ويظهر عليهم دلائلها وان ستروها وانشد

اذا ما اسرت انفس الناس ذكره ... تبينه فيهم وان لم تكلموا
يطيب به انفاسهم فيذيعها ... وهل سر مسك اودع الريح يكتم
بزعمي الجليل الصد عنها اذا بدت ... احاذر اسماعا عليها واعينا
وهل كنت الا مغرما قاده الهوى ... اسير فلما قاده الوجد اعلنا

ويحكى عن بعض الفتيان قال ابتعت جارية حسناء فقالت لي ما يعجبني فعلك فقلت كلي بكلك مشغول فقالت ان كان كلك بكلي مشغول فجعل لكلك منه ولكن انظر وراءك فان وراءك من لا اساوي كلي بعضه فالتفت فصاحت يا كذاب لو كنت صادقا ما التفت

وجائزة دعوى المحبة والهوى ... وان كان لا يخفى كلام المنافق

وكان الفضيل بن عياض يقول اذا قيل لك تحب الله فاسكت فانك ان قلت نعم فليس وصفك وصف المحبين فاحذر المقت فان قلت لا كفرت

وما في الامرين حظ المختار
فقال عذرك بالحالات بينهما ... فاختر وما فيهما حظ لمختار

وقال بعض العارفين كل اهل هذه المقامات يرجى ان يعفى عنهم ويسامحوا الا من ادعى المعرفة او انتحل المحبة فانهم يطالبون بتصحيح دعواهم ويحاسبون بكل شعرة وبكل حركة وسكون وكل نظرة وخطرة يطالبه لا اخرى فيها المشاركة ومحاسبة لا يدخلها المساهلة الا ان يتلافاه الله برحمته وفي ذلك قيل

الا ان ثوبا لا ينال ودعوى يدعى
ومالحبيبي قط دعوى عريضة ... وان قام في نقض بينها الف شاهد
وان في العينان من نزاح وقتيلة ... فليل الدعاوي وهو جم الفوائد

وذكر بعضهم قوله تعالى ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة فقال هم الذين كانوا اذا اشتكوا يشكون واذا اصابتهم مصيبة يجزعون واذا دهمهم خطب او اهمهم امر يحزنون فهم الذين يغلطون في دعواهم ويكذبون وكان ابو القاسم النصرآبادي يقول المحبة توجب حقن الدماء ومحبة توجب سفك الدماء ومن هذا قولهم حقن دماء الزاهدين وسفك دماء العابدين وقولهم المحبة لذة في المخلوق واستهلاك في الخالق وانشد

وقالوا لها هذا حبيبك هالك ... فقالت وهذا عندنا ابن المختطب
فاهوا الاوقفة في رباعنا ... مصطلك جلاه ونقط المحب

وقال آخر

ان الذين بخير كنت تذكرهم ... هم اهلكوك وعنهم كنت انهاكا
لا تطلبن حياة عند غيرهم ... فليس يحييك الا من توفاكا

وقال قايل لابي القسم النصراباذي هذا ما عمل المحبة مع المحبين فقال تشويش في القلوب بعمي من المحبوب وفتنة في الفؤاد سواء ودمن المراد ثم انشد

عرست لاهل الحب خصانة الهوى ... ولم يك يدري ما الهوى احد قبلي
فاورق اشواقًا واينع صبوة ... واعقب لي ثمرًا من الثمر الحلو
فكل جميع العاشقين هواهم ... اذا نسبوا من كان من ذلك الاصل

وقيل له يا ابا القسم ليس لك من المحبة شي فقال صدقتم ولكن لي حسرات فهو ذا احترق بها ثم انشد

من كان في قطع الهوى ذاق سلوة ... فاني من ليلى لها غير ذائق
واكثر ما نلته من وصالها ... اماني لم تصدق كلمحة بارق

وقيل حسرات الحب جمرات في القلب وانشد

خليلي ما اصبر على الزفرات ... وما طاقتي بالشوق والعبرات
تقطع نفسي كل يوم وليلة ... على اثر من قد فاتها حسرات

وسئل الشبلي هل تعرف المحب انه محب قال نعم اذا كتم حبه نطق عليه ثم انشد يقول

قد تحسب الناس ان الظنون بنا ... وفرق الناس فينا قولهم فرقا
فكاذب قد رمى بالظن غيركم ... وصادق ليس يدري انه صدقا

وكان يوسف بن الحسين يقول من الخلع في محبة عذاره وانقطع من الوجد حزامه واستولى عليه ما كان له من البطالة تمكن فيه من الهيام الك وساح في مفاوز الخاطر ان لا بد ان يجري عليه احكام السعادات وهو يقول في بيته

كيف السبيل الى وصال من غضبا ... من غير جرم ولم اعرف له سببا
يجني علي الذنب والذنب من نفسه ... وما اتيت شيًا وفي شقه العتب
اذا برم المولى بخدمة عبده ... يجني له ذنبًا وان لم يكن ذنب
بكيت ودمع العين للنفس راحة ... ولكن دمع الوجد يبكي به القلب
وذكري لما القاه ليس بنافعي ... ولكنه شي يهيج به الكرب
فلو قيل لي ما انت قلت معذب ... بنار مواجيد يضرمها الحب
بليت بمن لا استطيع عتابه ... ويعتبني حتى قال لي العتب
شغلت عن فهم الحديث سوى ... ما كان منك فانه شغلي
وادم لحظ محدثي ليرى ان ... قد فهمت وعندكم عقلي
لقد طار نفسي الريح منها بنفحة ... على كبدي من طيب ارواحها برد

وبقاربت نعشيا لما عليك وقد مضت ... اناه وما عندي جواب ولا رد
فما نعلم الله اني بذ هويتكم ... اطيق لطهارمًا القاه باللفظ
وكم قد تحفظته حتى اذا نظرت ... عيني اليك ازال هيبتي حفظي
تغلغل حب عثمة في فؤادي ... فباديه مع الخافي يسير
تغلغل حيث لم يبلغ شراب ... ولا حزن ولم يبلغ سرور
الحب تبرك من احبت هدلها ... حيران او يقضي عليه فيصرع
الحب اهونه شديد فادح ... يهن القوي من الرجال فيصرع
من كان ذا عزم وحزم في الهوى ... وشجاعة فالحب منه اشجع
لقد حببك بحبالو تضمنه ... سلمى يميل ذرى الشاهق الراسي
حب تلبس بالاحشاء فامتزجت ... تلبس الماء بالصهباء في الكاس
مكتئب ذو كبد حرى ... تبكي عليه مقلة عبرى
يرفع يمناه الى ربه ... يدعو وفوق الكبد اليسرى
يبقى اذا كلمته باهتا ... ونفسه مما به سكرى
تحسبه مستمعًا ناصتًا ... وقلبه في امة اخرى
سعت الهوى في قلب من ليس هائمًا ... فقل في فؤادي عيشه وهو هائم
اصلي فما ادري اذا ما ذكرتها ... اثنتين صليت الضحى ام ثمانيا
وما جئتها ابغي شفاي بنظرة ... فابصرها الا انصرفت بدائيا
وكنت ارى من وجه مية لمحة ... فابرق مغشيًا علي مكانيا
واسمع منها اللفظة فكانما ... يصيب بها سهم طري فؤاديا
يطيلين لياني وانت مليته ... ولحن ما دوابا الوشاح القاصيا
هي السحر الا ان للسحر رقية ... واني لا القى من الحب راقيا

المجلس السابع والاربعون من كتاب خلق الانسان تفسير قول الله عز وجل وفي انفسكم افلا تبصرون يشتمل على الكلام في الارادة والسكينة والولاية

بسم الله الرحمن الرحيم

الخالق لمن كان بامره العالم وبان بحكمه الامم والامر لمن يخرج النور من الظلم ويظهر الصحة من السقم يعيد كما ابدا النعم ويبيد كما انشا النسم ويعلم ما نعلم وما لا نعلم وهو الله الاعز الاكرم كتب لكل امر امدًا واحصى كل شي عددًا لا اشرك بعبادته احدًا ولا نتخذ من دونه ملتحدًا ولا نملك الا باذنه

نضراً ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً من تولاه بفضله ملك المراد ومن وكله الى نفسه هلك وباد ينوّر
القلوب ويقدح لازمها الاشجان ويشرح الصدور ويفرج احرجها الاحزان ويرفع المفوض اليه عن حول في تطلع
المتعبد عليه بعد التوكل انساله بمعرفة جوارح اوليائه ويحض الحاد بين جوانح اصفيائه وانزحت
بلطفه صدور مريديه وانفسح بمجده امور محبيه احمده واحمد احسن مطلقا واعبده والعبادة اكرم
موقعا واصلي على محمد عبده ورسوله ارسله شهابا ساطعا للمسلمين وجعله حساما قاطعا علائق
المشركين وحكم لحزبه بالظفر وعز النفر وختم على حزبه بصوائب الغيرة ونوافذ القدرة وايده من حفظه بالقوة
الكبرى وامده من ملائكته بالمدة العظمى حتى شيد اركان الاسلام ومنابعه وهدم اركان الكفر وابا عده
واورى زناد الصدق والايمان ونور فجاج العدل والاحسان واطفأ نار الكفر والطغيان وخفض منار
الفسوق والعصيان صلى الله عليه وعلى آله اجمعين الارادة بدو سلوك السالكين واول منزلة
القاصدين الى الله تعالى وكل مريد في العادة فله ارادة شيء فهو يسعى لما يناسبه ويكدح دليله يحصله
والمريد في هذه الطريقة من لا ارادة له منها حتى قالوا علامة الارادة ترك ما عليه العادة وحتى حكي ان
ممشاد الدينوري ورد عليه فقير فقال ايها الشيخ اريد ان تتخذ لي عصيدة فجرى على لسانه ارادة و
عصيدة حتى مات وعن بعض المشايخ كنت في البادية وحدي فضاق صدري فقلت يا انس انسوني
يا جن كلموني فهتف بي هاتف اي شيء تريد فقلت اريد الله فقال الهاتف حتى تريد الله وقال الواسطي
اول مقام المريد ارادة الحق باسقاط ارادته وهي لوعة تحرق كل وعر كما قيل

قطعت الليل في سهر ۞ لا اسلو الحشا ولا اذنبا
يغلبني شوقي فاطوي السرى ۞ ولم يزل ذو الشوق مغلوبا

وحكي عن ابي حمزة الصوفي قال رايت في مسجد الحرام فتى في اطمار بقلبهما فسلمت عليه فغسل يديه ونفخ
وسلم علي فقلت اسالك فقال انا اشرب الحي ابد فقلت ما هي فقال الارادة فقلت من جعل بين يديه اسنادا
ومن عماله الحرمة لم يفز وسهما قال لا اقتلت ما هي فقال من جاء من خراسان على الحج وله يا تغير قال ابو حمزة
فاردت ان اخطو خطوتين على قدم واحد فلم يمهلني وقال ابو عثمان المغربي اذا صح المريد مقام السرور والانس
يتولد من ذلك مقام الانس به فاذا صح انسه به استوحش من كل شيء سواه

واني لاستغشي وما بي نعسة ۞ لعل خيالا منك يلقى خياليا
واخرج من بين الجلوس لعلني ۞ لعلي اناجي منك بالسر خاليا
لا والذي خص قلبي منك بالحزن ۞ وبعد العين يجري الدمع بالوسن
ما حن قلبي الى شيء سواك ولا ۞ نظرت مذ غبت عن عيني الى الحسن
مستوحش من جميع الناس كلهم ۞ مستانس بك انس الروح بالبدن

قال الكتاني من حكم المريد ان يكون نومه غلبة واكله فاقة وكلامه ضرورة وسئل الجنيد ما للمريدين في
مجاراة الحكايات جند من جنود الله تقوى بها قلوب المريدين كما قال الله تعالى وكلا نقص عليك ما نثبت به فؤادك
وقال ابو بكر الفارسي كل مريد يتوجه الى الله على قدر ارادته واحوالهم مختلفة فمنهم من يصحب العلم ومنهم من
يصحب الاجتهاد ومنهم من يصحب التعزب والسياحة وخدمة المشايخ ومنهم من يصحب نسيان النفس وترك الدنيا لانه بها
وباهلها ذل النفس والارادة تغلبها ومنهم من يصحب الله بالله لعلمه ان المجاهدات لا يصل احد اليه بها فلكل
واحد منهم له شرب معلوم ويعرف شرب صاحبه وذوقه على قدر ارادته وتوجهه قال الله تعالى قد علم كل اناس
مشربهم وقال البسطامي للمريد يجب ان يلزم المقام الذي هو فيه حتى يصلح له ذلك المقام ثم يطلب غيره وقال الشبلي
من طلبني بي وجدني ومن طلبني بي كنت له كما هو لي ومن طلبني بحظ نفسه حجبته بي عني وقيل من حكم المريد ان
لا يرى في قلبه غير مراده وانشد

ما كان لحاظ اذاكا ۞ وان ازدوار اذاكا
قلبي يكفيك فانظر مثل ۞ فيه مثلي سواكا

وسئل [illegible] عن المريد كيف يعالج هواه فقال بالامتناع عن التمتع بالشهوات والمطاعم واللذات
استاعا طاعة لا ينور به ربا ولا يغار قصصا تحيلنه بضعف هواه فلا يغلبه حتى يترك التعمد والاجتهاد
فتقوى عليه هواه وغلبته نفسه فهو في مقابلة النفس تغلبه مرة ويغلبها ويصرعه ويصرعها

ليهب الكف من لهيبها ۞ ويحرر العين ان تغشاها
كان نارا بها محرشه ۞ نما بها نارة وتغشاها
لا مجدها نارة وتاخذها ۞ فحر فيها بها وصرعها

وقيل المريد لا تفتر انا الليل والنهار فهو في الظاهر بنعت المجاهدات وفي الباطن بوصف المكابدات
فارق الفراش ولازم الانكماش وتحمل المتاعب وركب المصاعب وعالج الاخلاق ومارس المشاق وعانق
الاهوال وفارق الاشكال ملاقي كل معضلة ناد ۞ بوجه لا يغيره القطوب

وتعشق العظيم اذ ترقه ۞ كان فقدنا زاده منها حبيب
وبين جوانحي قلب كريم ۞ يعجب من تماسكه القلوب
يلوح تواجدي والهم كامن ۞ واشربها كاني مستطيب
فتوق السر لي يجري صخر ۞ ويحته الجمر لي قلب كئيب

وقال ابو علي الدقاق الارادة لوعة في الفؤاد ولذعة في القلب غرام في الضمير انزعاج في الباطن
نيران تتاجج في القلوب وانشد

يرتاح للذكر قلبي وهو مقتسم ۞ بين الهموم ارتياح الارض للمطر

يا عارضاً متنظراً امطر على كبدي ❊ فانها كبد حرّى من الفكر ❊

وقال ابو يزيد اذا صاح المريد كان نحزاً ❊ واذا سكت كان عجزاً وانشد ❊

تداعى حمام الايك فارتاح للصبى ❊ فؤادٌ اذا القى الحزن بن حزب ❊

فحن بوجد وهو للوجد كاتم ❊ وشتان حزن ظاهر وكمين ❊

ولما اسر الامير ابو فراس بالروم وحبس سمع بالقرب منه حمامة تغني على شجرة فقال

اقول وقد ناحت بقربي حمامة ❊ ايا جارتا هل تشعرين بحالي ❊

معاذ الهوى ما ذقت طارقة النوى ❊ ولا خطرت منك الهموم ببال ❊

احمل محزون الفؤاد قوادم ❊ الى غصن نائي المسافة عال ❊

تعالي ترى روحاً لدي ضعيفة ❊ تردد في جسم يعذب بال ❊

ايضحك ماسور وتبكي طليقة ❊ ويسكت محزون ويندب سال ❊

لقد كنت اولى منك بالدمع مقلة ❊ ولكن دمعي في الحوادث غال ❊

ايا جارتا ما انصف الدهر بيننا ❊ تعالي اقاسمك الهموم تعالي

وقال ابو عبد الله المغربي من ادعى الارادة وله مراد باق فيه فهو كاذب في دعواه انما تصح الارادة لمن افنى مراداته وقام بمراد صاحبه وسيده فيكون اسمه مناسباً بسماته ونعته مناسباً بحلاته فاذا سمي باسم اجاب باسم العبادة ولم يجد خطاباً بالارادة فلا اسم له ولا رسم غيره ثم حكى ابو عبد الله وانشأ يقول

لا تدعني الا بيا عبدها ❊ فانه اصدق اسمائي ❊

ادعا باسمائي في قبائلها ❊ كان اسماها اضحت بعض اسمائي ❊

وساح بعض المريدين سنين يرد موارد العبادة ويبذل غاية المجاهدة فنودي ليلاً انطلقنا الى الامثال بالثمن فاحمل الابتاع بالاثمان وكان ابو تراب النخشبي مولعاً ببعض المريدين فكان يدنيه ويقوم بمصالحه والمريد مشغول بعباداته ومواجيده فقال له ابو تراب يوماً لو رايت ابا يزيد فقال المريد اني عنه مشغول فلما اكثر عليه ابو تراب من قوله لو رايت ابا يزيد هاج وجد المريد فقال ويحك ما اصنع بابي يزيد وقد اغناني رؤية الله عن رؤية ابي يزيد قال ابو تراب فلم املك نفسي ترى الله عندك فيظهر لك على مقدارك وترى ابا يزيد عند الله وقد ظهر له الملكوت فعرفنا تلك فقال احملني اليه فذكر قصة قال في آخرها فوقفنا على تل ننتظره ليخرج الينا من الغيضة وكان يأوي الغيضة فيها سباع قال فمر بنا وقد قلب فروة على ظهره فقلت للفتى هذا ابو يزيد فانظر اليه فنظر اليه الفتى فصعق فحركناه فاذا هو ميت فتعاونا على دفنه فقلت لابي يزيد يا سيدي نظره اليك قتله قال لا ولكن كان صاحبك صادقاً واستكن في قلبه سر لم ينكشف له بوصفه فلما رآنا انكشف له سر قلبه فضاق عن حمله لانه في مقام الضعفاء المريدين فقتله وقال بعض من هو في

بدا الارادة للشبلي هل وجد احد فقال وهل فقده احد فقال الرجل هل فقد احد فقال الشبلي وهل وجد احد وسئل بندار بن الحسين لم لبسوا اهل المرقعات فقال لانهم ارادوا اما لبس الجلباب ويكابل فقال المجد والبسوا لباساً باهل الصبابة وسار الجريري والجنيد فسمعوا ببعض طرقات بغداد مغنية تغني ❊

تهوى ليالي قد كنا وكنت لنا ❊ ايام انت على الايام منصور ❊

فتنفس الصعداء وطفق يذري الدموع على شيبته فقال ماذا فقال بحث اهل ما كان من ايام محادثي وبذا ارادتي وانشد ❊

لست انسى تلك الزيارة ليلاً ❊ طرقتنا واقبلت تتثنى ❊

طرقت طيبة الرضا قبلا ❊ فهي احلى من حسن عودة وعيني ❊

كم ليال بتنا نلذ ونلهو ❊ ونسقي كأس الهوى ونغني ❊

هجرتنا فما اليها سبيل ❊ غيرنا نقول كانت وكنا ❊

ولزم بعض المريدين الشبلي فكان يجهر الله الله فقال الشبلي لو علمت انه لما قلت انه الي سبق يقول الله الله وفي سر الحق الغفلة وقال ابو القسم النصرآبادي المريد مردود بين صفات الفعل وصفات الذات فاذا هممته في طريق الارادة فزينه بصفات فعله واذا بلغه مقام المشاهدة فزينه بصفات ذاته وقيل لابي يزيد باي شيء ينال المريد فقال ببطن جائع وبدن عار وقال ابو تراب النخشبي المريد قوته ما وجد ولباسه ما ستر ومسكنه حيث نزل وقال ابو الحسين النوري اعز الاشياء عالم يعمل بعلمه ومريد يصدق في ارادته وعارف ينطق عن حقيقته وقال محمد بن رويم ما هذا الامر الا ببذل الروح فان امكنك فرده والا فلا تزده وقال بعضهم اذا اردت وردت ومتى طلبت وجدت فنودي اخطأت باذل قدم رفعتها الا انك مطلوب لا طالب وكان منصور بن عمار يقول الحكمة تنطق في قلوب العارفين بلسان التصديق وفي قلوب الزاهدين بلسان التفضيل وفي قلوب العباد بلسان التوفيق وفي قلوب المريدين بلسان التفكير وفي قلوب العلماء بلسان التذكير وكان يقول سبحان من جعل قلوب اهل الدنيا اوعية الاحزان وقلوب الزاهدين اوعية التوكل وقلوب المتوكلين اوعية الارادة وقلوب المريدين اوعية المعرفة وقلوب العارفين اوعية الذكر وقال علي بن الازهر المبادرة الى الطاعات من علامات التوفيق والتقاعد عن المخالفات علامات حسن الرعاية ومراعاة الاسرار من التيقظ واظهار الدعاوى من رعونات البشرية ومن لم تصح مبادئ ارادته لم يسلم في منتهى عاقبته وقال احمد بن مسروق متى طعنت في المعرفة ولم تحكم قبلها مدارج الارادة فانت في جهل ومتى طلبت الارادة قبل تصحيح مقام التوبة فانت في غفلة مما تطلبه وقال ابو الحسن الدينوري ينبغي ان يترك المريد الدنيا من تركها بترك اسبابها ونعيمها وانواع زخارفها ثم اذا عرف بترك الدنيا وتحلى وكرهها ينبغي ان يشرح الله بالاقبال على اهلها بالاكبوا

بدا الارادة

ترك الدنيا ذنبا اعظم من الاقبال عليها وعقبة اكبر من التنافس فيها وقال ممشاد الدينوري
المريد في التزام حرمات المشايخ وخدمة الاصحاب والخروج من الاسباب وحفظ الاداب على نفسه
وسئل يحيى بن معاذ ما علامة المريد فقال ترك الافات ثم الاقبال على الطاعات ثم المزيد في رياض
الكرامات وسئل ابو سليمن الداراني عن اقرب ما يتقرب به الى الله فقال ان يعلم انه لا يريد
من الدنيا والاخرة الا هو وسئل الشبلي متى يكون الرجل مريدا فقال اذا استوت حالته في السفر والحضر والمشهد
والمغيب وقال البرني اول احوال المريد استجابة له فيما يريد فاذا رزقه الله جميل نهاية امره بداية
التصوف وقال ابو بكر الفارسي حق المريد اللزوم والصبر على مقامه كي يبتدي في حفظ فيهما لمن جهة كما
قال صلى الله عليه وسلم لحارثة عرفت فالزم وقال الواسطي ليس للمريد ان يتمنى وله ان يامل واما المريد
والمراد فقد قيل انهما سواء اذ لو لم يكن مراد الحق لم يكن مريدا ولا اذا اراد كان مريدا الا انه له
تكون مريدا لمراد الحق وقيل المريد هو المبتدي والمراد هو المنتهي والمريد ظمآن والمراد سكران كما ان
المريد ابو موسى والمراد طائر النبي والمريد الذي نصب في نصب التعبة والعنا ووضع على موج المحنة
والبلاء والمراد ملقى موقى يرى ويلقى ما اجتبى وفي ما كرم من في الحضرة الكرامة لا يسوى بينه وبين
الوصول الى بعد فوات الناقة بل بمقدار اقتدار الطريق هو والرجوع فجميع القرب والبعد من الانس

لما وردنا الثعلبية عند مجتمع الرفاق … وشممت من ارض الحجاز نسيم انفاس العراق
ايقنت لي ولمن هويت بجمع شمل واعتناق … لم يبق الا نجم هذه السبع البواقي
حتى يطول حديثنا بصفات ما كنا نلاقي

وقيل المراد حاصل في جنة الوصال وبجار بثمرة الامال والمريد حيران هايم في وادي الطلب او واقف
وجودا وحيرانا ثم برق اللطف لو استطاع ورودا

لاح له بارق فارقه … فبات يرعى النجوم مكتئبا
يطيع الطرف فيه دمعته … حتى اذا طلب الرقاد ابى

وقيل المراد مالك الامر والمريد في ملك غيره قال محمد بن راشد كنا يوما عند اسحق بن ابرهيم الطاهري
فتحدثت وتخوض في ضروب الادب فانشد بيت امرئ القيس

اغرك مني ان حبك قاتلي … وانك مهما تامري القلب يفعل

فقيل قال الحاضر فقال اسحق لو رد هذا كلامنا فما اراد فقال اراد انك تملكين قلبك فان اردت
صرفه قدرت عليها وان اردت وصلي قدرت عليها وانا لا املك من قلبك الا صلاحه فهذا الذي
جرأك علي وقال ابو علي الدقاق المريد محمل والمراد محمول وقال كان موسى عليه السلام مريدا فقال رب اشرح لي صدري
وقول الله سبحانه لمحمد صلى الله عليه وسلم الم نشرح لك صدرك وقال موسى رب ارني انظر اليك فقال لن تراني

وقال

وقال لنبينا صلى الله عليه وسلم الم تر الى ربك ثم قال كيف مد الظل ستر القصد وتحسين الحالة
وقيل المراد هيم عن الله بالله والمريد هيم عن الله بغير الله والاشياء كلها اذا دل على صفاته
فاذا وجد الواجد استغنى عن الدليل الا ترى الى قوله للمريدين واعتصموا بحبل الله وقال للذين
فوقهم واعتصموا بالله وسئل ابو علي الروذباري عن المريد والمراد فقال المريد الذي لا يريد لنفسه الا ما
اراد الله له والمراد لا يريد من الكونين شيئا غيره وقال الجنيد المريد يتولاه سياسة العلم والمراد
يتولاه رعاية الحق وعلى هذا ارسل ذو النون الى ابي يزيد رجلا فقال له قل له الى متى النوم والراحة
وقد جازت القافلة فقال ابو يزيد قل لاخي الرجل من نام الليل كله ثم يصبح في المنزل قبل القافلة فقال
ذو النون هنيئا له هذا الكلام لا تبلغه احوالنا وحكي يوسف بن الحسين قال كان بين ابي سليمان
الداراني واحمد بن ابي الحواري معاقدة ان لا يخالفه في امر فجاء يوما وهو يتكلم في مجلسه فقال ان
التنور قد سجر فما تامر فلم يجبه فقال مرتين او ثلثة فقال ابو سليمن اذهب فاقعد فيه كانه ضاق
به صدره وتغافل ابو سليمن ساعة ثم ذكر فقال اطلبوا احمد فانه في التنور اذ عقد ان لا يخالفني فنظروا
فاذا هو في التنور لم يحترق وهذا من ايات الارادة الصادقة واما الفرق بين المريد والعارف فقال
ابن داود ان المريد طالب والعارف مطلوب والمطلوب مقبول والطالب مقبول وقال ابن عطا ان المريد
يخضع الى الله لتمكين ما اتهم عليهم من قربه وشتان بين من طالعه الحق بنجم الاحتراق وبين من طالعه بمحاسن
الاشراق وبين طالب ومطلوب وقاصد ومقصود وربما يكون المريد ممنوعا عن بعض الادب ولا يكون
العارف الا ممنوحا باقصى منيته

ان يمنعوني ممري قرب دارهم … فسوف انظر من بعد الى الدار
ما ضر جيرانكم والله يصلحهم … لولا اشقائي اقصائي وابعادي
ماذا على الايام لو سمحت لنا … يتبوا الم لديك قليل
فارحم للقلب المعنى المبتلى … بهواك والبدن الضعيف الناحل

فالمراد مسلوب القرار ممنوع الاختيار نائي العين عن الرقاد نائي الجنب عن المهاد ملعب ارادته لعب الملام
يقلبها ويعذبها بشوقه تعذيب لوعة العشق لاصحابها

قدرت على نفسي فارسعت قتلها … على غير جرم منك والشوق يذهب
كعصفورة في كف طفل يسومها … ورود حياض الموت والطفل يلعب

وربما يستانس المريد ببعض المنى وربما يريد هلاكه ويتمنى

هجرتهم لا كلمتني ابدا … ان كنت خنتك في حال من الحال
ولا انتجبت حبيبا في خيانتكم … ولا جرت خطرة منها على بال

فتوعدني المنى كيما اعيش بها ... ثم احتوى البين ما املت امالي

او اعتني ملقيا ان كنت قاتلتي ... اني رميتك باحسان واجمال

فيالك نظرة اودت بعقلي ... وغادر سهمها قلبي جريحا

فليت مليكتي جادت باخرى ... واعلم انها تشكو القروحا

فاما ان تكون بها شفائي ... واما ان اموت فاستريحا

وقال الشبلي الحيل يعودي لا تصح معرفة لا تصح كما تصح ارادة لا تصح لانه يعرفه ويريده به
لكان ارادوك كما يريده وكيف عند ذلك كما قيل

وغبت لمن قلبي وغبت كما غبت ... وكنا لمن ما كانوا وكانوا حيث ما كنا

وقالوا انما اربع مقامات الاخيرها انابة اليه وارادة له وسكينة معه وولاية منه اما الانابة
فقد مضى الحديث فيها واستوفى هذا الحد الكلام في الارادة واما السكينة فقد سئل بعضهم عنها
فقال السكينة اربع طبيعية ونفسية وعقلية والاهية والسكينة الطبيعية اعتدال المزاج
على اصلاح العناصر يحدث بها لصاحبها ان يتحلى بالوقار ويكون العقل فيها ازيد وهو زينة الرواء
المقبول والرتبة النفسية تماثل الروية للبديهة ومواطاة البديهة للروية وقصد الغاية
بالحيلة الشاملة يحدث بها لصاحبها سمت ظاهر فقد دائم واطراق لا وجوم معه وغيبة لا غفلة
وشهادة لا طيش فيها والسكينة العقلية حسن قبول الاستفاضة بنسبة تامة الى الافاضة وذلك هذا
ان يكون القابل مستغرقا بالقوة المقبول منه وعند الحالة يحدث لصاحبها هدى يشتمل على وقور الفكر
في طلب الحق مع سكون الاطراف في انواع الحركات والسكينة الالهية لا عبارة عنها على التحديد
لانها كالحلم في الاشياء او كالاشارة في الحكم وليست علما ولا اشباها في الحقيقة لان هذين نعتين
معهودان في عالم التغير والتبدل الجاريان على التحصيل والتحول بزوايد لا ثبات لها ونواقص لا بقاء
بها لانها تمهد وجانبه في وجانبه كما يقال هذا اصفى من هذا وهذا اصفى الصفو ومن لحظ هذا الكنه
وتوشح رداء عنها الخافية استغنى عن رسوم محدودة بالف ولام وحقايق مكنونة في عرض الكلام
واذا اجملنا الثناء فطرنا عليها وانسنا بها فكيف السبيل الى ما وصفنا دونها بالافصاح عنها
والاشارة اليها وهنالك الباب والنجح والطمع في نيله ناجح واذا كان هذا الثناء صدقا في الوصف الذي يرجعنا
اليه فكيف يكون هنالك في الحق تماوقضاء الالهية وحجبة الربوبية ولا يكون هناك ولا ثما
شبه الكون والذي يبادي ايدينا انا نشتغل بالوجود والموجود والوجدان وهذه كلها غلط بالاضافة
الينا ونور الرهقيا الاضافة الى اعيانها فعلى هذا الصمت اوجب المراد من النظر والتسليم الظفر بالبغية
من البحث فقيل له فمن هذا بوقعه واشكاله وعمومه وحقايقه كيف يظهر على حامله يشير به وينبه

طبيعية وسكينة مادية وكيفية عنصرية فقال يا هذا انما تشير من هذه السكينة على قدر ما استودع
صاحبها من نور العقل وقبول النفس وهيئة الطبيعة وصحة المزاج وحسن الاختيار واستعمال الافعال في
صلاح العادة وصحة الفكرة وصواب القول وطهارة السر ومساواة العلانية وغلبة التوحيد وانتظام
كل ما يصدر منه ويرد عليه وهنا تمحى الحلية البشرية وتقيد الجبلة الطينية وتبيد الكثير المادي
وتعفو الكيفية العنصرية ويكون السلطان والولاية والتعريف والسياسة كلها للسلك السكينة
التي نعتها وصفنا لها واشتد وجدنا بها وطال شوقنا اليها ودام تحدثنا عنها والتصل
دوننا منها ان تشابه غيرنا بذكرها وهذا هو الخلع الذي نحب به واللباس الذي بان عنا من خلوصنا
اتسع افتنا به ليس بالشبه سلك المستحقات فيكم ما اشتد به بوادي بكم لم تعرجوا الى ما لا يكون لكم
وان تنالون بما لا اطلاع لكم عليه سلوا بكم لعينا بصيرة واذانا واعية وصدورا طاهرة
وقوع متابعة فانكم ان منحتموها هديتم بها واذا حرمتموها قطعتم دونها ولا حول ولا قوة الا بالله
فقيل له قد تركت احاديث السكينة المحمودة من هذه الجملة بانصبا مختلفة وقال العجب ان ينسى العالم
بحال ما به في هذه الصورة التي لزمنا بها وطاولنا الوصول اليها واي تجلي له في هذا المقام ودوام
اوثبات ودوام الاما له نصيب من غاية الله الكريم نعم والسكينة المحمودة عليه من كل ما سلف القول
فيه تقاسمه نوع الانسان بالزيادة والنقصان والغموض والبيان والقلة والكثرة والضعف والقوة
وهذا بين لمن تامل الطيش والحدة والعجلة والخفة على اصحابها تجد النقاء وسط ظاهرا وكذلك
فتمت الحدة والقرار والسكون والوقار على اهلها فانك تجد الشان مكشوفا والاختلاف ظاهرا ان قال انا
السكينة التي هي في اهل الاسبقي لا اختصاصهم من فرق البشر وليس لهم نسبة من الخلق الا الخلقة والا هم في
نور وعلية ومحل الاعلى اما السكينة التي هي فهي للانبياء على اختلاف حظوظهم منها لانهم من ما
نقسم بين المنام واليقظة انقساما استقفا وتأبا العرض الحاصل الصدق والحق في تخلف مواردهم على ذلك
بالتعريض والتصريح والكناية والافصاح والسكينة التي تليها هي التي تظهر على طائفة تخلف الانبياء
تجاه في الحديث ان السكينة تنطق على لسان عمر وذلك ان تعقلوا امورهم من بعدها الذين صحبوهم واستفادوا
بهديهم وتبعوا اعلامهم واقتفوا اثارهم ودخلوا في زمرتهم وحاكوهم في الشمايل والاخلاق وسلكوا سبيلهم في
القيام والسبات ووصلوا الى اعقاب الانبياء كما كانوا اصحاب الاقربين من الاقربين وهم الذين يفتقون
الغامض ويوضحون المشكل ويبسطون المطوى ويشرحون المكنون ويبينون المراد والمعنى ويوطئون
الاساس ويرفعون الالتباس وينفون الوحشة ويجلبون الايناس واما السكينة الباقية فهي مفوضة
مفاوضة على اتباع هولاء باسهام العلوية والمقادير العقلية والمناسب الاضافية من غير جور ولا
حيف ولا انحراف ولا ميل فقيل فهل اي السكينة في معنى فاعلة او مفعولة فقال القضا اعقر مما نظن

وان كان في غاية العز والذروة العليا من ان يرام وان كان الانسان يطلبها بالبسط والقبض فهي بوجه
في معنى فاعلة اذا شعرت بتاثيرها ومن وجه آخر في معنى مفعولة اذا شعرت بتاثرها وبوجه آخر
ليست من هذين القبيلين اذا لحظتها في معانيها قبل تاثيرها وتاثرها وانما انت تعبر عن حد
الفاعل والمفعول من شكل اللفظ ومن التركيب تابع العادة وقايم العرفية السكينة وورآ هذا
كلها الحق والواجب في الصحة والتمام لانها صراط الله المخصوص بالاستقامة عليه فاذا شهدت المخصوص بها
كانت عباراتك عن المخصوص بها مشاكلة العبادات عن اخلاق رضية واحوال مرضية واذا شهدت
ذلك المعنى من معاني الحق كانت عباداتك محكمة لا انتظام لها ولا انقياد لها ولا اتساق على العادة
الجارية والحال الطاوية فمحو ما يجب لطالب الحق والادب معنا ان الظل ان يبحث وينظر
ويكشف ويتفرد ويستقصي بسير وبيان ويستبصر حتى اذا بلغ هذه الافاق وشهد هذه الاعلام ووجد الصواب
الذي لا شوب فيه ومشاهد اليقين الذي لا ريب فيه وعرف الاستبانة التي تغني عن البيان وذاق المعنى الذي
هو فوق العيان لما سال واشتهى ووقف ويستغني لا احتراز ظلال عرشية ولكن السلطان شعاع ملكه
لان ذلك النور محيط بكل شي دونه ومستولي على كل شي تحته واما الكلام في الولاية فالولي في
عباراتهم قريب المعنى من المراد الذي فسرناه في هذا المجلس وهو من يتولى الله امره كما قال من قايل
وهو يتولى الصالحين فعلى هذا هو فعيل بمعنى مفعول واما ان كان بمعنى فاعل فيكون بمعنى المريد
الذي يتولى عبادة الله او يتوالى ويتابع طاعته حتى لا يمكن ان يكون غير محفوظ معصوم ولا يمكن
ايضا ان يكون على الكمال مع حقيقة ولايته ولا الثبات في عاقبته وان كان ظهر عليه كرامات
الاولياء فيكون قلبه مصروفا عن استشعارها **قال** أ... اكرمنا في لاهل الفضل فضل ما لم يروه
فاذا راوه فلا فضل لهم ولاهل الولاية ولاية ما لم يروها فاذا راوها فلا ولاية لهم وكان يقول
من عرف ربه فني عن كل ما دونه ومن جهل ربه تعلق بكل شي ومن ارى انه ولي او ارى نفسه
من اري نفسه حجب عن ربه **ومن** المشايخ من يخالف في هذا ويقول بانه يجوز ان يعرف الولي
نفسه ويعرف غيره قال يحيى بن معاذ الاولياء عباد تسربلوا بالانس بعد المكابدة واعتنقوا
الروح بعد المجاهدة **وقال** ابو عثمان المغربي الولي قد يكون مشهورا ولكن لا يكون مفتونا
وقيل لبشر الحافي باي شي بلغت ما بلغت فقال كنت كاتم الله حالي اي اسال الله ان يكتم علي ويخفي
امري حتى يروى انه راى الخضر فقال له ادع الله لي فقال يسر الله عليك طاعته فقال زدني
قال وسترها عليك اي سترك حتى لا تعرف بها وعلى الراي الاول سترها عنك حتى لا تنظر
انت اليها ولا تشعر بقبولها **وقال** بعضهم قال اقلقني الشوق الى الخضر فسالت الله سبحانه
ان يريني ليعلمني ما هو اهم الاشياء فرايته فما غلب على همي وهمتي الا ان قلت علمني شيئا اذا قلته

بحجب

تحجب عن قلوب الخليقة فلم يكن لي فيها قدر ولا اعرف بمرتبة فقال قل اللهم اسبل علي كثيف سترك
وحط علي سرادقات حجبك واجعلني في مكنون غيبك واحجبني عن قلوب خلقك ثم غاب فلم
اره ولا اشتاق اليه بعد ذلك وقيل الاولياء عرايس الله وهم محجوبون عنده في حجال الانس لا يراهم احد
في الدنيا ولا في الاخرة وقيل ليس للاولياء شعار انما هو الذبول والخمول

تكذبني في الحب سلمى وليس لي … شهود وان بالشهود فما صدقي
سوى وجيب وانهمالات بساتين … وروعة قلبي بالابل والحق

وحدثوا عن الخضر عليه السلام انه قال ما حدثت نفسي يوما قط انه لم يبق ولي لله الا عرفته الا ورايت
في ذلك اليوم وليا لم اعرفه ولقد كنت يوما جالسا في مجلس عبد الرزاق فنظرت الى شاب ذابل
الجسم خافض الصوت منفرد ناحية فقمت اليه فقلت لم لا تحضر مجلس عبد الرزاق فتسمع منه قال
لي واي شي اسمع منه فقلت تسمع حديث معمر عن الزهري فقال لقد سمعت من الله فاغناني عن عبد الرزاق
فقلت وانت ممن تحسن ان تسمع من الله قال نعم قلت له فمن انا قال انت الخضر ولهذا كان بعضهم يقول
ليس العجب ممن يرى الخضر ولكن العجب ممن يريد الخضر ان يراه فيحتجب عنه **حدثني** الفقيه مسعود بن محمد
الكوثري احيى الله عن الامام عبد الرحمن بن علي بصراته ان رجالا على هيئة الجمال ان استقبله في
صحن المدرسة التي كان يسكنها فسلم عليه فقال انا الخضر يريد لقاءك فاراد ان قال ما حاجته
الى القاضي ولما اخبر بابنه قاضي القضاة محمد انكر ذلك واكبره وهذا صحيح فان حال المريد من هو
لا يزعم عنه لما اخبر منها وكذلك وان كان الخضر لا يحتجب عنه شي ولا يحجر منه مكان ولكنه
من كان عند الله لم يرض بشر كما يروى ان الحسن اختفى عند حبيب العجمي عند استتاره من الحجاج
شي بعد دخل عليه الشرط فخرج الحسن وذهب ليتستر بالحايط فضرب فقال له الحبيب اقعد
وراي قائم لا يرونك فقال وعلمه ما نعني عنك وراوك قال اقعد حتى يصرف فدخل الشرط فما
ابن الحسن فقد قيل انه هو عندك فقال ادخلوا الدار فهل تروه شيئا ففعلوا فلم يروه فخرجوا
فقال له الحسن ان قدر استك لما دخلوا ... فهل ذكرت اسم الله الاعظم فقال الاسم فلا اسمه
ولكني قلت اللهم اجعله عندك حتى لا يبصروه **وقال** ابو علي الجوزجاني الولي هو الفاني في حاله الباقي في
مشاهدة الحق تولى الحق سياسته فتوالت عليه الانوار فلم يكن له عن نفسه اخبار ولا مع
الله قرار كما قال بعضهم العارفون وصف الله لا يستانسون بغيره وقال سهل بن عبد الله الاولياء هم الذين
وجل والمعجزات للانبياء والكرامات للاولياء والمعونات للمريدين والتمكين لاهل الخصوص وهم الذين
خرجت انفسهم من ارواحهم وحلت هومهم من افكارهم واذا خرجت النفس من الروح فكان روحانيا خرج
الليل من النهار يتفرس الكروب واذا حل العقل من القلب فقد ما دنا بما انفرج الكروب انشد

حبيب

حياتي واحيائي لا يبعد قرباني ۞ اخرج النفس من الروح وروح كرباني

وقال سهل بن عبد الله العيش على اربعة اوجه عيش الملائكة في العبادة وعيش الانبياء في العلم بالله
وانتظار الوحي وعيش للصديقين في الاقتداء وعيش سائر الناس عالما كانوا او جاهلا زاهدا او عابدا
في الاكل والشرب وقال الضرورة للانبياء والقوام للاولياء والقوت للمؤمنين والمعلوم للبهائم
وقال محمد بن حامد الترمذي الولي في ستر حاله ابدا والكون كله ناطق عن ولايته والمدعي لحقيقتها والكون
كله منكر عليه وقال الشبلي اهل المعرفة ثلثة قوم قالوا انا وقوم قالوا هو وقوم خرسوا فلم يقدروا
ان يقولوا شيئا وهم افضل الثلثة وانشد

كتبت ولم اكتب اليك وانما ۞ كتبت الى روحي بغير كتاب
فكل كتاب وارد منك صادر ۞ اليك بلا رد الجواب جوابي

وقال الجنيد اذا تناهت عقول العقلاء في التوحيد تناهت الى الحيرة وفي الحديث عن
الصديق رضي سبحان من لم يجعل للخلق سبيلا الى معرفته الا بالعجز عن معرفته وعن بعض السلف
مستنطقات تحت نطقها مستعجمات وانفس مستعملات تحت استعمالها مستعملات وقال
التمسك بالمعرفة يستر الايمان كان تكن الشمس تستر نور الكواكب وقال ابو يزيد حظوظ الاولياء مع
تباينها من اربعة اسماء وقيام كل فريق منهم باسم منها وهو الاول والاخر والظاهر والباطن
فمن فني عنها بعد ملابستها فهو الكامل التام فمن كان حظه من اسم الظاهر لاحظ عجائب
قدرته ومن كان حظه من اسمه الباطن لاحظ ما جرى في السرائر من انوار محبته ومن كان حظه من اسمه
الاول كان شغله بما سبق ومن لاحظ اسمه الآخر كان مرتبطا بما يستقبله وكل كوشف على قدر طاقته
الا من تولاه الحق ببره وقام عنه بنفسه وهذه اشارة الى الخواص اصحاب الخلائق عن نعوت
الخلائق فلاهم في ذكر العواقب ولاهم في فكر السوابق ولاهم في اسر الطوارق نظرهم غائبين وهم
شهود ويحسبهم ايقاظا وهم رقود يحيون لله بما شاء ويغيب عنهم من القلب فكر غيره ويغيب على
الالسنة ذكرهم جلا بل يحفظهم عن شاهد منهم حتى لا يبقى اثرهم [illegible] لا يردهم الى [illegible]
سقط الخلائق الصفات وافراق الاخلاق فلا يخافون لان الخوف ترقب مكروه يحل في المستقبل
وتوهم فوات محبوب في المستانف والولي ابن وقته ليس له مستقبل فيخاف شيئا ولا يرجون
لان الرجا انتظار محبوب او انكشاف محذور وذلك في الثاني من الوقت ايضا ولا يحزنون لان
الحزن من حزونة الوقت وكزازة الخلق ومن كان في ضياء الرضا وبرد الموافقة وظل القبول
وانس الوصول لن يكون له حزن قال الله تعالى الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون
وقال النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن في الدنيا كالغريب او كعابر سبيل لا يحزن من ذلها ولا يانس في عزها

لحال ولاهلها خالة وام همته نفسه الناس منه في راحة ونفسه منه في شغل

اخو مرنكم ما يقال وقد نال به العاشقون من عشقوا
صرت كاني ذبالة نصبت ۞ يضي للناس وهي تحترق
وارتني كالسيف لا اثنه ۞ تحت الضلوع قليل لحم الكاهل
مثل الذبالة تستوهالك يحب ۞ والنار تاكل جسمها من داخل

وعن يحيى بن معاذ ولي الله لا يجد اخوانا ولا احلى الذين اعوانا فقد اعطيهم الله حيا اسمهم الصبر شعارا
والذكر دثارا والقران سميرا والفقر مبيتا والتقوى مطية والمجاهدة زادا والايام مراحل والاحوال
مناهل والتفويض رفيقا والتوكل مسارا والرضا نورا والجنة مقصدا والذكر انيسا والفكر
جليسا واليقين محجة والصدق حجة

وجهك المامول حجتنا ۞ يوم ياتي الناس بالحجج
كل بيت انت ساكنه ۞ غير محتاج الى السرج
كانوا قلوا ثم الا من صيابهم ۞ في الخلق كانوا لهم اقمارا
لو ودع الليل البهيم ضياءهم ۞ حالت وجاوع النهار نهارا

وقيل ان الولي من اولياء الله ريحان الله في الارض يتشممه الصديقون فيصل الى قلوبهم

حيا بك الله عاشقيك فقد ۞ اصبحت ريحانة لمن عشقا

المجلس الثامن والسبعون من كتاب خلق الانسان تفسير قول الله عز وجل وفي انفسكم
افلا تبصرون ۞ يشتمل على ذكر مروة الانسان وفتوته

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله [illegible] من علينا بنعمه كل راح والمناديو [illegible]
النجاة الى من اليه بابه كل لاح واعتمدنا على من عليه [illegible] العبادة
تغنو لوجهه الوجوه ولا يحمد غيره على المكروه اخلصنا دينا في عبادة من هو الحقيق بالعبادة
فلا يعبد سواه العاطف على العباد بجزيل عطاياه ولاه الخالق البارئ دراسوف البرايا ودراه
صروف البلايا عالم الغيب والشهادة يعلم مكنون الخفايا ويغفر فنون الخطايا العلي العظيم تخشع
لذكره القلوب القواسي وتخشع لامره الصخور الرواسي الغفور الرحيم لا يحجم عن رزقه المطيع والعاصي ولا
يذهب عن حكمه الداني والقاصي الواهب النعم سلف النعم ابتداء ويزيد فيها مسئولا ويعطي ما [illegible]
ولا يحصينا ما لنا ولا نحصيه سابحين في بحار نعمائه مستقيمين بفضله مستنجزين الاية شاهدين ان الله
الذي لا يشركه احد وليس من دونه ملتحد اليه ترتفع الاصابع بالدعا وعليه يقف الطامع في
الرجا وكيل كل مضطر فقير وكفيل كل عاجز واسير لا يرغب بابه على المرتجين ولا يمنع جنابه عن الملتجين

اليك نعم عادلا يرفا والاصلاف فوق الالباب
شعالا وحيا تا لبت السنا انا
على العسر نورا وللعدو دركانه
ونظم الفقير علي [illegible]
فقد ابر قصيدة وبعد [illegible]
حيا بك الله [illegible] عاشقه
فانا هو [illegible] ريحان

ولا يجتوي وارده الصدى في ورده ولا حاد برايه الردى في قصده بسط تحته ... له
شرايع الاسلام وهداه الى شرايع الاحكام حتى فاض به على العالم شعاب الايمان وانجمعت شعوب
الفضل بالاسلام صلى الله عليه وعلى آله اكرم اخيار الانام وسلم تسليما كثيرا قال المحاسبي
الفتوة ان تنصف ولا تنتصف وقال الجنيد هو ان لا تنافر فقيرا ولا تعارض غنيا وقال
مرة اخرى هو حمل الاذى والتطول بالندى حكي المرتعش قال دخلنا مع ابي حفص الحداد على مريض
نعوده ونحن جماعة فقال للمريض اتحب ان تبرا قال نعم فقال لاصحابه تحملوا عنه فقام العليل وخرج
معنا وصلنا بيوتنا اصحابه فرشنا عاد وقيل الفتوة هي الاعراض عن الكونين والانفة من مشيه من
في الدارين وقيل هي ترك التمييز وان يستوي عندك المقيم والطارئ والبعيد والقاصي وقيل هي
مكرمة تاتيها ولا ترى فضلك فيها وقيل هي ان يكون العبد ابدا في امر غيره ولو كان هذا الخلق
اليوم في احد من الناس لكان في الشيخ الامام عبد المجيد بن عبد الجليل وافاده ملك الشيخ الكبير
عبد الملك الزاهد فانه الذي لاهل هذا البلد ونهاره عن تزجيه مرادا لاهله فائدا و ادا حال المرافق على
الضعفاء والايتام يستكمل هذا الخلق العظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه في الدنيا كان يقول
من ترك كلا او دينا فالي وعلي ويوم القيمة كل احد يقول نفسي نفسي وهو يقول عليه السلام امتي امتي
وقيل لصوفي لم لا تلبس المرقعة فقال من النفاق ان تلبس لباس الفتيان ولا تدخل في حمل اثقال
الفتوة انما يلبس لباس الفتيان من يصبر على حمل اثقال الفتوة فقيل له ما الفتوة فقال رؤية
اعذار الخلق وتقصيرك واعتقاد تمامهم ونقصانك والشفقة على الخلق كلهم برهم وفاجرهم فاما كمال
الفتوة فهو ان لا يشغلك الخلق عن الله وقيل الفتوة اتباع المعنى ونفض اليد عن الدعوى وانشد

وما العجب في تطويل دعوى عريضة ... وان قام في تصديقها الف شاهد
وان فتى الفتيان من راح واغتدى ... قليل الدعاوي وهو جم الفوائد

وقيل الفتوة بالشام والمروة بالحجاز واللسان بالعراق والصدق بخراسان وقيل الفتوة صحبة
الاخوان في اليسر وعلمهم في العسر وهو من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم انكم لتكثرون عند الفزع
وتقلون عند الطمع وحكي قنبر غلام علي عليه السلام ان عليا خرج ليلة الجمل الى القتلى يتصفحهم ويقف على
... طلحة بن عبيد الله قتيلا مجدلا فقال يعز علي ابا محمد معفرا على الارض ... يا ابن
معشري الى الله اشكو عجري وبجري ثم تمثل

فتى كان يدنيه الغنى من صديقه ... اذا ما هو استغنى ويبعده الفقر

وقال اعرابي في هذا المعنى واحسن ووفى المعنى حقه

وليس اذا ما سرني الدهر ضاحكا ... ولا خاشعا مما اعتنت من حادث الدهر

اعف لدى عسري وابدي تجملا ... ولا خير فيمن لا يعف لدى العسر
واني لاغني اذا كنت معسرا ... صديقي والحوالي بان يعلموا فقري
واقطع اخواني وما خان عهدهم ... حياء واعراضا وما بي من كبر
فان نلت مالا عاد ابنائي قنية ... لهم بوالبشر من حيث لا يدري

وانشد وهو معنى بديع لم يسبق اليه قايله

وجدتك ان ايسرت تهجر حينا ... مقيما وان اعسرت زرت لماما
فما انت الا البدر ان قل ضوؤه ... اغب وان زاد الضياء اقاما

وقيل الفتوة ان لا يشغلك دنياك عن دينك والمروة ان لا يشغلك احدهما عن الاخر ولما
انشد مروان بن ابي حفصة المامون قوله

تشاغل الناس بالدنيا وزبرجها ... وانت بالدين عن دنياك مشتغل

قال المامون ما زدت على ان جعلتني عجوزا في محرابها معها سبحتها هلا قلت كما قال جرير
في عبد العزيز بن مروان فلا هو في الدنيا مضيع نصيبه ... ولا عرض الدنيا عن الدين شاغله
وقيل الفتوة ما تذكر عن الفتى بعد وفاته والمروة ما تحمد عليه في حيوته وانشد

وعاذلة هبت بليل تلومني ... كاني اذا انفقت مالي اضيمها
دعيني فان الجود لن يتلف الفتى ... ولن يخلد النفس الشحيحة لومها
وتذكر اخلاق الفتى وعظامه ... مغيبة في اللحد بال رميمها
وهل صدقتني وعذلها ولئيمها
ويذكر فتيانيتي ونكرمتي ... اذا ذم فتيانيها وكريمها

وقال عبد الله بن طاهر مروة الملك في العدل والبذل والجمع بين المهابة والمحبة وقال الهيكل المروة
ان يجتنب الرجل من سره له وحدة ويسمع في جماعة وقيل العتابي ما المروة قال ترك اللذة قيل فما اللذة
قال ترك المروة وقريب منه قول ابن عباس حين قال له معاوية ما اللذة قال لا ادري قال والله
لتقولن قال لا اقول قال والله لتقولن وانا امير المومنين قال ان كان لا بد فاخرج فتيان قريش
من عندك كيلا افسدهم قال فما اصل ذلك قال ترك الحيا وركوب الهوى وقال ابن عايشة كان يقال
مجالسة ذوي المروات تدل على مكارم الاخلاق ومجالسة اهل الدين تجلو عن القلوب صدا الذنوب
ومجالسة العلماء تذكي النفوس وترهف الافعال وقال يحيى بن خالد اربع لا تنبغي الا على السلطان
مواصلة الدعوات واقامة المروات واتخاذ القيان وارتباط الغلمان الحسان وعن بعض الروسا
السامانية ان اقامة المروات خمسة اشياء مائدة موضوعة لكل من جاء ورده ولا يتهيا ذلك الا

بالكبير والثاني اعطا واستعطا وبذل واستبذال ولا يهيئا اقامة احدهما الا بالاخر والثالث عشيرة
يغاضبه دونه وخدم يتعاونونه بالايدي والالسن في مواضع المغالبة بهما او باحدهما الا يطمع في
اهتضامه طامع والرابع منظر رايع في المجامع لتجهمه العيون فلا تحتقره وتهابه القلوب فلا تزدريه و
الخامس لسان يستخرج به الحوائج ويستل الضغاين ويستجلب محبة الناس

وما حسن الرجال لهم بزين ‖ اذا لم يسعد الحسن البيان

كفى بالمرء عيبا ان تراه ‖ له وجه وليس له لسان

حديث نهار

وقال معاوية لدغفل النسابة حدثني بحديث نهار بن عبد القيسي فقال حدثني نهار قال كنت عسيفا
لعقيلة من ابي بكر كلها الصعب والذلول لا الوي طرحا في متجر الا اشتمه والجد بلفظ الى السهل
الى الحزن فدفعت الى مكة سحرا فاذا انا بقباب شامية مع شعف الجبال فاذا جزر تنحر واخرى تساق
واذا حثثة على الطهاة الا اعجلوا اعجلوا واذا رجل جهوري الصوت على نشز من الارض ينادي الا يا وفد الله
الغدا الغدا واذا آخر على مدرجة من طعم ينادي من تعشى فليرح العشا فجهدت في نارات [illegible] لابن
عميد القوم فاذا انا به على عرش سامي قد ابتز بيمنه وترده بعمرة فاذا على راسه عمامة خز سوداء
يظهر من تحتها اثر وفيتانه واذا القوم عنده سكوت خفوت لو كن الا ذاقان كانما على رؤسهم الطير
ما يفيض احدهم بكلمة هيبة له ولجلاله وقد كان نمي الي في خبر من الاخبار ان هذا النبي الهاشمي
المبعوث هذا اوان ظهوره وقد [illegible] فقلت عليه وصيف انا لوم به فسالت عنه فقالوا هذا ابو نضلة
هاشم بن عبد مناف فقلت هذا والله هي المروءة الوافية والدرجة العالية فقال معاوية لا هنا الله
ما سمعت كلاما افصح من هذا ولا اشرف ابين من هذا اشهد ان تسالحفت بجلباب الفصاحة وهاشما
محض المروة ثم انشد وهو شعر امية بن ابي الصلت يقول لعبد الله بن جدعان [illegible] التيمي

له داع بمكة مشمعل ‖ وآخر فوق دارته ينادي

الى ردح من الشيزي عليها ‖ لباب البر يلبك بالشهاد

ودخل عبد الله بن صفوان على عبد الله بن الزبير فقال له انت كما قال الشاعر

فان تصبك من الايام جائحة ‖ لا نبك منك على دنيا ولا دين

قال وما ذاك يا لعدا ان ابنا العباس غلباك بمروة وديانة احدهما يعلم الناس الفقه والعلم
والاخر يطعمهم الطعام يعني بالاول عبد الله وبالثاني عبيد الله فابتغيا لك فوجد اليهما الحكما [illegible]
ان تحسيا [illegible] قد محق الله [illegible] افقر [illegible] العراق فقال عبد الله من نظر [illegible]
ابا بن علم انه طالب نيل وانضل الجزا بابي الطفيل فقال

لا در در الليالي كيف تضحكنا ‖ منها خطوب اعاجيب وتبكينا

كنا بيحيى بن عباس فيقبسنا ‖ علما ويكسبنا اجرا ويفنينا

ولا يزال عبيد الله مترعة ‖ جفانه مطعما ضيفا ومسكينا

والدين والعلم والدنيا بينهما ‖ مروة جمعت اسبابها لدينا

نفيم ينعمهم عنا ويمنعنا ‖ منهم وتؤذيهم فينا وتؤذينا

ان الرسول هو النور الذي كشفت ‖ به عمايات ماضينا وباقينا

واهله عصمة في ديننا ولهم ‖ حق علينا وحق واجب فينا

لن يجزي الله من لن يرى لبعضهم ‖ في الدين رشدا ولا في الارض تمكينا

وذكر الاصمعي ان اعرابيا سئل عن المروة فقال الباب مفتوح وستر مرفوع وطعام موضوع ونائل
مبذول وكلام معسول وانشد ‖ ابيض بين حاجبيه نوره ‖ اذا تغدى رفعت ستوره

وقال محمد بن بشير باي خلائق حليه ومقاله ‖ الا اخضع كل امرء غايب

واذا حضرنا الباب عند غدائه ‖ اذن الغداء برغم انف الحاجب

آخر: سهل الفنا اذا حللت ببابه ‖ طلق اليدين مؤدب الخدام

واذا رايت صديقه وشقيقه ‖ لم تدر ايهما ذوو الارحام

متى تحلل به تحلل جنابا ‖ رضيعا للسواري والغوادي

يرنخ نعمة الايام فيه ‖ ويقسم فيه ارزاق العباد

وذكر قدامة اني انشدت عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قول الشاعر

ما اعلم الناس ان الجود مجلبة ‖ لكنه باتي على النشب ‖ انشد

فقال قليلات على النشب فكان ما ذاد نبل في عيني وذكر ابن ناهويه ان ابي العميد ابا الفضل

ان المال اذا امسكته ‖ فاذا انفقته فالمال لك

قال هذا عجيب ولو كان صحيحا كان لا ينبغي ان المال له لانه ليس في تركه كسبه ما كثر من اخراجه
بالانفاق فقطع عيني وكان ابو خالد بن يزيد العامري اذا جرى ذكر المروة انشد قول المقنع الكندي

واذا رزقت من النوافل ثروة ‖ فامنح عشيرتك الاداني فضلها

واستبقهم لدفاع كل ملمة ‖ وارفق بناشيها وطاوع كهلها

واعلم بانك لا تسود فيهم ‖ حتى ترى دمث الخلائق سهلها

فاذا اجري ذكر الكلام انشد قول الراجز

وتحت دليله مطوح ‖ يلذ فيه القوم حتى يصبحوا

ذو طلون كان لم يبرحوا ‖ كانما اسوا بحيث اصبحوا

وقيل للنوقنجي شيخ خراسان ما المروة قال الطهارة الذي قيل فما الفتوة قال طهارة السر وكان يقول
من زين سره وحسن خلقه فقد جمع طهارة المروة وادخله الفتوة وكان سيف الدولة يقول المروة
ترك الدرآ ومعاداة الاصدقاء واعطاء الشعرا وقال المرو ثلثة تحكم لهم بالمروة قيل ان نعرفهم رجلا اشتممت
منه طيبا او رجلا رايته يعرب في بلاد العجم او راكبا فرسا جوادا وقال محمد بن عبد الله العتبي في الطيب اخلاق
سه ومروة ولذة وقوة وكان لا يدخل على عبد الله بن ابي سعاد الجرجاني احد في شهر رمضان قبل
الظهر الا اعطره وبعد الظهر الا فطره وكان يقول الطيب عطر الصايم وقيل المروة ان لا تعتذر ولا تعتذر وكان
العباس ابن الحسن العلوي يقول الناس من الاحتمال في غلط وانما المروة تقديم ما حضر وكان يقول

فاذا طرقت فاحضر ⁂ واذا دعوت فلا تذر

وكان الشيخ ابو علي الحسيني الكاتب يقول اذا طرقت فاحضر وقال ابو جعفر العلوي الطوسي
الموسوي لا مروة لمن لا يجمع الاخوان على خوانه ولا يتبع الاحسان على احسانه وفيه وفي مروته يقول البديع الهمداني

دار وصفت عرايمها تحكي الاباطح والرمانا ⁂ بين المروة والنبوة والخلافة والضيافة
بها الصحاف والمعارف والسوالف والسلافة

وسال شقيق جعفر بن محمد رضه عن الفتوة فقال له ما تقول انت فقال شقيق ان اعطينا شكرنا وان منعنا
صبرنا فقال جعفر الكلاب عندنا بالمدينة هكذا فقال شقيق يا ابن رسول الله ما الفتوة عندكم فقال ان
منعنا صبرنا وان اعطينا اثرنا فقال اولى لكم يا رسول الله وانشد

ما واحد من واحد اولى بمجد او مروه ⁂ فمن ابوه وجده بين الخلافة والنبوة

ويروى ان مجوسيا استضاف ابرهيم الخليل عليه السلام فقال بشرط ان تسلم فمر المجوسي فاوحى الله
اليه منذ خمسين سنة نطعمه على كفره فلونا ولنه وجبة من غير ان تساله ترك دينه فمضى ابرهيم على
اثره واعتذر اليه وذكر له السبب فاسلم وقدم جماعة من الفتيان على رجل يدعي المروة فقال الرجل
يا غلام قدم السفرة فلم يجبهم فقال الرجل ثانيا وثالثا فنظر بعضهم الى بعض وقال ليس من المروة
ان يستخدم من يتقاضى عليه في تقديم السفرة فقال الرجل لم ابطأت بالسفرة فقال الغلام كان
عليها نمل فلم يكن من الادب تقديمها مع النمل ولا من المروة القاء النمل عن الطعام فلبثت حتى دبت
النمل وجرى ذكر المروة وحديث الايثار على النفس عند نديم طرح فقال انه كل من حضر هذا لا اهتا
ويزيد لا مروة فلمن لا يكرم نفسه عليه ولكم نفس على من لم يحفظها بطاعة الله من اعمال معصيته ولم
يؤدبها بالقران فلم يقمها على حدود الرحمن ولم يسمها بالصبر مرادة في الله ابتغاء مرضاته
ولم يراقبه في الخلوات ولم يبذل لها نفسها الكثير من الطاعات حتى اذا عرضت لقلبه الدنيا اعرض
عنها بنفس لا تسويه ويشفي كان مثلهم مثل الموثر على انفسهم ولو كان بهم خصاصة قال

ابو عثمان المغاني وكان يجتهد في الصفو وقال حبيب بن حباب من علم ان الله يراه فاتقاه ومن لم يشأن ان
النعم غادية من يخصه فيد طاقته وتبع بالصبر في الرزايا والشكر على العطايا كان مستكملا المروة وكان
معوية يقول لذا العاقل على المروة سلطان فلا تفسدوها على خلقك ولمن خلى من بعدك كما العاقل بن
قبلك وقال اسد بن قتيبة المروة تتورع عن المحارم وتسارع الى المكارم وتصفح عن الزلات وتصبر على النوبات
وقال حاتم بن زيد الهلالي المروة تقديم الطعام في الازمان وتوسع في الشدايد على الاخوان وصدق الكلام
وبذل الاطعام وقال معوية ليزيد ابنه ما المروة اذا ابتليت صبرت واذا اعطيت شكرت واذا وعدت انجزت
قال انت مني وانا منك يا يزيد ورأى معوية يحدث شيخ معويا وهو يبادي بالحجة فيه فقال يا بني لن
يستكمل الرجل المروة حتى يصبر على اسنان الشبان ويجل الشيوخ وكان معوية يقول المروة مواخاة الاكفاء
ومداجاة الاعداء ومداراة الاهواء وسئل محمد بن عبد الله بن عثمان قال اجتمعنا انا وفاطمة بنت الحسين عليه السلام
فقالت يا بني انه والله ما نال احد من اهل السفه بسفههم شيئا ولا ادركوه من لذاتهم الا وقد ناله اهل المروة
بمروتهم فاستتروا بستر الله وبعث ابن معوية كتب يعني الابيات الى ابنه يزيد

انصب نهارا في طلاب العلى ⁂ واصبر على هجر الحبيب القريب
حتى اذا الليل اتى مقبلا ⁂ واستترت عنك عيون الرقيب
فاستقبل الليل بما تشتهي ⁂ فانما الليل نهار الاديب
كم من فتى تحسبه ناسكا ⁂ يستقبل الليل بامر عجيب
ولذة الجاهل مكشوفة ⁂ يسعى بها كل عدو مريب

وكان المأمون يقول المروة بر من ولدك ولعظام من علمك وبلغ من اجلال الاسكندر لمعلمه ارسطاطاليس
انه كان اذا دخل داره لم يجلس احد حتى يقوم ولا يخرج له امر على احد حتى يخرج واشرف الرشيد يوما من
قصره على المجلس الذي فيه محمد الامين وعبد الله المامون كانا بين يدي الكسائي فقام الكسائي
لحاجة فتسابقا بنعليه ايهما يقدمهما الى الكسائي فلما رجع الرشيد الى مجلسه قال لجلسائه اي الناس اكرم
خدما فقالوا انت يا امير المؤمنين قال لا ولكن الكسائي اخبرهم بما راى من ابتدارهما الى خدمته وتعليه
وذكر الاحنف المروة فقال هي ستر الاباء وبنوة الابناء ومن حديثه انه قال لمعوية وقد ساله عن الولد والوالد
وعلم انه وجد على يزيد فقال يا امير المؤمنين هم عماد ظهورنا وثمار قلوبنا ونحن لهم ارض ذليلة وسماء
ظليلة فان طلبوا فاعطهم وان غضبوا فارضهم ولا تمنعهم فيملوا حياتك ويتمنوا مماتك فقال
قاتلك الله يا ابا بحر لقد سللت سخيمتي على يزيد وكان بشر بن مروان يقول المروة تزيد الملك وثباتا
احوتك عليك ومن حديث الحكم بن المطلب ما حدث به مصعب عن مروته قال كان الحكم من اعظم الناس
واشدهم لاستطاعة وكان ابو يحيى ابنا له فقال له اخرج حبا شديدا معرطا وكانت بالمدينة جارية

مشهورة بالجمال والفراهة فاشتراها الحكم من اهلها بمال كثير فقال له اهلها وكانت مولدة عندهم
ومهما اصنعنا بها حتى يصلح من امرها ما نحب من رزقنا بها ابنتنا اهل الجارية بينها فانها هي كانت لنا
كالولد فربيناها عندهم حتى تجهزوها ما تزف لمثلها من اشرف الحسن وهما وتزين الحكم باجمل
ثيابه وتطيب ثم ذهب الى ابيه في تلك الحزة ليراه ابو علي الملك الحسنية والزينة فيتبرك به وليدعو له
تبركا بدعائه فلما دخل عليه كان من عنده الحرث ابنه الاكبر فلما رآه ابو علي تلك الحالة اقبل عليه وقال له
ان لي اليك حاجة فاتقول الا بلى انما انا عبدك فمرني بما احببت فقال له هب جاريتك هذه لاخيك الحرث
وتعطيه ثيابك هذه التي عليك وتطيبه بطيبك وتدعه حتى يدخل على هذه الجارية فاني لا
اشك ان نفسه قد تاقت اليها فقال الحكم ما عندك يا ابه ان تكدر على اخي ما سعى له وتفسد قلبه
علي وذهب يريد ان يحلف فذكره الحكم وحلف بعتق الجارية ان لم تفعل ما امرك به ابي فان فعلت قرت عينه
ثم عندي واوقع لديه من هذه الجارية واستلها بكثير وخلع ثيابه والبسه اياها وطيبه من طيبه وتقدم
اليه في المضي اليها والخلو بها وروي ان مروان بن الحكم قال لابي وهب بن الاسود ما المروة قال ان تتقوا الله
واصلاح المال ونحو غالب عبد الملك فقال الشيخ ما تقول يا وهب فقال ولي عبد الملك الخلافة فمر ذات يوم ببستان
له فرأى عشر اجربا فقال الرجل هذا العشر فقيل لامير المؤمنين هو فقدوه فانقطع ابو عطاه فقيل له يكون يا امير المؤمنين
قال يا الفتى هو نزل وهب لغير شيء وقال الاحنف المروة كلها اصلاح المال والبذل للحقوق وسال رجل
الحسن بن علي عليه السلام عن الكرم والنجدة والمروة فقال الحسن اما الكرم فالتبرع بالمعروف والاعطاء قبل
السؤال والاطعام في المحل واما النجدة فالذب عن الجار والصبر في المواطن والاقدام عند الكريهة واما
المروة فحفظ الرجل دينه واحرازه نفسه من الدنس وقيامه بضيفه واداء الحقوق وقال معاوية بن
لحي الطهوي للاقرع بن معاذ القشيري بما سود ذا الكمال فيكم قال باصطناع العشيرة واحتمال الجريرة
فما مروة الناشئ فيكم قال ان يزن ما له ويصلح ماله قال فما العاجز فيكم قال القليل الحيلة اللزوم
الحيلة وقال الاعرابي الادب البين قال ان يحلل حلاله وترك مروته وذكر صالح بن الوليد ان قوما
بخراسان تذاكروا المروة فاختلفوا فوجهوا رجلا الى سوار بن عبد الله القاضي فقدم الرجل عليه
فقال ان قوما بخراسان ارسلوني اليك اسألك عن المروة ما هي قال المروة الانصاف والتفضل وكان
عمر بن هبيرة يقول عليكم بمباكرة الغداء فان في مباكرة الغداء ثلاث خصال يطيب النكهة ويطفي المرة ويعين
على المروة قيل وكيف يعين على المروة قال لا تتوق نفسه الى طعام غيره وقال الشعبي لا يكون الرجل
ذا مروة حتى يستعمل بيتي الهذلي قيل له ما هما قال قوله

واني للباسطين على المقت والقلى ... بني العم منهم كاشح وحسود
اذب وارمي بالحصى من ورائهم ... وابدأ بالحسنى لهم واعود

وقد جمعت حبيبة بنت عبد الله بن اهتم حسنا الى المروة والنبالة فانها لما مات عنها بعلها
الحسن بن علي بن ابي طالب عليه السلام فخطبها فقالت اني لم ات هذا البلد للتزوج وانما جئت لزيارة
هذا البيت فاذا قدمت بلدي وكان لك حاجة فينا فشانك فازداد فيها رغبة فلما صارت الى البصرة
ارسل اليها يخطبها فقالت اخوتها انها امرأة لا تعصات على ... فاتوها فاخبروها الخبر فقالت
ان زوجني علي بحكمي اجبته فاذوا اذنا اليه فقال المراة من تميم ان زوجها علي حكمها قال وما عسى ان يبلغ
حكمها فاعظموا ذلك فقالت فحكمت صداق ازواج النبي صلى الله عليه وآله وبناته اثنتي عشرة اوقية
فتزوجها على ذلك واهدى لها مائة الف درهم فجاءت اليه فبنى بها في ليلة فانطلقه على سطح لا حظار
عليه فلما غلبته عينه اخذت خمارها فشدته في رجله وشدت الطرف الاخر في رجلها فلما انتبه
من نومه راى الخمار في رجله فقال لها ما هذا قالت انا على سطح ليس عليه حظار ومعي في الدار ضرائر
ولم آمن عليك وسن النوم فتفعل هذا لي اذا تحركت تحركت معك فازداد فيها رغبة وبها
عجبا ثم ان علي ان مات عنها فكلموها في الصلح عن ميراثه فقالت ما كنت لاخذ له ميراثا ابدا
وخرجت الى البصرة فبعث اليها نفر يخطبونها يزيد بن معوية وعبد الله بن الزبير وسعيد بن
العاص وعبد الله بن عامر فاتاها اخوتها فقالوا لها هذا ابن امير المؤمنين وهذا ابن عمة رسول الله صلى
الله عليه وسلم وابن حواريه وهذا ابن عامر امير البصرة وهذا اجود قريش وامجدهم فاختاري من
شئت منهم فردتهم جميعا وقالت ما كنت لاتخذ حموا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت
تذهب على عليه السلام ذا الحدود ومن ذوي المروات اتي علي عليه السلام برجل ذي مروة قد وجب عليه
حد فقال لحضاره اكلكم شهود قالوا نعم قال فاتوني بهم اذا اصبحتم ولا ياتوني الا معتمين فلما
اصبحوا اجتمعوا فاتوه فقال لهم نشدتكم الله لقد جاء الله عنده مثل هذا الحد الا انصرف قال فما بقي
احد فدرا عنه الحد ومما جاء في استر ذا المروة لما يحكى ان جعفر بن يحيى بن خالد امر خادما
له وقال خذ معك كيسا فيه الف دينار فاني ساجعل الطريق على الاصمعي فاذا حدثني فرايتني ضحكت
فاعطه الكيس فلما دخل عليه فاضحكه بكل شيء لم يضحك ولم يحل بما يخرج من عنده قال الامين بن
ابي شيخ ما رايتك مثل اليوم قال ما الا بيت ما لك وقد اخرجته منه والله قد اضحكتك بكل
ما قدرت عليه فلم تفعل فقال له ان قد وصلت اليه ... درهم ولم ادخل عليه الا اليوم فرايت
حبا مكسورا وصحنا مشعثا وكل شيء عنده رثا فلا مروة له فلا اشكر له وان لسان الحال انطق
من لسان المقال وان ظهور الصنيعة امدح من كل مادح فعلام اعطيه الاموال اذا لم يظهر الصنيعة عنده
ولم يظهر النعمة بالشكر عنه وذكر بعض البلغاء في شكوى زمانه فقال بلينا بعجبا الدهر الخالي
من اصحاب الديانات الخالي من اهل المروات الذين عهدنا الدنيا بهم منهم يصلحون لانفسهم ويصلحون غيرهم

بفضل صلاتهم وعاشرنا ذوي المروات المتبعين في احوالهم الموسعين عيرهم بفضل سعتهم يتممون لذخائر
الشكر المعجل في الدنيا ويحرزون علو ورايع الاجر المؤجل في الآخرة ببذل ذورنا البناء ويعرون
للدعاء ويكلمهم الاريحية عند مسئلة المحتاج ويعتريهم العزة معها والابتهاج وذلك لعلمهم ان البناء الباقي
والصنع الواقي يرون الغنيمة في الغرامة والربح في البذل والحظ في الايثار والزيادة في النقصان زيادة
الخلف المنتظر من الله ونقصان المال المرتجع كانوا اذا اولوا اعتقوا واذا ملكوا افضلوا واذا اعطوا اجزلوا
واذا سئلوا اجابوا واذا جادوا الطابوا واذا اعسروا صبروا واذا اتوا انكروا واذا ابروا واسوا وكانوا
يرجعون الى نقايب ميمونة والى سرائر مامونة والى دنايات قريبة والمانات نجيبة وكان لهم مع الله
اسرار ظاهرة وعلانية مقبولة ومع عباد الله معاملة جميلة ونعمة واسعة ومعدلة فاشية وكانت
تجاراتهم في العلم والحكمة وعاداتهم جارية على الضيافة والتكرمة وكانوا اذا تلاحموا تواسوا
بالخير وتناهوا عن الشر وتنافسوا في اتخاذ الصنايع وادخار البضايع من صنايع الشكر وبضايع الاجر
فهم جبال الكرم الشامخات وبحار المروة الزاخرات وهم عظام الصدور وسادات صدورهم عظاما
وهاما الزمن طارت وتهمها نامت قد اصبح الذين من بعدهم اخلف بوبيه واوحش نامون به واستقلع
والدنيا قد علا صعودها الى كدرة ومخاشرة وفاسلة وضايع وحصل المروات وحمال الفتوات على
ان يقال فلان ظريف الحلة خفيف الروح وفلان حسن الوجه حلو الشمايل ظاهر الكبر فوق الدست في
الشطرنج حسن اللعب النرد جيد في الاستخراج عيبر للالحان يعرف بالاستقصاء موصوف بالاستيفاء
لا يصغى عن ولا يتغافل عن فرط الحيفة لك تما بانف العالم من تكبره والكاتب من تسطيره

فسلام على المروة والدين ورعى فذاهما الناموس
حين صل الايام ليس بذي نعيم ووجد الايام غير عبوس

ومما يستحسن من الشعر في اوصاف المروة قول ابي بكر الاسمعيلي

واذا جلست وكان مثلك قايما فمن المروة ان تقوم وان انفي
واذا اتكأت وكان مثلك جالسا فمن المروة ان تجي المتكا
واذا ركبت وكان مثلك ماشيا فمن المروة ان تنزل كما مشى

والبستي في هدى المروة الحاتمي حيث يقول

اذا كنت ربا للقلوص فلا تدع رفيقك يمشي راجلا غير راكب
انخها فاركبه فان حملتكما فذاك وان كان العقاب فعاقب

وقال العجير السلولي فالبس الناس من حلة جديدا ولا اخلاقا يرتدى
كمثل المروة للابيات قد عنى من الطرق المكتسى

وقال

وقال الحكم بن عبدل اني رايت الفتى الكريم اذا رغبته في مروة رغبا
والعبد لا يطلب العلاء ولا يعطيك شيئا الا اذا رهبا

آخر فاقسم ما اجتمعت من سرقة كوود كرام الناس الا اجتنبها
ولا انك محلا وهو غضبان من الغيظ وسط القوم الا ابتسمها

قال العتبي من كان يسأل ابن تميم سيدها فابن المغيرة سيد تخم

البحتري تخم المروة ثم يجد دخوانه ثم يلوي متمهل ادم
وشبيبة منها النهى فاذا بدت لذوي التوتم فهي شيب اسود
ورقة جمع الفتى اطرافها وبدى لحاظ بجانبه السود

وقال العبانا ندرك الرجا وقوله عند المواعظ قطعه من فعله
لا يحمد الفتيان فضل فتوة الا شاوطها باهون سبله

الدادي وله من حسن البديع نافع وعليه من عز المروة ميسم
حتى يبين سمات التامل ذو الندى نوافج ذكرى بينكم

آخر ومن المروة للفتى ما عاش دار فاخر فاقنع من الدنيا بها واعمل لدار الآخرة

آخر اذا جار الزمان على كريم من الكرماء احب بالمروة
فليس عليه في الاخلال عيب باسباب المروة والفتوة

آخر سارسل بيننا قد تحلى بالنهى كما تحلى معصم ببنوا
لذا ركبت في منزل العزحزرة مدبرة ضاعت مروة دابر

وهو من قول انوشروان من لا امراة له لا مروة له ومن لا ولد له لا سرور له ومن ليست له ماتان فلا نعم
له وفي منتخبه فقالوا ان المروة مجانبة النساء لقلة مروتهن وضعف عقولهن وتلون اخلاقهن وتعذر
لحوا المرء وقد قيل ايضا بعض النساء للمعونة وبعضهن للمؤنة وبعضهن للرعونة والاخلاق للمعونة وفي بعض
الخطب الاحسان بحر لا يظما وارده والاجمال مورد لا يمنع وارده والمعروف عند الحر كالغيث الصيب لا يغسل
نداه في الترى الطيب لا يغمرهم رعاة والمروة في اجتناب ما يكرهه الله والمسلمون من الفعال واكتساب ما يحبه
الله والمسلمون من الخصال وفي ذي حكمه عن ابن عباس انه قال المروة نظر الرجل في بيت الخالق وحمله
ودرك القلوب في كبد وكيف انتم في صدوركم وجيوبكم تشد وتنهاه ولا ينظرون الى اخ مسلم دونهما وقال
ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كرم الرجل دينه ومروته عقله وحسبه خلقه وقال
صلى الله عليه وسلم من عامل الناس فلم يظلمهم ووعدهم فلم يخلفهم وحدثهم فلم يكذبهم فهو ممن كملت مروته
وظهرت عدالته ووجبت اخوته وحرمت غيبته فتعلموا من حكم النبوة ما يرشدكم الى رسوم المروة فمن ذلك

بر الآباء وتربية الأبناء ومواساة الأهل وقلة وحسن الملكة في الأرقاء والرفق بالنسوان والرحم على الصبيان
والعفو عن عثرات الناس كافة والصبر ونصرة الإخوان ظالمين أو مظلومين ولزوم الحياء والتحبب إلى الناس والتوقر
في الإنصاف على الإكرام والإيناس وقبول الاعتذار في الذنوب والتجافي عن استشفاف العيوب وأن يكون
القول بالسداد والفعل بالرشاد والانتصار بالعدل لا بالعدوان والمعاملة على الإنصاف والإحسان
قال المنصور لابنه المهدي إن رضاء الناس غاية لا تدرك فتحلّ عليهم بالإنصاف وتحبب إليهم بالإحسان
وقال علي عليه السلام من آتاه الله منكم مالاً فليحسن فيه الضيافة وليصل به القرابة وليصبر فيه على
النائبة وليفك منه العاني الأسير وليعط ابن السبيل والفقير فبهذا تنال المروة وشرف الدنيا
والآخرة وفي التفسير لما نزل قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين قال
جبريل عليه السلام جئتك بتمام شرف الدنيا والآخرة وهو أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك
وتعفو عمن ظلمك تم المجلس

المجلس التاسع والسبعون من كتاب خلق الإنسان تفسير قول الله عز وجل وفي أنفسكم أفلا تبصرون يشرح حال الإنسان عند اقتناء المال وانتهائها على الطمع والسؤال والبخل والجود وما يتصل بذلك

بسم الله الرحمن الرحيم

القدرة لمن أمسك السحاب حبابًا في الهواء وسلك في الأرض ينابيع من السماء أخلق الحياة كأنها أمناء والنجوم
كأنها في زرقة السماء حصباء والشمس كأنها في روضة خضراء وردة صفراء تطلع من سحابها
كأنها دمن خلال الرماد وتغيب في عين حامية كأنها إنسان العين عند الرقاد تكشف مرة من السحاب
حجابًا وتمد أخرى بالشعاع إطنابًا سوّر الأرض القرقي بالجبال وفجر البحر العظيم بالملك الزلال
رتب العالم أنواعًا وأصنافًا وجعل أرحام المعادن لأجناس الجواهر أصدافًا وجعل منها الثمين
مواد المصالح ومراد المناجح منع وأعطى وأصح وأفقر جمع وأقنى وأمات وأحيا أظهر خلقه
في معاشهم ومآلهم ابتلاء ليجازيهم على الصبر والشكر جزاء كل ذلك ليتم لهم الابتلاء في الخيرات
بالابتلاء في الحالات فله الحمد والثناء ومنه الفضل والنعماء والصلاة على من أظهر به مظلة الظلماء
واهتدت به ضلالة الخلائق محمد الذي أرشد الغواة بعد الغي والفساد وقوم العباد بعد الأمن وانعماد
صلى الله عليه وسلم وعلى الفضلاء الكرام المصطفين بحق العالمين وسلم عليهم أجمعين المال قوام
العباد في أمر المعاش والمعاد ظاهر النفع في باب الحسنات بين الجدوى في أسباب الخيرات ومن هنا
سماه الله خيرًا في مواضع من كتابه وفي الحديث الرجال ثلاثة فقير بنفسه وأمير بلسانه وأمير بماله
وفي الحديث أيضًا أول من ضرب الدينار والدرهم حين استخرج المعادن آدم صلوات الله عليه
وقال لا يصلح للمعيشة إلا بهما وذكر وهب بن منبه أن في التوراة الدينار والدرهم خواتيم رب العالمين

مرتجاء خاتم رب العالمين تقضى حاجته وكان أنوشروان يقول من زعم أنه لا يحب المال فهو عندي كاذب
حتى يثبت صدقه فهو عندي أحمق وكان العتابي يقول الناس لصاحب المال ألزم من الشعاع للشمس ومن
الذنب للمصر ولمن أحكم للمفتر وهو عندهم أرفع من السماء وأعذب من الماء وأحلى من الشهد وأزكى من
الورد خطاؤه صواب وسيئته حسنة وقوله مقبول وحديثه معسول يغشى مجلسه ولا تمل صحبته
والمفلس عند الناس أكذب من لمعان السراب ومن رؤيا الكظة ومن مرآة اللقوة ومن سحابة تموز لا يسأل
عنه إن تخلف ولا يسلم عليه إن قدم إذا غاب شتموه وإن حضر طردوه وإن غضب صفعوه مصافحته تنقض
الوضوء وقراءته تقطع الصلوة أثقل من الأمانة وأبغض من السير والملحف وكان ينشد لعروة الصعاليك

ذريني للغنى أسعى فإني ... رأيت الناس شرهم الفقير
وأبعدهم وأهونهم عليهم ... وإن أمسى له حسب وخير
ويكرهه الندي وتزدريه ... حليلته وينهره الصغير
ويلقى ذا الغنى وله جلال ... يكاد فؤاد صاحبه يطير
قليل ذنبه والذنب جم ... ولكن للغنى رب غفور

وربما يكون حب المال للجهال من هذه الأحوال الخسائس لتعظيم سوقان الرجال لا اشتباع صاحبه
فقطعوه وربما يكون حب المال من حب الله تعالى في ذلك في إقامته أو لأمر الله تعالى لا تقوم إلا بالمال من أداء الحج
وإدامة صلاة القرابين والنفقة على ضعفاء المسلمين وصلة الرحم وقرى الضيف وحمالة الديات وكفاية
المؤنات وهذا المعنى حمل سليمان عليه السلام على أن سأل ربه جل جلاله ملكًا لا ينبغي لأحد لا أن سأل
ذلك بحب المال لنفسه وصرفه إلى لذات النفس وشهواتها حاشا فهو منزه عن ذلك وعلى أن أمر الدنيا والآخرة
لا يقوم إلا بالمال حفظًا وإعطاءً وأخذًا من حقه ووضعًا في أهله ومحله كما يحكى أن سوار بن عبد الله القاضي
دخل على المنصور والمنصور في حجر وعنده جماعة فقال السلام عليك يا أمير المؤمنين فقال يا سوار
ما كان من مصائب علي فقال سوار فانتهيتها
الأمر على الأمين هو سنة نبي وذهبت خزرق وانفردت بما كان من مصالح حقيق بعظيم الحزن
منه وطلبت ثواب الله في عظته فقلت يا أمير المؤمنين إنك تجد بعد ولدك البكاء فيما استرعاك في
ما ألقت في الدنيا واسترعاك الله أمر المسلمين واستحفظك أموالهم فيا لك عما عملت فيما استرعاك في
اليوم الذي أهلك فيه كتابه فقال يومئذ يصدر الناس أشتاتًا ليروا أعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة
خيرًا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرًا يره فازداد بكاء وقال إني المبتلى بشيء لو كنت خيّرًا منه
على حمل الذرة على عاتقي والمشي في الأسواق على قدمي وأنا أشد بالجريش من الطعام جوعتي وأواري بأخشن الثياب عورتي وأضع قدر
من أراد الدنيا وأرفع قدر من أراد الآخرة وسعى لها سعيها فلم تطعني نفسي فقال سوار لا تجمعهما

يا امير المؤمنين مصاب الامور ولا تحملها الا الطوق والزمها اربع خلال السلم لك منها وامرك
ان الحدود ولكم بالعدل وطلب الاموال من وجوهها واقسمها على اهلها بالحق فكان يقال من
الدين والدنيا المال يوخذ من حقه ويوضع في مستحقه وناهيك بذلك فضيلة للمال
ومن حصل المال ان صاحبه يهاب ويكرم من غير ان انعم واكرم كما قال الحصين بن ووددت
لو ان لي وزن رضوى ذهبا لا انتفع منها بشي قالوا فما يجدي عليك اذن قال يعظمني اخي
الرجال وربما كان غنى المرء كلما كان اقدم كان ذلك ابهى وانبل كما يحكى ان منصور بن زياد الكاتب
قال للمعلى بن ايوب والله اني لا ابذل له واني لا اقدر واني لا احتاط واني لا استشير واني لا اخشع
الخبز حسن المنظر واني لاعشق ابيها كما يعشق المرأة الحسناء واقبح ذلك الا ادخل داري واحقر
كل شي في داري فما العلة قال وما نعلم قال لا اعلم قال لانه اقدم غنى منك والغنى كلما
كان اعتق كان احسن ومن هنا اقدح في عدالة الرجل اقلاله شهد محمد بن عبد الرحمن بن الاسود
عند ابن ابي ليلى بشهادة فتوقف في شهادته مع انه شيخ وصلاح في زهادته قال سفيان بن
عيينة فسالته وقلت انك بالكوفة رجل شاد قال اعرف كذلك الا ان الذي شهد به
عظيم والرجل فقير فاعجبني هذا من قوله وربما يبلغ الخامل الخفيف في قدره النزيل في
حاله سوال الامور بماله كما قال القايل

المال يبلغ اقواما مراتبهم ... على شواكل من نقص وتقصير
فلا تعجبن من تصعلكه ... يا رب تخلو من القوم المقاتير
ولما رايت المال مازان اهله ... وصان ذوي الاخطار ان يتبذلوا
رجعت الى مالي فعاتبت بعضه ... فاعتبني اني كذلك افعل

وقال عمرو بن العاص لمعوية ما اشد حبك للمال قال ولم لا احبه وانا استعبد به مثلك
وابتاع به دينك ومروتك وسال مروان الابرش الكلبي عن المروة فقال المروة تعهد
طاعة الوالد واصلاح المال فدعا عبد الملك فراى عبد الملك في الخلافة يعالج بيتا
له عنه ابرجه بالقطران فقيل له في ذلك فقال لقد اغنى عن كلام الابرش اذن وكان
زياد يقول لو ان لي الف بعير كالاطواد ولي منها بعير اجرب قمت عليها قيام رجل لا
يملك غيره ولو ان لي عشرة دراهم لا املك غيرها ولزمني حق لوضعتها فيه وانفذ
المنصور عمارة بن حمزة الى قسطنطين ملك الروم وكتب اليه اخبرني ما الذي يصلح الملك
فكتب اليه يصلح الملك جمع المال فادامت بيوت المال مملوة كانت المملكة عامرة
ومتى احتاج الملك ان يفوا فقالوا انما اخذ المنصور جمع المال من قسطنطين وكان

انشد
بعض اصحابنا لبعض العشاير بامر المال كثير الفتن به فاذا قيل له في ذلك

كل اثنين اذا نادبت يخذلني ... الا اثنين اذا نادبت بالمالي

وفي بعض الاثار احسنوا ابتغاء المال فانه ما افتقر احد قط الا اصابته ثلاث خلال رقة في دينه
وضعف في عقله وذهاب من مروته والرابعة هي العظمى وهي استخفاف الناس به فالمال في
الحضر والمقيم يحصل المنزلة لكنه على هذا امر الحصول مفقود اسهل الافات مجرو شديد
الانتقاص سريع الذهاب ومن هنا انتهى لبعضهم نصه فضة لسرعة انتقاصه والذهب ذهبا لسرعة
ذهابه وكان الشيخ ابو نصر الفارسي العارض صاحب الشيخ ابا محمد القاضي المستوفي فاشترى ابو محمد
غلاما تركيا غالوا عليه في بيعه وما كان باسرع من ان رحل غداره وسال خبره فقال الفارسي

لما بدت بفرايسه مثل الطائر على الغصن ... ناديته مالك ترقيه ذهبا فذهب

وفي كلام الكندي
وكان المترجم يقول الدرهم ذو جناح ان حركته طار والدينار محموم اذا حبسته مات
لانه انما لك اذا خرج من يدك وصعد اليك وليس كان يثل يكون واعلم انه لا شي اسرع فناء
من الدينار اذا كسر والقرطاس اذا نشر والثوب اذا نشر والجلد اذا قشر والدين اذا نزل ومثل
الدرهم مثل الطير هو لك ما دام في يدك فاذا طار لغيرك وما اصدق ما قال المتلمس

حفظ المال ايسر من بغاه ... وسير في البلاد بغير زاد
واصلاح القليل يزيد فيه ... ولا يبقى الكثير مع الفساد

واعرف بيتا قد ابانا اكثر من ماية الف انشادانا في المساجد وهو قول القايل

فسر في بلاد الله والتمس الغنى ... تعش ذا يسار او تموت فتعذرا

ولكن مع الناس كلاعب الشطرنج تحفظ شيئك وتاخذ شي غيرك
فاحذر ايضا ان تلحق بهم وتكون منهم وكان يقال الرجل اذا صار الدرهم في يده خاطبه وناجاه وحياه وفداه وبسطاه وقال بابي انت
وامي كم من ارض قطعت وكم كيس خرقت وكم من خامل رفعت ومن رفيع وضعت لك عندي ابا اذا اجملت
لك عندي الا تعرى ولا تضحى ثم يلقيه في كيسه ويقول اسكن على بركة الله في مكان لا تزول
عنه ولا تزعج منه وذكر محمد بن ابي المعافي التيمي قال كان ابي متنحيا عن المدينة وكانت لي الحية ودرهما
نزعم فيها اقتناه وقدمت صبيا قد ترعرعت نحيا في صبيان من جيراننا فكلمت ابي ليهب لي درهما
اشتري به قثاه فقال الي تعرف حال الدرهم كان في حجر جبل فضرب بالمعاول حتى استخرج ثم طحن
ثم جعل في القدر وصب عليه الماء وجمع بالزيبق ثم ادخل النار فسبك ثم اخرج فضرب بالمعاول وكتب
في احد شقيه لا اله الا الله وفي الاخر محمد رسول الله ثم حمل الى امير المومنين فامر بادخاله بيت ماله
ووكل به جواري الغلاظ من صب المال ثم وهبه لجارية حسناء وانت والله احق من قرقه وورقه

رجل انحنا عاداة والله لحين من صعر دقيق يبقى لك ان نفس الدرهم الا بنوب او نراه من بعيد وقريب
من هذه الحكاية ما حكي انه كانت بالمدينة جارية مغنية بديعة يقال لها بصبص يجتمع الاشراف عند
مولاها لسماعها فاجتمع عندها يوما محمد بن عيسى الجعفري وعبد الله بن مصعب الزبيري في جماعة
من اشراف المدينة فتذاكروا امر مزيد وشدة امساكه وحفظه للمال فقالت بصبص انا اخذ لكم منه
درهما فقال لها مولاها انت حرة ان لم اشتر لك مخنقة بماية دينار واجعل لك مجلسا بالعقيق
واعرف فيه بلد ان تركت له نعت فقالت جيء به وارفع الغيرة عني قال انت حرة ان صعدت منه ولو وا
قد رفع رجليك اذا حصل منه الدرهم فقال عبد الله بن مصعب انا اكفيكه قال عبد الله فصليت الغداة
في مسجد المدينة فاذا انا به قد اقبل فقلت يا ابا اسحق اما تحب ان ترى بصبص قال بلى والله وامرأته طالق
ان لم يكن الله ساخطا علي في امرها فقد حببني ولا افانا اسالك منه سنة ان القاها فاني اجتبيني
فقلت له اذا صليت العصر فائتني ههنا فقال امرأته طالق ان برح يومه من ههنا الى العصر قال فخرجت
في حوائجي حتى كانت العصر فدخلت المسجد فوجدته فاخذت بيده واتيتهم به واكل القوم وشربوا حتى
صلت العتمة ثم تساكروا وتناوموا فاقبلت بصبص على مزيد فقال له يا ابا اسحق كان في والله في نفسك
تشتهي ان اغنيك الساعة: لقد حملوا الجمال لبينهم * امنا فلم يسلوا. فقال امرأته طالق ان لم تكوني
تعلمين ما في اللوح المحفوظ فغنته اياه وشرب كاسا وسقته ثم قالت له اي يا ابا اسحق كان في نفسك تشتهي
ان اقوم من مجلسي فاجلس الى جنبك وتدخل يدك في جيبي فتقرص على قرصات واغنيك:
قالت وابثثتها وجدي فبحت به. فقال لها امرأته طالق ان لم تكوني تعلمين ما في الارحام وما تكسب
الانفس غدا وباي ارض تموت فقامت فجلست الى جنبه وادخل يده في جيبها وغمزها فقرصها
وغنت له وسقته وقالت يا ابا اسحق اما اعلم انك تشتهي ان تقبلني: شوقي اليك وانت في حجبا

انا ابصرت بالليل ... كغصن البان اصبح ... الطلل

فقال امرأته طالق ان لم تكوني نبية مرسلة فقبلها وغنته ثم قالت يا ابا اسحق رأيت قط اندل من
هؤلاء يدعونك ويخرجون اليك ولا يشترون لك نبيذا بدرهم هلم درهما نشتري به ريحانا
ونبيذا وصاح واحرباه واي زانية لحظات استك الحزن انقطع والله الوحي الذي يوحى اليك ووثب
من عندها وجلس ناحية فضحك القوم وعلموا ان حيلتها لم تنفذ عليه وعاد الى الحلم وتحرزه
وخرج من بين عندهم مغاضبا فلم يعد اليهم وكل ما ذكرنا من ما بينته من عز المال وفضل
موقعه من القلوب وعلمنا الاقناع به والحاجة اليه وان المحبة للمال على ما ... من المعاني فاذن يحق
للعاقل ان يحسن في تدبير سيرته ويجتهد في ان يسلك طريقته وذلك باربعة اداب يستعملها فيه
احدها ادب الاكتساب والتحصيل فلا يبذل فيه العرض لاجله ولا يبذل فيه الاجتهاد في اكتساب

المال باسباب القمار والقيادة والخداع والخلابة ولا يكتسبه من وجه حرام تفنى ثمرته وتبقى تبعته وفي الخبر
ان لله ملكا على بيت المقدس ينادي كل ليلة من اكل حراما لم يقبل منه صرف ولا عدل وفي خبر آخر
كل لحم نبت من حرام فالنار اولى به وشرب الصديق رضي الله عنه لبنا من كسب عبد له ثم سأله فقال تكهنت لقوم فاعطوني
فادخل اصبعه في فيه وجعل يقيء حتى خيف عليه ان نفسه تخرج ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما حملت
العروق وخالط الامعاء وفسر قوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون باكل الحرام ويحكى
ان بعض الصالحين دفع طعاما الى بعض الابدال فلم يأكله فسأله عنه فقال انا لا نأكل الا حلالا فلذلك
تستقيم قلوبنا ويدوم حالنا ونكاشف الملكوت ولو اكلنا مثل ما تأكلون لما رجعنا الى علم اليقين ولك
فقال له الرجل فاني اصوم الدهر واختم القرآن في كل شهر ثلثين ختمة فقال له البدل هذه الشربة من
اللبن التي شربتها البارحة احب الي من ثلثين ختمة في ثلثين ركعة من اعمالك وكانت شربة لبن من ظبية
وحشية والثاني ادب الانفاق لكي تضعه في منافع دنياه ودينه في وقت الحاجة فيهما اليه فقد نظر
رسول ملك الروم الى الطلاع وقد صب عليها مال عظيم في مجلس الرشيد فقال ان كان هذا المال لك
اشد بخلك وان كان لرعيتك فقد عظم ظلمك فقال انا هذا لي ولا لرعيتي ولكنه مال الله امنائه الله
استخلفه ... والثالث ادب الصيانة عن الصرف في غير وجه الاستحقاق واحتج الفقراء
فحفظ بستر اولياءه ويظهر احسانه ... وصفي في خلقي وخلقي فلما دخل والاطباق
يوما عليه بالمنصور فاعطاه الربيع ذلك فقال القائم من يحسن وصفي في خلقي وخلقي فلما دخل ... يرى
فانصرف اكرم الا ابن هرمة فقال له الربيع يا ابن هرمة ان المنصور واستخبر ما لم تره فقال الدخلي عليه وان
فادخل ووصف في خلقه وخلقه فلما اوصله فقال له المنصور انت تعرف وصفي في خلقي وخلقي فقال نعم
ان شئت وصفتك بكلام منظوم وان شئت فبشعر موصوف فقال اي ذلك شئت فقال انت الجواد فلا بخلا
والبخل فلا اماري بها لغير قال نعم انت الجواد بمالك الجليل بعرضك ودينك لا انام على الضغينة ولا
لك مال تجمعه عالم بما تحويه من حله واسع لما انفقته في محله وانك بفضل ابا الجنة وعدو

في مثل صحيحة القيمة فقال احسنت هات الشعر فانشده قصيدة حتى اذا بلغ

له لحظات عن حفافي سريره * اذا كرها فيها عقاب ونائل
فام الذي والات آمنه الردى * وام الذي عادات الحين ثاكل

فقال المنصور هذا عين الشعر حسبك وقد امرت لك بخمسة آلاف درهم قال فذهبت منه وقبلت راسه والقاه
وولت فاذا هو ينادي يا ربيع فانصرفت خائفا فقلت لبيك فقال ارد واحي فقال احفظ بها فليس
لك عندي غيرها فقلت احفظها حتى اوافيك بها على الصراط بخاتم الجهبذ وعلامة الخازن فقال فضحك امر
كاذبا والرابع ادب الانفاق والمتوسط بين التبذير والتقتير سئل ارسطاطاليس عن رجل يعرف هل هو غني
قال انا اعلم انه ما له ولكني لا اعلم انه غني هو ام لا لاني لست ادري كيف عمله في ماله ومن اديه حسن القيام عليه

بالنفس دون التوكيل الى الغير وهب هشام بن عبد الملك لرجل ضيعة فدخل عليه يوما فسأله عن حالها فقال
لي يا ابا محمد فغضب هشام فقال لولا اني في ارتجاع الهبة لانتزعتها منك اوما علمت ان ذلك الا من
الشريف لصلاح المال وتعهد الضيعة وطلب الحق وان قل ومن ذلك العلم بالنفع ووجوهه واتسع انواعه ودخل
تبع الحميري المدينة فاجتمع ابناء اقيالها اليه فسألهم عن حالهم ومعايشهم فقالوا اموال صامتة واراب
وعيون في ارضين فقال تبع سافروا بها كلكم اجمع اما الصامتة فانك ان امسكتها افنيتها وان
انفقتها اتلفتها لانك ان امسكتها كنت كالانائل له وان انفقتها يوشك ان ياتي عليها
جميعا ولا تبقى لك بعدها الاعادة الانفاق واما الرقيق فكثير بعضهم ينفع وقليل الضر فيها ياتي على
كثير النفع واما الماشية فتفصله تقبل مع الربيع وتدبر بادبارها وخير اموالكم عيون خوارة في
ارضين خوارة تسهر اذا نمتم وتشهد اذا غبتم وتخلف لاولادكم اذا متم وقد جاءت الاحاديث الصحيحة من
هذا القبيل سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي اموالنا افضل يا رسول الله قال الحرث والنخل
قيل فالابل قال تلك عناجيج الشياطين لا تأتي الا مولية ولا ياتي نفعها الا من جانبها الاشأم وعناجيج
كل شيء نواجيه والمعنى انها اذا اقبلت ادبرت لكثرة آفاتها وسرعة فنائها ولا تحلب ولا تركب الا من
شمالها وفي حديث آخر خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة والسكة الطريقة المستوية المصطفة من
النخل والمأبورة التي قد لقحت ابرت النخل آبرها ابرا فهي مأبورة وتأبرت والمأمورة الكثيرة النتاج
النسل والمرية وفي حديث خير المال ساهرة لعين نائمة اي عين ماء تجري لا تنقطع نهارا ولا ليلا وصاحبها
نائم وفي حديث آخر تسعة اعشار الرزق في التجارة والجزء الباقي في السابيا اي النتاج وهو ما
علقط يكون مع الولد والسلا الجلدة الرقيقة التي فيها الولد ومن قوله عليه السلام الرزق في خبايا
الارض واودع مليكها بالحرث وبالمعادن وبالضرب في الارض تجارة وانشد

اقول لعبد الله لما لقيته ۞ يسير باعلى الابرقين مشرقا
تتبع خبايا الارض وادع مليكها ۞ لعلك يوما ان تجاب فترزقا

ثم المال بعد تمام اكتسابه وانفاقه لعوال اربعة الضبط في الاكتساب والتحاسر في الانفاق والاسترسال في
الاكتساب والعوز عن الانفاق والكرام مبتلون بالحالين الاولين واللئام مطبوعون على الحالين الاخريين
ولهذا ما يوجد الكريم تنهم جوده وشكو بخته كما قال القائل

لا تنكري صدي ولا اعراضي ۞ ليس الكريم عن الزمان براضي
لا تنكري عطل الكريم من الغنى ۞ فالسيل حرب للمكان العالي
لا تنكري ان كان اعسر فيكم ۞ ذو المجد واستغنى لئيم المحتد
ان البزاة رؤوسهن عواطل ۞ والتاج معقود براس الهدهد

ومن شعر ابي الحسن الموقاني في القاضي منصور الهروي

قد قلت للحسنا لما انكرت ۞ فقري ولاحظتني بعين راحم
هل ابصرت عيناك اديبا موسرا ۞ قالت نعم منصور بن الحاكم
فاجبتها ذاك الامر في دهرنا ۞ فرد وحكم الفرد ليس بلازم

وكان القاضي صاعد ينشد

دانش وخواسته چو نرگس وگل ۞ هر دو در باغ نشكفند بهم
هر كجا دانش است خواسته نيست ۞ هر كجا خواسته است دانش كم

وكل هذا ظلم وتحامل على الحمقاء اذ السبب الاظهر هنا تخرق في الجود وتنجيز المعروف

تعودنا المكارم والعطايا ۞ اناملنا به تأبى لها حجام
فليس لها من الحمد انفراج ۞ وليس لها على المال انضمام

وقال احمد البنات مغلول الكف لا نضر محجره ولا ندى صنائعه كما قيل في الطائفتين جميعا

آخر

ويد البخيل لما استفاد قرارة ۞ ويد الجواد لما استفاد سبيل
شتان ما بين اليزيدين في الندى ۞ يزيد سليم والاغر بن حاتم
يزيد سليم سالم المال والفتى ۞ اخو الازد للاموال غير مسالم
فهم الفتى الازدي اتلاف ماله ۞ وهم الفتى العبسي جمع الدراهم
ورجا السماح في لبان ظعين ۞ ورجا السماح قبل يقين
والقمي يستحى من الناس عونه ۞ والدعي يسقيه نسكم معين
وما ادري اذا اعطيت مالا ۞ ايكثر في سماحك ام يقل
اذا كان الشتا فانت شمس ۞ وان حضر المصيف فانت ظل

للذلي

والبيت الاول هو نفس التحرق وهو الكريم الذي يتخرق في الجود ولا يعطي على تقديره وسهم وقول الجعفر

نجم اصحابي بخيل بن سعيد ۞ بذي عرض ناوي اليه الاراسل
يكاد ديناه يسيل ان راءه ۞ من الجود لما استدلته الشمائل

تفسير التحرق بالمعروف فظهر ان ضد الحرية بالمال فقر والمال هو الذي يرضيهما شيئا وحفظهما
ويروح ويغدو وانما افضل وصانها اذا لا حرية لاهل المال كما قال علي عليه السلام حب المال وفال العام

اذا لم يكن للمرء مال ولم يكن ۞ يجود على اخوانه ويليق
وكيف يسود المرء من هو مثله ۞ بلا منة منه عليهم ولا يد
جمعت شيئين ساد الناس بينهما ۞ بيت المملوك وافضال المماليك

اردت جملا بلا بخل ومن رتبة … لقد سلكت سبيل الاغنياء بسلوب

الا انه ليست الخزينة بالمال من حيث الحفظ والامساك بل من حيث بذله وانفاقه كما قيل لبعضهم من الجواد قال
من جاد بماله وصان نفسه عن مال الغير وسئل بعض حكماء الملوك اين اموالك وكنوزك فقال في اكف
اصحابي وقال عند عقولهم وحكى الوليد بن المسور الاشعري ان خالد بن عبد الله القسري قام على منبره
بواسط خطيبا فحمد الله واثنى عليه ثم قال ايها الناس تنافسوا في المكارم وسارعوا الى المغانم
واشتروا الحمد بالجود ولا تكتسبوا بالمطل ذما ولا تعتدوا بالمعروف ما لم تعجلوه ومهما يكن لاحدكم عند احد
نعمة لم يبلغ شكرها فالله احسن له جزاء واجزل عليها عطاء واعلموا ان حوائج الناس اليكم نعم من الله
عليكم فلا تملوا النعم فتحور نقما واعلموا ان افضل المال ما اكسب اجرا واعقب ذكرا ولو رايتم المعروف
رجلا لرايتموه حسنا جميلا يسر الناظرين ويفوق العالمين ولو رايتم البخل رجلا لرايتموه مشوها
قبيحا تنفر عنه النفوس وتغض عنه الابصار ايها الناس من جاد ساد ومن بخل رذل وان اكرم
الناس من اعطى من لا يرجوه واعظم الناس عفوا من عفا عن قدرة واوصل الناس من وصل عن
قطيعة والفروع عند مغارسها تنمو وباصولها تسمو اقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم فاذا كان الفضل في
المال من حيث البذل وجب ان يراعى حال البذل حتى لا يقع على وجه مذموم فيضيع المال ولا يعقب الحمد
والامر والبذل لابد له من حالتين مذمومتين وهما التبذير والتقتير والتبذير اشد مذمة من التقتير لان
تعريض المال للهون من حفظه بل تحصيله ايسر من افنائه ولهذا كان المبذرون اخوان الشياطين
لما كان حال الاتلاف اليهم نسبه وقاطعا محاسن المساعي فيما يبدو قال ومن ضيعه من لم
يقتصد في معيشته مات قبل اجله الا انه مع هذا علاج التبذير اسهل من علاج التقتير اذ الزمان والحجة
قد يصلحان من المبذر ما لا يصلحانه من المقتر ولهذا لم يحجر ابو حنيفة المال على المبذر اكثر من خمسة
وعشرين سنة لانه قد يبلغ من سنه مبلغ الجدود فاذا لم يبلغ فلا يطمع ابدا لان الشح من كاسب
طبيعته وثمانية عشر سن بلوغ الحلم بالاتفاق فاذا كان لم ينتفع صادفه ولم يستر مساده فيحجر
وكما ان علاج التبذير اسهل فقطع الدهاية اكثر ومضرته بالمقتر اظهر وكما ان بذل المال في وجهه افضل
من حبسه في غير وجهه فحبسه عن وجهه اذم من بذله في غير وجهه وكما يكسب الحمد بذله في جهة فضيلة
لحرمه فانه يكسب الذم من وجهه فضيلة العدالة الا ان الكاسب في الحقيقة آخذ منه في صورة اللازم
المنفعل والباذل معط في حال المتعدي والفاعل ولهذا كان محبة الناس له اكثر من محبتهم للكاسب
الا ان نظام العالم العلوي بالكاسب والباذل والانفاق يحدد لانه نقص من الاكتساب الا ان ترك الكسب
اهون من بذل الكسب كما ان الفضل في فعل الخير اكثر من الفضل في ترك الشر وكذلك الحمد في اصطناع
المعروف اكثر من المنع فاستكثار المال وكما ان سلطان الاشياء بالاخذ والاستيلاء فملاك الاحسان

بالاحسان فملك الاحسان الزم من ملك الرق ووثاق الحر من رق العبد لان العبد يعطيك طاعته
كرها ومجبرا سواها والحر يبذل لك طاعته طوعا ويعتقه ظاهرها ومعقودا باطنها وكان ابن المعتز يحب الحساب فان الحر
يعتقد ديون امتنانه كما قال بعضهم الملك عند غيرك ما نالك منك فاذا اعدمت عند سؤالك
ما يجود وجدت عندك ما لا يرجع فالناس من عرك انتفع لمن رجائي الغير لابد لا قول وتفعل
ان تقول ولا تفعل ولانك تعتد بين الجزيل اذا امتزجت بالقليل وكما يصعب على مصطنع المعروف ان
يزل اليه غير المعروف فيصعب على الحر ان يستعبده البر وقد يثبت الكرم المال من وجهه ويحفظ ايضا ملك
نفسه لا لان يكون بخيلا في بذله حاسدا من سيله ولكن لئلا ينقطع مواد فضله ولا يحوجه الدهر الى
مثل فلان ان يعطي ماله الا اذا رأى الاعطاء خيرا من الامساك والبذل اولى من المنع وقد احسن القائل

لقد ظلم المعروف مانع اهله … والظلم منه مخطئ مواضعه

ومن سفهان الغنى بين الندى … ويجهل في الاقوام اهل صنايعه

وانما يعتقد على الحر ان يرى حق المعروف فهمته عن كل مكسب وتأبى نفسه عن كل مال قال
المأمون لطاهر بن الحسين اسر علي بانسان يكفيني امر مصر والشام فقال له طاهر قد اصبته قال
من هو قال عبد الله ابني وخادمك وعبدك قال كيف شجاعته قال معه ما هو خير من الشجاعة قال وما
هو قال الحزم قال المأمون وكيف سخاؤه قال معه ما هو خير من ذلك قال وما هو قال التنزه وظلف النفس
فولاه وحمل عن خمسة آلاف الف دينار ووهب المأمون لطاهر هذا المعنى والمعنى وهما نهران بغرب الرقة
فقال يا امير المؤمنين كفى بالمرء شرفا ان يأخذ كل ما يعطى ناهيا يا امير المؤمنين من صنائع السوقة ما استحال
الا الخليفة او ولي عهده لان المال لا يجتمع الا لمن كانت همته باقتنائه وفي اخذ منها في العطايا والحز
بالفتى من هذا الوصف ولهذا قيل يا كيف الحر عن الحسنة لانها اعطانيه على اقتنائه ويقال للذي رداء
الكرم ومن شعر بعض الاجواد

انعجز ان رايت على دنيا … وان اودى الظن بغير الثلاد

ملأت يدي من الدنيا مرارا … فما طمع العواذل في اقتصادي

ولا وجبت علي زكاة مال … وهل تجب الزكاة على الجواد

وكذلك الحر الكريم لا يلتفت الى المال ولا عن غرض ولكن اذا ازرى ذلك بالعرض وان خف وطف كما روي
ان مروان بن الحكم كتب وهو خليفة الى النعمان بن بشير اما بعد فان الله ذا المن والاحسان والعظمة والسلطان
قد خصكم معاشر الانصار بنصرة دينه واعزاز نبيه وقد جعل الله منهم في البيت الصميم والفرع القديم
وقد دعاني الى التماس مصاهرتك ولا شك انك من الاكفاء من ولياتي وقد احببنا ان تزوج ابني
عبد الملك بن مروان ابنتك ام ابان بنت النعمان وقد جعل صداقها ما نظر بسلطانك وترغب به
شفقتك ويلحقه سنانك وحكمت به في بيت المال قبلك فكتب اليه النعمان بن بشير الى مروان بن

لكم بدانا بسمي سنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك اني سمعت رسول الله خليلي صلى الله عليه
وسلم يقول اذا كتب احدكم الى احد فليبدأ بنفسه اما بعد فقد بلغني كتابك تذكر من مودتك ما اراك
صادقا فيها اصبت وحظك اخطأت ونسيان ذكرك فقد جعل الله حسبنا ايانا او بغضنا انفاقا
واما ما الطيب فيه من ذكر رضانا وقديم سلفنا ففي مدح الله لنا وذكره ايانا في كتابه المنزل وقرآنه
المفصل ما اغنى عن مديح غيره واما ما ذكرت من ايثارك ابا وابائك عبد الملك على الاكفاء من
ولد ابيك فحظي منك برد ودعليهم موفر لهم غير شاح فيه ولا منافس عليه واما ما ذكرت من تبذلك لي
من يمين المال بما نطق به لساني وترنمت به شفتاي وبلغه مناني فلعمري لقد اسمح حظي فيه وللحمد
لله او نمن حظك وسهمي اجزل من سهمك وامري فيه اوجب من امرك وبعد

فلو ان نفسي طاوعتني لاصبحت ... لها حسد مما يعد كثير
ولكنها نفس علي كريمة ... عيوف لاصهار اللئام قذور

ولما اكره الحجاج عبد الله بن جعفر على ان يزوجه ابنته وبذل الحاضر من الاموال ما يحمل فدر
استأجله في نقلها سنة ففكر عبد الله في الانفكاك منه فالقي في روعه خالد بن يزيد بن معاوية
فكتب اليه يعلمه ذلك وكان الحجاج تزوجها باذن عبد الملك فورد على خالد كتابه ليلا فاستأذن
من ساعته على عبد الملك فقيل له في هذا الوقت فقال هو امر لا يؤخر فاعلم عبد الملك فاذن له
فلما دخل قال فيم السرى يا ابا هاشم قال امر جليل لم امن ان اؤخره فتحدث حادثة علي فلا اكون
قضيت حق بيعتك قال وما هو قال تعلم انه ما كان بين حيين من العداوة والبغضاء ما كان بين
آل الزبير وبيننا قال لا قال فان تزوجي الى آل الزبير حلل ما كان لهم في قلبي فما اهل بيت احب
الي منهم قال فانه لذلك ليكون قال فكيف اذنت للحجاج ان يتزوج في بني هاشم والحجاج من سلطانك
بحيث علمت قال فجزاه خيرا وكتب الى الحجاج يعزم عليه ان طلقها فطلقها فغدا الناس يعزونه
عنها وكان فيمن اتاه عمرو بن عتبة بن ابي سفيان فاوقع الحجاج بخالد فقال له ان الامر لابيه فعجز عنه
حتى انتزع منه فقال له عمرو ولا تفعل فان ذلك ايها الامير فان لخالد قديما سبق اليه وحديثا لن يغلب
عليه فلو طلب الامر لطلبه بجد وجد ولكنه علم علما فسلم الامر الى اهله فقال الحجاج يا آل ابي سفيان
انكم تحبون ان تحلموا ولا يكون الحلم الا عند غضب فنحن نغضبكم في العاجل ابتغاء مرضاتكم في الآجل
ثم قال الحجاج والله لا تزوجن من هو اشرف منه وحمار لا يمكنه في ذلك شيء فتزوج ام الجلاس بنت عبد
الله بن خالد بن اسيد فاذا ثبت هذه الجملة فقد استمرت في الناس عادة الاعطاء على وجوه اربعة
وليس واحد منها معدودا في الجزء احدها الاعطاء بالعلة لا لحسن الاعطاء في نفسه والثاني
الاعطاء لحسن الاعطاء في نفسه ولكنه على صعوبة وتكلف من فاعله والثالث الاعطاء لحسن الاعطاء

وسهولة الا انه على اعتقاد منه والحمد ونحوه والرابع الاعطاء لحسن الاعطاء بعفو وسهولة وبلا منة وبغير
ولكنه فوق ما يحتمله اسباب المعطي وحاله وهذا يرى اكثر المبذرين اعطياتهم سرفا وصد طبيعة من حقها
ان يكون محمدة كالمشاحرة والصفاعنه ويرى اكثر المبذرين ضرائعها لا يتجاوزهم في حيال العرلا الذين
هم من شياطين الانس وانه يعدوا انهم رياحين الانس والمبذرون اخوانهم قال الشاعر في مثل هذه الحالة

وسايل الحي عن عثمان قلت له ... هو الجواد ولكن فاتق الجود
هيئ الزناة اذا حلوا بساحته ... وآفة المال بين الزق والعود

وقد يكون الاعطاء فوق الاحتمال وعلى نكد الزمان وحال الاقلال اذا صادف موضعا حمد واحمد كما حكى
ابو الشبل البرجمي قال حضرت مجلس عبيد الله بن يحيى بن خاقان وكان لي محسنا وعلي متفضلا وجرى
ذكر البرامكة فوصفهم الناس بالجود وقالوا في كرمهم وجوائزهم وصلاتهم واكثروا فقمت في وسط المجلس فقلت
الله قد حكمت في هذا الصلح كما نطقت في بيتي شعر لا يمكن احدا ان يرده وعلي ان اجعله شعرا يسبق ويدون
افتأذن الوزير في انشادهما فقال لي قل فرب صواب قلته وانشدته

رايت عبيد الله افضل سوددا ... واكرم من فضل ويحيى بن خالد
اولئك جادوا والزمان مساعد ... وقد جاد ذا والدهر غير مساعد

فتهلل وجه عبيد الله وظهر السرور فيه وقال افرطت يا ابا الشبل ولا كل هذا افعلت والله ما حابيتك
ايها الوزير ولا قلت الا حقا فابتعني القوم في وصفه وتقريظه فما خرجت من مجلسه الا وعلي الخلع وتحتي
دابة بسرجه ولجامه وبين يدي خمسة الف درهم وكما ينقسم الاعطاء على هذه الاقسام الاربعة فكذلك
الاخذ ينقسم عليها في مقابلتها الاول كالاخذ للهلع وفرط الجشع والطمع لا لحاجة النفس كما يحكى ان
الاشعبا لهم على كثرة سؤاله مع حسن حاله فقال عندي من حسن المسألة والثاني لاجل الطلب ما اكره
تركه والثاني كالاخذ لحاجة ولكنه ممن لم يمكن ممن يعطيه بمنه وينغصه بذكره قال زياد لابنه عبيد
الله عند موته لا تدنس عرضك ولا تبذل وجهك ولا تخلق جدتك بالطلب الى من ان رده كان رده
عليك عيبا وان قضى حاجتك جعلها عليك منا واحتمل الفقر بالتنزه عما في ايدي الناس والزم القناعة
بما قسم لك فان سوء حمل الفقر يضع الشريف ويخمل الذكر ويوجب الحرمان والثالث كالاخذ لحاجة وممن
هو من اهله ومحله ولكنه على غير اعتقاد فضل بذل والحمد والامتنان بشكر كما يرى بعض الناس ان
شكر الناس على ما يؤتونه الى الحمد مع انه في الحقيقة من الله نقصان في شكر نعمه جل وعز وكان
ابو حامد القاضي يحمد الناس من صحبة ثلثة اصناف الجندي فانه يرى كل شيء للسلطان
وبالسلطان والعلوي فانهم يرون الانفس والاموال لهم خولا واملاكا والصوفي فلو قاسمته
بل لو خرجت اليه من كل ما تملك قال من قد والرابع الاخذ لحاجة وممن هو اهله وعلى اعتقاد

شكر ونشر ولكنه على وجه يزري بالآخذ ويمحق من قدره كما يحكى ان الرشيد لما قدم الكوفة
عند منصرفه من الحج قال يحيى بن خالد لابي يوسف القاضي احب ان تركب معي حتى ندور في [illegible]
الكوفة ومجالسها فننظر من بقي بها ومن اثارها فركبا فاول من مرا به عبد الرحمن بن بشير
وهو قاعد على باب داره على كرسيه وخلفه مسنده وحوله جماعة من اهل بيته فوقف عليه
وسلم وقال ابو يوسف هذا وزير الخليفة وصاحب امره فقال له السلام الله عليك وحفظك في
واحضرك التوفيق والتسديد في جميع الامور فوقف قليلا ثم مضى مغضبا حيث لم يقم له وقال لابي
يوسف لهذا الشيخ مال قال لا الا القوت فلما كان من الغد قال يا ابا يوسف قد كلمت امير المؤمنين
في الشيخ الذي مررنا به امس فامر له بمائة الف درهم فقال يحيى فليأخذها قال ابو يوسف فمضيت اليه مسرورا
فاخبرته الخبر فقال ليس الامر كما ذكر ولكنه اضطغن تركي القيام له فاراد ان يعلمني بالاحسان الي بابه
ان كان امر لنا بشيء فيصل الينا من غير ان نبذل انفسنا قال ابو يوسف فاتيته فاعلمته [illegible]
المال فقال السلام الله الا ذكرت لي كلامه كما هو من غير ان تخرم منه شيئا فاخبرته كما سمعته فقال
والله ما كان في نفسي ابغض اليه بالمال الساعة فقلت ويحكى ان ساعيا سعى بالفضل
بن يحيى الى الرشيد انه زنديق فما اظهرها بعث مسرورا الخادم اليه انه قد بلغني ان عندك مالا فاحمله
الي والا ضربت عنقك فقال للخادم قل له يا امير المؤمنين انا كنا نبيع املاكنا باموالنا فكيف لا
نتقي بها انفسنا والله ما عندي شيء وقال يحيى لمسرور ابلغه عني رسالة ايضا قال قل قال تقول
له والله لئن قتلته لا اعترضت عليك فعاد مسرور اليه فاخبره بما قال الفضل ويحيى ان يقول له
ويبلغه رسالة يحيى فقال الفضل فاخبره بما قال فقال لعنه الله والله ما قال لي شيئا الا وجدته كما قال
ابي فامر بالفضل ثلثمائة سوط فرجع مسرور ومعه جماعة من الخدم ومعه السياط المعقدة على الطبق
فطلبت ان يقعد وبدت الى الفضل بضربة كان ذاك عليه فقال الفضل لوكيله الطلب لي من يحسن
ضرب الجنب فاتاه ببعضهم فنظر الى ضربه فقال كم ضربتم هذا قالوا ثلثمائة قال لهما هذا محال ما ضرب الا
مائة ثم عالجه حتى برأ فاراد الفضل ان يبره فذكر لبعض من عنده له صنيعه فحمل اليه عشرة
الف درهم فامتنع من اخذها ثم استحاج له عشرة الف اخرى من بعض صنايعه فضمها الى الاولى فامتنع
من اخذها فاستحاج له عشرة الاف اخرى وحمل اليه ثلثين الفا فاتاه رسول الفضل وقد خرج الى [illegible]
يبتاع منه شيئا فقال له هذه ثلثون الف درهم بعث بها اليك الفضل فقال اقرأ عليه السلام وقل
له لا والله لا اخذ على عافية ثوابا ابدا ولا اقبل بر ممتحن قيل ما رايت ذلك الضرب انما طيبت نفسك
وقويت قلبك بما قلته وما كان الامر بخلاف ومما حكي من هذا القبيل ان ابا تمام قصد البصرة منتجعا
فلما وردها سأل عن شاعرها فذكر له عبد الصمد بن المعذل فقال انشدني شيئا من شعره فانشد قوله

لست تنفك طالبا لوصال ۞ من حبيب او طالبا لنوال
اي ماء لحر وجهك يبقى ۞ بين ذل الهوى وذل السؤال

فحول راحلته عنها ولم يدخلها ومن انشاد ابي تمام السابق في هذا المعنى قوله

سيان عندي وخير القول اصدقه ۞ حفظي لماء وجهي او وشحة بي

وشكا بعض الافاضل حاله فقال له رجل الدهر عن تحلى بقناع القناعة ولكني مع الظما عن ذي الموارد نافر
القافة بغنى النفس كما شير وانشد

غنى النفس لمن يعقل خير من غنى المال ۞ وفضل الناس في الانفس ليس الفضل في الحال
يقولون لي فيك انقباض وانما ۞ راوا رجلا عن مورد الذل احجما
اذا قيل هذا مورد قلت قد ارى ۞ ولكن نفس الحر تحتمل الظما

وحكى اسحق الموصلي قال كان رجل من قريش يختلف الى الفضل بن الربيع في حاجة فلا يكلمه ولا يلتفت اليه
فطال ذلك عليه فدخل الى مسجده وصلى فيه ثم قال اللهم اني قد عزلت الفضل بن الربيع عن حاجتي و
انزلتها بك فلا تخيبني فجلس على الطريق فلما رآه الفضل قام اليه فقال له اني قد عزلتك عن حاجتي فازدد
من تيهك او دع فغضب الفضل غضبا ظهر في وجهه وبلغ الرشيد الخبر فقال اشهد ان هذا الرجل
من قوم مجحة قال الفضل والله لا يكون الرسول اليه سواي فصار اليه الفضل حتى اتى به الرشيد وساله
عن حاله وحاجته فاخبره بها فقضاها وانشد في هذا المعنى

ساكتم حاجاتي من الناس كلهم ۞ واكتمها الله يبديه وتظهر
لما لا تردها الي الناس بحيلة ۞ وما مرها الا المرتجيل ويكثر ۞ عبد الصمد المعذل
تكلفني اذلال نفسي لعزها ۞ وهان عليها ان اهون لتكرما
تقول سل المعروف يحيى بن اكثم ۞ فقلت سليه رب يحيى بن اكثما

وكان شريح يقول من سأل حاجة فقد عرض نفسه على الرق فان قضاها المسؤول استعبده بها وان رده
عنها رجع حرا وهما ذليلان هذا بذل اللوم وذاك بذل الرد وقد منع الانسان نفسه من الاخذ لنفسه
اما تكرما واما تورعا فاما زهادة لبيان العز عفا وتورعا كما يحكى عن ابي دلف العجلي قال دخلت على الرشيد وهو
في طارمة على طنفسة وعند باب الطارم شيخ على طنفسة مثلها فقال الرشيد يا قاسم ما خبر الجبال
قلت خراب لما بها من تورد الاكراد والاعراب فقال انت سبب خرابها وفسادها فاذا وليتك اياها فاعمر
واصلح فقال بعض من حضر او عجز لك فقال ابو دلف وكيف يكون عجزا لك وامير المؤمنين يزعم اني ملكته
فافسدته وهو على امر اني لا اقدر على اصلاحه وهو يحيى فقال الشيخ ان همته لترمي به وراء سنة مرمى
بعيد او اخلق به ان يزيد من له فقبل الرشيد رايه وولاه وامر بان يخلع عليه فلما خرج ابو دلف

سأل عن الشيخ فقال هو العباس بن الحسن بن عبد الله بن العباس بن علي بن ابي طالب عليه السلام فحمل اليه عشرة
الف دينار وشكر فعله فقال له العباس ما اعتدت على معروف اجرا قط فاضطرب ابو دلف وقال ان رايت ان
تكمل النعمة عندي وتتمها علي بقبولها فقال الفضل هي لي عندك فاذا رمتني حقوق لقوم بعثت عنها
ما لي كلفت عليك بما تدفع اليهم فمضى ابو دلف بذلك فما زال يصلك على الناس حتى افناها من غير
ان يصل الى العباس درهم منها ودخل الهذيل بن زفر على يزيد بن المهلب في حمالات لزمته ونوائب
نابته فقال له قد عظم شانك ان يستعان بك او يستعان عليك ولست تصنع شيئا من المعروف
وان عظم الا انت اعظم منه وليس العجب ان تفعل وانما العجب ان لا تفعل فقال يزيد حاجتك فاذكر له
بها وبها الف درهم اما الحمالات فقد قبلتها واما المال فليس هذا موضعه واما النظر في
الاعمال والاشغال فقد يمتنع عنه بعض من له نفس وهمة ويكتفي بما له من الكفاية والصحة اللتين
هما انجح طلبا واقرب سببا كما في الكلام القديم الزم الصحة يلزمك العمل وكتب بعض عمال ابرهيم
بن العباس اليه يستزيده فوقع في كتابه استدع ما عندي بالاثر لا بالطلب فقد تعرض
لها او قبالها وان كان السائل جامعا الى كبر نفس وعلو همة الم بعض الكتاب على خطبة عمل
السلطان فقال قد خطبه وطلبه الصديق بن اسرائيل بن الذبيح بن الخليل من ملك مصر وهو كافر
بالله فقال اجعلني على خزائن الارض ومما يحكى في التلطف لحسن الطلب ما حكى بعضهم قال كنت
بحضرة عبيد الله بن سليمن فوردت عليه رقعة من جعفر بن محمد وبعد فتحتها قد فتحت للمظالم
بابك ورفعت عنه حجابك فانا احاكم الايام الى عدلك واشكو صرفها الى فضلك واستجير من لؤم
غلبتها بكرم قدرتك وحسن ملكتك فانها تؤخرني اذا قدمت وتحرمني اذا قسمت فان اعطيت
اعطيت يسيرا او ان ارتجعت كثيرا ولم اشكها الى احد قبلك ولا اعددت للانصاف منها
الا فضلك ولي مع دمام المسئلة لك وحق الظلامة اليك دمام تاميلك وقدم صدق في
طاعتك والذي يملؤ من الضعف يدي ويرفع الحق علي حتى يكون الي محسنا ويكون لي الايام
معتبا ان يرجعني عن اصحاب خدمتك الذين نقلتهم من حد الفراغ الى الشغل ومن الخمول الى النباهة
والذكر وان رايت ان تعديني فقد استعديت اليك وتسمعني فقد عذت بك وتوسع لي كنفك
فقد اويت اليه وتغنيني باحسانك فقد عولت عليك وتسميني من روح عنايتك فقد طمحت
ابصارها وتعيات المقبل لتجاوزها مستعملا بيدي ولساني فيما يصلح له من خدمتك فقد
درست كتب اسلافك وهم القدوة في البيان واستضات بارائهم واقتفيت اثارهم اقتفاء
جعلني بين وحشي الكلام وانسيه ووقفني منه على جادة متوسطة يرجع اليها الغالي
ويلحق بها المقصر التالي فعلت ان شاء الله فخفف عبيد الله بردها وسحبها ويقول اهل الحق

سؤال

بديوان

بديوان الرسائل في ولاية ابائه ويتقي فيه وفي اولاده الى اخر ايام الدولة الديلمية ومن لطيف المسئلة
والاستعطاف قول بعضهم كان لي املان احدهما لك والاخر بك فاما الامل لك فقد بلغته
واما الامل بك فارجو ان يحققه الله ويوشكه وكتب بعضهم الى الفضل بن سهل يا حافظ من يضيع
نفسه عنده ويا ذاكر من ينسى نصيبه منه ليس كتابي اليك كتاب استبطاء ولا اشتكاء لكن اذا
استغنا لكن كتابي تذكرة لك واستبكي عنك تقربا بك ومن في مثله من العجب اذ كان يعني وحدت سقط
واستبطا ذاك الا ان الحاجة لا تدع ان تقول في حاجته وكتب الحسن بن وهب الى محمد بن عبد الملك
الزيات ثقتي بعنايتك تمنع من استبطائك ومعرفتي باشغالك تدعو الى اذكارك وما امن ان
يدركني حادثة دون ما ارجو منك او تمل ابو عضاك فانك حافظ من اضاع نفسه وداعي لمن
نسي منك نصيبه وليس كتابي اليك كتاب استبطاء ولا اشاكي اذا امكن استغناء بل كتابي
تذكرة لك واستبكي تقربا بك ولذلك اقول

كفاك تذكرة اياك مجمعي * وحبوان لاك وان تراني
ولي انه توبة عتبة حقا * وان انا لم افلن نفسي كافي

وسأل عثمان بن الهيثم محمد بن ابرهيم حاجة ثم توانى عليها فقال له الم نمسك عن حاجتك
فقال وما نام عن حاجته من اسهر لها ولا عدل بها عن محجة النجح من قصدك بها وذكر حماد
بن اسحق قال تاخر الرزق عن ابي في ايام المامون فكتب اليه يا امير المؤمنين ما توقع جود الى
العاجلة من تولاني ما اتى ولا الي فهو دارك مطلع لقلوبنا فلم تاخر الافادات عنا وتعجيل
الجود علينا فقال المامون ما سمعت بالتصريح بالمدح والاشارة في الطلب احسن من هذا الكلام
وامر بالخراج فاثبته ووصله بعد ذلك وكتب رجل الى يحيى بن خالد

شفيعي اليك الله لا شيء غيره * وليس الى رد الشفيع سبيل

وامر بلزوم بابه وكان يرفع اليه كل يوم بيتا لا حتى استحيى الرجل وانصرف فقال يحيى والله لو اقام
دهرا لما اغبيت بيتي ودخل العتابي على عبد الله بن طاهر فانشد

حسن ظني وحسن ما عود الله * سوائي بك الغداة اتى بي
اي شيء يكون احسن من حسن * يقين حثا اليك ركابي

فامر له بجائزة ثم دخل عليه من الغد فانشد

ودك يكفينك في حاجتي * ورؤيتي تغنيك عن سؤال
وكيف اخشى الفقر ما عشت لي * وانما كفك لي بيت مال

فامر له بجائزة ثم دخل في اليوم الثالث وانشد

سمات الشباب علتها الدهر ... وثوب الشباب غض جديد

فاكسني ما بيد اصطحابك الله ... فاني اكسوك ما لا يبيد

فاجازه وخلع عليه وقامت ام سلمة امرأة محمد بن عبد الله بن حسن الى المنصور وهو راكب ومعها ابناها فقال من تكونين قالت انا ام ولد محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن وهذان ابناي منه امهما سيفك واضرعهما خوفك فان رايت ان تعطف عليهما فان ابلك انت وابي واولى الرحم ولا تصغر خدك لهما الاولى ولا تتبع الاولى الاخرى فقال المنصور هكذا والله اشتهي ان يكون كلام نساء العرب واعلام اردد على ولد محمد ضياعه ابنهما وبرهنا واحسن اليهما ومن جنس ما مضى من ادراج السؤال بين ايات الثنا واضمار التعفف والتقلل في خلال العتاب والسؤال ما كتب اسمعيل بن صبيح الى يحيى بن خالد فادرج الاستزادة في الشكر في شكر ما تقدم من احسانك شاغل عن استبطاء ما تاخر عنه وكتب عمرو بن مسعدة الى المامون كتبته ومن قبلي من اجناد امير المؤمنين في الطاعة والانقياد على احسن ما يكون عليه طاعة جند تاخرت ارزاقهم واختلفت احوالهم فقال المامون لاحمد بن يوسف لله در عمرو ما ابلغ الا ترى الى ادراجه المسئلة في الاخبار واعفائه سلطانه من الاكثار وكتب ابو القاسم الحريشي الى الخطير ابو الفضل بن زيد الوزير وقد صرف ديوان الرسائل عنه الى ابي القاسم بن حسوله فبلغ كل مبلغ فيما ذكرنا من القص في فنون القول وادراج التعفف في المسئلة وادماج الاستعطاف في العتب والتمدح في اثنا التسخط

الجود روح الملك كتبي ومنطقي ... واحفي ومن حبر العزالة مشرقي

يضيعني من كنت احسب انه ... يجرد في نصل الحسام المطبق

فيا ايها الصدر الخطير قبلتنا ... بوعد اخذنا منك عنه بموثق

وكنت ارى الحزم فيك طريقة ... فلا تحدعن عنها بقول مزوق

اتعدل عني في الكتابة قاسيا ... الى سلفي العصر بين بحر الخدرنق

تؤخرني عن رتبة ما استحقها ... سوى الفضل فانظر بين عينيك واوثق

ولا نسب في السنة الا ابعصم ... من الدين الحبل المتين الموثق

والبس اذ اخبيتني وجعلته ... مكاني حلى وقعا لم يوفق

تلاعبت الايام مني بعاقد ... لنا ميه من لقيا الزمان المحرق

اذا لم ينل برّ من العز ولا غنا ... اقام على ظمي من الزهد مشبق

لتخدع بالمال الذي لو طلبته ... بغير فساد الامر لم يتعوق

وعيب يعيب الناس في الراي مجمه ... الا رب ظنان من الشيب احرق

فذيلك ان الملك ما لم يشده ... صنايع يستكفيهم لم يعرق

اعلق قلبي في اذى الدهر مفكرا ... ولو انني انصفت لم يتعلق

ومن يقعد الحد طالبا ... مدى حيله من العوج يسبق

ومن يستغني بالعمى في لفظ درة ... يصنع ومن يشرب من الري يشرق

ولو لم يكن استرزق الراي منشا ... باعظم مني طالبا في العتب منطقي

ولكن اري الملك وهي صحة ... تكاد الى فرع المجرة ترتقي

واني على ما بي لا رحم مقعدا ... يروم مكان المشتري المحلق

سلامي جفينا او كفينا فاننا ... على ورد ما في القناعة مطلق

فاني رايت الملك يعبق عرفه ... وان لم تثره كلفة المتنشق

ومن نوادر السؤال ما يحكى ان ابا دلامة دخل على السفاح وانشده مديحا له فقال سل حاجتك فقال اريد كلبا يا امير المؤمنين فقيل يقول لك امير المؤمنين سل حاجتك فتقول كلبا قال هو حاجتي قيل فاي كلب تريد قال كلب قنص قال اعطوه ذلك فقال يا امير المؤمنين فاذا ارسلت الكلب فاخذ صيدا فعلى اي شي احمله فقال اعطوه دابة قال فما لنا بد من يقوم لي عليه فقال اعطوه غلاما قال فاذا صيد فمن يعالجه قال اعطوه جارية قال جارية وجارية وغلام فاين يسكنون قال اعطوه دارا فقال دابة وجارية وغلام ودار فمن اين نعيش قال اقطعوه اربعمائة جريب مائتي عامر ومائتي غامر فقال وما الغامر يا امير المؤمنين قال الخراب الذي ليس فيها شي قال انا اصنع به انا اقطعك مائة الف جريب غامر بالدهنا قال انا اصنع بك قال فاقطعني جريبا واحدا من حيث احب قال الخبر قال بيت المال قال فهو بيت المال واقطعوه اياه حالا اذن يكون عامرا قال فاجعلوا الاربعة مائة كلها عامرة وقد طالت واستدت محاسن الكلام في حسن الاعطاء والاخذ والاباء والسؤال وما يتصل بذلك من الحكايات وكان ذلك قد انقسم على ما ذكرنا فالاقسام كذلك فان من المعتبرين من يوصف بالبخل ومنهم من يوصف بالشح ومنهم من يوصف باللوم ومنهم من يوصف بالظلم فهم ايضا اربع طبقات والبخيل امثل حالا من الشحيح كما ان الشحيح اعذر من اللئيم واللئيم اعدل من الظالم والبخيل هو المفرط في جمع المال في الاتفاق موقيا من المسئلة او التذلل للقريب والكاشح والعدو المناسب فكان بعيد [illegible] وهلعه وضيق صدره وجزعه فهو يحتج الانفاق على نفسه ويخلي ماله بلا انفه لغيره شكا بعض البخلاء بخله الى بعض الحكماء فقال له ما انت بخيل لان البخيل هو الذي لا يعطي من ماله شيئا ولست ايضا بمتوسط الجود لان المتوسط هو الذي يعطي بعض ماله ويمنع بعضه ولكنك في غاية الجود لانك تريد ان تعطي مالك كله يعني انه بعده كله لوارثه ومن هذا ما قال الشاعر في البخيل يجاد بدون وارث

قال الحارث بن نصر العنابي

يقولون ثمّر ما استطعت وانما ... لوارثه ما ثمر المال كاسبه

فكل واطهر جانبه وارثا … شحيحا ودهرا تعتريه نوائبه

تميم بن مقبل فاحلف لا تلقا انما المال عارة … وكله مع الدهر الذي هو آكله

فاهون مفقود وايسر هالك … على الحي من لا يبلغ الحي نائله

آخر ان الكرام مناهبوك … المجد كلهم مناهب

اتلف واخلف كل شي … زعزعته الريح ذاهب

وكانت امراة تطوف بالبيت وتنظر الى مالها [illegible] **وتقول**

انت وهبت الفتية السلاهب … وهجمة يحار فيها الحالب

وغنما مثل الجراد الثائب … متاع ايام وكل ذاهب

وما اصدق قول الاعرابي واحقه

ومن يوما لاعزة وصيانة … فلا البخل مبقيه ولا الدهر وافر

ومن يك ذا عود صليب رجا به … ليكسر عود الدهر فالدهر كاسره

وما احكم قول ابن الرومي جواهر الارض والاحجار واحدة … ان لم تمتع بها فالجنس سيان

لا ترض منقبضا في شفع وكن يقظا … صون الحقوق وصنعا بين الكفان

واما الشحيح فهو الذي يجمع الى ذلك امتحن الحال بان لا يسعد احدا بجاهه وحاله ولا يشفع بخيره وما **المذكر** تمامة بن اشرس محمد بن الجهم فقال لم يطلع احد في ماله الا تشغله بالطمع فيه من غيره ولا شفع لصديق ولا تكلم في حاجة الا ليلقى المسؤول بحجة منع وليفتح على السائل باب الحرمان وكان سبب تقتير البخيل من جبنه وسوء ظنه وسبب تقتير الشحيح من جهله وقبح فعله ولهذا ما قيل نعمة الجاهل تزيده قبحا او قيل نعمة الدني درة في مزبلة وطوق على خنزير

خنازير ناموا عن المكرمات … فايقظهم قدر لم ينم

فيا قبحهم في الذي خولوا … ويا حسنهم في زوال النعم

ابو تمام كم نعمة لله كانت عنده … فكانها في غربة واسار

كسيت سبائب لومه فتضاءلت … كتضاؤل الحسناء في الاطمار

وسخ الثوب والعمامة والبرذون … والوجه والقفا والغلام

نعم الله لا تعاب ولكن … ربما استقبحت على اقوام

واما اللئيم فهو الذي يجمع الى ذلك احتمال العار للربح الحقير اليسير فكان تقتيره ضربا من الدناءة يعتري قلبه ويذل نفسه ويصون ماله والعرض ضائع وعياله بطنه والجار جائع **وقف اعرابي على** ابي الاسود وهو يتغدى فسلم فرد عليه ثم اقبل على الاكل ولم يعرض عليه فقال له الاعرابي اما اني قد مررت

باهلك

باهلك فقال كان ذلك طريقي قال وهم صالحون فقال كذلك فارقتهم قال وامراتك حبلى قال كذلك عهدتها قال قد ولدت قال فما كان الحمل قال ولدت غلامين قال كذلك كانت امهما قال ماتت احدهما قال فما كانت تقوى على رضاع اثنين قال ثم مات الآخر قال فما كان ليبقى بعد اخيه قال ثم ماتت الام قال حزنا على ولدها قال فما الى طعامك قال ذاك حداني على اكله قال اف لك ما الامك قال من تاب صاحبه **وسال** سائل عمر بن هبيرة الفزاري وقد ركب فقال الا انا شيخ من فزاره وعلي دين وعيال فان رايت ان تنظر في امري قال انصرف وغدا تاتيني فانصرف وعاد اليه من غد فقال اصلح الله الامير انا الفزاري الذي سالتك بالامس فقال له ابن هبيرة وانا الذي رددتك امس فقال الاعرابي واحدة من تلك فقال قد تحيرت لا اختار واحدة منهن فقال والله ما اصبح الامير حاتميا حيث يقول

اماوي اني لا اقول لسائل … اذا جاء يوما حل في مالنا نذر

اماوي اما مانع فمبين … واما عطاء لا ينهنهه الزجر

فقد والله سمعت وبيت لك وابن هبيرة من المعروفين بالبخل واللؤم وقدم الحكم بن عبدل الشاعر واسط عليه فاقبل حتى وقف بين يديه ثم قال

اتيتك في امر من امر عشيرتي … واعيا الامور المفظعات جسيمها

فان قلت لي في حاجتي انا فاعل … فقد ثلجت نفسي وقلت همومها

قال انا فاعل ان اقتصرت فما حاجتك قال غرم لزمني في حمالة قال وكم هو قال اربعة الاف درهم قال نحن مناصفوكها فقال اصلح الله الامير اتخاف علي التخمة ان اتممتها فقال اكره ان اعود الناس هذه العادة فقال فاعطنيها جميعا سرا وامنعني جميعها ظاهرا حتى تعود الناس المنع والا فالضرر عليك في ان تعودهم نصف ما يطلبون فضحك ثم قال ما عندنا غير ما بذلنا لك فجثا ابن عبدل وقال امراته طالق ان اخذ اقل من اربعة الاف او انصرف وانا غضبان فقال اعطوه اياها قبحه الله فانه ما علمت حلاف مهين فاخذ وانصرف **وكان** عبد الملك بن مروان يقول لعشيرة بني امية امراؤكم امراؤكم فوالله لا تزيدني طلائع الارض ذهبا بما قاله الاعشى تبيتون في المشتى ملاء بطونكم … وجاراتكم غرثى يبتن خمائصا

وانشد البديع الهمذاني ابنا بنت من الكلام حكمكم … ان تلبسوا خز الثياب وتشبعوا

فاذا تذوكرت المكارم مرة … في مجلس انتم به فتقنعوا **وقال الجرجاني**

فكم حلت من كرم مهان … بعرصته ومن لؤم مطاع

ومن مال مصون السرب يحمى … جوانبه ومن عرض مضاع

واجسام سمينة شباع … واحساب مضمرة جياع

واما الظالم فهو الذي يجمع الى ذلك الاضرار بالغير فكان تقتيره ضربا من الشرارة والعدوان كما هو

وقد لم

عليه اليوم عادة المتخرجين واصحاب التوقلات والاثلاث ياخذون من قوته ضعف بطنه خبز السميذ لمن
يتشمم من لحم الطيور ويسلبون من عبوة القرموز ما ذي به روز القصب والصيد انشد

اجيز كذا فرذا او صحي منعم ۞ يصيح بلد مرة ووصيف
ويتشم من لحم الدجاج وتخمها ۞ واذي يقبل يشتري برغيف
ولو قيل حرف واحد ما جوابه ۞ لا خطاني تفسيره بحروف

والثريد في القصر الظالم ۞ جوفان ياكل من زادي ويسكني ۞ كيما يقال عظيم القدر مقصود
وقال آخر ۞ ولم ار ظلما مثل ظلم ينالنا ۞ يساء الينا ثم نؤخذ بالشكر
وعلى ان الشاعر في علة هذا التقتير وسبب هذا المنع بين ضيق الصدر وشرارة النفس فقال

ثلث فلم تقعد وادركت حاجتي ۞ تولى سواكم حمدها واصطناعها
ابى لك كسب الحمد راي مقصر ۞ ونفس اضاق الله بالخير باعها
اذا ما اردته على الخير مرة ۞ عصاها وان همت بشر اطاعها

وحكي ان ابا عبيد الله بن عبد الاعلى الكريزي خاصم مولى لهم في ارض الى سوار بن عبد الله وكان جده اقطعها
جده فقال سوار الا تعجب بك من هذا انه زعم في ارضي اقطعها جدك بجده فقال الكريزي للحجيج
اعقد من الطائر فنكس سوار طويلا ثم رفع راسه فقال اردد على قريش اخطارها هذه اقسام احوال
الانفس في الحال والكتابة والجود والبخل به واما امر القوم فابى الله ان يعلو البخيل بجناحهم او يطير
المنع بجناحهم وقد ارتقت الحال عن السخاء الذي هو اعطاء البعض وامساك البعض وعن الجود الذي هو
بذل الاكثر وامساك الاقل وعن الجود الذي هو بذل الموجود الى الحال الرابعة القصوى وهي الايثار
بالبلغة والاعطاء عن ضرورة الخصاصة فقال بعضهم ليس السخاء ان يعطي الواجد المعدم
انما السخاء ان يعطي المعدم الواجد وانشد

جاء الشتاء وما عندي له ورق ۞ بما وهبت ولا عندي له خلع
كانت فيه دها جود لعتبه ۞ وللمكارم ايضا بالندى ولع

وقيل الجود هو اجابة الخاطر الاول ومعناه ان كل سؤول اذا ورد عليه سائل يسمح نفسه اول وهلة
او ان شاء رجعت نفسه الثانية بسبب حب المال ودعاء الشيطان الى البخل كما قال الفرزدق

لكل امرئ نفسان نفس كريمة ۞ واخرى يعاصيها الفتى او يطيعها
ونفسك من نفسيك تشفع للندى ۞ اذا قل من احرارهن شفيعها

وقيل البخل عندهم هو استقلال القليل واستكثار الكثير كما حكى احمد بن علي النفيسي قال سمعت الشبلي
وقد دخلت عليه يقول اصفعونا اي صفع فقلت يا سيدي الخبر قال قيل لي انك بخيل فقلت وعزتك

ما انا بخيل فقيل لي انك بخيل فقلت لا وعزتك عزمت ان لا انال الشيء في يومي الا دفعته الى اول من
يلقاني فاتممت عندي حتى دخل علي صاحب لموسى الكبير بصرة فيها خمسون دينارا وفي بعض النسخ
بصرة فيها مائة دينار فاخذتها وخرجت فاذا فقير بين يدي مزين قد حلق له راسه فناولته الصرة فقال ادفعها
الى المزين فقلت انها دنانير فقال الست قد قيل لك انك بخيل فناولته المزين فقال المزين نوينا
لما جلس الفقير بين ايدينا ان لا ناخذ منه شيئا فرميتها في الدجلة فانصرفت وانا اقول ما انت
الا فقير فضحك الله وحكى ابو القاسم الدمشقي قال كنت واقفا على حلقة الشبلي في جامع المدينة فوقف سائل
على حلقته وجعل يقول يا الله يا جواد فتاوه الشبلي وصاح وقال كيف يمكنني ان اصف الحق بالجود ومخلوق
يقول في شكله ۞ تعود بسط الكف حتى لو انه ۞ ثناها لقبض لم تجبه انامله

تراه اذا ما جئته متهللا ۞ كانك تعطيه الذي انت سائله
ولو لم يكن في كفه غير روحه ۞ لجاد بها فليتق الله سائله
هو البحر من اي النواحي اتيته ۞ فلجته المعروف والجود ساحله

ثم بكى وقال بلى يا جواد انت الجواد فانك اوجدت تلك الجوارح وبسطت تلك الهمم ثم مننت بعد ذلك
على اقوام بالاستغناء عنهم وعما في ايديهم فانت الجواد كل الجواد فانهم يعطون عن محدود وعطاؤك
لا حد له ويفتقرون اذا اعطوا ولا تفتقر من العطاء ولا تعجز عن الجزاء فيا جوادا يعلو كل جواد وبه جاد
كل من جاد ۞ لنا سيد اربى على كل سيد ۞ جواد حثا في وجه كل جواد
فما سار بنا بالليل الا تخير ظلمة ۞ فان سار نورا كل بلاد

ومن حكاياتهم في الجود وما يتعلق به ان التجار دخل الى فتح الموصلي فقال يا فتح واسيتني فاخذ بيده فادخله السوق
ونزع جبة كانت عليه فقال من يشتري جبة فتح فقال السائل ما تصنع يا فتح واشتراها بعشرين واحدة
الي واخرى لك فقال لنقار قذف الله رب العالمين فضاح فتح صيحة خر مغشيا عليه فلما افاق رمى بالجبة
اليه ثم دخل المسجد فقال الهي انت اعلم من يتقي ويحبني فعيب فيني فلا ابتليتني لا امسك فاذا
بجبة خير من جبتي وكنا معها فقلت لا حاجة لي فيها فقال انت عبد مملوك والمملوك يبيع مولاه
ويطيعه وهذا بعثه مولاك وكان رجل من السلف ياكل وبين يديه دجاجة مشوية اذ جاءه سائل فوقف
عنه فرده خائبا ثم ارتحل حتى وقعت الفرقة بينه وبين امراته وكان الرجل موسرا فاذهب الله ماله
كله وتزوجت امراته غيره وبينا زوجها الثاني ياكل وبين يديه دجاجة مشوية اذ جاءه سائل فقال
للمراة ارفعي الطعام وناوليه اياه فنظرت المراة الى السائل فاذا هو زوجها الاول فدفعت اليه ذلك ثم
رجعت باكية فقال الخادم ما بكاؤك قالت ان الرجل الذي سال هو زوجي الاول فاخبرته بالقصة
فقال انا والله الذي سالته فحول الله ماله وزوجته الي فهذا من العجائب في الجود والبخل ومن عجائب

قال ابع حيتي

بن محمد الواقدي قال رفعت رقعة الى المأمون اذكر فيها كثرة الدين وقلة صبري عليه فوقع المأمون على ظهر
رقعته انك امرؤ فيك خلتان السخاء والحياء فاما السخاء فهو الذي اطلق ما في يديك
واما الحياء فهو الذي يمنعك من تبليغنا ما انت عليه وقد امرت لك بمائة الف درهم فان كنت قد اصبت
فازدد في بسط يدك وان لم تفعل فجنايتك على نفسك وانت حدثتني وكنت على قضاء الرشيد عن محمد
بن اسحق عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال للزبير بن العوام ان مفاتيح الرزق للعباد بازاء العرش
يبعث الله الى كل عبد بقدر نفقته فمن كثر كثر له ومن قلل قلل له وانت اعلم قال الواقدي لمذاكرة
المأمون اياي الحديث كان احب الي من الجائزة بمائة الف درهم وكتب عبد الله بن العباس بن الحسن العلوي
الى المأمون ان الناس ثلاثة رجل ورث خلافة او اصاب بعض رابته فهو من قبلها في كثير ومن صغيرها
في كبير او رجل ولي ولاية فالملوك لهم رعاية واوراقهم الوسائل جزاء من احرار كثيرة على عزمها
لما احب اليه او رجل خص عيالا وعقل مالا فضعف قدره عن انشاء واحسان فهو كالخدد لا يسع بين
طبق الرحى فلا الطحين الطاحن ولا الاسهاب عند بعضها واما من كان عياله ثلثمائة انسان لا ترجع
الى اثاث ولا ضيعة ولا صنعة تقتضيه الايام مؤونتها الا ما اهله امير المؤمنين فان ابواحا له ان لم تتداركه
امير المؤمنين بفضل منه فامر له المأمون بخمسمائة الف درهم فاتاه عبد الله بن الامين والقسم بن الرشيد
فقالا يا امير المؤمنين تامر لعبد الله بن العباس بمثل هذا المال فاقصتنا ونحن اسرتك ورحمك فقال
عليكما مؤونته ولعلكما دون خلته وقد اجلتكما شهرا فان تكلمتما بمثل كلامه اضعفت لكما ما امرت
به له وحج الرشيد فوقفت له امرأة من طي فقالت فقال من انت قالت من طي قال اهل الفضل والكرم
قالت ومثلك يعرف لاهل الفضل فضلهم فقال الرشيد ما الذي منع ان يكون في طي مثله يعني حاتما قالت
الذي منع سائر العرب ان يكون فيهم مثلك فقال الرشيد هذا هو الجواب المسكت وتعجب منها ومن سرعة
جوابها وامر لها بجائزة سنية فقالت جعلت شكرا او اكتسبت شكرا واستوجبت اجرا فبسط الله يديك
فيما اعطاك واوزعك شكر ما خولك وجعل اياديك بنعمتك واحسانك ابدا رعيتك نوالك [illegible]
محتاج العاملون الى نوالهم فقال لابي العتاهية وكان بين يديه اكتب ما سمعت فكتبه وكان الحسن
بن سهل من كرام الناس راى سقاء في داره فدعا به فقال له ما حالك فشكا اليه ضعفه وان له ابنتين
اراد ان يزوجهما او يزوج احداهما فاخذ الدواة ليوقع له بالف دينار فاخطأ وكتب الف الف درهم فاوصلها الى السقا
وكيله فانكر ذلك واستعظمه وتحيروا في امره فاتوا الحسن بن عباد واخبروه وكان من اكابر اقاربه الحسن
وقال ايها الامير ان الله لا يحب المسرفين فقال نعم ليس في السرف خير ولا في الخير سرف فذكر له امر السقا فقال
انما اردت الف درهم واذ جرى ذلك فوالله لا رجعت عن شيء خططته فصولح السقا على جملة منها ودفعت اليه
وعثمان هذا من الاجواد وحكى ابو حسان الزيادي قال اضطرني [illegible] شديدا فاقمت في المسجد الصلوات فاذا

انا بشخص حيالي ادنا الى الارض ينظر الي واذا رفعت راسي اطرق ففعل هذا مرات فدعوت به وقلت له ما شانك
فقال اني رجل جار هذا المطر فسقط بيتي ووالله لا اقدر على بنائه فاقبلت افكر من له حظ من الى عثمان
بن عباد فركبت اليه وذكرت له شانه فقال قد دخلني له رقة فهذه عشرة الاف درهم فكتبت ابيد
تفرقتها فادفعها اليه فبادرت اليه وهو بالباب فاخبرته فوقع مغشيا عليه من الفرح فلا افاق قالوا
سمعنا فقد خلت الى عثمان فاخبرته فامر [illegible] على وجهه حتى افاق فقلت ويحك ما بالك
فقال ورد علي من الفرح ما ازال بي ما ترى وبعد ثنا مليا فقال عثمان فقد دخلني له رقة قلت
احمله على دابة فقلت ان الامير قد عزم في امره على شيء امر بان يحمل فقال لا قد حملت على دابته
قال احسن الله جزاه من صحبتنا ساعة فقال قد دخلني له رقة قلت فما تصنع به قال اجري له رزقا
واضمه الي قلت قد عزم الامير ان يجري لك شيئا وبعثت اليه فدعا له ودفعت البدرة الى الغلام يحملها
فلما سرنا ونحن ببعض الطريق قال ادفع الي البدرة احملها على عنقي فقلت له الغلام يكفيك فقال
انتم تحملها على عنقي من عنده بها على عثمان تجد وحنة الى نفسه وحكى انه بمصر كان رجل اسمه [illegible]
للفقراء شيئا ولد لبعضهم ولد قال فجئت اليه فقلت ولد لي مولود وليس معي شيء فقام معي ودخل على
جماعة فلم يفتح بشيء فجاء الى قبر رجل وجلس وقال رحمك الله كنت تفعل وتصنع واني درت اليوم وكلمت جماعة
في دفع شيء لمولود فلم يتفق لي شيء ثم قام هذا الرجل واخرج دينارا فكسره نصفين وناولني نصفه
وقال هذا دين عليك الى ان يفتح لك شيء قال فاخذته وانصرفت فاصلحت ما اتفق لي به فرأى ذلك
الرجل المحتسب تلك الليلة ذلك الشخص في منامه فقال سمعت جميع ما قلت وليس لنا اذن بالجواب ولكن
احضر منزلي وقل لاولادي يحفروا موضع كذا ويخرجوا قرابة فيها خمسمائة دينار واحملها الى
ذلك الرجل المولود له فتقدم من غده الى منزل الميت وقص عليهم القصة فحفروا الموضع واخرجوا الدنانير
وجاؤا بها اليه فقال هذا مالكم وليس لرؤياي حكم فقالوا اتعد الله هو يتسخى ميتا ولا نتسخى احياء
فلما الحوا عليه حملوا الدنانير الى الرجل صاحب المولود وذكروا له القصة فاخذ منها دينارا وكسره
بنصفين فاعطاه النصف الذي اقرضه وحمل النصف الاخر وقال يكفيني هذا فتصدقوا بها
على الفقراء فلا ادري اي هؤلاء اسخى وحكى محمد بن عباد المهلبي قال دخل ابي على المأمون فوصله
بمائة الف درهم فلما قام من عنده فرقها على اصحابه وحين عاد اليه عاتبه المأمون في ذلك فقال يا
امير المؤمنين منع الموجود سوء الظن بالمعبود فوصله بمائة الف درهم وقام رجل الى سعيد بن العاص
فسأله فامر له بمائة الف درهم فبكى فقال له سعيد ما يبكيك فقال ابكي على الارض ان تأكل مثلك فامر له
بمائة الف اخرى ودخل ابو تمام على ابرهيم بن المهدي بابيات امتدحه بها فوجده عليلا فقبل
المديح وامر حاجبه ينيله ما يصلحه وقال عسى ان اقوم من مرضي فاكافيه فاقام شهرين فاوحشه

طول المقام فكتب اليه ✿ ان جرانا قبول مدحتنا ✿ وترك ما يرتجى من الصفد

✿ كما الدنانير والدراهم في البيع حرام الا يدا بيد ✿

فلما وصل الخبر هيم البستان قال الحاجب كم اقام بالباب قال شهرين قال اعطه ثلثين الف وحبني

بدواة فكتب اليه ✿ اعجلتنا فاتاك عاجل برنا ✿ قلا ولو امهلتنا لم نقلل

✿ فخذ القليل وكن كانك لم تقل ✿ ونكون نحن كاننا لم نفعل ✿

وقدم زياد الاعجم على عمر بن عبيد الله بن معمر وهو امير فارس من قبل مصعب فانشد

✿ اني وارضا انت فيها ابن معمر ✿ كمكة لم يطرب لارض حمامها ✿

✿ اذا اخترت ارضا للمقام رضيتها ✿ لنفسي ولم يكبر علي مقامها ✿

✿ وقد كنت ادعو الله في السر ان ارى ✿ امور معمر في يديك نظامها ✿

فقال لقد رايت ذلك يا ابا امامه فقال

✿ فلما اتاني ما اصبت تباشرت ✿ بناتي وقلن العام لا شك عامها ✿

✿ فقال صدقن فهو عامهن فقال ✿

✿ وكنت امني النفس منك ابن معمر ✿ اماني ارجو ان يتم تمامها ✿

✿ فقال قد تمت ان شاء الله فقال ✿

✿ وكنت كصنو النخل لا عيب دونه ✿ فكيف ابا حفص على ظلامها ✿

✿ فقال لا كيف فقال ✿

✿ فلاقوا كالجري الى راس غاية ✿ يرجي سماء لم يصبه غمامها ✿

فقال لست كذلك واعطاه ثلثين الف درهم وعشرين بخاتي وجارية وغلاما فقال والله يا ابن

معمر لقد اعطيت فاجزلت وبذلت فاحسنت ولطفت فاكرمت فقال هكذا الله يعني بك كما قدرت

وكان معن بن زائدة عاملا لعلي العراقين فحضر بابه شاعر فاقام مدة واراد الدخول على معن فلم يتهيا

له فقال يوما لبعض خدم معن اذا دخل الامير البستان فعرفني فلما دخل اعلمه فكتب بيتا على خشبة

والقاها في الماء الذي يدخل البستان وكان معن على راس الماء فلما ابصر الخشبة اخذها فاذا فيها

✿ ايا جود معن ناج معنا بحاجتي ✿ فما لي الى معن سواك شفيع ✿

قال من صاحب هذه فدعي بالرجل فقال له كيف قلت فقاله فامر له بعشر بدر فاخذها ووضع معن

الخشبة تحت بساطه فلما كان اليوم الثاني اخرجها من تحت البساط فقرا ما فيها ودعا بالرجل فـ

دفع اليه عشر بدر اخرى فلما اخذها الرجل تفكر وخاف ان يرجع ما اعطاه فلما كان في

اليوم الثالث قرا ما فيها ودعا بالرجل فلم يوجد فقال معن حق علي ان اعطيه حتى لا يبقى في بيتي

من درهم ودينار وحكى ابن الاعرابي قال كان الحبيبي الضبي في شرف من قومه وكان دميما ضئيلا له

زياد ذات يوم كم عيالك قال تسع بنات قال فاين هن منك قال انا احسن منهن وامهن اكمل مني فضحك وامر له بالف

فقال ✿ لو كنت من زاد الرجال لنفعهم ✿ فما بدر زيادا او ابا لـ زياد ✿

✿ يجيك من يعطيك الحمد ماله ✿ اذا اثنى بالمعروف كل جواد ✿

ولما اذن جعفران الموسوس على ابي دلف وعنده احمد بن يوسف فقال ابو دلف ما لنا

والمجانين فقال احمد ادخله فلما دخل انشا يقول

✿ يا ابن اعز الناس مفقودا ✿ واكرم العالم موجودا ✿

✿ لما سالت الناس عن واحد ✿ اصبح في الاكثار محمودا ✿

✿ قالوا جميعا انه قاسم ✿ اشبه اباه له جودا ✿

فقال ابو دلف يا غلام اكسه واعطه مائة درهم فقال جعفران تامر بان يعطيني منها

خمسة كلما جئته قال ولم لا تاخذها جملة قال لانها تشغل قلبي ولا امن عليها اللص فقال يا غلام

اعطه كلما جاء خمسة دراهم حتى يفرق الدهر بيننا فبكى جعفران فقال ما يبكيك فقال

✿ يموت هذا الذي تراه ✿ وكل شي له نفاد ✿

✿ لو كان شي له خلود ✿ عمر ذا المفضل الجواد ✿

فقال ابو دلف لاحمد بن يوسف ليت كنا نعرف بصاحبك منتي ومثل هذه الحكاية ما يحكى ان عبد الله

بن عباس ادعى رجل من الاعراب بالاله فاسمنها وقدمها وكانها قصور او عذارى حور فقال كيف

تراها قال اشتهت الطيب ومخصب الزاير قال انها لك ولك اجرك فبكى الاعرابي فقال ما يبكيك

فقال اشتاق الهذا الوجدان بعقري في التراب ثم انشا يقول

✿ انت نعم المتاع لو كنت تبقى ✿ غير ان لا بقاء للانسان ✿

✿ ليس شي مما تعاينه الناس ✿ له فيك غير انك فاني ✿

وحدثنا اعرابي من تميم قال نزلت على طائي فنحر لي ناقة فاكلت منها فلما كان من الغد نحر اخرى فقلت

ان عندك من اللحم ما يغني فقال انا اطعم ضيفي الا غبيطا ففعل ذلك ثلثة ايام [illegible]

فلما كان في اليوم الثالث ارتقبت غفلته ونقرته فاستقت قطيعا من الابل فاحصر على الطريق

ووقفت على مضيق فالقم [illegible] ثم نادى الاعرابي انطلب نفسك عنها فقال اريد اية

قال انا نظر الى ذلك الضب فاني واضع سهمي في [illegible] فقال انظر الى اعلى فقار

[illegible] ثم قال الثالثة في كبدك فقلت دونك ابلك فقال لا اخي نسوقها الى الحي لتعد [illegible]

فلما رددتها قال والله ما اجدني عندك تنزه وما ارى فاحملك عليك الا الحاجة فاعطي عشرا من [illegible]

خيا بها فقلت أحتى تسمع مدحك واقصارايت اكرم منك منبافة ولا اهدى لسبيل ولا اروى كفا
ولا اوسع صدرا ولا اندى يدا ولا اكرم عفوا قال فاستحيى فصرف وجهه عني ثم قال دونك القطيع بما كان
لك فيه فهذا وامثاله بين سبق العرب الام في دعوى الحماسه والسماحه وانهم المطاعيم في
الجدب المطاعين في الحرب كما قال **شاعرهم**

مطاعيم اذا اغبرت جمادى عظام في عشيرتها الهامها
كرام في العشيرة عزيز اذا حلت لبادرة حباها
هم ردوا القبائل يوم حنين يجزون المطي على وجاها
وبعضه طي قضوا قديما وكانت تستطيع من اصطلاها

وقال الحلاج في الجمع بينهما ايضا

نعصر باسوق حلد ابها ركابا نسان باعمادها
معلقة برؤس الكماة من وجه بعد اولادها
اى لحد سيف فتيله بها مصرعه سيفين وجا

ومثله لابرهيم بن هرمة لا امتع العود بالفصال ولا ابتاع الا قريبة الاجل
كم ناقة وقد حان نحرها لمستهل الشوبوب في البطل

وحول هذه الابيات حام ابو الطيب **في قوله**

تذكرت ما بين العذيب وبارق مجر عوالينا ومجرى السوابق
وصحبة قوم يذبحون قنيصهم بفضلات ما قد كسروا في المفارق

المجلس الثمانون من كتاب خلق الانسان تفسير قوله عز وجل وفي انفسكم افلا تبصرون يتضمن الكلام في كبر النفس وعلو همتها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله من نعمائه الجنة فلا يحصيه حسبان وجل ثناؤه فلا يستوفيه بيان تولى النعم ولم يستحقها
ابتداء وتجافى عن المواخذة وهو الحرى اعتزالدوام والبقا وقهر العباد بالموت والفنا وجل
ان يماثله شي من الاشياء او يحتاج في صنعه الى الحلفاء كاشف لطفه عن الضرا ونعمه عطفه
بالسراء اذن في دعائه وادنى من رجائه وعم لعطائه وعم سحابه هدى القلوب بضياء
ماله لظلام وشفى الصدور بشفا ما بعده اسقام وسعت رحمته الابرار والاثم ونال رأفته
البري والسقيم وجاور بساقه كل حي محدود وجاز بعاقبة كل امد ممدود فراز كل مطلوب البتة
وفراز كل مصنوع لديه لا يعزب عنه قاصية معلوم ولا تذهب منه ناصية محتوم من طاعه

هو مولاه ونعم النصير ومن عصاه فالنار مثواه وبئس المصير بها استعانتي واعتضادي وعليه توكلي واعتمادي
وبرضاه مقصدي وارتيادي وفي طاعته دوبي واجتهادي اطلع محمد عبده ورسوله سعود الدين
وسعد جدود الموحدين وعضده بالملائكة مسومين وايده بنصره وبالمؤمنين وجعل طاعته ختم
الرقاب ومعصيته حتم العقاب وكلمته سماوة الدرجات العلى وعترته زينة الدين والدنيا فصلوات
الله عليه وعلى آله الذين انار واشعاره واعلوا مناره وتحيات الباقيات وكراماته الدايمات
حال الانسان مع الامور العظام لا يخلو من اربعة اقسام ان كان يوهل نفسه ويرشحها الامور العظيمة
ويحضها بالافعال الكريمة وهو لها اهل وهي به لايقة فهو كبير النفس عظيم الهمة رجيح الراى
ربح المسعى وان كان يوهلها لها وليس هو من اهلها فهو باذخ وان كان لا يوهلها لها ولا كان هو
اهلا لها ولكنه لا ينبغي لها فهو مخلف بذلك وكبير النفس والدون كلاهما استعملا بالامانة
الى ذاته لانه لم يبخسها لما احمل لها ولم يحطها ما لم يكن اهله الا ان الكبير مع هذا الاعتدال
فاضلا بالاضافة الى الباقين والدون ناقص عندهم والباذخ والنذل كلاهما غير معتدل بالاضافة
الى نفسه ما لا فاضل بالاضافة الى غيرهما لما يكون عاقبة الباذخ من الافتضاح والدون سالم ويكون
من حال النذل من الدنو والباذخ ممدوح وكبير النفس سليم من الافتضاح جميل حقيق بالامتداح
لا يفعل الهوى فيدعوه الى الاحجام ولا يستحقه لوم فيصيبه بالاثم ولا يستهويه حرص فيتبع طمعا
ولا بالهيبة يخف فيتكبر عارا ولا انتعش بشهوة ستسف الى قبيح ولا يركن الى باطل فيتدنس بفعل
ذميم فهو حر النفس مصونها بالحجها عن الدنايا وعدل الافعال المحمودها ما نعمها من الماثم وعفيف
الجوارح بسر بها في الخيرات ويكفها عن السوآت شجاع القلب ليس السيف باخشى من جنانه
ولا النار باذكى من سنانه وجواد الكف ولا السحاب الماطر ولا البحر الزاخر وما هو بمنافق وكيف
ينافق المرء من ذله ولا مخاسد وكيف وعقوبة الحاسد من نفسه ولا بطامع والطمع يحدث فتنة
في صاحبه ولا بخيل وكيف لم من ضيق صدره ولا بجازع كيف والجزع على ما فات مهانة
قدر وضعة نفس ولا بحتاز الى غير محبه فهو يحن الى الناس ويستكف ان يحن اليه فيستعبد ويستذل
ذكر افضاله عليهم ويستحق ان يذكر افضال احد عليه ويبالغ في مكافاة الاحسان على ما يستحقه
البادي ويترفع عن التذلل والاستكانة بحادث وان كان كارثا وملما وان كان مولما
ولا يستعدم رحالته في حاجة الى الحد وان تعسر عليه الامر وارهقه العسر ويكون عند ذوي
المقدرة والميسرة عزيز الجانب كريم الجناب رحب الحلم واسع الذرع عزوف النفس وعند اوساط
الناس حلو الشمايل لذن الاعطاف وطا الاكناف ولدى الاستماحة منه كريم العنصر اذا اهتز
هش للكسر نعش المولى ويحتمل الجلي ويرتاح لكرائم الاشراف ويرغب في صحبة الاخيار ويحمل

اوجد

قد رجع

هو مولاه

للعداوة كما يخفض للصديق ويخفض الجناح لذوي الرحم كما يرفع اليد لاحراز المجد والكرم ويستحي من رد سائله ولا يستحي من عجز وتواني في الامور الا في تشييد المعالي ويسوي في المساعي حتى يقصر دون غايته المعالي ويكون في طلبه نيل الآمال ورجاء الامل ومنال الاماني ويخدعه الراي ومسالح الرغبة ومنزع الاهواء ويخرج الاماني ويخفي الوسائل ويجتني الوسائل عنه مخادع ميل لاحد ويكون بالخداع مهجنة وبالتملق ذلة ولا يعجب من تخرق الاية لا يستعظم شيئا ولا يعجب من تقلب الزمان وتنقل الاحوال والاسباب لقاء وبنه بالعادية انما تلاشى الوجه مهما اللقاء الا صيت صدره من خطب ولا يخرج بالفؤاد جبان العزائم سعد صدره في الامور ولا يجبن النية زمن الدخلة لطول مناهزته عظائم الخطوب فلا يخالج صدره بل يشعل بهموم ويحزن بعلاجه ولا يكترث بنائبات الايام بل يتلقاها بصدر وعلما بان الحوادث الاتفاقية من ضروب منها صغيرها عسر الحمل وباحتمالها استدل على كبر النفس وبعضها عظيم المؤنة ويتكلفها استدل على عظم الهمة وعلى العكس لا ان احتمال الصغائر موجب لاحتمال الكبائر واحتمال الكبائر طريق استحقاق المحامد والمآثر وقد ليل حرية النفس وشاهد عظم همتها وكما ان الحال والبسطة في العلم والجسم وان كانت من النعم المطلوبة المتمناة في الفادات ولكنهما متى واقعت صغر النفس مع عجزتها لما بادرت نايبة لقصها ومادة لفسادها كذلك الحال في الالام والهموم وما اصيب من النوائب وفقط في من التوابل بالاضافة الى النفس الحرة المنزه الحيبوم الكبيرة على اعتبار الصفة وسواء هذه المصائب كانت لاحقة في خاصة نفسه او في اصدقائه او في اهله وذويه فان الحال في الموارد الاربعة حال واحدة والامر في جميعها على وتيرة اذ كان لا يبلغ التمام من لم يكن سيرته على نظام ومن لم يدم في منقص طريقته ولم يخالف آخر امره اوله فهو ابتر المساعي مخدوع الافعال متشعب الاطراف فهذا ما بعد من خلال حرية النفس وكبر همتها

وبالجملة تكون كبير النفس ليناً في اكثر الامر عن دناءة الافعال عند مطاوع لذميم الخلاق طويل الهم قليل الغم فان طول الهم من همة النفس وكثرة الغم من همتها ولا ترى الناس حسودا لا يحسد العظام بخبرات سعى للاخبار بالاستحقاق ويكون غيورا لان الغيرة اهتمام عما يسعى للاشرار بغير استحقاق وكذلك يكون حييا لان الحياء ان تالم النفس عند الارتفاع عن النقائص ولا يكون منسوبا لانه ابا لها بلابسة الرذائل ويكون جسورا لان ميزا عن النفس ما بحاذر من الاهوال ليدفعها ولا يكون لجوجا الا في تعالي النفس بما يتم من الافعال لجمعها فيجمع له فرق الفضائل من حيث ملتقى طرق هذه الشمايل وهو على الحقيقة لا يكون لا انسات المعاني اسلاف الا وان يكون في موارد متقابلا منها احلا وكما جاء ذلك في كثير من الشعر قال **البحتري**

دنوت تواضعا وعلوت قدرا … فشأناك انحدار وارتفاع

وقال الرضي

كذاك الشمس تبعد ان تسامى … ويدنو الضوء منها والشعاع

خلقت منية ومنى فاضحت … تموج بك البسيطة او تمار

على الدين او تحمى حماه … فانت عليه سور او سوار

سيوفك من شكاة الثغر برء … ولكن للعدى فيها بوار

كذاك الغمام الجون يسري … وفي احشائه ماء ونار

ابراهيم

يا من يجهها المنايا … ويمنى من عطيتها اليسار

ابن العباس

ولكن الجواد ابا هشام … وفي العهد مأمون المغيب

ابن الرومي

بطيء عنك ما استغنيت عنه … وطلاع عليك مع الخطوب

اذا بدا وجه ذنب فهو ذو سنة … وان بدا وجه خطب فهو يقظان

يقظان من ورع وسنان من ورع … يا حبذا سيد يقظان وسنان

ضاحي الطلائع اذا سالت حاجة … وان سالت نعمة فهو نشوان

يصحبه عزم ويأبى صحو كرم … سحكم فهو صاح وهو سكران

ابو تمام

الجد شيمته وفيه فكاهة … سمح ولا جد لمن لم يلعب

شرس ويتبع ذاك لين خليقة … لا خير في الصهباء ما لم تقطب

فانتج هذه الجمل اختلاف الفضائل باختلاف الشمائل وصح ان حرية النفس وكبر الهمة من افضل الكمالات لانها امهات المحاسن والمناقب المانعة من هبات المعايب والمثالب وقد يتحمل المشايخ في حرية النفس بحكايات صدرت عن همتهم العالية ونفوسهم الزاكية قال ابراهيم بن ادهم الحر الكريم يخرج من الدنيا قبل ان تخرج منه **وانشد** على هذا وهو صورة حاله حين ترك الامارة

وما ادري الايام تنقض مرة … وينقض اجزائي فهو ينكث بيسرها

تجافى عن الدنيا وقد فتنت لي … خواطرها واستقبلته امورها

وقال الحسين بن منصور من اراد الحرية فليصل العبودية ومن صدقت لله عبوديته تنزع عن رق الاغيار حريته ومن تحرز عن الاغيار استرقها ومن نقض الاملاك اشترتها

انا السيد الانام غلام … حين كان فليبلغ كلامي

واذا كنت للانام غلاما … فانا الحر والزمان غلامي

وكان بشر الحافي يقول من اراد ان يذوق طعم الحرية ويستريح من العبودية فليصلح السريرة بينه وبين الله عز وجل **وقال** محمد بن الفضل رأيت حرية العبد في شيئين من رأى نفسه لله استغنى ومن رأى الاشياء لله استغنى عن الاشياء بالله **وقال** يحيى بن معاذ ابناء الدنيا تخدمهم الاماء والعبيد

والبناء الاخرة بخلافهم الاحرار والابرار وقيل الحرية في كمال العبودية فاذا كان العبد صادقا في
عبوديته تخلص عن رق الاغيار ولا يكون للدار عنده مقدار لا يسترقه هواه ولا يستعبده
الاشكال بسبب دنياه لا يجري عليه سلطان الحدثان ولا يكون تحت رق المكونات ولا اسير الملل وقال
بل يكون فرد الفرد لا وجد الا لديه ولا يشغل الا عليه فاذا صدق لله عبوديته خلصت عن رق
الاشياء حريته وشتان بين عبد واحد وبين عبيد ولمن يحيا وميتا وبين عبد الجماعة لا يملكون من امره
شيئا وقيل الحر المحض من لا يكون في قلبه للدنيا خطر ويستوي عنده الذهب والحجر لا يستعبده
عاجل الدنيا ولا يسترقه آجل المنى كما قال حارثة يا رسول الله عزفت نفسي عن الدنيا فاستوى عندي
حجرها وذهبها **وقيل** لحمد بن علي من اعظم الناس قدرا فقال من لا يبالي بالدنيا في يدي من كانت
فكان الزقاق يقول من كان في الدنيا حرا منها كان في الاخرة حرا منها **وقيل** ان الحرية معروفة
بالامانة فاذا تحقق العبد في الامانة واسقط عن نفسه وجوه الخيانة دخل في اول مرتبة
من مراتب الحرية فان العبد ممنوع محجور لعقد الرق والحر مطلق العنان مأذون لفضيلة
العتق وتمام الفضيلة وكمال الرتبة في اعتمال الامانة على الظاهر والباطن والخفي والعالن
وسئل الجنيد عمن لم يبق عليه من الدنيا الا مقدار مص نواة فقال المكاتب عبد ما بقي عليه درهم
وكان ابو العباس السياري يقول لو صح صلوة بغير قرآن لصحت بهذا البيت

اتمنى على الزمان محالا ۞ ان ترى مقلتاي طلعة حر

وقال منصور الفقيه

ليس في الخلق كريم لا ولا في الانس حر ۞ مات احرار البرية فحلو العيش مر

وقال آخر

كل الانام كلا وغر واجهل طريق ۞ فان ظفرت بحر فاحفظه فهو سلو في

وانشد بعض الصوفية

ملكت نفسي وذاك ملك ۞ ما ناله للملوك ملك
فصرت حرا بملك نفسي ۞ فالخلق طرا على ملك

وقال آخر

ومن البلاء وللبلاء علامة ۞ ان لا يرى لك عن هواك رجوع
والعبد عبد النفس في شهواتها ۞ والحر يشبع مرة ويجوع

وفي اشعار العرب وشوارد حكمهم قول **القائل**

وما الدهر الا عابر مثل سالف ۞ وما العيش الا جنة تترجح
وكيف ينام الحر والحر يغلب ۞ ويطمع بعياله المتبلج
وكيف اديم الذل لا بد ضارعه ۞ ولا الرزق محظور ولا انا محوج
الا ربما كان التصبر ذلة ۞ وادنى الى الحال التي هي اسمج
وهل يحمل الحر الاذى وهو ضامن ۞ سرى الليل حال العشا يتبلج

وقد ركب الخطب الذي هو قاتل ۞ اذا لم يكن الا عليه معرج
وربما ضاق الفضاء باهله ۞ وامكن من بين الاسنة مخرج

وممن ذكر الحرية ومدح من عرفها الاعرابي في قوله

يا ليت شعري عن الاصحاب ما فعلوا ۞ حيث استقلت بهم في السير الدار
والله لا علم لي بالقوم ما فعلوا ۞ لكن علمت بان القوم احرار

وقال آخر في تفرق شمل الاحباب في البلاد

رمى الدهر بالفتيان حتى كأنهم ۞ باطراف اكناف البلاد نجوم

وفي مثله يقول الآخر

لئن تنقلت من دار الى دار ۞ وصرت بعد ثوائي رهن اسفار
فالحر حر عزيز النفس حيث ثوى ۞ والشمس في كل برج ذات انوار

وقال ابن الرومي في توحد الرجل الكبير النفس العظيم الهمة بأسره وتفرده بمحاسن من بين عشيرته

سالك في المعالي وحده ۞ حين لا يوحشه طول انفراد
وكذاك البدر يسري في الدجى ۞ وله من نفسه نور وهادي

وقال البحتري

يبين بالفضل اقواما فيفضلهم ۞ موحد بعلو النفس منفرد
توحد القمر الساري بنهضته ۞ والنجم في الليل مزحول به بدد

وقال ابو الطيب فتنة لحي المعنى

امن نبتي والليالي كأنها ۞ تطاردني عن كونه وأطارد
وحيد من الخلان في كل بلدة ۞ اذا عظم المطلوب قل المساعد

وقال في احتمال المشاق

كل يوم لك احتمال جديد ۞ ومسير للمجد فيه مقام
واذا كانت النفوس كبارا ۞ تعبت في مرادها الاجسام

وقال في جريان الامور على مقادير اصحابها **المتنبي**

على قدر اهل العزم تأتي العزائم ۞ وتأتي على قدر الكرام المكارم
وتعظم في عين الصغير صغارها ۞ وتصغر في عين العظيم العظائم
يكلف سيف الدولة الجيش همه ۞ وقد عجزت عنه الجيوش الخضارم
ويطلب عند الناس ما عند نفسه ۞ وذلك ما لا تدعيه الضراغم

ومن توقيع لعبد الله بن طاهر ان الفتوح على قدر الملوك وهمات الولاة واقدام القادم

وقال الصاحب في عظم الهمة وشدة المهتم بها

وقائلة لم عرتك الهموم ۞ وامرك ممتثل في الامم
فقلت ذريني على غصتي ۞ فان الهموم بقدر الهمم

وقال المهلبي: ومن خاف أن الهم يملك نفسه * فأولى به ترك العلى والعظائم
وقال اسماعيل الشاشي: ان الحكم في الدنيا بأجمعها * بمعزل الرأي أمر ليس بالجلل
فهذا من منظوم ما قيل في كبر النفس وعظم الهمة وأما ما صدر عن ذلك في منثور الكلام ونوادر
الحكايات فيحكى أن معوية قال لعمرو بن العاص أي الأخبار تكون في نفسك قال ... يا أمير
المؤمنين قال أخبار لا يكون نجهل أعظم من حلمي ولا ذنب أكبر من عفوي ولا عورة الا وأنا أسترها بستري
ولا فاقة الا سددتها بجودي ولا قلب الا ملكته بعزتي ولا نفس الا علوته بقهري ولا يكون زمان
أطول من أناتي فتبسم عمرو فقال معوية لم تبسمت فاني أعلم أنك ان قلت خيرا أضمرت شرا قال لم تمنيت
الربوبية قال معوية فاسترها علي وهذا صحيح وعام في كل أحد على ما قال بعض العلماء وهو أن
للقلب سلاطين أو آثارا على أربعة أوصاف عليها يدور الانسان وهي الأوصاف البهيمية كالأكل و
الشرب لبقاء الشخص والمواقعة لبقاء النوع والأوصاف السبعية كالتغالب والتقاتل والأوصاف
الشيطانية كالمكر والخديعة والاغواء والاضلال والأوصاف الربانية كالتجبر والكبرياء وطلب
الاستعلاء وأن يكون لكل أحد بحسب أمره وكل شيء على حسب رأيه واشارته فالانسان لما جبلت عليه
نفسه وصنعت له طبيعته من الأمر الرباني يحب الربوبية بطبعه ويسعى للتوحد بالكمال والانفراد
بالأشياء على سبيل الاستقلال فان المشاركة نقيصة ورذيلة لما كان الانفراد كمالا وفضيلة
الا ترى أن كمال الشمس في انفرادها وحدها ونقصها في وجود شيء آخر معها تنازعها في خصائص
آثارها والمتفرد بالوحدة المحض بجلال الصفات الأزلية هو الله تعالى على الحقيقة فان كل موجود
به ومنه وله واليه وكل موجود هو يحوم حول ما هو الكمال في الوجود ومن هذا قال بعض الصوفية
ما من انسان الا وفي باطنه ما صرح به فرعون من قوله أنا ربكم الأعلى ولكنه لا يجد له مجالا وطبعه
من ذلك معالا ولا القول لو قاله مجالا بينه ذلك أن الروح الذي هو في الانسان مختص بالله وسر من
أمر الله فحق أن الله توحد الانسان به وتخلقه فيه دون غيره من الحيوان سوى أنه باقي
الانسان من الأعراض اللاحقة للأشباح والأحوال المتصلة بالأبدان يقف به عن ادراك
منتهى الكمال ولكنه لا يعدمه شهوة الكمال ونفاره عما يضاد كمال ذاته واجتماع صفاته
وتقربه من عدمه وفنائه وأكمل الكمال أن تتعلق أمور غيرك بك ويكون صدورها عنك ومنك
الا أن الموجودات منقسمة الى ما لا يدخل تحت تصرف الانسان ولا نظر استيلائه عليه وتغيير
آثاره والى ما يدخل تحت تصرفه وقدرته كالأرضيات والأول كالسماويات فبقي أن الاطلاع على
بعض أسرار السماويات والالهيات في قدرة الانسان من علمها نوع اقتدار عليها ويمكن
منها فيكون الانسان متألما بألم العجز ونقص التقصير عن التصرف فيها ولذة العلم ان استولى

بعلمه

بعلمه عليها وفي الأرضيات لما كان يجتمع له مع التصرف في جنبة الانسان كمال القدرة عليها
من الجهتين فالقدرة كمال لنا والكمال من أوصاف الربوبية وذلك هو مطمح همة كل نفس ومنتهى محبة
كل قلب الى أن ينتهي الأمر نحو المعرفة الحقيقية الموصلة الى لقاء الله تعالى وان كان أكثر
أسباب المعلومات وأحوال المقدورات لما كان شوق الانسان مما لا يمكن ونقصانه مما لا
يزول لعلي ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا فاذن
مطلوب كل أحد هو ما به كمال ذاته علما وقدرة ودرجات الكمال متفاوتة بحسب المفهوم والمسلم
فاختلف لذلك المطالب والمناحي وكان ذلك لا يجب التوصل الى قضاء الشهوات واللذات وما هو
من ضرورة الحاجات ولكنه لأمر وراء ذلك من الكمال الحقيقي في العلم والقدرة وكمال العلم لله
تعالى من جهة كثرة المعلومات وانشعاب طرقها ومن حيث تعلق العلم بالمعلوم على ما هو به من غير التباس
شيء منه ومن حيث استواء العلم على وجه لا يزول ولا يحول حتى كان علم الانسان بشيء من الأشياء
أقرب الى هذه الأوصاف كان ذلك الانسان أقرب الى الله وأكرم عليه ومتى ما كان موضوع العلم
أسرع الى التغيير والتبدل وطلوع الاضمحلال والانتقال كان وصفه أبعد من التمام والكمال وعلى
العكس نحو العلم بالله وصفاته وبأفعاله وما فيهما من الحكمة البالغة والرحمة السابغة في
ملكوت السماء والأرض وأحوال الدنيا والآخرة فكل ذلك من الكمال الحقيقي يزداد به العبد الى الله
ولا يسلب عنه بالموت ولا يفارقه في الحشر ويكون نورا له بعد الموت يسعى بين يديه وبأيمانه
ويكون لما يكشف له من ذلك بعد موته بمنزلة الزند لما يقدح به من النار والينبوع لما
ينفجر من الماء فيستكمل النفس عنده لذة ما لذات النفوس مجبولة اليه لو برز فيها بعادته
عليه هذا في الكمال العلمي فأما ما هو من قبيل القدرة فليس للعبد فيه من قدم الكمال والاستقلال
ما لا من ذلك في القبيل العلمي بأن قدرة العبد واستطاعته منتجة وعارية عنده
وغير باقية له بعد موته عليه الموصل الى الله فأما القدرة التي هي له
من غيره معرضة للزوال وطلب الكمال من المعرض للزوال المعروض على الانتقال محال ولهذا كان
أكثر الناس جاهلين وفي غمرة جهالهم ذاهلين فيما يظنون من بلوغهم درجة الكمال من قبيل القدرة
على الأجساد بنهر الحشمة والملكة وعلى أعيان الأموال بالجاه والثروة وعلى القلوب بالجاه
والاستطالة فاعتقدوا حقا ما ظنوا وحسبوا أنه علو همة وكبر نفس ونظام أمر واحتوا
ولما اجتمع طلبوه ولما طلبوه تهالكوا عليه وتسارعوا فيه وتكاثروا وتفاخروا فيه
ونسوا الكمال الحقيقية العلمية المقربة الى الله الزلفة من ملائكته وأنبيائه
وأعرضوا عن الحرية الخالصة التي ترفعهم عن ذل الدنيا وعذاب الآخرة ومخلصهم عن

اسر الشهوات وعبودية النفس فكل من كان عن التغير والانتزاع ابعد كان من الحرية اقرب و
بالملائكة اشبه وكل من كان اخلص حرية واتم علما واحاط واوسع نفوذا في الخيرات بالـ
العدل كان من الله اقرب ولديه اكرم وخلوص مثل هذه الحرية لا ينقص لصروف الزمان
وصفاؤها لا يتغير ولا يتكدر باخترام المنون وعلوها لا ينخفض لايدي الصروف وان عميت
هذه الانباء عن الجاهلين الظانين ظن السوء ان كمال القدرة وتمام الهمة بالتي الذي لا يسلم
الآفات فلا يخلو عن الشبهات وان سلمت منه شعبة منها لم يؤمن زوالها وخيف انتقالها
فانقلبوا على وجوههم واكبوا على رؤوسهم واعرضوا عن الحرية الباقية والعلم الابدي مستتر
من العذاب الدنيا بالاخرة فلاجرم لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون وذلك لانهم اقبلوا
على قوله تعالى المال والبنون زينة الحيوة الدنيا واعرضوا عن قوله المعطوف عليه
والباقيات الصالحات خير عند ربك فالعلم والحرية هي الباقيات الصالحات والمال
والجاه كما قال الله تعالى انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات
الارض فاصبح هشيما تذروه الرياح فكل ما تذروه رياح الموت فهو زهرة الحيوة الدنيا وكل ما لا
يسلبه الموت فهو الباقيات الصالحات رجعنا الى افاضل الناس بتعديد عوائدهم ومواقع
كلامهم في تمهات النفوس حكي ان عبد الملك بن مروان دخل على معوية فحدث ونهض فقال
معوية ان لهذا الغلام همة وخليق ان يبلغ به همته على الامير وانه مع ما ذكرت تارك لثلث
اخذ بثلث تارك مساءة الجليس جدا وهزلا تارك لما يعتذر منه تارك لما لا يعنيه اخذ
باحسن الحديث اذا حدث وباحسن الاستماع اذا حدث وباهون الامرين عليه اذا خولف ونظر
عبد الملك الى عمر بن عبد العزيز وهو غلام فقال اني لارى غلاما اوشكت همته ان ترفعه عن الدنيا
وكتب معوية الى زياد ان اعزل الحرث بن جابر فاني ما اذكر قتله بصفين الا كانت حزازة في صدري
فكتب اليه زياد خفض عليك يا امير المؤمنين فقد سود حرث سوددا لا يرفعه عمل ولا يضعه عزل
وعرض على عمر بن عبد العزيز ثوب خز بثلثمائة دينار فاستحسنها فلما ولي الخلافة اشترى
له قميص بعشرين درهما فقال ما الينه فذكر له ما كان منه في الخز قبل ان يلي الخلافة فقال
ان لي نفسا كبيرة تواقة كانت تهوى الخلافة فلما نالتها تمنت سعادة الاخرة وقيل للعتابي
ان فلانا كبير النفس بعيد الهمة قال اذن لا يقنع بدون الجنة وقيل له ان فلانا عاقل قال
اذن لا يبتهج بالدنيا ودخل الاسكندر مدينة فيها افاضل عن اولاد الملوك بها فقال
اهلها بقي رجل ثم يسكن المقابر فدعا به فاتاه فقال له ما دعاك الى لزوم المقابر
فقال احببت ان اميز بين عظام ملوكهم وعظام عبيدهم فوجدتها سواء وقال له الاسكندر

هل لك ان تتبعني فاحيي شرفك وشرف اباءك ان كانت لك همة فقال همتي عظيمة فقال وما هي قال
حيوة لا موت معها وشباب لا هرم معه وغنى لا فقر معه وسرور لا مكروه فيه قال ليس عندي هذا
قال فدعني اطلبه ممن هو عنده وقال الاحنف لك في ما اوطن الا العتبر معتبر ما دخلت بين
اثنين حتى يدخلاني بينهما ولا اتيت باب احد من هؤلاء ما لم ادع اليه يعني السلطان ولا حللت حبوتي
الى ما يقوم اليه الناس وعن محمد بن المنتشر الهمداني قال دفع الى الحجاج ازاد مرد بن هربذ وامرني بان
استخرج منه واغلظ عليه فلما انطلقت به قال لي يا محمد ان لك شرفا ودينا واني لا اعطي على القسر شيئا
فاستأدني وارفق بي ففعلت فادى الي في اسبوع خمسمائة الف فبلغ ذلك الحجاج فاغضبه وانتزعه
من بين يدي ودفعه الى رجل كان يتولى العذاب فدق يديه ورجليه فلم يعطهم شيئا قال محمد فاني
لامر يوما في السوق فاذا صائح بي يا محمد فالتفت فاذا به معروضا على حمار موثق اليدين والرجلين فخفت
الحجاج ان اتيته وتذممت ان لا اتيه فملت فقال لي انك وليت مني ما ولي هؤلاء فاحسنت وانهم صنعوا
ما ترى ولم اعطهم شيئا وههنا مائة الف عند فلان فخذها فهي لك فقلت ما كنت لاخذ منك على معروفي
اجرا ولا لارزاك على هذه الحال شيئا قال فاما اذا ابيت فاسمع احدثك حدثني بعض اهل دينك عن
نبيك صلى الله عليه وسلم انه قال اذا رضي الله عن قوم امطرهم المطر في وقته وجعل المال في سمحائهم واستعمل
عليهم خيارهم واذا سخط الله على قوم استعمل عليهم شرارهم وجعل المال عند بخلائهم وامطرهم المطر في غير
حينه قال فانصرفت فما وضعت ثوبي حتى اتاني رسول الحجاج فامرني بالمصير اليه فالفيته جالسا
على كرسيه والسيف منتضى في يده فقال لي ادن فدنوت شيئا ثم صاح الثالثة ادن لا ابا لك فقلت ما لي
الى الدنو حاجة وفي يدي الامير ما ارى فاضحكه سنه واغمد عني سيفه فقال لي اجلس ما كان من حديث
الخبيث فقلت ايها الامير والله ما غششتك منذ استنصحتني ولا كذبتك منذ استخبرتني ولا خنتك
منذ ائتمنتني فحدثته الحديث فلما صرت الى ذكر الرجل الذي المال عنده اعرض عني بوجهه واومى الي
بيده وقال لا تسمه ثم قال ان للخبيث نفسا وقد سمع الاحاديث فاقتصه اليك وروي ان ابا العباس السفاح
وزوجته ام سلمة المخزومية يوما تذاكرا فجرت عليه ذكر جلالتهم وكبر هممهم وشرف نفوسهم فقال ابو
العباس في بني الناس هو اعظم قدرا واجل نفسا عمارة بن حمزة فقالت لست اصدق بما يحكى عنه
فقال لها هل لك ان تجربيه في شيء خفيف كثير القيمة قالت نعم هذا عقد لي من خالص ومن شأنه
فاخذ السفاح العقد بيده وقعدت ام سلمة وراء ستر ودخل عمارة وهو يخطر في دار الخلافة حتى اذا
وصل الى مجلس السفاح وقضى حق السلام وتقبيل اليد وامره بالقعود فقعد ثم قال يا عمارة انظر الى هذا
العقد فاخذه وقبله ووضعه على عينيه ونظر اليه فقال احسن يا امير المؤمنين قال هو لك فلم يتجلجل منه
ثم قام وترك العقد في المجلس فقال السفاح لام سلمة اليس قد قلت لك فقالت ينبغي ان تحمله فدفع العقد

الى الخادم وامره ان يحمله ويقول له امير المؤمنين وهب لك هذا العقد فانثنيته فقال لعمارة ان كان
كما تقول فقد وهبته لك فخرج الخادم والعقد معه فقام الناس يحمله عقد يوردونه على قال لاولاة وهبته
للرجل فوهبه فلم تزل به حتى ابتاعته منه بعشرة الف دينار ونازع عمارة هذا بعض الناس في ضيعة
واختصما الى المنصور فقال له قم فاقعد بجنب خصمك فقال لم يخصم لي انه كانت الضيعة له فقد قطعت
خصومتي وان كانت لي تركتها له ولا اقوم من مقام شرفني امير المؤمنين بالارتفاع اليه لادنى منه
بسبب ضيعة وعمارة هذا موصوف بكبر النفس وعظم الكبر وعوتب يحيى بن خالد على عظم تيهه وشدة
كبره فقال هيهات هذا شي حملت عليه نفسي منذ الحداثة كما رايته من عمارة بن حمزة فان ابي كان بعض
فارس من المهدي وسئل فحمل عليه الف الف درهم فامر المهدي اباعون بن يزيد بمطالبته بها
وقال له ان ادى يحيى المال قبل ان تغرب الشمس والا فاتني برأسه وكان متغضبا عليه وكانت حيلتنا
لا تبلغ عشر المال فقال لي يحيى ان كان لنا فرج من جهة عمارة والا فانا مقتول فامض اليه فمضيت
وذكرت له حالنا فلم يعرني طرفه وصدم من ساعته بحمل المال الينا فما مضت لنا اشهر جمعنا
المال فقال لي امض به الى الحر الكريم فمضيت به اليه فلما عرفته خبر المال غضب غضبا شديدا
ثم قال لي اكنت قسطارا لابيك فقلت لا ولكنك احييته وابقيت مهجته وحصل المال فرده الي اخر
فقال الي هو لك فلم اجسر على مراجعته وعدت بالمال والخبر الى ابي فرقبت بيحيى صار بالعادة
خلقا لا يمكنني مفارقته * ومن كبر نفس عمارة ما يحكى انه كان يماشي المهدي في بستان ويده في يده
فقال المهدي يا ابن هذا يا امير المؤمنين فقال المهدي فنفسي فقال عمارة كنت انتظر ان تقول مولاي
فانفض يده من يده فقال انا بنو هاشم سوابقنا القرآن ابينا من اهانتنا * وقال عدي بن ارطاة
لوكيع بن ابي سود وعلى ثوب فقال له اذكرتني حين خرج ابيضا الايرخين فضحك عدي
وقال يا ابا مطرف ان احلى لي من جليسه اكثر من هذا فقال ان الاذاعات فكلفنا اما احببت
ثم ركب الحسن البصري فاخذوا يمشون خلفه حتى ركب واستحسن منه ذلك اكبر من كبر النفس مثل
هذا التواضع عن قوة الدين ولما عزل الحجاج امية بن عبد الله عن خراسان امر رجلا من بني تميم
بخراسان فشفع عليه فلما فعل الحبيب التميمي فقال اصلح الله الامير لا تلمني فاني كنت ناموره اقال
يا اخا بني تميم وحدثتك نفسك انه وجبت عليك فقال قد ظننت ذلك فقال ان نفسك عندك
قدرا وكان مالك بن مسمع بن شيبان سيد بكر بن وائل في الاسلام وهو الذي قال لعبيد الله بن
زياد وطسان ثم اللات بن ثعلبة وكان حدث امر ابن مسعود بن عمرو من الازد ولم يعلمه
فقال له عبيد الله وهو احمق فتال العرب وقاتل مصعب بن الزبير ليكون مثل هذا الحرب ولا تعلمني
لقد هممت ان اضرمها عليك نارا فقال له مالك اسكت يا ابا مطرف فوالله ما في كنانتي سهم انا اوثق به منك

فقال

فقال له عبيد الله في كنانتك مثلي والله لو قمت فيها لطلتها ولو قعدت فيها لحرقتها فقال
مالك واعجبه اكثر الله في العشيرة مثلك فقال سالت شططا * ومبلغ من عظم جذيمة بن الابرش
وكبر نفسه انه كان لا ينادمه احد تعظما ويقول انما ينادمني الفرقدان والشاعر في قوله

وكنا كندماني جذيمة حقبة * من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

اراد به الفرقدين وليس الامر كما ذكره الرواة من حديث مالك وعقيل فانهما كانا يجوز عليهما
التصدع والافتراق ولا يجوز ذلك على الفرقدين وهو كما قال القائل

وكل اخ مفارقه اخوه * لعمر ابيك الا الفرقدان

وقيل لابي مسلم صاحب الدولة في حداثته انا نراك تارق كثيرا ولا تنام كانك موكل برعي
الكواكب او متوقع للوحي من السماء فقال والله ما هو ذاك ولكن لي راي جوال وغريزة تامة وذهن صاف
وهمة بعيدة ونفس تتوق الى معالي الامور مع عيش كعيش الهمج والرعاع وحال متناهية في الاتضاع واني
لارى بعض هذا مصيبة لا تجبر بسهر ولا تنال في بارق فقيل له فما الذي يبرد غليلك ويشفي اجاج ذلك
قال الظفر بالملك فقيل له فاطلب قال ان الملك لا يطلب الا بركوب الاهوال قالوا فهيهات العقل مانع من ركوب
الاهوال قيل فانت صريع مات بين حسرة وتذوب كمدا قال ساجعل من عقلي بعضه جهلا واحاول به خطرا
لا ينال بالجهل وادبر بالعقل ما لا يحفظ الا بقوته واعيش عيشا شبيها بالموت فكان حيوف
به من مكان بعيد فان الخمول اخو العدم والشهرة ابو الكون فهذا قول قاله ولو عرفنا الا انما الملك
لما طلب الملك في ان الملك في الاستخدام نفسك لعبانه ومكيف لعبتنا
ما قبلك لها حيلتك والمحوجة ومن همته وقلبه وشجاعته وادبه محمد نصر بن عبد
المنصور حتى كان الحال من شيء كلها له وحتى انه ليتبين الظلم مظلوم وانك اذا التقت
اليه في هذه الحال اشتد غيظك عليه وقلت له يا هذا انما اذا اوحشته وحللت ساحله وجنا ابه
ووطئت بساطه اولا المباشرة في مظاهرته ومضافرته لدفنت على القعادة منك في امره وكذلك
الشرف منك وحشة واوجبت منك خيفة ثم رفت بغضك الى الطرف في دمك * وهلا تركت
حقك ان كان الحق لطالبه الذي قد شئت بينه ثم يا باسم العلات فقول كبوع جواد وبنوع صمصام
وهفوة عالم وجهل واثر اوتعثر حلم وفتنه وقد رفعه وحكم ابرم وكلمتها امثال هذه الامثال
العاجز وعلى العجز وسلوة المقطوع ونبهة المجروح ونفثة من خصم قال ابن عبد الله فيك
واراد عندك فان ذلك قد غشيها امن وعمك فضلا ثم تجمك وانما اذعنت بما عاملت على ما عندك
لانك همت وركت فخفت انه كان هذا المصغ من ظلمك وتقديرك ونظرك في عواقب امورك
فانقطعت بالاهوال ولحكمتها بالامرين وكيف فانك هذا الراي الحاذق وان تنقطع

لذعتها

مثل هذا السهم الصايب وكيف ترك الراي بالري حتى جرب بك السل في كل محل ومرتحل وان كان
محل بصيرتك وحيوي سعيك وثمرة حظك وعامد سهمك ومركز ميلك في باب القضا والقدر هذا
الموكل لا يرتكب من خلق الله ما ارتكبت ولا احتقب من الوزر ما احتقبت ولم تعمل في طلب الدنيا المعقال
ولم تحتمل في نيل اليسير منها العثار ولا تسو بعاقبته ولا تعتمد على بقاء سلامته فان قلت هو كثرت
دفاين الامور وقت ذكرى على الدهور واشفق من اعدا كت لي الطريم ظالما وبلغت ما صرت بهم
مشارا اليه وهذا هو ثمرة الخوع وازالت ملكا وابقت ملكا وابدت بني مروان وشيدت بني العباس
وهذا غاية شرف الدنيا فليس هذا الكلام من وقفه هو مثلك بين يدي ابي جعفر متنصل اليه ومعتذر
وتلوذ بالطرافه وتتحبب هنا يسمع منك اذا سلمت من هذه الغائرة الضارية للبدين وانعم على ابلك انما
سيلت عن الغاية التي لها رجوع وقد بلغت ما بلغت وقلت كما قلت ومن بعيد ذلك ابن مقبلك
والى ابن مصيرك اما علمت يا مسكين انك لو صرت الى تخفيف الظهر من الاوزار وتخميص البطن من الاموال
مقصوص الطرف عن الحرام لكان الله جارك والمؤمنون انصارك والجنة دارك ودعوى هذا الفصل في
صورة تمر وسورة سوقة ايت يكون الوعظ انجع والذكرى انفع والعبرة اوقع فايانا الا يكون نصيبك منها
التيقظ والاعتبار وطلب ما هو الانفع عند الله يوم تبلى الاخبار وتبلى الاسرار وتحصى الاعمال ليجزي الذين
اساؤا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى نفعنا الله واياكم بما القى الينا ولا جعل فيهما
لغيرنا رقا ذاتيا في انفسنا ووفقنا للعمل باحسن ما يدل عليه وانفع ما يعود اليه انه مالك الافكار
والخواطر والعالم بالعلانية والسرايبر

تم المجلس

المجلس الحادي والثمانون من كتاب خلق الانسان تفسير قول الله عز وجل وفي انفسكم افلا تبصرون في عدل الانفس وانصافها

بسم الله الرحمن الرحيم

نشهد بما يشهد به الثابي والجاحد ويدل عليه الحق والمعاند انه الملك الحق المبين ذو البطش
الشديد والكيد المتين والطول العميم والحق العظيم اهل الحمد والثنا وولي الرفد والعطا
اقام بالعدل الارض والسما ووضع بالميزان السوابغ الالاء وسوابغ النعما ويوفي الجزاء ويكفي البلاء
ويحق الحق وينصره ويزهق الباطل ويقصمه ويقيم القسط ويزينه ويرد الجور ويحيده بكف فضل الله فيه
والخصاصة ويرعى عدله العامة والخاصة لا يغيره الزمان بكروره ولا يخلقه الدهر بمروره ليس لملكه
زوال ولا لعزه انتقال ولا لوجوده اول ولا لجوده بخل ولا لامره معارض ولا لحكمه مناقض ولا
في تدبيره اهمال ولا لافعاله امثال لا تدركه الابصار ولا تبلغه الافكار ولا تعده المقادير ولا
تحده الاقطار ارسل محمدا عبده بالهدى ولطفه وامتن بالملائكة ونصره وجعل كلمته في كيف لا يرام

بطول نعمت لا يسمه الاوهام حتى محص به الحق من المجانبة وكسر الباطل على الاعقاب وفتح الدين من
الغم ان قد الكلمة في البلاد والعباد وعادت انوار الدين بعد خمادها واشرقت دولة العرب بكل معاليها
ومعادها صلى الله عليه وعلى اله التابعين في طلبا قد الدين اذا اقصرت المجباد القاعدين في مصيبات
الغزا اذا قصرت الاجساد العدل اصل كل خير وعليه مدار كل امر وبه قامت السموات والارض وهو ميزان
الله القسط في الدنيا والاخرة وكذلك جملة العالم منضودة بخاصية الاعتدال ولولا وجود الاعتدال في
موجودات العالم من السموات افلاكها وكواكبها واثارها وادوارها ومن الارضيات حيوانها ونباتها
وجواهرها الموجودة في بطونها على غير الاعتدال بزيادة او نقصان لما انتظم للعالم الثبات اصلا
ولما صح له البقاء يوما فمن اجل ذلك جميع الاشيا ونظامها وملاكها وتمسكها بخاصية الاعتدال وكذلك
ليس من الفضايل كلها الا ما اعتدال الاحوال بين الافراط والتقصير فالعدل ايضا اصل جميعها واسنوا
طريقها تام الاحوال وحقيق بمعنى هذا الوصف ليحافظ عليه ويوجد كتاب الطالب اليه من اربعة اوصاف اما
ان يكون بفعل من افعال النفس او قوة تصدر عنها الفعل بوجه او علما تحقق معنى العدل او هيئة
نفسانية تصير الانسان بها عدلا وهذا الوجه الاخير هو الوصف الصحيح المؤثر لا ان توصف ذاتا ووصف فعل
ومن اجل هذا المعنى صلح العدل ان يكون اسما ومصدرا والهيئة غير القوة وغير العلم لانه لا يجوز ان يكون
القوة للضدين واحدة وكذلك العلم بالضدين والملكات والهيئات المعاني المتضادة فهي ابدا في انفسها
متضادة الا ترى ان القوة التي بها فعل البدن الدم هو تركيب الجسد من الاشياء المتضادة وبهذا
فعل البدن الصحة والعلم بماسية الصحة بعض العلم بماسية المرض وليست الحال في الهيئة كذلك فالهيئة الفاعلة
للمرض غير الهيئة والقابلة للصحة فهذا والذي يبين ان الاوصاف لا يكون من الافعال او غير الصفة قد
تصدر عنها افعال الاعتدال وغير المجدي بها لا بافعال الاتحاد وكذلك تحصر العدل بفعل العدل التشبه لعله
ومن هنا اختلف الغرض لافعال اتخاذها لما يخادن امر ابطحها في ما طها واخر يخادن مهما مشققا او واحد
يفر من الزحف جبنا وخورا واخر يفشله وتثبيطا فاذا ثبت هذا فالذي يجلي العدل والانصاف
بتمامه سوى افعاله وصدوره الفاعلين ليس بعادل بل هو فاعل ظالم وسامع سماعم فينبغي ان يعرف
من العدل وما العدل على الحقيقة ومعلوم ان هذا اللفظ في اللغة يتضمن معنى المساواة واقل ما يصح فيه
المساواة هو اثنان فلا يوصف فيها الفرد فاذن لا يتطرق معنى العدل والنصفة الا في شي يشترك
فيه اثنان فصاعدا والمشتركات بين الناس اما تقسيمية كالحقوق والاملاك واما معاملية
والمعاملية اما ضرورية كالبياعات والاجارات والكفالات والمناكحات ونحوها واما اخذية كاسباب الجنايات
واحكام الجنايات فيلزم العدل والانصاف الا بوقيعة المشتركات حقوقها بقدر الاستحقاق في الاخذ و
الاعطا ولا يتم ذلك الا على اربعة معان الماخوذ والمعطي والاخذ والمعطى والاخذ والمعطي متساويان في

والماخوذ والمعطي هما اللذان يقع بينهما المساواة فمتى كانت هذه المعاني متساوية متكافية كانت صفقة العدالة
وافرة وافية ومتى اختلفت نسبة بعضها الى بعض آل الامر الى الجور بقدرها فمتى كانت نسبة الاول الى
الثاني كنسبة الثالث الى الرابع فمكان التقابل والتبادل على التلاؤم والتعادل كانت شريطة العدل
مرعية وسيرة المعاملة مرضية ومتى اختلت بان اخذت القوة من الجزاء اكثر والعهد دون الشرا اقل صارت
كذلك المصالح صحة احوالها فاسدة واصبحت العدالة على ام راسها مكبوبة وينبغي ان يعلم ان الذي
حفظ الناس على الحوال المكافية في الذي يفصل بين الجائر والعادل في الاشتراكات العامة وصنف البعض
عن البعض في المعاني النافعة والضارة وسطل الزيادات والنقصانات على خلاف الناس سوى الشريعة ولولا
عدل الشريعة لكان كل احد يستوفي من الامور النافعة لنفسه النصيب الاوفر ويريد لصاحبه الحظ الاخس
الادنى وعلى العكس في الامور الضارة ولو اطرحنا ذلك لا اقل ولا اكثر مثله وعاد الركاني في الصالح
على قدر المناسبة الموجودة في الطرف الابعد من التنازع والمخالفة فكان لا يتم صلح ولا يخلص
ملك ولا يهنا عيش ولا يصفو حال واقتضى هذا الصلاح النافع العظيم الربانيين من القضاة والمفتين
تعظيم الملوك لسادتهم والجند لقادتهم فهم الذين يقومون ميزان القسط وينفذون احكام الشرع
ولهذا ما قيل ان القاضي شريعة ناطقة والشريعة قاض صامت ويتبين هذا ان كل فضيلة و
على الاطلاق فانها من الشريعة كما الجز من الجمل والمستنبط والفرع من الاصل وان
الانسان اذا حزبه امر ودهمه خطب لا ينبغي له ان يستقل بالتدبير ويستبد برايه فان اكثر الصواب
في خلاف مخطية التقدير ولكنه ينبغي ان ياتي له دين فيستفتي شوره ويقتدح من زناده او يعرضه
على حكم الشرع فيسله ان كان له علم باحكام الدين فانه النجاح كالاخذ بالبيعة فاذا لا يستغني
الانسان طرفة عين عن الدين لانه محل معيشته في العاجل ولانه محل سعادته في الاجل
ولهذا ما قال في الحكمة القديمة من لم يعظم الدين قتله الدين وكفى في هذا شاهدا قاتلا وشاهدا
ما ناله الوليد بن يزيد على ما حدث ابن عائشة القرشي قال لما اشتعل على قول الوليد بن يزيد

الا من مبلغ الرحمن عني ... بانى مفطر شهر الصيام
فقل لله يمنعني شرابي ... وقل لله يمنعني طعامي
اتسلبني اذا ما كنت حيا ... وتحيني اذا ما مت عظامي

غاشرة حتى اساء له وقتله ولما قتله يزيد بن الوليد ابن عمه خرج الى الناس وعليه ثياب
ابيض متقلد السيف الحمائل فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه وقال ايها الناس اني لم
اخرج طلبا للمال ولا ارادة للدنيا ولا غضبا لنفسي ولكني لما رايت قد طفئ نور الهدى وهدمت
اعلام التقوى وظهر الجبار العنيد المظهر للبدعة المنتهك للحرمة الذي لا يؤمن بالكتاب ولا يصدق

من ع

بيوم

يوم الحساب شريكي في تيهي وكبري في جنبي اخزاه الله في جماده حتى قتله الله وطهر منه البلاد و
اراح العباد وكلا ينتهم عزوجل الحق وعناية للدين والحمد لله رب العالمين ايها الناس انما الامر
لله والدين دين الله والطاعة طاعة الله فمن اطاع الله فاطيعوه ومن عصى الله فهو اهل ان يعصى اقول
قولي هذا واستغفر الله لي ولكم وشرب العباد في يوم البرامكة عند فتنه فخرج مستقرا بحبل الهو فشرد على
الله فقال الاخيار اخوان تستودعوني فيما بيني وبين منى لحى وتفرجه عليه وبقي بحيلة الكتاب ودماغه
يتقي وذكر فارس بن بنان قال قال ابو نوبه حاجب المتوكل بعثني المتوكل الا اترك محمد بن علي الرضا
اذا جاء الى الدار ينزل الا حيث ينزل العامة بعدما كان ينزل مع بعاوو صيف فاعلمته ذلك فقال
ارجو ان لا اكون عند الله دون ناقة ثمود فقلت يا سيدي ما معنى هذا قال ان الله غضب لناقة ثمود
فانزل بآل ثمود ما انزل بعدها الا بقضي لابي فاطمة بنت نبيه فاضت على المتوكل الا بضعة عشر يوما
حتى قتل على سريره في مجلس انسه ولهنه وسنذكر في آخر المجلس اذا فرغنا من شرح امر العدل والاعتدال
ما يكون لمن ارتاح من اطاع اولي الدين وجمع ايهم واستقضاهم هو منقول في هذا الموضع بان الاعتدال
على ضربين معتدل في ذاته ومعتدل بالاضافة الى غيره فالمعتدل في نفسه مثل الستة من العشرة
والاثنين فانه زيادة العشرة على الستة مثل زيادة الستة على الاثنين فهو معتدل في نفسه من كل
الطرفين وكذلك كل عدد اشبه هذا وهو المعتدل الذي لا يزيد ولا ينقص فان ما هو معتدل بين العشرة
والاثنين لا يكون في وقت من الاوقات وبلد من البلاد غير الستة وما هو معتدل بين الستة والاثنين
لا يكون سوى الاربعة والمعتدل بالاضافة يزيد وينقص في الاوقات المختلفة وبحسب اختلاف الاشيا
التي اليها اضافة مثل الغذا القليل للصبي هو المعتدل للرجل التام كذلك وبحسب اختلاف اسنانهم واختلاف
حال بنيتهم فكان المعتدل في احدهما غير المعتدل في الاخر في مقداره وعدده وغلظه ولطافته
وثقله وخفته وهذا المعتدل هو المستعمل في الاقوال والافعال والاخلاق والاداب فان الافعال انما
ينبغي ان تقع كميتها في العدد والمقدار وكيفيتها في الشدة والضعف بحسب الاضافة الى الفاعل
والذي اليه الفعل والذي لاجله الفعل وبحسب الوقت وبحسب الامكان مثل الادب فان المعتدل منه ما هو
بحسب حال من يؤدبه وبحسب الشي الذي لاجله الادب وبحسب الوقت والمكان الذي هو فيه وكذلك الضرب
والعقوبة فالمعتدل في كميته وكيفيته بحسب الضارب والمضروب وبحسب الآلة التي بها الضرب ومن هنا
اختلف حكم العقوبة في الشرع من بين اعراض ووعظ وحبس وضرب قليل وكثير سهل وشديد
والجناية واحدة ولما كانت الآلة التي تقتل بها في نفسها مختلفة بين ما يقصد به القتل غالبا
وبين ما يقصد به التاديب عادة اعتبر اكثر الفقهاء في وجوب القصاص بينها ما يقصد به القتل وبين
التاديب فيما كانت القوى والبنى والمواد متقاربة غير مختلفة غير متفقة الفى اكثرهم ضمنها

والمريض بحسب هذا الاعتبار ما هو انسب في الاشخاص والمواقع واحسن الطبيب الماهر المصنوع من الجسم المحسوس الناقص
للبنية او لصحيح المخلوق والسائل على ان المختلف فيه من الروايات وكما ان المعتدل في الاغذية والادوية
يكون مختلفا للاكثر الناس في اكثر الازمان او جميعه وقد يكون منهما ما هو معتدل لطائفة دون طائفة
في زمان ما ويكون منهما ما هو معتدل لطائفة دون طائفة في زمان آخر ويكون منهما ما هو معتدل
لانسان دون انسان في وقت دون وقت وعلى هذا يجري اختلاف مصالح الناس باختلاف البلاد وكذلك
يجب الشرايع من الله للاديان على حسب استصلاح القرون والازمان والاحوال والاشخاص استصلاحا لاحوال الناس في
بلادهم ومنازلهم قياس من بدن الانسان وكما ان البدن في خلق الانسان مؤتلف من اجزاء مختلفة محدودة
العدد بعضها افضل وبعضها اخس متجاورة مترتبة يفعل كل واحد منها فعلا ما يجتمع من افعالها
كلها تعاون على تكميل الغرض في بدن الانسان كذلك البلد والمنزل يأتلف كل واحد من اجزاء مختلفة
محدودة العدد بعضها اخس وبعضها افضل متجاورة مترتبة مراتب مختلفة يفعل كل واحد على حياله
فعلا ما يجتمع من افعالهم التعاون على تكميل الغرض في البلد والمنزل غير ان المنزل جزء من البلد والمنازل
في البلد والاغراض منهما ايضا مختلفة الا انها يجتمع من تلك الاغراض المختلفة اذا كملت واجتمعت تعاون
على تكميل غرض البدن وذلك ايضا على قياس البدن في خلق الانسان فان الراس والصدر والظهر
والبطن واليدين والرجلين قياسها من البدن قياس منازل البلد من البلد ويفعل كل واحد من
الاعضاء الكبار غير فعل الآخر واجزاء كل واحد من هذه الاعضاء الكبار يتعاونون بافعالها المختلفة
على تكميل الغرض في ذلك العضو الكبير فيجتمع من الاغراض المختلفة للاعضاء الكبار اذا تكاملت ومن افعالها
المختلفة تعاون على تكميل غرض جملة البدن كذلك حال اجزاء المنازل من المنازل وحال المنازل في البلد
حتى يصير اجزاء البلد كلها باجتماعها نافعة للبلد ونافعة في قوام بعضها ببعض مثل ما عليه اعضاء البدن
والبلد قد يكون بلدا ضروريا وقد يكون مدينة فاضلة فاما البلد الضروري فهو الذي انما يتعاون
اجزاؤه على بلوغ الامر الضروري مما يكون به قوام الانسان وعيشه وصحته فقط واما المدينة الفاضلة
فهي التي يتعاون اهلها على بلوغ افضل الاشياء التي يكون بها وجود الانسان وقوامه وعيشه ونظام
امره ورونق حياته وقوم راوا ان ذلك الافضل هو التمتع باللذات في ظلال المدن وكنف الامور وقوم
راوا اليسار وقوم راوا الجمع بينهما فاما العلماء الحكماء فانهم يرون ان الانسان له حيوتان حيوة
هذه الفانية في يومه هذا الذاهب وقوام هذه الحيوة بالاغذية وساير الاشياء الخارجة التي نحن
مفتقرون اليها والاخرى هي حيوتنا في الآخرة الباقية لا على هذا الوضع الذي عليه حيوتنا هذه
الفانية وللانسان كمالان اول وآخر والاخير انما يحصل لا في هذه الحيوة ولكن في حيوة الآخرة ولا يكون
ذلك الا بان يتقدمه الكمال الاول وهذا الكمال الاول في حيوتنا هذه هو ان يعرف افعال الفضايل

كلها التي انما هدي اليها الشرع الحق وليس في ذلك للانسان ان يعلمها فقط بل وان يعمل بما علم منها فان الكمال
في الافعال الاخر اقتناء الملكات التي بها يكون الافعال كما ان افعال الكاتب ان يحصل افعال الكتابة
لا ان يقتني الكتابة وكمال الطبيب في ان يعالج المرضى فيبرا لا ان يقتني صناعة الطب من غير عمل وكذلك كل
صناعة من الصناعات فانها تجدي ولا تغني منها العلم من غير عمل فاذن الكمال الاخير يتعلق بالكمال الاول
وهو السعادة القصوى وهو الخير المطلق وهو المؤثر المشتهى لذاته لا لغيره وكل شيء فانما يكون خيرا متى كان نافعا في
حيوة الآخرة الدائمة وكل ما عاق عنها بوجه فهو شر فالمدينة الفاضلة عندهم التي يتعاون اهلها على بلوغ الكمال
الاخير الذي هو السعادة القصوى فلذلك يجب ان يكون اهلها خاصة ذوي فضايل فاذا عم دينهم وترتيب
نفسهم ويديم لهم الاعتصام بحبل الله في سرهم وجهرهم ومقابلة نعمته عليهم بشكرهم ونحوهم بما عز الله عليهم في
خاصة انفسهم وفي ذويهم واهاليهم والاشادة بالدين وتحليه والتعظيم للعلم وذويه وتوفيه شرايط ما
عليهم كافة من اقامة الصلوات وايتاء الزكوات وابرار العقود واقامة الحدود والبعث على كل حسنة
يأخذون انفسهم للابتداء بها والكف عن كل سيئة ويصونون هواهم بالانتهاء عنها فاما ساير المدن التي
ليست لها خاصية هذه المدينة الفاضلة فليس لاهلها هذه الخصال فان التي قصد اهلها ان يتعاونوا
على بلوغ اليسار او التمتع باللذات ليس المحتاجين في بلوغ غاياتهم الى جميع الفضايل عن آخرها بل عسى ان لا
يحتاجوا الا الى فضيلة واحدة وذلك ان الايتلاف بالعدل الذي يستعملون فيما بينهم ليس في الحقيقة فضيلة
وعدلا وانما هو شيء يشبه العدل وليس بعدل وكذلك ساير ما يستعملونه فيما بينهم من شابه الفضايل
وكما ان من شان المدينة الفاضلة ما ذكرنا فمن شان الملك الفاضل المشكل هذه المدينة ان يكون مستغنيا
ومقصوده من تدبير المدينة افادة نفسه وساير اهلها السعادة الحقيقية وينبغي ان يكون مثل هذا
الملك الحكيم سعادة اذ كان هو السبب في ان يحصل لاهل مملكته وكما ان من اكتساب الفضيلة للمدينة جلب
الخيرات اليها فان منها ازالة الشرور عنها وهي انما تمكن الخيرات في نفوس الناس واما بتعبيرهم
ضابطين لانفسهم واي انسان لم يمكن ان يزال الشر الكاين منه لا فضيلة يكن في نفسه ولا انضباط نفسه احرج
عن المدن بأسرها او نفي من الارض بحسب ما يرى روساء المدينة الفاضلة على اربعة اصناف احدهم الملك في
الحقيقة وهو الذي ينبغي ان يجتمع فيه اربعة اصناف العلم التام بحكمة الحكيم وجودة التخيل الصالح
الامور والقدرة على الجهاد بيده وان لا يكون في بدنه شيء يعوقه عن مزاولة الاشياء الجهادية
فمن اجتمع فيه هذه الاوصاف فهو المطاع في اسيره المقتدى بقوله وافعاله الواجب ان يعطي تخيله
الصدور والمحبة له والثاني ان لا يوجد فيهما انسان واحد يجتمع هذه الاوصاف اجمعها ولكنها توجد
متفرقة في جماعة يتفرعون باجمعهم مقام الملك الواحد ويسمون الروساء الاخيار والثالث ان لا يوجد هو ولا
ايضا فيكون مدبر المدينة حينئذ هو الذي يكون عارفا بالشرايع والسنن المتقدمة التي حافظ عليها

الاول قوة في تدبير البلاد مع جودة التمييز في استعمال الناس وهو قدرة على الاسباب فيما لا يوجد بعض
بعض المحفوظة والمكتوبة منها وان يكون على ذلك قادرا على الجهاد والرابع ان لا يوجد في انسان واحد
مجموع هذه الخصال ويكون في جماعة يقومون باقامة السنة فيسمون رؤساء السنة وايضا فان اجزاء المدينة
ومراتب اهلها يأتلف بعضها مع بعض ويرتبط بالمحبة ويتماسك ويبقى محفوظة بالعدل وافاعيل العدل
والمحبة قد يكون بالطبع مثل محبة الوالدين الولد وقد يكون بالارادة والاختيار بان يكون نسبا او شيئا
ارادية يتبعها المحبة والتي بالارادة اما ان يكون بالاشتراك في الفضيلة ومجانسة فضيلة الدين الحق
واما لاجل المنفعة واما لاجل اللذة والعدل تابع المحبة والمحبة في هذه المرتبة تكون اولا لاجل الاشتراك
في الفضيلة ويلتئم في ذلك بالاشتراك في الآراء والافعال والآراء التي ينبغي ان يشتركوا فيها اما في
الاعتقاد الصحيح الذي يعتقد به الاديان وكيف منزلة الانسان من الله وهذا هو المبدأ والمنتهى ومن ذلك
هو السعادة التي يفوز بها الانسان من الله والذي يحصلهما هو الافعال التي بها ينال السعادة فاذا
اتفقوا على هذه الاشياء فيلزمهم مع ذلك صحبة بعضهم بعضا ضرورة مجاورتهم في موضع وحاجة بعضهم الى
بعض وانتفاع بعضهم ببعض فبهذا يأتلفون ويرتبطون ومن احسن السياسة ان يفوض الى كل واحد
من في المدينة الفاضلة صناعة واحدة يفرد بها او عملا واحدا يقوم بها اما في مرتبة خدمة
واما في مرتبة رياسة ولا يترك منهم احد يتولى اعمالا كثيرة لاسباب منها انه قلما يتفق ان يكون
كل انسان يصلح لكل عمل ولكل صناعة بل قد يوجد انسان دون انسان يصلح لعمل دون عمل ومنها
ان كل انسان يقوم بعمل او بصناعة فانه يكون قيامه اكمل وافضل ويصير بها حاذقا ويحكم عمله متى
انفرد به وتشاغل منه صبيا ولم يشغله على شيء آخر سواه ومنها ان كثيرا من الاعمال لها اوقات متى
اخرت عنها فاتت وربما اذا كان تشاغل باحد العملين فات الآخر ومما ينبغي ان يتوفر عليه سياسة
سياسة المدن امر التزوج المؤدي الى التناسل والتواصل وان يدعو اليه ويحرص الناس عليه فان
فيه بقاء الانواع وبقاء الانواع دليل وجود الصانع وان يكون ذلك باشهاد واعلان لئلا
يقع ريبة في امر النسب فيتمكن بسبب ذلك الخلل في المواريث التي هي اصول الاموال وبالاموال قوام
المصالح وتمام المعايش والمال عنه اصل ومنه فرع والاصل موروث او مكسوب او موهوب فاصح
الاصول الموروث فانه ليس عن بحث واتفاق بل على الوضع والمذهب الطبيعي ويجب ان يؤكد الامر
في ثبوت هذه الوصلة حتى لا يقع بحيل بسرعة فيؤدي الى تشتيت الشمل والتجافي الاولاد والى تجديد
احتياج الى المزاوجة وفي تلك انواع من الضرر كثيرة ويجب ان لا يحسم سبيل الفرقة بالكلية لان
ذلك يؤدي الى الضرر اذا كان المتزاوجان لا يتعاونان على النسل ولا يتوقع الدين اجتماعهما فلا بد لا
بزوجين اخرين تعاونا ويجب ان لا يسهل الفرقة الى ان يعقل الزوجين عقلا والاحسن ان يترك الصلح

وجه من عزل ان يميز في توجيهه فيصير سببا لاطلاقة الطيش بل يغلظ الامر في المعاودة اشد من
التغليظ في الابتداء ثم منا أمر افضل الشرائع ان لا تحل لمن بعد الثالثة الا ان يجاوز بوطي نفسه على
مضض الاحتضن مؤنته وهو تمكين رجل من حليلته فاذا كان بين عينيه مثل هذا الخطب لم يقدم على الفرقة
جزافا الا ان يحتم على الفرقة التامة او يكون هناك مداركة ولا يرى ما سبا بفضيحة يعجبها الذة ولتنال
هؤلاء خارجون عن استحقاق طلب المصلحة ثم ويجب ان يبنى عليها الستر والحجاب لانها محل الشهوة
وداعية الى نفسها اجتذابا ومع ذلك فهي اشد اختلاطا واخداعا واقل العقل طلاقة مخزون وجهالة
ويحرم عليها الاشتراك في النكاح جملة لانه مع العار يتضمن مفاسد كثيرة والاشتراك في الرجل لا يدفع
الاحسان والمحمدة بل يفسد عليه فانه طاعة الشيطان ويجب على الرجل نفقتها والزوجها البيت
وكون الرجل يجب ان يعوض من ذلك عوضا وهو انه يملكها ولانه كلمة والشرع في الولدان يتولاه كل واحد
من الوالدين بالتربية اما الوالدة فبالحضانة واما الوالد فبالنفقة عليه وكذلك على الولد خدمتهما
وطاعتهما واكبارهما واجلالهما لانهما سببا وجوده ومتحملا امثاله وان كان حق الوالد منهما
عليه اعظم وبر الوالدة الزم اما عظم حق الوالد فكفالته وكفايته لا بد وله ولزوم بر الوالدة فلانها اقدم تحملت
من شدائد الحمل والرضاع والحضانة مالم يتحمله الوالد وبالجملة فالسياسة المنزلية مرتبطة بالاشتراكات
في اربعة اجزاء محدودة الزوج والزوجة والمولى والعبد والوالد والولد والقنية والمقتني والمدبر
لهذه الاجزاء والاشتراكات والمؤلف بعضها الى بعض والذي يربط كل واحد بالآخر حتى يتم الاشتراك
ويتم التعاون على تكميل عمارة المنزل الجملة هو رب المنزل وهو في المنزل مثل مدبر البلد في
البلد فاذا كان عالما في تدبير الجانبين استقام به امر المنزل استقامة امر البلد بالملك العادل
الدين في السيرة العادلة والسياسة الفاضلة قال ان الله تعالى بحكمته البالغة وقدرته التامة
ركب العالم بما فيه من اركان متضادة وامهات متنافرة جعلها اوايل ومبادئ لكل ما يتولد ويتكون
في هذا العالم من نبات ومعادن وحيوان وجعل الاعتدال سببا للبقاء ومادة للنشو والنماء ولا
يثبت شيء لابسه ولا يبقى الا بعد فيما زاد ركن من الاركان على حد الاعتدال بزيادة غالبة في شيء من
المركبات انتقضت بنيته وتعذرت ذاته واساق الحكمة ليعتدل به ما هو زايل عن حد الاعتدال
مايل الى الزيادة او النقصان كما هو موجود في عناصر العالم وفصول السنة ولا شبهة في ان الحكم
تابع للكل والفرع نازع الى الاصل وان الاعتدال لا يوصف به شيء ما دام في ذاته مفردا لا مخالطة ما هو من
غير جنسه فيقع عليه اسم الاعتدال لان المفردات في ذواتها متنافرة متباينة فاذا امتزجت وتركبت منها
الاجسام المحسوسة اذ الاشياء المتفقة الكيفيات اذا اختلطت وامتزجت لا يحدث الاختلاط والامتزاج
فيها تغيرا الا في الكمية فقط وتبقى كيفياتها محفوظة باعيانها واما المختلفة الكيفيات فانها اذا

امتزجت حدث منهما شيء آخر كالخل والعسل والماء والتراب وأشباههما من الأدوية المركبة والأطعمة المعمولة
والحيوانات المتولدة من الأصول المختلفة نحو البغل والسمع والزرافة والفرعل وإذا كان الاعتدال
إنما وجد في شيء كان ذلك الشيء باقيا على حاله فأما نهايته فهو تام كامل والتام هو الذي لا يوجد
شيء من الأشياء داخلا فيه أو خارجا منه ولا يمكن أن يزاد فيه أو ينقص عنه فالعدل في كل
الأشياء موجود بالطبع حتى في نفس الجور وذلك أن اللصوص لا يقومون على علمهم إلا بالعدل فيما
بينهم والتسوية في القسمة منهم فالعدل في أمرهم مستعمل في أصل الوضع وإن كانوا في غيره ظلمة ومعلوم
أنه إذا كان وجود الشيء في الشيء وضعا طبيعيا كان وجوده مع فقد ذلك الشيء عرضيا والأشياء
العرضية غير قائمة بذاتها والعدل قائم بذاته موجود في نوعه سار في أصله وفرعه ولذلك
قال بقراط بالعدل تركب كل العالم فاجر أنه لا يقوم بالجور وقال الفلاسفة لا تحرصوا على القنية فإنها
محروسة ومن خدم غير ذاته فليس بحر واستهينوا بالموت لئلا تموتوا وأميتوا أهواءكم تخلدوا والزموا
الصحة تدوموا وسئل بعضهم من العادل قال من يقيم له الزمان قال فمن الجائر قال من ذم به الزمان
وهو من وصية بعض ملوك الهند ابنا له فقال يا بني عليك بالعدل في جميع أحوالك فلأن يعاتب
فيك الزمان خير لك من أن يعاتب بك وقال بعض الخلفاء لابن الشقوق كيف ترى الزمان قال
يا أمير المؤمنين أنت الزمان فإن صلحت صلح وإن فسدت فسد فإنما تكون الأمور الكائنة والزمانية
الاصطلاحية المتفقة وبما أنا خود من أخلاق الناس وسيرهم وسياساتهم في أنفسهم وأهليهم
وأولادهم ومن يضم حفظهم ويكفيهم رعايتهم فإذا لم يكن في الزمان والمكان أحد يأخذ نفسه بمكارم
الأخلاق ومحاسن الأفعال كيف ينتظم للناس معيشة ويتم صلاح وكيف يصلح الاتفاق الإصلاح
السياسات المختلفة ولا يجوز صلاح سياسة من لا يصلح سيرته في أهله وولده وخليطه وعياله
ولا يصلح سيرته واحد في هؤلاء من لم يصلح أخلاقه في نفسه ولا يصلح أخلاق أحد بغير علم بما يأتيه
حتى يجعل عقله أميرا على غضبه وغضبه مسلطا على إفراط شهوته ويأمر عقله المهيمن على الجميع
وإذا تولت ذوو الأمور من أهل الزمان أفعالهم بعقولهم وأصلحوا العقول بعلومهم واتبعهم العوام
تشبها بهم كان الزمان والمكان جليلين بانتظام أمرهما فأما إذا جرى الأمر بخلاف ذلك وأهملت
الأمور وعطلت الآداب وغلبت الجهال وتعدت السياسات وشيعت البدع الفاسدة واعتقدت
العامة الآراء الباطلة وأشاعت على الأفاعيل الجائرة هنالك يعظم الضرر ويكثر الفتن وفي
كتاب من كتب أرسطاطاليس إلى الإسكندر للملك الأعظم في العظماء الراسخ في الحكماء من استعد أن يظله
ليل السلام المتصل بسلام الجنان التي لا تفنيها الأيدي السالبة ولا الأبدان الخالطة في لا يبيد زهرتها
ولا يذوي غضها إلى لطف التام بالعز المقيم في الدار التي لا يعد العز إلا فيها وفي فصل منه

كانت

الزم

الزم نفسك الإنصاف في كلامك والعدل في فعالك ولا تحملن نفسك على ركاب أمر من أمورك بلا تمييز وعليك
سبحل من لا عمل به الموت من أولياء الله وأن تعود ضبط نفسك في أمر بطنك وفرجك ونومك و غضبك
والغضب أن تركب شيئا في وقت من الأوقات فلا تحل خلوتي في أمرك ولا تمنع غيرك ولكن استحياؤك من نفسك
أكثر من استحيائك من كل أحد لأن أولى الأشياء بأن تستحيي منه أكرم الأشياء عند المستحي ولا شيء أكرم على
الإنسان من نفسه فكيف تعين تعديل النفس وترجح عليها رجحان الثقيل على الخفيف والكثير على الطفيف
واستعمل الفكر قبل العمل ولا تساعد عينيك على النوم قبل أن تتصفح كل واحد من الأفاعيل التي فعلتها
في نهارك لتقف على الوجه الذي للمتعبة مما ينبغي أن لا تزال تفعل ما فعلته فما كان يجب أن لا تفعل على
ما كان يجب عليك فعله بأن تفعل فمتى كنت أتيت حسنا فليعجبك ومتى كنت قد فعلت سيئا فليسوءك وا جعل
المنة في كل ذلك العدل القويم فإنه القسطاس المستقيم والأمور التي يجب على ذي التمييز أن يتقدم فيروي فيها
قبل أن يعمل لما يقع فعله منها هي الغاية التي يقصدها في فعله والأسباب التي بها يتم ذلك الفعل أحكام
ما من شأنه أن يتبع ذلك الفعل والحكمة حتى يقع على أعدل الوجوه وأوسط المقاصد وكل مراد ومقصود
فإنما يراد من أجل الخير فإنما الخير يراد من أجل ذاته والحكمة يراد من أجل ذاتها والحكمة علم كل نافع ولزوم
كل عدل في علم النافع ولزم العدل فقد علم وعمل وعلى حقيقة الحكمة إذ الحكمة هي العلم والعمل الأخيرهما
وضد العلم الجهل فمن جهل الشيء جار عن القصد الذي يجب كما أن من علمه لزم العدل فالعدل إنما يأتي
من قبل العلم والجور من قبل الجهل والجهل من صفات الحيوان غير الناطق ولا يرضى العاقل بجهالة يوجب
مجانسة البهائم ومشاكلة السباع بل يروض نفسها ويأخذها باستعمال الحق الإنسانية ∴ ومما
قاله أبو زيد هذا في كتاب البحث من التأويلات قال إن من مطاعن الملاحدة قوله تعالى والسماء
رفعها ووضع الميزان إذ كان يريد به آلة الوزن فما معنى إضافته إلى السماء فإنه في غاية البعد عنها
وإنما يضاف إلى الشيء ما يشبهه كالسماء والأرض والشمس والقمر والليل والنهار قال فإنما استنكروا
هذا من قبل اعتبارهم الميزان بالشخص ومع عجزهم ولو نظروا إلى مبلغ الحاجة إليه لاستعظموا أمره ولما
استصغروه سماء في طباع أكثر الناس من البغي ما يبعدهم عن العدل في التعامل ولم يكن من الميزان
ما يهديهم بصورة العدل في التعامل وانتظام أمور المعاش دون النظام وكذلك قوله تعالى الله الذي
أنزل الكتاب بالحق والميزان نحو تلك السنن إلى الفضل فحسن أن نقرن ذكره إلا العمل إلى ذكر آلة العلم
وكم من تعبير الميزان يجهد من منافعه كم من تعبير القلم بتخصيصه إذا رآه قطعة من قصب وقد عظم
الله في قوله الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم فهذا تأويله في الميزان المقرون بالسماء ولكن نقض
الميزان هاهنا هو العدل نفسه لا الميزان الذي يوزن به الأشياء وبالعدل قامت الأرض والسماء ثم
فالكلام في غاية الصحة والاستقامة ثم الميزان الذي عليه في قوله ألا تطغوا في الميزان هو الميزان

الذي يتزن به الاشيا آ لكون تقدمه وضع الله العدل بين الناس تنبيها على ترك الطغيان
بالزيادة والنقصان في الميزان والميزان الثالث في قوله واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا
الميزان هو ميزان الاعمال في الاخرة فهي ثلثة موازين حتى لا يكون تكريرا هذا تمام ما قالوا في عدل لم
الانفس وقد وعدنا في صدر المجلس ان ندرج فيما نحكي لقارئ اح طالعه اولي الدين وفايدة الاستصحا
بابهم اذا لحدث حادث وكرث كارث وان الدين والعدل كلاهما اصل كل نجاح وسبب كل فلاح
فمن ذلك ما حكى اسحق بن ابرهيم عن الفضل بن مروان قال قال لي الفضل لا ينبغي لاحد ان يعدل
في اموره كلها عن اهل الدين فان من لا دين له لا عقل له ومن لا عقل له لا مروة له ومن لا مروة
له لا مودة له ثم قال اضطربت حالي عند المعتصم وتبينت ذلك منه فجعلت اشاور اصحابي جميعا
في ذلك فلا ارى منهم احدا يشير علي الا بما يوافق هواي واكثرهم يومنني مما اخاف ويدفع ان
يكون يوقع بي او يسوءني فقلت يغنيني ما كان احوجني الى عدو من اعدائي يكشف لي صورة
امري ويصدقني عن عيوبي وعن ذنبي انكار لي عند سلطاني فتذكرت بين المعلى بن ايوب ومنصور
بن النعمن ولم يكن لي في الارض اعدا منهما ثم قلت المعلى رجل لا دين له ولكن منصور رجل دين
وورع فاقصده وكان منصور حاجبا للمعتصم وكان المعتصم يثق به في سائر اموره ويطلعه على خاص
اسراره فركبت ليلة من الليالي حمارا مع غلام [illegible] او شط دجلة حتى عبرت الى باب الشعير حتى
انتهيت الى منزل منصور فقلت للغلام دق الباب فاجابت جارية من هذا فقلت الفضل
فسكت ساعة ثم خرجت فقالت من الفضل فقلت للغلام قولي لا ... فقولي له ابو العباس الفضل بن
مروان فما شعرت الا وقد خرج حاسرا الي وهو يقول في الرحب والسعة فنزلت فاذا هو يتوهم اني
جيته مستترا فقلت له لم يبلغ الامر حيث توهمت ولكن جيتك في حاجة فقال سبحان الله
في حاجة لا تبعث بها الي فاحضر قلت احببت ان اجيك قال وما حاجتك فقلت جيت
استشير في امري قال في اي شي من امورك قلت قد ترى ما يخوض الناس فيه من تغير امير
المومنين ابقاه الله واخانهم في واجلابهم علي فتفكرت في مشاورة عاقل من اعدائي واستخباره عن
حالي فقلت بينك وبين المعلى بن ايوب اذ كنت اعلم عداوتكما لي ثم علمت ان المعلى لا دين له فلا
نصيحة عنده ولذلك تركت فاتيتك ولا فعدتك من امير المومنين وسوقي في البلد ما
علمته فتعدلني على النصح وعنا له نرجوان لي صدق اذ كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال المستشار موتمن والدين والامانة توامان ترى ضعفا بليان فجيتك لهذا
فقال الخلاك عند امير المومنين فعلى ما ظننت ولا يغرنك في ذلك احد فان الجماعة قد اجابت
عليك وما بقوا شيئا من افساد الدنيا واذا والله قد حسبت في امورك الى فلان وفلان الخادم

وفلان

وفلانه وذكر قوما ممن يتولى الطف خدمته ويقربه منه في احوال خلوته ولا احب الايقاع بك بتاخر
الجمعة او عشرة ايام فان القدر رفيع عظيم ويتحجب قلت فبحال الرأه يوم في فيقتلني او يزيل نعمتي
فلا اكرث بها فقال الطبيب اذا لم يكشف له العلة ويسدد عينه اما ان يخرج دا بيره في العلاج فاصدقني عما
اسالك عنه ان كنت لا تفعلون الاما دخا في الملك او متعرضا الحرمة او خاطبا الاهم على سفك دم حرام
فاذا تعقبوا الراي في القتل وقد سعوا عليه فقتلوا من اشار به عليهم فذكرت له بعدي عن المعاني
الثلثة فان كان الامر على هذا فلا تخف على نفسك وما يريد الرجل شيا غير مال فان ذلك الدعوة
المشومة وما نراه في مثلك تعد مال ان غلبه عليك فانصرفت عنه فلما اوقع بي المعتصم سلمني الى اسحق
الطاهري فايست من نفسي وقلت في نفسي انظر الى منصور الفاعل بن الفاعل ومنيته لي فما قال لي سيدي
في الوقت ما قال وعلمت انه قد نصحني ولم يعدل عن الحق فيما قال فاياك ان تعدل عن اهل العدل في
الديانة ويبدو من هذا ما دامه وهبه الفضل بن مروان للمعتصم وجعل يوقعه عنده حتى اسمع الى عليه
فلما اطلق المعتصم الفضل جاءه وسدد وزرعيشا فشكى اليه الفضل ما كان فيه من الخوف وشدة الاذى
والخوف على نفسه من اسحق فذكر يدور ان امير المومنين لما دفعك اليه وطالبه وتحقق من
بحضرته فقال له يا اسحق نعم يقينا علم ما علي من حق الفضل ولا ذنب له يوجب قتله الا ما وقع في نفسي
من خيانته في المال وعلمت ان الا امنوه وبقي اشد عليه من تسليمه اليك وانا بري من التقوى
وبقي من الرشيد لم مات في يدك بعلة او بغير علة لاقتلنك فلذلك ما يحكوا ان احسن جعله
حجرة تطفية من الصحن الذي كان يجلس فيه وفرشها بالحسن فرش وادخل اليه خادما يخدمه
وكان يبعث اليه كل يوم بمطبية بنشر عليه بما يصلحه من شراب وطعام ويساله في مانة كل يوم
عن بقيتهم حتى خرج لجميع ما ذكره منصور بن نعمان من دين ابن راح وعذا له صادقه فهذه كل خير هو
الدين ونظام كل امر هو العدل ومستقر العدالة في الانفس منهما على هذه الصورة وهوان العدل له
في الحقيقة هو انقياد نفساني للشريعة الالهية حافظ للمساواة في المنافع والمضار المشتركة
في الناس على الاسباب الموضوعة لبقاء العالم ومما يحتاج ان يعرف في هذا الموضع انواع المضار
التي يعود عليها احكام الجور وهي لا تخلو عن اربعة اوجه الضرارة وهي ايثار الاضرار على وجه
الارتياح والالتذاذ بسوء الرداء وهي معتمد الاضرار من غير ارتياح بسوء الاهتمام منه والخطا وهو ان
لا يعتمد الاضرار بفعله وان كان اذى اليه فيعتم صاحبه فيندم والشقا وهوان لا يتعمد ولا يكون
سببا له ولكن اتفاق حادث من خارج او تعذر فيه فيعذر ويرحم فعلى عكس هذه المعاني العدل والنير
العدل الحقيقي مما سبق على طريق الصدقة الاعمال الطاهرة الحي الاول وهو ايثار الخير على وجه الارتياح
والابتهاج منه فكان العدل والحق لا يجوز غير واحد كما ان الحق واحد والباطل كثير ومما يشكل على

اوصاف العدل الفضل فان العدل مساواة والفضل زيادة وسنة العدل الايفاء والاستيفاء بحسب الاستحقاق
المقابل المناسب وسنة الفضل الزيادة على الواجب في الايفاء والاغماض ودون الواجب في الاستيفاء بحسب
الاستحقاق المقابل المناسب فيخرج بهذا كرم الفضايل من جملة الفضايل ويحكم العدل على الفضل بالجور
وكون الفضل في الحقيقة هو الاخذ بالاحتياط في تصحيح ما يمكن ان يقع فيه النقص من الافعال العادلة
والاحوال الفاضلة وساهل غيره ليكون واثقا بان ما يحقه وايفاء امره وشدد على نفسه بلا اثم ما
نسبها على غيره ويترك ما لا ريب الى ما لا ريب ظاهره على النقية التي هي دارة العدل بان وقع في
بعض ما امكنه ضبطه من حيف يحق نفسه فلا يقدح ذلك في استعمال شرايط العدل والنصفة وخباير
الاقساط والتوفية وهي كما يقع من اختلاف حال تاثير الشمس في الزروع والاشجار والقمر في الفواكه والثمار من
ان علاقة ذلك على غير الاجرام العلوية في ذواتها وسقفها من خواص تاثيراتها وكون القوابل المتاثرة
قد تختلف والمواد المتضودة قد تتفاوت فكذلك حال استعمال العدل بالرسوم الدنياوية والحكم بحقيقة احكامها
على الاوضاع الدينية واما العدل الخاص بالسلطان وتمهيد اركان ملكه وتشييد بنيان دولته
فالوصايا به والاخبار والحكايات فيه قد تقدم بعضها اكثر من ان يحصى وكلنا نقتصر من الحكم المقيد
فيه على كلمة واحدة ومن الحكايات على حكاية نادرة اما الكلمة فهو انه قد يبلغ من شرف هذا العدل الكلي
انه يستقل بنفسه ويستغني عن الدين الحق ولا يستغني الدين عنه ولا يستقل بنفسه دونه وناهيك بهذا
فضيلة وشرف وعزة ومرتبة منيفة وهذه الكلمة معنى قوله عليه السلام الملك يبقى مع الجور وبيان ذلك ما عاينا
بقاء ملك فارس في سيرة الارض الف سنة وخمسين سنة من لدن انقضا اول ملوكهم الى ابن الى ان انخرم
اخرهم بقتل يزدجرد بن شهريار على عهد عثمان مع ان دينهم كان من اوهى الاديان المجوسية البعيدة من
الملل النبوية كلها وما بقاء ذلك الملك فيهم واستمداده بينهم الا بالعدل الذي كانوا استعملوه
والسياسة الصحيحة التي كانوا ايدوا ولو بها فتلك كانت صناعتهم وشتى علومهم وادابهم كما عرف
ذلك في السير المنقولة المترجمة عنهم وخلاصة ما نقله ابن المقفع من ذلك واما الحكاية فقد بلغنا
حديث حزبي كان السبب في تثبيت دولة المسلمين بعد ان تشعثت واشرفت على الزوال وزوال ملك بابك
الخرمي اعظم الناجمين بها واشدهم على الخلفاء فتنة وكان السبب في زوال امره كله عدل حكم بها
ابو سعيد المروزي مع الاستقصاء خطا عظيم الهجوية الحجة فيها ولم يدبر الجيوش وملوك البلاد من
ذلك فيما يلزمهم من طاعة الله وتقواه والرجوع اليه والى حوله وقوته والشفقة على خلقه اهل
الاعتبار ولحكم البصيرة فقد قيل الجند القايمة القايد والملك والملك بالعدل والاحسان وقيل
الناس بالزمان والزمان بالسلطان والسلطان بالعدل والاحسان حدثت الرواة انه لما اتصل
امر بابك واتصل بتوسطه عساكر المسلمين في آخر ايام المأمون ومعظم ايام المعتصم واستمر ذلك عشرين سنة واحدا

الكفر ولا يبقى مع

انظر بقاء ملك الفرس

حكاية بابك خرمية

فقرنها باثنين مضموما اليه مثل ابي دلف العجلي وابي سعيد محمد بن يوسف الثغري وجعفر الخياط وجملة
القواد فقامت بينهم الحرب سنين ولبابك الابراز والاستعلاء وكان افشين في عساكر الخليفة
اذا استقبل الشتاء يرجع مما يكون فيه من تلك الجبال وسفوحها بسبب غلبة الثلج الى حين يمكنه
المقام فيحفر الخنادق ويتحصن فيها فاطلع ابو سعيد يوما على الاجراء وهم يحفرون الخنادق وكان
شهر رمضان فقال للموكلين بهم سرحوا هؤلاء الاجراء فانهم بشر مثلنا ولا بد لهم من تهيئة
قوت وغذاء لافطارهم واياكم وجنة من يحرجهم فانهم ضراء وصالح الجاسوس واقف فيما بين العملة
يسمع قول ابي سعيد وما تكلم الاجراء به من القول اللين كانه واحد منهم وما شاهدهم يرونه وما علم
به من العمل والاجرة وصالح هذا كان ما قعد في المجلس لا يعرف فيه حيلة فانه كان صيادا اصيد
الوعول في تلك الجبال الكلاف والحبايل وهو الطويلا وكان اهدى في شعابها الاعقاب من النجم
واجرى في مسالكها الغامضة من السيل واعرف بمكامنها العابرة من الادلة الغيباء وكان
قد اغرى بمرة باصحاب بابك حتى كانوا ايعمون في الجند من غيران يحترز بهم فلما ولي ابو سعيد منصرفا
الى العسكر تبعه صالح وقال نصيحة ايها الامير لا ادلك فال الخلوة فقال ابو سعيد للغلمان فتنحوا الى
هل معه سلاح فلم يوجد معه الا سكين فاستدناه فقال له انا صالح الجاسوس حتى على عاد ان شكرا
تجتنا فيما سمعتك تامر هؤلاء الموكلين بما تامرهم وتوصيهم فيه من الوصية الحسنة والقول الجميل الذي
يستميل القلب فعلمت ان هذا الذي انتم بينه اصلح مما فيه بابك ودخلني مما قلت ندم على ما فرط مني فاردت
نصحك وعرضها سلف مني من الخطب عليكم وبابك قد استعد لبياتكم اذا انصرفت اليه بخبركم فقال لكم
في عدة وعلى اوفات ونصلة لمالي افتل غيره واشرفه وقد اعلمك ذلك وانا ارجع اليه واعنه
على ما فيه وعنت وصار بهم الى الموضع الذي كم عليه الغلبة واليه الوصول فانه تمام الاستنامة
اليّ والثقة فتحذر ابو سعيد الخير وضاه الاحسان وعرض عليه البر في العاجل فلم يقبل وقال
احتاج الى ارغفة فجيء بها فاقلها الى صالح الانصاري قال لا اريد ها فلعل انها اثار اهاسي فيعلم
من خبركم فاني فتحكا رده ومضى صالح ورجع ابو سعيد الى الافشين فاعلمه القصة وقال الافشين لعل
غدرا او مكرا فقال ابو سعيد ما الطنه الاصح ذلك فانا لا ندع الحزم ولا نعدم الاعلى بصيرة
فقال للافشين شانك فاستعد الجند ووضعوا الكمنا وتهيئوا للقتال وجعفر بن محمد بن فوائم
ليلة الثانية بابك في جنوده وجموعه فلم يقصد خيل من خيوله وجعفر الا من الم قام من غلبهم ودافعهم
ونكانهم وعمل بابك الجهد الاعظم والحملة الحرب كاشفة ما يكون ودامت الى ان اسفر الصبح واضناء
الافشين وجنود المسلمين الفضل والاستعلاء وقد كان الافشين لعكس الاسباب المتقدمة اعتاد ان يعبر عنه
على طول الحراك فلما اعتبر بابك الحيل وخاب مما طمع فيه ولا في مع الابانة اذا توغل الجبال الصلع

حبس

الاولياء وامعن في السير فاتبع بالخيل المستوجهة ومن رأى فيهم القوة والبطش فاخذ عليهم من تحت الجزيرة على
بابك في شرذمة الى جبال ابن سنباط فوافوا اقرب منازلهم وقت المساء ورأوا قطيع غنم فاستتروا ولبس الراعي
جلابيبهم الراعي وذلك ان بابك كان حين نزل سنباط التي رآه منهم فهذا الراعي كان من يحلف اليهم
في الحبس من قبل بابك وحقا الى ابن سنباط فاخبرهم مكانه في عدد يسير فركبوا اليه فلما رأوه في
تلك الحال جثوا بين يديه وقالوا اعز عبيدك سادة المعصية من الحي قصورهم ومساكنهم فقال لهم بابك لا شيء
ان الصفراء والبيضاء المصبغات غيركم فحلفوا له بانهم لا يغدرون به ولا يسلمونه فسار فيمن معه الى سنباط
حياكم انا غافلتم اليهم الحجار والبارد ثم سقوا فشربوا الى ان ثقلوا فلما سقطوا الجاز ولا أمر اتم
فيذوا بابك ومن معه كل واحد بقيد فلما اصبحوا رأوا انفسهم على تلك الحال وكان الخبر انام ينادي
الافشين ان من اعطى بابك او مكن منه له الف الف درهم قالوا لبني سنباط اليس هذا وفاءنا وعدت
قالوا انما جعلنا هذا خوفا من ان تنتقلوا الى الاعداء ولا تتقوا ابناؤ في قلوبنا ان نبذل انفسنا او لو اننا
بين يديك فبقي لنا الذكر والفخر من بابك الأمر وانفذوا الى الافشين من عصام حصول بابك في قيدهم فبعثنا
فانفذ اليهم خيلا كثيرا انقد بها الف الف درهم واقبلوا ابه بابك على بغل وطى قيد وكل به رجال من خوف
خوفا ان يسقط نفسه في تلك الجبال عن البغل فيموت ولا يرى ما اخذوا اسيرا فلما قرب من العسكر تلقاه
القواد والجملة فما كلم احدا ولا التفت اليه الا ابا سعيد فانه لما حاذاه قال له بالفارسية ايها الرجل
الصالح كيف انت واسرح به فضل عمه فلما جاؤوا به الافشين اكرم منزله وامر بحفظه فكان يقعد على كل
ليلة اذا اقعد الشرب بازائه ويحمل اليه مما يدعى مثل ما يقدم اليه من الطعام ومن الالوان وكذلك شرب
له وحصل عنده ويطيب نفسه ويقول ان الخليفة لا يقصد قتلك ويحمل عساكره بك فلما اشار وخرج
الى الافشين رسول المعتصم في ليلة الليلة بعد العتمة بدابة فقربت مكرا كان رسول الخليفة اليك الى احب
ان ارى بابك بعقوبة واقف على حاله فلما انس ان تتحرك من مكانك او يكون من احد من خواص الخدم
والخدم اليك اني متحرك من مكانك وهو ان الخليفة بعيد على ما ذكر من خبر
الحاجب على الافشين وقال له رسول الخليفة بالباب وهو بابك والندماء جلوس يشربون فامر له
بالاذن عليه فدخل المعتصم فاوى اليه الافشين بالجلوس فسلم عليه فقال له ما حال سيدنا امير المؤمنين
فاجلسه وادناه اليه وسأله عنه واندرج في يد بابك فتامل المعتصم بابك على تلك الهيئة واقام قليلا كما يتم الرسول
ثم قام وخرج من عنده بابك ودام طويلا لا يذهب بالقدح ولا يرفع رأسه فقال له الافشين ما لك يا ابا منصور فقال
بابك لا اعرف هذا الرجل الى ان قال الافشين ما هذا القول انما هذا رسول فقال بابك هذا صورنا بابك
في ثلثة مواضع انطق انه على صورته فعلى اليوم الثاني ادخل بابك بعدا دخول الجهة الى حديث نفسه
وصلب وكان هذا الفتح العظيم من بركة ذلك العدل وثمرة تلك الرحمة وممّا يحكى في عدل القضاة انه كان

عيسى بن طلحان قاضي الرقة فجاء رجل واستعداه على عيسى بن جعفر وكان الرشيد اذ ذاك بالرقة
فكتب ابن طلحان الى عيسى اما بعد اطال الله بقاء الامير وحفظه واتم عليه نعمه اتاني رجل فذكر ان له
على الامير خمسمائة الف درهم فان رأى الامير اعزه الله ان يحضر مجلس الحكم او يوكل وكيلا ينازعه فعل
ان شاء الله ودفع الكتاب الى الرجل فاتى باب عيسى ودفع كتابه الى الحاجب فاوصله اليه فقال له كل هذا
الكتاب فخرج الى القاضي فاخبره فكتب اليه ابقاك الله وحفظك واتم نعمته عليك حضر رجل يقال له
فلان بن فلان فذكر ان له عليك حقا فصر معه الى مجلس الحكم او وكيلك ان شاء الله ووجه الكتاب مع عونين
من اعوانه فحضرا باب عيسى ودفعا الكتاب اليه فغضب ورمى به فاخبراه فكتب اليه حفظك الله
وابقاك لا بد من ان تصير انت وخصمك الى مجلس الحكم فان ابيت انهيت ذلك الى امير المؤمنين ان شاء
الله ووجه بالكتاب مع رجلين بمعنى وانا بالفناء فختم قمطره وانصرف وقعد في بيته وبلغ الخبر الرشيد
فدعاه فسأله فاخبره بالقصة حرفا حرفا فقال لابراهيم بن عثمان صاحب خزانته صر الى باب عيسى بن جعفر
واختم ابوابه كلها فلا يخرجن احد منها ولا يدخلن حتى يخرج الى الرجل من حقه او يصير معه الى الحاكم
فاحاط ابراهيم مع اصحابه بالدار وختم الابواب فظن عيسى انه قد حدث للرشيد رأي في قتله ولم يعلم
عليه ولم يدر ما السبب فارتفع الصياح وصراخ النساء من داره وقال لمن وراء الباب ادعوا ابا اسحاق
فجاء ابراهيم فقال له عيسى ويلك ما حالنا فاخبره بالامر فامر بان يحضر خمسمائة الف درهم من ساعته و
يدفع الى الرجل واخبر به الرشيد ففتح ابوابه وكتب المنصور الى سوار بن عبد الله يسأله ان يعدل لسلمة بن
سعيد الى امانات سلمة وكان عليه دين للناس وللمنصور ابن اسحق ولامير المؤمنين دينه وفرق ما بقي
بين الغرماء فلم يلتفت الى كتابه وضرب للمنصور بسهم في المال كما ضرب لواحد من الغرماء ثم كتب اليه ان
امير المؤمنين غريم من الغرماء فكتب اليه ملأت الارض بك عدلا وممّا الضبعي صاحب طعام المعتضد
ولم يطالب وعليه ديون وللمعتضد عليه اربعة الف الف دينار فقال المعتضد لعبيد الله بن سليمان قل
لعبد الحميد قاضيه ابي حازم ان يدفع الينا هذا المال من تركة الضبعي فذكر له ذلك فقال ابو
حازم ان المعتضد كاسوة الغرماء في تركة الضبعي فعاوده المعتضد في اقتضاء المال وعبيد الله يخبر
بما قال له ابو حازم فلما الح عليه اخبره بما قال ابو حازم فاطرق المعتضد ثم قال صدق وعبد الحميد
كما قال يعني كساير الغرماء واسوتهم ثم رضي بالمقاسمة معهم على الانصباء وجرى بين ابي حازم هذا وبين
عبيد الله بن سليمان كلام فقام ابو حازم عن المجلس واخذ قلنسوته من رأسه بيده فعلمنا انه ما بالى
ان عزلته وممّا يتصل بما تقدم وموضعه موضع كلام او مزيد في الصفات والمبادئ وتفسير الميزان
في الاية بالعدل ما قاله بعض البلغاء في تفسير قول الله تعالى لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا
معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه باس شديد ومنافع للناس وليعلم

الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوي عزيز ووجه الجمع بين الكتاب والميزان والحديد على ما ظهر
ظاهر هاهنا من المناسبة وبعد ما قيل الروية والاستنباط لا عن جواز المشاكلة هو ان الكتاب قانون
النبوة ودستور الاحكام الدينية يبين سبل المراشد ويفصل جمل الفرائض ويتضمن مصالح الابدان
والنفوس ويتضمن جوامع الاحكام والحدود وقد حظر فيه التعادي والتظالم والتباغي والتخاصم
وامر بالتناصف والتعادل في اقسام الارزاق المخرجة لهم بين رجع السماء وصدع الارض لكونها
يصل منها الى العمل الخطاب بحسب الاستحقاق بالتكسب دون التغلب والتوثب واحتاجوا في استدامة
حياتهم باقواتهم مع النصفة المندوب اليها الى استعمال الة يقع بها التعامل ويتم معها التساوي
والتعادل فالهمهم الله اتخاذ الالة التي هي الميزان فيما ياخذون ويعطونه لئلا يتظالموا
بمخالفته فيهلكوا به اذ لم يكن ينتظم لهم عيش مع وقوع تظالم البعض منهم للبعض ويدل على هذا
المعنى قوله جل ذكره والسماء رفعها ووضع الميزان الا تطغوا في الميزان واقيموا الوزن بالقسط ولا
تخسروا الميزان وذلك ان الله تعالى جعل السماء علة الارزاق والاقوات من انواع الحبوب والنبات
فكان ما يخرج منها من اغذية العباد ومرافق حياتهم مضطرا الى ان يكون اقتسامه بينهم على الانصاف
دون الجزاف ولم يكن يتم ذلك الا بهذه الالة المذكورة فنبه الله على موقع الفائدة فيه والعائدة
بتكرر ذكره فكان هذا هو المعنى الجامع بين الكتاب والميزان ثم انه من المعلوم ان الكتاب الجامع
للاوامر الالهية والالة الموضوعة للتعامل بالسوية انما يحفظ العام على اتباعهما ويضطر الجاهل
الى التزام احكامهما بالسيف الذي هو حجة الله على من جحد وعند ونزع عن صفقة الجماعة اليد وهو بارق
سطوته وشهاب نقمته وجذوة عقابه وعذبة عذابه فهذا السيف هو الحديد الذي وصف الله بالباس
الشديد فجمع بالقول الوجيز معاني كثيرة الشعوب متدانية الجنوب محكمة المطالع مقومة المبادي
والمقاطع **وقد قالت** الشعراء في وصف العدل ومحاسن الايام به وطيبها بسببه فمن ذلك قول ابي محلة القزاري
نزركرفي بقا بعض ذراه :. مقابل ابن يخط الشباب :. وان الخير معمور المغاني :. وان العدل محفوظ الجناب

وقال ابو تمام واري الزمان غدا عليك بوجهه :. جذلان بساما وكان عبوسا
بصنيعه تندى وحظا يعتلي :. وعطيه نكفى وخرج يوتسى

ابن الرومي ايامنا عدوان كلها بكم :. خلا الملوك ليال مثل اسحار
كم خلايق لو تعطى السما تهما :. لا لاح مجوما اغبر افار

وقال يا من وجدناه فردا في سياسته :. انصاف العدل سبلا وقوله علا
لمورك للدهر انبل لو اشتكيه :. انا انور انا بي اصبحت مثلا

وقال انا ناود نيا نا عجوز فاصبحت :. تاهت به في عنفوان شهودها

فقد وضعت عنا المخاوف كلها :. وقد اطلعت امالنا من قيودها

وقال يلوح في دولة الاسلام دولتكم :. كانها شامة الاسلام في المقل
تغنون من كل عزيز بطشكم :. عن الظباء عن التكحيل بالكحل

وقال [illegible] فضل الملوك محمد :. فضل الحلال على الحرام
اين الحوادث من فتى :. ذمة الملك الهمام
فالعيش طلق والورى :. في ساحة البيت الحرام

وقال ابو [illegible] بيت لعبد الله بعد محمد :. ذرى قبة الاسلام فاخضر عودها
هما طنباها بارك الله فيهما :. وانت امير المومنين عمودها

وقال البحتري للمتوكل اضعفت بهجة الخلافة :. فارتد شباب الدنيا الى عنفوانه
علم الله كيف انت فاعطا :. ك المحل الجليل من سلطانه
جعل الدين في ضمانك والدنيا :. فعشنا لما اقام في ضمانه

وقال له ايضا ولما رأى رعية ذادها :. عن الجدب مخضر التلاع ربيعها
علت بعثمانه متوكل جعفر :. على الله فيها انه لا يضيعها

وقال ابن مناذر ليحيى بن خالد وابنيه :.
لقد اشرقت الدنيا وزانت الامرا :. بيحيى وبالفضل بن يحيى وجعفر
ثلاثة املاك ثلاثة انجم :. ثلاثة افلاك لثلاثة ابحر
فما خلقت الا لجود اكفهم :. واقدامهم الا لاعواد منبر

وقال ربيعة الرقي للعباس بن الرشيد
ان المظالم ترتد معزولة :. حتى حللت برابيتك عقالها
العود يرطب ان سقيت لحاءه :. والارض تعشب او تطيب رمالها

وقال ابان بن عبد الحميد اللاحقي لسوار القاضي :.
لا يقدح الظنة في حكمه :. شيمته عدل وانصاف
ماض لما لم يعترض شبهة :. وفي اعتراض الشك وقاف

وفيه يعزل القايل على هذا المعنى
واوقف عند الامور ما لم يصح له :. وامضى اذا ما حاز من كان ماضيا **وقال**

ابو سعيد الرستمي فيك ما يحمد الحمود وما فيك :. سوى العدل والتقى ما يعاب
لك حب ثرة ووجه طليق :. ولسان رطب وصدر رحيب

وقال بكر بن النطاح: كم لك يا مالك من نعمة * ابقى على الدهر من الدهر

معتصم الدهر بها فعاله * مثل اعتصام العشب بالقطر

وقال ابن طباطبا العلوي يمدح ابا اسماعيل الحسين بن احمد: كان نوالي في العقود نظيم

مواقع نعماه الذي كل بلدة * مواقع شاقي الزرع عند سقيم

وقال ابو الطيب: لقد حسنت بك الاوقات حتى * كانك في فم الزمن ابتسام

وقال السلامي: وانما السلطان ظل الله جنته * لنا وفي يديك الارزاق والقسم

عدلت حتى هممنا ان نجور وكم * من شاكر نعما في ضمنها نقم

ان المسيح وقد بانت دلايله * لولا هداه لما استكثر بالامم

ولقد ملات الارض عدلا كالتي * كانت تحدث انه عليا وهما

حتى تمنى لو يرى اموتها * من عدل حكمك ما يرى احياؤها

وقال اخر: ايا بلاد مليكه تعطري * وفي زمان من عدله تبختري

وما على نعماه تشكره لمن نبط * النعم من لم يشكم

المجلس الثاني والثمانون من كتاب خلق الانسان تفسير قول الله عز وجل وفي انفسكم افلا تبصرون * في شجاعة الانفس ونجدتها

بسم الله الرحمن الرحيم

لا يعلم خفيات الغيوب * ولا يستر جليات العيوب * ولا يغفر خطيات الذنوب * ولا يبدل نجيات القلوب * الا الله الكريم الكافي العفو المعافي * يحيي العاني * ويغني العافي * ويعطي السايل وان ضعف سببه * ويرزق الامل اذا اضاعت شعبه * وتستفيض نعم البيض اذا اسودت الاحوال * واحتجب الامال * ان الحكم المبين * والكيد المتين * والفضل السابغ * والعدل البالغ * مهلك المعتدين * ومنشئ بعدهم قرنا آخرين يحتذي بطول على المسيئين * ويرجع عفو المذنبين احمده بحمد حمد بن وطا فيحي وارسل اليه بفقري وفاقتي واحلى بطوع عبودية حمد عبادي واشتري شكر نعمته مزيد سعادتي واصلي على عبده ورسوله محمد المحروس وحيه في قرار قدمايم الغرور بعثته في مجمع المكارم اركى الرسل نجارا * واعزهم انصارا * واتمهم سماحا وسنانا * وانصهم قولا ولسانا * واعلاهم منزلة وقدرا * واسناهم شرفا وذكرا * والحنهم مادام وجيبا مجة واوسطهم مانا ارايهم محجة وانداهم في الله جها دا ثبين مجد اعوانا واعضادا * فصلوات الله عليه وعلى آله الذين اعزوا الدين بالالسن اشداقا والايدي شدادا الدين سنا ولوا * كلبل العز كابرا وسدا ولوا العزين سروح الضوامر وذري للمنابر وسلم تسليما * قالوا ان الشجاعة فضيلة النفس بها تخاف وتوعد وتحفظ جانبه

متوسطين دون الحق التهور افراطا والجبن تفريطا وكمن فوات الشرف او تضييع الحرم لعدم ما يخاف منه لا بعنوان لا يخاف قوته بالشجاعة بل بالقحة والخيانة والفساد والخلاعة وكذلك من لا يكترث للدفع هو الحيوف من كالرجفات والصواعق ومن يتعرض للمحاذر والمعاطب كاصحاب في العقاد وثوابت الزمان وبائن السلطان فتنة بعد من الحاصل لا الشجعان وعلى هذا مخاطرة العشاق المهالك والمحاذر فهي من شكل الهوى المفرط فقاهم ولم يصار اعمال اعمال السكران في غلو السكر والمرح في تخبط المس واما الشجاع في الحقيقة من يبذل نفسه في حقها ولا يفرق من الموت الكريم في حال الحرب منه للثبات المختار لما لا يزيا فالاتره كريما ولا يصحبه ما يفارقه لا محالة للشجاعة وما اكرم قول القائل

وجدت منن لاحاد مثلهما * وقلت الهمائي خير سنان غلوتهما

على شاعراختي رداها وسوف * تليل بها الاردنا فاسكونهما

وما خيرمال لا يقي الذم ربه * ونفس امرئ في حقها لا يهينها

ونظر عبد الله بن علي الى فتى عليه ابهة الشرف وهو يقاتل مستقبلا فناداه يا فتى لك الامان ولو كنت مروان فقال الا اكنه فلست بدونه قال فلك الامان ولو كنت من كنت فاطرق ثم قال

اذل الحياة وكره الممات * وكلا اراه طعاما وبيلا

فان لم يكن الا احديهما * فسيرا الى الموت سيرا جميلا

ثم قاتل حتى قتل فاذا هو ابن لمسلمة بن عبد الملك ولما كان يوم بني النضير لما اقتتله كان الزبير بن باطا من بني قريظة ممن يقتلون وكان له عند ثابت بن قيس بن شماس يد لانه كان اسره يوم بعاث فاطلقه فقال الى اريد ان اجزيك بيدك عندي قال الى الكريم يجزي الكريم فاتى ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستوهبه دمه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هو لك يا ثابت فاتاه وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وهب لي دمك فقال شيخ كبير لا اهل له ولا ولد ما يصنع بالحيوة فاتى ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال امراة الزبير وولده فقال هم لك فاتاه واخبره قال اهل بيت لا مال لهم فما بقاؤهم فعاد ثابت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ايا رسول الله ما له قال هو لك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اعطاني مالك فهو لك قال يا ثابت فما فعل الذي كان وجهه مراة صينية يتراى فيها عذارى الحي كعب بن اسد فقال قتل قال فما فعل سيد الحاضر والبادي حيي بن اخطب قال قتل قال فما فعل فلان وفلان قال قتلوا فقال يا ثابت فاني اسالك بيدي عندك الا الحقتني بالقوم فوالله ما في العيش بعدهم من خير ولا في لمشتاق الى لقاء الاحبة فقدم ثابت فضرب عنقه ومن اختار القتل على بصيرة يزيد بن المهلب فانه لما التقى ومسلمة بن عبد الملك وانهزم اصحاب يزيد قيل له قد انهزم اصحابك فتمثل

اخو غمرات لا يبالي اذا انتضى ۞ حميته من غاب عنه او اعتزل
فما كوفة امي ولا بصرة ابي ۞ ولا انا يثنيني عن الرحلة الكسل

وحمل يقاتل فجاء اليه ابو رؤبة صاحب المرجئة فقال اصلح الله الامير قد تفرق عنك الناس فلو انحزت الى واسط فتحصنت في مدينتها واتتك امدادك من البصرة وعمان والبحرين فقال يزيد قبح الله رايك تامرني بالفرار على كبر السن ثم تمثل بقول الاعشى

او الموت حتى يعاد وانما ۞ رايت منايا القوم يسعى دليلها
فما ميتة ان متها غير عاجز ۞ بعار اذا ما غالت النفس غولها

وحدث المفضل الضبي قال كنت مع ابرهيم بن عبد الله بن الحسن عليه السلام وهو واقف المنصور فسمعته ينشد

الست يعادوا المانها ۞ لعادت بنفسي واسقامها
ثمانية من بني مالك ۞ وطال في المجد اعمامها
والقى الى اصل جرثومة ۞ يرد الكتيبة ايامها
يرد الكتيبة مغلولة ۞ بها افنها وبها ذامها

ثم حمل فقتل عدة ثم رجع فوقف فقلت بابي انت وامي لمن هذه الابيات فقال هذه للاحوص بن جعفر بن كلاب يعوطها يوم الشعب وتمثل بها امير المؤمنين علي عليه السلام يوم الخندق ثم تمثل ابرهيم

مهلا بني عمنا ظلامتنا ۞ ان بنا سورة من الغلق
لمثلكم نحمل السلاح ولا ۞ تغمز احسابنا من الرقق
اني لانمي اذا انتميت الى ۞ عز منيع وعشر صدق
بيض جعاد كان اعينهم ۞ تكحل يوم الهياج بالزرق

ثم حمل فقتل نفسا او نفسين فلما رجع قلت بابي انت وامي لمن هذه الابيات قال لضرار بن الخطاب الفهري الحنيفي بن مالك وتمثل بها امير المؤمنين يوم صفين ثم اقبل علي فقال انشدني ابيات عوف العواق فانشدته

الا ايها الناعي فزارة بعد ما ۞ اجدت بغزو ايها انت نائم
او كل جوار سب بوتره ۞ ويمنع عنه النوم ان نائم
اقول لفتيان سروا ثم اصبحوا ۞ على الجرد في افواههن الشكائم
قفوا وقفة من يحي لا عار بعدها ۞ ومن يخترم لا يتبعه الملاوم
وهل انت ان باعدت نفسك منهم ۞ لتسلم فيما بعد ذلك سالم

فقال قاتل الله عوفا كانه ينظر الينا في هذا اليوم ثم حمل فقتل رجلا ثم رجع فجاءه سهم غرب فقتله
ودخل عبد الله بن الزبير على امه اسماء بنت ابي بكر الصديق في اليوم الذي قتل فيه فقال يا اماه

خذلني الناس حتى اهلي وولدي ولم يبق معي الا اليسير ومن لا دفع عنده اكثر من صبر ساعة من النهار وقد اعطاني القوم ما شئت من الدنيا فما رايك قالت ان كنت على حق تدعوا اليه فامض عليه فقد قتل عليه اصحابك وتفكر كم خلودك في الدنيا والضرب بالسيف في عز احب الي من ضربة بسوط في ذل وهو امر ان نظرت موضع اختيارك منهما اما الموت عزيزا او كريما غلمان بني امية من قبلك يلعبون بها فقال لها هذا والله رايي والذي قمت به داعيا الى الله هو الحق ووالله ما دعاني الى الخروج الا الغضب لله عز وجل ان تستحل محارمه ولكني احببت ان اطلع رايك فزيديني قوة وبصيرة مع قوتي وبصيرتي ووالله ما تعمدت اتيان منكر ولا عملا بفاحشة ولم اجر في حكمه ولم اعتمد امانا ولم يبلغني ظلم من عمالي فرضيت به بل انكرت ذلك ولم يكن شيء عندي اثر من رضا ربي اللهم اني لا اقول ذلك تزكية لنفسي ولكنه اقوله تعزية لامي لتسلو عني قالت له والله اني لارجو ان يكون عزائي عنك محمودا ثم قال اللهم ارحم طول ذلك القيام والظما في هواجر المدينة ومكة اللهم اني قد سلمت فيه لامرك ورضيت فيه بقضائك ثم قال يا اماه لا تدعي الدعاء لي قبل موتي ولا بعده فخرج وهو يقول

تاخرت استبقي الحياة فلم اجد ۞ لنفسي حياة مثل ان اتقدما
فلست بمبتاع الحياة بسبة ۞ ولا مرتق من خشية الموت سلما

وقال لاصحابه احملوا على بركة الله وحارب حتى قتل ومن صلابة بعض هذه المراة ما يروى انه لما دخل عليها عبد الله وهي عليلة فقال يا اماه ان في الموت لراحة فقالت لعلك تمنيت موتي فوالله ما احب ان اموت حتى ياتي على احد طرفيك حتى انظر الى ما يصير امرك اما ان تظفر بعدوك فتقر عيني واما ان تقتل فاحتسبك وقالت الى ابنه عروة وضحك فلما كان في الليلة التي قتل في صبيحتها دخل في الحجر عليها فشاورها فقالت يا بني لا تجيبن الى خطة تخاف منها على نفسك من القتل قال لا اخاف القتل انما اخاف المثلة فقالت يا بني ان الشاة المذبوحة لا تالم السلخ وحديث سيد الشهداء ابي عبد الله الحسين عليه السلام في هذا الباب اجل من سائر الاحاديث جلالة على سائر الشهداء فانه لما عزم الامر اسر مسلم بعث في جمع عظيم والمثل يدرك ابيه ودعا بمصحف فوضعه امامه واقبل المحاربين بسيفه فالاشد بيناحي قتل من بني ابي طالب علي الاكبر وعبد الله بن مسلم بن عقيل ومحمد بن عبد الله بن جعفر وجعفر بن عقيل ثم طلع القاسم بن الحسن عليه السلام غلام كان وجهه شقة قمر في يده سيف يمان وعليه قميص ونعلان قد انقطع شسع احدهما فحمل عليه رجل فضربه بالسيف على راسه فوقع الغلام لوجهه وصاح يا عماه فجلى الحسين كما يجلي الصقر الكاسر والليث الخادر ثم شد على الرجل بسيفه فاطن ساعده من المرفق وقام على راس الغلام والغلام يفحص برجليه والحسين يقول والله عز على عمك ان تدعوه فلا يجيبك او يجيبك فلا ينفعك ثم احتمله ورجلاه يخطان في الارض ووضع

الحسين على صدره فجاء به حتى القاه مع ابنه علي والقتلى حوله ثم كر عليهم فما رأى مكثور قط قتل ولده
واهل بيته اربط جاشا ولا امضى اقداما وكان الرجال لتنكشف عنه انكشاف المعزى عن الذئب الا انّ
هذا الذي حكيناه ورويناه هو الشجاع على الحقيقة الذي حددناه ومما جاء في اختصاص العرب بهذه الصفة
وانفرادهم من اجيال الامم بفضيلة السبق في النجدة ما حكى ابرهيم بن اسحق البادرع قال حضرت مجلس فخر الدولة
ابي الحسن علي وهناك الصاحب بن عباد فجرى ذكر العرب وما خصوا به من الشجاعة والاقدام والوفاء فانشد
قول الاشهب بن رميلة ∴ بكت جزعا امي رميلة ان رات ∴ دما من اخيها بالمهند باقيا

فقلت لها لا تجزعي ان طارقا ∴ خليلي الذي كان الخليل المصافيا
وما كنت لو اعطيت الفي نجيبة ∴ واولادها لغوا وستين راعيا
لاقبلها عن طارق دون ان ارى ∴ دما من بني حصن على السيف جاريا
وما كان في عوف قتيل علمته ∴ ليوفيني من طارق في حسابيا

فاستحسن الشعر واستعاده ثم قال هكذا والله العرب اكرم الامم احسابا وانجبها قلوبا واكبادا واشدها
عهودا واحماها حريما واجزلها بالحسنة حسنة وبالاساءة اساءة ثم ابتدى يقص اخبار الملوك
وحدث بكر ما ذا الملك من همهم وعلى ايديهم فذلك كيكاوس اجل ملوك الاعاجم شانا واعظمها سلطانا
غزا بلاد اليمن فخرج اليه ذو الاذعار بن ابرهة فظفر به واجتاح عسكره واستباحه وحبسه في بئر سبع سنين
حتى استنقذه ملحا وهذا شمر بن اسعد غزا بلاد الهند فخرج اليه ملكها في فيلته وجنوده فقتله شمر
وهكذا جرى الامر كان من تكاثيهم في عسكر ابرويز يوم ذي قار وقد جاء الله بالدين والدولة الهاشمية
كلاهما عربيين قالوا ولان العرب افضل الامم واجمعها للخصال الحميدة جاءهم لتقديم الدين والدنيا ومما جاء
من العرب في وصف الشجاع من الشعر الجامع بين جلالة المعنى وجزالة اللفظ قول القائل

يحن الحي من قيس ثلوحي ∴ وما ابى دون ارضهم قرارُ
اجبتهم لحبهم المنايا ∴ اذا ما الموت دار بهم ودارُوا
بهم تسمو وترفع ناظريها ∴ اذا ذكرت مآثرها نزارُ

[آخر]
مصون قد تكسروا الجفون الى الوغا ∴ ستحسب فيهم استبشارُ
وهم الاسود لدى العرين بسالة ∴ ومن الخشوع كانهم احبارُ
ولقد مضوا وانا الحبيب اليهم ∴ وهم الى احبة ابرارُ

[حسان بن ثابت]
لنا حاضر فعم وباد كانه ∴ شماريخ رضوى عزة وتكرما
وكل فتى عاري الاشاجع لاحه ∴ قراع العوالي ببرح المسك والدما
نبيتنا حاضرنا بكل مهند ∴ يطير له عند الضراب رؤوسها

رماح نرى فيها اذا اصطرم الوغا ∴ دما من الابطال عزت نفوسها
اذا ما غضبنا غضبة مضرية ∴ هتكنا حجاب الشمس او قطرت دما
اذا ما اعرنا سيدا من قبيلة ∴ ذرى منبر صلى علينا وسلما

[عمرو بن الحا...]
اذا اسلمت الحتوف الرجال نفوسهم ∴ صبرنا على الحتوف النفوس الغواليا
حفار الاخاديد التي يوم عمها ∴ عقدن باعناق الرجال المخازيا

[حاتم طي]
واني كما شاء الحمام ولن ترى ∴ اخا الحرب الا سام الوجه اغبرا
اخو الحرب ان عضت به الحرب عضها ∴ وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا

[حصين بن ...]
لمن ابي عمرو لعمرو طلها ∴ اذا اصل ومن بها حصين تقدما
ويدنو بها في الصف حتى يردها ∴ حبال المنايا باعط الموت او الدما

[عبد الله بن فروة]
كفاني من الدنيا ولا امر حسنة ∴ واجرد خوار العنان يحسب
ولا خير في دنيا لمن لم يكن له ∴ لدى الله في دار القرار نصيب

[عبد الله بن مرداس]
فلقد كررت وما اريد غنيمة ∴ الا ليذهب حزني ولحاجي
فعلام ان لم اشف نفسا حرة ∴ يا صاحبي اطل حمل سلاحي

[ربيعة بن الحرب]
وما ذنبنا في قومنا غير اننا ∴ غداة الوغا والروع اسرعهم وردا
واسيافنا في كل يوم كريهة ∴ تظل من الاعمار عارية جردا
ورثنا من الزمان عاد وتبع ∴ ابا فابا فالمجد فالجد فالمجدا
بهن فلول من تقادم ما مضى ∴ ومن قلعهن البيض والحلق السردا

[الاشهب بن رميلة]
لعا ولكم كيما تطلوا دماءنا ∴ فان تفعلوا فالله ليس بغافل
وما زال كري الخيل حتى اقادكم ∴ مغللة اعناقكم في السلاسل
وهل سبقنا قبلكم من قبيلة ∴ ودون فيقتا سوا باحدى الغبائر

[حبيب بن ...]
فتى دهره شطران فيما ينوبه ∴ ففي بأسه شطر وفي جوده شطر
فلا من بغاة الخير في عينه قذى ∴ ولا من زئير الحرب في اذنه وقر

[حبيب بن ربيعة]
وطعان قد مكنت الكحل عنه ∴ وقوم قد تركتهم غضاب

[سويد ...]
ونوم طلعة اكرهت فيه ∴ سنانا مثل خافية العقاب

[شرحبيل التغلبي]
اسا امنا ان تعلوا امنا امر ∴ كما قلم زباني في مسلك تغلب
فديتكم عنه رجال شعارهم ∴ اذا ما دعى الداعي الا يا لتغلب

[ابو ...]

[البولاني]
صبرت لهم نفسي واكرهت مهرتي ∴ على الطعن حتى عاد وردا كميتها

وقال المفضل بن المهلب بن ابي صفرة

هل الجود الا ان تجود بانفس ... على كل ماضي الشفرتين قضيب
وما خير عيش بعد قتل محمد ... وبعد يزيد والحرون حبيب
ومن هز اطراف القنا خشية الردى ... فليس لمجد صالح بكسوب
وما هي الا رقدة تورث العلى ... لرهطك ما حنت روايم نيب
حلفت لهم والخيل تردي سوابعا ... نقاتلهم حتى تهزوا العواليا
عوالي زرقا من رماح ردينة ... هرير الكلاب يتقين الافاعيا

بعض الطالبية
ولست بعاجز يوما مطيعا ... الى من لست آمن ان يجورا
ولكني متى ما اخش منه ... احالف صارما عضبا بتورا
واسمر خطيا واقب نهدا ... وناجية مشفقة جسورا
وانزل كل رابية براح ... اكون على الامير بها اميرا

ومثله
اذا سالت الجوزا او النجم طالع ... فكل مخاضات الفرات معابر
واني اناصر الامير باذنه ... على الاذن من نفسي اذا شئت قادر

عبد الله بن الزبير
اني لمن نبعة صم مكاسرها ... اذا تناوحت القصبا والعشر
ولا الين لغير الحق اتبعه ... حتى يلين لضرس الماضغ الحجر

الاشتر النخعي
لعمرك يا جرير لقول عمرو ... وصاحبه معاوية الشامي
وحوشب ذي الظليم وذي كلاع ... اخف علي من ريش النعام
اذا اجتمعوا علي فخل عنهم ... وعن باز مخالبه دوامي
فان اسلم اعمكم بحرب ... يشيب لهولها راس الغلام
وان اهلك فقد ابليت عذرا ... امورا فلجه يوم الخصام
لقد كثر الكلام واوعدوني ... ومن ذا مات من خوف الكلام

وهذه الابيات قالها الاشتر لما رد معوية جريرا بعد مطاولته الى امير المؤمنين بغير بيعة فقال له الاشتر اخبرت من خلاف معوية حتى لم يترك ثلمة الا سدها ولا بابا كان يخاف الا اغلقه لو كنت مكانك لاخذته بخناقه وصفقت بين وثاقه ونجحت لامير المؤمنين بين الاسلمة الايام فقال جرير لو كنت مكاني لقتلوك بعثمن فقال الاشتر يا جاهل والله ان الحلم لانفا الابيات يقولها وهذه الحكايات وهذه الاشعار على وصف الشجاع الذي حده ناحية وبينا حاله واما المقتحم فهو المقدم عن تهور على الامور المستعظمة من غير خطر الراي والاعجاب بشجاعة النفس واحتقار للعدو من غير استعظام لما يمكن من الامر

كما كان من امر يزيد بن المهلب وفعله في قتال مسلمة خطب بواسط فقال ابي اسمع قول الرعاع قد جاء مسلمة وقد جا العباس وقد جا اهل الشام وما اهل الشام الا تسعة اسياف سبعة منها معي واثنان علي واما مسلمة فجرادة صفراء واما العباس فنسطوس بن نسطوس اتاكم في برابرة وصقالبة وجرامقة وانباط واخلاط انما اقبل اليكم الفلاحون ولو باتر كالشلا الافم والله ما لقوا قط كحدكم وحديدكم وعديدكم اعيروني سواعدكم ساعة تصفعون بها خراطيمهم فانما هي غدوة او روحة حتى يحكم الله بيننا وبين القوم الظالمين فسمعه اعرابي فقال ان هذا الا المغلوب انظروا كيف وضع في قومه ترك الحزم من عدوهم فكان الامر كما قال وكذلك فعل محمد بن حميد فانه مع نجدته وبذكور شجاعته كان مقتحما متهورا فراه ابو سعيد محمد بن يوسف الثغري في حرب بابك قد تقدم اصحابه وخلف العسكر وبابك قاعد على صخرة في دار من جبل شاهق في السماء وحوله سبعة عشر رجلا وابيه بهم الزرابين وفي اعناقهم التراس وبيد بابك سهم يقلبه ونار من بين يديه بالشواي فقال ابو سعيد لمحمد بن حميد تامر فتكون في الجمهور الاعظم فاني اذا كانت للجند جولة ومن ناحية من النواحي كشف كنت لهم معقلا وعينا ثم وقفا فقال محمد الامر اعجل من ذلك اعجابا واقتحاما فانا وحاربا بابك الى النفر الذين كانوا في الثلمة بسيف فتقدموا ونادوا وشبوا الحرب وفيهم غلام وضي يقدم القوم فقال ابو سعيد للناس ارشقوا ولا تعنفوا فرشقوهم فاصاب احد الغلام رمية فانتزع السهم وكسره ورمى به وعدا الى صنديل قد تعصب به فرماه وشد على الجراحة وعاد المحاربة وحمل جميع من الميمنة ورمى بابك بسهم خلفه فخرج مقدار ثلثمائة رجل في وجوه القوم وثبت الحرب ثم جد اصحاب بابك وحملوا حملة رجل واحد فجاءت الهزيمة فلم يلو احد على شي ولا وقف لاخيه وراح محمد بن حميد قليلا ثم وقف يدعو الناس فلم يقف معه الا نفر من خواص اصحابه ووقفوا قليلا لاطامعين في صنيعة منهم لقرب العدو منهم فلما راوه ابى الا الثبات والاستقتال وكان يحدو بابيات هي

انا بن حمية لدى الاحراج ... ورم السنان الجاحم الاوداج
يهيب اسنة المنون فروقيت ... وتركات صبرا بغير مزاج

فادرتي وتحامل بعض خدمه من العدو فلم يزل يقاتل ويحارب الى ان قتل فكان هو الذي قتل نفسه بهذا الاقتحام بغير مصلحة بل اعجاب بشجاعته وحكي ان عمرو بن معدي كرب على بسالته ما نجى قط ولا اعجب بنفسه وقيل له يا ابا ثور ما لك لا تلقى قرنا الا قتلته قال لاني القاه بعد الهول من انه هكذا قال ولم يقل لاني اشجع منهم وقيل له في اي سلاح تحب ان تحارب عدوك فقال في اجل ساعة وسئل بنو المهلب فقال الكل فيهم في اقبال دولتهم ومن كلام الحكماء الاوائل المنظر محتاج الى القبول والحسب محتاج الى الادب والسرور محتاج الى الامن والقرابة محتاجة الى المودة والمعرفة محتاجة الى التجارب

والشرف محتاج الى التواضع والجدة محتاجة الى الجد **وكتب** سعد بن ابي وقاص الى رستم صاحب الاعاجم
اسلامكم احب الينا من غنائمكم وقتالكم احب الينا من صلحكم فبعث اليه رستم انما انتم كالذباب اذ نظر الى العسل
فقال من يوصلني اليه بدرهم فاذا نشب فيه قال من يخرجني منه بدرهمين ولنا البلاغ والنعي سير ديلك فاجابه
سعد انا لسنا باغين على من له نعمة ولا املين منا بفضل ثروة وزيادة علو ولكنكم قوم معادون لله وتعالى دون
انفسكم لانكم اذ نعد علمنا ان الله يريد ان يحول الملك عنكم الى غيركم وقد اخبركم بذلك حكماؤكم وعلماؤكم وانتم
دائبا تقعون القضا بجوركم وتلقون عقوبة الله بعدوركم وهذا القحام منكم وجهل بامركم ونبئ على
انفسكم ولو نظرتم لابصرتم ولو ابصرتم لسلمتم فان الله غالب على امره ولما كان الله معكم كانت علينا ويحكم وان
لما صار الله معنا صارت بحثا عليكم فانجوا بانفسكم واعتنموا ادراكم والا فاصبروا على السلاح
والم الجراح وخزي الافتضاح واما الجبان فقيل هو الذي يفترس اللقاح الجبا كما قال الموصلي لحارسه
جبان ∴ بنفسي يا جبان وانت مني ∴ مكان الروح من جسد الجبان ∴
∴ ولو اني اقول لكان نفسي ∴ خشيت عليك بادرة الزمان ∴
∴ لاقدامي اذا ما الخيل حامت ∴ وهاب كماتها حر السنان ∴
ولكن اقدام الشجاع اضاع حب الحيوة كما ان فرار الجبان ابقى الحيوة كما قال ابو الطيب
∴ يحب الجبان النفس اورده التقى ∴ وحب الشجاع النفس اورده الحربا ∴
∴ ويختلف الفعلان والقصد واحد ∴ الى ان ترى احسان هذا لذا ذنبا ∴
فالصحيح ان الجبان هو الجزوع من الاذى المروع الفواد المزوف العقل من عيان بخص فيه بحب الحيوة ولهذا
ان من آثر الموت على الحيوة من النفر الما يكابده من جهد البلا ومن اقدم نفسه بين خلاصا من العشق
كان جبانا لا شجاعا وكذلك المجنون يلقي نفسه في الابار ويتردى من السطوح وهو في ذلك جبان لانه
لا يستهين بالموت طلبا للفوز بل هو هارب من الاذى لضيق صدره وضعف عقله بل الاقدام في حومة الحرب
وصدمة الاعدا رغبة في العلى من تمام الشجاعة فقط على ما قصصناه من امر محمد بن حميد ولكن الشجاع
كما ذكرنا من امر ابو عبد الله الحسين بن علي عليه السلام هو من يجد في نفسه حسن الجراة وتوقع القتل لا رغبة
في الدنيا ولا بقية حلو لا مدح ما بها ولا رهبة من خوف الذي فان احد الامرين ليس بدايم والاخر ليس
بمرجوع الحق ولكن لا يقابله بالتذكيت وان منح عمره اصغا فاستاهفه في تقديره وقلبه بالاضافة الى الزمان
المطلق ضايع الاضافة الى الحيوة الحرة التي لا فناكسها اذ كان طباعه مؤثرا الجميل وعائفا القبيح ومستكفا
من العار وحاسيا للذنايع ومرعايه بذل الروح في نصرة الدين وحماية الحريم واقامة الحق وصيانة العرض
والعشيرة فلا اناسي بالجبان المخوف والراع الحالي الابنوسي في اسبقفا يتجنى بعجاجانبيه القنا ويحيط
بطرفيه القنا ولا يموت على الفراش حتف انفه مولى نعيم ∴ **قال الازور بن محفوظ التيمي**

∴ لقد زاد الحيوة الي بغضا ∴ وحبا للوفاة ابو بلال ∴
∴ مخافة ان اموت على فراشي ∴ وارجو القتل تحت ذرى العوالي ∴
∴ ولو اني وثقت بان حتفي ∴ كحتف ابي بلال لم ابال ∴ **وقال زياد بن الاعجم**
∴ جزى الله خيرا والفضيل وخالدا ∴ عشية راحوا لحزم ما كان حاذيا ∴
∴ سقى الله اجسادا تلوح عظامها ∴ بعوصة من وقع سحابا غواديا ∴
∴ كان لم يكن فخر ذا ولم يك فيهم ∴ ولم يره يوما من الصوم طاويا ∴
∴ تبدل من دنياه درعا حصينة ∴ وباع الذي يفنى بما ليس فانيا ∴ **وقال ابو حفظ البيري**
∴ هم نصبوا الاجساد للنبل والقنا ∴ وما نالون دنيا لا يدوم نعيمها ∴
∴ وطل عتاق الطير يحجل حولهم ∴ فتلين لحما دائبا لا تحومها ∴
∴ لطاف فابراها الصوم حتى كانها ∴ سيوف يمان اخلصتها سمومها ∴
∴ السهم زمن الابرة شبه مزنه به ∴ وقد يكون السيف حمو ما ∴
واما التشبه والتكبر بهذه الخلال المحمودة والخصلة الكريمة من غير حقيقة فيقع ايضا على اربعة اوجه
منها الرغبة كما يظهر من ذلك لمن يحب الكرامة الرفيعة والذكر الباقي وفي ان لاحد المشهورين
بالشجاعة ليعد من اقرانه ويذكر في قرانه كما فعله عمرو بن العاص في مبارزة علي عليه السلام فلما لم
يكن ذلك عن حقيقة وطبيعة احب الحيوة حبا الجاه الى ان اتقى القتل بسوءته حتى ولى عنه علي
عليه السلام حياء وكرما وقد ذكر هذه القصة ابو فراس في شعر له **فقال**
∴ فقال اصيحابي الفرار او الردى ∴ فقلت هما امران احلاهما المر ∴
∴ ولكنني امضي لما لا يعيبني ∴ وحسبك من امرين خيرهما الشر ∴
∴ ولا خير في دفع الردى بمذلة ∴ كما ردها يوما بسوءته عمرو ∴
ومنها الرهبة كما يفعله الجندي بين يدي الملك خوفا منه ثم لما لم يك ذلك على الوصف الذي
ذكرنا بالشجاعة فربما نقض ذلك كثيرا الى الفرار الجلي عن انهزام الجيش كما انهزم اعرابي
عن لوا مصعب بن الزبير فانهزم به صاحب اللوا في ذلك **فقال**
∴ يقول لي الامير بغير جرم ∴ تقدم حين جد بنا المراس ∴
∴ وما لي ان اطعتك من حيوة ∴ وما لي بعد هذا الراس راس ∴
ومنها الغضب كما يفعله الثاير اذا احمى جناه وغلا قلبه في حشاه فيسطو بالحنق والقتل ان اذا سكت
غضبه وتحلل اسره ندم على ما بدر منه وجعل يعتذر عنه ويتلافى اسائته بالاحسان **كما قال ابو تمام**
∴ لقيناهم بايمان ونصر ∴ كفتنا مؤنة الاسل الطوال ∴

وبعادو لنا سبين لنا فعدنا ۞ الى المعهود من كرم الفعال
ونحن بنو صبيت ابيد سخط ۞ اسونا ما جرحنا بالنوال

ومنها اعتياد الظهور والغلبة فان الرجل اذا كان زمانا ما مصاحبا منصورا مظفرا على اعدائه مرارا اغتر بذلك الى الاقتحام في الاقدام وجهل ان الحرب سجال والايام دول والدنيا نوب فيورد نفسه ولا يصدرها فان

ومن ظن ممن يلاقي الحروب ۞ بان لا يصاب فقد ظن عجزا

وكان مروان بن محمد زمانا مظفرا في ابتداء امره الى اوان ظهور دولة العباسية اعلاه الله فانه نص على اهل بيت المملكة الروانية حين تصدى للخلافة وكذلك على كل ناجم خاف شذاه وخارجي تقوى شباه حتى انتهى اليه مقتل اهل بيته بنهر فطرس فقال له الغلاب قد غلب وسلاب قد سلب فقال الاصحاب من يروي منكم لعروة بن مسيك المرادي في الناسية فقال احد بنيه انا يا امير المؤمنين قال فانشدني فانشد

لئن نغلب فغلابون قدما ۞ وان نهزم فغير مهزمينا
كذاك الدهر دولته سجال ۞ يكر صروفه حينا فحينا
فبيناه يسر به ويرضى ۞ ولو لبست غضارته سنينا
اذا انقلبت به كرات دهر ۞ ترى فيها الالى غبطوا طحينا
ومن يغبط بريب الدهر منهم ۞ يجد ريب الزمان له خؤونا
فافنى ذلكم سروات قومي ۞ كما افنى القرون الاولينا
فلو خلد الملوك اذا خلدنا ۞ ولو بقي الكرام اذا بقينا

فقال مروان لحسن والشباب البقاء الى الزوال والفنا باق على كل شي وما عن الاكثر مضى ومن سره يوما يتربه ومن اعجب بما اعطي سلب عنه وعري منه ومن اعتمد الايام خانته وقد ذكر العقلاء على الاكثر مع فضله وابقائه على الملوك بادرته منه اغتر فيهما بعد ولته وغلبته احدهما يعني دارا ملك الفرس والاخر يعني فور ملك الهند اما يعني دارا فانه صار اليه قبل الوقعة الاخيرة التي قتل فيها دارا وقد تقارب عسكراهما على انه رسول يعرف وفطن مكانه يوخذ لولا انه هرب وكان على جواد لا يسبق فاتبعه الفرس فلم يلحقوه وبادر منه مع فور الهندي اذ دعاه لما التقيا ولب الحرب بينهما الى المبارزة واستعمل في ذلك التهور والمخاطرة وانما قتل الاسكندر بنورة وقعت في عسكر الهندي من ورائه فكان منه التفات اليها فتمكن منه وقتله وقد كان يجوز ان لا يتفق ذلك ويكون الامر على الضد وكان فروة بن ابي خميصة الاسدي يهاجي عمارة بن بلال بن جرير وفروة دون

العشرين وعمارة قد جاوز الستين فقال في عمارة من قصيدة

وابن الستين اعجز حاجز من خوفنا ۞ بالوثب منزلة الذليل الصاغر
عسى الزمان ان يكون طليعة ۞ او ان تحل به عقوبة قادر

فقال عمارة في نقيضه هذه القصيدة من ابياتها

ولحال يكركم الوعيد وربما ۞ تقع الصنيعة عند غير الشاكر
ما في السوية ان تجر عليهم ۞ ويكون يوم الروع اول صادر

فلما سمع فروة هذا البيت استفزه وكان صبيا للحرب وقد اخذ له ابن قتيل في وقعة بين ثلاثة من بني حنظلة فاغتر بذلك وظن ان الله لا يزال ظاهرا ظافرا وحمله مع ذلك البيت على ان صبر في حرب سنان او بعد اصحابه وحده فقاتل حتى قتل فحكى الفضل بن حباب انه سمع عمارة وقد قيل له قتلت فروة فقال ما قتلته ولكن افتلته اي عرضته للقتل فاذن نظهر بما ذكرنا انقسام الشجعان الى الطبقات الاربع فانه الى الطبقة الاولى يرتقي الجهاد لطلب الثواب والى الثانية خوف العقاب في الفرار من الزحف والى الثالثة التعصب لدين الحق والغضب على اهل الزيغ والكفر وعبادة الاصنام والالحاد في دين الاسلام والى الرابعة الاعتقاد بوجوب النصرة لاهل الحق على الدوام والمؤامرة من غير امتحان بالاعوان والانصار والى الدرجة العليا التي ذكرناها في حقيقة الشجاعة من نوازع الجنب الذي يطارد به اعداء الدين لا على هذه المعاني العارضة ولكن بمحض بصيرة الحق في نفسه وان لم يكشفه رعب ولا رهب ولا غضب ولا سبب فيكون ثباته على النجدة ثباتا لا عرض لها بزوال ولا يتحول ويكون عيشه حميدا او موته كريما بل يكون موته اكرم وما يبقيه افسح لاربعة معان احدها ان قتل مثله يكون نجحا وجيعا وبقيته في الامراء بانفسهم وقاية التي النفيس الذي جوهره الكريم ان يحتفظ ويصان كما قال بعض ملوك الفرس الشجاع موقى والجبان ملقى وقال بعض ملوك العرب انما الشجاع محبب ولو الى عدوه والجبان مبغض ولو عند اهله وولده والثاني ان العدو اذا رآه وهو على تلك الحال والثبات والصبر يتوقع الهزيمة من هو وبجاهه هذا وعليه قول ابي بكر الصديق رضي الله عنه لخالد بن الوليد احرص على الموت توهب لك الحياة وقال خالد لقد شهدت اكثر من مائة زحف وما في بدني موضع شبر الا وفيه اثر طعن او رمي او ضرب وها انا ذا اموت على فراشي كما يموت العير فلا نامت اعين الجبناء والثالث ان ما يبقى له من جميل الذكر وطيب الثناء يكون عمرا ثانيا وبقاء باقيا كما قال ابو تمام

سلفوا يرون الذكر عمرا ثانيا ۞ ومضوا يعدون الثناء خلودا

وقال ابو الطيب

ذكر الفتى عمره الثاني وحاجته ۞ ما فاته وفضول العيش اشغال

وناهيك في هذا الباب بطول الخبر فصاحة لفظ وشرف معنى

فاخرنا استبقوا الحيوة فلم اجد … لنفسي حيوة مثل ان اتقدما

وقال الطهوي: عليك يا بشر سلام ورحمة … فقد بنت عنا كالملك حامد

وانك قد اورثت بحرا وانما … حيوة الفتى سير الى الموت قاصد

والرابع وهو اثر اذا رزق الشهادة فاز بالبقاء الحقيقي والرزق الحقيقي وصار من شاهدي المقام الكريم
ووارد في النعيم المقيم كما قال الله عز وجل ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون
فرحين بما اتيهم الله من فضله والاخبار المشهورة المروية من طرق في شتى حقيقة حيوة الشهداء كادوا بلها استقاسيما
ومعانيها مع ما قالت العلماء الراسخون فيها شرحا جميعا بالمحض يرجع في التفسير الكبير المعنون بالفصل
للتفسير والتاويل ولولا الاستعداد خطوهذا المجلس لوصلنا بغيره واشد ويذكر في هذا الموضع خاتمة
المجلس انه شبهة النصارى والشعوبية ولمنالمهم في امر الجهاد قالوا لو كان دين الاسلام دين حق لما كان الداعي
اليه معتمدا على الطول السيف وسخ اذني ولما اكم للنهب والسلب وستر قالدا ابيهم بالنبي ولكان في الدعا
الى الحق باللسان والطف القول لما يغني عن استعمال السيف والسنان والجواب ان الدين بالملك يقوى والملك
بالدين يبقى وموارد الامور مشتبه وفي مصادرها تتضح البر واليقين واذا اضعف السلطان قوي الشيطان
ونازع السلطان فوق ما نزع القرآن ولا سلم على الناس احد ولولا تعمد السيف لم يجمعوا على نظام ولرات
ذهبت الرهبة وما ابين وجوه الخير والشر في مرآة العقل اذا لم يصدا بالهوى واذا تقرر هذا فنقول ان
استعمال السيف والسوط قد يقع على صورة الجهاد او الحد فيصير محمودا لصاحبه ورحمة للعالمين وقد
يقع على صورة الفتنة او الصعلكة فيقع مذموما من صاحبه ومحنة على العالمين واذا كان هذا
بينا فينبغي ان نستقري حال صاحب الشرع اكان استعماله السيف على من استعمله متعلقا بمطامع او
مرتبطا بغلبة شامله او ازاحوا فيه هل كانت مقرونة بالهداية والارشاد ام كانت جائرة على الحظ
والاستفساد وواقعا عليهم بكل حال او كان ذلك يجري على التطهير الى قبول الحق سلما او قبول
الجزية لكي يصيروا سلما لاهل الدين فاستقرينا بتتبع هذه المعاني فوجدنا مفتتحا امام مساوشابه
الطهارة دعوة مخافة لاهل الارض وهو عار في تصفحها الدور قيحا شيعة وسوق باية الاعداوة في
الخلوات اشد من عداوة القرين والله يدل ذلك فقد نادوا العالم ملوكهما وسوقها من غير ان يوجد معه مال
ممدود ولا اعوان مشهود وانه لم يكن يصانع احدا بتمكين ما يوافق هواه بل يدعوهم كلهم الى الانقطاع الى الله
والامساك عن اللذات وهجر الاملاك والاوطان وتوديع الاهل والولدان وان عظيرة ليسوا
يطابقونه عليها بل يدعونه الى ترك ما هم المال الجم والرياسة المعقودة وهو غير ملتفت اليها بل صابر على
ضنك العيش ورث الحال الى ان قال العقل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني بنحو عشر
سنة فيدعوهم على تلك الوتيرة الصادقة من غير ان يزن بتهمة فرعي اولا انه تقبه بالله وان الله تعالى

ينصر رسله والذين امنوا في الحيوة الدنيا فمن اين يتبع في قطع البشران يطلع من خافه تلك في تتمة ما اهلك
عليه من الامر الجسيم والخطب العظيم لا لا يكن استاد له السيوف من نفسه ولنفسه ولكنهما من خلق الانس و
امره فلم يكن محاربته من قاتل لحظ نفسه في ازالة نعمهم ولا انتهاب فيهم بل لو قدر على استصلاحهم بما
الله من غير حاجة الى سفك دمهم لكان ذلك معه الاثر عنده والاحب الى قربه وصحابته وفي الحديث لا
تمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية فاذا لقيتموهم فاصبروا وان الجنة تحت ظلال السيوف وقال
عمر رضي وددت ان بيننا وبين … نارا نوقد لا نصلون منا ورآه ويا كل ما دونه وفي حديث عثمان رض
وددت ان بيننا وبين العدو موقعة لا يدرك قعرها الى يوم القيمة والموقعة بمعنى المقوة يعني هنا البعد
ذهابا عن القتال والفتن الدنيا ولكنهم لفرط انهماكهم على عناد الحق وتتمة عليهم وتظاهرت منه
لديهم من استمعانهم بتلك النعم على عبادة الشيطان وادامة العصيان ومقابلة مولاهم بالغمط
والكفران فنادعتنا الضرورة وقادتنا الحاجة الى ان نوجه عليهم في اعمال السيف عليهم ندوب مشفق
على رعيته من عادية الجناة فقد حاول دعوتهم الى ما تحكم اياه من ابواب العيش فلم يجد اليه سبيلا
الا باهلاك الافراد والاحاد ومثل ذلك لا يكون قساوة بل ما تره ورحمة وعلى ان الجهاد في حماية
الملة والنقضه يجري ويشترك فيه الاديان كلها ولولا قيام اهل كل دين بالمحاماة عن دينهم بالسيف لاجتاح
اعداؤهم وظهر الفساد في البر والبحر ولهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد فانسان العالم اذا لا
يحتمل تركه وحقا ما قيل الاصدق الحرب الالكنة مستبصر في دينه او غيران على حرمه او كريم
ممتعض من ذل الغلبة وهؤلاء النصارى الدافعون لو قصد قاصد بعض كنائسهم التخريب وعمد الى واحد
من كتبهم بالاحراق لما كانوا مقاربين له وهل وضعت حروب الروم والمسلمين الى اليوم اوزارها ولا خفا
ان كلا يهمهم دفع امر الدين وعظم شانه من طالب النار سالح في الدفع باقصى الاستعداد وليس الدين كلها
للسحر ان من لم يحتد له الامر ينكف من الاحر في ادعج فيما ذكرنا فانه قول عن جرحه مخرج الاشال الاعظا
والاحتمال الحسن ما يقول القائل الاحسية انك ان تطرح وتطرك انه جعلك وقد ابتلى الانبيا عليهم السلم كلهم
قبل النشاد عوتهم بالمحن الحوجة الى التحاكم والصبر وقد قال الله تعالى الم احسب الناس ان يتركوا ان
يقولوا امنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم وقال لتبلون في اموالكم وانفسكم الاية الى غير ذلك حيد
اهل دين من الاديان فقد ابعثوا لاقامة فريضة الجهاد بمثل ما وجد عليه اهل دين الاسلام فانه حال
صدق وانا ناصرو الله عليه ولم يشترط الدين من الاديان من خلصية الاعزاز والتاييد ما اشترط لهم
قال تعالى وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض الاية واما الكلفة الى لحقت
في وقعة احد والكرة في يوم حنين فليس ذلك مما يقادح فان الانبيا مبتلون في بعض مجاري ايامهم بالابتلا
في سائر الامور وقد يدال عليهم لاعدائهم معنا وعد ولهم الغلبة والنصر بقوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين

الهم لهم المنصورون الالات العاقبة للمتقين وكان من سعد بصلاح العواقب فقد استقر له مؤالف المكاره
بل يكونه لك له سرعينه الظفر ولعلي في المثوبة والاجر فادعى الى اصطفاء الدنيا التي تداولها بين الانام وقال
بعض البلغاء في هذا المعنى ان الله جل وعلا افعالا لا يقع بغير زمان دفعة وتخرج الى الوجود جملة بالامر الاول
الذي يكون بغير واسطة متوسط ولا استقدام متقدم وافعال اخر تقع بتوسط البشر على عادات اجراها
لهم واوضاع فرقها بينهم ومساع ارشدهم اليها وادام سبلها وجعل لهم فيها اختيارا وارادة ونحا
وزاولة فمن ذلك انه تبارك اسمه خلق الانسان الاول بلا توسط واسطة ثم خلق الانسان بعده بتوسط
الازدواج والمناكحة وكذلك انواع الحيوانات واصناف الحروث والنبات ليس منها الا ما له اصل تبع
مخترع وفرع متولد مستنتج وقد جعل الله للناس في هذه الفروع اجتهادا واعتمالا وتصرفا وتقلبا
وحملهم فيها على العادات الجارية لهم فضلا لم يدع بالتناسل والحمل والرضاع والنشو وسائر الزرع
والغرس يكونان بعلاقة الارض وتحنينها البذر وتعاهدها بالشرب وليس يخلون من ان يحملهم في حمل
المرأة والانثى من كل حيوان تام ولحداج وفي الغرس والزرع اثمار واخلاف وعلى مثل ذلك تقع بعثة
الرسل ومساق الدول لا تجري بها على ايدي الناس ومن انكون فيها اطوار محن … ولو امر جعلها
الله من احتيها … واقرها الموردة الاولى … لنزلت نزول الضرورات التي لا يتبين فيها نجاح النجح
وخيبة الخائب ولا اصابة المصيب وغلط الغالط ولصار … ومن بين حاصين من الخاسل واصدائه ومن
ناصلين من المقام وسقط ثواب المحسن وعقاب المسيء … ذلك انتقاض اركان الايمان وقواعد الاديان وقد
عرفنا اخبار من مضى وقفونا اثارهم وسكنا ديارهم فوجدنا شريعة شرعت ولا مملكة عقدت الا ولاهلها
حروب وشدائد وخطوب … بين من يتنقل عنه وبين من ينتقل اليه تداول وتعاقب وتناوب
وتغالب الا ان الله … الباطل في حال جولته او يحمل الحق في حال عثرته لكن ليطرد الاعجاز على … الصدق
ويمحز الله الاولياء من عباده ويجعل العاقبة للمتقين تم المجلس ولله الحمد والمنة

المجلس الثالث والثمانون من كتاب خلق الانسان تفسير قول الله عز وجل وفي انفسكم افلا تبصرون يشتمل على الكلام في نصيحة الانفس واماناتها

بسم الله الرحمن الرحيم

لك الحمد يا من جرت بامره الاقلام وتداولت على حكمه الايام ولا يحكم عليه زمان ولا يحيط به مكان ولا يشغله
شان عن شان … معرفته المحيز عن معرفته وبلوغ صفته المحيرة في صفته تسح العيون في قدرته ولا تحيط
العلوم باستغراقها وسرح الافكار في حكمته ولا يبلغ العقول الى استقصائها يبسط الصدور ويقبضها ويرفع
الامور ويخفضها لا يخفى على علمه خافية ولا يعزب عن حكمه قاصية ولا دانية يسمع كل دعاء ولا يشغله نداء
عن نداء لا اختلاف في عقيدة المحسنين ولا اختلاف لعادته في حفظ الدين لا تحصى نعماؤه وعمت بالانعام

والاحصر

ولا تحصر آلاؤه وحصرها النجار لا يعطلها … الجبال لمساكنها ولا البحر الزاخرة … الوهاد وسائر بقاعها
زيادة على حكمه ولا انتقاض في الاوقات عن امره ولا انسانا لا يعد الاوهام والافهام ولا تكشف الاقطار والافقار
لا تعطلها … الاحصاء ولا يبلغ كنه كبريائه الاستقصاء بعث محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا والدين رسومه
دارسة والحق نجومه دامسة فاصبحت به اجياد الايام حالية واعلام الاسلام عالية واذا سبل الحق مشرقة
للمهتدين واسبابه الصدق مستمرة زاهرة وعجائب الحق مسبلة معدوقة وحقائق الخير مقبلة موثقة فصلى
الله عليه وعلى اله واصحابه ما لمع برق وهمع ودق في الخطرة وقرئ من كتاب الله حرف روى عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه قال الدين النصيحة قالها ثلث مرات قالوا لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه ولنبيه و
لائمة المؤمنين وعامتهم فاما النصيحة لله فانها في اربعة اشياء بالايمان به وترك الالحاد في دينه
والاخلاص العمل فيما امر به … الاحتراز عما نهى عنه والنصيحة لكتاب الله ايضا باربعة اشياء بترتيل
تلاوته والتفقه في علومه والانقاض … والذب عنه في تاويل المحرفين وتمويه المبطلين وكذلك
النصيحة للنبي صلى الله عليه وسلم ايضا باربعة اشياء بتصديقه ولحسان موازرته ومجاهدة منابذيه
واحياء سنته وكذلك النصيحة للائمة في اربع خلال القيام بطاعتهم والتحرز من معصيتهم والدعاء لهم
عن اخلاص والتوفر على اصلاحهم وان تادى لهم مسالك قال ابراهيم بن العباس الصولي كان ذو القلب
فيما آل الامر اليه في الفضل بن سهل وارضا قول الرضا له … عقد المعتزلة … امير المؤمنين
ان النصح … لا يشبع … ان العامة تكره ما فعلت … وان الخاصة تكره ما فعلت بالفضل
… فالراي لك ان تنحيها عنك حتى يصلح امرك وكذلك النصيحة للمسلمين في اربعة اشياء في بسط المعرفة
لهم والاخذ العفو في المعاشرة واستعمال النصفة في المعاملة والاختيار لنفسه الافضل ولصاحبه
الادنى وقد جمعت نصيحة من اراد الوصول الى الحق في حمله … ان يكون بالقيام اولا على تفهم الصدق
فلذلك قالوا انما حرموا من حرموا الوصول لتضييعهم الاصول فمن هناك وجب ان يكون الابتداء
بتصحيح الاعتقاد على الطريقة المستقيمة التي درج عليها السلف وانتهجها بعدهم الخلف لا على مذهب
المتخذين المجادلين من اهل الكلام فانه ضلالة من الرأي ومضى في الاهواء والله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه
وسلم بشيرا ونذيرا وقال يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته
وقال صلى الله عليه وسلم في خطبة الوداع … بمحضر عامة الصحابة الا هل بلغت
مع قوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا ومعلوم انه لا كل
من معرفة الله تعالى وقد علمنا نبينا صلى الله عليه وسلم انه لم يجعلهم في امر الدين الى الاستدلال
بالاعراض وتعلقها بالجواهر وتغيرها فيها حادثة على لائته وان ذلك يدل على حدوثها ومن عهد
… الا يمكن احدا ان يروى في ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن احد من صحابته وخيار تابعيه

من هذا المنظر رقا ولهذا بل كان دعاؤه صلى الله عليه وسلم الى معرفة الله تعالى والعلم بتوحيده وقدرته
بالنظر في انفسهم وفي ساير المصنوعات كما هو بين في ادلة القران من الاستدلال انما يحصل من انفسنا
وفي ساير المصنوعات من اثار الصنعة ودلايل الحكمة وايات القدرة الشاهد بجميع ذلك على تقدس
الله تعالى وكمال قدرته وعظيم حكمته كما ذكرنا ما احضرنا منها في المجالس المتقدمة من هذا الكتاب
فقد تبين بان معرفة الله بهذا الطريق معرفة شرعية نبوية عقلية حسية لانها للعلماء من العلم
مركبة على مقدمات من الحس لا يقع الخلف في دلايلها ولا يدخل الاشتباه على شواهدها واما
الامر الثاني فان التعلق بهما اما ان يكون عن بدء او لما ان يكون بصحيح الدلالة من جهتها على الكثرة
اختلاف الناس فيها فمن ذاق للامر الثاني اصلا ومن قايل بالفقاهة بنفسها لاختلاف الجواهر ومن قايل في
فاذا احكم الرجل اعتقاده على مذهب السنة والجماعة وسلم من بدع ضلال اهل الاهواء والبدع حق عليه ان
يحصل من علم الشريعة على مقدار ما يعرف كيف يعبد ربه وكيف يعامل اخوته ثم يوثر الاخذ بالوثيق في
الاحتياط دون الترخص الذي هو اعذار المستضعفين وتعللات المتعللين ومن هنا قيل اذا انحط الفقير
عن درجة الحقيقة الى رخصة الشريعة فقد فسخ مع الله عقده ونقض مع الله عهده فالشريعة ان يعبده
والحقيقة ان يشهده فكل شريعة لم تويد بالحقيقة فغير مقبول وكل حقيقة لم تقيد بالشريعة
فغير محصول ولو لم يجد شريعة ما انفقه على نفسه موثوق بعلمه ولا احد حقيقة ما رشاده
بصحبة كبير مقتدى يخلفه على الصفاء ومتابعته في جميع الامور والحيرة اذا انبت نفسهما من غيره
ما يلبس ... ويكون كالدفع اللعين بصارة في الخلق برارة ثم ينبغي ان يشتغل بكثرة وركوع
في خدمة العلائق وبنبذ الشواغل فان سلوك هذا الطريق لا يمكن الا على فراغ القلب وسكون الجوارح
واول العلائق المال فانه هو الذي يميل عن الحق الى الباطل والهوى عن ذلك سمي مالا فقال

يقولون لي مالي ومالي وما لهم ❊ وما مال من قدما له يوما الى مال
امالي وقت مالي هم مالي اساهم ❊ مالي بل امالي وامالي

وكما يخرج عن المال يخرج عن الجاه فلا شي اضر بالانسان من ملاحظة الناس اياه بعين الاعجاب والاجلال
وانى مقاربتين من يريد ربه وبين من يريد جاهه ويطلب غيره حكى ابو عمرو الانماطي قال ركب علي
بن عيسى بن الجراح الوزير في موكب عظيم عجيب فجعل الغرباء يقولون من هذا من هذا فقالت امراة قايمة على
الطريق الى متى تقولون من هذا هذا عبد سقط من عين الله فابتلاه الله بما ترون فسمع علي ذلك فرجع الى منزله
واستعفى من الوزارة ولحق بمكة وجاور بها وكما ينزع لباس المال والجاه يلبس رداء الرضا والتسليم
وكما يخلع الدعة والراحة يحتذي الكد والعمل على الدوام من غير احساب والجام والوقت في هذه الطريقة
من الفترة فلا يكون النوم الا غلبة والقوت الا مسكة والكلام الا ضرورة والخلوة الا فكرة والصحبة الا

هنا م

والسفر

والسفر لاجل التصرف بالبدن لتعويد الشدة وقطع العادة فحينئذ يسطع في القلب انوار القبول ويطلع
من السر ثمرة الوصول لهذه نصيحة من يريد هذا الباب ويصل في هذا المحراب واما نصيحة اهل الدنيا
وخاصة اولي الامر منهم فما ينبغي تقديمهم على الرشد ان كانوا راشدين او يصدفهم عن الغي ان كانوا غاوين
فنذكرها من بعض الاحاديث النبوية ويتبعها بكلمات العلماء الزهاد ومخاطبات الزاهدين العباد
ثم نختمها بحكايات الدهاة ذوي التجارب والراي قدم قيس بن عاصم في جماعة من بني تميم على النبي
صلى الله عليه وسلم وافدين وعنده الصلصال بن دلهمس فقال قيس يا رسول الله عظنا عظة ننتفع بها
فانا قوم نغدو في البرية لا نعهد انا نسمع الاخبار ونصيحة الصالحين فقال صلى الله عليه وسلم نعم ان مع
العز ذلا وان مع الحياة موتا وان مع الدنيا اخرة وان لكل شيء حسابا وعلى كل شيء رقيبا وان لكل حسنة
ثوابا ولكل سيئة عقابا ولكل اجل كتابا وانه لا بد لك يا قيس من قرين يدفن معك وهو حي وتدفن معه
وانت ميت فان كان كريما اكرمك وان كان لئيما اسلمك ثم لا يحشر الا معك ولا تبعث الا معه ولا تسال الا
عنه فلا تجعله الا صالحا فانه ان صلح انست به وان فسد لم تستوحش الا منه وهو فعلك فقال قيس يا
رسول الله لو كان يكون هذا الكلام في ابيات من الشعر فانه اصوب بالقلب فامر النبي صلى الله عليه وسلم
باحضار حسان بن ثابت فارتج عليه فقال الصلصال يا نبي الله قد حضرني ابيات احسبها توافق
ما اراد قيس قال هاتها فانشا يقول

تخير قرينا من فعالك انما ❊ قرين الفتى في القبر ما كان يفعل
فلا بد بعد الموت من ان تعده ❊ ليوم ينادي المرء فيه فيقبل
فان كنت مشغولا بشيء فلا تكن ❊ بغير الذي يرضى به الله تشغل
فلن يصحب الانسان من بعد موته ❊ ومن قبله الا الذي كان يعمل
الا انما الانسان ضيف لاهله ❊ يقيم قليلا عندهم ثم يرحل

وفي بعض الاحاديث قال صلى الله عليه وسلم انما هو خير يرجى او شر يتقى وباطل عرف فاجتنب وحق تعين فطلب
والاخرة اقبل اقبالها فنعم الدنيا ادبر ... فاعرضوا عنها ايها الناس ان الاشياء ثلاثة امر استبان
رشده فاتبعوه وامر استبان غيه فاجتنبوه وامر اختلف عليكم فردوه الى الله ايها الناس ان ما راه المسلمون
حسنا فهو عند الله حسن وما راه المسلمون سيئا فهو عند الله سيء وقال صلى الله عليه وسلم لابي ذر الغفاري
اقلل من الشهوات يسهل عليك الفقر واقلل من الذنوب يسهل عليك الموت وقدم مالك امامك يسرك
اللحاق به واقنع بما اوتيته يخف عليك الحساب ولا تتشاغل عما فرض عليك بما قد ضمن لك فانه ليس بفايتك
ما قسم لك ولست بلاحق ما زوي عنك فلا تك جاهدا فيما يصبح نافدا واسع لملك لا زوال له في منزل
لا انتقال منه وقال ابو سعيد الخدري سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول للرجل نصح لها ذهب فيما تعبد

الله يحبك الله وازهد فيما في ايدي الناس يحبك الناس ان الزاهد في الدنيا يريح قلبه وبدنه في الدنيا
والاخرة والراغب فيها يتعب قلبه وبدنه في الدنيا والاخرة ليجيئن اقوام يوم القيمة لهم حسنات كامثال الجبال
فيؤمر بهم الى النار فقيل يا نبي الله او يصلون قال كانوا يصلون ويصومون ويهجعون هنيهة من الليل لكنهم
كانوا اذا لاح لهم شيء من الدنيا وثبوا عليها وقال صلى الله عليه وسلم يا معشر المسلمين شمروا فان
الامر جد وتاهبوا فان الرحيل قريب وتزودوا فان السفر بعيد وخففوا اثقالكم فان وراءكم عقبة كؤودا
لا يقطعها الا المخفون ايها الناس ان بين يدي الساعة امورا شدادا واهوالا عظاما وزمانا صعبا
يتملك فيها الظلمة ويتصدر فيها الفسقة فيضطهد الآمرون بالمعروف ويضام الناهون عن المنكر فاعدوا
لذلك اليوم وعضوا على التوحيد والجأوا الى العمل الصالح واكرهوا عليه النفوس واصبروا على الضراء
تفضوا الى النعيم الدائم ان هذه الدار دار التواء لا دار استواء ومنزل ترح لا منزل فرح فمن عرفها لم يفرح لرخاء
ولم يحزن لشقاء الا وان الله خلقها دار بلوى وخلق الاخرة دار عقبى فجعل بلوى الدنيا لثواب الاخرة سببا
وثواب الاخرة من بلوى الدنيا عوضا وانها لسريعة الذهاب وشيكة الانقلاب فاحذروا حلاوة رضاعها
لمرارة فطامها واهجروا لذيذ عاجلها لكربة آجلها ولا تسعوا في عمران دار قد قضى الله خرابها ولا تواصلوها
وقد اراد منكم اجتنابها فتكونوا لسخطه متعرضين ولعقوبته مستحقين ايها الناس انكم في الدنيا ضيف
وما في ايديكم عارية وان الضيف مرتحل والعارية مردودة الا وان الدنيا عرض حاضر ياكل منه البر والفاجر
والاخرة وعد صادق يحكم فيها ملك قادر فرحم الله امرأ نظر لنفسه ومهد لرمسه ما دام رسنه مرخى وحبله
على غاربه ملقى قبل ان ينفد اجله فينقطع عمله وان انبسط الامل فتقدم حلول الاجل والمعاد مضمار العمل
فمغتبط بما احتقب غانم ومبتئس بما فاته من العمل نادم ايها الناس ان الطمع فقر واليأس غنى والقناعة راحة
والعزلة عبادة والعمل كنز والدنيا معدن والله ما يسرني ما مضى من دنياكم هذه باهداب بردي هذا ولما
بقي منها اشبه بما مضى من الماء بالماء وكل الى نفاد وشيك وزوال قريب فبادروا وانتم في مهل الانفاس
وجدة الاحلاس قبل ان تؤخذوا بالكظم ولا يغني الندم فاخلوا انفسكم بالطاعة والبسوها قناع المخافة و
اجعلوا اخرتكم لانفسكم وسعيكم لمستقركم واعلموا انكم عن قليل راحلون والى الله صائرون فلا يغني عنكم هنالك
الا صالح عمل قدمتموه او حسن ثواب حزتموه انكم انما تقدمون على ما قدمتم وتجازون على ما اسلفتم فلا
تخدعنكم زخارف دنيا دنية عن مراتب جنات علية فكان قد كشف القناع وارتفع الارتياب ولاقى كل امرئ مستقره
وقد جاء ذلك في مخاطبات الصالحين الخلفاء قال المنصور لعمرو بن عبيد الشيخ عظني فقال ان الله اعطاك
الدنيا باسرها فاشتر نفسك ببعضها واذكر ليلة تمخض عن يوم لا ليل بعده فوجم المنصور فقال الربيع يا عمرو
غممت امير المؤمنين فقال عمرو ان هذا صحبك عشرين سنة لم ير لك عليه ان ينصحك يوما واحدا ودخل الاوزاعي
على المنصور فحدثه عن مكحول عن عطية عن النبي صلى الله عليه وسلم من بلغته نصيحة عن الله في دينه فهي رحمة من الله

سيقت اليه فان قبلها من الله بشكر والا كانت حجة عليه ليزداد اثما وليزداد الله عليه غضبا ومن كره الحق
فقد كره الله لان الله هو الحق المبين فلا تجهلن يا امير المؤمنين ما تسمعه قال وكيف اجهل فقال اسمع ولا تغفل بها
ثم سل الربيع سيفه وقال تجهل امير المؤمنين فانتهره المنصور ثم قال الاوزاعي حدثني عروة بن الزبير عن النبي صلى الله عليه وسلم
ما من راع يبيت غاشا لرعيته الا حرم الله عليه رائحة الجنة فحقيق على الوالي ان يكون لرعيته ناظرا ولما
انكشف من عوراتهم ساترا وبالقسط فيما بينهم قائما لا يتخوف محسنهم رهقا ولا مسيئهم عدوانا ولقد كان بيد
رسول الله صلى الله عليه وسلم جريدة يستاك بها ويردع المنافقين منها فهبط جبريل عليه السلام فقال يا محمد
ما هذه الجريدة بيدك اقذفها لا تملأ قلوبهم رعبا فكيف من سفك دماءهم وشقق ابشارهم واستباح اموالهم يا امير
المؤمنين ان المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تاخر دعا الى القصاص من نفسه بخدشة خدشها اعرابيا لم
يتعمدها فقال جبريل يا محمد ان الله لم يبعثك جبارا تكسر قرون امتك وحين اغضبته وليدة في داره قال
لها لولا مخافة القصاص لاوجعتك بهذا السواك ان السلطان يا امير المؤمنين اربعة امير يكلف نفسه وعماله
العدل فذلك له اجر المجاهد في سبيل الله ويد الله ترفرف بالرحمة على راسه وامير رتع وارتع عماله فذلك يحمل
اثقاله واثقالا مع اثقاله وامير يظلف نفسه ويرتع عماله فذلك الذي باع اخرته بدنيا غيره وامير يرتع
ويظلف عماله فذلك شر الاكياس انك يا امير المؤمنين ابتليت بامر عظيم عرض على السموات والارض والجبال
فابين ان يحملنه واشفقن منه وقد جاء عن جدك عبد الله في قوله عز وجل لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا
احصيها ان الصغيرة التبسم والكبيرة الضحك فكيف بمقتضى القول وجناية ما اجترحته الايدي ولقد بلغك
بالله يا امير المؤمنين ان تجعل البلاء ان قرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم تنفع مع المخالفة لامره فقد قال
صلى الله عليه وسلم يا صفية عمة محمد ويا فاطمة بنت محمد استوهبا انفسكما من الله فاني لا اغني عنكما من الله شيئا وقد
كان جدك العباس سال رسول الله صلى الله عليه وسلم الامارة فقال له يا عم نفس تحييها خير لك من امارة لا تحصيها
نظرا منه لعمه وشفقا عليه انه لو وزنت جناح بعوضة فلا يستطيع له نفعا ولا عنه دفعا هذه نصيحتي
ان قبلتها فلنفسك نفعت وان رددتها فاياها بخست والله الموفق فقال بل نقبلها ونشكرك عليها
وقال صالح بن عبد الجليل المهدي انه لما سهل علينا ما توعر على غيرنا من الوصول اليك قمنا مقام الاداء
عن الله وعن رسوله بالاظهار لما عندنا من نصيحة عند انقطاع عذر الكتمان فقد كان اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقولون من حجب الله عنه العلم عذبه على الجهل واشد منه عذابا من اقبل عليه العلم فادبر عنه
ومن اهدي اليه النصح فلم يقبله فاقبل ما اهدى الله اليك على السنتنا فانه لا يعدمك منا اعلام لما تجهل
او مواطاة على ما تعلم وتذكير من غفلة او تنبيه من رقدة فقد وطن الله نبيه على مثل هذه على ما
فات وعصمه من التمادي ودلالته على المخرج فقال واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله واعلم يا
امير المؤمنين ان القلب يرى ما يلتمس قلبك ويعمل جوارحك وتنظر اليه بصرك وتجترحه يدك

ونعى اليه رجلان فقال نعى عنك ما شاء فيه من ملك الدنيا اذا انزعهم من يديك ودخل ابي الخطاب
كنت يا امير المؤمنين اسافر الى الصين فقدم منها مرة وقد اصيب سمعه فبكا بكاء شديدا
فقال ما ابكي للبلية النازلة ولكن ابكي لمظلوم بالباب يصيح فلا اسمع صوته ثم قال اما ان ذهب
سمعي فان بصري لم يذهب نادوا في الناس لا يلبس ثوبا احمر الا متظلم ثم كان يركب الفيل طرفي نهاره هل يرى
مظلوما فهذا يا امير المؤمنين مشرك بالله غلبت رافته بالمشركين على ذات نفسه ودعته الى القيام بامره
فكيف وانت مؤمن بالله ثم من اهل بيت نبيه لما اراد الله من العجب في بني امية فما اغنى عنهم ما جمعوا من الذهب
والفضة والتحف فان الرجال والسلاح والكراع حين اراد الله بهم وكم ما ارادوا ان تكسب عنك ولطالما
وما تجمع من المال واعوانك الغاية هي اعلى من الغاية التي انت فيه والله ما فوق ما انت فيه الا منزلة لا تدرك
الا بخلاف ما انت عليه وكتب الحجاج بن هبيرة في الحسن وابن سيرين والشعبي فقدم بهم عليه فقال ان
امير المؤمنين يكتب الي في الحجاج ان فعلته خفت على ديني وان لم افعله خفت على نفسي فانظروا في ما افعله
فقال ابن سيرين والشعبي قولا فيه تقية وقال الحسن يا ابن هبيرة ان الله يمنعك من يزيد وان يزيد لا
يمنعك من الله يا ابن هبيرة خف الله في يزيد ولا تخف يزيد في الله يا ابن هبيرة يوشك ان يبعث الله اليك ملكا
فينزلك من سريرك ويخرجك من سعة قصرك الى ضيق قبرك ثم لا ينجيك الا عملك ولا يصحبك الا فعلك يا ابن هبيرة
انه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق فامر له باربعة الاف درهم وللابن سيرين والشعبي بالفين الفين قال الشعبي فما
زلنا نرفق فرفق لنا ومما يستحسن من النصائح المنثورة والمواعظ المأثورة قول العباس بن الحسين العلوي اعلم انه لا بد لك
من كل شيء فيفرغه لمهم من امورك وان مالك لا يغني الناس كلهم فاخصص به اهل الحق وان كرامتك لا تطيق العامة
فتوخ بها اهل الفضل وان ليلك ونهارك لا يستوعبان حوائجك فاحسن قسمتهما بين عملك ودعتك وقال
ابن السماك ان من الناس من شانهم الستر ومنهم الشارة فلا تقطع عليك بجميل علم غيرك بما تعلمه من نفسك لا تقربك كل
باخيك فان صرعة الاسترسال لا تستقال الاكثر مثل من تغلب نفسه على ما يظن ولا تغلبها على ما يستيقن واوصى
ابو الهذيل اصحابه فقال لا تدخلوا في الشهادة فتصيروا اسراء الحكام ولا في القضاء فان فيه ذل الولاية لا تسلمي من
العزل ولا في رواية الحديث فيكذبكم الجهال والصبيان ولا في وصية فيطعن عليكم بالخيانة ولا في امامة
الصلوة فمن شاء صلى وراءكم ومن شاء لم يصل وقال لا تزوج بدينه وامانته ولا تبدأوا المخالفين بالسلام فانهم
ان لم يجيبوا تقاصرت اليكم نفوسكم وحفتكم محلتكم وقال عبد الله الزمن بجهدك في العمل وان قصر بكم ضعف فكفوا عن
المعاصي وقال عبد الله بن شداد اري داعي الموت لا تطلع وارى من مضى لا يرجع لا تزهدن في معروف فان الدهر ذو صروف
وكم من راغب قد كان مرغوبا اليه وطالب اصبح له والزمان ذو الوان ومن يصحب الزمان يرى الهوان وان غلبت
على الامر فلا تغلب على الحيلة وكن احسن ما تكون في الظاهر حالا اقل ما تكون في الباطن مالا وقال غيره لا يكون
منكم الحقود فلا تسبقن ولا الداخل بين اثنين لم يدخلاه ولا الجالس في مجلس لا يستحقه ولا طالب الفضل من ايدي اللئام ولا

المتعرض للخير من عند عدوه ولا المتحكم في الدالة اسمح لكل سبيل ولا يستشير الا الناصح اللبيب استشر عدوك تعرف مقدار
عداوته لا تشاور الا الحازم غير الحسود واللبيب غير الحقود اكتم سرك عما عندك وشاور بسرك ما عند غيرك
اياك ومشاورة النساء فان رأيهن الى الأفن وعزمهن الى الوهن ولا تملكن امرأة من الامر ما جاوز نفسها فان ذلك انعم
لحالها وادوم لجمالها وانما المرأة ريحانة وليست بقهرمانة فلا تعد بكرامتها نفسها ولا تعطها ان تشفع لغيرها
ولا تطل الخلوة مع النساء فيمللنك وتملهن واستبق من نفسك بقية فان امساكك عنهن وهن يرونك باقتدار
خير من ان يجدن منك على انكسار واياك والتغاير في غير موضع غيرة فان ذلك يدعو الصحيحة منهن الى السقم حسن
عقلك بالحلم ومروتك بالعفاف ونجدتك بمجانبة الخيلاء وجهدك بالاجمال في الطلب اذا زللت فارجع واذا ندمت
فاقلع واذا اسأت فاندم واذا امتننت فاكتم واذا منعت فاجمل ومن يسلف المعروف يكن ربحه الحمد انق العثار تحسن
الاعتبار لا تسأل ان تتمنى ان تبدل خلائقه وخاب بفضل التسليم والتعهد فلن يخلو احد من ذم فاجهد ان
يخلو منه الحياء بحار بعدوك ما حاربك بخصمه فاذا اخلق بخصمه فاحرز نفسك منه لا ان يعلم
انه لا يجيء منك الا الموت لا يحبك منه الا سلامة والمستسلم للموت لا يبالي على ما اقدم انظر ما عندك
فلا تضعه الا في حقه وما لديه عندك فلا تأمنه الا بحقه لكن على ما بينك وبين اعدائك العدل وفيما
بينك وبين اصدقائك الرضا فان العدو خصم تصرعه بالحجة وتغلبه بالحكم والصديق ليس بينك وبينه قاض
وانما هو رضاه وحكمك اذا اصاف عدوك فاسأمنه فلو رضيا فابذل ما وكد مودة فانه اذا اتفق ذلك وصح
خلصت لك مودته فاقصد ودادهم وانت الحي اذا السابق ولا تالف المسلمة ما اقلك لتتوصا اذا ردت ان تخدع الناس
فقارب علمهم واكرم ما امرا تملكهم قليل الاقرار الا الكرامة لا تسأل الحوائج غير اهلها ولا تسألها في غير حينها
ولا تسأل ما لست له مستحقا فتكون للحرمان مستوجبا اطلب الحاجة الى اخوانك فقبل تأكيد مودة ثم لك فانك اذا
طلبتها منهم قد تويك الحمل على الدالة وردك عن حاجتك بالثقة جالسوا الالباء اصدقاء كانوا او اعداء فان
العقول تلقح العقول اذا وقع في يدك يوم السرور فلا تخله فانك اذا وقعت في يديه يوم الهم لم يخلك سترك بدمك
فلا تجريه في غير اوانه اجلك اذا اردت ان تواخي رجلا فانظر من عدوه واذا اردت ان تعادي رجلا فانظر من
وليه اذا اولدت احدا منها فعجل له منفعته واحمل له في العدة وابسط له في المنية لا ترفع نفسك عن شيء قرب
الي رفيقك لا تتعجب عنينا فانك ان اخاه ونعم الاتفاق فاتر به وان تفضل عليك استذلك العدو وعدو ان
عدو ظلمه وعدو ظلمك فان اضطر الدهر الى احدهما فاستعن بالذي ظلمك فان الاخر موتور اذا سالت كريما
حاجة فدعه يفكر فانه لا يفكر الا في خير واذا سالت لئيما حاجة فاعجله حتى يروض نفسه اذا نزل بك مكروه
فانظر فان كان له حيلة فلا تعجز وان كان مما لا حيلة له فلا تجزع اذا صحبت السلطان فليكن نهارك له سمارا
المراة النصيحة لزوجها فانها الا تدع النصح له في كل حال لا يغلق السلطان بابه الا تزجيه وبين كفاية الذين
امورهم في ملكه فانه موانسه بما هم سعت عليه الجرار او على الرعية الغشم اذا كنت خائفا فالسلطان في

ولا يكن حبك وامته عند تقربه لك الا ليشاً الدا فانما يمنك وتشكر له ولا تحلف الشكر الا بعلمه وكانه تتعلم
منه بصير اهواءه موثر المنفعة ذليلا لا ان ضامك لضيان السلطان فانما ان حرمك والا واقعا عنه كل
البعد ينبغي للملك ان يتفقد امر خاصته في كل يوم وامر عامته في كل شهر وامر سلطانه في كل ساعة محل
الملك من الرعية محل الروح من البدن ومحل الرعية منه محل البدن من الروح فالروح يالم لالم كل عضو من اعضاء
البدن وسائره لا يالم لالم غيره وفي فساد الروح فساد جميع البدن وقد يفسد بعض البدن وغيره من سائر البدن
صحيح افضل ما لمو شرب للملوك حسن الخلائق وتخفيف المؤنة لا تقدم على صحبة السلطان الا من يستقل ما حملوه
لا تلحف اذا سألهم ولا تغتر بهم اذا رضوا عنه ولا يتغير لهم اذا سخطوا عليه ولا يطغى اذا سلطوه ولا يبطر اذا اكرموه
الناس على دين السلطان الا القليل فليكن للبر والمروة عنده نفاق فيكسد بذلك الفجور والدناءة ويجب على
الملك ان يعمل بثلث خصال تأخير العقوبة في سلطان الغضب وتعجيل مكافاة المحسن والعمل بالاناءة فيما يحدث
فان له في تأخير العقوبة امكان العفو وفي تعجيل المكافاة بالاحسان توقع المسارعة في الطاعة من الرعية
وفي الاناءة انفساح الراي واتضاح الصواب لا ينبغي للملك ان يغضب لان القدرة من وراء حاجته ولا ان يكذب
فانه لا يقدر احد على استكراهه على غير ما يريد ولا ان يبخل لانه اخلف الناس عذرا ولا يحقد لان خطره قد جل عن المجازاة
اذا قربك السلطان فكن منه على حد السنان وان استرسل اليك فلا تامن انقلابه عليك وارفق به رفقك بالصبي
وكلمه بما يشتهي احزم الملوك من ملك جده هزله وقهر رايه هواه واعرب عن ضميره فعله ولم يخدعه رضاه عن حقه
ولا غضبه عن كيده اشياء تقبح باهلها ضيق ذرع الملك وسرعة غضب العالم وبذاء النساء وكذب القضاة خير
الملوك من عدل نفسه على حب الادب ثم حمل رعيته على الاقتداء به صحبة السلطان بلا ادب كركوب البرية بغير ماء
ينبغي للملك ان لا يضع من ان يكون في رعيته من هو افضل منه ديانة كما يانف ان يكون فيهم من هو اتقى امرا منه
ووضع الشدة في موضع اللين مضر بالتدبير اذا ادبت الملك على النصيحة غشته النصحاء اذا اصيبت الملوك
ادبانها فليعلم انها يهدم الناس ملكها اذا الجارية عند السلطان تكون امراة كمالك فيكن محادثتك اياه بالحجة
وان اغضبك وبالرفق وان خرق بك واحذر ان يستخفك غضبه فان الغضب يعمي عن الفرصة ويقطع عن الحجة
ويظهر عليك الخصم واذا اردت ان تقبل الوالي مشورتك فلا تشبه بشيء من الهوى فان الراي يقبل والهوى
يرد اذا رايت انه استعمل بغير رايي وعملا استتب بغير حزم فاعلم انما اجريا بغيره ثم لا يعن بك ذلك ولا
تستنيمن اليه فان الامور صيرها الى حقايقها واصولها وما بنى منها على غير اصل وثيق ودعائم محكمة اوشك ان
يتداعى ويتصدع لا شيء اذهب بالدول من تولية الاشرار ولا يجد الحرب الغشوم اسرع في اجتياح الملك من تضييع
المراتب حتى يصيبها اهل النذالة والسفولة فيذهب الفضل ويطلع فيها الاراذل لا شيء اهلك للسلطان
من صاحب حسن القول ولا يحسن العمل لا شيء اضر بصاحب السلطان من العجب عليه والاستزادة له فان ذلك اذا وقع
في قلبه ساق وجها ان كان طلحتا على السائر كان بسببها واذا ظهر ذلك للسلطان كان قلبه اسرع الى التغير

والتعجب على السلطان حتى يكون حينئذ اسوا الادلال على الملوك تعرض السقوط بغض الملوك الا ابرار
وخدم من يبغي السلطان في عقله وشغل الناس عنه كالظل الذي يأوي اليه ابناء السبيل شتى الانبساط من
من السلطان تورث الحقد وسهولة الانبساط اليه تورث الملالة من سعادة جد المرء ان يكون في الزمان
الخالط مدبر السلطان امران جليلان لا يصلح احدهما الا بالتفرد به ولا يصلح الثاني الا بالتعاون
عليه وهما الملك والرأي فان استقامة الملك بالاشتراك واستقامة الراي بالتفرد الورود على السلطان
بالدالة وان كان لخاصة ولا بالحجة وان وثقت انها الا بالنصيحة وان كانت له دونك فان السلطان يعرض الحليم
لمثل التقدمة دون الكرم والحمية دون الضغينة واللجاج دون الحظ لا يطلبن ما قبل السلطان بالمسئلة والكرة
بالاحتقار والسان بهم ولا تستبطيه فانك اذا استحققت ما عنده اتاك من غير طلب وان لم تستبطه كان اعجل
له الملك الصالح اذا كان وزيره فاسدا مثل الماء الصافي العذب الذي فيه التماسيح لا يستطيع الانسان وان
كان سابحا والى الماء ظمآنا ومما يتضمن من الحادثات النصح وصدق الرعاية ما حكى ان زياد استاذن معوية في
الحج فاذن له وبلغ ذلك ابا بكرة اخاه من امه سمية وكان حلف ان لا يكلم زيادا حين جبن عن الشهادة على المغيرة
وان لا يظله وإياه سقف بيت ابدا فدخل ابو بكرة ربع دار الامارة على زياد فامر زياد بكرسيين فوضعا في صحن القصر
فجلس ابو بكرة على احدهما وزياد على الآخر ومع زياد بني له حين مشى فقال ابو بكرة لابنه تعال الي ابن اخي فجاء
الصبي فجلس في حجره فقال له كيف انت كيف اهلك اسمع مني يا ابن اخي انما يريد ابوك زياد ان ياتي هذا الحج
وقد فجر في الاسلام ثلث فجرات ما سمعنا بمثلهن اما اولهن فجحوده الشهادة على المغيرة والله يعلم انه قد رأى
ما رأينا فكتم وقد قال الله تعالى ومن يكتمها فانه آثم قلبه فحلفت ان لا اكلمه ابدا واما الاخرى فاستلحاقه ومن
عبيد وادعاؤه الى ابي سفيان واقسم لك بالله يا ابن اخي ما رأى ابو سفيان سمية قط في ليل ولا نهار
لا في جاهلية ولا في اسلام واما الثالثة فاعظمهن انه يريد ان يوافي الموسم وام حبيبة بنت ابي سفيان
زوج النبي صلى الله عليه وسلم تأتي الموسم كل عام فان هو اتاها فاذنت له كما تأذن الاخت لاخيها فاعظم بها مصيبة
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وان هي حجبته وسترت منه فاعظم بها حجة عليه ثم نهض فقام زياد في اثره
واخذ بقميصه وقال جزاك الله من اخ خيرا فما تركت النصيحة لاخيك على حال وترك الحج ودخل محمد بن كعب القرظي
على عمر بن عبد العزيز حين استخلف فقال انعت لي على علي فقال لا ولكني مرشدك متنصح سريع الاستماع ولا تعجل في
الضعيف بجنايته واصلح لرعيتك لا تؤخر امر اليوم الى الغد ولا تستعمل جنانك فيما يكفيك لسانك ولا سوطك
فيما يكفيك جنانك ولا سيفك فيما يكفيك سوطك وابتغ الى العفو الا على الموفي واحمد بالقوت ولم تفضول
فقال ما تركت في النصيحة موضعا وانا اسأل الله التوفيق ومن احسن النصيحة الاحنف كلم معوية في يزيد
بين الافاضل من الناس والاحنف ساكت فقال له يا بحر ما منعك من الكلام فقال انت اعلمنا بيزيد في ليله ونهاره
وسره وعلانيته فان كنت تعلم ان الخلافة خير له فاستخلفه وان كنت تعلم انها شر له فلا توله الدنيا وانت تذهب

الى الآخرة وحدث عبد الله بن عبد الله بن طاهر قال وقفت على كتاب الحجة وكتاب احمد بن اسرائيل مع رسول وجهه
ابن بغا والكتاب انفذه على الجانبين فلم افعل وكتبت الى احمد بن اسرائيل قد اوجب الله على نصح امير المؤمنين من
جهات تهملها تقتضيه الديانة وتوجبه الامانة ومنها اصطناع اياه بتحذيرهم اياي ومنها اختصاص
امير المؤمنين اياي بتحمل اليه واعتباره ومع هذا فلم اكن لادخر عنك رايا معما انا عليه من المناصحة والشكر
وان الكتب قد وردت بنصب ابن بغا في الجانبين وقد اخرت ذلك حتى تعود الى الامر بما اعمل عليه وبغا معتقد
انه عدو امير المؤمنين وعدوك وقد اراح الله منه بحيلة لم تتموا فيه واخاف ان يتبعكم الاتراك عند اول
شغبة به ويطالبونكم بدمه ويجعلوا ذلك ذريعة الى ايقاع سوء وكان الصواب عندي ان يغسله امير المؤمنين
ويصلي عليه ويدفنه وينظر حرمته ويقول لنا انه اصابه صغيركم ولا كبير وقد عجبت لما بغا ولو وصل الي
لزدته في مرتبته ومثل هذا ينبغي ان يرد على كتاب احمد بن اسرائيل ينكر ما كان منه ويعلمه انه سيفضي الى
هذا الرأي واجتهد فيه كما امكنه فلولا ان فضل الامانة فضل لم يقبل قوله وفي اخر كتابه واعلم انه يكون
حدث بعدك وهو من الامر فرعون ولا انسب الى الحدم والحزم نقيل ويعمل عليه وهذا فتح الحفظ والعلاج
للصواب فانصح الامر قبل الامر انفقد الى خراسان **فصل** واما الامانة فمنها ما يلزم العبد بين نفسه وبين الله
ومن خلقه والحياة ومنها ما بين معاشريه وبعضه ومعاشيه ومنها ما بينه وبين من يلي الامر في الآخرة
الى ما اقاه من الائمة والنبيين وسلف الصالحين والامانة بين الله والعبد لا تؤديه العبد الا بشروط ثلاث
التزام الشكر للنعمة والصبر في المحنة والرضا بالقضاء والاخلاص في العبادة والامانة اللازمة بين العبد وابناء
جنسه فلا تتأدى ايضا الا بشروط اربعة التزام المحافظة على المصالح فيما بينهم والمعاونة على تحصيل
الخيرات لجميعهم والانقياد وبذل النصائح لاهل الامر منهم ومن الغاء الرسوم العادلة الفدا ولا تغيهم والامانة
الواجبة بين العبد وبين من يلقاه في الآخرة ايضا باربعة اشياء الخلوق بخلائقهم والتحفظ لطرائقهم والاستغفار
لهم والصلوة عليهم والتوقير من بعيدهم وبعترتهم ومهاجرة من ينالهم ويتعصب عليهم فهذه خصال
النصيحة والامانة وقلما يجتمع في انسان وان اجتمع لاحد فناهيك من شرف وكمال وبالله من فضل
وريحان ولا اصح النصيحة المقارنة بالامانة مع هذا الا اذا كان صدورها عن انه كامل ورأي وعند اجتماع
الجميع يتعين افتراض الطاعة وحرمة المعصية كما قال القائل

وما كل ذي لب بمؤتيك نصحه ۞ ولا كل مؤت نصحه بلبيب

ولكن اذا ما استجمعا عند واحد ۞ فحق له من طاعة بنصيب

ثم قد بلغ من شأن الامانة ما قال النبي صلى الله عليه وسلم لا ايمان لمن لا امانة له وقيل الايمان
عش الامانة والامانة في جوفه كالفرخ الذي يتفقأ عن البيضة والمؤمن يكون في تربيتها كالطير الحاضن
وحنو فرخه ويرقه ويبيت عنده من برده ومعه شأنها وصيانته له حتى تنبت جناحه فيطير معه وهنا

الطبع كما تحرك ودب من موضعه وهو صميم القلب وقع نوره على جميع اجزاء البدن وتقاسمت الاجزاء انصبائها
منه جزء للسان وجزء للبصر وجزء للسمع وللبد والرجل والبطن والفرج ولامانة الفرج من بين الجوارح مستور
ولذلك سميت فاحشة اذا كشفت عنها بغير حق والاستعمال لها بغير حق هلكة وفقر والادب لمن اتاها عن
حق القتل بالحجارة والتنكيل بالجلد والتأثير البهل لمعرون والكاشف عنها من روح الحياء بمقت وكما
ان لكل عضو نصيبا من الامانة فله عند فوتها حظ من النور وبه يتنور الايمان راس مال الموحدين يستضيئون
به في السير الى الله تعالى فاذا غاب النور ظل القلب بمنزلة قمر وقع في الكسوف فظل لمسايره الذي اطلع عليه
الطريق من السير فكما زالت جارحة من الجوارح تفعل ما حظره الله تعالى عليها فقد ضاع من بهجة الايمان
بقدرها وانكسف من نور الهدى بوزنها فاذا الحكم بشان هذه الاراب السبعة وجعلت في وثاق الامانة
فقد تجنب النفس من عهدة الامانة فيها الا ان فتح الطريق وساعد التوفيق وسار العبد الى الله ما حفظه
امانة القلب اصعب والخطر عليه فيه اعظم لان العبد حتى الآن كان في كسب الجوارح عملا بنا له اجرا والآن
يقع في كسب القلب سعيا الى الله بنا لا بالقرب فحق حراسة الامانة حينئذ عن لحظ الطرف ارسها لحجتها
وصدقها تحول النور الذي كان ضياء نورا وانقلب شعاعا وسار البدن شمسا اعطف اشعتها اضا بر النفس فنور
الايمان المسلم يقين من محالهم وشعاع الايمان وضياؤه الصادقين مع تفاوتهم لانهم درجات في نور الايمان الى
حين شمسه فان الكفر كليل مظلم فاذا انار الايمان في الصدر كان كليل طلع قمره هلالا ثم تزايد شيئا فشيئا حتى
استوى لليلة التمام ثم ليلة البدر وان استعار بالابدار فهو يستعار نوره وكذلك قلب الصادق
محجوب بحجوده حتى ازاح القلب الطريق الى الله على منهاج الصدق والتبري عن النفس تحول قمره شمسا او بدا
اما منها ابتداء الصباح الساطع قبل طلوعها حتى اذا انتهى احوال انسه وتمثل شمسا سواء وفي مقام صدقه
لمع شعاع عمله في فضاء التوفيق كما تلمع الشمس في اجنحة الطير قبل طلوعها ثم تشرق طالعة ثم تشرق بالضحى
بازغة لامعة ثم تستوي حاجبيها في افق السماء لامعة قال الله تعالى ثم اتينا موسى الكتاب تماما على الذي
احسن وتفصيلا لكل شيء وهدى ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون **ومما قيل** في مراعات الامانات

ارعى الامانة في صدري وتحفظها ۞ قلبي وقلبي لما استودعته داعي

واحمل السر في صدري فاكتمه ۞ حتى اموت ونعم الحفظ اضلاعي

واجتمع في مجلس الرشيد يزيد بن مزيد ويزيد بن حاتم ويزيد بن اسيد فقال ابن اسيد لابن مزيد
ولاني امير المؤمنين ارمينية فبعثت اليه بالقرب والفتح بعد الفتح اليه وولاك امير المؤمنين اذربيجان
وارمينية فما بادرته فبعثت اليه ببرذون صناوي وسوطه بجوهره فاقبل الرشيد فقال يا ابن مزيد
بن مزيد فقال يا امير المؤمنين ابتاع الحبيبات الجواد وخيانته ام الصبين بطاعته وواعدنا هو و
لحقنا معه وقلته او وقع في نفسي من ذلك كله **ومما** ورد محمد بن سلمة على عمرو بن العاص من جهة عمر بن الخطاب

صنع عمرو له طعاما ودعاه اليه فاتى محمد فقال له عمرو الحجم طعامي عليك فقال لا ولكن لم اومر به فقال عمرو لعن الله زمانا علمنا فيه لابن الخطاب لقد والله عهدته واباه وانهما لتحملهما سانواء ارضا عنهما وانا العاصي بن وايل في مقطعات الديباج مزرورة بالذهب فقال محمد اما ابوك وابو عمر ففي النار ولولا انا واليت لعمرو لا الفيتك مقتعدا عنز ايسرك غرزها ويسوءك كرها فقال عمرو المجالس بالامانة فقال محمد اما ما دام عمر حيا فنعم وكتب عبد الملك بن مروان الى الحجاج اذا قرات كتابي هذا فاطلب لي رجلا يجب ان يعدل في الصحبة وينصف في المودة سيما بينما الشيوخ وقلبه قلب الفتيان وعقله عقل الكهول لحب الاشيا اليه الامانة واحسن الاشيا اعده النصيحة معروف في القلوب بالصدق مقدم في النفوس بالامانة فكتب اليه الحجاج هذه شهوة حقيقة لا توجد ابدا فاسل عنهما والسلام

وانشد في خيانة الامانة

لحى الله من لا ينفع الود عنده ... ومن حبله ان مد غير متين
ومن هو ذو لونين ليس بدايم ... على العهد خوان لكل امين

وما احسن من النصايح المنظومة كان عمر بن الخطاب ينشد في النصيحة

نصحت لعبد القيس والنصح واجب ... وما خير نصح قيل لا يتقبل
ولو ان قومي طاوعوني لاصبحوا ... بمنزلة ما بعدها متحول
فما خطا عيش لا يبدل غيره ... وراض بعيش بعده سيبدل

وقال الرهمي احيل ان اتاك كاربيومه ... القصيدة وقد مرت فيما تقدم

حاتم بن بدر العداني اذا المرء اسمى وهو داء فامضه ... ولا تبغ صحبته وانت معاد له
وقل للفواد ان نزلت بك نزوة ... من الروع افرخ اكثر الروع باطله
ولا تنزلن امر الشديدة بامرى ... اذا رام امرا عوقته عواذله
ولا تكلفن الامر يكفي شوونه ... ولا تصحبن الا المزهو قابله
ولا تحرم المرا الكريم فانه ... اخوك ولا تدري لعلك سائله

ومن قصيدة عدي بن زيد في النصيحة

كفى واعظا للمرا ايام عمره ... يروح له بالواعظات ويغتدي
اذا ما رايت الشر يبعث اهله ... وقام جناة الشر فاقعد

ابن المعتز وياربت السنة كالسيوف ... تقطع اعناق اربابها
وكم دهي المرء من نفسه ... فلا توكلن باربابها
وان فرصة امكنت في العدو ... فلا تبد فعلك الا بها

فان لم

فان لم تلج بابها مسرعا ... اتاك عدوك من بابها
واياك من ندم بعدها ... وتاميل اخرى واتى بها

وقال خل الذنوب صغيرها ... وكبيرها فهو التقى
كن مثل ماش فوق ارض ... الشوك يحذر ما يرى
لا تحقرن ان الجبال من الحصى ... **ابن زريق الكاتب**
اسمع لنصحي ولا تغضب على فما ... ابغى بقولي الا الا ولا عرضا
الكر يبغي ويبغي ما سواه وكم ... سوال قد نال ملكا فانقضى ومضى
وهذه الدار في هذا الرواوغلي ... هذي الوسادة كان العز فانقرضا

ابن نباته فلا تحقرن عدوا رماك ... وان كان في ساعديه قصر
فان السيوف تحز الرقاب ... وتعجز عما تنال الابر

صالح بن عبد القدوس اذا وترت امرا فاحذر عداوته ... من يزرع الشوك لا يحصد به عنبا
ان العدو وان ابدى مسالمة ... اذا راى منك يوما فرصة وثبا

الخوارزمي على التي كان يبغيها ويامنها ... وكان منك لطايا الاسر مرتقبا
عليك باظهار التجلد للعدى ... ولا تظهرن منك الذبول فتحقرا
الست ترى الريحان يشتم ناضرا ... ويطرح في الميضا اذا ما تغيرا

اخر لا تشتر ابدا ما لا تقوم له ... ولا تبحر في الغرتينة الاسدا
ان الزنابير ان حركتها سفها ... من وكرها اوجعت من لسعها الجسدا

سبط التعهيد خذ من زمانك ما صفا ... ودع الذي فيه الكدر
فالعمر اقصر من ... معاتبة الزمان على الغير

اخر ليس لما ليس له حيلة ... موجود خير من الصبر
فاخط مع الدهر اذا ما خطا ... واجر مع الدهر كما يجري

القاضي من نها بو الدهر كما كو ... لم يستقلها احد الدهر

ابو الحسن الدهر سجل عجب ... فاختم وطينا لكتاب رطب
ان الذي كنت فيه حلم ... وسوف تبناه اذ تهب
نوقر بيت الزمان واحذر ... ولا تثق فالزمان خب
جميع احواله غرور ... وجل ما نحن فيه لعب
وليس يبقى عليه شي ... يكرهه المرا او يحب

ﻫ اخم وطينك رطب ان قدرت نكم ﻫ ندامكن الطين اقواما فما ختموا ﻫ

ﻫ ولو اقاربوا الايام عزمهم ﻫ حتى افاعزلوا دلوا فما رحموا — محمد بن

غالب الاصفهاني انما الدنيا اضبات الكرى ﻫ نكشف الاحزان من مطره ﻫ

ﻫ فاتخذ الدهر في يسره ﻫ عدة تبقى على عسره ﻫ

ابو العتاهية ارض للناس ما لنفسك ترضى ﻫ ولهم فاكره الذي لا تريد — وقال

ﻫ عليك باوساط الامور فانها ﻫ توسطتها ثم اضحى طرفاه ﻫ

فقال اذا جاء يوم صالح فتلقه ﻫ بشكر فايام البلاء كثير ﻫ

وقال اعمل لموت من الدنيا على حذر ﻫ واعلم بانك بعد الموت مبعوث ﻫ

ﻫ واعلم بانك ما قدمت من عمل ﻫ محصى عليك وما خلفت موروث ﻫ

فقال ارض من دنياك بالقوت ﻫ ففي القوت كفاية ﻫ

ﻫ واقنع النفس فليست ﻫ لامانيها نهاية ﻫ

ابن المعتز دع الناس قد طال ما اتعبوك ﻫ ورد الى الله وجه الامل ﻫ

ﻫ ولا تطلب الرزق من طالبيه ﻫ واطلبه ممن به قد كفل ﻫ

اخر احسن الظن بمن قد عودك ﻫ كل احسان وسوى اودك ﻫ

ﻫ ان ربا كان يكفيك الذي ﻫ كان بالامس سيكفيك غدك ﻫ

محمود الوراق قدر الله وارد ﻫ حين يقضي وروده ﻫ

ﻫ فاراد ما يكون ﻫ ان لم يكن ما تريده ﻫ

ابو الفتح عفاف الفتى خير اوصافه ﻫ ومحض العفاف الرضا بالكفاف ﻫ

ﻫ فكن راضيا بالذي قد رزقت ﻫ لتحظى برتبة فضل العفاف ﻫ

وقال تنبه لبر وانقاد حر ﻫ اذا رقدت عنك عين الخطوب ﻫ

ﻫ ولا يخدعنك بشر الزمان ﻫ فوجه الزمان سريع القطوب ﻫ

عباد بن المهلب اذا عرضت ثابت صديقك فاغتنم ﻫ من تمهما فالدهر بالناس قلب ﻫ

ﻫ وبادر بمعروف اذا كنت قادرا ﻫ زوال اقتدار او غنى عنك يعقب — صالح

بن عبد القدوس خذ من صديقك ما صفا ﻫ لك لا تكن جم المعاتب ﻫ

ﻫ واشرب على الاقذاء ملتمسا بها صفو المشارب ﻫ

مراد بن عباس مولاك مولاك الذي ان دعوته ﻫ اجابك طوعا والدماء تصبب ﻫ

ﻫ فلا تخذل المولى وان كان ظالما ﻫ فان به تثأى الامور وترأب ﻫ

لبيد واقنع بما قسم المليك فانما ﻫ قسم الخلائق بيننا علامها — عبد الله بن

معوية فلا تركن الصنيع الذي ﻫ بلوم اخاك على مثله ﻫ

ﻫ ولا تتبع الطرف ما لا تنال ﻫ ولكن سل الله من فضله ﻫ

ابو العتاهية قنع النفس بالكفاف والا ﻫ طلبت منك فوق ما يكفيها ﻫ

ﻫ انما انت طول عمرك ما عمرت ﻫ بالساعة التي انت فيها ﻫ

ابن الرومي اذا ما كساك الله سربال صحة ﻫ ولم تخل من عيش يطيب ويعذب ﻫ

ﻫ فلا تغبطن المكثرين فانما ﻫ على قدر ما يكسوهم الدهر يسلب ﻫ

كثير لعمرك ان وشاة الرجال ﻫ لا يتركون اديما صحيحا ﻫ

ﻫ فلا تفش سرك الا اليك ﻫ فان لكل نصيح نصيحا ﻫ

اخر اياك اياك المزاح فانما ﻫ يجري عليك الطفل والدنس النذلا ﻫ

ﻫ ويذهب ماء الوجه بعد بهائه ﻫ ويورث بعد العز صاحبه ذلا ﻫ

ابو الفتح افد طبعك المكدود بالجد راحة ﻫ يجم وعلله بشيء من المزح ﻫ

ﻫ ولكن اذا اعطيته ذلك فليكن ﻫ بمقدار ما يعطى الطعام من الملح ﻫ

وقال ان كنت تخطب رتبة الاحرار ﻫ فاعمل بعلم راجح ووقار ﻫ

ﻫ وحذار من سفه يشينك وصمة ﻫ ان السفاه بذي المروة زار ﻫ

منصور المصري لا تحقرن فاضلا وان قصرت ﻫ رتبته في لحاظ رامقه ﻫ

ﻫ وانظر اليه بعين ذي كرم ﻫ مهذب الخلق في طرائقه ﻫ

ﻫ فالمسك بينا تراه ممتهنا ﻫ بفهر عطاره وساحقه ﻫ

ﻫ حتى تراه بعارضي ملك ﻫ او موضع التاج من مفارقه ﻫ

آخر اذا هبت رياحك فاغتنمها ﻫ فعقبى كل خافقة سكون ﻫ

ﻫ ولا تغفل عن الاحسان فيها ﻫ فلا تدري السكون متى يكون ﻫ

ﻫ قل للمقيم بغير دار اقامة ﻫ حان الرحيل فودع الاحبابا ﻫ

ﻫ ان الذين لقيتهم وصحبتهم ﻫ صاروا جميعا في اللحود ترابا ﻫ

ولاخر تزود من الدنيا فانك لا تبقى ﻫ وخذ الصفو منها ما صفت ودع الرنقا ﻫ

ﻫ فلا تأمنن الدهر اني امنته ﻫ فلم يبق لي خلا ولم يرع لي حقا ﻫ

اخر تجرد من الدنيا فانك انما ﻫ خرجت الى الدنيا وانت مجرد — الخليل

بن احمد وقبلك داوى المريض الطبيب ﻫ فعاش المريض ومات الطبيب ﻫ

فكم سمعنا الداعي الفنا فان * الذي هو آتٍ قريب

يا راقد الليل مسرورا باوله * ان الحوادث قد يطرقن اسحارا

لا تامنن بليل طاب اوله * فرب آخر ليل اجج النارا

الاعشى

اذا انت لم ترحل بزاد من التقى * ولاقيت بعد الموت من قد تزودا

ندمت على ان لا تكون كمثله * وانك لم ترصد بما كان ارصدا

الحكمي

الا ان الذين فنوا وبادوا * اما والله ما ماتوا لتبقى

وما احد بزادك منك احظى * ولا احد بزادك منك اشقى

ابو الفتح

يا من يؤمل في دنياه عافية * ابعد منها انت في دار المعافاة

دنياك تغدر فكن منها على حذر * فالغدر ماوى مخافات وآفات

ابو سليمن الخطابي

دار الزمان وكن منه على حذر * فانما انت في دار المداراة

من يدر داري ومن لم يدر سوف يرى * عما قليل نديما للندامات

ابو الفضل البكراعي

انما عمرك ساعة * فاجعل الساعة طاعه

واجتهد ما استطعت فيها * قبل فوت الاستطاعه

ايها المغرور بالدهر انتبه * ان للدهر هنات محدثه

انما مالك ميراث غدا * فاجتهد واسبق اليه الورثه

اذا شئت عجلا لا راس مال * وعزا وملكا بغير انتقال

فخذ طاعة الله تظفر به * ولا تلتفت بعد قيل وقال

كنزتم كنوزا وادخرتم ذخائرا * لمعتبر ايام كلوا وتمتعوا

فغايتكم موت ومقصدكم بلى * ومصرعكم قبر لكم فيه مضجع

اذا انت لم تبذر وابصرت حاصدا * ندمت على ما فات في زمن البذر

وما الناس في الحشر شيء سوى الذي * تزود قبل الموت للبعث والحشر

تقلل فان المال يهلك ربه * اذا جم آتيه وسد طريقه

ومن جاور الماء الغزير يجمه * وسد طريق الماء فهو غريقه

وقيم نفسك في نفوس * ولا تعرفن للطول فكر

اذا كنط الفرات فما مر * اغنت سحالهم كل نهر

كن بما اوتيته مغتبطا * تستدم عيش القنوع المكتفي

ان في نيل المنى وشك الردى * وصلاح المرء فيما يعتفي

كمراج

كسراج دهنه قوت له * فاذا اغرقته فيه طفي

المجلس الرابع والثمانون من كتاب خلق الانسان تفسير قول الله عز وجل وفي انفسكم افلا تبصرون بعض الكلام في خلق الانسن وعز استها

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم انت المدعو بكل مكان الرجو في كل زمان المحمود بكل لسان المعبود بكل انسان منشي الاشيا ومبدع الانشا الهادي الى معرفته من شا القادر لا يدحض برهانه القاهر لا ينقص سلطانه الوفي لا ابضاع ذمامه القوي لا يرام سوامة الخالق يضيق مجال الفكر عن قدرته وهو فسيح وسيع الرازق تخفض مجال الشكر عن رحمته وهو رفيع الغني لا يحتاج في عزه الى معين العلي لا يعتري في ملكه بقربين الرحيم يعفو بكرمه عن السيئات الشكور يضاعف بفضله جزا الحسنات الباقي لا يزال ولا يزول الدايم لا يحور ولا يحول العليم الحكيم لا يضل العزيز الحليم لا ينبدل يكافي العباده التي لا ينبغي كيف احصيك بالجزاء الذي لا يستحق ادناه اعلي خلقك فلك المحمد والثنا واليك الامل والرجا وبك الاستعانة وعليك التعويل وانت حسبنا ونعم الوكيل فنسالك اللهم ان لا تخيب ظننا في احسانك ولا تكذب رجانا بعفوك وغفرانك وان توفقنا في طاعتك لاحسن توفيق وتاخذنا الى ارشد طريق وتيسر لنا في عبادتك اسبابا يزيد في خضوعنا لعظمتك ويفتح لكرمك ابوابا تمكننا من مفاتيح رحمتك فطالما عودتنا التفضل بنا في افنا احسانك والفرج منا الى ابقا غفرانك وان تصلي على محمد عبدك ورسولك ارشد الرسل دليلا واوضحهم سبيلا واوسعهم في الحق باعا واسطعهم بعبا التبليغ ذراعا واسدهم قولا ما كان وحيا واشدهم صولا حين وجد انصارا واوزرا وعلى آله الذين طهرتهم من الرجس تطهيرا وسلم كثيرا جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم في تفسير قول الله عز وجل ان في ذلك لآيات للمتوسمين انه قال العلوم للمتفرسين والتوسم التعرف الى هي العلامة والتفرس من الفروسية فالمتوسم يعرف بسمات الله عز وجل التي وسم بها خلقه ويستبين علاماته في الامور والمتفرس يركض بنور الله الى امر لم يكن يعلمه فيدركه كما يقطع الفارس بفرسه مسافة الدنيا الى المقصود يقطع المتفرس بنور الله مسافة الغيب الى الكاين الموجود قبل الوجود كما جاء في الاثار ان عمر ما تكلم بشي الا كان وفي حديث آخر ان الله جعل الحق على لسان عمر وفي آخر ان السكينة تنطق على لسان عمر وفي آخر ما كنا نتعاجب ان ملكا ينطق على لسان عمر وفي آخر انه في كل امة محدثين او مروعين فان يكن في هذه الامة احد فانه عمر منهم قال الحسن المحدث الذي اذا احدس وتفرس اصاب والمروع الملهم الذي يلقى في روعه ونفسه ما يحدث وما كان يطيش ظن عمر كما يروى انه كان ولي سارية الجبل الجبل وهو في بعض سارية ذلك فانكفى الى الجبل وقاتلوا العدو من وجه واحد فظفروا

عليهم وحدث عبد الله بن سلمة قال دخلنا على عمر بمعاشر وقد بلح وكنت من اقربهم منه مجلسا فجعل
عمر ينظر الى الاشتر ويصوب ويصعد بصره فيه فقال اي بنكم هذا قلت نعم فقال ماله قاتله الله
كفى الله امة محمد شره والله اني لاحسب للمسلمين منه يوما عصيبا ويروى ان عبد الرحمن بن ملجم اتى
عليا ليقبض عطاءه فلما بصر به قال متمثلا بقول عمرو بن معدي كرب لقيس بن مكشوح المرادي

اريد حياته ويريد قتلي ۞ عذيري من خليلي من مراد

فقال له عبد الرحمن ان كان هذا في نفسك فاضرب عنقي قال ويلك ومن يخضب هذه من هذه
وكان حديث الخضاب مما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرس في ابن ملجم انه صاحب ذلك
وعلى هذا فاثباته من السماع عن الرسول صلى الله عليه وسلم المعلوم عنده بالوحي ما يروى ان معوية
قال لجلسائه بعد الحكومة كيف لنا ان نعلم ما يؤول اليه العاقبة في امرنا قال جلساؤه
ما نعلم لذلك وجها قال فانا استخرج علم ذلك من علي فانه لا يقول الباطل فدعا بثلثة رجال
من ثقاته الاكياس فقال لهم امضوا حتى تصيروا جميعا من الكوفة على مرحلة ثم تواطئوا على ان
تنعوني بالكوفة ولتكن حديثكم واحدا في ذكر العلة واليوم وموضع القبر ومن تولى الصلوة وغير ذلك
حتى لا تختلفوا في شيء ثم ليدخل احدكم فليخبر بوفاتي فاذا كان من الغد فليدخل الثاني فيخبر بها
ثم ليدخل الثالث من الغد فيخبر بمثل خبر صاحبيه وانظروا ما يقول علي فخرجوا على ما خرجوا كما
امرهم معوية ثم دخل احدهم وهو راكب مغذ شاحب فقال له اهل الكوفة من اين قال من الشام قالوا
هل من معوية خبر قال مات معوية فاتوا عليا عليه السلم فقالوا راكب من الشام يخبر بموت معوية
انه مات فلم يحفل علي بذلك ثم دخل الآخر من الغد وهو مغذ فقال له الناس ما الخبر فقال مات
معوية فاتوا عليا فقالوا راكب آخر يخبر بموت معوية بمثل ما اخبر به صاحبه ولم يختلف كلامهما
فامسك علي عم ثم دخل الثالث في اليوم الثالث فقال الناس ما وراءك قال معوية مات فسألوه
عما شاهد فلم يخالف قول صاحبيه فاتوا عليا عم وقالوا يا امير المؤمنين صح الخبر هذا الثالث
يخبر بمثل خبر صاحبيه فلما اكثروا عليه قال علي عم كلا او تخضب هذه من هذه يعني لحيته من
هامته ويتلاعب بها ابن آكلة الاكباد فرجع الخبر الى معوية فازداد قوة وثقة ومما يروى
في نحو هذا حديث عبد الله بن جعفر بن عبد الرحمن بن المسور قال اجتمع رجال من بني هاشم في منزل
منهم ابرهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس وعبد الله بن العباس وغيرهم من بني العباس ومن
ولد ابي طالب عبد الله والحسن ابنا الحسن عم فقال لعبد الله ابسط الينا يدك حتى نبايعك
فقال لهم ما افعل ذلك ولكن هذا ابني محمد فبايعوه فقالوا والله انا قيل لك هذا الامر لم ينكر ذلك
وههنا من هو احق بالامر من ابنك واختلطت الاصوات وقاموا لوقت الصلوة قال عبد الله بن جعفر

فتبوكا جعفر بن محمد على يديه وقال والله لا يليها الا هذان الفتيان واومى الى السفاح والمنصور ثم بنيهما مع
حتى يتلعب بها صبيانهم ونساؤهم وان الذي على محمد بن عبد الله كلامه من العباسيين هو قاتله وقاتل اخيه
ابراهيم فقال لعبد الله بن محمد المنصور وكانت بينه وبينه حاجة ودونا الذي قال لك جعفر فمر فيه ثم لك
فقال التنجز الى محمد بما قال له شيئا الا وجدناه كما قال له ان المنصور رتبها له بعد كلام جعفر بغير سؤاله
فهذا من فراسته الصادقة ولعله من الوحي المنقول عن الرسول صلى الله عليه وسلم ومن اشباه هذه
الاحاديث ما يروى ان عليا عم افتقد عبد الله بن العباس في وقت صلوة الظهر فقال لاصحابه ما بال ابي
العباس لم يحضر فقيل ولد له مولود فلما صلى قال امضوا بنا اليه فاتاه فهناه ودعا له بالبركة في المولود
وسال ما سميته قال او يجوز لي ان اسميه حتى تسميه فامر به فاخرج اليه فاخذه وحنكه ودعا له ثم رده
اليه وقال خذه اليك ابا الاملاك ويروى انه قال له خذ اليك ابا الاملاك قد سميته عليا وكنيته ابا
الحسن فلما قام معوية بالامر قال لابن عباس ليس لكم اسمه وكنيته لكم الاسم ولي الكنية وقد كنيته ابا محمد
فجرت عليه ولم يزل معوية وسائر الخلفاء يكرمونه وكان عبد الملك بن مروان يبالغ في تكرمته و
التحفي به وكان سيدا شريفا بليغا ما سمعنا يعطا ذا الثفنات وكان يقال ان له خمس مائة اصل
زيتون يصلي في كل يوم عند كل اصل منها ركعتين الا ان الوليد بن عبد الملك ضربه بالسوط مرتين
احديهما في تزوجه لبابة بنت عبد الله بن جعفر وكانت عند عبد الملك فطلقها وذلك لانه عض يوما
تفاحة ثم رمى بها اليها وكان ابخر فدعت بسكين فقال لها ما تصنعين قالت اميط عنها الاذى
فطلقها فتزوجها علي فضربه الوليد وقال انما تتزوج بامهات اولاد الخلفاء لتضع منهم
كما فعل هرون بن الحكم بابنة خالد بن يزيد بن معوية وكان علي اصلع فعابها عبد الملك على ذلك
فقالت ما عيبي اصلع احب الي من ابوتي ابخر واما ضربه اياه في الكرة الثانية فحكى بعضهم قال
رايت عليا مضروبا بالسوط يدار به على بعير ووجهه مما يلي ذنب البعير وصائح يصيح عليه هذا علي بن عبد
الله بن العباس الكذاب فاتيته فقلت ما هذا الذي نسبوك اليه من الكذب قال بلغهم عني اني قلت ان
هذا الامر سيكون في ولدي والله ليكونن فيهم حتى يملكه عبيدهم الصغار العيون العراض الوجوه
الذين كان وجوههم المجان ويحكى انه دخل على هشام بن عبد الملك ومعه ابنا ابنه الخليفتان ابو
العباس وابو جعفر فلما ولى قال هشام ان هذا الامر سينتقل الى ولده فسمع ذلك علي فالتفت اليه فقال
اي والله ليكونن ذلك وليملكن هذان وحدث بعضهم قال حججت سنة من السنين بطريق مكة مع
عبد الله بن عباس قال فسار عبد الله وعيسى امام القوم فقال والله لعبد الله بن محمد لا نظهر
محمد اضل عبد الله لما يأن الوقت الذي يظهر فيه محمد بعد ولسنا بالذي يظهر عليهم وليقتلنهم
الذي يظهر وقال ابصمع عبد الله بن علي الحديث والتفت الى عبد الله بن حسن وقال يا ابا محمد

✿ سيكفيك الجعالة مستميت ✿ خفيف الحاذ من فتيان جرم ✿

انا والله اظهر عليهم واقتلهم وانزع ملكهم فقتلنا ولسنا الا لا يكون الامر على ما ساوى وكذلك ما كان من
اخبار بحيرا الراهب بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم وهو صبي في صحبة ابي طالب الاولى نحو الشام و
امر خروجه خديجة الى الشام في تجارة فنظر اليه نسطور الراهب وقد اظلته غمامة فقال هذا نبي و
وكذلك في الكتب القديمة من اخبار الكائنات مثل ما يحكى ان المنصور لما اراد ان يبني لنفسه كان يؤتى
من كل مدينة بتراب فيعفنه فيصير عقارب وهوام حتى اتي بتراب بغداد فجمع من الذراريات واى الجلد فنظر
الى دجلة والفرات فاعجبه مواه زاهد كان هناك وهو يتعبد بها وهناك الاثم فبلغه ذلك فقال ما
سأله فقال نجد في كتبنا ان الذي يبنيها ملك يقال له مقلاص فقال ابو جعفر كانت امي تلقبني في
صغري بمقلاص فكان ذلك من علامات الكتب السماوية واما الذي هو من الفراسة الخالصة فنحو حديث جندب
بن عبد الله البجلي فانه سمع رجلا يقرا القرآن باخفض صوت وابينه واخشعه واكينه فوقف عليه وقال
من يسمع سمع الله به ومن راءى راءى الله به فقلنا له كانك عرضت بهذا الرجل فقال ان هذا يقرا
القرآن عليكم اليوم ويخرج غدا حروريا يضرب وجوهكم بالسيف فكان ابن الحرور وهو مرداس الذي
رثاه عمران بن حطان بقوله ✿ يا عين ابكي لمرداس ومصرعه ✿ يا رب مرداس اجعلني كمرداس ✿

✿ ابكيت عيني بعدك من قد كنت اعرفه ✿ ما الناس بعدك يا مرداس بالناس ✿

ولما مات عبيد الله بن سليمان وزير المعتضد استعان ابنه القسم ببدر ليوليه مكان ابيه فقال المعتضد
في ابيه والح فقال يا ابا النجم هذه عشرة الاف الف دينار من تركته خذ نصفها ودع هذا فقال يا مولاي اذا
فعلت ما اريد فقد اعطيتني كلها قال ولد لاجلك فاعتذبه غدا سمك فوالله لاصلك عنه قلت اعرف
مني فكان الامر على ما ظنه وقاله ✿ ولما لبس عبد الملك بن مروان ثياب الحرب عند حرب مصعب بن
الزبير فبكت امراته عاتكة بنت يزيد بن معاوية وبكت الجواري لبكائها من حولها من جواريها فقال عبد الملك
لله در كثير كانه يرى هذا حين يقول ✿

✿ اذا ما اراد الغزو لم يثن همه ✿ حصان عليها نظم در يزينها ✿

✿ نهته فلما لم تر النهي عاقه ✿ بكت فبكى مما عراها قطينها ✿

ثم خرج عبد الملك يريد مصعبا وكثير معه في موكبه فقال له عبد الملك ذكرت الساعة بيتين من
شعرك فان اصبت ما هما فلك حكمك فقال نعم اردت الخروج فبكت عاتكة وبكى حشمها فذكرت قولي
اذا ما اراد الغزو وذكر البيتين فقال اصبت فاحتكم فاعطاه ما اراد ثم نظر اليه عبد الملك يسير في
عرض الموكب مفكرا فقال علي يا ابن ابي جمعة فقال ان عرفتك في اي شيء كنت تفكر فلي حكمي فقال نعم
قال كنت تقول انا في شر حال خرجت في جيش رجل من اهل النار لبس على بلخي ولا اهله في يغني الى جبل

قوله ما اراد الغزو

قوله ما اراد الغزو

من اهل

من اهل النار لبس على بلخي ولا اهله في يغني الى جبل الخلاف فصيبني سهم غرب فاتلف فاها فقال والله
يا امير المؤمنين ما اخطأت ما كان في نفسي فاحتكم قال يحكي ان اصلك بعشرة الاف درهم وارد لك الى منزلك
فامر له بذلك ✿ ويحكى ان محمد بن شجاعة والشافعي اجتمعا في مسجد فدخل داخل فقال ابن شجاع انه
نجار وقال الشافعي حداد فسالاه فقال كنت قبل هذا حدادا وانا الساعة نجار ✿ وحكى ابو الحسن الديلمي
قال دخلت انطاكية لاجل اسود يتكلم على الاسرار فقلت الى ان خرج من جبل الكام ومعه شيء من تلع
يبيعه وكنت جائعا منذ يومين فقلت له بكم وا وهمت اني اشتري فقال لي اقعد حتى اذا بعناه ✿
نعطيك ما تشتري به شيئا فتركته وصرت الى غيره او همت اني اساومه ثم رجعت اليه ان كنت تبيع هذا
فكم قال لعلمنا انك جعت منذ يومين اقعد حتى اذا بعناه نعطيك ما تشتري به ✿ وذكر ابو سعيد الخراز
قال دخلت المسجد الحرام فرايت فقيرا عليه خرقتان يسال شيئا فقلت في نفسي مثل هذا كل على الناس
فنظر الي فقال واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه واستغفرت في سري فناداني وهو
الذي يقبل التوبة عن عباده ✿ وحكى خير النساج قال كنت جالسا في بيتي فوقع لي ان الجنيد بالباب
فنفيت عن قلبي فوقع ثانيا وثالثا فخرجت فاذا انا بالجنيد فقال الا تخرج مع الخاطر الاول وقال
بعض الفقراء كنت ببغداد فوقع لي ان المرتعش ياتيني بخمسة عشر درهما لاشتري بها الركوة والحبل
والنعل وادخل البادية فدق علي الباب ففتحت فاذا انا بالمرتعش معه خرقة فقال خذها فقلت يا
سيدي لا اريدها قال فلم تؤذينا كم اردت فقلت خمسة عشر فقال هي خمسة عشر ✿ وحكى ابو عبد
الله الرازي ان ابن الانباري كساني صوفا ورايت على راس ابي بكر الشبلي قلنسوة مليحة تليق بذلك الصوف
فتمنيت في نفسي ان يكونا جميعا لي فقام الشبلي من مجلسه وادخلني داره وقال انزع الصوف فنزعته
فلفه وطرح القلنسوة عليه ودعا بنار واحرقهما وقال لا تدع الا نازعك نفسك الى ما لا يعنيك
وكان السري يقول للجنيد تكلم على الناس وكان في قلب الجنيد احتشام من الكلام واتهام لنفسه انه
ليس اهل ذلك المبلغ قال فرايت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام يقول لي تكلم على الناس فانتبهت
واتيت باب السري فقال لم تصدقنا حتى قيل لك فقعدت للناس في الجامع لقعد واشتهر ان الجنيد قعد
يتكلم على الناس وازدحم الخلق فوقف عليه غلام نصراني متنكرا فقال ايها الشيخ ما معنى قول الرسول
اتقوا فراسة المؤمن فان المؤمن ينظر بنور الله فاطرق الجنيد ثم رفع راسه اسلم فقد حان وقت اسلامك فاسلم الغلام
ولزمه ✿ وعن ابراهيم الخواص قال بينا نحن جلوس مع جماعة من اصحابنا في جامع بغداد اذ اقبل الينا
شاب ظريف نظيف عاقل حسن الجملة والتفصيل والشابين من الادب طيب الرائحة فسلم وجلس الينا فقلنا
ان قاصدنا واتى بنا وجدنا مخبره احسن من منظره فتفرست انه يهودي وقلت لاصحابي فما وقع في فانكروا
لما كانوا يشهدون من عقله وفهمه وملبسه ثم غادر عنا وخرجت من فوري في بعض اسفاري فغاب عنهم

وسأليهم وألح عليهم بالذي قال وناشدهم حتى اخبروه بما قلت فاسلم وحسن اسلامه وقال انا نجد في كتبنا
ان الصديق المخلص في امة محمد صلى الله عليه وسلم لا تخطي فراسته فهذا اعلى الحديث لقوة فراسة
المؤمن وفي حديث آخر ظن المؤمن لا يخطي فقالوا ظن المؤمن قطعة من عقله وقيل ظن المؤمن ابيد
عقله وقالوا الالمعي منجم وحدث الموصلي باسناد له ان العباس بن مرداس السلمي لما انصرف من مكة
قال لبني سليم اني رأيت امرا وسيكون خبرا رأيت بني عبد المطلب كأن قدودهم الرماح الردينية وكأن
قدودهم بدور الدجنة وكأن عمائمهم فوق الرجال الوية وكأن منطقهم قطر الوبل على المحل وان الله اذا اراد
ائرا غرس له غرسا فهو اثمرته وكلوا امنته وتفيئوا ظلاله واستبشروا بنعم الله عليكم فانظر كيف وقع
العالم بهذا الكلام بان العرب اطلعت فراسته على السر واهتدى بلطفها حسه الى الامر المزمع
والحادث المتوقع وهذا مما في العرب لصفاء اذهانها واصابة فكرها وصحة نظرها وسعة
ظنونها قال بلعاء بن قيس

واني صواب الظن اعلم انه ... اذا طاش ظن المرء طاشت مقادره

وقال اوس بن حجر

الالمعي الذي يظن بك الظن ... كأن قد رأى وقد سمعا

وقال آخر

الالمعي الذي ياوي الظن ... آخر الامر من وراء المغيب

آخر

لا تأمنوا آراءه وظنونه ... ان الغيوب لها من الاسداد

وتعوذوا بالله من اقلامه ... ان السيوف لها من الحساد

ابن المعتز

عليم باعقاب الامور كأنه ... بمختلسات الظن يسمع او يرى

اذا اخذ القرطاس خلت يمينه ... تفتح نورا او تنظم جوهرا

هذا في الفراسة الغريزية الصادقة اكثرها الممكنة غايتها التي هي دون الالهامية واما
الصناعية التي تعاطاها اليونانيين مستدلين على الخلق بشكله وهيئته فهم باللون فيها
وفي صدقها اشد المبالغة وربما يخلو شأنها من باب الامكان في باب الوجوب وقبل ان نذكرها
عنهم نقدم ذكر الواجب والممكن المختص بما نحن فيه ونقول الممكن في هذا الباب شبيه بالرؤيا
لا صورة له يستقل بها ولا طبيعة تخرج لاجلها الا ترى انا نرى الرؤيا تنقسم على الاكثر والاقل
والتساوي في العبارة والصحة والتأويل وكذلك الممكن ينقسم على الاكثر والاقل والتساوي وكأن
الرؤيا ظل من ظلال اليقظة والظل ينقص ويزيد ويساوي اذا قيل الى الشخص كذلك الممكن ظل
من ظلال الواجب فطورا يزيد مقاربا للواجب وطورا ينقص مائلا الى الممتنع وطورا يساوي
بالمتوسط فالواجب لا عوض له لانه حق واحد وله نصيب من الوحدة بدليل انه لا تعلق له لا بالزمان
ولا بالمكان ولا بالحدثان ولا بالطبيعة ولا بالوهم ولا بالعقل بل العقل ينقاد له والطبيعة تسلم

والوهم

والوهم يفرق منه وصورة الواجب لا يجد فيها ظن ولا يحكم فيها تخمين ولا يتسلط عليها
دافع ولا مانع وهذا الحكم مطرد على الممتنع لانه في مقابلته على التحقيق لانه لا صورة له
فكونه يعرض والعرض كله للممكن بالنعت الذي يختلف من الكثرة والقلة والمساواة ولهذا تعلقت
التكاليف في ظاهر الحال وبادي الامر وعامة الشأن واستوى الوجوب عليه في باطن الحال
وخفي الامور وباطن الشأن وكل هذا الفصل الذي اشتمل على الظاهر والباطن ليس يكشف الحس
كما يكشف العقل ولكنا بالحس اكثر وان كنا لا نخلو في هذه الكثرة من امداد العقل لزمنا
الاعتراف بموانع الممكن وعلائقه والعمل عليه والرجوع اليه اذا امرنا او نهينا واتمرنا ولما
ظهر لنا بازاء هذا الذي كنا به كائنين شيء آخر نحن به اقل الا ان هذا الذي نحن به اقل
وهو العقل يشهد لنا ان صورة الوجوب لسلوك من سبيلنا الى مقطعه الذي هو الممتنع
بواسطة الممكن الذي هو في عرض الواجب الى آخر الممتنع كما لزمنا الاعتراف الاول لكوننا به عاملين
ومستعملين وداعين وواضعين ولائمين وملومين كذلك لزمنا الاعتراف بسلطان الواجب
الذي لا سبيل الى عزله ولا محيص من الاقرار به في كل دافع او مانع فاذا تقررت هذه الجملة
رجعنا الى فراسة اليونانيين وان اول من رسمها منهم ودونها لهم ووضع الكتب وصنفها
رجل منهم يقال له فيلامون وكان شابا من شبابهم اديبا اريبا قد نظر في كل وجه
من وجوه العلم فوضع كتاب الفراسة وادعى علم طبائع الانفس واخلاقها بتوسم العين
والنظر الى الصور حتى اشتهر امره وانتشر ذكره وكان الحكيم على عهده بقراطيس فلما انتهى
اليه حديثه جاءه جماعة من اصحابه ليكشفوا عن رأيه وبما تشرع في ادعائه فجعل
يخبر كل رجل منهم عن طبيعته وخليقته وما يعتاده من الصناعات ويتحمله
من الآداب وعلم فتعجب بقراطيس من ذلك وانكره واكبره وقال ما ينبغي ان يكون احد يبلغ مبلغا
ينظر فيه الى هيئة او يتفرس في شكل صورة فيعرف ما تسره النفس ويتبين ما انبنت عليه
الطبائع المحجوبة وتتصرف فيه القوى الكامنة ثم دعا بجلد فصور فيه صورته وبعث بها مع
بعض اصحابه وقال ابلغها اياه ولا تعلمه صورة من هي ثم سله عن طبائع صاحبه وعن عقله
وهواه وحاله في غضبه ورضاه وعفته وشهوته واعلمني بما يرجع اليك فانطلقوا اليه
بالصورة ووضعوها بين يديه ثم سألوه عما امرهم به فلما توسم فيلامون الصورة فقال
ما ينبغي ان يكون احد من الناس انفى من صاحب هذه الصورة فلما سمعوا ذلك تغيروا
وتنمروا له ووثبوا اليه ليضربوه فامتنع منهم ثم قال لهم ايها القوم ما الذي انكرتم
من قولي في هذه الصورة انطلقوا الى صاحبها فان اقر لكم بالذي وصفته

به بما لا نستطيع انكاره فذهبوا به الى بقراطيس فلما دخلوا عليه قالوا يا امام الحكمة وسيد العقلاء
ما يسعنا ان نقبل منك ذلك ان كان فليمون فيما قال محقا وان كان مبطلا فما يسعنا ان نتركه
حيا ان تعدى فيك ووصفك بامر لا ينبغي لمثلك ان يكون عليه وزعم انك انت اذن خلو الله وانه
سيقر لك بما قال فيك فان يكن ما ذكره فيك حقا فلا احدا ابعد من الحكمة واولى باسم الجهالة
منك حيث تسميت باسم الحكماء وعملت بعمل السفهاء وان كان ما ذكره باطلا فلا احد اعظم عند
العامة والخاصة جرما ولا اسوا على اهل الحكمة ثناء ولا اولى بان لا يترك حيا من هذا
الذي يجهر بين الناس بكذبه ويقضي على الحكماء بظنه فقال بقراطيس الاخذ بالفضل احسن من
المعارضة بالجهل والاذعان للحق خير من التمادي في الباطل ثم اقبل على فليمون فقال
ايها المدعي علم البرهان لماذا قلت ما قلت وما عذرك فيما وصفت قال فليمون ما قلت الا
ما قال لي راسك في الصورة وما ازددت حين رايت شخصك بعد تمثالك الا تبصرة فيما
قلت والصدق افضل ما قيل ان اعلام الزنا فيك ظاهرة وشهوة النساء عليك غالبة
فان رددتها بعقلك فمني وان غلبتك فبالحري فعند ذلك قال بقراطيس قد صدقت
فراسته ان الشهوة كما قال فيّ شديدة وان الفاحشة فيّ بعيدة فان شهوتي مع علو السن وجفاف
العصب وبعاد الذكر وانقطاع ينبوع النطفة ومع تعود الزهد والتخلي من كل مباح واشر والبعد
عن النساء وملازمة طول العمر فلا اسمع لهن حلا به ولا اخبر منهن مواعد ولا ارى هن متزينات
متشوفات منكشفات في الخلوة متبذلات ومع ان جانست كل الحيوان وسافرت الذئاب
توهمتها اللقوة وكثرات الشهوة الا والعلة ان كبدي قد ذابت وان فؤادي قد انصدع وان
عقلي قد اختلس فهذه شهوتي للنساء والاسباب المتعلقة بالنساء ولكني سلطت عقلي
عليها وامتنعت بمنعها وسست عليها امري وصبرت به وجه جملي فهذا نوع بقراطيس في
وصف العقل وشرفه وكيف يرد الانسان شهوته ويكسر بها من غضبه ويستولي به على غريزته
حتى يعيدها الى ما ينبغي منه ويحمل عليه وان الشهوة كلما كانت اغلب كان فضل العقل وحزامة
النفس المرزوقة فيهما افضل وفضيلة صاحبها الذي ملكهما مع استصعابهما اظهر
فعند ذلك ازداد يقين فليمون بعلمه واستفاد بصيرة في امره والف كتابه المعروف
في الفراسة ومن يجد على مواتاة الشكل والهيئة ودخل الامر فيه لا يخلو عن اربعة ما خذ
عن التقطيع وعن المجسة وعن الشمائل وعن الحركة وقد ذكر الجاحظ الوجوه الاربعة في كتاب
الهداية ونظر في التقطيع الى انتصاب العنق والحلقة واستدارة الراس من غير عظم ولا صغر
ثم الى عظم القطعتين واتساع النحر والنهرات الشديقين وهذا من اعلام الكرم في الخيل

لاسرواح

لاسترواح وغير ذلك ثم حسن حلقة العينين وقصر المنقار من غير دقة ثم اتساع الظفر واما الاعجز جو
وطول العنق واشراف المنكبين وطول القوادم من غير افراط ولحوق بعض الخوافي ببعض وصلابة القصب في غير
انتفاخ ولا يبس واجتماع الحلق من غير جعودة والكزازة وعظم الفخذين وقصر الساقين والوظيفين وقصر
الذنب وخفته من غير تضمير وتفرق ريشه وقد لحق بين وصفنا اللون فهذه اعلام الفراسة في التقطيع
واما اعلام الفراسة في المجسة فنحو لحيان وتاقد الخلو ووثاقة اللحم ومتانة العصب وصلابة القصب ولين
الريشة في غير رقة وصلابة المنقار من غير دقة واما الاعلام الشمايل فقلة الاجتنان وصدق الحذر
وحسن التلفت وقلة الرعدة عند الفزع وخفة النهوض اذا طار وترك المبادرة اذا لقط واما
اعلام الحركة فنحو الطيران في علو ومد العنق في سمو وقلة الاضطراب في جو السماء وضم الجناحين في
الهواء وتدافع الركض على استقبال الريح في غير اختلاط وحسن القبض في غير درد وان يوثقه الدقيق الطعام
وكما ان الفراسة قد تكون عن بدنية وقد تكون ضلاعية تعليمية فقد تكون ايضا حاصلة من وساوس
الجن كما حدث علي بن جهم الشاعر قال دخلت على المتوكل يوما وهو جالس وحده فسلمت عليه فرد السلام
واجلسني وجاء بني القاسم فنظرت الى الفتح بن خاقان واقفا في غير مرتبته التي كان يقوم فيها
متكيا على سيفه مطرقا الى الارض فانكرت حاله فكنت اذا نظرت اليه نظر الى الخليفة واذا صرفت
وجهي الى الخليفة اطرق فقال لي يا علي انكرت شيئا قلت نعم يا امير المؤمنين ووقوف الفتح في غير مرتبته
قال بسوء اختياره اقامه ذلك المقام قلت يا سيدي يا امير المؤمنين قال من عند صحبه اعدا فاسر به اليه
سرا فاعداه الى السر ان عاد الى قلت لعله اسر به الى غيره قال ما كان غير هذا قلت فلعل سمعا استرق عليهما
قال ولا هذا ايضا فاطرقت مليا اتدبر وضعت ابني وقلت يا امير المؤمنين قد وجدت له مخرجا
قال ما هو قلت ذكر ابو نعيم الفضل بن دكين عن المستمر بن سليمن عن ابي العجوز قال انطلقت امراتي في شيء
واتى في المسجد ثم انصرفت الى منزلي فقالت لي امراتي طلقتني يا ابا العجوز فقلت من اين لك هذا قالت
اخبرتني جارتي الانصارية فقلت ومن اخبرها بذلك قالت ذكرت انه وجدها اخبرها به قال
فغدوت على ابن عباس فقصصت عليه القصة فقال لي اما علمت ان وسواس الرجل يحدث وسواس
الرجل فمن هنا يفشو السر قال ابو نعيم فكان في نفسي من هذا الحديث شيء حتى حدثني حمزة الزيات
قال خرجت سنة من السنين اريد مكة فلما جزت بعض الطريق ضلت راحلتي فخرجت اطلبها فاذا
باثنين قد قبضا على المستمع تهمهما واسمع كلامهما ولا ارى شخصهما حتى جاءني الى الشيخ قاعد على لمعة
من الارض حسن الشيبة فسلمت فرد علي السلام فافرخ روعي ثم قال لي من اين قلت من الكوفة فاريد
مكة قال وما تخلفك عن اصحابك قلت ضلت راحلتي فجئت اطلبها فرفع راسه الى قوم على راسه وهم
فقال راحلته فانتحت من بين يديه فقال لي اتقرا القرآن قلت نعم قال هات فقرأت حم الاحقاف

حتى انتهيت الى قوله عز وجل واذ صرفنا اليك نفرا من الجن فقال لي على رسلك اتدري كم كانوا
قلت اللهم لا قال كنا اربعة وكنت المخاطب لهم عنه فقلت يا قومنا اجيبوا داعي الله ثم قال لي اتقول
الشعر قلت اللهم لا قال فترويه قلت نعم قال هاته فانشدته قصيدة زهير بن ابي سلمى ∴ ∴ ∴ ∴
امن ام اوفى دمنة لم تكلم ∴ فقال لمن هذه فقلت لزهير بن ابي سلمى قال الجني قلت لا الانسي فقال
مرارا ثم رفع راسه الي ثم على راسه فقال لزهير فاتي شيخ كانه قطعة لحم فالقي بين يديه فقال له
يا زهير قال لبيك قال لمن ام اوفى دمنة لم تكلم قال لي قال هذا يذكر انها لزهير بن ابي سلمى الانسي قال
صدق وصدقت قال وكيف هذا قال هذا نظيري من الانس وانا تابعه من الجن اقول الشي فالقيه في وهمه
ويقول الشي فاخذه عنه فانا قائلها في الجن وهو قائلها في الانس قال ابو نعيم فصدق عندي هذا
الحديث حديث ابي الحسن ان من وسواس الرجل يحدث وسواس الرجل فمن هنا يقع السرق وتفرس
الامر فاستغرب المتوكل ضحكا وتهلل وجهه سرورا وقال للفتح يا ابا فتح وصب عليه خلعا نفيسة
وامر له بمال كثير وامر لي بدون ما امر له فانصرفنا فما ادري ما اخذ فضل الاكثر او الاقل قال وربما
كانت الفراسة من هذا الوسواس وقريب من هذا ما كان من كهانة العرب في الجاهلية فان جميع
ذلك مأخوذ من الجن الذين كانوا يسترقون السمع الى ان ابطلها الله بالاسلام وذلك مثل ما يحكى في
المنافرة بين هاشم بن عبد مناف انه دعاه امية بن عبد شمس الى المنافرة فنافره هاشم على خمسين ناقة
سود الحدق ينحرها بمكة والجلاء من مكة عشر سنين فجعلا بينهما الخزاعي الكاهن وخرجا اليه في جماعة
من قومهما فقالوا قد خبأنا لك خبيئا فان اصابه تحاكمنا اليه وان لم يصبه تحاكمنا الى غيره فخبأ
ابو همهمة وكان معهم اطباق جمجمة فامسكها معه ثم اتوا الكاهن وكان منزله بعسفان فقالوا له انا قد
خبأنا لك خبيئا فانبئنا عنه فقال احلف بالضوء والظلمة وما بتهامة وما بنجد من اكمة لقد خبأتم
لي اطباق جمجمة مع الهمداني ابي همهمة فقالوا اصدقت فاحكم بين هاشم بن عبد مناف وبين امية بن عبد
شمس ايهما اشرف نسبا ونفسا فقال والقمر الباهر والكوكب الزاهر والغمام الماطر وما بالجو من
طائر وما اهتدى بعلم سائر منجد او غائر لقد سبق هاشم امية الى المآثر اولا منه وآخر فاخذ
هاشم الابل فنحرها واطعمها من حضر وخرج امية الى الشام فاقام بها عشر سنين فكان اول
عداوة بين بني هاشم وبني امية وكانت سعدى بنت كريز بن ربيعة خالة عثمان بن عفان تتكهن
وروي عن عثمان انه قال لما تزوج النبي صلى الله عليه وسلم ابنته رقية من عتبة بن ابي لهب
كانت ذات جمال رائع ودخلتني الحسرة الا اكون سبقت اليها فلم البث ان انصرفت الى
فالفيت خالتي به فلما رأتني قالت ∴ ابشر وحييت ثلاثا وترا ∴ ثم ثلاثا وثلاثا اخرى ∴
ثم باخرى كي تتم عشرا ∴ اتاك خير ووقيت شرا ∴ انكحت والله حصانا زهرا ∴ وانت بكر ولقيت بكرا ∴

وافيتها بنت عظيم قدرا ∴ بنيت امرا قد اشاد ذكرا ∴ قال عثمان فعجبت من قولها وقلت ما تقولين ∴
فقالت عثمان يا عثمان ∴ لك الجمال ولك البيان ∴ هذا نبي معه البرهان ∴ ارسله بحقه الديان ∴
وجاءه التنزيل والفرقان ∴ فاتبعه لا تغتالك الاوثان ∴ ثم وقع كلامها في قلبي وجعلت افكر فيه وذكر بعده ذكر
اسلامه وتزوجه برقية فكان يقال احسن زوجين رآهما انسان رقية وعثمان فهذا كله من نوع
واحد وقد تصدق القرانات وتوافق الحكايات لا من هذه المنابع ولكن يكون ذلك عن اتفاق وارسال
قول ويروى عن علي عليه السلام هذا البيت ∴ ∴ ∴ ∴
تكلم بما تهوى يكن فلقلما ∴ يقال لشي كان الا تكونا ∴
وحدث ابو الحسن المرهجي عن بعض اعرابه قال خرجنا الى بعض المتنزهات بمصر ومعنا باشتون نصيب
الشهابي وكنا جماعة فقال احدث كان معنا وكان يسخر انتم تصيدون بالبندق وانا اصيد بكم
قال فلما بعدنا لجهة الريح ثم قام فابعد فاتبعته الى ان اثار شيئا فاسرع اليه فاخذه صيدا ونحن لا نعلم
انه اخذ شيئا فقلنا له ما هو الطير الذي اصبت لنا فاخذه فخرج من عند لنا انه اخذ طيرا فالتفت فيرغام من قولنا ق
التواثابه لاخير برأسه عن بعيد فاقبل الينا مسرعا فاذا بجامن الحية بروالشهابي فيقول صاده
وما جرى مجرى الاتفاق وما يروى ان وفدا من اليمن جاؤوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول
الله لقد احيانا الله ببيتين من شعر امرئ القيس قال وما ذاك قال اقبلنا نريدك حتى اذا كنا بموضع
كذا وكذا اخطأنا الماء فمكثنا ثلاثا لا نقدر عليه فانتهينا الى موضع طلح وسمر فانطلق رجل منا الى
اصل شجرة ليموت في ظلها فبينما نحن في آخر رمق اذ راكب قد اقبل معتم فلما رآه بعضنا تمثل
ولما رأت ان الشريعة همها ∴ وان البياض من فرائصها دامي ∴
تيممت العين التي عند ضارج ∴ يفيء عليها الظل عرمضها طامي ∴
فقال الراكب من يقول هذا فقال امرؤ القيس قال هذه والله ضارج عندكم وقد راى ما بنا من الجهد فحفنا
اليها فاذا بيننا وبينها نحو من خمسين ذراعا واذا هي كما وصفها امرؤ القيس يفيء عليها الظل الحديث
الى آخره وحدث ابو جامع المغني قال بينما انا في غرفة بالبصرة وانا مشرف على مشرعة اذا اقبلت امة
سوداء على ظهرها قربة فلا تها ووضعتها عند المشرعة لتستريح وجلست فغنت ∴
وزائري صاحب القلب انت قتلته ∴ ولا تركيه هائم القلب مغرما ∴
الى الله اشكو بخلها وسماحتي ∴ لها عسل مني وتبذل علقما ∴
قال فحدث قربتها النمنمة فاستغفرت من الشهوة القول والصوت لانه ابدع فيه فنزلت اليها وقلت
يا جارية اعيدي البيتين علي فقالت انا عنك في شغل بخراجي قلت وكم خراجك قالت درهمان في
كل يوم قلت فهذا درهمان فردديهما علي حتى احفظهما منها واعطيتها درهمين وانصرفت فلم

بوجوه اصحبني ولا اذكر منهما حرفا واحدا فاذا انا بالسوداء قد طلعت وفعلت كفعلها بالامس ووضعت القدح به
وغنت بسر هذا الصوت فخرجت في اثرها وقلت يا خالة بحقي عليك ردي ذلك الصوت الاول علي فقد
ذهبت منه نغم فقالت لا والله ما مثلك يذهب عليه نغمه ان يسير قولك على تحيره واحزه وعلى ادائه وكذلك
انسيت كله ولست افعل الابد بدرهمين آخرين قال فدفعتهما اليها واعادته علي حتى اخذته ثانية وقالت
تستكثره بدرهمين ودرهمين وكاني بك وقد اصبت به الف دينار والفي دينار قال ابن جامع وكنت يوما
عند الرشيد وهو على سريره فقال من غناني فاطربني فله الف دينار وقد اصاب الكبار في كل الف دينار ما يعجز
القوم فلم يطرب حتى دار الغناء الي فغنيته صوت السوداء في الصبي فرمى الي بكيس وقال اعده علي ففعلت ثم رمى
الي بثان ثم بثالث فامسكت قال ابن جامع فتذكرت قول السوداء فضحكت فقال لم تضحك فقلت يا امير المؤمنين
لهذا الصوت حديث حسن عجيب قال وما هو فحدثته به وقصصت عليه القصة فرمى الي بكيس رابع وقال
لا نكذب قولها اذن ٭ وحكى الحسن بن ابي سعيد حاجب المأمون عن عثمان بن عباد عن يحيى بن خالد قال كان
ابو ايوب المورياني وزير المنصور قد املى والدي خالد بن برمك فنظر في حسابه لما تولى من فارس فاخرج
عليه ثلثة آلاف الف درهم فامر المنصور خالدا بحمل المال ووقت له وقتا ان تجاوزه ناله بكل مكروه فلقى
جماعة من المواليين ثم صالح صاحب المصلى ومبارك التركي وغيرهما فما وافى من يدنيك تحملت اما احببت
فان احتملنا في ذلك قال يحيى فامرني ابي الحاضر فلقيت صالحا فقال يعني خمسة الاف دينار ولقيت غيره
فعرضوا على الخمسة والستة والسبعة الاف ولقيت مبارك التركي وقد وصل الخبر به واستاذنت عليه فقال
للحاجب هو يعني فانتظر الاستاذن ثم دخلت فقال لي اقرا ابي السلام وقل له انه ما حمل اليك انه يكتم
ما بعثت به فان امير المؤمنين ان ظهر على ذلك رده في الحال والقتل فانه فانا قد في هذه خمسون الف دينار
فعلمت ان يحملها فقلت نعم ودعوت بالبغال ان يحملوها بين ايديهم وعقلوها بالقوافي ولقيت ابي فحدثته بالخبر
من لقيته او لا الى الغم ثم بكرت من غد فانتهيت الى الرضا ثم جئت فجاء بوابها فلقيني خالصة
فقالت ابو علي فقلت نعم فقالت ان ابا الاروحنا السيدة تقرئك السلام يعني الخيزران وتقول هذا
جوهر اشتريته اول من امس بالفي الف ومائتي الف فلتستعينوا به في امركم واياك ان تطرحني فاخذت
الجوهر وجئت به الى ابي ولم يصل بعد الغداة فقال العجل يا بني فاخبرته الخبر وركب المنصور في اليوم
الذي وقت للاداء ونحن نريد الدار فلما انتهينا الى الجسر استقبلنا اعرابي فضرب بيده على فخذي
فقال الذي وجهه رجل محزون وقد جاءك الفرج وستولى ولايتين احداهما اعلى من الوادي فقال لي ابي
قل الحمد لله رجع الى المال الاعرابي فانتهينا الى باب المنصور فاذن لنا فدخل ابي وعليه فقال له يا
خالد ابي فكرت في سعد بن خدمتك وقيامك بدولتنا فرايت ان احتمل هذا المال الذي يواجيك
فانا اكفيك بيني وقد فعلت ذلك وفي ولايته الموصل واذربيجان ثم دعا بقنا وعقد له فانصرف ابي في

حشد من الناس وسلامي ثم اقبلنا باب دار المنصور فلما دخل الدار وخرج المهتون وخفت من عنده
رضا بالامر ابي فقال اني انا احب ان احمل اليك بماية الف درهم او تصحبني فقال يا بني عجلان احب عندي او نحو
لدي فامر له بصلة يتجهز بها وتخرج معه فانا ادري وذكر احمد بن ابي خالد الاحول ان البرامكة لما
في نعمتهم وكان احمد تقلدت له جند الارض وانصرفت الى مدينة السلام وقد سخط على يحيى بن خالد
ويحيى بن خالد الى سنة الاف دينار وقد لطفت له ان وصلت الى يحيى وهو في الحبس فلما لقيته عرفته ان يحيى بن فضل
بعث ستة الاف دينار وعرضتها عليه فقال لي انا احمل ابيك ان تحمل الينا منها ثلثة الاف دينار
واصرف الباقي في مؤونتك فلما حملتها قال لي الحجي بدواة ورقعة فلطفت لذلك فلما احضرته كتب بخط
لا يعرفه فلما فرغ من الرقعة اثر بها ثم طواها فقطعها بنصفين ووضع نصفها تحت مصلاه ودفع الي النصف
الآخر ثم قال لي ان امرنا قد ولي ودولتنا قد انقضت وهذه الخليفة سيموت في سنة قريبة ويطول الامر بينها
بين خليفتين يكون الظاهر منهما صاحب المشرق ويكون لغلام يقال له الفضل بن سهل حال فاذا
ادركت فالزم الوقف فادفع اليه هذا النصف من الورق فانك ستبلغ به عنده ما تحب قال احمد فخرجت من
عنده وانا اندم الناس على اخراجي من يدي ثلثة الاف دينار لرجل قد نعى نفسه الي واحتقرت نصف
الرقعة ولم يسنح عطية دلته بانوا في خلافة الرشيد وخلافة محمد حتى قرب ذلك في ووقف حالي فانا في
ذلك بعد ان دخل طاهر بن الحسين مدينة السلام لنهوره بتحيري في امري ما ادري ما اصنع اذ سمعت
قرع الباب فقلت انظروا من جاء فجاء اني الي الدهليز فاذا في الخبر فقمت وعادت فجوعون وقالت ما ادري ما
القصة على الباب بسرة وجماعة من الشرط ومعهم شمع فما الفرج ووقفت الباب فقلت من تريدون
فقالوا البيع فهو امير احمد بن ابي خالد الاحول فقلت انا هو فقال الخبر رسالة ذي الرياستين اليه قلت فعلمكم
علمكم بما يريد الامير منه فقال بعضهم لعله ان ليس على عسكره وانما يريد الاشعث وهو نظر الى غلام
له فرجعت الى المجلس وقربت السراج ونحيت وجهي وصرت الى الباب ففتحته وقلت ادخلوا فدخل علي فاذا
جليل فقال ابن [illegible] وقال انت احمد بن ابي خالد الاحول الكاتب قلت نعم قال الامير يسالك ان تصير اليه
فدخلت فاوصيته وجئت بما احتجت اليه ولبست منطقة كانت بقيت وطلبت [illegible] ثم اخذت [illegible] ثم
خرجت اليه فقلت الى اين اركبه فدفع الى دابة بعض من كان معه فركبت وصرت الى الطاهر فدخلت عليه
وسلمت فاستدناني وقال انت احمد بن ابي خالد الاحول قلت نعم قال فهو الذي كنا نامن بصحة قرطاس بخط الفضل
بن سهل وصعد به امر الله والطالع فقال قد امر امير المؤمنين اطال الله بقاءه بان ساعة تصل
كتابي هذا اطلب احمد بن ابي خالد الاحول الكاتب حيث كان من اقطار بغداد واكنافها فان كان بها العسكر
محمد لك وصله بخمسين الف درهم وحمله على عشرين دابة من دواب البريد الى باب امير المؤمنين عن
ولا تر نظر له في الناس الا خطة واحدة وان لم يكن في مملكته حيث كان من اقاصي عمله وانا اليه وا

ماكتب اليك من ذلك اخوك الله في تلك الموتة ان شاء الله فلما قرات الكتاب اشتد سروري بذلك وقلت لخادم بيننا
لصالح اليه ثم اخذ ونصف ما في التامر سبيل ونصف المال ونصف الدواب فقلت اكتب الي من يحمل الي نحو
وذكرت النصف الرقعة وكتبنا الجزو حتي امرنا ان تبعث الي جبر آزر وسوالك وبغل ومسطر ونصف الرقعة وبعث
اليها بعشرة الاف درهم وعرفتها خبري وتخصيت من شاعتي فجعلت لا اتهم بعينه الاحدوثة بها الدقا ثم بعث
دابة الي ان وافت الي الرقعة جبل فكرت في الرياستين انفذ للتلقي والقيام بحملي الي ان وافى حضر
فلم يزل يقوم بما احتاج اليه ويحصل كل ما احتاج اليه على برى الي ان وافى باب الفضل بن سهل وقد دخلت عليه الا
وهو جالس في قبة متر ادم عليه سواده فلما مثلت بين يديه قال قال احمد بن ابي خالد الاحول الكاتب فلما تم
قال الفضل الحمد لله ولطف علينا بعد ما انه في سواده لا ادخلك الي امير المومنين فوليت من بين يديه
وانا لا ادري الى اين امضي فاذا الخادم قد لحقني واخذ بيدي وخرج معي حتى صار الي دار قد اعدت لي فيها
كل ما احتاج اليه من الفرش والكسوة والغلمان والوقد والدواب الفارهة وغير ذلك من الاطعمة والاشربة
وجعل يصرف ما احتاج بكل ما امر اولئك الغلمان فاقمت في كل نعمة ومسرة ثلثة ايام ثم غدوت
في اليوم الثالث وعلي سوادي فالفيته وقد خرج من داره وركب فترجلت له ودنوت منه فاعطاني طرف
كمه ثم امرني بالركوب وركبت معه الى ان وافى دار امير المومنين فدخل بالكتاب ونزلت انا بحجرة كان الي
ان يلغني الخبر الذي يوصل منه الى المامون فمنى رجله فنزل في محفة كانت قد اعدت له فجلس
محلة قواد العرب على الصنائم الى ان اجلسوه على السرير فما مكث غير بعيد حتى خرج خادم في طلبي فدخلت
والفضل مع المامون على السرير وهذا مقبل على هذا فقال الفضل يا امير المومنين هذا احمد بن ابي خالد
الكاتب الذي كانت كتبه ترد علينا من مدينة السلام باخبار المخلوع في وقت كذا وكذا ووفد الى امير
المومنين وهو من اليسار وحسن الحال على امر يقصر عنه الوصف بعد من نفسه وماله على امير المومنين فقال
المامون بل يوفر الله عليه ماله ويضيف اليه امثاله فقال يا امير المومنين تخلع عليه خلعة القدوم
ويضاف اليها الخلعة الكريمة ويوصل بصلة يعرف بها موضعه من راي امير المومنين ويقلد ديوان
التوقيع وديوان الفض والخاتم فقال يعمل في ذلك كله بما تراه فما برحت حتى انجز لي كل ما امر به فلما كان
بعد خمسة عشر ليلة من موافاتي بعث الي في نصف الليل فعلمت انه لم يحضرني في ذلك الوقت الا
ليسالني عن خبر نصف الرقعة وجعلته في خفي وصرت اليه فاذا هو جالس والشمع الحسن الى جانبه فقال
لي يا ابا العباس كانت بينك وبين شيخنا ابي علي حرمة قلت نعم الا انها وكيدة وقصصت عليه قصة
الي ان وصلت ذلك بحديثي الي ان انتهيت الى خبر نصف الرقعة قال الي فاين هو فاخرجتها من خفي فدفعتها
اليه فرفع مصلاه واذا النصف الذي كان بحوزي جعلته تحت مصلاه فقرن بينهما فالتقى الكتابة
وقد وضع حسابه فقال هذا خط ابي علي رحمه الله قال اتدري ما فيهما فقلت لا قال فيهما شغل قلبه

بك باني طويلا وامر الخلافة اليه منك قد وجب علي من حق ابي العباس احمد بن ابي خالد الاحول الكاتب
مع الحال التي انا فيها ما انا قد اقلني وعزيزة تكافي الي غير ذلك ما اعتدت به لسلفه ويمنحنا قد اقبل
وامرنا قد انقضى ودولتك تحضر وجدك يسعد وقد احببت ان تقضي من حق هذا الفتى ان شاء الله قال
احمد فلم ازل اعلو المومنين في كل ما احبه وبعد ذلك وتسهل ولم يبلغ احد في صدق الظن واصابة الحدس مبلغ
موسى بن عبد الملك العباسي قال عبيد الله بن سليمان كنت مع ابي بالاهواز وكان ابرهيم بن عبد الله البرودي
يلي لموسى بعض اعماله فدخلنا ابرهيم يوما فخرج عنا وهو يلعب مع خادم له بالنرد وقد استوى الدست للخادم
والحصى في يديه اذ وردت خريطة على ابرهيم من موسى ففضها وقرا الكتاب فاذا فيه استبطا في
امر المال فاذا توقيع موسى بخطه في اخره كيف انتفع بمكاتبك او بحمل المال وبين يديك عن كل امر دست
بكتابي هذا وانا اخطرك والله المستعان فقراه ورمى به الي فقراناه فعجبنا مما تضمن كانه كان يرى
ما نحن فيه من وراء ستر رقيق وحدثت محمد بن نصر انه كان يوما يطوف في بستان داره وفي يده
مقراض يقطع ما انتشر من ابن بستانه اذ ورد عليه كتاب موسى بن عبد الملك يستقصره فيه في بعض
الامور ويقول كاني بك وقد ورد كتابي وانت تقص ابن بستانك فوصف الحال التي كنت عليها حتى كانه
معي قال احمد بن شيبان الكاتب كنت بشجاع على همدان وهو يتولاها لموسى بن عبد الملك فقلد شجاع ولزم
العفة وحظر على نفسه جميع المرافق فلما طال هذا وانا به رايت خلوة منه فاستاذنته في القول فقلت
للعمل مرافق وورد الفقير في العمل من وجوه المرافق ما لا يجحف بالرعية ولا يثلم مال السلطان وليس لتركه
وجه فقال لي انا اعلم انه هكذا ولكني اخاف هذا الرجل واتصور اذا هممت بشي من هذا انه
حاضر بعينه فادرت الادارة كلها ان يقبل مني فلم يقبل فانصرفت وبت ليلتي متفكرا فيما جرى بيننا
انا في اخر الليل في فراشي اذ سمعت حركة غلماني وودوا ابي فاذا رسوله يامرني بالحضور في تلك الساعة
فبادرت اليه ودخلت عليه فاذا هو قاعد في فراشه وبين يديه كتاب قد ورد عليه في تلك الساعة
من موسى فرمى به الي وقال اقراه انت وانظر هذا الاعجب ام اي شي من علم الغيب فقرات الكتاب فاذا هو يهدده
ويحذره ويستبطيه ويقول كاني بك وقد جاءك كاتبك الرازي وقال لك عليك المونة والعمل
رسوم وفيه حوادث فاصلح ان لا تتعرض ففتح لك الابواب التي يمسك بها الحال وترجع ضررها على
السلطان وزين لك من ذلك ما اشار اليك به وانا اقسم بالله لئن وقفت على ذلك لافعلن ولاصنعن وورد
علي من ذلك ما ادهشني وقلت ما كتب الظن احد يعلم الغيب وما يجري من هذا النوع في صدق الظن وحسن
الفراسة فهو على قوة سهم الغيب في طالع الولاة واما فراسة نشات المتصوفة فصدورها عن تزكية النفوس
بالرياضة وتنقية الاخلاق بالزهادة وتصفية الاسرار بصدق العبادة وربما يكون ذلك من الملك
خاطر او ربما كان الهاما من الله وسور من انوار الايمان كما تنطوي في القلب انوار الهداية والمعرفة واليقين

قال الواسطي ان الفراسة سواطع انوار لمعت في القلوب وتمكن معرفة حملت السرائر في الغيوب من غيب الى غيب
حتى يشهد الاشياء من حيث اشهدها الحق اياها فيتكلم عن ضمير الخلق وقال ابو سعيد الخراز من نظر بنور الفراسة نظر
بنور الحق فيكون مواد علمه من الحق بلا سهو ولا غفلة ولا تقصير ولا زيادة وقال الفراسة ارواح تتقلب في
الملكوت فتشرف على معاني الغيوب فتطلع على اسرار الخلق نطق مشاهدة وعيان لا نطق ظن وحسبان والذين هم
اكثر حظا في ذلك هم الربانيون الذين قال الله تعالى لهم كونوا ربانيين يعني علماء حكماء متخلقين باخلاق الحق وهم
فارغون عن اخبار الخلق والنظر اليهم والاشتغال بهم وقيل فراسة المريدين توجب تحقيقا وفراسة العارف
تحقيق يوجب حقيقة وقيل الفراسة خاطر بلا معارض فان عارض معارض من جنسه فهو خاطر وحديث نفس
وقيل اذا صحت الفراسة ارتقى صاحبها الى المشاهدة وقال ابن عطاء من كان حظه من مشاهدة الخطاب اكثر كان
اطلاعه على الاسرار اوفر واوفى وقال بعض العلماء ان الفراسة اعظم من امور الغيب مخصوص بها اولياء الله ينظرون
بنور الله الى الحجبات المقدرة على خلق الله فيدركونها به فيخبرون بالعجائب والسبب في ذلك ان النور هو نور الروح والانوار
العقل انما هو نور من القريبة لدائن فجعل للانسان عينا ولسانا اذا الله هو بصرهم ثم للانبياء زيادة نور النبوة هم
وهو نور النبوة ثم للرسل زيادة نور بصر الرسالة ثم لرسولنا صلى الله عليه وسلم زيادة على كل ذلك
فانه سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم واجتمعت هذه الابصار كلها له في انسان الحدقة من عينه حتى
يروى انه قال ليلة اسري بي حتى رأيت الذرة تدب على وجه الارض من سدرة المنتهى وذلك لاحتداد بصره
فكان يقول اللهم متعني ببصري واجعله الوارث مني فالاستمتاع بالبصر ان يرى هذه العجائب التي ذكرنا
من بدائع صنع الله وامور الدنيا والاخرة ويرى كل شيء كما خلقه الله الا ترى الى قوله عز وجل وانبتنا فيها من كل
زوج بهيج ثم قال تبصرة وذكرى لكل عبد منيب فذكر نبات الارض والوانها البهيجة فان البهجة من قلوب العباد
عند نظرهم الى هذه الالوان من غفلة هل هي الا محنة عيونهم وهم عمي عن لطائف الله وبره وتدبير قدرته
فلو نظروا الى ورقة لحارت عقولهم فيها ومن العجائب التي في تلك الورقة من رطوبتها ولدونتها ولونها
وطعمها وقشرها ولبها ومقدارها وتشكلها ونقوشها وتخطيطها والالطاف التي حوتها من منافع
الانفس والابدان واغذية الانسان والحيوان فللبصر في هذا النظر بهجة وانما تكون البهجة للمنيب
الذي قد اناب بقلبه فاقبل الى الله وفرغ قلبه لله من فضول الدنيا وطهر قلبه عن ادناس المعاصي وكدورة
الاخلاق حتى قربه ربه وادناه وصفى قلبه بنوره فاحتد بصره في خلقه وجال النظر في صنعه وتدبيره وصدق
ظنه وصحت فراسته وقد قال الله تعالى احسن كل شيء خلقه ثم وصف على اثره خلق الانسان ثم ذكر انه اعطاه
السمع والبصر والفؤاد ثم نسبه الى قلة الشكر وعلم العباد انه انما خلق ما في الارض جميعا لهذا الانسان بقوله
خلق لكم من انفسكم وبقوله خلق لكم ما في الارض جميعا وانه احسن كل شيء خلقه لينظر الى خلقه كل شيء خلقه له
ويعقل بقلبه ويبصر بعين فؤاده حسن كل شيء وينطق بشكره الا كلا فهذا الظلم الشديد غابت العين عنه و

حسن

حسن الاشياء وانتقت البهجة فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يمتعه ببصره الذي به يبصر هذه الاشياء
وان يجعله الوارث منه فان ذلك النور الطف من الروح كما قال صلى الله عليه وسلم ان الروح اذا فارق الجسد تبعه البصر
الا ترى الى شخوص عينيه وفي حديث آخر الروح اذا عرج يتبعه البصر وقال اهل العلم ان متعه به ايام
حيوته حتى توفيه يرى آياته فالمؤمن ينظر بعين العبرة والفكرة في امر الله يتقرب به اليه ولا ينظر عن غفلة
وشهوة ليتمتع تمتع الكفار كما قال عز وجل والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام وقال
ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون

المجلس الخامس والثمانون من كتاب خلق الانسان من تفسير قوله تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون
في يوم الاثنين ونظائرها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحكم لمن ابرم القضاء والقدر اقتدارا كما قسم الصفو والكدر اختيارا والعلم لمن انطقت حكمته الحجر
حوارا كما اسكت عظمته الفصحاء اعتبارا والرحمة لمن عمت نعمته الصغير والكبير كما برئت قدرته
العين والضمير والكبرياء لمن لبس المحامد وله لباس التقصير كما اعترف العابدون عنه بالتفريط والتقصير
والسلطان لمن لا يطمح اليه ادراك غايات العيون ولا يجمح في اقطار مملكته الظنون والدوام لمن لا تأخذه
سنة ولا نوم ولا يعتريه سنة ولا يوم والكرم لمن لا يصد المرتجي عن بابه ولا يغلق الابواب عن جنابه والانعام
لمن جرت بارضه الاقلام وتداولت على حكمه الايام والملك لمن يملكنا ما احيينا ولا نخرج عن ملكه بعدما فنينا
يحفظنا ايقاظا ونياما ويميتنا احياء ويحيينا ميتين نحمده حمدا يقتضي حق النعماء ونشكره شكرا
يقتضي المزيد في العطاء وندعوه دعاء يملأ اكناف الارض واقطار السماء ونثني عليه ثناء ينظم
الصباح بناشية المساء وصلى على محمد عبده المصطفى ورسوله المجتبى مالا حال شريعته صلة السامع
والناظر وجمع وصف الناظم والناثر ورفع ذرى الاسرة والمنابر وبهر قلب البادي والحاضر صلى الله عليه
وعلى آله الطيبين وعترته الطاهرين اجمعين وسلم تسليما التخيل يتوسط الحس والعقل ويشتغل في
اليقظة بهما معا فاذا تركت النفس بالنوم استعمال الحواس في المدركات وتعرضت لعنة العقل في المعلومات
ولم الانسان تعرضت قوة التخيل عن خدمتهما بل عن خدمتهما في نفسهما وعادت الى نفسها وما
استفادته منهما وجعلت تتصرف فيه وتركب البعض الى بعض اما صادقا واما كاذبا او يفصل البعض
على البعض اما حقا واما باطلا كما يكون من دون التطرق في اليقظة فلا يكون صوابا فلا يكون مصيبا الا زال
القوة المتخيلة متبلدة على العمل في حالتي النوم واليقظة بمنزلة القوة الغاذية والنامية بخلاف سائر القوى
النفسانية بل لكان فضل هذه القوة في النوم ابين واوفى ولكنها امر اشبه النفس واسقي وربما استشهدت
سائر القوى المعوقة عن العمل لتشغيل ضعفها اما جدا واما هزلا فيحتلم النائم ويلتذ ويفرح ويخاف
ويزم على الهرب ويبكي ويضحك ويمشي ايضا في الحكايات على حسب الخيال متصورة احوال فاعل الوطء المزاج

الانغماس في الذات ورش الذاعليه وجريه بين يديه والكار الزاج التي واقع بين وتستفيض عليه نور العقل ايضا
على هيئة الحكايات للشي من رسوم المحسوسات حتى يعرع الفاد الصاب معاني الذات انهما واسرار عبارتها
واذا انتهت هذه القوة المتخيلة في القوة كمالها في انسان ما بقي فيه منهما عند اشتغالها بالجذب
فوق الحس والعقل وصلها قوة صالحة لانهما رفضها الذاتي فيما يعرض لها هذه الفضيلة في اليقظة حال
جملتها الذي التام في الانفراد بخصائص فعلها حتى اذا اشرق عليها شيء من العقل لمراد الله تعالى على سبيل
التوقيف على الغيبيات حسب ما يتفق من الحال في المنامات ادركته بقوة وصار ما احتذاه اليها من المثالات
مشاهدة مرئيا وذلك هو الالهام وليس هو الوحي من الله الى الانبياء صلوات الله عليهم للانسان درجة
اشرف منها فقال بعض الحكماء ان العناية والتدبير من المعاني العالية العلوية سارية متوجهة الى الموارد
السافلة وكل ما هو في العالم العلوي فانه يعقل نظام الخير الذي يجب ان يكون عنه في كل ما يكون فيتبع
معقوله وجود ذلك النظام ولا يمكن احدا ان ينكر التدبير في اعضاء الحيوان واجزاء النبات وما
يشتمل الجميع من الحسن والزينة ولا يمكن ايضا ان يجعل المعاني العالية عسيفة بخرة بعمل عمل
المضطرين ليكون عنها هذه الكائنات الفاسدات وما دونها بل كل واحد منها يعلم ما هو المبادي
من النظام الذي يجب ان يكون عنه فتكون الصورة المعقولة الموجودة عند المبادي سبب الصور الموجودة
في الهواء فاقتضى ذلك ان تكون عناية الله مشتملة على الجميع لكن الامور الابدية تكون عنايته منها
بالنوع والعدد وفي الامور الفاسدة بالنوع فقط ولان الانواع ليست محفوظة وقد يتولد عجيب عقوبات
ومركبات مختلفة وحيوانات ليست بمعهودة وانواع من النبات جديدة ليست عن اشباهها والامثال
كون الانسان عن شبيه به فلا يكون العناية بها عن الصانع جل وعز ولا من المبادي الاولية من الملائكة
الموكولة بالعالم فيجب ان يكون لها مبدأ بعدها وهو اما نفس نبتية في هذا العالم او نفس سماوية
على غير قصد وخصوصا اذا اتفق مواقعها من العناصر المتعاقبة والاشبه ان يكون مثل ذلك عن نفس
سماوية حتى يكون لها بحاسيتها العلوية ان تحس لحوادث احساسا يليق به فاذا احدث حادث وتأدى
اليه كان منه ما وكل به ويحمل عليه ويمكن ان يكون الموكل باجابة الادعية والمنذر المبشر بالاحلام
ونحو ذلك هو هذا فانك اذا شاهدت الاحوال فيعلم صورة نظام الخير والكمال الذي يجب ان يكون هنا
فيكون ما يعلم من تغيرات الاحوال في سكان هذا العالم يحدث عنه ما ينبغي بسبب تلك النفس الحادث والشر
الكائن ويكون سبب جلب الخير وتعميم الكمال فالعناية الالهية في التدبير السماوي يجب ان تكون
تامة في ازالة كل شر عن الخير ومنع كل خلل من النظام من غير ان يختص بشيء دون شيء فان كان دعاء
لا تصدق او دعاء لا يستجاب فلشر لا يدفع هناك شر لا يبطل او طلبه وسمي العناية لا توجيه ومما يحقق
امر الرؤيا ان الخيال له افعال خاصة فتشتغل عنها في اليقظة بسبب هو دونه وهو الحس فان النفس والحال

المشترك اذا اقبل على الانفعال من المحسوسات رفضا من الخيال ووجد الخيال اليهما وفعلا فيه وشغلاه
عن فعله الخاص فلم يكن للخيال عمل قوي وسبب هو فوقه وهو العقل فان العقل لا يمكن الخيال الاستعمال
بفعله الخاص لاستعماله اياه آلة لنفسه دائما وبهذا لا يمكن التخيل من الاقبال على الصور الغير الموجودة فاذا
سكن فعل احد السببين فتقوى الخيال على الحس فاذا تعطل فعله عند النوم واما العقل فاذا لم يصلح آلة
لاستعماله لسوء المزاج ولهذا يتخيل المجانين امورا ليس لها حقيقة فيقوى ذلك في خيالهم حتى يكون حاله
حال الموجود والماخوذ من الحس فينعكس الصورة الخيالية الى الحاسة المشتركة فيتصور فيها فيكون كانها
معاينة مشاهدة فان الحاسة المشتركة قد تقبل الصورة من الحواس الجزئية وقد تقبل من الخيال والوهم
فاذا احصل فيه صورة كما كانت لو انعكست الى الحواس الجزئية فصارت فيها بالحقيقة وكانها مشاهدة
من خارج ولولا هذا لم يكن ان تخيل المحرور ما ليس بموجود ولان الحس شاغل للنفس بما في المحسوسات
عن الرجوع الى ذاته وشاغل ايضا الخيال بما يورده عليه من الافراد بسوق ضعف كان الاكثر من الناس عن
متصل بالانفس السماوية في حال اليقظة وكالمحجوبين عنها فاذا ما اتوا فربما وجدوا فرصة لذلك وربما
كان في الخيال الذكار من امور سالفة واستعمال المحاكاة احوال العزاجية فجذب النفس الى تاملها وقطعها
عما لها في الطبع ان تتصل به فان وجدت فرصة شاهدت الاحوال التي في هذا العالم من تلك العالم فربما
اخذها الخيال بحالها ولم ينتقل عنها وهذا قليل ايضا في اكثر الامور يا حل المحال وحاكى كل ما شاهد
من ذلك بل حفظ ما راى بعينه وربما اشتغل بذلك ان يحفظ ما تخيل ولم يحفظ ما راى فما لمعبر حينئذ يحدس
ان هذا الخيال الحكاية عن اي معنى ممكن كان الانسان ربما فكر في شيء فيشتغل الخيال عنه وانتقل الى غيره
واستمر في ذلك شيئا بعد شيء حتى نسي الانسان اول فكرته فاذا قصد ان يتذكر احتيج بالعكس الى الذي تخيله
في الحال الماضي حتى لاح له ذلك المعنى الذي سبب وقع في وهمه فلا يزال يرجع القهقرى حتى يبلغ الى الفكر
والخيال التي قوي جدا في نفس قوية حتى لا يشغله المحسوسات بالكلية ولم تستغرقه وفضل منه ما يشتهر
الفرصة ويتسهل العثرة من الاتصال بذلك العالم وامكنه ذلك في اليقظة واجتذب الخيال بعد فرأى
الحق فحفظه وعمل الخيال عمله فيتخيل ما رآه كالمحسوس المبصر والمسموع فيعينه يتخيل الخيال الاكبر ان يوصف
حاله ويتبعه فلا انما محكيا على التمثيل الذي جرى اليه الخيال وهو نور الا يمكن تخيل الحس منه وربما يود كر
كلاما او صوتا احدهما او مودي واحد الى خاص واحد الى عام وليس الخيال لا الذي يعقل هذا في الاتصال
بمبادي الكائنات بل عند سطوع العقل والاشراقة على نفسه بالمعقولات وتصورها في الحس المشترك فيرى
اعين له عظمة وقدرة لا توصف فيكون هذا الانسان المستكمل قوة النفس الانسانية وصفا الخيال الكامل
اما نبيا او وليا وقد شاهدنا مثلا في هذا المكان على قرب من هذا الزمان في الشيخ المريد المرورودي
فقد بلغ من قوة نفسه حفظ الخاصية انه كان في عبادة الشيوخ الكاملين عند البركات البارد

في نهار واذى غرته والارض كلها قفار وبرد الهواء زمهرير ويعرض فيها ماشاء ثم يخرج منها الى باب متزرا
دون سترته على يمينه المشعور به بازار ويسيل ماء ولا يجد ما يبرد في الميزان وجبينه يتفصد عرقا ويبه
طاقة وحرس ويجزع ويتعرق وجنا وربما كان يدخل حمام الحرين في الصيف الصايف وهو التهابه في
الحرارة والمذكر عباد الله من حر جهنم فيظل معظم نهاره قايما على سواء رايه ورجلاه في اسرابه الى الحمام
لا يتحرك ولا ينبس ولا يسبح الذي يتبرمون الوقود الى قاصي الحمام ويلح من صدق جبينه وقوة خياله
انه كان محمد تلعب به عن القلوب يخبر عن الغيوب وههنا عجيبة وهو ان المبرودين والمرهوبين كيف
يتفوهم ان يخبروا عن الغيبات وليسوا بانبياء ولا باولياء ولا اسباب فينادي الى خيالهم الامور الغائبة
على التفصيل الذي فصلناه ولكن السبب في ذلك على العكس من كل ما وصفناه وهو ان فساد امزجتهم وقوى
خيالهم بسبب البلغم الغالب على مزاج رءوسهم الذي في الدماغ الخالط الفاسد الجفف اياه وفقدانهم مزاجهم سطل
المقاومة التي تقع من العقل النظري للخيال فيتقوى الخيال حتى لا يكاد يبدو من الحس حتى ان ذلك الانسان
لا يسمع ولا يبصر ما يعتريه فكذلك الحاسة ضعف لفساد مزاج آلات الحس فلا يمانع الخيال وصح الخيال للنفس
في الاتصال بالعالم العلوي لما اشتغل بشاغل لم يستول عليه تخيل فامكن ان يتجدد النفس فيه فرصة
ومهلة من اشتغالات ويلزم من ذلك الخلاص ان يتصل العالم السماوي فاذن السبب في ذلك الامارات في صحة
تخييل بما هو امور من احوال العالم وليس في ذلك اثر فهذا الانسان بل الحاسة فلذلك في تعطله
كالنايم غفلة وعدم عقل وقال بعض العلماء كل رؤيا تكون من قبل الملك الى الروح فانها صادقة وكلها
والتي تكون من الروح الى النفس فيلتقيها النفس على غير ما يجب لكثرة تشوشها وشدة ظلامها والنفس تنال
صور المحسوسات واشكالها واقدارها من الاجرام بالات الادراك فاذا اقبل الحاس تلك الصورة قبلها
تبكا بين الروحانية والجسمانية فاذا رجعت النفس في حال النوم الى صور الاشياء فيها ونظرت اليها
قبلت صورها من المحسوسات فتولا ومثالا وافراها والمحصول لها اكثر مراته والى صورها ليست
لمثل هذه الرؤيا عبارة والرؤيا الصادقة تكون من الله تعالى بتوسط العقل والدراكات تلك الصور التي
تعلم انما الامر اي العقل صورا لم يطلع عليها الحس ولم يلازمها شي من قوى النفس فيصيرها المرء اذا اتاها
صورا عقلية ويسمع كلمات وحكايته تعينها ودلالة على ما يحدث في العالم او في نفس الرجل من احوال
واعراض محبوبة ومحذور وغم وسرور فيحتاج الى المعبر الذي ينال تلك الكلمات العقلية والصور الروحانية
الى الاحوال الجسمانية وقال الوالي في تفصيل انواع الرؤيا ان الخيالات الفاسدة في المنام وهي التي تسمى
اضغاث احلام اما ان تعرض لافة جسمانية او نفسانية والتي تعرض لافة نفسانية اما ان تعرض لافات
القوة الحساسة انا تعرض لها من جهة محسوسها لافة مفرطة طارية بلا زمها في النوم فحرك القوة
المتخيلة واما ان تعرض لافة القوة الشوقية اما لاجل الحزن او الخوف او الغضب او المحبة على الافراط

او بتركيبها كالاشفاق من الخوف والمحبة المتخيلة واما ان تعرض لافة القوة والرحمة من الحزن والمحبة والعداوة
من الغضب والحزن واما ان تعرض لاجل القوة الفكرية وهي كما تعرض لافة الشوقية اما اربعة مفردة او
اربعة مركبة لان من شان القوة الفكرية اعداد الاعمال التي تقتضي الشوق فاذن جملة الخيالات الفاسدة
التي تعرض من قبل الافات النفسانية احدى وعشرون نوعا واما التي تعرض من قبل الافات الجسمانية فاما
ان تعرض من الحرارة او البرودة واما الرطوبة او اليبوسة او تعرض لما تركب من هذه الاربعة من الدم او البلغم او الصفراء
او السوداء ثم كل واحد من هذه الثمانية اما ان تصير آفة لفرط زيادته او لفرط نقصانه او لتغير في الكيفية
عن حاله فاذن جملة الخيالات الفاسدة التي تعرض من قبل الافات الجسمانية اربعة وعشرون وكان التي من
قبل الافات النفسانية احدى وعشرون فتكون كلها باطلة وكانت الرؤيا الصادقة التي تستفيدها
القوة الخيالية من العقل جزءا من ستة واربعين جزءا من جملة التخييلات الفاسدة العارضة في النوم
وان هذا الجزء يكون من النبوة والبواقي غيرها اضغاث احلام كما جاء في الحديث وذكر بعض العلماء ان الرؤيا
حديث وكلام على الارواح في المنام لان العامة في تخليط وتشويش من قبل الشهوات وسبل النفوس فلم
تكلموا الا بعد رياضة الارواح من النفوس والشهوات والحفظ قرين العقل فاذا رجع الروح الى الجسد
وقد كلم بشي ومثل له شي وجده مهملا حتى يعرضه على العقل فاذا استيقظ حفظه والا فنيا ولما
صفت معين المحدثين وطهرت قلوبهم وتنزهت من الافات والشهوات نفوسهم كلموا على القلوب فاذا
كان الكلام على الارواح في المنام كان جزءا من ستة واربعين جزءا من النبوة كما في الحديث واذا كان القلوب في
اليقظة الطاهرة ربما كان ربع النبوة وربما كان نصفها وربما كان اكثر من النصف على قدر القرب من ربها في
تلك الاحوال فيكون الحال في النوم كمن يكون في ضوء السراج عند تراكم الظلمة ويكون الحال لاصحاب الالهام في اليقظة
كمن تعالى له النهار واشرقت عليه الانوار والحق ان الحديث تاويلات اخر قد ذكرناها مع تاويل غيره من الاحاديث
المروية في الرؤيا في كتابنا المصنف في حل المروية الاحاديث ومما يحقق امر الرؤيا ما روي عن ابي الدرداء
سالت النبي صلى الله عليه وسلم عن قول الله تعالى لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الاخرة قال ما سالني احد
قبلك هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم او ترى له وعن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم رؤيا المؤمن
من كلام يكلم به العبد ربه في المنام وعليه فسروا قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء
حجاب الا ان رؤيا غير الانبياء لا يقطع عليها ولا يحتج بها لان الوسواس يوسوس في النوم كما في اليقظة
قال عمر رضي الله عنه رؤيا بشر ونحن نسر بها ولا نغتر بها وفي حديث الرؤيا من الله والحلم من الشيطان
فالتي من الله هي الحق اذ فيه وكل بها ملكا يضرب من الحكمة الامثال فاذا نام العبد وصعد روحه مثل له
تلك الاشياء على طريق الحكم لتكون بشيرا او نذيرا والشيطان مولع بالمؤمن فهو يكيده ويحسده من كل وجه
ويلبس عليه امره من كل طريق ونفسه الامارة بالسوء عون الشيطان فيما يمثل له نفسه مما كانت تحدثه

به وتمنيه في اليقظة فما كان منها او من الشيطان الى المنتر والحدد وما كان من الروح عن القابنه او عن الملك
فهو من انباء الغيب التي يبشر الله بعباده او ينذرهم كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب النبوة وبقي المبشرات
ولهذا كان الحلم من الكبائر الموبقة والاثم العظيم كما قال صلى الله عليه وسلم من تحلم كلف ان يعقد شعيرة وذلك
مما لا يقدر عليه فيطول عذابه وقد روي ان الوحي كان نزل او عشرين سنة ستة اشهر منها كان يوحى اليه في
منامه وفي ذلك تاويل ظاهر لقوله صلى الله عليه وسلم الرؤيا جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة وكذلك
كان كثير من امر النبوة وجميع زمانها بالرؤيا كما كان بالوحي على لسان الملك في اليقظة راى رسول الله صلى
الله عليه وسلم في يوم احد كانه في درع حصينة فاولها المدينة وكان سبب التقدير لاسلام عمر رض
مع بعد حاله التي لابيه وعمر قتيه وصلابته اهليته عن الاسلام ما راه صلى الله عليه وسلم في المنام
انه اتي بقدح لبن قال فشربت منه حتى اني لارى اللبن يجري في اطرافي ثم اعطيت فضلي عمر قالوا ما اولت
الناس يعرضون علي وعليهم قمص منها ما يبلغ الثدي ومنها ما يبلغ الركب ومر عمر وعليه قميص فضفاض
يجره فعلمت صدق اسلامه وطهارة افعاله وانتشار امره وانتهاء سنته وسيرته فقال صلى الله عليه
وسلم رايت كاني في دار عقبة بن رافع فاتيت برطب ابن طاب فاولت ان العاقبة والرفعة لنا في الدنيا و
الآخرة وان ديننا قد طاب وكان اسلام عمر رض كان برؤيا رآها صلى الله عليه وسلم فكذلك كان امر
خلافته وخلافة ابي بكر رض قبله فانه صلى الله عليه وسلم قال بينا انزع على بئر اذ جاء ابو بكر فنزع دلوا
او دلوين وفي نزعه ضعف فنزع عمر فاستحالت غربا اذ كانت ايام عمر اطول والفتوح على عهده اكثر
فدل كل هذا على تحقيق امر الرؤيا ومما يدل على ذلك ايضا ان الله لم يرسل نبيا ولا اصطفى دولة الا ويقدمها
رؤيا دالة عليها او مخبرة بها ولما كانت الليلة التي افترت عن مبعث الغلام وسيد بني آدم ارتجس ايوان
كسرى فسقطت منه اربع عشرة شرفة وخمدت نار فارس ولم تخمد قبل ذلك الف سنة وغارت بحيرة ساوه
وراى موبذ موبذان في منامه كان الابل صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت في البلاد
فتحير كسرى وبعث المنذر الى عبد المسيح بن عمرو الغساني ليسأله عن ذلك وعن تعبير رؤيا الموبذ فقال
عبد المسيح انما علمها عند الله ثم عند خالي سطيح يسكن مشارف الشام فقال له سطيح فرسم لعلها ان يا ساه
وبالآه فاتاه وقد اشرف على الموت فانشأ عبد المسيح يقول

اصم ام يسمع غطريف اليمن ۞ يا صاحب الخطة اعيت من ومن
وفارج الكربة في وقت المحن ۞ اتاك شيخ الحي من آل سنن
رسول ملك العجم سلطان الزمن

فرفع سطيح راسه فقال عبد المسيح على جمل يسيح الى سطيح وقد اوفى على الضريح يا عبد المسيح بعثك
ملك بني ساسان لارتجاس الايوان وخمود النيران ورؤيا الموبذان يا عبد المسيح اذا غاضت بحيرة

ساوه

ساوه وفاضت وادي السماوة فقد ولد صاحب الهراوة وظهر صاحب التلاوة وطرح الاديان وزال الملك بني
ساسان ويملك منهم ملوك وملكات على عدد الشرفات وكل ما هو آت آت فتغلب العرب العباد
ويبلغ ملكهم البلاد ثم رجع الى نفسه ومن مشاهير الاخبار العربية حديث مخرمة بن نوفل عن امه رقيقة
بنت ابي صيفي بن هاشم بن عبد مناف قالت تتابعت على قريش سنون اقحلت الضرع وادقت العظم وارقت اللحم فبينا
انا نائمة لا ام او مهومة اذا انا بهاتف يصرخ بصوت صحل اقشعر له جلدي يا معاشر قريش ان هذا النبي الامي المبعوث
منكم قد اظلتكم ايامه وهذا اوان نجومه الا فحي هلا بالحيا والخصب الا فانظروا منكم رجلا وسيطا عظاما
جساما ابيض بضا اوطف الاهداب اشم العرنين سهل الخدين له فخر يكظم عليه وسنة تهدي اليه الا فليخلص
هو وولده وليدلف اليه من كل بطن رجل فليشنوا من الماء وليمسوا من الطيب ثم ليستلموا الركن وليرقوا
ابا قبيس وليدع الرجل وليؤمن القوم على دعائه فغثتم ما شئتم قالت فاصبحت مذعورة وقد وله قلبي
واقشعر جلدي لما رايت من منامي فقصصت رؤياي ومررت في شعاب مكة في الحرمة والحرم ما بقي ابطحي
الا قال هذا شيبة الحمد هذا عبد المطلب فتتامت اليه رجالات قريش وهبط اليه من كل بطن رجل فشنوا
ومسوا واستلموا ثم ارتقوا ابا قبيس وطفقوا ابر مروحوا اليه ما ان يبلغ سعيهم مهله حتى اذا استووا بذروة
الجبل قام عبد المطلب ومعه رسول الله غلام قد ايفع او كرب فرفع يديه الى السماء وقال اللهم كاشف الكربة
وساد الخلة انت عالم غير معلم مسئول غير مبخل وهذه عبادك وامائك بعذرات حرمك يشكون اليك سنيهم
التي اكلت الظلف والخف فاسمعن اللهم وامطرن علينا غيثا مغدقا مريعا فما راموا والكعبة حتى تفجرت السماء
بمائها وكظ الوادي بثجيجه ولسمعت شيخان قريش وجلتها عبد الله بن جدعان وحرب بن امية وهشام بن
المغيرة يقولون لعبد المطلب هنيئا لك ابا البطحاء هنيئا لك وكانت عاتكة بنت عبد الله عمة رسول الله صلى الله
عليه وسلم ساكنة بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة مع اخيها العباس فرات رؤيا قبل قدوم ضمضم
عليهم ففزعت منها فارسلت الى اخيها العباس ليلتها التي رأتها وهو من اليه الا اذكرها لك قالت رايت راكبا
اقبل على راحلته من اعلى مكة يصيح باعلى صوته يا آل غدر انفروا الى مصارعكم في ثلاث فاقبل يصيح حتى دخل المسجد
على راحلته فصاح ثلاث صيحات ثم مثل على ظهر الكعبة على راحلته فصاح ثلاث صيحات ثم على ابي قبيس كذلك
يقول يا آل غدر ويا آل فجر حتى اسمع من بين الاخشبين ثم عمد الى صخرة عظيمة فدهدهها ثم ارسلها على اهل مكة
فاقبلت الصخرة لها حس شديد حتى اذا كانت عند اصل الجبل ارفضت فلا اعلم بمكة بيتا الا وقد دخلها
فلقة منها ففزع منها العباس ثم خرج من عندها فلقي الوليد بن عتبة بن ربيعة من آخر تلك الليلة
وكان خليلا له فذكر ذلك حتى قص عليه رؤياها وامره ان لا يذكرها لاحد فذكرها الوليد لابيه عتبة وذكرها
عتبة لاخيه شيبة فارتفع الحديث واستفاض في اهل مكة فلما اصبحوا غدا العباس وطاف ثم وجد في المسجد
ابا جهل وابا البختري في نفر من قريش يتحدثون فناداه ابو جهل يا ابا الفضل اذا قضيت طوافك فهلم الينا

فلما جلس اليهم قال ابو جهل ما رؤيا رأتها عاتكة فقلت ما رأت من شي قال ابو جهل اما رضيتم يا بني هاشم ان يكذب الرجال
حتى جعلتم تكذب النساء انا كنا وانتم كفرسي رهان فاستبقنا المجد منذ حين فلما تحاكت الركب قلتم منا
نبي فما بقي الا ان تقولوا منا نبية ولا [illegible] اشد الاذى وقال ابو جهل فلو قد مضت هذه الثلث تبينت قريش كذبكم
وكتبنا سجلا انكم اكذب العرب فقال العباس هل انت منته فان الكذب فيك وفي اهل بيتك فلما كان يوم
الثالثة جاءهم الراكب الذي بعث به ابو سفيان وهو ضمضم بن عمرو الغفاري فصرخ يا آل غالب بن فهر انفروا فقد
خرج محمد واهل يثرب لابي سفيان فاحرزوا عيركم ففزعت قريش فاشفقوا من رؤيا عاتكة وقال العباس [illegible]
وكذب عاتكة فنفروا على كل صعب وذلول فاظفر الله رسوله ببدر **وفي الاخبار** ان الاسكندر لما كان ببلاد الهند
ملك يقال له كند وكان محمود السيرة [illegible] فاضل الاخلاق جميلها فراى عشر رؤيا ليلة وجمع لها
علماء مملكته وقصها عليهم اني رايت كوة صغيرة في البيت فيه فيل عظيم محبوس وانه يخرج من تلك الكوة
كله ما خلا ذنبه وتعجبت من خروج الكبير وبقاء الاصغر ورايت [illegible] ورايت كرباسة في ايدي طائفة
يتنازعونها فلا تتخرق ولا يغلب بعضهم عليها بعضا ورايت عطشانا يهرب من الماء والماء يتبعه فلا
يعطف عليه حتى يشرب ورايت اهل المدينة في المبايعة والقرب [illegible] يعودون صحاحا ورايت
من خالد [illegible] فاذا رايت [illegible] ولا تروث ولا [illegible] وتلك [illegible] معروفة [illegible]
والبيرى [illegible] في الوسطى وهي فارغة ورايت بقرة [illegible]
وما [illegible] قد علمت ان هذه الرؤيا لامر عظيم وخطب فظيع وخاصة [illegible] في وقت واحد فقالوا
ان علمك [illegible] فضل [illegible] فليقل في [illegible] الحكماء [illegible] فقال الملك وهل
[illegible] قد قضى الله [illegible] فقالوا الا [illegible] هذه الرؤيا ولا يستقل بعلمها
مهراى العالم وصفوا له [illegible] فقال [illegible] الرجل [illegible] لا [illegible] فكيف
[illegible] فقال العالم لا [illegible] رؤياك الى
مائة سنين [illegible] سلطانك [illegible] بلادك [illegible] وطبيب وفيلسوف
قال وكيف ذلك ايها الصادق قال اذا تم الاجل [illegible] الاسكندر [illegible]
لا [illegible] المشرق [illegible] اهله [illegible] ما ذكرت فلا [illegible] ولا [illegible]
[illegible] وهذه الرؤيا [illegible] الفيل [illegible] القديم [illegible] واما [illegible]
فالملوك [illegible] واما العطشان [illegible]
من العلم ولا [illegible] واما [illegible] واما [illegible]
[illegible] والعدو [illegible] واما [illegible] فاهل [illegible]
واما الكرباسة [illegible] على ذلك

زمانا واما العين فهي مخرج الامور من غير مجاريها وتحول الامر الى غير اهله واما البقرة فالملك حينئذ يصير مستعظما
والملوك [illegible] فاصرف [illegible] الى تمام الاجل فاذا [illegible] الحسنى
والطبيب الماهر [illegible] الطويل الى اخر القصة وما يجري بين الاسكندر والطبيب والفيلسوف وفي هذه
القصة مع صدق [illegible] الرؤيا في انقضاء الدول [illegible] العلم [illegible] الى حين **وقيل** لجعفر الصادق عليه السلم
كم تتأخر الرؤيا فقال رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن كلبا ابقع يلغ في دمه فكان شمر بن ذي الجوشن
قاتل الحسين عليه السلم ذلك الكلب وكان ابرص فكان تاويل الرؤيا بعد ستين سنة ولنذكر **من نوادر ما**
بلغنا فانها [illegible] فائدة العلم [illegible] **فمن ذلك** ما ذكره الطبراني ان
ام سلمة رضي الله عنها رات في المنام رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] وعليه [illegible]
قال فقلت له يا رسول الله ما لي رايتك قط في مثل هذه الهيئة فقال [illegible] الآن [illegible]
الحسين واصحابه قال وكان قتله رضوان الله عليه بكربلاء يوم السبت [illegible] هذا اليوم
الاحد بالمدينة فاصبحت [illegible] **وذكر** ابو عبيدة ان فاطمة بنت [illegible] رأت في المنام
قائلا يقول [illegible] في الليلة الثانية فلم تقبل
شيئا [illegible] العبسي فقال [illegible]
كعشرة [illegible] في احدى المنجبات
من العرب **ورأت** ام شبيب الشاري وهي حامل به كأنه خرج منها [illegible] في الافاق [illegible]
وقعت في ماء فانطفأت [illegible]
ورأت سلامة ام المنصور وهي حامل به [illegible] ولدت
المنصور **وحكى** الربيع قال كان المنصور يوما نائما في الخضراء فانتبه فزعا فقال يا ربيع فقلت له
لبيك يا امير المؤمنين قال اذهب الى الباب [illegible] باب الشام فانك ترى مجوسيا مستندا الى
باب الحديد فجئني به [illegible] فاذا المجوسي [illegible] فقلت اجب الخليفة
قال نعم [illegible] امير المؤمنين وهو قاعد [illegible] قال [illegible] قال يا امير
المؤمنين [illegible] فاستحسن ذلك عليه
فاخذها [illegible]
على [illegible]
اليه [illegible]
النبيذ [illegible] شيئا
قال [illegible] قال

فاسعدني من خيلة فقال انا رجل من اهل الموصل كان لي جمل احمل عليه واعود باجرته على عيالي فضاق
المكسب علي فقلت اخرج الى سر من راى فان العمل ثم اكثر فخرجت فلما قربت منها اذا جماعة من الجند قد ظفروا
بقوم يقطعون الطريق فكتب صاحب البريد بخبرهم وكانوا عشرة فاعطاهم واحد من العشرة مالا على ان يطلقوه
فاطلقوه واخذوني مكانه واخذوا جملي فسالتهم بالله فابوا وحبسوني معهم فمات بعض القوم واطلق البعض وبقيت
وحدي فقال المعتمد احضروا خمسمائة دينار فجاوا بها فقال ادفعوها اليه فاخذها واجرى له ثلثين
دينارا في كل شهر وقال اجعلوا اليه امر جمالنا ثم اقبل علينا فقال رايت الساعة النبي صلى الله عليه وسلم
في النوم فقال لي يا احمد وجه الساعة الى الحبس فاخرج منه الحمال فانه مظلوم واحسن اليه ففعلت ما رايت
ونام وجرى عند ابرهيم بن المهدي ذكر الرويا فقال والله لاحدثنكم بحديث ما دار في سمعكم اعجب منه ثم قال
جفاني الرشيد فقطع ارزاقي وصلاتي وحجبني فبقيت سنوات [illegible] اني رايت ابي المهدي
في مجلسه فجئت حتى دنوت منه وقبلت اطرافه وقعدت بين يديه فقال لي يا بني ما لي اراك بهذه الحال
فقلت يا امير المؤمنين جفاني اخي فقطع ارزاقي وصلاتي [illegible] وانا من الاضاقة فيما لا يعلمه
الله فقال لي لا تجزع فاني [illegible] بقضاء دينك ورد ارزاقك وتقليدك فانتبهت وقد انفرج صدري
بعض الانفراج فدخلت الحمام فما علمت بي خرجت منه حتى جاءني رسول الرشيد فقال اجب فلبست ثيابي
فقال لا ادري قلت فمن عنده قال ما عنده احد قلت فما يصنع قال هو في محرابه وسجادته بين يديه فانطلقت
وقلبي يرجف فلما دخلت عليه اذا هو جالس على فرو فدنوت منه فضمني اليه فقبلت يديه فقال يا اخي لم تشكوني
الى ابي وجعل يبكي فقلت ما اشكوك يا امير المؤمنين قال الي تتجافى البارحة بعضها فذكرتك
تشكوني اليه فقلت انما [illegible] قال يا اخي اجعلت لحظة وكذلك كان لي في ذلك
تدبير والله اتاني البارحة امير المؤمنين فقال لم جفوت اخاك فاعتذرت اليه فقال لا تجفوه اردد
عليه ارزاقه الفائتة وقلده دمشق قال يا غلام اسماعيل بن صبيح فجاء فقال انظر ما فات اخي من
ارزاقه فاحملها له واكتب عهده على دمشق الساعة فقال والله ان مضت ثلثة ايام الا وقد عسكرت
وسالني عن ديني فقلت ما يبلغ [illegible] درهم فقال يدفع اليك ومثلها لنفقتك الى دمشق وحدث
سنان بن ثابت بن قرة قال كان الحال بين والدي ثابت وبين القسم بن عبيد الله لطيفا وكان يحله
القسم محل الوالد ويحله محل الاخ ولما مات والدي وسني اذ ذاك اربعة وعشرون سنة وكنا
مختصين بخدمة المعتضد افردت لخدمته واختصصت بها وضعف قلبي فقصدني الذي الا ابي
كنت اذا ذكرت القسم بن عبيد الله [illegible] في نفسي وقام في نفسي مقام الوالد لشيء به والحال
الوكيدة بيننا وبينه وبحسب اني كنت اذا فكرت في ذلك عجبت مما يقوله المنجمون وعجزوا عليه انه
اذا كان بين الحاليين اتفاقات كانت بين اصحابهما مودة واذا كان بينهما تنافر كانت بينهم عداوة

فكنت

فكنت اقيم البرهان على بطلان الخبر من ان مولد القسم ومولدي لانهما كانا متنافرين جدا وكنت محبته
ومولاته والثقة به على ما انا عليه الى ان تحققت منه ما لحقتني ففتح عندي قول المنجمين فلما مات المعتضد
وكان القسم يراقبه ويخافه وتقلد المكتفي ورأى اختصاصه وانبساطي وتطاولت مني في الحديث لحمته
من الى [illegible] وكان يرى باطن المكتفي بي لا يحمله فافسد راي المكتفي في حقي حتى لا اعلم ما الذي قال له
فبينا انا منصرف يوما من الحضر لحضرة المكتفي اذ تلقاني رسول القسم في دجلة وقال لي الوزير يقرا
عليك السلام ويسالك ان تصير اليه فبادرت مطمئنا واثقا لم يقع في استرابة فلما حصلت في الدهليز
وكنت اصل اليه في وقت حضرت بلا اذن قام الي منصور بن نافع حاجبه فقال لك الوزير ايدك الله بان تم
فتنتظر في هذه الحجرة الى ان ينتبه فلم يقع لي ايضا استرابة ودخلت الحجرة ووكل بي فيها ولم يراسلني
ولم يخاطبني وبقيت معتقلا في داره مدة مديدة ثم نقلت الى حجرة في شارع ابن العقرب بازاء شرعة
الصحن فحبست فيها مدة فانا انا في ليلة من ليالي صيف نايم في السطح اذ سمعت في البحر صوت مجتاز في
الطريق يقول

يا راقد الليل مسرورا باوله ... ان الحوادث قد يطرقن اسحارا
لا تفرحن بليل طاب اوله ... فرب آخر ليل اجج النارا

فتطيرت به وتعوذت بالله فلما اصبحنا [illegible] واصعدني الى الموصل
وكتب الى جعفر بن الفرات وكان عامله في التوكيل بي والاحتياط علي فاعتقلت بها مدة شهور
ومعي الموكلون بي فلما كان في ليلة من الليالي رايت في النوم كان والدي ثابت بن قرة قد قدم علي
ووجهه اثر السفر فقمت ولقيته وسررت به واقبلت اساله عن اخباره فقال لي دعني من هذه الساعة انما
جئتك لاحدثك بما جرى بينك وبين الوزير في امرك اعلم اني [illegible] عنده البارحة فذكرته بالحرمات
بيني وبينه وحقوقي عليه وعاتبته في امرك عتابا طويلا انحل وقد وعدني اطلاقك وسيطلقك فاذا
اطلقك فلا تقعد الى [illegible] فانتبهت مسرورا بما رايت وحدثت الموكلين بالرويا واثبتها على ظهر تقويمي في
واخر الليلة فلما كان بعد عشرين يوما ورد علي كتاب بتوكيل بي [illegible] وكنت خلفهم عند
اسحق بن حنين سلفا في اموري لثقتي باسحق [illegible] بيننا وبين ابيه حنين وذكر ان الوزير القسم اسد
وقال له كنت تخاطبني في امر سنان بن ثابت وذكرت ان صاحبك مقيم عندك فتقدم اليه بكيت وكيت
فكنت [illegible] وسالته من السبب في ابتدائه فقال لي هو سبب طريف وهو اني رايت في تلك الليلة
كان ثابت بن قرة قد جاني وذكرني بالحرمات بيننا وحقوقه علي وعاتبني في امر ابنه عتابا طويلا واقدم
اني تخل عنه فاستحييت ووعدت بالاطلاق وساطلقه فاكتب اليه وطيب نفسه وعرفه ان امير المؤمنين
على ان يخرج بسبب الخال واني خارج معه فاذا صرنا الى الموصل فاذكرني بامره لاتقدم باطلاقه
فعجبت من رويا القسم وموافقتها لرويا ي ورجعت الى تاريخ رويا ي فوجدت رويا القسم قبلها

قدم

بليلة قلما اوالي الهم والكتيبي معه فكرهت ان اذكره بنفسي ولما نوائب تعرض فامسكت ومضى صاحب الدار
التركي مستقلا فيها الى الوزير فتظلم مني بسبب امر اجرة داره وانا لا اعلم فلم اشعر بشي الا وقد
صار الي الدار جماعة فانزعجت بمجيئهم فبشروني بالاطلاق فاطلقوني فمضيت الى دار الوزير فحجبني
الحاجب فقال الوزير يقرأ عليك السلام ويقول الله يعلم ما جرى عليك وكان السبب فيه الحسين بن
عمرو وكنت اتمنى مكافاته عليك فلما الح الله عنه ما زلت حتى اصلحت قلب امير المؤمنين لك حتى اطلقك
لما كنت تحب العود الى خدمته لا تعول في ذلك وانا كنت اكرهها وتحب ان تتوفر على خدمتي فانا لك
على العهد الذي تعرفه فقد طبت على المكان بقوله واعتللت في خدمة الخليفة بواحدة وفي خدمته في
الحال لطول حبسي عن اهلي وعيالي وانه في وجهه حرب وسفر فما ذن لي في المضي الى الحمراء لاشرف على
اموري واصلحها الى ان يفرغ ايده الله من شغله ويعود الى بغداد فاخذ ذلك فقال امض في وداعة
ولا تتاخر عنا اذا اعدنا فانصرفت ولم اعد الى ما كان والدي او ما في سيف الشام الا اعود الى خدمتهم فلما
فارقت الي ان قتل المقتدر بالله الخلافة وابو الحسن بن الفرات الوزارة فاخبرت ايهما وانجت
منهما انا احببت وحدث ابو [illegible] الدنانوني قال سمعت الصاحب اسمعيل بن عباد يقول كان للهادي
اخي الرشيد جارية تسمى غادر وبلغ من شغفه بها وحبه لها ان كان لا يصبر عنها ولو لحظة ولا يملك
نفسه منها ولو لحظة وكانت تنام على حجره ليلة فسهر وتقصر عليها ولو استغرق نومها الشطر الاوفر من
الليل فبينا هو نائم ذات ليلة على هذه الصفة اذ هجس في نفسه انه يموت سريعا وان هرون يلي بعده
على الخلافة وياخذ هذه الجارية فلم يستطع نفسه وما هجس قلبه الى ان غادر [illegible] وايقظ الجارية
وحلفهما بحلف لا يدخلها الحجر ولا يقربها الحجر على انهما لا يجتمعان بعد [illegible] حتى فرخ روعه
وسكنت نفسه فما كان الامر قريب حتى لحق الهادي باللطيف الخبير وبويع الرشيد فارسلها خاطبا
وجد بامرها طالبا فقال الشاسع ملك الاجمان العلاط وارادها فتوى الفقهاء بالتفكر حتى اجتمعا
في ليلتهما وشهود النكاح والجلوس كان في مجلس الخليفة من خصوص الندماء وحسان النساء
المغنيات فبلغ من كرامتها على هرون انها نامت على عادتها متوسدة يده اليمنى على فخذه فلما
عقب هفوة النبهة مولولة مغولة وقالت يا امير المؤمنين رايت اخاك وهو ينشد في انشاد اليقظان

اخلفت عهدي بعد ما جاورت سكان المقابر ... ونسيتني وحنثت في الايمان الكذب الفواجر
وظللت في اهل البلى وظللت في الحور الغرائر ... ووصلت غادرة اخي صدق الذي سماك غادر
لا يهنك الالف الجديد ولا تعطلك الدوائر ... ولحقت بي قبل الصباح وصرت حيث غدوت صائر

فقالت لها اهدي اضغاث احلام فقالت والله وكاني انظر اليه وهو ينشد بينها وينشطها ان جعلت تنتحب
وتضطرب الجان فاقبلت نفسها قبل تبين الصبح هكذا تبقيت الدنيا بمسرات الاسلاف للاخلاف ومعوقة

الالاف

الالاف عن الالاف واوعية الفجائع والمنايا واقنية الاوجاع والبلايا سواد التحضر عن نبهها ثم
النائبات وكسب الرزق نصيب ازواج الزوجات والبنات فلم تكن منها ارتجاع مواهبها ام اقتاع
سحائبها ام اساءة تقاضيها لما اسلفت من عواريها ام تكديرها بشوب صفايا هامما اصفت
اماليها فيا ايها الناس صرفتها اي محجة لم تعفر سبلها واي لحد لم يتحصن املها واي الزارع لم
تخلف خلها واي جبل هوى لم تبق صحبه ندما وبيت عرس لم تهدمه مأتما وحامل غرة الرجال منه مسا
واي راقه مسرور الم يعتبه لله الدهر الوسنان واي ناعم معمور الم يعطف عليه صرف الحدثان حدث
ابو نصر محمد بن الحسن الكلوادي قال دخلت مدينة السلام في سنة اثنين وسبعين وثلثمائة قبل موت
عضد الدولة بثلثة ايام فاستقبلني بعض معارفي من كتابه ومعه رجل من العامة رث المنظر و
اللبسة وامره بان يقص علي ما رآه من المنام فقال الرجل رايت البارحة فيما يرى النائم كان خادما
ابيض وهو واقف على حجرة دار عضد الدولة وعلى صدره عود يضرب به ويغني بهذا البيت

عطف الدهر بالرزايا عليكم ... فاستعدوا لسطوة الايام

فتعجبت من غناء بهذا البيت مما عليه عضد الدولة من التطير بمثله ومع علته فسمعت منه
قال فرشنا راسي والخدمت في سمر ثم فلما بلغت دار ابن الزمان احمد بن محمد وكان وزيرا اذا انا
بذلك الخادم بعينه واقف على روشن داره بيده العود وهو يغني بهذا البيت وبالذي بعده

رقدت عنكم عيون الرزايا ... ثم هبت لكم كالمنام

فتعجبت من ذلك اشد التعجب وكتبت القصة والبيتين فلما كان بعد ثلثة ايام توفي عضد الدولة
وقبض على ابن الزمان وحدث الشيخ الاجل عبد الحميد بن احمد رحمة الله عليه قال كان الشيخ ابو سهل
الخجندي كريم الراي في سبيل الافنا على تحرز سلجيه وبلغني ان [illegible] على [illegible] ثم
رايته في النوم وانا اخاطبه بهذه الابيات التي هي من ابلغ الافتنا في الملم

ان يكن ستك الليالي بصرف ... فهو مثل الحسام يجلوه صقل
او يكن غيرت منازل قوم ... فانا عبدك الذي كنت قبل
لا تبل بالخطوب ما دمت حيا ... كل خطب سوى المنية سهل
انما شاكر النعيم قليل ... واخو الصبر في البلاء اقل

حدث المامون قال رايت في منامي كان رجلا جالسا في مجلس الحكماء فقلت له من انت قال ارسطاطاليس
الحكيم فقلت له ايها الحكيم ما احسن الكلام فقال ما استقيم في الراي قلت ثم ماذا قال ما استحسنه
السامع قلت ثم ماذا قال ما يومن عاقبته قلت ثم ماذا قال الا ثم قال المامون تراه لو كان حاسما
كان يتكلم في انتباهه باكثر مما تكلم به في منامه وامر المامون احمد بن يوسف ان يكتب في الافاق بعليق

المصابيح في المساجد في شهر رمضان فلقد دعت لعمر بن الخطاب كثيرا فاستحسنه علي فذكرت لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه فقيل
لي اكتب فان في كثرة المصابيح اضاءة للمصلين وانسا للسابلة ونفيا للحاضر الريب وتنزيها لبيوت الله من
وحشة الظلمة وحدث احمد بن يحيى بن موسى قال رايت يحيى بن اكثم في النوم فقلت له ما فعل الله بك
فقال اوقفني بين يديه وقال لي يا شيخ السوء فعلت وصنعت فقلت يا الهي ما هكذا احدثت عنك قال وبم حدثت
قال قلت حدثني عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة عن رسولك محمد عن جبريل عنك
انك قلت ما شاب عبدي شيبة في الاسلام وانا اريد ان اعذبه فقال العزيز الاعلى صدق عبد الرزاق
وصدق معمر وصدق الزهري وصدق عروة وصدقت عائشة وصدق رسولي وصدق جبريل وصدقت انا
فانطلقوا بعبدي ذات اليمين وحكى بشر بن الحارث قال رايت امير المؤمنين عليا عم يقول ما احسن عطف الاغنياء
على الفقراء طلبا لثواب الله واحسن منه تيه الفقراء على الاغنياء ثقة بالله فقلت يا امير المؤمنين زدني فقال
قد كنت ميتا فصرت حيا ✿ وعن قريب تصير ميتا ✿ عز بدار الفناء بيت ✿ فابن بدار البقاء بيتا ✿
وراى الشبلي في المنام فقيل ما فعل الله بك فقال ✿ حاسبوني فدققوا ✿ ثم منوا فاعتقوا ✿ وذكر ابو بكر
الرشيدي الصوفي قال رايت محمد الطوسي المعلم في المنام فقال لي قل لابي سعيد الصفار المؤذن ✿

وكنا على ان لا نحول عن الهوى ✿ فقد وحياة الحب حلتم وما حلنا ✿

فانتبهت فقلت ذلك لابي سعيد فقال كنت ازور قبره كل جمعة فلم ازره هذه الجمعة وحدث علي بن يحيى المنجم قال كان
لابن بسطام جارية تسمى الصاحب لم يكن يرى الدنيا الا بها فغاب عنها فرايته في بعض الليالي في المنام يقول
البلى الرائق العواقبا ✿ وجاد لاتيام وافنوابا ✿ اما ترثى في الحاضر بعتابا ✿ فقد صاحبت صاحب بعدي صاحبا ✿
فعجبت مما رايت فلما اصبحت سالت عن خبرها فقيل لي انها تزوجت رجلا فاذا الليلة التي رايته فيها انشدني
الابيات الليلة التي تزوجت فيها وحكى مطرف كان مع سعيد الضبعي قال ضرب سعيد يوما غلاما له
على غلام له فضربه بالمقارع فمات تحتها فلما كان من غد دعا بي فقال لي رايت البارحة فيما يرى النائم كان
آتيا اتاني فقال انا رسول رب العالمين اليك يقول لك غضبت على عبد من عبيدي فكذبته وضربته
حتى مات وعزتي لاعجلن لك العقوبة في الدنيا قال فاظهر سعيد الندامة ودفع عشرة الاف درهم
دية الغلام تصدق بها فلما كان من الغد قال لي ومحل ما رايته البارحة اشد مما رايته قبلها
قلت وما هو قال جاءني ذلك الرجل في نومي فقال يقول لك ربك لا تقتل عبدي وتشاغي عنده سهمات
فامضت لهذا الحديث ايام حتى انفذ الموفق الى ابن طولون رسولا فلما دخل عليه قال له يا غلام كذا
من امه فقد عرفت من التعذيب ... خرجت الى مصر فضرب على رجلي بالاعمدة فاخذت
الاعمدة راسه فلم يزل يضربه بها حتى جنى بدنا بالادبار وهي من العبارات الصحيحة للمنامات العجيبة
راى عبد الملك بن مروان كانه قعد بال في محراب الكعبة اربع مرات وكان سعيد بن المسيب لعبد الملك

والد مروان

والد مروان ويكون لهم اشد الانكار فدس عبد الملك اليه رجلا فقال اقصص عليه ولا تخبره اني رايتها
فلما اقصص عليه قال ابن سيرين هذا رويا ابن الصغار لو ياهذا الذي ... اربعة فكان ذلك ملك
الوليد وسليمن ويزيد وهشام وراى الحسن البصري كانه عريان على مزبلة يضرب الطنبور فلما ذكر ذلك
ودس الى ابن سيرين رجلا يقصه له فقال ابن سيرين هذا الرويا ... الحسن عراة تجرد
عن الدنيا وضربه بالطنبور وعظه للناس وجاء ابن سيرين رجل فقال اني رايت في المنام كاني اشد الاوقار
شدا شديدا وكان مع الرجل جراب فقال له ابن سيرين انت رايت هذا قال نعم فقال له ان في جرابك ما ينبغي ان
يكون الرجل يخنق الصبيان وينبغي ان يكون في جرابك آلة الخنق ففتشوا الجراب فوجدوا فيه
اوتارا وحلقا فسلموه الى الناس وراى عبد الله بن الزبير انه صارع عبد الملك بن مروان فصرع
عبد الله وغرز فيه اوتارا في يديه ورجليه فارسل وسال سعيد بن المسيب فقال الرويا صدقت و
عليه عبد الملك يخرج من صلبه اربعة كلهم يكون خليفة لما انصرف ابو مسلم من حرب عبد الله بن
علي راى كانه على فيل والشمس والقمر في حجره فارسل الى عابر كان بالكوفة وقص عليه فقال الرويا
عشرة الاف درهم فقال اقل فقال ... فانك ... قال الله تعالى الم تر كيف فعل
ربك باصحاب الفيل الى قوله تعالى كيدهم في تضليل وقال يجمع الشمس والقمر يقول الانسان يومئذ اين المفر
لما خرج محمد بن عبد الله بن حسن بن علي على المنصور راى المنصور فيما يرى النائم كانه قد صارع محمدا
وان محمدا صرعه وقعد على صدره فقص ذلك على ... ... في كل وقت فسال جعفر
الصادق فقال انك تغلبه وتظهر عليه قال وكيف قال لانك كنت على الارض والارض لك وكان هو
فوقك والسماء له فتسرى عنه واستعمل عمر بن الخطاب رض حابس بن سعد الطائي على قضاء حمص ودفع
اليه عهده فاتاه من الغد فقال يا امير المؤمنين اني رايت رويا فاتيتك لاقصها عليك قال وما هي
قال رايت الشمس والقمر اقتتلا فقال مع ايهما كنت قال كنت مع القمر قال عمر كنت مع الآية الممحوة اردد علي عهدي
فقتل بصفين مع معوية وراى الحجاج في منامه ان عينيه قلعتا فطلق الهندين هند ابنة المهلب
وهند ابنة اسماء بن خارجة فلم يلبث ان جاءه نعي اخيه من اليمن في اليوم الذي مات ابنه محمد فقال
هذا والله تاويل رويا قال سعيد بن المسيب رايت موسى النبي عم يمشي على البحر حتى صعد الى قصر
ثم اخذ برجلي الشيطان والقاه في البحر واني لا اعلم نبيا هلك على يده من الجبابرة ما هلك على
يد موسى عليه السلام واظن هذا قد هلك يعني عبد الملك فاتى نعيه بعد اربع وراى ابن سيرين
كان الجوزاء تقدمت الثريا فجعل يوصي وقال يموت الحسن واموت بعده وهو اشرف فمات الحسن
ومات محمد بعده بمائة يوم وراى بعضهم كان في يده خاتما يختم به فروج النساء وافواه الرجال
فقال ابن سيرين انت رجل تؤذن في رمضان قبل الصبح فقال نعم اني افعل ذلك وراى آخر

كانت تصيب الخبيث في الزيتون فقال له ابن سيرين ان كان تحتك جارية فهي امك فسبيت وبيعت و
اشتريتها انت ولا تعرف فكان الامر كذلك ورأى بعضهم كانه يعلق الدر في اعناق الخنازير فقال له
تعلم الحكمة غير اهلها ولما نزل الحارث بن احمد بن طولون دمشق في السنة التي بنى بها قصره رأى
قبل قتله بايام في منامه رجلا يشير اليه باصابع يده الخمس ويكرر ذلك عليه فاستوحش ثم رأى
وقال لعله مدة عمري انها خمسة ايام او خمسة اشهر او خمس سنين فحضر رجل يحسن التعبير وقص عليه
رؤياه فنحوه من التاويل الذي وقع له وقال لا اشتغل عليك وفسره بقول الله في سورة لقمان من الاية
المفردة بالخمسة الاشياء التي لم يطلع احد عليها من خلقه ان الله عنده علم الساعة الاية فسري عنه
وامر للمعبر بجائزة سنية فلما كان بعد ثلثة ايام راى ابو الحسين في منامه كانه قد صعد نخلة فلما
وصل الى راسها اقبل يقور جمارها وقلبها فرمى به حتى بان في النخلة مكان ما يقور من قلبها
وقد صار في موضع التقوير دود واستيقظ فقص ذلك على هذا المعبر فقال تخرج الى الامير وخبر ابلغه
فقال المعبر كل حال فقال يعفيني الامير فلم يعفه وألح في المطالبة بالتفسير فسأله الامان على نفسه
وماله فاعطاه ذلك فقال له ايها الامير اني اخاف عليك ان يغتالك بعض خاصتك قال ومن اين
قال لان النخلة وتقويرك بيدك قلبها هو افضل شيء فيها فهو صدرك افضل ما في جسدك
وهو قلبك بايدي قوم اصطفيتهم وهم عبيدك فاحترس فلما كان في تلك الليلة وهي الخامسة من
الرؤيا الاولى قتله الخدم نيامًا على فراشه ورأى بعض الامراء بمدينة السلام في النوم
قبل قتله بايام كانه في بيت مشدود وفي حيطانه اوتاد عليها دنانير وكان كل طاير يطير من الوتد الى
رأسه فينقر نقرة ويرجع الى ان تكامل جميع الدنانير نقرة واحدة فاستعاد المعبر على حده فقال كم
كانت عدد الدنانير فقال سبعة او ثمانية فقال تعيش سبعة او ثمانية بعددها ايامًا ثم
تقتل فكان كذلك حدثني ابو القسم بن محمد بن حفص قال كنت اخلف ابا محمد الحسن بن مخلد فانصرفت
اليه في ليلة من الليالي فوجدته مغمومًا واجمًا فقلت له في ذلك فقال هذا شجاع بن القسم قد عزم على
ان يقبض علينا في غد وعلى احمد بن اسرائيل وعلى ابي نوح وعليك يا ابا القسم وعلى اسبابنا فانصرفت
على غاية القلق وافطرت وصليت واويت الى فراشي فلما مضى صدر من الليل رأيت في منامي كاني في
شارع ابي احمد من شوارع سر من رأى وكان في بغيرة عظيمة وجيش عظيم فقلت ما هذا فقيل جيش اوباش
بين يدي شجاع بن القسم فوقفت واقبلت الى موكب فاذا صادت بازاي انقضت فلم يبق منها
شيء فلما بان الجيش هكذا الى ان وافى شجاع بن القسم ومعه العدة العظيمة فلما صار بازاي انقض الجيش
عنده وبقي وحده وخرج من الطيلسان سهري لينهب كالذي اراد وقد قطع رسنه فادركه الى شجاع فضربه
ثلثين نوعًا فقلعها عنا وسقطه الى الارض وكان على باب درب باعتبر بتعبير الرؤيا فعبرت الرؤيا

عليه قال

عليه قال ان تحتدوا بان يهجم على هذا الرجل في غد قوم من العجم فيضربوه ثلثين ضربة زوجًا فقتلوه
لان البرذون العجمي ومرتبه له بالزوج بل يدل على انه يضرب بالسيف الحديد الذي في خاز البرذون فبكرت
الحسن بن مخلد وهو مترقب للمكروه فقال العدل الخبر او شيء تفرح به فقلت لا ولكن رؤيا رأيتها البارحة
وقصصتها وما قال العابر فقال يا ابا القسم جعلت فداك قد حصل من اعظم الرؤيا ومضت ساعات
ونحن نتحدث اذ سمعنا ضجيجًا عظيمًا ودخل الغلمان فقالوا البشرى هذا شجاع ثارت العجم عليه فقتلوه
وقد جرح وابو علي حرثاب محمود لا حالي عليه فما الينا وغاينا له كذلك فزالت المحنة والحمد لله واكثر التعبير
للرؤيا انما يجري على هذا الوجه من الاعتبار بما يأتي على طريقة التمثيل وكثير من معاني القرآن ايضا
جرى على التمثيل والتشبيه وذلك نحو قوله تعالى انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها
فاحتمل السيل زبدًا رابيًا ومما توقدون عليه في النار ابتغاء حلية او متاع زبد مثله فانه على مثل
العلم بالماء والقلب بالاودية والينابيع والضلال بالزبد على ما نبه عليه في آخرها بقوله
كذلك يضرب الله الامثال وقوله صلى الله عليه وسلم ان قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع
الرحمن فهو على طريقة التعبير لما تضربه ملك الرؤيا في المنام من الامثال فان محل الجسم وتاثير ما
حصل فيه من الروح هو القدرة على سرعة التقليب كالشيء الذي يكون بين اصابع الحي يقلبه صاحبه
كما يشاء وانما قلب المؤمن بين حزب الملك وحزب الشيطان هذا يغويه وهذا يهديه والله تعالى
يثبتها فيه قلوب العباد كما قلب الانسان الاشياء باصبعيه ومما عرف معنى الاصبع انه على هذا التمثيل
والتشبيه عرف معنى العلم واليد واليمين والوجه والصورة في قوله تعالى علم بالقلم علم الانسان
ما لم يعلم كانه شيء يكتب بواسطة نقش العلوم في الواح القلوب واكثر هذه المعاني افهامهم وتعلم اذا
خلع منها صورة التمثيل عبارة عن المعاني الروحانية المعقولة بالالفاظ الجسمانية المحسوسة
تقريبًا على الافهام كما يفعله ملك الرؤيا في المنام والاشباه واكثر من في هذا العالم نائم وان كان
مستيقظًا كما قال صلى الله عليه وسلم الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا وكان ما يراه النائم
في المنام انما يظهر له بعد ما انتبه من نومه فكذلك الذي يجري على اهل الدنيا مرارا انما سمعوه في
نفيت عن ادراكهم حقيقة معانيها في النوم فان كل ذلك يكشف لهم عند الانتباه بالموت حتى يقولوا
وسلكوا طريقنا فعند ذلك لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم يا ليتنا اطعنا الله واطعنا
الرسولا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله
ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحًا ومما يحقق من الرؤيا كما رأى في المنام ما يروى ان
محمد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم لما تحرك ابنه جعفر اشفق عليه ان يسبق اليه ما سبق الى الاحداث
فكان رؤيته في امره انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يقول له فلان ورد من جهة كذا ومعه حية البراب

فابتعها الابنك بهذه الدنانير وناولني الصرة فابتعه فوجد في كفه صرة ففتحها فوجد فيها ثلثه
وستين دينارا فرجع الرجل حتى وافى فضا ابيه وقال له اعرض علي ما معك من الرقيق فعرض من الجميع
فلم يقع عنه شي يوافقه جعفر ولا عرض ما يوافق اسمه ذلك الاسم فقال له هل بقي عندك شي قال
ولا شي الا بنته قال الجارية عليلة قال اياها اريد فلما بصر بها جعفر قال لابيه قد وقعت بقلبي وسال
عن اسمها فقال حميدة البربرية فسام الرجل عنها وهي شديدة ولان الكلام بين سبعين دينارا من محمد
وسبعين دينارا من صاحبها فاخرج الصرة فلما بصر بها الرجل قال المرات قال كيف قال والله لقد رايت
مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الصرة في رويا اريتها بارحة ذي خشب وحكت ورثيا للمعتز بالله قال
حدثتني قبيحة قالت رايت في النوم قبل ان المعتز كان قايلا يقول خذي هذه الابرة فاحتفظي بها
فانك تكونين في الملك ما دامت عندك وانتبهت فاذا انا قابضة على ابرة فيها منقوبة وكنت نتحبني وقت الى
غيبة لي فاحرزتها فيها وصرنا الى حجاج ام المتوكل فوقفنا اطنبه فعجبت فقالت الناس يرون الدنيا
فيفتتون بها اذا انتبهوا ورويا ان اعطيتك شيا وجدتيه لا في القيظ في كذا ان هذا العجب وسالت ان تلدي
من هذا الرجل انا املك قالت فلم تر الملك الابرة عندي الى ان كان قبل قتل المعتز بعشرة ايام واحسنا نتبع
الموالي وافتقدت الابرة فطلبتها بجهدي فلم اجدها وحدث علي بن الليث اخو يعقوب بن الليث قال
لي يعقوب بعدما سادماح قصور الطاهرية وقد خربوها كلها ابو عبد الله في تركت بينها قصرا عامرا فدعاني
وقال لي لم لم تخرب هذا القصر قلت انما تركته لنفسي ونزلته قال يا اخي لا يجوز لك هل تذكر الليلة
التي كنا نائمين فيها على سطحنا بسجستان فقمت انا ومشيت الى اقصى السطح وعدت بين ثنين او
ثلثة ثم نمت فقلت نعم اني كنت لا افارقك الى اليوم اذا سالتك عن ذلك فقال اعلم اني رايت في تلك الليلة كان شخصا بيده
سيف مقصد في ذلك وتولى عني لشي فامتحن شي مخيل فنجح عنه وانا النوم فعدوت الى ذاتي فقال لي
مرارا نعلت باهذا مراتك ما نريد مني فقال لي خذ هذا السيف وامض الى نيسابور وتقبض على اهلهم و
ابنيتهم من آخرهم ولا يجوز لي اذا ترك هذا القصر عامرا امر بتخريبه وحكى الكلبي عن ابيه قال لم بعث اشياخا
من طي قالوا انما كان حدثنا انه موت حاتم خرج نفر من بني اسد فيهم رجل يكنى ابا الخيبري فمروا بقبر حاتم
فقال ابو الخيبري والله لاحلفن العرب اني نزلت بحاتم وسالت القرى فلم يقرني وانا اخو الخولة وجعل ابو الخيبري
يقول هل يا جعفر لنا قرا كانحر الناس لهو الناكا فقال له بعضهم ما ذا تنادي من عظام ورمة باليه
وهو لا يملك ضرا ولا نفعا بلي الى ان ما توافت ابو الخيبري وناقته تعقر بحشي برجلها وجعل ينادي
وارحلتاه فاستيقظ اصحابه فقالوا [illegible] من القبر [illegible] حتى نحا في لبتها وهو يقول

ابا الخيبري وانت امرء ... ظلوم العشيرة شتامها
فاذا اردت الى رمة ... بدوية تعجب هامها

تزيد اذاها

تزيد اذاها واعسارها وحولك عوف وانعامها فقال ولانه ذلك لقد قراك حيا وميتا
فانتسموها واكلوها فلما اصبحوا اردفه بعضهم ثم مضوا فساروا وقيلا فاذا هم براكب على جمل يقود جملا يخبا
فاذا هو عدي بن حاتم فقال ايكم ابو الخيبري قالوا هذا قال ان حاتما جاني الليلة في المنام فاخبرني بما كان من قولك
وفعله بناقتك وامرني ان احملك على بعير عوضك ومن عجيب ما يحكى في الرويا التي تكون من حديث النفس ما
ذكروا ان رجلا جاء فوقف بباب المهدي واعلم الربيع انه قد راى للمهدي رويا يريد ان يقصها عليه مشافهة
فاستاذن له فدخل وكان الرجل ذا روا وهيبة فقال اني رايت كان اتيا اتاني فقال اخبر امير المومنين انه
يعيش ثمانين سنة والعلامة انه يرى في منامه في هذه الليلة ثمانين فصا يواقيت فقد وهبت له قال يمتحن
هذه الليلة فان صدقت روياك اعطيناك ما تسال وان كانت الاخرى عاقبناك لان الرويا تصدق وتكذب
فقال الرجل فما تعمل عيالي وصبياني في الحاجة الي وصلت الى الخليفة وقد تهيوا وخرجت هكذا فيحمل امير
المومنين صلتي وانا احلف بالطلاق اني ما كذبت فامر له بعشرة الاف درهم وامر ان ياخذوا منه كفيلا ليحضر
في غد فلما كان تلك الليلة راى المهدي في المنام ما قال الرجل واصبح متعجبا وحضر الرجل فلما راه قال ما راى
شيا فقال الرجل امراته طالق ان لم تكن رايت ذلك فقال وقد والله رايت ذلك فقال الله اكبر تحقق لي
بما وعدتني فامر له بثلثة الاف دينار فاخذها وانصرف فقيل للرجل بعد ذلك هل صدقت قال لا ولكني
لما القيت اليه ذلك خطر بباله وحدث به نفسه وشغل به فكره فرآه في المنام فحلفت بالطلاق وطلقتها
واحلف وزدت في مهرها عشرة الاف درهم واخذت خمسين الف درهم المجلس السادس والثمانون من كتاب
خلق الانسان تفسير قول الله عز وجل وفي انفسكم افلا تبصرون يتضمن الكلام في تواضع النفس وكبرها

بسم الله الرحمن الرحيم

هو القديم الذي لم يكن شي قبله والعظيم الذي لا يكون شي مثله الاول الذي لا ابتداء له الاخر الذي لا انتهاء له
الظاهر لا بالاقتراب الباطن لا بالاحتجاب المحجوب لا يحيط به العيان المعروف لا انه في عليه العرفان الدايم
لم يزل والابد الباقي لا يتغير من حال الى حال القريب من السائلين الرقيب على الغافلين الحليم العجل انقنا
القدير لا يعجزه انتصار العظيم جدت لعظمته الاعوان والانداد الكريم نالت نعمته الاعلام والاصداد
المقدر قبل الازمان والاوقات ولا يعتريه السنون المدبر خلق الموت والحيوة ولا يجري فيه المنون لا دافع لما
امره وابرمه ولا المسالح مما شاه واحكمه لا يحصر من يحمد ويعبده ولا يهمل من يجحد ويوسع خول المنايح
واجزلها وسهل المطالب وسهلها ووهب المنايح وقربها ومن المنابح فيسرها وارسل محمدا بمعالم رشد نيرة
منهجها واعلام شرع واضح محجها واصطفاه من بين الانام وكنفه بالصلوة والسلام وامال اليه بسلته
الاراء والقلوب محبته الاهوآء نعته شمسا في ظلام الانام وسيفا على هام الاصنام فلم يزل يصدع بالحق وينطق
بالصدق الى ان تحزب اشياعه وجمعت صحابته واتباعه فجاهدهم بالسيوف الحداد والادرع الشداد

حتى استتم الدين وشاع وانتشر اليقين وذاع وسار الارشاد فوق الاصقاع وطار الحق فوق الاقطار صلى الله
عليه وعلى آله الذين قصدوا تعززا بهم في دين الله انابيب الرماح واسلمت عند مضائهم في نصرة الله عرب
نتكلم اولاً في ماهية التواضع والكبر ثم في الترغيب في التواضع والتحذير عن التكبر والتواضع ان لا يذهب المرء
بنفسه عما ليس له ان يذهب بها عنه او هو مجانبة الترفع عما لا اضعة فيه على الانسان عقلاً ولا شرعاً و
التواضع والتكبر صفتان يشتق احدهما بالآخر اذ لا يجتمع التواضع والتكبر في وقت واحد من وجه واحد والتواضع
ربما ماخوذ من معنى لفظ التواضع فانه يقال تواضع كما يقال تشاكر اي اظهر من نفسه الشكر وليس بشاكر
كما قال يزيد الخيل . وبنت لذا ارنا السما اهتنا . تغنى بنا سكران او متساكرا
وتبعه الفرزدق في هذا المعنى فقال . اسكران كان ابن المراغة اذ هجا . تميما بطن الشام ام متساكرا
وكذلك يقال تراء المتحامق والمتواضع الذي يرى من نفسه في حسن العشرة والمقاربة انه من رتبة متضعة وليست
كذلك فكانه يتشبه بمن الحالة منحطة متضعة وليست كذلك كما ان المتساكر من يتشبه بالسكران وليس كذلك
والمتغابي من يتغابى وليس بغبي كما قيل . ليس الغبي بسيد في قومه . لكن سيد قومه المتغابي
وعلى هذا كان المتكبر الذي يتكلف التشبه بمن هو اعظم منزلة منه ولما كان التكبر على مضادة التواضع كان في
تحديد التواضع تحديد التكبر على الضد فيقال التكبر تكلف المتكلف الارتقاء الى رتبة لم ينلها الاستحقاق او
هو الترفع عن مراعاة حسن العشرة وقصد التعزز ببعض الريبة في غير مواضعها الدين او هو طلب التعزز بمجانبة
ما يكسب ثناء او اجرا وجملة ذلك مثل ان يتعزز الجاهل بان لا يعود جاره الضعيف ولا يسعى في حاجة
اللهيف ولا يعطف على الفقير اذا سلم عليه وسائله ويتعزز بنفسه رد الناس جميعهم ولا يغتنم اجر الله وثوابه
او يطلب الامتياز من الناس بتجريد سبيل النفس الى القدرة لا الى طريق العدل في الشرع والعقل او هو ان يعتقد المتعقد
نقيضه فيما هو فضيلة ويعامل صاحبها معاملة المعتقد فيه ذلك وقيل ان يعتقد الانسان ان ذا كرم بشر
وثائق يتنقصه وهو في الحقيقة فضيلة ويعامل الناس فيه معاملة من يعتقد ذلك او هو ان يغلب على الانسان
في المعاشرات الاستخفاف بالناس ويعاملهم معاملة من يرى لنفسه من الفضل اكثر مما له او هو ترفع الطرفين
استكثار الحال ثم مع المرطوبين الراعي فيما له وعليه وقد قيل ان التكبر هو ترفع الانسان عما لا اضعة فيه
ولكن الترفع عما لا اضعة فيه لا ينتهي تكبرا حتى يقع مستقذرا عن وطء الاعمال بالبحال والرجل قد يغلب عليه علته
في ان يتضع مع استقلاله الامر وتحققه لضعفه ومعرفته التيه واهله فلا يعد متكبرا او يرتفع
الانسان عما لا اضعة فيه فعله يكون مشتركا بين المتكبر والمتواضع ويحتمل ان يقع الشرع بين النقيضين
في الحالة الخاصة وقيل ان التكبر هو نتيجة الاعجاب في افراده ولكن نتيجة الاعجاب في افراط الادلال لم التواضع
ولا يضاده الا ترى ان المتواضع وان افرط اعجابه بالتواضع لم يتم متكبرا او الفاسق وان افرط اعجابه
بفسقه كان ذلك ادعى له الى التواضع له واضرع لخيبه وكذلك قوله هو افراط الاعجاب بنفسه وخالة عنه

مستقيم لان الاعجاب بالنفس وان افرط اذا لم يتشعب منه استخفاف بغيره لم يتم تكبرا وقد يكون من فضل الرذ
مستخفة وفرط الاعجاب بهذا الفان من الجمال ومكاسل من محامد الخصال الحميدة ان يعجب بها من حيث فضلها
ولكنه انما يحصل التكبر اذا قلل عنده الاستكبار لحاله كل حال فترقي الى الكبرياء وبه الناس من قومه
الازدراء وانما دخلت هذه الشبهة من حيث لا يفرط الاعجاب رجل الا ويعرى الاستخفاف بالناس معه فلما
كان في الاغلب يسبق البيان قرنين رهان من يكون عينان في حصول التكبر بالاعجاب وهو صحيح في اللفظ
المتعارف غير صحيح في المعنى المحصل وقيل ان الافراط مذموم في الجملة كالتفريط والتوسط محمود في الفضائل
فمن افرط اعجابه بنفسه فقد استذم ولكن الاعجاب متى افرط بلغ الامر الحجيج لم يكن جوزا الا ترى انك
لكل جزء يزداد من الحال التي وقع الاعجاب بها يزداد جزء من الاعجاب بلا افراط فيه اذ جزء بازاء جزء ومتى
انجر استحقاقا بالغير حتى حينئذ تكبرا وتيها فيكون الرجل على حيرة من امره لم يكن ويكب مهارة افراط
وعرضها فيه كرجين والكبر حينا لكل واحد منهما شعبة من شعبه وكل جزء من كله لان من تكلف ما
لم يستحق ما لم ينلها استحقاقه فقد تكبر ومن ترفع لافراط الاعجاب عما لا اضعة فيه كعيادة الضعيف
والوقوف على نعي العيادة والزيارة وحضور كوب الحمار وحلب الشاة كما يروى عن جبير بن مطعم انه قال
تقولون بي التيه وقد ركبت الحمار ولبست الشملة وحلبت الشاة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من فعل هذا فليس من الكبر فيه شيء وقد بان بهذا ان الجملة الجامعة للامور ولنا انفصل والجملة مسلوم بالعقل
قبحها القضايا العقل تقبح تكلف الارتقاء الى المنزلة لم يستحق وطلب ما ليس له فيكون تظلما والظلم قبيح بنفسه
عقلا او شرعا اذ يجوز ان يعلم قبحه في الجملة عقلا فاذا فصلت وحصلت فروعه وشعبه كان منها ما
يعرف قبحه سمعا ومنها ما يعرف قبحه عقلا وقد يشكل ان هذا ظلم او لا وان عرف ان الظلم قبيح كذلك
يشكل انه تكبر ام لا وان كان التكبر قبيحا فيقول في تفصيل هذه الجملة ان مما ذمه الله واتباعه قبحه ان
يري الانسان باتقاء الله على وجه النصح له فيتعزز ويترفع في نفسه عن امتثال حقه وقبول النصيحة و
الكناية هذه السعادة فقال الله تعالى ومن الناس من يعجبك قوله في الحيوة الدنيا ويشهد الله على ما
في قلبه وهو الد الخصام واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد فهذا النوع
من التعزز قبيح عقلا اذ لا يجوز ان يتقي الذي خلقه ورزقه يسوغ والامر بما يصح والذكر والقبول منه
وان يقابله مستوجب الشكر عنده والتلقي للنصح برده من ابلغ القبائح وكيف يسعد ان ظهر الاستكبار
الاستنكاف منه ومنا ملته معه هذه المعاملة ومما يقتضي العقل قبحه من ابواب التكبر ان يوبخ الانسان
بان يتعلم ويدل على الذي هو عليه مقصود انه يكبر عن التعلم ويظن ان امتثاله لامره ضعة ومنقصة بناحيته
ونقصه سمعه وفؤاده لعزل من دعاه الى الامر الحسن نقيضه وهذا من الجهل والجهل قبيح لنفسه فان كان
لا يجهل ذلك ولكن يغضب من نصح ناصحه وينكر ان يكون رشده بتبصره وتذكره فهو الجهل الشائع لا نقد

يحمل حاجة الادنى الناقص المحتاج الى المذكر وان كون الناصح في الدرجة السفلى والرتبة الدنيا لا يحجز
اباه الانتفاع بارشاده ونصيحته كما لا يحسن كون الجمادات دون الانسان ترك الانتفاع بهما لاجل
انهما دون الثاني في فضائل الانسان الذي هو اشرف شيء خلق في هذا العالم فعلم ان هذا النوع
التكبر قبيح عقلا ومن ذلك ان يترفع عن حسن عشرة الجار والصديق والزائر المفرط الاعجاب بما اوتي
من حطام هو عن المخلوق وميراث القرون وهذا هو القبيح في العقل لانه لا يدرك العقل ان الشرف لا يحصل
للانسان بان يكون كثير الحطام ولا الدناءة بان يكون قليله وانه لا يوجب سخفا فالمرحوم بل المرء
لدوام ترتيبه ولما توقعه ان يكلم الضعيف ويعود الفقير فان كان ترفع لاجل ان ذلك ينقصه وهو ضنين عليه
فهو قبيح عقلا لانه اعتقد الضعة فيما هو شرف وان كان ترك ذلك تناسيا او تشاغلا عنه لانه ضعيف
ولو كان مكانه قوي لما تشاغل عنه فان هذا يسمى تكبرا المخالفة فيه بين الفقير والغني والضعيف والقوي
وهو قبيح سمعا لان التشاغل عما رغب فيه الشرع مكروه بالشرع وبالجملة ما كان من الافعال المسماة تكبرا العادة
بين الناس لا اخذا باسباب العشرة المستحسنة فان عظم ذلك قبيح بالشرع وما كان منهما جهلا فهو قبيح بلا لانه
العقل على قبحه كاعتقاد التكبر فيما هو شرف من حسن العشرة انه ضعة ولسنا نطلق هذه القضية الا على
معظم الباب ومن التكبر العاطل القبيح سمعا ما يجري في السلام فان حق كل مسلم على مسلم رد السلام مع قبول
سمع ان ما سلم له او زايد عليه وقد يجري من المتكبرين فيه كل عجيب من ترك الرد مرة وهو ربه ونيل اخرى
تعاظما عن اسماع المسلم الجواب فيجعلها كالرد ايماء باليد او اشارة بالسبابة وربما كان باقبح من الراس وكل
ذلك منهي عنه قال صلى الله عليه وسلم افشوا السلام واطعموا الطعام وصلوا الارحام واضربوا الهام وصلوا
والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام وسلم ابو العتاهية على علي بن يقطين ورد ايماء ضعيفا فانشا
يقول بعد ان اسوقفه على الطايف

مالك لا ترجع السلام على ... مثلك الا بطرفة البصر
نقبل هذا وانت من بشر ... فكيف لو كنت من سوى البشر
ما انت الا من العباد وان ... اصبحت في امره وفي خطر
ما اقدر الله ان يغير ما ... اصبحت فيه فكن على حذر
واعلم بان الايام يلعبن ... بالناس وان الزمان ذو غير

وسلم رجل على آخر بطرف سوطه فلم يرد عليه فقيل له في ذلك فقال سلم علي ايماء فرددت عليه بالضمير
ومن السلام ما هو غير قبيح ولكنه ممنوع محجر على اللسان عليه محمول وذلك ايضا مذموم وقد عاتب
البحتري الفتح بن خاقان في قصيدة فعرض بغيرة الخلق فقال

واصيانتي ان تغتة اللحظ ردة ... كيلا تكون الجعته القول محجما

والبخل بلفظ

والبخل بلفظ السلام والشح بالرد يجمل بقيد معناه فانه تحية تفضل كل تحية عرفها اهل الارض لان
الكبها الله الذي ان من معناها السلامة التي هي اقصى المنى واوفى الحظوظ وهي لفظة عامة تكمل سلامة النفس
والعرض والدين ومن كل ما يشنأ وابر من هذه تحية الجاهلية للملوك ابيت اللعن وقد يلعن الرجل بحقوق
باطل فاباؤه اللعن ليس بدعاء صريح خالص لانه لو اراد به ابيت ما يلعن عليه باطلا لا حقا فكان قد ذمه
ولو صح له معنى لفقد فيه دعاء لكان ذلك من بعض ما يتناوله لفظ السلام فمن يرغب عنها الا من خفي
عليه ما بين المحاسن منها والسمن دونه بركتها او ميلها او يكون ضنينا بالخير والدعاء للناس وان
عنه سلام العجم وزه كاربنيك باد ودعوتهم شادي باد فانه دعاء باللذة والمسرة وصفاء العيش فقط والعيش
قد يصفو لسالم الدين وغير سالمه وصحيح العرض وغير صحيحه وربما سلم فيه الدين والعرض وانقى السداد
كالسداد بدون الالم فانه في موضعه وطلب فيه نحو طلب اعتقاد ما فيه تكون بعيبه قوته واقطع وانما
سلام الاسلام فهو دعاء بالسلامة من كل مكروه في الدين سالم والعرض وافر وانا البخل من بخل بالملاقاة
يوقفه او يوقف فيه فان ذلك مما يجب النظر فيه فان كان يشغل او عذر فلا يكره وفيه على المكرين
ان يكون الوقفات معتدلة مرتبة موزونة على قدر السائل والمسلم وفيها الاخف منها الاقدر
الوقوف في المسايلة عن السفر في قدر يصفه او عن بعيد او قلب بصيلة واخا مستقبل وقد عل
وقفت في الطريق نصف الزيارة قال ابن المعتز

يا هلالا يبدو في فلك السماء وردوا ... وقفا با عين النظارة
قد نالني الطريق ان لم تزورنا ... وقفت في الطريق نصف الزيارة

فاما الايثار بصدر المجلس فهو من حق صاحبه وله ان يتصرف فيه على ايثاره واختياره كما جاء
في الحديث الصحيح لا يؤم الرجل الرجل في سلطانه ولا يقعد على تكرمته الا باذنه وصدر مجلسه تكرمته
تكرم بها من شاء من زواره وان شاء استاثر به لنفسه وكان محمد بن الاشعث بن قيس الكندي يقول
لا اتحول عن صدر مجلسي لاحد الا ان قدم المهلب الكوفة فدخل على محمد بن الاشعث فتحول عن صدر
مجلسه فقيل له اين ما كنت تقول فقال المهلب فيا ما انا الا رجل ولد هذا ذاك الرجل فاما
القيام الى الزائر فالنبي صلى الله عليه وسلم قام الى جرير بن عبد الله وبسط له رداءه وقام الى جعفر لما
قدم من الحبشة وعانقه وفي الحديث اذا اتاكم كريم قوم فاكرموه والقيام الى الزائر من الاكرام ومن القيام
الابوين والعلماء والحسن القيام والبعد من الآثام وغيره داخل في جملة ما شاء ولا الحديث من احب ان
يمثل له الناس قياما فليتبوأ مقعده من النار بل ينبغي ان يكون في الصالحات الباقيات
للنجاة على حب البنية وصفاتها الا انه قد يجري من المزور المقصود ما يدخل في التكبر فانا نتهاوكم
منها وكان الحسن لا يجل حبوة الا لخمسة فكان اذا زاره يخص اليه وقال العلاء بن كثير الموته وسر العورة

وكان للبرج الاحول حبوة لاحد من الشعراء والفضلاء الا البحتري وكان اذا دخل عليه نهض اليه وتنحى له
واكرمه وانشد

ولما بصرنا بطالعا * مثلنا له ووثبنا قياما
فلا تعجبوا من قيامي له * فان الكريم يجل الكراما

وقال اشجع السلمي

اعلى الوم في مديح معاشر * خطبوا المديح الي بالاموال
متزحزحين اذا راوني مقبلا * من كل متكا الى الاجلال

واما النكبة في المشية والاختيال المذموم فاكثر المنع عنه والكراهة له سمعا وكذلك جر الذيول
الضافية واسبال الخلاخل التي تمحى فقد قال الله تعالى ان الله لا يحب كل مختال فخور وقال جل ذكره
واقصد في مشيك ولا خلاق لمن يتبختر المختال اللباس مختالا رغبة قاصية في مشيته وروت
ميمونة بنت سعد وكانت تخدم النبي صلى الله عليه وسلم انه قال مثل المراة الرافلة في زينتها في غير
اهلها مثل الظلمة يوم القيمة لا نور لها فكونه ذلك اشد حرمة على الرجال اذ قد ابيح للمراة من الخيلاء
والتزين ما لم يبح للرجل راى مالك بن دينار المهلب بعض ولده يختال في مشيته فقال اما علمت ان
هذه مشية يبغضها الله الا بين الصفين فقال او ما تعرفني فقال بلى اعرفك اولك نطفة مذرة واخرك
جيفة قذرة وانت فيما بين ذلك حامل عذرة وكفى من سئل هذا وارتعا وقوله عز وجل كلا انا خلقناهم
مما يعلمون ومتى فكر في هذه الكلية العاقل عقلا ورفكره واتبع حاله في تكبره هجم على عجايب من بدء
خلقه واخر امره ونظر الحسن الى ابن الاهتم خرج من المقصورة عليه حباب خز قد نضد بعضها فوق
لون فانفرج عنه القبا وهو يمشي يتبختر فقال الحسن اف اف شامخ بانفه ثان عطفه مصعر خده ينظر في
عطفيه يا احمق ابن تنظر في عطفيك في نعم غير مشكورة ولا هي غير مذكورة غير الماخوذ فيها بامر الله
ولا المؤدي منها حق الله يمشي احدكم يتخلج في مشيته تخلج المجنون لله في كل عضو منه نعمة وللشيطان
لعنة اللهم لا تجعلنا ممن يستعان بنعمتك على معصيتك فبلغ ذلك ابن الاهتم فدخل اليه يعتذر فقال
لا تعتذر الي ولكن تب الى ربك اما سمعت الله يقول ولا تمش في الارض مرحا ولو لم يكن في الاختيال الا انه
اذا اشبه مشية الغراب الاشام الانكد المستقذر الناعي تعيبه لطحل شيطم وشعب ملتيم
لكان في ذلك ما يدعو الى مقته والتبرؤ من صاحبه قال خلف الاحمر

لنا صاحب مولع بالخلاف * كثير الخطا قليل الصواب
الج لجاجا من الخنفساء * وازهى اذا ما مشى من غراب
وان ذكروا عنده عالما * رباه حسدا او رموه بعاب
وليس من العلم في كفه * اذا حصل العلم غير التراب

ومشية اخرى لبعض المتقربين او المتماوتين من طالبي التعديل وهو مقاربة الخطى من غير اختيال

وهي مكروهة ايضا فقد روي عن عائشة رضي الله عنها انها رات رجلا متماوتا فقالت ما هذا فقيل هو قارئ
فقالت اقرا منه عمر كان اذا مشى اسرع واذا تكلم اسمع واذا ضرب اوجع وفي الحديث انه صلى الله عليه
وسلم كان يسرع اذا مشى وفي اخر كان اذا مشى فكانما يمشي في صبب وفي خطبة علي عليه السلام
ايها الناس انا قد اصبحنا في دهر عنود وزمن كنود يعد فيه المحسن مسيئا ويزداد الظالم فيه عتوا
لا ننتفع بما علمنا ولا نسال عما جهلنا ولا نتخوف قارعة حتى تحل بنا فالناس على اربعة وذكر منهم رجلا
طامن من شخصه وقارب من خطوه وشمر من ثوبه يطلب الدنيا بالة الدين وجملة الامر في اللباس
ان الترفه عنه محظور والمعتبر في الترفه حال الاقران فقد يكون ترفها من المتوسط ما يكون وسطا
من غيره والتجمل باب والتقشف باب والتقشف ان نظر البذاذة وان لا يعود النفس الامارة بالسوء
الملحة اذا طالبت المناسبة الارضا الا بما سالت لئلا تعود تارة المضاجع ولذاذة المطاعم
والتقشف حسن وليه وفي الحديث البذاذة من الايمان وحدث زيد بن وهب قال رايت عمر بن
الخطاب رضي الله عنه خرج الى السوق وبيده الدرة وعليه ازار فيه اربع عشرة رقعة بعضها من ادم
وعوتب علي عليه السلام في ازار مرقوع فقال يقتدي بي المؤمن ويخشع له القلب وقال سعيد بن سويد
صلى بنا عمر بن عبد العزيز الجمعة ثم جلس وعليه قميص مرقوع الجيب من بين يديه ومن خلفه فقيل له
في ذلك فنكس مليا ثم رفع راسه فقال ان افضل القصد عند الجدة وافضل العفو عند القدرة
وعلى هذا فالتجمل من غير سرف افضل لمن كثرت نعم الله عنده وفي الحديث ان الله يحب اذا انعم على
العبد ان يرى اثرها عليه وفي الحديث ان عيسى عليه السلام قال ما لكم تاتوني وعليكم ثياب الرهبان
وقلوبكم قلوب الذئاب الضواري البسوا ثياب الملوك والينوا قلوبكم بالخشية وهذا التجمل الذي
قلناه هو اظهار الجمال في الهيئة والتانق في الشارة وهو يجري على العادة وايثار النظافة
من غير ان يجحف بالزهادة والعبادة فاما التجمل الذي قلناه هو ستر الخصاصة ومواراة الخلة
فكم فيه من كرم ومن نبل وعليه من ثواب واجر وما احسن قول البحتري

ولا عار ان زالت عن الحر نعمة * ولكن عارا ان يزول التجمل

وقال ابن الرومي

اصبحت بين خصاصة وتجمل * والحر بينهما يموت هزيلا
احمد حال ترشفت الليالي ماءها * ويحمل الحر فيه تحمل

وقد طال القول وانبسط في اصول هذا المجلس فلنرجع الى المقصود من فضل التواضع وذم التكبر و
الاسوة في التواضع والقدوة في التبذل سيد الاولين والاخرين كان يعود المريض ويشيع الجنائز
ويجيب دعوة المملوك وكان يركب الحمار الموكف ويعلف البعير ويقم البيت ويخصف النعل ويرقع الثوب
ويحلب الشاة وياكل مع الخادم ويطحن معه ويحمل بضاعته من السوق الى اهله وكان يكلم المستضعف

ويجالس الفقير ويجيب الى الكراع ويقبل الذراع ويلبس الخلق ويجلس على التراب ويقف على السائل العجوز فيطيل
مسايلتها ويحفى بها واذا سلم في اثنائها لم ينزع يده حتى يكون هو النازع واذا كلمه احد لم يعرض عنه
حتى يسكت فتركوه خلة من خلال كلما رغب عن سنته وعدل عن شيمته وسال الحسن رضه ابا هالة الخبر عن
صفة النبي صلى الله عليه وسلم في التواضع فقال يلبس الشملة ويجزي بالعلقة مع موفر صدورهم ابا جليسهم
في ابنيتهم نفوسهم وفي حديث آخر يخيط نعليه ويمشي هونا خافض الطرف نظره في الارض دون السماء يسس
اصحابه يمشي ورائهم ويبدا من لقيه بالسلام دمث ليس بالجافي ولا المهين يعظم النعم وان دقت لا يذم
منها شيئا لم يكن يذم ذواقا ولا يمدحه واذا غضب اعرض واشاح جل ضحكه التبسم ويفتر عن مثل حب الغمام
وفي حديث اهدي لجابيه هدية فلم يجد شيئا يضعه عليه فقال ضعه بالحضيض فانما انا عبد آكل كما ياكل
العبد وفي حديث خرج على صعدة وابى ان يجعلها حقا في اني يحمل عليها فوصف ابي قطيفة لم
يبق منها الا ذكرها ابي ظهرها وكان عمر بن عبد العزيز يكتب ليلة شيئا وعنده ضيف فكاد السراج
ينطفي فقال الضيف اصلح السراج فقال لا ليس من الكرم استخدام الضيف قال انبه الغلام قال لا هي
اول نومة نامها فقام الى البطة وجعل الدهن في المصباح فقال الضيف قمت بنفسك يا امير المؤمنين
فقال ذهبت وانا عمر ورجعت وانا عمر ودخل ابن السماك على الرشيد فادناه فقال يا امير المؤمنين
ان مثل اتاه الله جمالا في خلقته وجلالة في نسبه وفضلا في حاله فعف في جماله وواسى من ماله
وتواضع في جلاله كتب في ديوان الله من خاص الله فذكر ان الرشيد كتب هذا الكلام بيده واراد
المامون الوضوء للصلوة فبادر الغلمان الى خدمته وعنده القاضي يحيى بن اكثم فقال يا امير المؤمنين
ان الله خلقك ولم يشرك في خلقك احدا فان استطعت ان لا تشرك في عبادته احدا فافعل فكان
المامون بعد ذلك لا يستعين باحد في وضوء ولا صلوة وكان يستقي الوضوء بيده ويعزم الصلاة بيده
وراى علي عليه السلم رجلا طويلا يمشي الادوار في خلافته فسالوه عليه فقال

ما ضر للكامل في كماله ... ما جر من نفع الى عياله

وركب زيد بن ثابت فجاء ابن عباس ليأخذ بركابه فقال له مه يا ابن عم رسول الله فقال هكذا امرنا
ان نفعل بكبرائنا فقال زيد ارني يدك فاخرجها اليه فقبلها زيد وقال هكذا امرنا ان نفعل
باهل بيت رسولنا وفي كلام بعض اهل بيت الرسول عليهم السلام البخيل المتواضع احب الى الناس
من الجواد المتكبر ومن محنة ياسو اخراج البخل ويبقى اثرها الخلة الشح ويفضل وصيته ومحبته
وعلى هذا قوله تعالى وجل ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا فانه ان كان هذا
الود الذي في قلوب الناس فما احد احظى به من المتواضع الا ان يكون الود هو ان يوده الله تعالى
بان يصطفيه ويتولاه ويرضى افعاله ويفضل بصنوف الاكرام فما فضل احد منا بمودة الا انه

لما نقل من وجوه كثيرة انه هو الذي يورث ود الله ويورث الخلقة فكان المتواضع في نهاية وفور الحظ
من ودات الناس كان في ذلك دليل على انه لك من اشرف الاعمال الصالحة وايضا فالمحبة اقسام المحبة
التي يورثها الله التواضع لصاحبه في النفوس ولا اهنا ثمر انما يغرسه في القلوب وفي الجملة المحبات اربع
محبة على الدين كمحبة الصحابة النبي صلى الله عليه وسلم ومحبة للاصطناع وهي ما قال النبي صلى الله عليه وسلم
جبلت القلوب على حب من احسن اليها والثالثة المحبة للتواضع وسائرها المحبة على الاسباب المتعلقة
بالامور الدنياوية وهي لا حقائق لها وانما هي خدع في الرجوع وقلق على الالسنة ومخالفة ومداهنة
ومصانعة متعلقة بالرغبة والرهبة وجارية على حسب الحاجة وهي ترتد بالدبر والحال ومتغيرة
بانتقال الزمان قدم دهقان الاهواز على سعيد بن سالم بارمينية فاطال الحجابة اذن الناس
عامة فدخل في غمارهم فقال له اني لا اعرف قوما لو علموا انصفة للبيهم وقد اسلامهم لجعلوا مكة
لا زيارتهم ايثار اللفتنة يحجب علي بن رقوا حواشي ووالله اني لبعيد الوثبة بطي العطفة ولا يعطفني
عليك الا مثل ما يصرفني عنك ولان اكون مقلا مقربا احب الي من ان اكون مكثرا مبعدا والله
لا نسال عملا الا انضبطه ولا مالا الا ونحن اكثر منه وان هذا الذي صار في يدك فقد كان في يد
غيرك ووالله لقد اسيو احدا منا انحيز الخير او شر افقرا فحبب الى عباد الله بحسن البشر ولين الحجاب
وخفض الجناح فان حبهم موصول بحب الله وهم شهداء الله ولسنا ان فان تواضعت لهم احبوك فاحبك
الله وان تطاولت عليهم مقتوك فمقتك الله وقال بكر بن عبد الله اذا رايت اكبر منك فقل هو خير مني سبقني
بالاسلام والعمل الصالح واذا رايت اصغر منك فقل هو خير مني عصيت الله قبله واذا رايت مثلك فقل
هو خير مني اعرف من نفسي ما لا اعرف منه واذا رايت اخوانك يكرمونك فقل نعمة الله احدثوها واذا رايت
منهم تقصيرا فقل ذنب احدثته وكان عبد الملك بن مروان يقول افضل الناس من تواضع عن رفعة
وزهد عن قدرة وانصف عن قوة وقال ثلثة من احسن شي جود بغير ثواب ونصب لغير دنيا وتواضع
لغير ذل وكان يقال التواضع مع السخافة والبخل اجمل من السخاء والادب مع الكبر فيالك من نعمة مقت على
صاحبها سيئتين ومن سيئة حرمت صاحبها حسنتين وفي حكم العجم غاية الاحرار ان يلقوا بما يحبون
ويحرموا احب اليهم من ان يلقوا بما يكرهون ويعطوا انا نظر الى عليه صفت مثل النخل فارمنا وسئل
الفضيل عن التواضع فقال تخضع للحق وتنقاد له وتقبله من كل من سمعه وقال محفوظ بن محمود لا يرى
الخلق ميزانك ووزن نفسك بميزان المؤمنين لتعلم فضلهم وافلاسك وقال من ابصر محاسن نفسه ابتلي
بمساوي الناس فتكبر عليهم ومن ابصر عيوب نفسه سلم من رؤية مساوي الناس فتواضع لهم وسئل الجنيد
عن التواضع فقال خفض الجناح ولين الجانب عن الخشوع فقال الذل للقلوب لعلام الغيوب وقال
ابرهيم بن شيبان الشرف في التواضع والعز في التقوى والحرية في القناعة وكان سفيان الثوري يقول

امر الخلق عالم زاهد وفقيه صوفي وغني متواضع وفقير شاكر وشريف سني وكان محمد بن علي الحكيم يقول
من شرائط الخدام التواضع والاستسلام وقال عبد الله الرازي التواضع ترك التمييز في الخدمة وقال
احمد الحواري من رأى لنفسه قيمة لم يذق حلاوة الخدمة وكان الشبلي يقول ذلي عطل ذل اليهود وقال
ابو سليمان الداراني لو اجتمع الناس على ان يضعوني كاتضاعي عند نفسي لما قدروا عليه وقال
شعيب بن حرب بينا انا اطوف اذ لكزني انسان بمرفقه فاذا ابو الفضيل فقال يا ابا صالح ان كنت
تظن انه شهد الموسم شر مني ومنك فبئس ما ظننت وقال بعضهم من اقصا التواضع ان لا ترى لاحد
الى نفسك حاجة لا في الدين ولا في الدنيا وقيل التواضع هو الاستسلام للحق وترك الاعتراض على الحكم وقيل
الخشوع والانقياد للحق وقيل الخشوع قيام القلب بين يدي الحق بهم مجموع وقال محمد بن علي الترمذي الحكيم
الخاشع من خمدت نيران شهوته وسكن دخان صدره واشرق نور التعظيم في قلبه فماتت شهواته
في قلبه فخشعت جوارحه وقيل الخشوع ذبول القلب عند اطلاع الرب وعلى هذا رأى بعضهم رجلا
منقبض الظاهر منكسر الشاهد قد زوى منكبيه فقال يا فلان الخشوع ههنا واشار الى صدره لا ههنا
واشار الى منكبيه وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الرجل يعبث بلحيته في صلوته لو خشع قلبه
لخشعت جوارحه فالخاشع اذا قام بين يدي الله تعالى تمكن التثبت فيه حصل في الظاهر انتصب قلبه في الباطن
وكان يبصره في الظاهر حيث يقع من الحلقة على حد الخشوع فكذلك يحضر بصر قلبه الى المقام الذي
ان كان من اهل الرتبة والاقبال يتعبد وانما بصر الظاهر في مواقع الخلف فمن القائم بمكان موضع
ساجدا لوقعت جبهته على تلك البقعة ومن الراكع انما يقع ذلك على موضع القدمين ومن الساجد على موضع
السجدة منه ومن المتشهد على رأس ركبتيه وطرف فخذيه واما المراتب لذوي المراتب فالصديقون ابصار
قلوبهم حول العرش ودون العرش في الملكوت عند الله على اختلاف درجاتهم واما المتقرب الى من
اهل الدرجات فالمتعبد بيت العزة حيث استقر القرآن في وقت نزوله جملة في شهر رمضان في السماء الدنيا
ومن هنالك فعلو بانية من العبودية علوا او سفلا كما قد خلوا في الشاقين يوم اخرجهم من الاصلاب
علوا او سفلا وفيها هذه المنازل تخشع الجوارح في الصلوة واما خشوع العارفين فهي قشعريرة ترد على القلب
بغتة عند مفاجأة كشف الحقيقة وقريب منه الوجل الذي ذكره الله تعالى في قوله الذين اذا ذكر الله وجلت
قلوبهم ثم قال اولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة وكون الوجل في القلب كاحتراق السعفة
اي كما دلت طويلا وقال ابن الحنفية الايمان ذو ابانة واليقين خطرات وفي بعض الآثار اذا اعلمني يستجاب
لي وقال اذا اقشعر جلد عبدي ودخل قلبي وفاضت عيناه فانما هذه القشعريرة لنفوس لا يحتمل ما يرد على القلب
فتقشعر منه الجلود ومثل ذلك مثل حجرة لم يصبها الماء فاذا وضعتها في الماء اشتفت وسمعت لها انشيشا
واذا تكرر ذلك عليها لم يسمع لانها شربت وارتوت من الماء فكذلك قلب العارف فادنوه من شعاعه

فلزمها الخشوع والاخبات من غير ازعاج وانقطاع فقال ابو علي الجوزجاني النفس معجونة بالكبر والحرص
والحسد فمن اراد الله هلاكه منع منه التواضع والنصيحة والقناعة واذا اراد الله به خيرا فاذا هاجت
نار الحسد في نفسه ادركتها النصيحة مع توفيق الله واذا هاجت في نفسه نار الكبر ادركها التواضع مع
نصر الله واذا هاجت نار الحرص في نفسه ادركتها القناعة مع عون الله وعن عمر بن شيبة قال كنت بمكة
بين الصفا والمروة فرأيت رجلا راكبا بغلة وبين يديه غلمان فاذا هم يعنفون بالناس ثم عدت بعد حين
فدخلت بغداد فكنت على الجسر فاذا انا برجل حاف حاسر طويل الشعر فجعلت انظر اليه واتأمله فقال
لي ما لك تنظر الي فقلت له شبهتك برجل رأيته بمكة ووصفت له الصفة فقال انا ذاك الرجل فقلت
ما فعل الله بك فقال اني ترفعت في موضع يتواضع فيه الناس فوضعني الله حيث يترفع فيه الناس
وعن النوبختي قال كنت في دار المعتضد القائم بين يديه لانتظار الصلوة فرأيت زورقا فيها دنان
عليها مكتوب بالقار لطيف ولم يكن فيها من التجارة بعث لطيف فقلت للملاح ايش هذا
فقال ان في فضولي خمر المعتضد فقلت له اعطني ذلك المردي فقال للغلام اعطه حتى ننظر ايش
يعمل فصعدت الزورق ولم ازل اكسر الدنان حتى بقي واحد فامسكت فجاء
صاحب الزمع فاخذني وحملني الى المعتضد وكان سيفه قبل كلامه فلما وقعت عينيه علي قال من انت
قلت انا المحتسب قال من ولاك الاحتساب قال الذي ولاك الخلافة قال لم كسرت هذه الدنان قلت
شفقة عليك اذ لا تصل يدي الى دفع مكروه عنك قال فكيف تخلصت الواحد من بين الدنان قد
قلت فيه علة اخبرك بها امير المؤمنين اني لما تقدمت الى كسر الدنان فبت مطالبة الحق فلما وصلت
الى هذا الحجب نفسي فامسكت عنه ذلك ولو بقيت على الحال التي تقدمت وكانت الدنيا كلها
دنانا لكسرتها على اجرها فقال يا شيخ اخرج فقد ولينا الاحتساب فقلت اني كنت احتسب عن الله
فالساعة اكون شرطيا فقال سل حاجة فقلت اخرجني من ههنا سالما فامر بذلك واشترى عبد الله بن
محمد بن واسع جبة فقال له ابوه تدري بكم اشترى امك بثلثمائة درهم وابوك هذا الذي لا
اكثر الله في المسلمين مثله وانت تمشي هذه المشية وانشد

ايها الشيخ لذي الايام * نحن من طينة عليك السلام
انما هذه الحيوة متاع الدنيا * ومع الموت تستوي الاقدام

وهذا النوع مما ينفي العجب ويمنع الكبر وينقض من النخوة من حيث موجب الانسان الحيثية ابتداء
وفسادها بالموت انتهاء والانسان نوع من نفسه من الحال البرزخ على انه اذا من كان في ليل واقل من
قليل والله سبحانه وتعالى في قوله الحق قتل الانسان ما اكفره من اي شيء خلقه من نطفة خلقه
فقدره ثم السبيل يسره ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره اشار الى خلق الانسان في اول حاله

وآخر امره والى ما هما الوسط بينهما من حيوته فليتم في جميع ذلك النظر فيتفهم بحقيقة قوله جل وعز
انا اول الانسان هو انه لم يكن شيئا بل كان عدما محضا ومحوا صرفا ثم خلقه الله تعالى من تراب اذل
الاشيا ثم من الذي اقذرها ثم خلقه اطوارا انما هو في نجس منها الا وهو مترددا فيما بين احسن الاوصاف
من علقة ومضغة وعظام صاحبه ثم مكسوة لحما في غاية الضعف والرذايل حتى صار شيئا مذكورا
بعد انه لم يكن كذلك اذ كان في اول كونه على هذه الصورة لا يسمع ولا يبصر ولا يحس ولا يتحرك ولا
ينطق ولا يدرك ثم تحلى احالة في هذه الاحوال الغالبات بهذه الاطوار مترحلة بالاوزان عن عدم
وبالحيوة عن موته وبالقوة عن ضعف وبالهدى عن ضلال وبالقدرة عن عجز كما قال ثم السبيل يسره
وذلك هو جميع ما تيسر له من مقدمة حيوته من لدن خروجه من رحم الام الى بطن الارض فانظر الى قدرة
الله وحكمته كيف برع وصور والى السبيل كيف يسره والى الطغيان الانسان من الكفر والى جهل
الانسان كيف اظهره كما قال الله جل وعز اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين
ومن اياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن
شيئا مذكورا انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا فانظر الى
صنع الله كيف نقله من تلك الذلة والقلة والخساسة والقذارة الى هذه الرفعة والكرامة
فصار موجودا بعد العدم حيا بعد الموت ناطقا بعد البكم بصيرا بعد العمى قويا بعد الضعف عالما
بعد الجهل هاديا بعد الضلال قادرا بعد العجز غنيا بعد الفقر فخلقه اولا من العدم المحض
ثم من التراب الذليل ثم من الماء المهين ليعرف نفسه من حيث هو وكما له هذه الخصايص
العالية والمعاني الشريفة عليه ليعرف بربه من حيث هو ويتيقن جلاله وعظمته وقدرته
وحكمته كما قال عز وجل في ذكر ما انعم عليه من الاحوال الثواني بعد تلك المبادي الم نجعل له عينين
ولسانا وشفتين وهديناه النجدين وقال في الاحوال الاولى التي هي لمبادي الوجود الم يك نطفة
من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فنبهه بهذا على ما كان من نعمته عليه ثم قال فجعل
منه الزوجين الذكر والانثى ليدوم وجوده بالنوع اذ لم يمكن ان يدوم وجوده بالشخص فابقاه
بالتناسل وانسه بالتزاوج والتواصل ثم لم يتركه وما تم به واستوى سنه حتى يميل به الطغيان
ويهلكه العدوان بل طالبه بالرفق والالم والاوجاع والاسقام وجعله في ايدي الحدثان وعلى
معترك الامتحان والاحزان وبلاه بحجته الآفات المختلفة وطوع الطبايع المتضاده ان اخذته
العزة بالاثم قهرته الحاجة على الكظم وان ازدهاه الغنى من جانب صاح به الفقر من جانب وان جمح
به السرور تبوخ جمرته الهموم في مثله وان تخلو بالاستطالة في اسراف الصحة ايضا ضد
اسير الجوع والشبع منزع الجحط والرضا جنيب الخوف والرجا كارها النواء مكروه الرحيل مطلق

الطاهر

الطاهر محصور التقدير لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا حيوة ولا موتا ولا خيرا ولا شرا اقبل مستقبله
في غبار يدخل حولته مجاعة لم يعرف ما يجيء لا قلبه يملك ولا نفسه تضبط نفسه يكون فلا يريد ويريد فلا يكون
يكره ما ينفعه ولا يدريه ويؤثر ما يهلكه ولا يبقيه عبد مملوك لا يقدر على شيء من نفسه ومن غيره
ولا يمنع من شيء مما اجبره على مصيره الى بلا جمع ما ذهب ويوخذ منه كل ما اعطى كما قال عز من قايل ثم اماته
فاقبره مسلوب الروح محروب السمع والبصر منهوب القوى والقدر جمادا لا يحس ولا يبين جيفة قذرة كما كان في ابتدا
امره نطفة مذرة يتقاتل على ما فيه وجمه بنات الارض حتى يتحلل جميعا في بطن الديدان من الاكل والماكول
يصير آخر الامر ترابا يعمل منه الكيزان ويداس تحت ارجل الحيوان

خلقت من التراب فصرت شخصا ۞ تنادي بالفصيح من الخطاب
وعدت الى التراب فصرت فيه ۞ كانك ما برحت من التراب

ثم من بعد ذلك كله يجمع اجزاوه المتفرقة ويولف اشلاوه المستهلكة ويعاد اليه روحه المحفوظ عنه
في يوم سماوه منشقة وارضه مبدلة وينشر له صحيفة اعماله فيقرا ما فيه واحصاه الله فيقول يا
ويلنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها وذلك يوم ... وهذه آخر حاله والمراد بقوله
ثم اذا شاء انشره فاذا كان هذا هو المبدا والى هذا هو المنتهى فمن اين يعجب الانسان ويزهى ويتمادى ويتيه ويتهور
ايسكر وكانه ما انزعج للفنا ولا ادبرت لاهل الفنا ابطرة البال ما انخ الا الاسفل ولا حيط الا الاعلى

ما بال من اوله نطفة ۞ وجيفة آخره يفخر
اصبح لا يملك تقديم ما ۞ يرجو ولا تاخير ما يحذر
واصبح الامر الى غيره ۞ في كل ما يقضي وما يقدر
للموت ابناء الم ما ثبت ۞ من سلفه وسنه
فكانني بالموت قد دارت رحاه على بنيه ۞ يا مستحيلا للكتابة ومستطيلا كما ونية
اقصر من التيه على الناس ۞ لا بد من التيه على التيه

آخر

اذا المرء لم يرض ما امكنه ۞ ولم يات من فعله احسنه
واعجبه العجب فاقتاده ۞ وتاه به التيه فاستحسنه
فدعه فقد ساء تدبيره ۞ سيضحك يوما ويبكي سنه
ايا من نخوة حقيقتها ۞ حمق وبالكبر قد تلقبها
سوى بين السرو والسيادة ۞ من نخوتها مجدها ومنصبها

وقول هذا القايل ان حقيقة النخوة حمق صحيح معقول ومنه قول بعض الحكما ما تكبر الا تابع ولذلك
قال بعضهم حين سئل ما الكبر فقال فضل حمق لم يدر صاحبه اين يضعه فجعله كبرا وايضا فان من

رسوم البيت لا نعيضا وحكم العقل من الامور الدينية والعقلية ان يستحي بالجميل ولكن الحجور الغالب على ما يضا
حكم العقل في اسباب العشرة وابواب المعاملة من جانب ان يكون اكبر جهلا من وجه وحمقا من وجه جهلا لا يدعو له
في الظلم ولم يجهل بحال الناس ابتداء وانتهاء وحمقا من جهة انه من حظه من المودات بما تزينه الشيطان
عند السليم عليه ثم الامر كي يتوق ويكبر به وجهه ويحدث جوابه ونحو ذلك من يسير ما يضطرب به
المتكبر في اللقاء ويعرض للمقت والبغضاء نحو ما وصفه ابو العتاهية من حال من زار

اني ابتعد السلام تكلفا متي وحضا ... صدرت عني نخوة وتجبرا ولو بت شدقا
فلو انه نزفي فحيك الطالبات الدهر رزقا ... وقال خليل الجاهلية ارا في لا الاثمة
اراه مضيعا حقي وان الحق لازمه ... احب اليه حتى ما انقضا الحمد خادمه ... كذا من السلطانة ومن كرمه
فلم احمل اليهما ولكني مصارمه ... وقالت ربت محال عظيم التيه في عقد العلامه
ان بين الحجب النزلفضلا وعلامه ... ما انا الا الذي يعاف لدى خليلي كما يراني
لست ادري ما ملكت طرفي ... مكان من لا يراني ... وقيل معنى هو الجيد
واني لاستحي الجان ارى له ... علي من الفضل الذي لا يرى ليا
معنى بيت ابي العتاهية وانه لا يحمل نيته اجنبه ويابى ان يرى له فضلا لا يرى هو لهذا مثله ولكن
هذا هو الظلم بعينه لان الفضل لا يجب ان يرى لوجوده حيث وجد ولا يجري فيه المجازاة فالمعنى
الصحيح اني استحي ان لا اجازي اخي عن فضله واحسانه فيكون له عندي احسان لم يجز عنه مثل
ذلك ومما انشد في التواضع وحسن الخلق مع الاخوان وخفض الجناح لهم قول عبد الله بن طاهر

اميل مع الذمام على ابن عمي ... واحمل للصديق على الشقيق
وان الفيتني ملكا مطاعا ... فانك واجدي عبد الصديق
آخر ... واني لعبد الضيف ما دام ثاويا ... وما في الا تلك من شيمة العبد
ابو تمام ... جم التواضع والدنيا بسوددها ... يكاد يهتز من اطرافها صلفا
البحتري ... دنوت تواضعا وعلوت قدرا ... فشاناك ارتفاع واتضاع
كذاك الشمس تبعد ان تسامى ... ويدنو الضوء منها والشعاع
وقد عرضت لك الدنيا مرارا ... مراتب كلهنها تخدعنا
فارفع التصفح منك طرفا ... ولا ملت بانخداعك الضياع
وقال ... اسوة للصديق يدنو اليه ... ... محله في النبل عالي رفيع
واذا ما الكريم لم يتواضع ... للاخلاء فهو عين الوضيع
وقال ... حري بالتواضع في خلة ... له نتجت من قلوب الورى

نعم خلة

نعم خلة قد احلت هواه ... لعمرك من كل قلب حمى
هوى كل قلب لها لحمة ... وما هو منتدبه فيها سدى
فيا كسوة من وداد النفوس ... عليها طراز جميل الثنا
ويا كسوة صان رب الحجا ... حواشيها عن دبيب البلى
تجددها احسن احدوثه ... ولا يسها طمع للثرى
وقال يوصف المهدي بغاية الكرم في التواضع عن خلق وان الخلافة وعزها لم يغيرا ما كان يعتاده
من ذلك فالخلق الاصيل هو الذي لا يتغير بتغير الاحوال ويستوي مع الاقبال ويتم الكمال فقال

سرت تتبع الخلافة رغبة ... بادي قصدها واعتمادها
فاعلقت حيطا غاشية الدجى ... وكنتها اختارته بعد ارتيادها
وما نقلت منه الخلافة شيمة ... وقد سكنت منه من قيادها
ولا ما لات الدنيا بحين الرقت ... له في ثنايا حسنها واحتشادها
وقد ذكر البحتري ايضا التواضع مع المهابة والجمع بينهما من شرف الخلائق فقال
اقرت له ابن جوده وسماحه ... ظهور علينا الجنبي وتبابع
بجل الجلالة وبكبر هيبة ... اصيل الحجا فيه تقى وتواضع
ومثله ... مهيب لعمري في الصدور محبب ... ومن لك يوما بالمهيب المحبب ... ومن جيد
الكبر قول الشاعر ... والعز من عز ذي المال حتى يقال لي ... قد احدثت هذا نخوة وتعظما
وما بي كبر عن صديق ولا اخ ... ولكنه فعلي اذا كنت معدما
ومما يحكي في زهو العرب بعزهم وتيه المشهورين وكبرهم مما حدث ابراهيم بن سلم ان رجلا قال للحجاج لما
ابتنى خضرا واسط اصلح الله الامير كيف بنيت مدينتك في الحجر وتركت الفرية من ودح الجبل ومواهبه
واسعد من حزونته مع توسطه المصرين وقربه من النهرين دجلة والفرات ولكني لو ادركت اربعة من اهل
العراق ونفر تبا الى الله بدمائهم لم ابن في شيء حرج اي حيثم اما احدهم فابو سمان تام الاسدي فانه
ناقة له ندت فطلبها بكل حيلة فاعيته فقال اما وعظمت ان لم تحبسها علي لاعبدتك طرفه
عين ابدا فمرت الناقة بشجرة فتناولت منها فعلق خطامها بالشجرة فادركها فلما اخذها قال اما والله
لقد علم ان عيني كانت عبر اما والله لو ادركته لما استبقيته واما الاخر فعوف بن معقل بن سعيد
بن زرارة التميمي فانه مر بامرأة فقالت مسترشدة له يا عبد الله الطريق فقال لها انا بعيد وزيرها
انف الحجبات ان يكون عبد الله اما والله لو ادركته ما استبقيته واما الثالث فغافل بن مسلم فانه
ولي اصفهان فانه بما له عند عساو سما لا فلما اصبح جعل الابرة في طريق من طرقها الا فوز له باد البحر

وقام الناس يثنون عليه ويدعون له فالتفت الى رجل بشاره فقال له مثل هذا فليعمل العاملون يريد ما

الله وتبشيره بالجنة اما والله لو ادركته لما استبقيته واما الرابع فعبيد الله بن ظبيان شكى اليه قومه في

بعض امورهم فاجابهم جوابا جافيا فقال رجل منهم كثر الله فينا امثالك فقال والله لقد كلفت ربك شططا

انك عدو الله الذي خلقه لا يحب مثلي ولو ادركته ما استبقيته فقال القوم هلا رأى الامير اجل **وذكر** معوية قال

قدم علقمة بن وائل الحضرمي على النبي صلى الله عليه وسلم فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان انطلق الى منزل

رجل من الانصار انزل له عليه وكان منزله في اقصى المدينة فانطلقت معه وهو على ناقة له وانا امشي معه في وقع

الحر وليس على حذاء فقلت له احملني يا عم من هذا الحر الذي قد شواني قال لست من اردف الملوك قلت اني ابن

ابي سفيان قال قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره ذلك قلت فالق الي نعليك قال لا اتقلهما [illegible]

ولكن امش في ظل ناقتي ولبئس لك كثير وكفاك بها شرفا قال معوية فاتى يوم مثل ذلك اليوم وقد ادرك سلطاني

ثم اوليته بل اجلسته معي على سريري وهذا نوع من الكبر السخيف والوضيع وذلك على من له شرف وذكر وعبيد الله

بن ظبيان الذي ذكرناه في حديث الحجاج من مشهوري اهل الكبر وهو قاتل مصعب وحمل راسه الى عبد

الملك فسجد عبد الملك شكرا لله فكان عبيد الله يقول ليتني قتلته حين سجد فاكون قد قتلت ملكي العرب في

ساعة وله كبر سخيف ومستفحش سوى ما ذكرناه **وما** يحكى انه لما قتل مصعبا واحتز راسه اتى

فقال الحقوني فقالوا الا تأمر الى الاشتر فاستعدها ومن سخيف كبره ما كان من كلامه وقد دخل على

عبد الملك وكان الناس يقولون في عبيد الله انه لا يشبه اباه فذكر ذلك لعبد الملك في وجوههم فقال

انه لا يشبه اباه من لا تنجبه الاحلام ولم يولد لتمام ولم ينشف الاخوال انا الاقام نعرض بعبد الملك وكان قد

ولد لستة اشهر فقال عبد الملك ومن ذلك فقال سويد وكان حاضرا فقال عبد الملك اكذلك يا سويد بن

منجوف فقال ان الناس ليقولون ذلك فلما خرجا قال له عبيد الله ما يسرني بمقالتك حمر النعم فقال سويد وما

يسرني لك لو انك قلتها ولي سودها **ومن** سخيف كبره انه لما احتضر قال له ابنه يا ابت الامير زياد ابو روح الى عليك

فاوصيك فقال يا ابت اذا لم يكن الحي الا وصية الميت فالحي هو الميت **وراس** المتكبرين في الاسلام **ابو مسلم**

تكبر على منصور لما قدم عليه يقبل ابو واستخف به فاشيا او عرض بالخلافة وتمثل

واقتر من واد الاراقم ماجد ... صلت الجبين معاودا الاقدام

خلع الملوك وسار تحت لوائه ... شجر العرى وعراعر الاقوام

فما زال به تكبره حتى اورطه وما زال الخلفاء بنو امية وبنو العباس موصوفين بالكبر والتجبر الا ضامر الخلفاء

الراشد الى عمر بن عبد العزيز فانه سار منهم بالسيرة الجميلة وكذلك المهتدي بن الواثق وتواضع الملوك

ليس من جنس تواضع العامة ولا تواضع العلماء وكذلك الملك اذا ادعى السيرة المعروفة للملوك في رهبته وتجبره

سمي تياها وقد اشتهر بهذه السمة من خلفاء بني امية عبد الملك وابنه الوليد وقد ذكر المنصور ذلك لما ذكر

ذكر خلفائهم

خلفاءهم فقال الحرون شاعر ما عاب سليمان بامر بطنه ونهمه وعاب بني بانه نشا طوا العون ثم فضل هشاما

على القوم بالحزم وكان اشد الجبابرة من الكبر الوليد بن عبد الملك وكان اعمى ما يا ليته ولذلك ترحل منه التواضع حتى

نقل حجر المدينة بعد نقصانه العظيمة بنقل اليه وسعه عمر بن عبد العزيز فاقبل الى المسجد الاعظم سعيد بن المسيب

قال الحاجب هذا به وذكر عمر انه كان يحب الوليد من جانبه شوقا ان يمر بسعيد عليه فيقول له فقال ذلك الشيخ فقال

هو سعيد بن المسيب لو علم بامير المؤمنين لقام اليه فقال ولكنا نمشي اليه وسلم عليه فلم يزل الشيخ حتى قام على راس

سعيد فسلم عليه وساله فلم يقم له فكان عمر بن عبد العزيز في حاجته فنقول لولا الذي تجبر الوليد لسعيد

حتى مشى اليه ما كان ركب او يفعل بسعيد هذا من اكبر التخفف بل لم يكن كبرا في التحقيق وانما كان تعرضا للاقة

وتهاونا بالذين من الدنيا **وكان** يحيى بن معاذ يقول التكبر على من تكبر عليك بماله تواضع **وقال** بشر

بن الحارث [illegible] الدنيا [illegible] السلام عليهم [illegible] بني العباس [illegible] الهادي وقد وسم الرشيد

بذلك ايضا العزت الطعون في [illegible] كبار ولم يكن من [illegible] وتكبر من الحق الا ما كان من فعله بالرجل

الذي قام اليه وهو يخطب **فانشد** نزلت باقوام خماص بطونهم ... وانت بطين والرعية جوع

تقوم اذا ما قمت تنفخ خطبة ... ترجع فيها والمدامع تدمع

كانك صياد تفيض دموعه ... من العين والصياد يغري ويطمع

تخرق بالاطماع من غير ذي حمى ... وعيناه من برد العشيات تدمع

وقد وسم الرشيد بذلك ايضا والمعتضد من ساقتهم وبعضهم ما ثنوا على كبره واخبار المشهورين من

وزرائهم بالتيه كثيرة والاشتغال بذكرها اطالة وقد ذكرنا في التفسير الكبير المعنون بالتفصيل والتاء

في عين مواضع ما في الكبر والعجب ما ادى الى الهلاك وما في التواضع والخشوع من الخير والفلاح والفوز والنجاح

ويقول فيما فاضطفهما فما يكون الا ان تكبر فيهما الا له ظاهرة [illegible] الاحط للاعز ورفع الدرجات انما

يكون بالتكبر وانه واجب على كل ذي منزلة رفيعة ان يتفوق عليها حتى لا يسقط منها وذلك [illegible]

التواضع واعتياد الرفق هذا مما اجمع على قبوله العقل والشرع واتفق الاعتبار والاخبار وكم من ابناء

لهم منازل رفيعة نال اخفظوا منها بهذا الخلق المذموم وكم غني امتع بسبب التواضع وما من احد يحب

رداء الكبرياء الا اذله الله ومقته الناس ولعنوه ولمام ابليس لعنه الله فالتحق لعنة الله ونار الابد

وعمل خطايا لبنيه لاهم الا بالكبر وكذلك في قصة صالح وما انبأنا الله من حال قوم الكافرين للمؤمنين في

قوله قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه

قالوا انا بما ارسل به مؤمنون قال الذين استكبروا انا بالذي آمنتم به كافرون الى آخر القصة فلا دلالة اظهر

على ذم الاستكبار في كل نوع من الاحوال وان العبد لا يتقرب الى الله بشيء هو احب اليه من التواضع لقبول

الحق ولهذا لا يتعرض اليه بشيء هو ابغض وامقت من الاستكبار وينبغي ان يعتقد ان من آلة الادب وقف

الخبر ان يتواضع الانسان لربه الذي خلقه وقسم عمره ورزقه فقدر لوالديه اللذين رباه صغيرا ولاستاذه
الذي علمه وهداه كبيرا ثم لجميع الناس على العموم وخاصة في قبول الحق وفي استشعار التقصير منه
على الاطلاق فان الانسان اذا وقف على هذه الحقيقة في معرفة نفسه واستصغار قدره استحق الاعظام
والاكرام من غيره والارتضاء بجميل افعاله وحاز الوداد واقبلت القلوب اليه بالمحبة والوجوه بالملاحظة
والبهجة وفي بعض الخطب التقوى حصن حصين والهوى مهاد مكين والخير معقل منيع والصدق مرتع
مريع والعلم اجمل ما تقلد والحلم من اوضح المراتب والتواضع لا يحسد الامر [illegible] فوق الفضايل والكبر
لا يحضر الامر دناءة الشمايل سأل سائل من اذل الناس فقال الفقير المطوع والضعيف النزيل على اللئيم المنوع
والمحب الحبيبه والمريض الطبيبه ثم قال هذا لسان الهزل واما لسان الجد فمن اذل من اوله نطفة مذرة
وآخره جيفة قذرة والزمع لبه المحيز ولا تقبل منه المعذرة سلط عليه الذباب والقمل في حوته
واكل الدود [illegible] وفاته لا يدري في [illegible] رحل والى اين نقل وما به فعل وحكي عن بعض الصالحين فقال
كن من الشيطان كالعربي يعترضه كلب راعي فيفزع الى الراعي فان الشيطان لن يدفع الانسان تسعا وتسعين
بابا من الخير حتى يصطاده في باب من الشر [illegible] فان دعاك الى الدنيا فقل هي فانية
وان دعاك الى الشهوات فقل هي ندامة وان دعاك الى الكبر فقابله بمعرفة اصلك وقل عظمك تراب
صلصال وحماء مسنون [illegible] فان دعاك الى العجب فقل كيف اعجب بما ليس مني انما هو فيوض منعم
والعجب ممن يعجب بعمله ولا يدري بما يختم له العجوع في [illegible] والشبع اسرى ومن وقع العلل والموت
[illegible] لا بقا المزيد له طمع ولا طمع لمن يستخفه هلع ولا غنى لمن يخالطه طغيان ولا فقر لمن يعارضه
احزان ولا اجلاء لمن يغالبها بطر ولا بغية لمن يحاولها خطر ولا راحة لمن يمازجها اذى ولا صفو
لمن يشيبها قذى ⁂ وكيف تتم نفس في مسرتها ⁂ ولا مسرة لم يحفف باحزان ⁂
⁂ وكيف يخلص حال العز من اذى وقذى ⁂ وقد احاط بعد الامن بخسان ⁂
ان من عرف مقداره لم يعد اطواره ومن وقف دون قدره يرفع الله من امره ومن اراد الارتفاع
فليخفض الجناح ومن احب الاعزاز فليرفع الجناح ومن اراد الكرامة من الله والمحبة من الناس فليوقر
كل كبير ولا يحقر الصغير ولا اختيال على البائس الفقير ولا تزدري عن المضطر الاسير ثم لا تعبط
بما عنده فرحا ولا تمش على الارض مرحا ⁂ ⁂ ⁂ ⁂ ⁂ ⁂ ⁂
⁂ ولا تمش فوق الارض الا تواضعا ⁂ فكم تحتها قوم هم منك ارفع ⁂
⁂ فان كنت في عز وحرز ومنعة ⁂ فكم تحتها قوم هم منك امنع ⁂

المجلس السابع والثمانون من كتاب خلق الانسان تبيين قول الله عز وجل وفي انفسكم افلا تبصرون يتضمن التنبيه على ما في الانفس من الحيا والوفا ⁂

⁂ بسم الله الرحمن الرحيم ⁂

هو الملك الحق المبين ⁂ ذو البطش الشديد والكيد المتين ⁂ محيي العظام وهي رميم ⁂ ومنبت النبات من
هشيم لا يحتاج في تمييزه الى معين ⁂ ولا يعترضه في ملكه بغرور ⁂ يعلم الظواهر الامور كما يعلم البواطن المستورة ⁂
يغفر الذنوب ⁂ ويستر العيوب ⁂ ويعيث المكروب ⁂ ويعين المحروب ⁂ لا تحده بنواظرها العيون ⁂ ولا تكيفه خواطر
الظنون ⁂ عزه لا يزول ⁂ وحوله لا يحول ⁂ يرجع راجيه على القبول ⁂ ويصل داعيه بالسؤل ⁂ تطيب بثنائه
القلوب ⁂ ويهون على اولياته الخطوب ⁂ لا يعزب عن علمه ⁂ وسع كل شي حكمه ⁂ واحصى كل شي كتابا به ⁂ وبلغ كل شي
حسابه ⁂ لا تدركه الحواس الاوهام ⁂ ولا تطمع في تصوره الافهام ⁂ لا يعتريه طوارق الحدثان ⁂ ولا تعتريه نظائر
الاكوان ⁂ لا انتقاد لقدرته ⁂ ولا مشيئ لعظمته ⁂ ولا مرد لقضائه ⁂ ولا استعداد من بلائه ⁂ ولا اجر الا منه ⁂ ولا
فضل الا من لديه ⁂ ولا ملجأ الا اليه ⁂ ولا عول الا عليه ⁂ نطق الناطق والساكت ⁂ وشهد الصامت والصابت
على ان ازمة الامور بيديه ⁂ وان رجوع الاشياء اليه ⁂ لا خلقها وامرها ⁂ ولا يخفى عليه سرها وجهرها ⁂ يحكم ما
يشاء ⁂ ويفعل ما يريد ⁂ يبتدئنا بالنعم تفضل ابتداء ⁂ ونشهد ان سيدنا ومولانا محمدا عبده من خلقه بالقوة كبرياء
وانه من مشكاته بالعروة الوثقى ⁂ حتى المحجة لعوال العالم باحسنى ⁂ واتبع الغراء منهاجا المثنى ⁂ واهتدى به ضحى الاخرى
شهودا وحيا ⁂ وانار به الخلق سبلا مبينا ⁂ وختم الانبياء صلى الله عليه وعلى آله الذين رفعوا اعلام الاسلام ⁂ وشيدوا
كرامة ⁂ ووصلوا ارحام الايمان ⁂ وحفظوا الاله ⁂ وسلم تسليما ⁂ قال بعض العلماء ان الحياء على اربعة اوجه
حياء الجناية كآدم عليه السلام نودي افرارا منا قال بل حياء منك وروى بعض الصالحين صلى خارج المسجد فقيل
له لم لا تدخل المسجد فتصلي فيه فقال استحي ان ادخل بيته وقد عصيته وحياء التقصير كالملائكة يقولون
سبحانك ما عبدناك حق عبادتك ⁂ وقال بعضهم ربما صليت فانصرف منها وانا بمنزلة من ينصرف عن السرقة
من الحيا وكان الجنيد يقول الحياء رؤية الآلاء ورؤية التقصير تتولد بينهما حالة تسمى الحياء وانشد
⁂ لولا الحيا وانا الستر من شيمي ⁂ اذا اقتدرت اليك الدهر لم اقم ⁂
⁂ البر عندك تكرار للتي جعلت ⁂ ما ابعض من قاد سل الدار كالحمم ⁂
وحياء الاجلال وذلك كحياء اسرافيل يتغطى بجناحيه حياء وحتى يصير من الحياء كالوصع وهو طائر كالعصفور
يكون ومن هنا يقال ان الحياء يوجب التذويب ويقال الحياء ذوبان الحشا لاطلاع المولى ⁂
⁂ وقد كنت قبل الحب انثى ⁂ ذلول الايام الزمان جنيب ⁂
⁂ فاشرفت يوما في اليفاع فشاقني ⁂ وذو الشوق في اعلى اليفاع طروب ⁂
⁂ فابرحت نفسي ساقط الفنا ⁂ ويحملها عني الحيا ويذوب ⁂
⁂ والمست في حال الرجا وبا عدت ⁂ لي النفس حاجات وهن قريب ⁂
وحياء الكرم وذلك كما استحى النبي صلى الله عليه وسلم من صحابته ان يقول اخرجوا وقد كانوا يريدون

يطول حديثهم فقال الله تعالى فلا تسافرون الحديث ومن ذلك قوله تمشي على استحيآء قال ما استحيى لانها دعته الى الضيافة وصفة الضيف اذا كان كريما الاستحياء ومنه قوله تعالى فيما اخبر عنه رسوله صلى الله عليه وسلم الشيب نور من انواري وانا استحيي ان احرق نوري بناري وكان يحيى بن معاذ يا اخذ اللحية البيضا ويا لي سبحان من يذنب العبد ويستحيي هو وانشد

فلو لوا وخلوا ها دبين على ابنا ‫ ‫ لم يعش منهن محرما

حيا وما اغتنى الدوائر منهم ‫ ‫ ولكن جبينا عفة وتكرما

آخر

في وجهه روضة الحسن مونقة ‫ ‫ ما جال في مثلها طرف ولا سرحا

ظل الحيا واقف عليه ابدا ‫ ‫ كا للولو الرطب لو رقته سجا

وجرا اذا ما بعث للناس سنته ‫ ‫ كانت محاسنه حولا لم سبحا

انا الزعيم بكحول لغرته ‫ ‫ الا ترى بعدها بوسا ولا ترحا

آخر

يمتد باع الى الصحيفة وجهه ‫ ‫ لحري على الخدين ما احيابه

يبيك دونه فيتوه من قسره ‫ ‫ والسيف يرفع عنقه في مابه

وقيل ان الحيا مقسوم بين اربعة اشيآء النفس وحيا من العصيان اذ كان ظالما لربى من الرحمن قال الله تعالى ما يكون من نجوى ثلثة الا هو رابعهم ويروى ان شابا على عهد عمر رضه دعته امراة الى نفسها فلما قد عليها استحيى من الله فغشى عليه فحمل الى منزله فبقي اياما يا سوخا ثم مات وجا عمر الى قبره فقال ولمن خاف مقام ربه جنتان فتنح اعطاكهما الله وقيل اشد الحيا حيا النفس من قلة الحيا يوم كشف الغطا ‫ ‫ اليوم يكشف القناع المسبل ‫ ‫ ليس التحمل كل حين يحمل

اليوم لا يرفع عزي ذبلي ‫ ‫ ليلي نهاري ونهاري ليلي

ليلي نهاري سهادا ‫ ‫ ونهاري ليلي سوادا ‫ ‫ والثاني حيا الروح وذلك من كثرة الاحسان قال الله تعالى واحسن كما احسن الله اليك وقال في تفسيره عز وجل والمستغفرين بالاسحار ان ذلك الحيآ من عيوب الطاعات وما كان من القيام بالليل ويروى ان الله تعالى يعاتب عبدا من عباده فيقول العبد يا رب ذهب الى عذابك فان عذابك اهون من عتابك وسئل الشبلي اي الاعمال افضل فقال اذا المحاسن للاقتادلها ‫ ‫ كانت ذنوبي فقل لي كيف اعتذر

ناني مع الركبان ظن ظننته ‫ ‫ لففت له راسي حيا من المجد

ارض السنابل الخضوع والتقارقة نبا عضاضة الاعتنا

فاستعد بهما فبئس المقامات لاهل الحيآ والاحطا

والثالث حيا العقل وهو من الشيبان وذلك كما حكى الله عن قوم قولهم قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت

بصيرا قال كذلك اتتك اياتنا فنسيتها ‫ ‫ تا بيت عدي لا اجيء حوقي ‫ ‫ وخالفنا ابري واستطيب عقوقي

وماذا لا اني سهم نضرة ‫ ‫ نحو العدى يصلي بجوك فوقي

ولا حبروا قمن الخلق ونقا ‫ ‫ على انني ما اخلفتك بروقي

والرابع حيا السر من الالتفات الى كل من على وجه الارض خاطب الله الخاص فقال الم تر الى ربك كيف مد الظل ثم قال فليعبدوا رب هذا البيت وخاطب العلم فقال وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وقال افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت فكم بين من ينظر الى ربه وبين من ينظر الى غيره وقال في غار الحزين قل الله ثم ذرهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر لا تحزن ان الله معنا وقال موسى عليه السلم كلا ان معي ربي سيهدين وحكى بعضهم قال خرجنا ليلة فمررنا بالجبل فاذا رجل نايم وفرسه عند راسه يرعى فحركناه وقلنا له اما تخاف تنام في مسبعة فرفع راسه وقال انا استحيي منه ان اخاف غيره

رمت بطرفي يمنة ثم يسرة ‫ ‫ فلم ار غير الله ما سلا قلبي

واني لاستحيي ربك الذي ارى ‫ ‫ لربي ان ارجو واخشى سوى ربي ‫ ‫ وقال بعض

شعر الجاهلية

اني لاستحيي من الله ان ارى ‫ ‫ الطوف بحبل ليس فيه بعير

وان اسال المرا اللئيم بعيره ‫ ‫ وبعران ربي في البلاد كثير

فليل انا واي الليل حكمه ‫ ‫ والشمس ان غابت على نزور

عوى الذيب فاستانست بالذيب اذ عوى ‫ ‫ وصوت انسان فكدت اطير

راى الله اني للانيس لشانئ ‫ ‫ وتبغضهم لي مقلة وضمير

وربما زاد حيآء السر على الالتفات الى الغير واوجب الحيا من الاقبال على الحبيب والنظر اليه كما قال بعضهم من قرطبة الطلالي

اردت سوالم الطرف عنك وما له ‫ ‫ على احد الا اليك طريق

يستحيي الوصل ايامنا الاولى ‫ ‫ مرون علينا والزمان ورتق

تتوق اليك النفس ثم اردها ‫ ‫ حيآء ومثلي بالحيآء حقيق

على كل حال استحيك وانني ‫ ‫ وان طارس قلبي اليك فريق

وقد جاء في الحيا من الاخبار والاثار حديث بان عليه النور وانبا بالحق واستخلص من التقوى محمولك الا ذوالنا انه ويدلك على الصلاح والتسديد ويعد من النار وقفت للعمل بسعادة في الباطن وجمال في الظاهر وعدة في الحجاب وعدة في النايبات وهو قوله صلى الله عليه وسلم الايمان الحيا ولا حسب كالتواضع ولا شرف كالعلم ولا مال اعود من العقل ولا وحدة اوحش من العجب ولا عقل كالتدبير ولا كرم كالتقوى ولا قرين كحسن الخلق ولا ميراث كالادب ولا فايدة كالتوفيق ولا تجارة كالعمل الصالح ولا ربح كثواب الله ولا ورع كالوقوف عند الشبهة ولا زهد كالزهد في الحرام ولا علم كالتفكر ولا عبادة كادا الفرايض ولا مظاهرة اوثق من المشورة واحفظ الراي

وما تحوي البطن وما وعا واذكر الموت وطول البلى وذكر بعض الصالحين القرون الماضية والاسلاف الخالية
وقال تعامل القرون الاول فيما بينهم بالدين حتى رق الدين ثم تعامل القرن الثاني بالوفا حتى ذهب الوفا
ثم تعامل القرن الثالث بالمروة حتى ذهبت المروة ثم تعامل القرن الرابع بالحيا حتى ذهب الحيا ثم صار الناس يتعاملون
بالرغبة والرهبة وكتب عمر بن عبد العزيز الى الحسن البصري يعظه ويسأله فكتب اليه الحسن اما بعد فانه من كان
من اصحابي يريد الدنيا فلا حاجة لك فيه ومن كان يريد الاخرة فلا حاجة له فيما قبلك ولكن عليك بذوي
الاحساب فانهم ان لم يتقوا استحيوا وان لم يستحيوا تكرموا وقال صاحب المنطق من لم يستحي من نفسه ولم يستحي
من الناس ولا تقوى لنفسه عند نفسه وقال من الحيا ترك التجني والجبن عن الملز القلوب وقال الحيا نوع
من التخلف عن الجميل وهو بالاخرى ان حسن واحسن منه الا تفعل ما يستحى منه وامساكه عند وجوبه في غاية
القبح وقال الصحيحان فاعلاهما ان تصبر عما يوجب الغم في العاقبة واعلم انهما ان فاتا فيها احملك عن دونك
والصدق وصفان فاعظمهما صدقك فيما يضرك والوفا وفيان فاسناهما وفاوك لمن لا ترجوه ولا تخافه
والحيا حيان فاولاهما ان لا تفعل ما تستحي منه وقال الجنيد معنى الحيا من الله حصر القلب عن الانبساط
والانتشار من ظنونه لا يرضاها الله وعلامة المستحي انه لا يرى في مكان يستحي من مثله وقال حقيقة الحيا
من الله حسن المراقبة في السر والعلانية وقال الحيا يمنع من كل ما يحتاج ان يعتذر منه ومن كل ما
اذا غاب علمه عن غيرك احتشمت فكف ونفضه وقيل له بماذا ينال الحيا فقال بان يتكلم بما يحمد في الذي اثره
ويطيب عند الكشف خبره وكان يقول الا انا الحيا من قلوب الاوليا سرور الخدمة وتوسل الحيا عن
لسان المذنبين عن الخطية وقال ابو عثمان الحارثي من تكلم في الحيا ولا يستحي من الله فيما
تكلم فيه فهو مستدرج ودخل الحسن الحداد على عبد الله بن مبارك فقال له عبد الله من اين فقال
من مجلس ابي القسم قال فيما اذا كان يتكلم قال في الحيا فقال عبد الله واعجباه لمن لم يستحي من الله كيف
يتكلم في الحيا وقال الحب ينطق والحيا يسكت والخوف يقلق وانشد

ويغض عن معاتبتي حياء ۞ وان لسانه السيف الصقيل

املت عتابه عتبا وظلما فدع ثم قال كما يقول

سوى العتاب له من قبل رؤيته ۞ فان رآه فدمع العين منسكب
لا يستطيع كلاما حين نصره ۞ كل اللسان ودون القلب ملتهب

وحدثنا ابو القسم الدمشقي قال كنت واقفا يوما على حلقة الشبلي فجعل يبكي ولا يتكلم فلما طال قال الرجل
يا ابا بكر ما هذا البكا كله فانشا يقول ۞ اذا عاتبته او عاتبوه ۞ شكا فعلي وعدد سيئاتي

ايا من دهره غضب وسخط ۞ اما احسنت يوما في حياتي

ثم قال الا من تلك ما احسنت يوما في حيوتي فقال بعضهم احيوا الحيا بمجالسة من يستحى منه وقال محمد

بن معاذ

بن معاذ دم على الصفا ان كنت تطمع في الوفا والزم الحيا ان كنت ترغب في العطا وكان عمرو المكي يقول
واحزناه من عهد لم يقترن له بوفاء ومن خلوة لم تصحب بحياء ومن مسئلة ما الصواب فيها اعتنا ومن
ايام تنقضي ويبقى كانه فيها ابدا ۞ وكان معروف الكرخي يقول حقيقة الوفا افاقة السر عن رقدة
الغفلات وحقيقة الحيا فراغ الهم عن فضول الافات وقال محمد بن الفضل الحيا يتولد من النظر
الى احسان المحسن ومن النظر الى الجفا الذي تلاه مع المحسن

تبين بنا البلوى بحسن جهودنا ۞ نحن من البلوى التي نحن
واني لاستحيي لها من فعالها ۞ كاني في البلوى التي انا اخون

ويحكى ان معروفا الكرخي كان خاله والي البلد فدخل معروف يوما خربة وسمع عفيفا في الخربة
وقال كان ياكل لقمة ويلقي الى الكلب لقمة فدخل خاله بباب الخربة مع حشمه وتجمل فاخبر حال معروف وتحقق
عليه فقال الماء تستحي ان تاكل الكلاب فالتفت معروف الى الطاير فاتاه الطاير فسقط على يديه وغطى عينيه
بجناحيه فتحجب خاله من حاله وقال هذا حيث الخزي ثم قال هكذا يعود فلما يلبث يعني بالا غطى عينيه
بجناحيه فقال معروف استحيت من الله فاستحي من كل شي هذا من الحيا الذي يدعو الى الصدق
والاعراض وحمل على النقص والاعتماض وقد ذكره الاعرابي المهري في شعره فقال

وقد زعم الواشون الا احبكم ۞ بلى وستور الله ذات المحارم
اصدوا وما الصدود الذي تعلمونه ۞ من ابنا الا اجتناع العلائم
حيا وبقيا ان تشيع نميمة ۞ بنا وبكم اف لاهل النمايم
وان دما اودعتمونيه حبه ۞ على الحي جاني مثله غير نايم
اما انه لولا الهوى لعثت له ۞ صدور القنا بالراعفات اللهاذم
ولكنه والله مادام مسلما ۞ كبيض الثنايا واضحات المباسم
اذا من ساقطن الاحاديث للفتى ۞ سقوط حصى المرجان من كف ناظم
رمين فاقصدن القلوب ولا ترى ۞ دما مايرا الا جرى في الحيازم

ومن الحكايات في الغدر والوفا والحيا والقحة لما ايقن مروان بن محمد بزوال ملكه قال لعبد الحميد
الكاتب انك قد تحتاج الى هولاء القوم لكون ذلك سببا للمعذرة سابقة وليطلبني على ان كاتب علمت
بي في يوم قد تصدهم عن بعض التدبير ببعض الراي وتحفظ عنا بعض بعدي ولكن معك ابو العفو
مولاي فانه خادم جلد فقال عبد الحميد ۞ اسر وفا واظهر غدرة ۞ فاني بعذر يوسع الناس ظاهره
ويقال ان ابا العفو فقال ذلك وان عبد الحميد قال صدق والله يا امير المؤمنين الكون غادر السريرة
واني العلانية لاجملني في ذلك وليس كما انت وقيل ان عبد الحميد انشد ايضا

فلو بي ظاهر لاشك فيه ۞ للائمة وعذري بالمغيب ۞

ولما خلا المأمون ببوران بنت الحسن بن سهل قال الحافظ فيه فغنت ۞

جعلتك مشتكى حزني ۞ ومعتمدي على الزمن ۞ وجدتك خاليا غدرا ۞ فيا اسفي على بدني

تربيعا كان من غنى المأمون بالفضل بن سهل فقال المأمون قد كنت عن هذا غنيا لولا اشقائي

ويحكى ان جعفر بن يحيى ابتاع غلاما روميا فاستحسن خدمته وتأمله فرأى فيه مخايل النجابة فخلا به
يوما فسأله عن كونه من الروم وعن ابيه وامه وما كان من قصتهم فاخبره الغلام ان امه اخبرته انها
كانت للملك خرج بها البحر بطارقته فلما ام ابو لقيها اعلمته انها حامل من الملك فرفعها الى الملك
فقال لها ويحك ان رزقها على هين او الافات الناس ان هذا الولد عنك ولان يكون عندك مستورا
الي احب من ان يكون عندي مشهورا اليك فوقف جعفر على صحة خبره وتوسم فيه فراسة الملوك فاخلع
له موذنين فيع ونفذ حتى جعل جعفر على خاصة اموره وجعله اقرب الخلق من خدمته فلم يزل عنده
هذا الرسم الى ان حل بهم ما حل وبلغ الرشيد خبر هذا الغلام ودعا به فرضيه واصطفاه لنفسه ووعده
ان يجعله نديما بعد ان جعفر وتمكنت منه الغلام تمكنا شديدا وبينا الغلام ذات يوم يسير في موكبه
اذ بصر من بعيد بابن الفضل بن يحيى في نفر وريا خلقين وبغل رقيقة فلما غابه ابن الفضل خا
عن الطريق ليدخل سكة يتوارى فيها الى ان يجوز الغلام ورآه الغلام على تلك الحال فتحير او نم اسره
نزل بنفسه عن دابته وعدا مسرعا اليه وانكب عليه يقبله وقبل راسه وحمل يده على دابته التي كان
عليها وامر غلاما من غلمانه ان يعدو خلفه فلا يرجع الدابة فقبل ورجع اليه فاخبره انه وجده في حجرة
ضيقة مع والدته وهما في حال وشرب بيدي سوء حال فبكى بكاء شديدا وامر بحمل مال كثير اليه من ذلك
الغلام فبلغ الخبر الرشيد فدعا الغلام وهو مغضب فقال له نزلت عن دابتك لبعض ولد اعدائي وفعلت كيت وكيت
فقال يا امير المؤمنين اينفعني الصدق قال بلى قال افاقول قال قل ما شئت قال قد علم امير المؤمنين ان جعفرا
ملكني وانا عبد جليب لا قدر لي الا ما اشتري من العبيد فكان من نعمته على ان صيرني في من الفهم والمعرفة
والادب بحاله بلغت بها خدمتك وامرنت بجميل البك فتلومني على الوفا الرجل اهلي هذا المحل منك
ان ازيل الي من بعض دوابه وهو محق لبينها فقال له الرشيد كلاما اغرورقت عيناه ثم قال والله لولا انا جاوزنا
لك في اعطاء هؤلاء القوم رحمنا لهم الا ما ضمن الله به فتم اليمن بنيتهم فضي طيهم فان يحمل مالا عظيما
الى الفضل والحيدمنهم يا ابن العشرة الى الحرمان الا فيه قال له ابلغ هؤلاء القوم انهم امنون على انفسهم و
اشعارهم وابشارهم فيتنتشروا في ارض الله ويبا الون فضله وبلغ الرشيد ان يحيى بن معاذ رحمه الله
وجد الحرمن الى يحيى بن خالد بمال يسر اولئك ان يتعهد امورهم من له بعد النكبة وبعث الى عيال الدمعا احتاجوا
اليه من الدقيق والفقه والكسوة فبعث اليه فاتاه فقال له يا يحيى كيف انما انت قال كالماء البارد العذب للعطشان

الورود

الورود وكانوا الدالحرب على الولد المطيع قال وهم ان الله ما شكرت ما ابديت على ما ذلك قال يا مولاي يا سيدي
قال لم وجهت الى آل برمك باموال ينفقونها وكسوة يتجملون بها وقد تملك اطفالهم وجذبت اصولهم
واعربت جلودهم فقال يا امير المؤمنين انهم كانوا الي محسنين وبي بارين ولي مكرمين وانما
اعدو في يوم حاجتهم فاحببت ان اشكر كثير ما كان منهم بقليل ما كان عندي وتوجهت الى عيالاتهم من
الدقيق وما اشبهه مما اوعدوا به فقال وكيف شكرتم يا امير المؤمنين وما في من لي علو ولا دانية
ولا مملوك الا وهم اولوه وهو لهم دون زوجتي والله ان احرى ليشترين جارية اهداها لي الفضل وان دابتي
التي هي بباب امير المؤمنين الساعة لمن دواب الفضل والله يا امير المؤمنين لقد بلغ خوفك وايثار
طاعتك اني لا اوجه الى احد من رجالهم بالسلام ولا امر حاجة ولا اعزيهما ولا اعودهم وتركت ايتامهم نيام
والفقراء من الاذنين لي ولا محجة عليه واني والله يا امير المؤمنين من الوفاء لهم على هذا بحيث ما ان رح
اسبيح لمكلمة الا وبوددي ان اوثرهم به وما لا افعله من ذلك لغضب امير المؤمنين لينار العذر على الوفا
والفعل الخسيس على الفعل الجميل فقال الرشيد جزاك الله من الوفاء خيرا فقد فعلت ما سره في به وما
كنت اعوليه فكم ما اليهم من المال في هذه المدة فقال والله ما احصيت ذلك وما القوم عندي
من اوجب الاحسان عليهم وان اكثر ما وجهت اليهم لا تتوالي استلفتها من التجار فقال الرشيد هذا الحجاب لك
احسن الله اليك وامتع امير المؤمنين بك ومن كلام يحيى كان الناس يعيشون في بسط الشمس وعرت عنهم
فعاشوا ابنوا القمر اعني الوفاء ثم هاموا في ظلمات البر والبحر يعني الجهل وقلة الحيا فلا خير لعضل الدوا
واشكل الداء وغلبت الحيرة وفقد المرشد وقل المسترشد والله المستعان وقال بعض الحكماء استحيوا
من الله عن مقارفة الذنوب ومن السلطين عما ينكر القلوب فثمرة الاستحيا من الله النجاة من النار وبركة
الاستحيا من الناس النجاة من العار واذا لم تستح فاصنع ما شئت وقل ما شئت وذهب محامد في
الحيا وطارت برقته مع العفا ومقت الناس طول الزعل عليهم ودام حزنه من احتقاره لديهم وكم من محارم
صار الحيا لحماها وكم من جرم احصنا الحيا دون هواها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
زيادة شهوة النساء على الرجال بزيادة العقل ان خصن الاخادم ولكن الله صانهن بزيادة حيائهن
وقيل للشعبي ما احسن ما قيل الامثلة فقال ارى حمرة الحياء في وجه المرأة احسن من ذلك والنشد

في مرثية امراة ۞ يا بان صدري على تلك امواهه ۞ ارتقت في الترتيب والمكر ۞

۞ ماء شبابي ونعمة من حياء ۞ بما ذاك الحيا والخفر ۞

وقال آخر ۞ يا بدوتم بنيسابور مطلعه ۞ ومن جودي لاهل الفضل شرعه ۞

۞ سقيت باعين ماء فيه اربعة ۞ من المياه وخير الماء انفعه ۞

۞ ماء الخلوة وماء الوجه يتبعه ۞ ماء الشباب وماء الورد يشفعه ۞

ومما انشد في الحياء
اذا قل ماء الوجه قل حياؤه ❊ ولا خير في وجه اذا قل ماؤه
حياءك فاحفظه عليك فانما ❊ يدل على فضل الكريم حياؤه

وقال في بعض الخطب التقوى هي الامام العادل لسيرته والعلم الهادي بدلالته والطاعة ظلها مديد والعبادة ركنها شديد والشكر مجد لكل مستبصر والصبر مفزع كل مستجير والعدل حكم لا يجور والحق ينصاع لا يبور وليس في ربا احسان يوم سبيل وما على المحسنين من سبيل والايمان لا ينبع في العدول عن الحيا والمروة لا تنفسخ في الاخلال بالوفا والغادر خاسر لدينه غبين والخائن ظالم لنفسه مبين وما بعد الغدر سوى الوبال وما بعد الحق الا الضلال وحسب والي فاضلا اجماع الناس على استحسانه وكفى بالغدر عيبا اطباقهم على استهجانه
اذا اقتسما قبايل المعالي ❊ وفضت بين اخلاق وصفاء
فحظ الاسود وما يليه ❊ لحسن العهد منها والوفاء

ومن خطبة اخرى لما تزدادون على الايام الا اصرارا على الاثام اما تنبهون من المنام اضغاث احلام كالاحلام تميلون الى دار المحن ميل الاذن الى السامر وتعطفون على مناخ البين عطف الجنى على الناظر فلا حيا من بنو الصنيع ولو لحظ طرفه ولا وفا عقوق الدين ولو بحرفه لا اعتدال بانحلال امري وظاهره ولا استوا في غايب وجهه وحاضره كان الوفا مقطوع حبله اذ لم يكن الانصاف معدوما اهله كان العهد لم يحمل الا بالاعلاق وان لم يكن الطلاع مجبولا الا على الاختلاق كان الصدق طارد به فحشا العقاب والعهد دون وجوده شيب الغراب كان المعروف اوصدت عليه الباب والوفا ارخيت دونه الحجاب
ذهب التكرم والوفا من الورى ❊ وتصرما الا من الاشعار
لم يبق الا حاسدا وشامت ❊ اوراغب لا يستحي من عار

فتعالوا نقف على اطلال الواقفين في ودهم في غامضة وندمع على ربوع الموفين بعهدهم في خواء خاليه وعلوا ابنا في عمل الالت نجتوا على الثرابين الاحرار الاكرمين ونعمل على الحسنا الاعاديث دوا في مرثية الافاضل المحسنين فيكم سعوا لين ونندبهم متوالين

تعالين فاتدبن الوفا فهو هالك ❊ وساعدتنا ام العهد فهو ثكول
تخلل عن العلياء فهو معطل ❊ وودع عنك كرم الفضل فهو منقول

وكان ابو القسم الدمشقي ينشد في خلو او جمع
قالت قبيل الصبح ليل عتر جوا ❊ زموا المطي وحملوا الاحمالا
وقفوا على شرف الذي يجمعنا ❊ بكى الحبيب وندب الاطلالا
وصلوا المسير فيكب فيض دموعنا ❊ وخذوا الفلاة وجنبوا الاميالا
ان الطريق سوى الطريق سلكتم ❊ فدعوا الموينا واركبوا الاهوالا

وكتب عبد الملك بن صالح الهاشمي يقدمه من الحبس ومال الحسين الخادم ايصالها الى الرشيد وبينها
اخلائي بي بجو وليس بكم بجو ❊ وكل امرئ عن بجو صاحبه خلو
من اي نواحي الارض ابغي وفاءكم ❊ وانتم اناس ما لمرضاتكم نحو
تزالون مما عشتم علينا بجفوة ❊ فحبل الوفا بيني وبينكم رخو
فلا احسن ان تانيه تقبلونه ❊ ولا ان اسا ما كان عندكم عفو

وفي دعا بعضهم قال اللهم نفق سوق الوفا فقد كسدت واصلح قلوب الناس فقد فسدت ولا تمني حتى يبور الجهل كما بار العقل ويموت العقل كما مات العلم لكن عباد الله المخلصين شعارهم الحيا ودثارهم الوفا يتعجبون من الله على خالص الاعمال ويودبون المسيئين حبا بالافعال دون الاقوال لا ياخذون انفسهم بادوم الادب لتاديب الناس ولا يستانسون باحد سوى الله مع كثرة الاناس لا يوذون احدا ويحملون الاذى ويتوبون من كل احديه الى الفدى يرجعون الى الله في وقت الامتحان ولا يبتزون عند المصايب في مربع الاحزان اولئك الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون اولئك الذين هم انصار الله واولئك هم المفلحون تم المجلس

المجلس الثالث والثمانون من كتاب خلق الانسان ففي قول الله عز وجل وفي انفسكم افلا تبصرون في بيان ما خلقه الله عز وجل في الانفس من الخوف والرجا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي يعمي بحاله الى الحسنات ويكف خوفه عن السيئات ويهدي مراقبه الى الفوز والنجاة وعز من اصطفاه بحضن عنايته وحمد من طفر بهدايته وافلح من فاز بولايته عز من فاز بالبر والتقاة الطافح على البر والتقاة وبعث الرجا وبعث الخوف وقد بعث الطامع على البر والتقاة من ناحية الرجا ويبوق الشدة من نيته الرجا ويطلع الخوف من نية وعطاياه وسعد من كرمه بصدق رعايته من نعماه الطفه ويمكن من هو في عبادة ارافه وبقي وقع الياس ومانع الفرج وقد اشتد الياس يعمل ما هو من نعاه ومن لطبب منتجع لا يبلغ شكره المقصر والمطنب ولا يحصى ثناؤه فضله الوارد من لعده مترع ويعطي كرما الذين من لطيف متجع لا يبلغ شكرا على اعقابها والطف المقصد والمنتجع على مجاب فتح من ابوابها ويسر من اسبابها وشكره على مجاذر وقاعا على اعقابها في قل الطافها وانسابها ونصلي على محمد عبده ورسوله من هو في خلقه وصفوته الزاهر بنور الله نبوته الذي تمد يعرف المنتطعة ويجعل بيرات الانبياء اليه واظهر كلمته بين المشارق والمغارب واوطا عقبه الاتقاء على اربع مراتب ودر العواقب فصلى الله عليه وعلى اله المهاجرين والانصار اولي الايدي والابصار الذي من كان مغلوبا على حوفه وهو سوط الله يقوم بالشاردين عن بابه ويسير بهم على صراط الحق بسقيم بامر من كان مغلوبا على رشده ويكل الهوى بصره وقاصر عليه باستعمال الهوينا ومن علا استطول البكا وقصر الامل وخشية وهو سلخ القلب بر يبصر ما فيه من الحيط الشر ولجام العقل كبح النفس عن الجور والاثم ومن علاتها داود ولم الى الرغبة في البر والعلا

ولا يكون لهذه دوما الامر حلم وافر ومعرفة وافية كما قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وهيبة ق
سلطانها سلطان لا يسكن الا في كل قلب منيب اواب ولا يلم الا بساحة كل مصطلح تواب حتى يحل بها فارقت الحية
قلبا الا حزن ومن علاماتها الهجر على باب العفو وطول السهر تحت سحاب اللطف والعطا ومطالعة الشهوات من النفس
ورهبة وفي اضطراب في وجهه المرتاب الهارب حرب مثل جند وجذب صاحبه بحرب ابد التوقع
المتوزع مع مجاري اوصافه ومن اوصافها وعلاماتها تحرك القلب الى الانقباض من واصل ومريد وانزعاجه
من انبساطه حتى انه يكاد ان يبلغ الرهابة في الباطن مع ظهور الكمود والكآبة على الظاهر سئل الشبلي لم تصفر
الشمس عند الغروب فقال لانها عزلت عن وطنها فاصفرت من هيبة الزوال وانشد

لما آذنوا للرحيل وقربوا ... بزل الجمال الطية وذهاب
كاد الاسى يقضي عليك صبابة ... والوجه منك لبين الفك كاب
لما اجدوا للرحيل وقربوا ... ابلهم وجفون عيني تدمع
كتبت اليه على شقائق خدها ... سطرا من العبرات ماذا تصنع
فاجبتها بلسان دمع ناطق ... ما في الخضوع مع الفراق مطمع

ثم المشايخ تكلموا في الخوف على مقدار مقاماتهم قال ابو حفص وجه الخايف الذي تخوفه المخوفات وقال ابن
جلا الخايف الذي تامن منه المخوفات والقولان صحيحان لان الذي يخاف المخوفات هو الذي غلب عليه الخوف فصار
خوفه لله فيخافه كل شيء كما قيل من خاف الله خافه كل شيء ونظيره خبر عمر في فرار الشيطان من ظله والذي تامن
المخوفات من افاطه المخاوف فلم تحف فيها الغيبة عنها بمشاهدة الله ومن غاب عن الاشياء غاب
عنه ونظيره خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم في فرار الشيطان منه في صلوته حتى لم ... وقال ابو القاسم
الحكيم كل خايف اذا خاف من شيء من الاشياء هرب منه ومن خاف الله هرب اليه وقال الثوري الخايف يهرب
من ربه فقال ابو سليمان الداراني اذا سكن الخوف القلب احرق الشهوة وطرد عنه الغفلة وسئل حمدون القصار
عن طريق الملامة وهو الذي اشتهر منه مذهب الملامتية فقال الخوف للقدرية ورجاء للرجية وقال عبد الله
الانطاكي خلو القلوب من ذكر الله فصارت مساكن الشهوات فلا تخرج الشهوات منها الا خوف مزعج او شوق
مقلق وقال الواسطي الخوف والرجاء زمامان على النفوس لئلا تخرج الى رعوناتها وقال الواسطي اذا ظهر الحق على السراير لا يبقى فيها فضلة لرجاء ولا خوف ومعناه ان الخوف والرجا
من بقايا الاحساس بالاحكام البشرية واوصاف الانانية ولا يبقى شيء من الاثار اذا ملكت شواهد الحق الاسرار
وقال ايضا الخوف والرجاء حجابان بين الحق والعبد ومعناه ان الخايف يطالع الوقت الثاني اما في الدنيا
واما في الاخرة وابناء الوقت لا يطالعون المستقبل وحسنات الابرار سيئات المقربين وانوار الصادقين ظلم
حق الصديقين وقال عمرو بن عثمان المكي العلم قايد والخوف سايق والنفس حرون بين ذلك جموح خداعة
رواغة واحذرها وراعها بسياسة العلم وسقها بتهديد الخوف تقطع مفازة الآفات وتصل الى دار الكرامة

وقال ابو علي الجوزجاني ثلاثة اشياء من عقد التوحيد الخوف والرجاء والمحبة فزيادة الخوف من ترك الذنوب
لرؤية الوعيد وزيادة الرجاء من اكتساب الخير لرؤية الوعد وزيادة المحبة من كثرة الذكر لرؤية المنة فالخايف لا
يستريح من الهرب والراجي لا يهدأ من الطلب والمحب لا يصبر عن ذكر من احب فالخوف نار والرجاء نور والمحبة نور الانوار
وقال بعض المشايخ الخوف سوط الله يقوم به انفسا قد تعودت سوء الادب ومتى اساءت الجوارح الادب فذلك من
غفلة القلب وظلمة السر وقال سفيان ان خفت من جوارحك احسد الله عليك بايتها شئت فذلك وقال ابن السماك خف الله
كانك لم تطعه وارج الله كانك لم تعصه وقال ابو سليمان اذا سكن القلب الخوف احرق الشهوة وطرد عنه الغفلة وقال
محمد بن الفضل العلم ثلث علم بالله وعلم من الله وعلم مع الله العلم بالله هو المعرفة به وبصفاته ونعوته وما يلم به العبد من الشرك
والتشبيه والعلم من الله علم الشرايع والاحكام والحلال والحرام وساير ما تضمنه الكتاب الحكيم والعلم مع الله هو علم
الخوف والرجاء والتوكل والرضا والمحبة والشوق وقال محمد بن علي الحكيم رحمه الله ما ملكت القلوب بمثل الخشية و
ملوك النفوس بمثل التقوى وسئل هل يخاف المحب قال يخاف فوت العاقبة قال يخاف فوت خوفه هو لمن يكون
كالخطرات في ظلمي قال الله الحبيب ان يكدر عليهم سنته ويغير عليهم نعمته وقال ذو النون قلت لعليم اني تمت
محزونا فقال ما طال حزني منه صرت محزونا الخوف فزاده وانشد عقيبة لا اك

قالوا اجننت بمن تهوى فقلت لهم ... ما لذة العيش الا للمجانين
لو ان ما بي على الصخر لانحله ... فكيف يحمله خلق من الطين

وقيل لزيد بن علي ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم انا نرى فقيرا استغنى وغنيا افتقر وشجاعا يجبن
وطفلا احتلم وحلوا امر سبيلها خارجة عن العادة فكيف قال ياخذ في كل حال الحذر من
حال الى حال وكان بعض المشايخ يقول كل احد يخاف من الخاتمة وانا اخاف من السابقة ان الحكم الازلي لا يتبدل
لا يتغير وما كتب عليك فيما سبق الان الا كمن يبيع ما [illegible] لتجارة فتعقبت انواره
ظهرت ثماره فلم ينتفع [illegible] فامسوا على حسرة وامسوا على خلة قال الله تعالى
امرنا ليلا او نهارا فجعلناها حصيدا كان لم تغن بالامس وهكذا كم من انسان ظهرت عليه اثار السعادة و
انبعث لانوار الارادة فلم يبرح حتى خانت الكدورة صفاه وصحيف الكون ضياه قال الله تعالى وبدا لهم من الله ما
لم يكونوا يحتسبون وقال هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون
صنعا

احسنت ظنك بالايام اذ حسنت ... ولم تخف سوء ما ياتي به القدر
وسالمتك الليالي فاغتررت بها ... وعند صفو الليالي يحدث الكدر
ودع جيراننا ولم يتفقوا ... ولا على ذي صبابة عطفوا
كم كبد قطعوا ببينهم ... وكم دموع عليهم تكف
كانهم لم يجاوروك ولم ... تعزبهم والوصال موتلف

والدهر اني والدار جامعة ... والعيش غض والرسل مختلف

وقابلة والدمع سكب مبادر ... وقد شرقت بالماء منها المحاجر

وقد ابصرت حمان من بعد انسها ... ومنها المغاني موحشات دوائر

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا ... انيس ولم يسمر بمكة سامر

فقلت لها والقلب مني كأنما ... تقلبه بين الجناحين طائر

بلى نحن كنا اهلها فازالنا ... صروف الليالي والجدود العواثر

فيا نفس لا تفني اسى واذكري الاسى ... فدونك عينا ان تزول الدوائر

ومن حكايات الخائفين ما روي عن عطاء قال قلت لفاطمة بنت عبد الملك بن مروان زوجة عمر بن عبد العزيز اخبريني عن عمر قالت افعل ولو كان حيا لما فعلت ان عمر رحمه الله كان قد فرغ للمسلمين نفسه ولامورهم ذهنه فكان اذا امسى مساء لم يفرغ فيه من حوائج يومه دعا بسراجه الذي كان يسرج له من ماله ثم صلى ركعتين ثم اقعى واضعا راسه على يديه فتهوي الشهقة يكاد ينصدع لها قلبه او تخرج لها نفسه حتى يرى الصبح فيصبح صائما فحزنت منه يوما فقلت يا امير المؤمنين اليس كان منك ما كان قال اجل فعليك بشانك وخليني وشاني فقلت اني ارجو ان اتعظ فقال اذا اخبرك اني نظرت فوجدتني قد وليت امر هذه الامة احمرها واسودها ثم ذكرت الفقير الجائع والضعيف الضائع والاسير المقهور وذا المال القليل والعيال الكثير والغريب السائل من الحجا واشباه من في اقاصي البلاد واطراف الارض فعلمت ان الله سائلي عنهم وان رسول الله صلى الله عليه وسلم حجيجي فيهم لا يقبل الله مني فيهم معذرة ولا تقوم لي مع رسول الله حجة فرحمت والله نفسي رحمة دمعت لها عيني ووجع لها قلبي فحال بين جنبي والرقاد فانا كلما ازددت ذكرا ازددت خوفا فاتعظي او دعي وعن ابن عباس انه كان رجل ممن كان قبلكم عبد الله ثمانين سنة فاخطأ خطيئة فخاف على نفسه فجاء الى الغار فقال ايها الغار فيك الاموال الكثيرة والانهار المطردة فهل فيك مكان يواريني من ربي فاجابه الغار والله ما في شيء الا يسبح الله تعالى ملك موكل به فكيف اواريك يا هذا عن الله ثم اتى البحر العظيم بما فيه الكثير حيتانه فقال هل فيك مكان يواريني عن الله فاجابه ما في من الاسماك الا موكل به فكيف اواريك عن الله فاتى الجبال وقال مثل ذلك فاجيب بجوابه فقام يتعبد حتى حضره الموت فبكى وقال يا رب اجمع بيني في الارواح وحسبي في الاجساد ولا تبعثني يوم القيامة وانشد

فلو انا اذا متنا تركنا ... لكان الموت راحة كل حي

ولكنا اذا متنا بعثنا ... ونسأل بعده عن كل شي

وحدث ابن السماك قال اتيت البصرة اسأل عن عابدها الخاشعين فقيل هاهنا لتراك كاشف الضنى او المهنا الى باب دارها فخرجت عجوز فقال لها الناس هذا محمد بن السماك متكلم اهل الكوفة وهو يحب ان يلقاك فقصدنا الباب فدخلنا عليها بابا صحن العيم فاذا عابدة في موضع مصلاه عليها ذراعة صوف على كبيرة فسلمنا عليها فردت السلام فقال لها صاحبي هذا ابن السماك وهو متكلم اهل الكوفة فتكلم بكلام يسمعنا منك

فجثا على ركبتيه وقال ان لهذا الخلق عندي مقاما قال ابن السماك فبرز الينا ثم ضرب صيحة وسقط على الارض وذهب عقله فانتظرناه الى العصر فلم يفق فقال صاحبي فر بنا الى الحيه فتوجهنا اليه فدخلنا على شاب في منزل حاله ان الوجرة واذا اثر العبادة عليه ابين من صاحبه فقال له صاحبي هذا ابن السماك فتكلم بكلام يسمعنا منك فقال الجوير حرز ان لهذا الخلق عندي مقاما قال ابن السماك ثم برز لي ثم فاضطرب نفسه وخرجت روحه فاقمنا حتى غسلناه ودفناه وحدث مالك بن دينار قال خرجت في بعض طرقات البصرة لاعود رجلا فاستقبلني رجل معه حمل حطب فقال يا شيخ الطريق فالتصقت بالحائط وكان على ذلك الحائط جناح فتقطر علي من الجناح قطرة بلل فناديت يا اهل الدار هذا الماء نظيف فاشرفت علي جارية سوداء فقالت يا شيخ والله ما اصابك من ركبة ولا نجس فقلت ما هو قالت دمعة امرأة منذ اربعين سنة تبكي خوفا من الله حلت حتى الساعة من الجناح وان الناس غادين ورائحين تفزع قلبها ليوم الجموع والمقام المشهود وطلبها العفو فبكيت فسألت عنها ويوما قلت من قبلي قالت ابعد فقلت ادخلي الى عليها فاذنت لي فصعدت اليها جالسة باكية قد بدت آثار الدموع اخاديد في خديها وسئل هذا ما يحكي ان بعض اصحاب عطا الخراساني سال عن قطرات من عينه واصابت بعض المائدة فقال الطاهر ابن حزن هل يؤكل منه فناداه عطاء من داخل الدار الجدة وانتم عن ذلك تولدك فانه اسيل من دمعة صديق بكت لعبد عاصي لربه هذا ما حضر في الخوف وما حضر في البكاء من ذلك سأل محمد بن صبيح عمر بن ذر ايهما العجب البكاء طول أكد بين الخوف ام ارسال الدمع على الخد فقال ابن ذر تلك اذا ازدفر شيء وسلى فاذا اكد في عشي فخجا اتكلك العجب لي وحدث احمد بن سليمان فقال ابكيت يوما مرة بعض الافعى يرى الحسن بن وهب يبكي فنهاه ابي بعض من حضر فقال الحبيبي ابلته فنا اتعمقاني البكاء لان الحزن تسهيل وهو اذا انت تأملته حزن على الخد بن محلول وانشد وتمنيت ان اراك فلما ما بكا

نمت دمعتي السرور فلم املك البكا ... ثم انشد يقول

نجلت عيني ان تفيض بمسوما ... ولعينا الصاحبت بالسرور هموما

وردني الى العذول بما يعذلني ... وعليا الا ترى العذول رحيما

فشفاني بنظرة لا ابالي ... ابنا انا سكنتها ام جحيما

كيف صبر على المقام بدار لا ارى ... من هويت فيها مقيما

وقدم الرشيد المدينة في حجة قضاها كاتبه منصور بن علي مع يحيى بن خالد البرمكي فقال له معبد عند عيسى ودوه حواري فوضع عليهما اكثر من ستين جارية لبس فيهن واحدة تصلح فروي لمن علا لا طرب انسله في الارض حسنا وجمالا وشكلا ودلالا فقلت هذا البيع قال نعم وهو كاتب حاجب يغني مطرب فقلت ما ثمنه قال ثمانية الاف درهم قلت ابعث الي ابي العباس اكلمه ابيع بما اردت قال له على غرو واجبا ان كان فيه من موضع ثاني وانت والله موقوف منه الصبي وانه فلعز فاخذ عودا وغنى

ظعنتم بكتمان السرائر عنكم ❊ بكتمان عيني دمعها الدهر يذرف ❊

حملتم جبال الحب فوقي وانما ❊ لاعجز عن حمل القميص واضعف ❊

فقلت لغلامي ادفع الى مولاه اربعمائة دينار رهنا وعمامة وكسوة وطيبا وادفع الى الغلام ما يريد هبة يصلح بها شأنه وبات بشغف معي ولم يصل الي كلمة من بين ساعة من كبي بحيث اسمع صوته وارى شخصه فلما كان يوم الرحيل لم اسمع له نطقا حتى اشرفنا على المنزل الذي كان بيني لم نفترق ليسعفنا انشا يقول ويسيل حلقه وينقطع كبده من شدة تعيق ❊ وما كنت اخشى مرة ان يبيعني ❊ بشيء وان اضحى انامله صفرا ❊

اخوهم ومولاهم وصاحب سرهم ❊ ومن قد نشا فيهم وعاشرهم دهرا ❊

حنين وما يعرض لحنين ليلة ❊ فكيف اذا سار المطي بنا شهرا ❊

فلم املك نفسي ان دعوت به وقلت احتبس ذلك الى مولاك فقال وانك لفاعل ذلك قلت نعم ثم قال اني بلوي اي قلت المعز فانت حر لوجه الله وزدته مائة دينار وكسوة فقال يحيى ويحك قلت وبحك امثل بهذا فانشد يحيى ❊ لا يوجد الجود الا في معادنه ❊ والشر حيث طلبت الدهر موجود ❊

وحدثنا ابرهيم بن ابي محمد اليزيدي قال كنت مع المأمون في بلاد الروم فبينا نحن نخبط الظلماء والليل حالك في الثريا عليلا وكنت والي جانبي قبة رفيعة السماك اذ سمعت جنينا وبكاء وغناء بهذه الابيات على اخفض صوت وادق ترنم

اموت ولا تدري وانت قتلتني ❊ فلو كنت تدري ذلك لانك ترحم ❊

اما لك ان اشكو وقد مسني الهوى ❊ فلا انا مستحيد ولا انت تعلم ❊

فهلا تنبه للبدهر او تجيبه ❊ جنانك لا اصل فاني مسلم ❊

لساني وقلبي كاتمان كلاهما ❊ ولكن عيني بالدموع تكلم ❊

[illegible] فاذا في القبة غريب عن فتى فقال ابرهيم قلت لبيك قال قل يحيى ذا البرق ايضا ملاحا انشد منها فقلت ❊ ماذا تقلبي من البيهم الخفق ❊ اذا رايت لمعان البرق ❊

من قبل الاردن او دمشق ❊ ذلك الذي يهواك عنه رفيقي ❊ وليس يغني ما حييت عشقي ❊

قال فنفث نفسا ظننته قد قطع حيازيمها فقلت ويحك على ما اضحكت بها قال الحب الوطن فقلت هيهات رايتي لملك التي ترنمت بها ليس هذا كله للوطن قال ويلك اولا ان ظننت ظنا والله لقد نظرت نظرة من رسبة في مجلس فادعاها اكثر من عشرين رحلسا والله ما علم احد لو كانت الي هذا الوقت وهذا من احوال الحال على الخوف والبكا

واما الرجا فهو انبساط الى ربه لقدام رجا ليطمع قبول الحسنات ورجا في قبول التوبة من السيئات ورجا لطمع وقع الفضل عن التواتر وخلط الاعمال الصالحة تكفير سيئاته ولا تحبط حسناته وهو رجا المؤمنين كما قال مطرف لو لا تعلق بالقليل لعلي فرابتي ولكن القران كله فلو من نفسي على الخلال العمل انتجا زعار الظالم ... قليلا لان القليل ما يهجعون بيتون لربهم سجدا وقياما امن هو قانت انا الليل ساجدا وقائما تتجافى جنوبهم عن المضاجع فلا ارى نفسي منهم من رحمتي

عشرا

على افعال العمل النار وما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين ولنا اذ كان من المكذبين الصابرين فلا ارى فيهم ثم امر بحمد الانبياء وامره وزن العذر فجاء نبويهم ولا يرجو ان اكون انا وانتم اخوانا منهم وهو رجا المغفرة على التمادي في الخطيات وهو رجا خايبه وامثل كان وتبتعر نفسه بالامانة ومحته لجهل الاخبات والخوف لا الرجا وقد اكثر المشايخ في العبارة عن الرجا فقيل هو اسمها فوات الرحمن فقيل الرجا استبشار بفضله وقيل هو النظر الى سعة الرحمة وقال بن ابي الحواري الرجا قوة الخائفين وروح الراجين وهو من ان لم يبلغ تمنو وانشد

متى انكن حقا يكن احسن المنى ❊ والا فقد عشنا بها زمنا رغدا ❊

اماني من سعدى حسان كانما ❊ سقتك بها سعدى على ظما بردا ❊

احسن اقول لعقد جرنا زرود عشية ❊ وابدى المطايا ينتهبن الفلا وخدا ❊

اسيلوا البرى لي احسن بنجمة ❊ يمانية تهدي الى كبدي بردا ❊

اظن النوى جادت بوصل احبة ❊ ذممنا من الخلان بعدهم العهدا ❊

ومن مناجاة يحيى بن معاذ الهي لطالما العطايا بليغة قلبي بعطاوك واعذب الكلام على لساني ثناوك وحب الناس الي ساعة يكون فيها لقاوك وفي بعض مناجاته يكاد رجائي لك مع الذنوب يغلب رجائي لك مع الاعمال لاني احد في الجنة في الاعمال على الاخلاص وكيف احضر وانا بالاثم معروف واجدني في الذنوب اعتمد على عفوك وكيف لا تغفرها وانت بالجود موصوف وقال الوعد حق الخلق على الله فهو احق من وفى به والوعيد حقه على الخلق فهو احق من عفا وقال ابو زيد البسطامي خفت نفسي ورجوت في قلبي العبادات فارقني الخوف لحين ارجو وقال ابو علي الرودباري الرجا والخوف كجناحي الطاير اذا استويا استوى الطاير وتم طيرانه واذا انتقص احدهما كان جناحا يسقط على رأسه ولا يطير واذا ذهب هلك الطاير وقال ابو عثمان المغربي من حمل نفسه على الرجا تعطل ومن حمل نفسه على الخوف قنط ولكنه ينبغي ان تخاف العبد ليخشا ويرجوا خايفا وقال احمد بن حنبل سبحان الله ما افضل هذا الخلق على الناس كلها بين خوف مفتقر والراجي منهم متوان وقال الانطاكي من اشتد رجاؤه ما اشتد طلبه ومن تطاول افانما تمنى واجترى ومن حسن ظنه حسن عمله ومن اشتد خوفه اشتد هربه وفي فيحمل الراجي الحسنى وفقا فارق بين احدهما الاخر هو ان الرجا يجمع وجود المأمول وتقريب حصول المحبوب والتمني لا يبعث وجود ما يتمناه على مضاده ولا ينظر قريبه على بعده فالرجا اطلق والتمني يتعلق لا يبعث خيرا حد الكلام على الاخرى وكذلك الرجا يوجب طلب المقصود ببذل المجهود والتمني كسل واقلاس ويعدو في عقباه اما الاولى الشاعر عقب المنى مطلب الياس فقال ❊ من النفس في الاسعاد او تستطيعه ❊ اجل الاولى كن ما اقام حبيب

اذا ذهبت على الرياح وجدتني ❊ كاني في العلو ما لهن نسيب ❊

واني لارضى ركب صعد بن قتلبه ❊ مع الراكبين المصعد بن جنيب ❊

اخر ❊ تصدر من حب به الياس بالمنى ❊ وحتى كاد النفس منه بطيب ❊

وان المنى لو كنت تستانفينها ... بحير ولكن معتفاك حبيب ... وجبل جبل التقى

ما يعني فقال ... فانت التي آلى لنا والعين ساجمة ... يوم الرحيل وقبل الحي تزايلها

اكثر لنا الوان الليت تنفعني ... ومن منى النفس ما يغني تمنيها

وجير بن جبل الرجا الملخاف تعلل بالمنى فقال

واني لعدو ما اعلل بالمنى ... لنا بلى الرجوا ان ما الك ماليا

فانت اني ما لم تكن لي حاجة ... فان عرضت ايقنت ان لا اباليا

ولما قرا سهل بن عبد الله الخوف ذكر والرجا انثى فانما يريد بهذا تولد حقايق الايمان منهما وليس يريد باختلاط الرجا في درجة الخوف فسوى ما بينهما لمن الفرقية في عارض الصفة فان الراجي يكون الى الكون والتواني اميل وهلمن طبايع الاناث والخايف يكون في العمل اداب واقرب وبه الى الذكور وعلى هذا قول عمر بن ابي ربيعة ... رات رجلا اما اذا الشمس عارضت ... فيضحى واما بالعشا فيحصر

اخا سفر جواب قفر تقاذفت ... به فلوات فهو اشعث اغبر

واعجبها في عيشها ظل غرفة ... وريان ملتف الحداىق اخضر

ووال كفاها كل شي يهمها ... فليست لشي آخر الليل تسهر

واجتماع الخوف والرجا في النفس على تضادهما في حال واحدة من قبل توارد اسبابهما عليه وهو كما تجتمع الاخبات والطمانينة مع الوجل الذي هو ضدهما كما قال الله عز وجل وبشر المخبتين الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم وعلى هذا قول القايل ... الا من لعين قد نآها حميمها ... وارقها بعد المنام همومها

فبانت لها نفسان شتى هواهما ... ونفس تعزيها ونفس تلومها

وقال الفرزدق ... لكل امري نفسان نفس كريمة ... ونفس يعاصيها الفتى او يطيعها

ونفسك من نفسيك تشفع للندى ... اذا قل من احرارهن شفيعها

ومما يحكى في الرجا وحسن الظن بالله ما حدث به ابن مسعود قال اتت امراة من الانصار رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشرة من الاولاد قالت يا رسول الله هولا اولادي هم معك فاغز في سبيل الله فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يغزيهم ويغزو بهم وكانت تسال عنهم حتى استشهد تسعة منهم وكان شاب من خيرهم اسند فرجا من حرب بقي وحده بعد اسقطهم وكان بينه التولي في الاعمال واسفاف الى الذنوب فيروا منه مرضه وعرق عليه اشفاقا قال يا اماه احوج كانوا اخيل لك منى فما بكيت عليهم فاما هذا البكا ما في من الزيغ والاثم قالت لانك ابكي قال يا اماه ارايت لو ساق اليك وفرطت في حقك وكانت لنا رب بين يديك تنظر الى من تطرحني منها قالت لا قال يا اماه ان الذي خلقني ارحم بي منك ولا ادع في زمانات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابشري فان ابنك قد غفر له بحسن ظنه بربه وعن عمران بن الحصين قال كان في عهد النبي صلى الله عليه

وسلم شاب فيه ازاف وتبطل وكان له اب يزجره فلا ينزجر فلما فارق الدنيا لم يصل عليه ابوه ولا صلح من تجهيزه ما ينبغي ان يفعل فلما جن عليه الليل راى ابنه في المنام في فضيء على سرير يحمل حسنها من الوصف وعليه حلل خضر ووجهه يتهلل اشراقا فسأله عن حاله فقال انما بلغت بحسن الظن في حسن على ما سلف من وارمك خبرا وصح ففعل ما بعلاني بذنبا يجوز اعصفوا بي انحني ولم يرحمني اقربا الناس منى بي ما اوا في نبا فرحمني ربي ولم يغفلني من رحمته فادخلني هذه الروضة كما ترى وعن ابرهيم بن ادهم قال كنت انتظر مدة من الزمان ان يخلو لي المطاف فكانت ليلة ظلما فقد اخذت في الطواف فقلت يا الله عزايمها السما فخلى فدخلت في الطواف خاليا وكنت اقول اللهم اعصمني اللهم اعصمني فسمعت هاتفا يقول لي يا ابن ادهم كلكم تسالوني العصمة فاذا اعصمتكم جميعا فعلى من ارحم ومن اغفر ودخل المزني على الشافعي في مرض وفاته فقال له كيف اصبحت قال اصبحت من الدنيا راحلا وللشباب مودعا وللاخوان مفارقا وبحرا على ملاقيا ولكاس المنية شاربا وعلى الله واردا فلا ادري بصاري الى الجنة فاهنيها والى النار فاعزيها ثم انشا يقول

ولما قسى قلبي وضاقت مذاهبي ... جعلت رجائي نحو عفوك سلما

تعاظمني ذنبي فلما قرنته ... بعفوك ربي كان عفوك اعظما

لانني اعظم من جرمي سوى املي ... بحسن عفوك عن جرمي وعن زللي

وان يكن في اوذا في العذر قد عظما ... فانت اعظم من جرمي ومن زللي

فان لا اكن اهلا لما انت اهله ... فانت امير المومنين لا اهله

فضلك ارجو الا البرايه انه ... ابى الله الا ان يكون لك الفضل

فان الجرم كان واوثق بعفو ... فانك اعلى من خطابي ومن عمدي

ومن ملكت كفاه وبغير مذنب ... فعفو يرتشي وتذهب اعجب

المجلس التاسع والثمانون من كتاب لوا الانسان تفسير قوله عز وجل وفي انفسكم افلا تبصرون يشتمل على ما في الانفس من احوال الفقر والجوع

بسم الله الرحمن الرحيم

هو الملك الحق الذي لم يزل ولا يزال الباقي الذي لا يتغير من حال الى حال الموجود الذي لا يحيط به البيان المعبود الذي لا يبرز عليه العرفان الغني ونحن الفقراء القوي ونحن الضعفاء الاول لا عن ابتدا الآخر لا الى انتها الظاهر لا باقتراب الباطن لا باحتجاب العالم لا يخفى عليه احوال العباد اللطيف لا يطوي عنه اسرار الفواد العزيز عز من فاز بولايته المجيد اقام من ظفر بهدايته الحميد حمد من اصطفاه بمحض عنايته الرشيد رشد من اكرمه بصدق رعايته المحسن في كل نعمة نال بها طاعة الجميل مولى كل عارف بمعارفه الملك القادر على الاشياء المالك المدبر للاشياء السلام الذي لا سلامة

الاسم الكريم الذي كرامته الامن لعبده الوجل لا يخاف من بوشه وبقاؤه الحفيظ لا يضيع من يحفظ ويتولاه
المهيمن لامر من قبل ومن بعد المقسط لا يظلم احدا ولم يتخذ صاحبة ولا ولدا ونبأنا ونعتقد به اعتقادا و
برهانا ونصفه بصفات الجائزة الواجبة ولا نجاوز فيها الحدود الراتبة ونصلي على محمد عبده الذي
اصطفاه وكرمه واجتباه وارسله الى البادي والحاضر وبعثه لدينه خير ناصر فنسخ معالم الكفر بالزوال
والابطال واشهد بدين الشرائع الاتقى كما ثبت استقامته على الصراط المستقيم الاقدام وتسابقت في الاهتداء الى
النعيم الاقوام صلى الله عليه وعلى آله الاخيار الطاهرين من الانجاس **الفقر** شعار الانبياء وحلية الاولياء
وحلل من المشايخ فيه عبارة واليه اشارة قال يحيى بن معاذ الفقراء لا يستغني الا بالله ويعرض عن الاسباب
وقال ابراهيم الخواص الفقر لباس الرضا وقال رويم الفقراء ان لا يشح لحكم الله فقال بشر بن الحارث
افضل المقامات اعتقاد الصبر على الفقر الى القبر وقال النوري نعت الفقير السكون عند العدم والايثار عند الوجود
وقال ابو سهل الخشاب المصري الفقر فقر وذل فقال الاول فقر وعز وقال ابن خفيف الفقر عدم الاملاك والخروج
من احكام الصفات وسئل سهل بن عبد الله متى يستريح الفقير فقال اذا لم ير لنفسه غير الوقت الذي هو فيه وقال
الرعشي حق الفقراء ان لا يجوز همته كفايته ولا يسبق همته خطوته ولا يصحبه حاجته فيفنيه ووقف سائل على
الكتاني بمكة وكان قد طوى اياما وهو يلوي على حشو المجد فوقف عليه فقال الكتاني ايها المحب
ممن يعلم اني قد طويت ثلثا من مسالك الى وقال بعض الصوفية لسائل وقف عليه بافقنا الصامة ولحاق
الفقر بعينا الكم قيام ونحن قعود ووقف سائل على ابي عبد الله القرشي الصوفي فقال له ابو عبد الله لطفنا
مثل ما لعركم ولا تقربوا ويحكى انه وقف رجل على النضر بن احمد الخراساني فسأل فقال ابغض الصامة واحوج
ولكنكم تطلبون باللين وحسن التوصل عن طلب الغرب بالحبس وسئل ابو بكر المصري عن الفقير الصادق فقال الذي
لا يملك ولا يملك وقال ذو النون دوام الفقر الى الله مع التخليط احب من دوام الصفا مع العجب وكان الجنيد يقول اذا
لقيت الفقير فالقه بالرفق ولا تلقه بالعلم فان الرفق يونسه والعلم يوحشه فقيل وهل يكون فقير يوحشه العلم فقال
نعم اذا كان صادقا في فقره وطرحت عليه علما ذاب كما يذوب الرصاص في النار ودخل على الشيخ الدقاق فقير من
زونت وعليه مسح وقلنسوة مسح فقال له بعض اصحابه بطايبا بكم اشتريت هذا المسح فقال بالدنيا وطلب الاخرة
فلم ابعه وانشد

ابا بائعي بحق بمكة او منى ✿ تحادعنا لا يستوي الثمنان

وما عن المتاع متاعا باله ✿ بل الياسما في ما العبنان

وحكى الدقاق قال بعثت كيف لسنا ذي اربع ... وجدت فيه قطعة وتحيرت فقال اجاد قلت ابي بيت في كتفك
قطعة قال نعم ايها ارتقها مرة قال ترخصها واشتريها شيئا فقال انما كان امر هذه القطعة بحجر مسعود قال انما
رزقني الله من الدنيا لمصر ولا يصلح هذا فاردت ان ادعي بان تشدد في كفني وان تقال الى الله وقيل الفقراء
على طبقات فقراء الاغنياء وهم الشوال عند الفاقات القانعون بالكفايات وهم اهل الاغنياء والذين حلم

في اموال الاغنياء نصيبا والطبقة الثانية فقراء الفقراء وهم المحققون بالفقر المختارون له المؤثرون
على الغنى لا يستعملون في السؤال ولا يتعرضون للمقال يرجون العوز الميسور من القوت بحسبهم الجاهل اغنياء
من التعفف وهم من بين محمود مرحوم السعي في الدنيا او مختار فالحرفة عند الاسباب وقانع فتح بما حصل البغية معتز
رضي بما يعرض به والطبقة الثالثة اغنياء الفقراء وهم الاجواد الاسخياء اهل البذل والعطاء لا يسكنون ولا
يدخرون وان منعوا شكروا الشاكرين في فضل سعة عطاء وان ضيق عليهم حمدوا الواسع لانه هو المحمود وصبروا
رخاء وان اعطوا بذلوا وآثروا وكان بشر يقول الفقراء ثلثة فقير لا يسأل وان اعطي لم ياخذ فهذا مع الروحانيين
في عليين وفقير لا يسأل وان اعطي اخذ فهذا مع المقربين في جنات النعيم وفقير يسأل عند الفاقة فهذا مع الصادقين
من اصحاب اليمين ودفع الى ابراهيم التيمي سفرة لفاقة وكان عليه دين وسبحانات اليها مرد هفا فعابوه في ذلك
فقال اكره ان امحو اسمي من ديوان الفقراء ويستبين الفاقة وقال بعض العارفين اذا مال الفقير الى الاغنياء انحلت
عروته واذا طمع فيهم انقطعت عصمته واذا سكن اليهم ضل واضل وقال بعض العارفين كنت فاستعجت جليلة
نازلة حتى تمكنا الحال في صدري من الفاقة فاذا قابل الاخوان تقطع الحال الخوف وعلينا من اولياء
او اعتزالهم افتان الفاقي وقال بعض المجاورين بمكة كانت عندي دراهم اعددتها للانفاق في سبيل
الله تعالى فرأيت ذات ليلة فقيرا يطوف بالكعبة حسن الهيئة وطيب الكسب فكنت اتبع اثاره حتى اجئ خلفه من حيث
لا يشعر فلما قضى اسبوعه وقف في الملتزم بين الباب والحجر فسمعته دعا خفيفا خفيا فاسعيت اليه فاذا
هو يقول الجائع كما ترى عريان كما ترى فما ترى فيما ترى يا من يرى ولا يرى فنظرت فاذا عليه خلقان لا تكاد
لا يكاد اتراها بانه فقلت ما احد لك الدراهم صرفا خيرا من هذا فذهبت الى رحلي وجئت بها وهو يصلي
تعبة زمزم وصبيتها بين يديه على الارض وقلت له اعدتها اصلحها قطف انهاما اخذ منها حمسة
دراهم فقال الاربعة ثمن ميزرين ودرهم قوت ثلثة ايام ولا حاجة في سائرها قال العدات في الليلة الثانية
وعليه ميزران جديدان فحرج في نفسي منه شيء فاخذ بيدي واطافني معه اسبوعا كل شوط منها في جوهر من
معادن الارض تحت قدمي تحت ذهب وفضة وياقوت ولؤلؤ وجوهر وجرها كلها بطول نظر في ذلك
عنها فقال هذا كله لنا وزهدنا فيها وقال الذي يرزق الفقراء من العطاء انه على اربعة انواع نعرف
واختيار وبلاء والابتلاء انما جاء الفقير من الاسباب فيلحاجة اليه اوحاه ولا عتبة عنه بل هو ابتلاء من الله
تعالى لينظر عمل عند ذلك ورقه في هذه الحالة الحكم اقرفيه بابناء وحكم صاحبه كيف شاء من الله
والنصيحة الخالص فان اختل ثم اشترجد الى المحتاج فهذا امر زهد الزهد ولعينه معا مكارم الايثار وسايحه
فيما نفية اليه من اخرج ودفعه الى من هو احوج اليه ومن ان اخذ في العلا انتفع وكنا ان الفقير عن وجد
في السر الى الله مع اتباع النفس الرياء والسمعة كبيرة الا على الخاشعين فلا تقوم بمثل ذلك الا الاغنياء الفقراء وعلماء
الزهاد وهو اقصى غاية الاختبار في مثله واما الزهد فهو ما ياتي من الرزق عند الحاجة والضرورة فلا يشبع العبد

ردمسئله ولا الحاح عليه من رقه اشار الى العقل او غلبة الطبع او احتاج الى المسئلة او دخول مكسب فيه كره
وتلم من العطر ولم يأخذ ما سئل ولم يعطوا وفي الحديث ما المعطي من سعته باعظم اجرا من الاخذ عن حاجة واما النوع
الرابع منه وهو ان يكون الفقير ذا خلق عظيم يحب البذل واطعام الفقراء ولا يسع لذلك حاله ولا يقوم به ذات
يده فيتعلق الله اليه بالعطاء معونة له على الخلائق ليبلغ به ما اراده ويستمر في البذل على ما اعتاده وربما
لا يبالي ان يقوت مثل هذا على الله لحسن خلقه به وانا ارى قضاه وان يوفاه وقيل ذلك فقد له من اداه
عنه وفي الحديث لله عباد يفقرون على وجه رضاهم ولله عباد ينفقون على قدر حسن ظنهم وقد قال بعض السلف
فاوحى ما له ان يفرق على ثلث طوايف الاولياء والاصحاب والاغنياء فقيل من هولاء فقال اما الاولياء
فهم اهل التوكل على الله واما الاصحاب فهم اهل حسن الظن بالله واما الاحباب فهم اهل الانقطاع الى الله وقال بعض الصوفية
ما اكثر ما يظن ان الفقير هو الذي لا يملك شيئا كثيرا وهذا قصير من جهة المعرفة فاما الفقير الحقيقي فهو الذي شهوات
كثيرة وان كان كثير المال كما ان الغني الحقيقي هو الذي لا يحتاج الى شيء وان كان قليل المال اي الذي في نفسه
وجع شهوته فاستمد بطلب ارادته وقد ظن قوم ان الذين منعوا من الشهوات وبسوا بالزهد في اللذات جانوا الناس
وخانوا انفسهم وبين حظوظهم وحرموهم ما اهولهم وسدوا عن محبوباتهم وهذا الحق خطا واليه اراد في هذا اللوا صنفين
الزاهدين والذين وصفوا واستغفروا وبدعوا من الحرص في اللذات والله ما كان ذلك منهم الا على طريق النصيحة
والشفقة والانذار والاعذار الا ان يكون الذين ظنوا هذا انما ظنوا الاثم او ابغض الزاهدين اعتبارا وبعض الناس
فما شاء لحمل العمل على الحساب وعلى من آثر التقى في المال ولكن الرجوع الى ما يدل على الحق ويشهد له العقل
فيدل مثلا ان ترى الحكيم … في قوله لاصحابه اقنعوا بالقوت وانفوا عن انفسكم الحاجة لكي تكونوا قريبا الى الله تعالى
لان الله غير محتاج فكلما احتجتم اكثر كنتم منه ابعد فاهربوا من الشر والاثم واطلبوا من الخير اعمه واعظم واكثر
ابقاه وادومه ولم ترتفوا الابد واطلبوا السرمد فان من طلب الابد ووحد الحق على الابد ومن طلب الامد فقد وجد
في عز الامد وان الحاجة ذل والغنى عز والعز ضد الذل فمن طلب العز في العاجلة فقد طلب الذل وهو لا
يدري ومن طلب العز في الآجلة فقد وجد العز وهو لا يدري وفي الحكمة ان يقال الصبر على الذل لسان العز واصبر
على الفقر لسان الغنى وليس في الحكمة ابين على العز لسان الذل على الغنى بسبب الفقر وذكر بعضهم ان ابراهيم الصوفي
فارق الف … فلما دانت اليه … وزاحمه الحال فكان اذا اعتل له

استودع الله في بغداد لي قمرا ... بالكرخ من فلك الازرار مطلعه
ودعته وبودي لو يفارقني ... صفو الحيوة واني لا اودعه
وكم تشفع في ان لا افارقه ... وللضرورة حال لا تشفعه

ضرب بنفسه الارض وتمرغ في التراب وهاج وازبد ونعر وسعر وحرق الخرقة قطعة قطعة ولطم وجهه الف لطمة
وها جالك من ضبط وبكى ومن يجري على الاذى منه حتى سقط مرضا فهات … وما الاورد من بعد …

فاذن

… واما اذا عني بهذه الابيات
في اذنابه الكرخي وبرقوا الراهب ابراهيما …

ابو الحنا والصبح نقلاج نوره ... كما لاح ضوء البارق المتالق
شبهتك قد وافى وحان افتراقنا ... فما للنبي في صوب … المروق
فقالت حبيبي في الذي قد ذكرته ... وادركت … التفرق

فمات … الى الله هنات واسفا وقد بقي القلب وتفتت الكبد وجاب الصحو وانا الجديد وهناك
… احد الى الحاضرين … ودموعهم تجري وشهيقهم قد علا رحمة لحوقه عليه ومساعدة للحاله ومما
يحكي عنهم في الجوع فقيل لبعضهم وقد راى عليه اثر الجوع والفقر لم لا تسال الناس لطعومك فقال … فلا
يطعمون وقد بلغني في الحديث لو صدق السائل ما افلح من منعه وذكر يحيى بن معاذ الفقر والجوع فقال لو كان يباع
لما كان للطلاب الا حتى ان يشتروا غيرهما وقال لو تشفعت الي بالملائكة المقربين والانبياء والمرسلين على ان
اهوي لما دنيا بجبين ولو تشفعت الي بها الجوع لانقادت النفس لطول عنا وانشد

اذا اجتمع الجوع المبرح والهوى ... على عاشق لم يلبث الحب ان يذهب

وقال الجوع نور والشبع نار والشهوة مثل الحطب يتولد منه الاحتراق وقال الجوع للمريدين رياضة وللتائبين تجربة وللزهاد
سياسة وللعارفين مكرمة وقال ان الشبع يكنى ابا الكفر والجوع يكنى ابا الرحمة وهو من قول جعفر الصادق
حين سئل لم اوجب الله الصوم على عباده فقال ليجد الغني الم الجوع فيعود بالرحمة على الفقير وقيل لحاتم الاصم بم وجدت
الحكمة قال بخلاء البطن وسخاء النفس ومكابدة الليل فقال شقيق العبادة حرفة وحانوتها الخلوة والتها
الجوع وقال بعض الحكماء اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة وقيل
الجوع ادام المريدين وطعام الصديقين وقيل البطن بمنزلة الكلب فارم اليه ما يقطع كلبه واحسنه يكن لك
وقال ابو سليمان الداراني مفتاح الدنيا الشبع ومفتاح الاخرة الجوع وقال ابو علي الروذباري اذا قال الصوفي
بعد خمسة ايام انا جائع فالزموه السوق ومروه بالكسب وذكر ابو تراب النخشبي قال اشتهت نفسي يوما بيضا وانا في سفر فعدلت
عن الطريق الى قرية فتعلق بي واحد وقال كان مع اللصوص فطرحوني وضربوني سبعين درة فوقف علينا رجل
منهم قال هذا ابو تراب فاعتذروا الي واستحلوا مني وحملوني الى منزله فقدم الي خبزا وبيضا فقلت لنفسي
كل بعد سبعين درة وحكي ابو تراب عن ابي سعيد الخراز قال دخلت مسجدا فاقمت فيه … فتقدم اليه في المسجد
وقال اكلت اليوم شيئا قال لا قال امس قال لا قال اول امس قال لا فقال منذ كم يوما لم تأكل قال منذ سبعة ايام قال
فخرجت الى السوق فحملت … الى المسجد … بسبعة ايام فجاوا بطعام كثير فاكل حتى استوفى
واخذ كوزا ما فشربه … ثم خرج من المسجد … فتبعته … ثم رجع فاحتطب من الخروج
من البلد على طريق مكة فتبعته وقلت له سالتك بالله من انت فقال ابو تراب وكان ابو اسحق الشيرازي الصوفي
الفقيه على … ان يخرج الى الناس … في الاكل وكان اذا اراد الاكل اشترى طعاما كثيرا يكفي

عن اكثر ودخل ابن في بعض مساجد بغداد وانا طال الا اشتهيها فتوقف من حاجته ويترك الباقي فجلس اراده هذا
كان زواية فيطلب اليه الفقراء اكلوا اشتهاء اجله وحدث الجنيد قال جاني بعض الناس في يوم جمعة فقال لي
ابعث معي فقيرا ادخل به علي سرورا ويأكل معي شيئا فالتفت فاذا انا بفقير تظهر فيه الفاقة فدعوته وقلت له امض
مع هذا الشيخ وادخل عليه سرورا فمضى ولم البث ان جاء الرجل فقال يا ابا القسم لم ياكل ذلك الفقير الا لقمة حتى
خرج فقال لعلك قلت له كلمة جفاء قال لم اقل له شيئا فالتفت فاذا انا بالفقير جالس فقلت له لم تتم سروره فقال يا سيدي
خرجت من الكوفة وقدمت بغداد ولم آكل شيئا وكرهت ان يبدو سوء ادبي من حجة الفاقة في حضرتك فلما
دعوتني سررت اذ جرى ذلك ابتداء منك فمضيت وانا لا ارضى للعصيان فلما جلست على مائدته سوى اللقمة
وقال كل هذا احب الي من عشرة الاف درهم فعلمت انه دني الهمة فقال الجنيد الم اقل انك اسات الادب معه
الفقيه ثم ان من اصحابنا المختلفة للفقه في مدرسة الشيخ نجار البربري قال كان في بعض شتاء البلدان
القوم المالوردية الذين يسكنون بعض جبال طاهر اباد وكان بعض فقراء الصوفية اصابته مخمصة
فدخل الدار مع المتطفلين فضرب رب الدار وصعد فطرح فيه وقال له ما منزلتك من القوم فقال انا الذي لا آكل
طعاما ولو اموت ولا آكل خبزا وكان يعلل بعض الالبان والعنوا كه

اذا لم ازر الا لأكل اكلة ۞ فلا رفعت كفي الي طعامي

فما اكلة ان نلتها بغنيمة ۞ ولا جوعة ان جعتها بغرام

وحكى احمد بن ابي الحواري قال رأيت راهبا في دير سلم فقال لا تجدون في كتبنا ان بعد ابن آدم خلق من
الارض ويعود من الملكوت فاذا انتم بحبه ولحم وسقاء ونومه والحلو الي الذي منه خلق فلم يكن اليه شيء
احب من الدنيا واذا الجائع والقماحاب اذا تعدى الرجوع الى الموضع الذي خلقت منه ولم يكن
شيء احب اليه من كثرة الشبع قال احمد فحدثت به ابا سليمان الداراني فاعجبه وقال الهموم الله انهم يصفون
وكانت عائشة تقول ان بكانها لعلي النبي صلى الله عليه وسلم بابي من لم يتم على الوثير ولم يشبع من خبز الشعير
وذكر ابو هريرة فضل ما مضى من زمانهم على ما انتم فيه فقال لذلك الا نأكل الخبيص ولا نلبس الحرير وروي الواقدي
قال قيل لام ايوب اي الطعام كان احب الى رسول الله فقال اتعرفين ذلك في مقامه عندكم قالت ما رايته امر
بطعام يصنع له بعينه ولا رايناه اتي بطعام فعابه قط وكان يجتزي بالعلقة اي بالقليل وكان ابو عبد الله
الرفاعي يصبح على الفقر والتوكل ثلثين سنة وكان اذا حضر الفقراء لم ياكل معهم فيقولون له في ذلك فيقول
انتم تأكلون على التوكل وانا آكل على المسكنة ثم خرج من الحشائش فتصدق عليه بالكسر من الابواب فيأكلها
وانشد

واني لاستبقي المطية نقيها ۞ فانزل عنها وهو باد ضلوعها

واني لأعف عن مطاعم جمة ۞ اذا زين الفحشاء للنفس جوعها

وقال حاتم

اكف يدي من ان تنال اكفهم ۞ اذا نحن اهوينا وحاجاتنا معا

واني لاستحي

واني لاستحي رفيقي ان يرى ۞ مكان يدي من جانب الزاد اقرعا ۞ ومما انشد في الفقر والاخلاق والاملاق

متى يعد وبعزم قائم ۞ في كل نازلة وجد قاعد

ورزق كفف الابناء وغربة ۞ وصبابة ليس البلاء بواحد

آخر ۞ ولقد افلست حتى بعت اخرى خصيتيا ۞ ثم ناديت على الاخرى فلم ترجع اليا

وبقي السلح ورداءنا يبكي علينا ۞ آخر ۞ تركنا اللحم للافلاس والثرد والبنيق

فقالوا ما تقولون بنظر عين تحقيق ۞ ولو تربنا ما ان اكلناه على الريق ۞ آخر

تبارك الله ابو خالد ۞ يلبس صيفا بعد الف ۞ من بعد ما كانت له جبة ۞ يلبسها اهرا على الريق

اعرابي ۞ قيل افلست قلت افلس مني ۞ ذو فلوس ولست املك فلسا

ان العفيف لا تلتوي لشيبها ۞ ولو شريت لتلقاه على العيس

يشاله وعليه اخر مسكنا ۞ او من يمدح في بعض الكرابيس

وقد تكشفه غرامه زمنا ۞ اشباه من ملكوه فحول البيس

اذا اللفا المرء ما حاربوا املكا ۞ ساد العفيف بينهم في كراديس

وقائع مقرة لو ما فليس له ۞ ان مات من موضع غير النواويس

آخر ۞ يا ديرحسه من دار الاكراح ۞ من يصح عنك فاني لست بالصاحي

يعتاده كل محجوج مقارنة ۞ من الدهان عليه سحق امساح

لا يدلفون الى ماء بباطيه ۞ الا اغترافا من الغدران بالراح

ومما يستحسن من كلام بعض البلغاء في فضل الفقر الا الفقر خفيف الظهر من كل حق يسقط الرقبة من كل رق
لا يلزمه اداء الزكوة ولا يتوجه عليه مواجب التأييدات ولا يستطيع اخوانه ولا يطمع فيه جيرانه ولا يستطر
في الفطر صدقته ولا في النحر اضحيته ولا في شهر رمضان مائدته ولا في الربيع باكورته ولا في الخريف فاكهته
ولا في وقت الجباية خراجه وعشره وانما هو سعيد يجمل اليه ولا يحمل عليه وعلوي لا يخذل بيديه ولا يؤخذ من
يديه عند الشرط نهارا او بيوتا في العسس ليلا ان اقر مالا فاغاه ولو لم يسلم وان العقوق فانما هو كالغنم غنيمة
كل يد سالبة وصيد كل قنص طالبه وطبق موضوع على شوارع النوايب علم منصوب في مدرجة المطالب تطمع
فيه الاعوان وتلحقه سنة السلطان وسطوة الحدثان ويصحف عاده النقصان وقيل يا سل ذا الغني فما ادوم
نصبه واقل راحته واحشن من المال حظه واسد من الايام حذره فقد بعث عليه الغنى من سلطانه العنت
ومن اكفائه الحسد ومن اهل البغي وذي الحقوق الذم ومن الولد السامة وتمني الفراق وانشد

ولئلك ان الفقر خير من الغنى ۞ وان قليل المال خير من المثري

لقا ولن مخلوقا عصى الله للغنى ۞ ولم تر مخلوقا عصى الله للفقر

وممايلي عن الفتح ويونس بحادث الفقر ما حكى بعض تجار المدينة قال كنت اختلف الى جعفر الصادق ع

وكنت له خليطا وكان يعرفني بحسن الحال فتغيرت حالي فذهبت اليه فاتيته يوما فجعلت اشكو الله فوق

لي ء انشا يقول ۞ فلا تجزع وان اعسرت يوما ۞ فكم ايسرت في الدهر الطويل ۞

۞ ولا تياس فان الياس كفر ۞ لعل الله يغني عن قليل ۞

۞ ولا تظنن بربك ظن سوء ۞ فان الله اولى بالجميل ۞

ولما قبض على محمد بن يعقوب الفارسي بخرسان اذ دخلوه في سرداب فمات فيه فلما ان علوا ذلك الايام

فتحوا الباب ودخل عليه كاتب اسحق بن مالك فوجده ميتا وعلى الحائط مكتوبا بحروف بخطه

۞ تلبثن حوالك من عيشة ناعم ۞ وان نابه دهر بالذي انت كاره ۞

۞ فلا تجزعن واصبر لها النفس جاهدا ۞ فقد يرحل الدهر الذي هو جائره ۞

وذكر الهيثم بن فراس الشامي قال دعوت اصحابا لي وليس لي خادم فتوليت خدمتهم فاصحبوني

فاتيت جعفرا فقلت ۞ ينادي الجار خادمة فتسعى ۞ مستمرة اذا وضع الطعام ۞

۞ وادعو حين يحضرني صديق ۞ فلا امة تجيب ولا غلام ۞

فبكى ثم وهب لي جارية وابنها ۞ ۞ تم المجلس

المجلس التسعون من كتاب خلق الانسان في تفسير قول الله عز وجل وفي انفسكم افلا تبصرون

يشتمل على ذكر ما خلق في الانفس من ... وفي الحرص وركب فيهما من اسباب الامل

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان من سبح بحمده الناطق بعبارة مقاله ۞ والصامت باشارة عن حاله ۞ والنبات باسماء بصوره

واشكاله ۞ والحيوان انحيابا بخلاقه وافعاله ۞ والرعد اذا ارزم ارزام الناقة العشراء ۞ وزار زئير

ليث الشرى ۞ والبرق حين يخفق سناها في طرز الغمام ۞ مثل عذبات الالوية والاعلام ۞ والرياح اذا هبت

رخاء بحيوطها الصحو ۞ واذا اسفت عنا ادبورها النكبا ۞ والحجارة اذا انطقت كالعير العافية

عيابها ۞ وارتفعت كبيض الفوارس حبابها ۞ والانهار حين انعطفت في مجاريها تعطف

الحيات في الرمال ۞ والحدوث اطراد القناة في ايدي الابطال ۞ والصباح حين يسفر عن

وجه سناء وقطا بحادة ۞ سايلا في حدايق الخضراء انهاره ۞ والناس حين راح عن اقطاره اضواؤه

وطاح من نهاية انجاؤه ۞ والمدى حين باح باسراره صفاوه ۞ ولاح في قراره حصباؤه

والنار ما تجمد وابت غليانها ۞ ولوت تلهبها احمر حمرانها ۞ والفضا منه الالسنا ... اجيج

الادام والمواسح للطاير صافات الحمام ۞ ما يمسكهن الا الرحمن انه بكل شيء بصير وعلى كل شيء قدير

نسبحه ونقدسه ثناء وهل يبلغ ثناء ما البلغا ۞ وان احتلفوا في الثناء او يعدد آلائه العلماء ۞

وان اعتمروا

[illegible]

وان الحمد ولي الخطابات والدعا وصلى على محمد عبده ورسوله فقد سن لنا من الشريعة كل سبيل الى الدين وارشدنا

من الهدى ودين الحق كل منهج ومذهب حتى اهتدى الدهماء واجتمعت على كلمة الاسلام الامة صلى الله عليه وعلى آله و

الناس من بعده اعقاب الايمان واعلام لسبل العدل والاحسان ۞ روي كعب بن مالك عن النبي صلى الله عليه

وسلم انه قال ما ذئبان جائعان ارسلا في غنم بافسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه انما كان

كذلك لانه اذا افرط الحرص لان الحرص على الدنيا يورث سخط الله والحرص المفرط في الدين يبطل العمل ويقطع

الاجر وقد نهى الله تعالى رسوله عنه فقال وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين وقال ان تحرص على هداهم فان

الله لا يهدي من يضل وقال انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء وقال ولو شاء الله لجمعهم على الهدى

فلا تكونن من الجاهلين ... ما شاء الله ... النبي صلى الله عليه وسلم من الخلائق في

الدين الا ان يكون بعد ذلك مراقبة لله ومشابهة في كل حركة استقام على اصح ما يبان الغيرة فانه

تعالى يقول وانك لعلى خلق عظيم فمثل غاية من خلقه فقال ان كان يرضى بما رضي الله ويسخط لما يسخط الله

بين لامته حتى يسلم من استقامته فيه انه لما اراد الله ان يتوفاه جاءه اليه جبريل عليه السلام فقال ان

ربك يخيرك بين لقائه وبين الخلد فقال الا اختار حتى يختار ربي في هذه غاية من السنة لا يعجله الشوق الى ربه

على اختيار الله له ولم يعجله الكره بين الامة في خلاف العبودية من محض الطاعة وهداية الخلق على اختيار البقا

فالحق الاحتساب لما جاءه بعد جبريل عليه السلام فقال يا محمد ان ربك يختار لك لقاءه من اصل الخلق حتى يكون

الحرص على الدنيا في نار القناعة والحرص على الدين في نار مراقبة المشيئة والقدر فاذا اتى شيء من الدنيا

من حلها غير طمع ولا استشراف نفس حتى يتوسع الله عليه كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عمر ما اتاك من هذا

المال من غير مسألة ولا استشراف نفس فخذه فانما هو رزق ساقه الله اليك والحرص في الدين اذا افرط طلب ...

عطاه الدين كما قال صلى الله عليه وسلم الدين يسر ولن يشاد الدين احد الا غلبه فسددوا وقاربوا فهذا الافراط في

مرغوب عنه ولذا اصل الحرص فيه من ... الاركان في فعل الخيرات والصبر على الطاعات والترقي الى معالي الدرجات

كان يرغب كالنار التي تاكل ما تجدد حتى تاكل نفسها ان لم تجد ما تاكله وروي بعض اصحابنا عن ... في الدنيا بعيد

امل في الدين طول ... على امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام ان شريحا اشترى دارا ... قال

يا شريح لقد بلغني انك اشتريت دارا وكتبت كتابا واشهدت شهودا فقال شريح قد كان ذلك يا امير المؤمنين فقال

يا شريح اما انه سياتيك من لا ينظر في كتابك ولا يسالك عن بينتك حتى يخرجك منها شاخصا ويسلمك الى قبرك خالصا فانظر يا شريح لا تكون ابتعت هذه

الدار من غير مالك ... اما انك لو كنت اتيتني عند شرائك ما اشتريت لكتبت لك كتابا على هذه النسخة

بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما اشترى عبد ذليل من ميت قد ازعج بالرحيل اشترى منه دارا من دار الغرور من جانب الفانين

وخطة الهالكين ويجمع هذه الدار حدود اربعة الحد الاول منها ينتهي الى دواعي الآفات والحد الثاني منها ينتهي الى

دواعي الفاقات واحدا ثالث ينتهي الى مزو بالمصيبات والحد الرابع الى الهوى المردي والشيطان الغوي منه
يتبع بارضه الدار الذي هذا المغبون المغرور بالامل من هذا المزعج بالاجل جميع هذه الدار الخروج من
عز القنوع والدخول في ذل الطلب فادرك هذا المشتري فيما اشترى من درك فعلى مبلي اجسام الملوك وسالب
نفوس الجبابرة مثل كسرى وقيصر وتبع وحمير ثم شهد على ذلك العقل اذا اقلت عن اسر الهوى ونظر بعين
الزوال الى الدنيا وفي كلام علي عليه السلام تجنبوا المنى فانها تذهب بهجة نعم الله لديكم وتصغر مواهب الله التي
بها قبلكم وقال بعضهم ان علي من حسب والمرء فرعه كله اصل وفي كلام عبد الملك بن مروان اعملوا لله رغبة
او رهبة فانكم نبات نعمته وحصيد نقمته ولا تغرنكم الامال الا بما تجتنيه الاجال واقلوا الحرص فيما يورث
العطب كلما اثرتم العاجلة تقطعت الاجلة ولا تغتروا الجديدين فانهما يكران عليكم بانقسام النفوس ق
منها الماسوس وفي كلام بعض الحكما لا انجاء هذا الطلب حد الغايات ولا تحمل على العقد باكمال المستلم فان استعماله
الفضل سنة ولجمال الطلب عقبة وليست العقبة بما فعمر رزقا ولا الحرص بجالب فضلا والرزق مقدور
والاجل موقوت في استعمال الحرص كتساب الماتم وقال اخر اتتم من الحرص من القناعة كما تقتص من العبيد
بالقضا ولا تكن تلوا فهيهعيما اما وجدت من العبودية بدا

من يسك بناتم اياما ازداد مرا ✿ ما دونه براي بيخ كي زاد مرا ✿

وفي كلام يوسف بن عمر الثقفي كم من نيل ما لا يبلغه وطالب ما لا يناله ومانع ما سوف يتركه ولعله
من الطالبه ومن متمتع لما بحسرانا وقرب عقود لما احتمل امرا وابعد بعيده على ربه آسفا الا
خير الدنيا والاخرة وقال قتيبة بن مسلم ان الحرص يعجل الذلة قبل اوان البغية وقال رجل لبعض الصالحين
انا خارج الى بغداد فهل لك من حاجة فقال اذا جئت ابسط املي حتى تذهب الى بغداد فيجي وكان الفوشنجي
الصوفي في ذم من اصحابه فتصوفيه الى حمامه حين خرج الصومعة من الكرب فقال الفوشنجي ارفق قليلا
حتى يبلغ من احسنك اليها فقال الصوفي انا الشيخ الى العصر اذا احدث نفسي بلوغ ذلك المكان فبكى قوم من الفضلا
وضحك قوم من جلده وقال بعض الحكما اذا كان الفقر حتما فالحرص باطل واذا كان الغدر في الناس طبعا فالثقة
بكل احد عجز واذا كان الموت لكل احد راصدا فالطمانينة الى الدنيا حمق وقال من قدر ان يحترز من اربع
خلال لم يكن في تدبيره خلل الحرص والعجب واتباع الهوى والتواني وقال بعض البلغا من بسط له شاب حله وتمنا
امر يجار طال العنا ومضطرب الرزق وزال العطلة ومن صغر هجره ونقصه وفي الحجاب من لم يكن الله شيما
لم يرحماليات في الحيد ولا يد من يجي بعين على الدهر ويحيي عن كرام الناس فهذا لاهن لياسهم وحفل الصعود الصبر
فيجم الحلة الامل وعلى من اياس والعزلة محمودة الا انها محتاجة الى الكفاية والقناعة من فهل
ولكنها افصح الى البلغة وسيلة الفرحسنة الا انها كلفة محوجة ان لم يكن لها اداة يبدها وتر
هذه الامور عن ممكن ولاستطاع الايدي بين ورغبة في الاخرة شعيدة وقطام عن زن الدنيا

ونسيان

ونسيان المحامد والخائن في مبلغ وقال ابن الجمان ولا افلا لم تنقع حديث قبل سيف لقمة اسيغ من لقم
ووجه اسعد من وجهه وسلك انعم من سلاك وليس كل احد له هذه القوة ولا فيه هذه الملكة والانسان تبرز منيته
منها فته ولطيفته منشره وله عادة طالبة وحاجة هاتكة ونفس عجوج وعين طموح وعقل ضعيف وراي
ضعيف يجوز اول ربح ويتحمل الاول لبارق وهذا اذا تخلص من قرنا السوء وسلم على تراقي العقل وكان له سلطان
على نفسه وقهر الشهوة وقمع هواه وقبول من نصحه ويتهيء في بحثه ويتوثق في معانيه حفظه واهتمام بمعاد فيه و
استبصار في طلب العبد فيه واستضاف زهو الى اصل العقل المرشد وهذا قليل صعب وكل قليل سعادة
او حال الحاسف عليها وكان ابن السماك يقول القد استعان على الشر بضعف قلوبهم وحمل التحاسد وقيل
عن الحسن ان الطالبون للاخرة والتاركون للدنيا فقال الحسن ابلغ كلاما منك ونضع بك على من يعرف وقال
معوية لعبد الرحمن بن الحرث ما الذي اعجلك ولا اقبل منه بالا ابن الحي فاما ان نجمع معا او نرتوع
عنا ورنما قال بعض المتكلمين فقال بعض السلف ليس خيركم من ترك الدنيا للاخرة ولا من ترك الاخرة للدنيا
ولكن خيركم من اخذ من هذه ومن هذه وهذا الكلام مقبول الظاهر موقوف الباطن وربما قال الاخر من المتقدمين اعمل
لاخرتك كانك تموت غدا واعمل لدنياك كانك تعيش ابدا وهذا ايضا الكلام تحتاج لا يبرح الى معنى محقق ابن هو
من قول المسيح عليه السلام حيث قال الدنيا والاخرة ضرتان متى ارضيت احديهما اسخطت الاخرى ومتى اسخطت احديهما
ارضيت الاخرى وكيف لا يكون كذلك وهذا الانسان صغير الحجم ضعيف الحول لا يستطيع ان يجمع بين شهوات
وانحطوط بدنه وبنيل هواه واملته وبين السعي في طلب الجنة ونصيبه منها دار قرابته والقيام بوظايف
والثبات على حدود دينه ونحيبه فان تفوق همه فقال رجل تارة لهذه الدار وتارة لتلك فهذا مستدير
لاهو هنا ولاهو هناك ومن نجيبته لم يكن رجالا ولا امراة ولم يكن زان ولا اسا دخل ميمون بن مهران
على عمر بن عبد العزيز فقال له وقد قعد في احزان الناس عظني فقال ميمون انت رجل الانا وقد
قال اما افن قال انه قد يسلط لك وقد شمعت الشباب بغرته والمال وفتنته والامل وسكرته قال انت اولى
بمكان في فارتفع الى قاطعة على سريره وقال ابراهيم بن ادهم نظرت الى اعجب الخلق اولى اعالم الاخي نكته اثنا
من الفرح بالموجود والحزن على المفقود والرد يالمزاح لان من فرح بالموجود حرص الحريص وحرم ومن حزن على
المفقود تحسط والسخط منه يعيبه من ترك المزح احب والعجب مقوت وفي بعض الخطب كلكم يرجو من الحياة الامل
كلكم يطلب على وفاجى لحرب يجتنا كلكم تستعجل الكسل فينا المطر حيلة فلا تحصر عبادته والغفلة عظة على قلبه
لا تسيد دين زهادته قالوا بحق والعمر موزون القضا والدهر محقق في الاقتضا والترى قد اشتعل في التراوى والسفينة
بلغت ساحل الحيوة فاهذا الامل الغرور وقد ستقضا بعذر وما هذا الحرص الطاغي وقد جعنا العودة وعن اسئن
ادم الوجه وهو اقرب ما اقتنا وانظروا الى الطالع وركدا التراب يذهب القوي فلا الحجر وسلوا الذي فان اسفر كلا الهم
اجهلتم ولا وعبكم ما اجهلتم هل دلكم ان الله سبحانه نفسكم الاخطاء اشاما قسم وحتم ورما احتجتم ام تطعم عجلة

ولذلك كله حسرة وربما لا تحصدون منه ثمرا ولا تكالا يجمعون لمن يبكي عليكم قليلا ثم ينساكم طويلا وتوخرون
لازواج البنين والبنات من تحاسبون عليها يوم الدين

اذا انقطعت عني من العيش مدتي ... فان بكاء الباكيات قليل
سيعرض عن ذكري وتنسى مودتي ... ويحدث بعدي للخليل خليل
ارى علل الدنيا علي كثيرة ... وصاحبها حتى الممات عليل
واني وان اصبحت بالموت موقنا ... فلي امل من دون يقيني طويل

ومن خطبة اخرى تدل على القلوب بالعصيان وملأت بادا النفس للشيطان واستولى على اصدق العمل كذب الامل كا
تسول الصبر على الاماني ثم الاجل يسرع الى السبيل يجيب الى الصدور ويرى نزول الطب ينقض الى الركون يطرق الينا المنون
والاغترار وتحت السنون ولا اعتبار بطوي عمر الايام وتطوي الى الاجل ساكنين ويخطف اعقاب الخيام
ونطأ اللذات آمنين **يحكى** ان عبد الملك بن مروان نظر الى المرآة فقال الحسن حسنا ان اداره سام يوم فقال الى
سلمي من سام يوم بالملوك فقال احد بني مع كل العجم معدول فقال على حال حدثني قال اسمعت في سمع ان تغلبا حدثهم اسدا هذا
على ان يعود له بطعامه وحاجته فكان يوما عنده وهو يأكل من فريسته فقال له يا ابا الحرث لعاقبة ان ياخذ في
العقاب الكاسر فقال كن الى جانبي فقال الذي يخرجني في الى منه قال الا تكن على ظهري فكان على ظهره فجاء العقاب واخذه
من ظهره فصاح يا ابا الحارث ليس على هذا عاهدتني فقال انما ضمنت لك من اهل الارض فاما اهل السماء فلا
فاتعظ عبد الملك وعلم ان في احكامه ان لا مؤمل من الفنا وقال الرشيد لابي العتاهية عظني فقال اخشى ان
آمن قال فانشا يقول

لا تأمن الموت في طرف ولا نفس ... وان تمنعت بالابواب والحرس
واعلم بان سهام الموت نافذة ... في كل مدرع منا ومترس
ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ... ان السفينة لا تجري على اليبس

فبكى الرشيد حتى سمع نشيجه واجتاز الرشيد يوما في حشمه وجموعه وهو بمجلس ملكه في بعض طرق بغداد فنظر
اليه بعض الموسوسين فقال فهبك قد ملكت الارض طرا ... ودان لك العباد فكان ماذا
الست تصير في لحد ويحوي ... تراثك كله هذا وهذا
والتنادي الى الامين والمأمون وكانا وراءه وفاضت عيناه بالدموع وفي اخرى يا هذا الغرور والتضييع وهنا
التفريط والتضييع فاحسن ان يكون العمل في الدنيا اللازمة والزاد للاخرة النافعة فمن القى بجهله ان
على بامله يجاوره ويحل اليه هواه يشارع بيتي لها مناصما ويغلق في بيتنا ما ضمنا

المرء صب لدار ليس يصحبها ... بيت فما ناظر يبنيها ويخفيها
وللنفوس وان كانت على وجل ... من المنية آمال تقويها
فالمرء يبسطها والدهر يقبضها ... والنفس تنشرها والموت يطويها

الرسوب

الرسوب الى فعله ... والناس اخبار وامثال
يا ايها الرجل آمالا له ... من دون آمالك آجال

وفي اخرى ان الامل خانه اجدب والحرص كاسبه اخيب وما الحرص ومثله ابدا محروم وما القطع ولا ينجز
بالمشئوم وما طول الامل والعرض وما بعد المنى والاجل قريب وما هذا السكون وانما سوى نقله وارتحال
وما هذا الركون الى مناخ قلعة وزوال دعوت وقد دب الكرى في عظامه وفي راسه حتى جرى في المفاصل

وقلنا له قم فارتحل ليس ههنا ... سوى وقفة الساري ومناخ لنازل

هيهات وجدت الرحيل عن الربع المحيل بعد الانقل ولا ربيع غير مختطف انما دارس الاوداله وبها يمنع من الاستقبال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اكثر حب الدنيا قلت عبد الاعماد متهالك تعل الانفاك عناه ونمر لابد له
عناه وامل الايام انتهاه وافتقر ... الظلف من افضل خلق الفتى فافزع اليه وتعلق به

والتحف العفة في الغنى ... وهو الرضا بالقوت فاعلق به
واجتنب الحرص فمن يعشق ... حرصا على الاثر يعلق به
ويسر بالحرص مهانا فان ... تقنع بما يكفيك تعلق به
ولا تكن في طمع راهنا ... عرضك للاذلال تعلق به
فان تحصل على عسرة ... وان تجد وافاه تعلق به

وفي اخرى ان الخيال الابقاء وانتج اليوم غدا وان بعد المعاش نفاذا وان وراءكم سفرا طويلا
فهل رأيتم الحياة تريحون في مرح الحي ويتقون وتلعقون ويغضون من ... وتسقطون فامسكوا اعنانكم
بيد الذي لا يجري بكم في العالم الهوى وكفوا عن الحرص فانه منتهى الامال وطول الامل مشتت الاعمال وقصار
الحريص ان لا يستمتع بما عنده ويتعب في طلب ما يجري بعده ولتترك الافراط في الطلب واتكل على مسبب
الاسباب انما الله من الرزق فما الاجتهاد مخطاه وكم ويصفوا ما يتمناه فكم من اخفاق وطلبنا دوب ساع
لقاعد ... الارزاق على حاجة لاربابها ... والنزر يقضى له وهو آيب
يكد لها هذا ويقضي لغيره ... وما في الذي يقضى له وهو جالب
انها جيد وقسمت ولاحظ ليس الامر فيها بتعجال ومد لحاظ نمن مع الجدود وما الاير اة ويغنيه
المحدود ... اذا كان جمع الرزق في الامر مقبلا ... تاتت له الاسباب من كل جانب
وان ادبرت دنيا امرء بعد جمعه ... عليه فاعيته وجوه المطالب

فالاكثار من الحرص الذي هو السبب للتعب واصل النصب داعية الحاجة وعلامة الحاجة ولقاح الحمل
وناتج المحمل وابي اللئيم سلال الخلال والاهلال قال بعض الامراء لبعض العلماء اسلني حاجتك فقال
اولي تقول لي هذا وعبدان هما سيداك فقال ومن هما قال الحرص والهوى فقد غلبتهما وغلباك ...

العلماء الحرص فقال مثل هذا العقاب يطير في فضاء عزة لا يرتبط بما لديه ولا يعرج بدعليه فيرى قطعة لحم
على شبكة فينزل الحرص من مطاره فيعلق بما للشبكة جناحه فيصيده صبي ثم يلعب به لعب السنور بالفار
وقال بعض الحكماء من لوازم الحرص الكد الذي لا انتهاء له والعبودية التي لا انقضاء لها وان تكون
خدمته تفضل على خدمة من تتم له وذلك ان من شح وتبع هواه باكتساب ما يفضل من المال عن نفقته و مقدار
حاجته فجمعه وكثره فقد حصر وجمع واستعبد من حيث لا يعلم لانه اعطى كدا وجهدا ولم يستعوض منه
كفاية وراحة ولا استبدل لكد ابكي وخدمته بخدمة من يحصل جهده وكده كفاية للناس فاستعبدوا له
وفاته من كفاية الناس له وكدهم عليه في استماعهم قدر استحقاقه بكفايتهم وكده عليهم ثم ان رجع
له الايام لبث لملا وعاجلته في نفسه بالفناء فهو خاسر لسعيه غبين في شقي في امر مبين وما
احسن ما قال القايل جمعت مالا ففكر هل جمعت له يا جامع المال اياما تفرقه

المال عندك مخزون لوارثه — ما المال مالك الا حين تنفقه
ارفه بعيش فتى يغدو على ثقة — ان الذي قسم الارزاق يرزقه
فالعرض منه مصون لا يدنسه — والوجه منه جديد ليس يخلقه
وما كل من اعطى الغنى يبتغي العلى — ولا يبصر المعروف اين مواضعه
ومن يحلو شيمه غير خلقه — ليختلي به تغلب عليه طبايعه
فلا تحرص كم قد دعا الحرص من فتى — الى غاية ترديه حين يطاوعه
تعالى الله يا سلم بن عمرو — اذل الحرص اعناق الرجال
هب الدنيا تساق اليك عفوا — اليس مصير ذاك الى الزوال
الا يا نفس ان ترضي بقوت — فانت عزيزة ابدا غنيه
دعي عنك المطامع والاماني — فكم امنية جلبت منيه
اخو الحرص والطمع تابعا وانما — يقطع اعناق الرجال المطامع
انت المطاع ان نسلمني — اني لمولها اصفقا اصلده
فالملك حرا امن مد لتهما — والحر حين يطيعها عبد

وقد حدث بعض الحكماء حكاية مفيدة في التحرز من دواعي الحرص وما يفضي اليه من سوء العاقبة
قال كان ابن قرابة العطار يلي لمثل الخلفاء ووزرائهم ويكتب بحاجاتهم لهواهم فشكا المقتدر بالله
يوما ضيق الاضافة فقال ابن قرابة له لا باس فان هو ابن الخال وعنده من اصناف المال
ما يحل بعدد فاعاد المقتدر ذلك على ابن الخال فاجابه بان كنت عملا لك مما اقر به لك
لاني اسلم بلادك واذا انفقته انفقته في جيشك وان امسكته فلا امسكه الا لك فهو

وان كان

وان كان اليوم في يدي فهو عندك لك ممتاده وبقي الخال للمقتدر صلة ومع ابن قرابة من المال لما لا يحتاج
اليه ابدا ولا افناه سنوي لجودي وبنيك وانا استخرج لك عنه خمسمائة الف دينار وليس بينه وبين ابيه حميمين
الا الذي يحيي ما باهر فقال المقتدر فاذهب فعجله فقبض عليه ابن الخال ونال الله من المكروه ما اشتفى
به على التلف ثم اتفق قتل المقتدر وكان ابن الخال لعنه الله فقيد ابن قرابة وسلمه الى الحاجب وقد
من غاية فرجوع الى واسط وحدث ما حدث فهام ابن الخال واصحابه على وجوههم وبقي لابن قرابة
غلامان كان اشتراهما لابن الخال فجنايا به ولم يخاه من قبضه الى مسجد وطحن احتيالا وحالا فيه
توهم طلما منه مائة دينار وتخلص واستخلف القاهر واستوزر ابا علي ابن مقلة وهو يعاديه فقال ابن
سنان كان بين ابن قرابة وبين والدي مودة وكيدة فضرنا اليه للتهنية على الخلاص فقال
لوالدي يا ابا سعيد اريد ان استشيرك في امري قال له والدي فقل فاني احصفك النصيحة قال
كنت قد بقيت من الحرص ومطالبتي من التخليط وعلى تبعات فيما كنت ادخل فيه لم يكن على احد مثلها
وقد تخلصت من هذه النكبة وحصل لي اليوم من الضياع ما يرتفع منه الف دينار ومن الماشي
المستغلات مثله ولي من العقار والالات والجمل والرقيق والخدم والكراع ما ليس لاحد
مثله وبعد هذا كله لهم ثلثمائة الف دينار لا احتاج اليها وبيني وبين هذا الوزير مودة شديدة
وصحبة اكيدة فهل ترى لي ان اقتصر من فارس ان اقتصر على الفاية في الاوقات لعمارة الخال واعتزل عن
ما كنت فيه من شدة الحرص وبعد الامل وكثرة التخليط فقال له والدي ما رايت اعجب من هذه
المشاورة انما يشاور في المشكل من الامر فاما الواضح فيستغنى فيه عن الراي انظر فان كانت تلك
الاخاليط والاقاصيل انزلت لك ما تحب فارجع اليها وان اتم منه ما تكره وعرضتك للتلف والمحنة
وزوال النعمة فلا تعاودها ومع هذا فالانسان انما يكد ويكدح ويتعرض للمكاره ليحصل له بعض ما
حصل لك فاحمد الله عز وجل فقد حصل لك من المال ما لا يحصل لاحد من الناس من التجار وما يحرم
امر الانسان فارح الملامة والصيانة للعاقبة واغتنم العافية في النعمة فقال قد سمعت وعلمت
انك بالغت في النصيحة ولكن في نفسي حرصه مشومة لا انصبر وسانعاود فقال والدي حار الله
لك وافترقنا فقال والدي ما رايت اجهل من هذا الرجل ولا يكون مثله الا مستولا او فقيرا باسوء
حال وكان الامر كما قدر فان القاهر قبض عليه وعلى امواله واملاكه وازال نعمته وارادة قتله فتخابرنا
امر القاهر ثم تردد بين الدواوين ووقع في الامر وصودر حتى لم يبق له بقية واضطر الى الخدمة
ناصر الدولة ابن بوز وماية دينار وقد كبر في عينيه بعد ان كان ينفق اكثر منها في اليوم و مات
بالموصل على تلك الحال وتحقق هذه الحكاية يوقع على مثلما الوزير في قصته من تحقق بالوزارة
وحمل الامراء ودام ابساط الخلفاء وامر ونهي في مجالس الرؤساء بعقل قصير وفهم يسير وراي حقير

وادبر عمر كان خليقا بالنكبة وحريا بالمصيبة وانا اتكلم اذا حضر اولوا الكلام فيك بما يقربون الى الله عز وجل

المجلس الحادي والسبعون من كتاب خلق الانسان تفسير قول الله عز وجل وفي انفسكم افلا تبصرون يشتمل على الكلام في قمع النفس ومخالفتها في شهواتها

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان من اخرج من الشجر الاخضر نارا وفجر من الحجر الصلد انهارا وعقد على الهوا السما واودع في الجبال الماء فسيل من الجبال الى الارض ينابيع الحياة وسير من السما على الهوا مصابيح لامعة تسبح له السما بافلاكها واقطارها والارض ببرها وبحارها والروض بانوارها وثمارها والسحاب بسيوحها وامطارها والليل عند خفوق النجوم واختفائها والنهار بعد بزوغ الشمس واشراقها والطير بالحانها وعنادلها والخيل بتحجيلها وصهيلها والاقلام في ايدي فرسان الكلام بصريرها والاسياف في ايدي شجعان الهيجا بصليلها والنطقا فاعرف باصواتها افواهها والصامتات بشهادة ابدانها اجسامها والبهايم والسباع وحشيها واهليها والموجودات باسرها كلها في جزئياتها حتى الذر في نواحه ورواية والذيب في ضلالته والثعلب في روغانه والبوم في زعقانه والحمام في اهتدائه والديك في جوده وسخائه والكلب في الصيد ووفائه ففي كل ما خلق حكمة باهرة تعقلها او تجهلها وعلى وجه ما فطر حجة ظاهرة تعقلها او لا تعقلها تشهد كل ذلك بانه الملك الحق المبين مالك الملك رب العالمين ارسل محمدا الى الخلق هاديا وبالهدى مناديا وبلسان الصدق صادعا وبنور الرشد ساطعا حتى اهتدى بهديه المهتدون وسرى في سنته المستبصرون المهتدون فصلى الله عليه وعلى اله اجمعين قال الله تعالى افرايت من اتخذ الهه هواه افانت تكون عليه وكيلا جعل الله متبع هواه متخذ الها فيكون باحرى ان يخرج من الايمان ويبعد من الانسان ويقرب من النيران منقطعا بهواه عن مولاه محروما في الدنيا والاخرة مناه فهي النفس الامارة بالسوء عن هواها ومنهما ان تميل اليها فيحيط مولاها واجب على المرء المسلم ملهوي في الصدر ان يصطبر في حبس لهيبه ومعنى الحديث ان النار تنادي يوم القيمة بالمومن يا مومن جز فقد اطفا نورك لهيبي ان من عالج شهوات نفسه وهوى قلبه حتى يديرها ويملكها وتخلص انوار الايمان من دخان الشهوات المظلمة استحق ان يعطى يوم القيمة من النور ما يطفي لهيب النار التي اتقدت من نار الشهوة كما تطفي الشعلة القوية نارا ضعيفة ومن لم يعالج ذلك من نفسه وخرج من الدنيا مع هذه النيران التي لا تزال موقدة مظلمة خيف عليه ان لا يقوى نوره الضعيف على ان يطفي لهيب النار على الصراط مع شدة اضطرامها وقوة احتدامها وان لا يقوى دخان شهواته الغالب مع عظيم ظلامها وشديد ادلهمامها وكيف لم يكن له في دنياه نور في القلب يطفي نار هواه الموقدة ويخرج منه

لعال

اعمال المحترقة مسودة لا رغامة ما كان يعمله من الطاعات لما يعمله بهواه وبما نشط له نفسه ويحمله طمعا او يريد به ريا الناس ولا يريد به وجه الله وينظر اليه انا امر به نفسه ولا ينظر الى ما اختاره الله له فيكون عاملا براي على الهلاك والاستدراج والشقي والاحباط حتى نهاه عن حمله ذلك على ان الولي في جبلة يطوع به وهذا موجود في كثير من الناس يرى الرجل يصلي بالليل ويسرد الدهر ويصوم النهار ويرخي له في شان نطويه وبحوره ويزداد لطمعه الحلال ولا يبقي على نصيب صاحبه وخادمه ويغتاب الناس وينفق في البر ويكتب من الشبهات ويتصدق على المساكين ويبر الضيفان او يتصدق من حلال ما له ويمن ويعتد ويعود المريض ويشهد الجنائز اما القضاة الحقوق او لابتغاء الثواب ويوذي المومنين ويطوي كشحه عن المتوسلين ويقارب الاجانب و يقطع ارحام الاقارب ويود من لا اسل اليه بسبب ولا يدنو منه من هو منه من بضعة كبضعة قدة وريد وقصة دوران هذا الجاهل برتبة يقنله الشيطان لخزايه وصطاده الهوى بحبايله فاما العلماء بالله والمبصرون لما في النفس من الخير والشر وما طاوعهما من الحق في النفس والشيطان هنالك اهل وارثان يطعما ايمانهم رسا الاستبدلان النفس امارة وعلى القلب الذي اسير الهوى وخدعه الشيطان فاما المومن الذي انشرح صدره واطمان بالايمان قلبه فانما يجاهد نفسه الامارة بالسوء الجامحة الى الوزر الصادة عن الحق الصادفة عن الخير ويخالف الشيطان العدو النازل بربع الهوى الملازم لحوايج العصاة قال الله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين وان جهنم لموعدهم اجمعين لها سبعة ابواب لكل باب منهم جز مقسوم وانما هي باب الهوى وباب الشهوة وباب الغضب وباب الحرص وباب الغفلة وباب الشك وباب الريا وفي الحديث النار باب لا يدخل منه الا من شفى نفسه بسخط الله تعالى وقال الحكما ان موضع ثبات القدم والمسكة في مداحض الهوى واستزلال الشهوة الانسان يعرف فضيلة الرجل ونبل همته فان جسد الانسان لما كان مبنيا بالمزاجات المختلفة والاعضاء المتنافية وكلها معرضة للامراض الطارية عليها والافات الحادثة بها اما من جنس الاحزان والالام واما من جنس المسرات واللذات يحتاج الى النفس وصفة الطبع الانسان الا ان هذا الجسد معين امر لطيف لما من العوارض في الطبيعة واعلم ان هذا الجسد مدبرا له ومهيمنا عليه وهو العقل المضاد للهوى فان الهوى يجتذب البقاء ويحتوي ابدا ما يدفع به الشي المؤذي ويجلب الشي الملائم اللذيذ في وقته وان كان يعقب مضرة من غير نظر فيما ياتي من بعد ولا روية فيما ينفع في الحال والعقل يرى ويختار الشي الافضل الانفع وما هو الاصح والاصلح عند العواقب وان كان على النفس منه في الابتداء مونة وكلفة وصعوبة وبهذا نرى كل واحد منهما معاندا بالاخر منكرا لما يامر به ويدعو اليه كما قال الشاعر عن لسان هواه

طرحوا اللحم للبزاة على ذروتي عدن ... ثم لاموا البزاة ان خلعوا منهم الرسن

لو ارادوا صيانتي ستروا وجهك الحسن ... وقال اخر عن لسان عقله في جواب ما قال الهوى

يا من يسر بلذة الدنيا ... ويظنها خلقت لما يهوى

لا تكذبن فانما خلقت لينال زاهدها بها الاخرى ۞ الا ان العقل في معاداة الهوى سار للانسان

والهوى في معاداة العقل منازله وصائر به الى فساد الدين والدنيا والعقل هاد ويجرانه والهوى كاذب

ومستول عليه ومغتاله وسائق له الى ما يوصفه من النفس قال العباس بن الاحنف

كيف احتراسي من عدوي ۞ اذا كان عدوي بين اضلاعي ۞ وقال ابن المعتز

وبارقة اسنة كالسيوف ۞ تقطع اعناق اصحابها

وكم دهي المرء من نفسه ۞ فلا تؤكلن بانيابها ۞ وقال الخطابي

ولولا الهوى اصبحت رأيي من نثق ۞ باول رايه فليس بعاقل

وذو النصح اهدى فيكم لي نصيحة ۞ وكنت اهدى الحزم قابل

فاذا عرف هذا فانما الشر عصت على مدبرها التي ديت بنوره وشرفت بكلايه فلم يطع امره وعاش في

شهواته والجانب ذو الحي وغضبه في اخس واطرح من الخنزير الحاج والسبع الثائر لاربعة معان

احدها انهما يفضلانها بسوء المواتاة للتاديب في التعليم والاصلاح والتقويم فاما النفس ان حرت

وقدمت بالادمان الشهوات والانهماك في اللذات واستحكم عليها سلطان الشيطان وادن فيها حران

الطغيان لم تطاوع لارعوا ولا لانتها وانقطع حبال الحيل في تقويمها وردعها حتى يصير الامر فيها حال

الامراض البدنية التي لا مطمع في دوائها لاستحكام برئها واستحكام دائها والثاني انهما لا يقتصر على

حدتها الاول المركوز في الطباع كما يقتصر عليه نفس البهايم والسباع بل اذا افرط الهوى في الانسان تمادى

في الخلاعة وانهمك في المجانة وتراكم عليها الفضايح الخبيثة والاهواء المردية حتى يعشق الانسان ولا

السباع الحسان وبعض الحيوان لان الملوك مجموع في المستهترين بالقبيح والمنهمكين في المجانة في وقتنا هذا

وجريرتي الاحداث ومنا بعد ذلك من السعي التي لا تتوى للجماعة العيد منها والثالث انه بقية الانسان

صيغت على هيئة يقصر عنها في الشهوات فان بهيمة واحدة يصيب من لذة الماكل والمنكح ما لا

يصيبه ولا يقتدر عليه عدة من الناس وانما الحيد بالملتذ بما فوق التذاذ الانسان لانها

الغاية في اللذات لان كمال اللذات ليس باستناد بعضها الى بعض بل بالاضافة الى مقدار الحاجة

اليها وحاجة الانسان لا تنتهي وحرصه لا يقف على حاجاتها

يموت مع المرء حاجاته ۞ وحاجة من عاش لا تنتهي ۞ وقال عبدة بن الطبيب

والمرء ساع لامر ليس يدركه ۞ والعيش شح واشفاق وتاميل

متى تنقضي حاجات من ليس بالغا ۞ الى حاجة حتى تكون له اخرى

وكذلك لا يخلو حال العاذل ولا يصفو عن قذى ۞ انا وانت اشتهي بحبيبك واشتهي مسارع العشاق

كفى حزنا ان الجواد مقتر عليه ۞ ولا معروف عند بخيل

ما اعلم الناس ان الجود مذهبة ۞ للمال لكنه ياتي على النشب

وكيف يخلص حال العزاذي وقد دنى وقد اختلط بعد الامور حان

يمنى الفتى بخلاف كل معاند ۞ موذ حتى بالقذى في مشربه

يهوى اذا اصفى الاناء لشربه ۞ ويروع عنه عند صب انائه

يحكى ان يزيد بن عبد الملك بن مروان عشق حبابة عشقا مبرحا وكانت حبابة اذا غنت وطرب

يزيد قال لها اطير فتقول فعلى من تدع المسلمين وامورهم فيقول عليك فقال لها ذات يوم يا حبابة

انه لم يصف عيش يوما قط لاحد كذا يقولون فاشتهي ان تسمعيني ولا يكون معنا ثالث ولا يدخل

الينا احد فلعلنا نخالف بهم الزمان ونلبس يوما بلا احزان وتقدم الى حجابه وخواص اصحابه ان لا

يخبروه بخبر ولا بامر فخلوا البلد اسرا وخلا بها في روض كاحسن الديباج على حوض ماء كالزرق الزجاج

وانه معها في الشرب والغناء والسرور والرقص حتى انهما الامر فقذفت بحب رمانة حتى اختنقت حبابة

حبة رمان شعلة بها على التراب فنقضت بها فماتت من ساعتها فحزن يزيد ودهش وعزم ان لا

يدفنها تمادى عليها حتى تغير ريحها شيوخ بني امية وقالوا اهلنا ما رأينا الا برخصة الاعتماد ولا

بحوع الليل والنهار ورماد الرائحة حتى دفنها وانشا على قبرها يقول

فان تسل عنك النفس او تدع الهوى ۞ فباليأس تسلو عنك لا بالتجلد

وكل خليل زارني فهو قائل ۞ من اجلك هذا هامة اليوم او غد

وكان كما قال فلم يلبث الا قليلا بعدها حتى لحق بها والوجه الرابع من فضل سائر الحيوان في اللذات

والشهوات على الانسان بين سقوط الهم والفكر عنها وهنا عيشها وطيبها بشهواتها فانا نرى

البهيمة قد حضر وقت ذبحها وهي لاهية راعية واذا انعماتي فكما ان العادة سائر والنعم كما

قيل ۞ نراع اذا الجنائز قابلتنا ۞ ويحزننا بكاء الباكيات

كروعة ثلة لمغار ذيب ۞ فلما غاب عادت راتعات ۞ آخر

تحيي الخطوب وانت منتبه لها ۞ فاذا انقضت فكانها احلام

ولعمرك ما المطالعة في شيء كانت البهايم تضارع الانسان فيه بل كانت اقوم به منه وكان الانسان

اعجز واقل حظا منها فقد ظهر ان الانسان المغلوب عقله الغالب هواه وشهوته في حال البهايم بل

اخس واقصر كما قال الله تعالى اولئك كالانعام بل هم اضل وانه اذا احرز طاعة العقل ولم يستعبد شهوته

مع انه سبع على اسبادها والاستهتار بها صار حاله في المرتبة فوق الملايكة المقربين فان النبي

الشر اذا العزاد بها العجز على صعوبة محاولته وشدة الامر عليه في مزاولته كان اولى بالحمد والمجد

ممن لم يعرفه بهولة السر وحلاوته ولا يعرف صعوبة الخير ومرارته فقد ظهر ان الاوساخ البدنية والافعال

الدنية مهما انفك عن الاخلاق الانسانية بتغليب العقل على الهوى وبرابطة الشهوة في نفر البهائم وجب
الفوز بالكرامات الالهية المتصلة الدائمة الباقية والاغتباط بانوار نور الحق وطلعة على الدوام
من غير فتور وانقطاع الى ان يرى من نور عقله ما لم يخطر بباله ولا يقف احد عليه بسلسلة من غير تعليم
وتفهيم وتوطين وتمرين كما كان عليه امر الزاهد ابي بكر الوراق رحمة الله عليه فكان كان الحكمة
رزق العلم دفعة واوتي البيان جملة يتكلم عن القلوب بصحة في العلوم وهو غايب لم يتفقه ويحيى
يتادب على هذا قول الحسن البصري من احسن طاعة الله في شبيبته لقاه الله الحكمة في اكتهاله كما قال الله
تعالى في قصة النبي المعان المنصوص على نبوته الموفق المعصوم في حال صبوته ولما بلغ اشده واستوى
اتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين ومنها يعين على قمع الهوى ورجحانه وان كان صاحبه يجرع
في صبحه امر مرارة وبشاعة ويستعقبه المجاهد حلاوة ولذاذة ينسى لها سالف وقت بها تعب
في يوم ذي ودعة ترض فيه الاجل بان المونة في احتمال معالبة الهوى تستخف بالاعتياد
ولاسيما اذا كان ذلك على التدريج بنقص اليسير اولا وترك البعض قليلا قليلا ثم يزداد ذلك ويتأكد
عند الشروع والمواقف الغائبة وحسن انتظام الامور ومدح الناس واثنيائهم الى تلك الحال الشريفة
والمنافسة في تلك الرتبة المنيفة حتى قال ابو حنيفة رحمة الله عليه لو علم الملوك بما في الكرامات من
اللذة لجالدونا عليها بالسيوف ومن الاسباب المعينة على قمع الهوى وردع النفس عن الطغوى تصقيل
القلب عن خبث الشهوات وتصفيته من كدورة الاخلاق حتى يعتدل به نية الى حركات الجوارح وخطرات
الجوارح على القانون المعدل والقسطاس المستقيم فانه لا يصل الى القلب حتى يستوى نفعه والموجا جه
ويعدل بمنه ومنها ان يستعد بتعديل الحسوسات وانما الوصول الى تعديل القلب بثبوت تعديل الجوارح في
حركاتها وتسوية الجوارح في خطراتها ولهذا يعظم حسرة من فاته فضل التعديل الا بشدة طريق التعدل
بانقطاع علاقة ما بين القلب والجوارح فمهما كانت حركات الجوارح وخطرات الجوارح موزونة بميزان
العدل مستمرة على الخط المستقيم الذي لا عوج فيه ولا امت ولا انسداد فسعادة حدث في القلب هيئة
عادلة مستقيمة مستعد لقبول الحق اعتقادا وفعل الخير عملا وذكر الصدق قولا ويكون ذلك هيئة راسخة
لا تنزع وصورة قائمة لا تبرح الا ترى الى من تعود الصدق كيف يصدق رؤياه لحصول الصدق في
قلبه هيئة لازمة تتلقى لوائح الغيب في النوم على الصحة خلاف رؤيا الكذاب بتعوده الشاعر الذي
تعود التخيلات الكاذبة الشعرية فاعوج بها صورة قلبه عن الاستقامة فان كنت تريد ان تلوح لنا
في جنان قلبك من اللوائح العجيبة والاسرار الشريفة فاترك ظاهر الاثم وباطنه وذر الفواحش ما
ظهر منها وما بطن والهوى حتى فيما يتعلق بالشهوة ولو فيما الاسراف والكذب ولو في حديث النفس
والبغي ولو على الباغي واجتهد ما استطعت في التشبه بالملأ الاعلى في التورع عن الشهوات وردع

النفس

النفس عن البثات وتجنب مقاربة البهائم المهملة والشياطين المسترسلة في اتباع الهوى بحسب مقتضى
الطباع من غير استحسان نفسه وارتفاع فالنفس مهما تعودت الانهماك فيما ارادت الفت اتباع شهواتها
وغلبت عليها امر البهائم عادة صفاتها فالرأي ان تلجم بلجام كبحها دون جماحها وتكل بشكال يمنعها
عن ركوب راسها فلا تفعل شيئا بحسب طباعها بل بحسب امر الآمر لها فلا تجنح على نفسها ولا على غيرها
ومهما تعين على قمع الهوى وكسر الشهوة خلاء البطن فانه ينبوع الشهوات ومنه المنكوح ابدا
من زوفية شهوة المطعوم ومهما غلبت شهوة المطعوم والمنكوح تولد منهما شهوة المال اذ لا اقتضاء للشهوات
الا بالمال وينبع شهوة المال شهوة الجاه فالجاه من الاسباب المعينة على اكتساب المال وعند اطراد المال في
الجاه تزدحم الآفات وتنشأ الخطيئات من التنافس والتفاخر واستعمال الكبر والرياء والتزيد في العلو
والتمادي في الكبر والطغيان في اودية الحسد والعداوة والبغي والعدوان والاستطالة والمنكر والفحشاء فاذن
منبع اجتماع جميع الشرور ومنشأ طريق جميع السيئات من شهوة البطن ومن هنا قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم افضلكم عند الله اطولكم جوعا وتفكرا وابغضكم عند الله كل اكول نؤوم شروب وقال ما
ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطن حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه وان كان لا محالة فثلث لطعامه
وثلث لشرابه وثلث لنفسه وقال ان الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه
بالجوع والعطش وقال كلوا واشربوا في انصاف البطون فانه جزء من النبوة وكانت عائشة تقول اول
بدعة حدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الشبع ان القوم لما شبعت بطونهم جمحت بهم نفوسهم
ولو لم يكن في قمع هذه الشهوة الا صفاء القلب ونفاذ البصيرة والبعد من البلادة والقسوة والقرب
من رقة الفؤاد وتذليل النفس وازالة البطر ومعاداة الغفلة وتعذيب الشيطان وتوهين اسباب
المعصية وتخفيف المؤونة وتقليل النوم لكان في ذلك اعظم المنفعة واتم الجدوى ولو لم يكن في
البطنة الا ذهابها بالفطنة لكان احق ما يجب على العتقي بضلة الجد المعنى بيا شره ومناهجه
التوفير على اجتنابها واعتق النفس بالاحجار عنها كما قال ذو النون ما شبعت الا عصيت او هممت
ولما عرض الدنيا عليه صلى الله عليه وسلم قال اجوع يوما واشبع يوما فاذا جعت صبرت وتضرعت واذا
شبعت شكرت وقيل من يرفض الشهوة لم يغتفر ومتى اراد ان يستقرض لقضاء شهوة فاستقرض
من نفسه بترك شهوته وقيل لابن ادهم قد غلا اللحم فقال ارخصوه اي اتركوه ولا تشتروه

واذا غلا شيء علي تركته ✱ فيكون ارخص ما يكون اذا غلا

فقال بعض الصوفية اني لادخل السوق فيعرض كل شيء نفسه علي وانا عن جميعه حر الى لا ابعث
ابي يحيى منها السنة فتموت شهواتي فيني دونها وعن هذا قيل عنانك عن اللذات خير من عنانك به
قالوا ومن آفات الشهوة ان الانسان اذا لم يملكها ملكته واذا لم يتعبدها استعبدته وقد قالت

الحكماء ان العبيد اربعة عبد رق وهو حكم من الرق لا ذنب من العبد وربما اوفى في الآداب هذا العبد
على الحر بمعرفة السادة وعرفان الزمان وعبد طبع وهو الذي له بدن يقوى على الكد وليس له في نفسه
تمييز ولا شمة من العقل الا ما انقاد لغيره ومثله في طبيعته قريب من البهائم التي يصرفها الناس
في امورهم وحاجاتهم كيف شاؤوا واحبوا وعبد طمع وهو الذي لا ذلة حرصه على ما في يد غيره لطمعه
وخدمته فلا يزال خاضع الخد ناكس الطرف خفيض الذكر وضيع القدر

أطعت مطامعي فاستعبدتني ... ولو اني قنعت لكنت حرا

وعبد شهوة وهو الذي لا يملك نفسه لغلبة شهواته عليه ومن كان كذلك فهو عبد سوء لا يصلح لشيء
قال بقراط لان يكون الحر عبدا للعبيد خير له من ان يكون عبدا للشهوات ومما قاله من نعى على عبد الهوى

يا طالب المال بغير حزم ... اليك من طلابك المعز
فكنت حرا وانت عبد ... فصرت عبدا وانت حر
يرنع في جنابك المعنى ... ويرتجي فيك ما يعز

آخر

يا مالكي وهو ملكي ... وما الي يوم فتبكي ... لولاك ما كنت ابكي ... الى الصباح وابكي

آخر

خذوا بيدي هذا الغلام فانه ... رماني بسهم مقلتيه على عمد
ولا تقتلوه انني انا عبده ... ولم ار حرا قط يقتل بالعبد

ويقصد هذا قول القائل: ملكت نفسي وذاك ملك ... ما ناله للملوك ملك
فصرت حرا املك نفسي ... فالخلق مالي ومال

آخر

ومن البلاء وللبلاء علامة ... ان يطيعك هواك ثم تطيع
والعبد عبد النفس في شهواتها ... والحر يشبع تارة ويجوع

وقيل لبعض الحكماء ما الفضل بينك وبين الملك فقال هو عبد الشهوات وانا مولاها وقيل لآخر
ان الملك لا يحبك قال ان الملك لا يحب من هو اكبر منه وقيل له هو حاضر امثال اليوم افضل ام
ملك الفرس قال من كان بعض الملك هواه وذكر لبعض الصوفية ان الفرس كانت تقول من
قدر على التحرز من اربع خصال لم يكن في تدبيره خلل الحرص والعجب واتباع الهوى والتواني
فقال صدق الفرس في هذا وانهم كلهم اشركوا في العقول وان اختلفوا في اللغات فلا ابد حدا
قد فتح الكلام وتطاول الفضل لانه يعلم ان الحرص يسلب الحياء والعجب يجلب المقت واتباع الهوى يورث
الفضيحة والتواني يكسب الندامة نسال الله هداية تقوى وعصمة تكفي فالهوى من آفات الهوى ما يكسبها
من الخبائث والمفاسد حدثنا ابو يوسف السيرافي قال ذممنا الدنيا عند ابي احمد بن ابي بكر السلماني
فقال ان الدنيا ليس بها مقدرة لا يمر بها الا من هو اقدر منها الامر ان لذاتها كلها قذرة

ملبوسها الابريسم وهو خرء حيوان وانتنها والذ مطعومها النكاح وهو مباشرة الاخبثين في
مجاري الحيض والبول واحلى مطعومها العسل وهو رجيع اخس الطيور واطيب مشمومها المسك وهو دم قذر
حقين والحيوان سمعها الاوتار وهي امعية الحيوان واشرف المنظور اليه الوجه الحسن واحسن الوجوه ما ظهر فيه حمرة
الدم المحمر وآثاره فان وجد المحبوب احسن وقال ابو الحسن الموسوي اطايب الدنيا اخباثها ما نفايسها
من خبايثها الذهب والفضة من حجارة والمسك من فارة والعنبر من روث دابة والعسل من ذبابة والسكر
من قصبة والقصب من حشيشة والخز من كلبة والديباج من دودة والانسان من نطفة قذرة ومن
اعانها التي هي معرى الصوا فعينها انها انما تتوفر عليها اللذات ادبها والاعمال بها والادمان
لما يذهب الالتذاذ منها لانها تصير عند المواظبة عليه بمنزلة ما له كلفة وحاله ما لو فرضنا وقع
ذلك الا تشتهيها الاوقات منها ولو اوضح ما ارى صاحبها ايضا للعادة اذ صارت عنده بمنزلة التي
الاضطرار في العيش لا بمنزلة ما هو نشره وشبعه ويدخل من الاكباب عليها والانصباب اليها النقص
في الدنيا والدين واحتمال صنوف الاحتيال واكتساب الاسباب وركوب الجهالات والخطار فاذا هم اشقياء
كادحون من حيث ظنوا انهم سعداء ناعمون وآسون محزونون من حيث قدروا انهم فرحون مسرورون وفي
مثالهم من قام ملتذ في مكاحون في فناء ما يتركون وبركون الى ما عنه يزعجون وفي كلام بعض
البلغاء ان حال الانسان في نفسه حال بيت فيه انسان وخنزير وسبع فالانسان العقل والخنزير
الشهوة والسبع الغضب فاي الثلاثة غلب فالمسكن له وذلك هو صحيح فاذا عيانا ان الرجل اللبيب
الضابط لنفسه هو حقيق بان يسمى انسانا والرجل الذي قد استعبدته واستتبعته شهوته بالخنزير
اشبه والمائل الغضبان بالسبع اشبه ويحتاج هذا الموضع الى فضل ايضاح وهو ان الشهوة والغضب ان
كان قمعهما وحسمهما والجنايا على الاطلاق لسقطا من اصل التركيب سقوطا ما يستغنى عنه بل ما يتحرز
منه ولكن هنا ضرورة الى الشهوة لاجتناب الطعام التي بها قوام البدن ولا مكان المناكح التي بها
بقاء النسل وضرورة اخرى الى الغضب لدفع الظلم واباء الضيم والانفة من العار والذب عن الحريم فكان
يجب ان يكون هاتان القوتان تحت قوة العقل وسلطانه لتجريهما مجرى المركوب الذي يركب عند
الحاجة ببسم الله وبشكيمة تكبحه وعنان يثنيه وسوط يخيفه فاذا انزل عنه رابطه الزمه
الرباط والشكال ليلا يجمح على حال من الاحوال بسبيلا الى ان يشرد فيهلك نفسه ويجني على غيره
ومما ينبغي للانسان ان يعلم ان هذين العدوين من شهوته وغضبه ربما انخدعا وقبلها له
بالصديق الذي هو العقل فظن انه في طاعته ابدا ما مطيع له فاستعمل الشر على انه خير وجار على انه عادل
ولحظ الخطأ انه مصيب وسبيل الحازم ان يستعمل خصلة هي من معالم الخير ليخرج من مصائدهما ومكائدهما
ويصل من اشراكهما وحبائلهما فيعرض على عقله ما يدعوه اليه نفسه على ان الفعل ادى منه من غيره

بعد ان يكون تعيينه نا ضلا فاذا احس من نفسه ومعرفة منه فليعلم ان ذخيرة الصرع لميضه وان كان على الصدق من
هذه الصفة فليعلم انه قد محض وليخشع منه ثم ليتامل المستحسنات فانه يجدها مما يختص الانسان به ولا
تشركه البهائم فيه بل يحجبها وتم منه مما صار لها لدفعها كثرة الاكل وعظم الفرح ومحبة الانتقام وكفاه
بذلك ازعاجا لها عما ارضها فيه وباعثا على ما استاثر عليها به وليس كل من قاده عقله الى العلم بما
الامور انقادت له نفسه الى العمل بها فقد راينا كثيرا من اهل المعرفة يامرون ولا ياتمرون ويزجرون
ولا يزدجرون وتعرف من المتطببين من كان ينهى عن يسير من التخليط ويتهالك في كثير من المآكل الضارة
ومن المتفلسفين الذين هم اطباء النفوس من كان يذم مقابح الاخلاق ومقابح الافعال ويرتكبها في
خلواته وتارك العلوم مع الجهل العقل منها كمع العلم والحازم من الناس من سبق بالراي نفور الهوى ورابط
فيه جيوش الحجج اسبابا الا ما المرء والاقدام الفعل انه يقوى من نفسه بالقوة والاستقلال واما بالنفور نظر في
الفحجا ان لحق بها بالضعف والاعتزال لانه انما يجاهد عدوا نا ثلا بين جانبيه ما لكا لجميع جوارحه
عليه فان اطاقة على الانفراد والاقبال اوره بالاعوان والانصار وفي كلام بعض الحكماء ايها الانسان
حسبك يعمل انك خصما وكفى بالكرب عنك فمن انك لم تتقاد من مورد العقل حتى لم تضمه ولم تدع
من هوى النفس بان قام نهمته فالذي فتح عليك هذا الباب حتى تبوأت ساحته وسكنت باحته وما اذا
وجدت من هذا الحال حتى علمت اسبابه ولبست جلبابه اما عند حفظه الاعراض اما نشق وربطه سوء
الاختيار انا نعلم ان الهوى يحتاج دون مطالعة التوفيق وانه من الامارة بالسوء يصد كل طريق ان سعت للخير
تحفيفها برشفه ربيعها تقطف ان محضت بالشر سبق الطريق تسهلها وفات اوهم تجعلها بجانب
باطلها الحق يسلم كليل لانه يقطع ويضربه هواها البعض وان لا انه يرجع صد عن العدل ق
الاحسان وليس ما الشر يحل لسان هذا يوسف صديق الله ابن اسرائيل الله ابن ذبيح الله ابن خليل الله لم
يامنها حتى استعصم من شرها وتبرأ الى الله من بريها فقال وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء
فكيف بانفسنا الفريضة في بحور الشهوات الغريقة في شرور الخطيات روى سعيد بن ابي هلال
عن ابي هريرة قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا قرا هذه الاية فالهمها فجورها وتقواها
قال اللهم آت نفسي تقواها انت وليها ومولاها وخير من زكاها وكان المأمون يقول اعظم الناس سلطانا من
سلط على نفسه نوليها الحسن التدبير وملك عنها فحمله على محاسن الامور وفي كلام بعضهم فذعوا هذه
الانفس فانها اسأل شيء اذا اعطيت واعطى شيء اذا سئلت فرحم الله امرأ جعل لنفسه خطاما وزماما
فقادها بخطامها الى الله وعطفها بزمامها عن معصية الله فاني رايت الصبر عن محارمه ايسر من الصبر
على عذابه وقال بعضهم امرؤ زور عمله امرؤ حاسب نفسه امرؤ فكر فيما يقراه في صحيفته ويراه في ميزانه
امرؤ كان عند قلبه زاجره وعند همه فضيحة امرؤ اخذ بعنان قلبه كما ياخذ الرجل بخطام جمله فان قاده

الى الطاعة

الى طاعة الله تبعه وان قاده الى معصية الله كفه وردعه وقيل لبعض الصالحين كيف اصبحت فقال كيف
يصبح من صحبته مع نفس معجونة بالشهوات في دار محلوة من الآفات تعد عليه الايام والساعات
ويحاسبه في جميعه علام الخفيات وانشد اصبحت في دار بليات ادفع آفات بآفات
ويصنع الله في مضيق هل من دليل على الطريق وفي بعض الخطب تنبهكم الآيات عن رقدة
الاغفال وتتعجبون ونحكيكم المثلات عن شرع الاعمال تعرفون ما للبصاير في الاعتبار
عليكم بالابصار في الاعتبار كحليكم ما للنفوس على الهوى عاكفة ما للقلوب على الحق طفئة
ان الهوى من القلوب في اجتنابه شفاؤها والشهوة صدأ النفوس ودفعها اجلاؤها حكت بعض
الصالحين قال الرقت ليلي فقمت الى وردي فلم اجد ما كنت اجده من الحلاوة فاردت ان انام فلم اقدر
المضجع فخرجت من الباب فاذا رجل على الطريق في عباءة ضعما فقلت تعال من غير معرفة وطرق
من غير موعد فقال لها لست ما الت القلوب ان تخبرني فلبيك قلت قد فعل فما ربك فقال يعي
داء النفس دواؤها فقلت انما داؤها خالفت النفس هواها صار داؤها دواؤها فاقبل على نفسه فقال
اسمعي قد اجبتك بهذا سبع مرات فابيت الا ان تسمعيه منه فقد سمعت فانصرفي وما تحكي
في قمع الهوى قال ارسطاطاليس للاسكندر لعظلها عن كل فيه صلاح الاحوال وصلاح رعيتك
قال وما هو قال حل عجلتك بتانيك وسطوتك برفقك وضرك بنفعك قال الله في قال الحر على
الهوى مالك الاذى لمن استعبده وقال ابن المقفع حمل الرجل بما يعلم انه خطأ هوى والهوى آفة العفاف
وترك العمل بما يعلم انه صواب تهاون والتهاون آفة الدين واقدامه على ما لا يعلم اصواب هو
ام خطأ لجاج واللجاج آفة الراي ولما طارت نوبة ملك الخاتم الى كسرى انوشروان عطف على الصيبح واللهو
فكتب اليه وزيره رقعة يعقل فيها انه في كتاب الملك على هواه وشهوته وادمانه الشرب في صباحه
وعشيته ضرر على الرعية والوجه تخفيف ذلك والنظر في امر المملكة فوقع على ظهر الرقعة اذا كانت
سبلنا آمنة وسيرتنا عادلة والدنيا باستقامتنا امور اهلها عامرة وعمالنا بالحق عاملة
فلم نمنع فرحة عاجلة فقالوا ان هذا الكلام وان راق ظاهره واعجب سمعه فحقيقته خطأ محض
من وجوه احدها ان الاحسان اذا فرطوا والافراط مذموم ولو في الخير والاخر انه جهل ان امن السبيل وعدل
السيرة وعمارة الدنيا والعمل بالحق مع لم يؤكل بها العدم فيتاخر لم يحط بالعناية التامة ولم يحفظ
بالاهتمام الجاذب لحجم الاستطالة بتابيها النقص والنقص باب للانتقاص والانتقاص من بدل الاصل
موضع للامطماعة ما بعده ان العمر اقصر من ان يمل اوله للاكل والشرب فالتلذذ والتمتع فان في تكميل النفس
بالكمالات الاشد الحاو لابعاد البلي حماماية وعد لمصادف العمر فكيف اذا كان العمر قصيرا وكان ما يدعو اليه
الهوى كثيرا وكان زمان العمر ما يدا وما انصرم منه ويدعو لخلافه خالدا وايضا فانه ذم عليه ان

العامة والخاصة اذا وقفت على استهتار الملك باللذات وانهماكه في طلب الشهوات ازدرته واستهانت
به وحدثت عنه باخلاق الخنازير وعادات الحمر واستهانت الخاصة والعامة بان النظر في امورها والقيام
بشانها متى تكرر تسلط القلوب نطق بها اللسان وانتشرت في المحافل واشتهرت بين الاصاغر والاكابر و
تادى من بعضهم الى بعض وهذه منكرة للهيبة وقلة الهيبة رافعة للحشمة وارتفاع الحشمة باعث على الوثبة
والوثبة غير مامونة من الهلكة وما خلا الملك من طامع راصد وكاشح قاصد وليس ينبغي للملك الحازم
ان يظن انه لا حسد له ينافسه ولا خصم يعارضه فقد يبلغ الضعيف والمنافس من حيث لا يحتسب وما اكثر ما يجعل الوا[هن]
وما اقل حزم الراقد وما اشد يقظة الفائق ومن كان الناس في التحفظ وتحرز وتيقظ وحزم واكباب على
الشحن وتقويم الاود وقمع الهوى ورفض الهوينا احترست عنه الخاصة والعامة واستشعرت الهيبة و
انزهت عينها النصفة وكفت كثيرا من مطامعها وان كان للعدو له راصد للعثرة بنفس
من بقوته الحيلة فيها الا ان اللص انما اذا راى مكانا حصينا ومحمد عليه حزم لم يحدث نفسه بالتعرض له وانما يقصد
قصرا فيه ثلمة وبابا اليه طريق والاغترار الاسباب واذا ضعف السبب ضعف الغرض واذا انقطع السبب انقطع
الغرض ولا سبب كالتحقيق والتشمير ولا ثلمة كاضاعة الحزم وركوب الهوى وقال اكثم بن صيفي يا بني تميم لا يفتكم
وعظي ان فاتكم الدهر بنفسي ان بين حيزومي لبحرا من الكلام لا اجد له مواقع غير اسماعكم ولا مقار الا قلوبكم
فتلقوها باسماع صاغية وقلوب واعية تحمدوا عواقبها ان الهوى يقظان والعقل راقد والشهوات
مطلقة والحزم معقول والنفس مهملة والروية مقيدة ومن جهة الهوى يبطل الراي ومن جهة التواني يتلف
الحزم ولن يعدم المشاور مرشدا والمستبد موقوف على مداحض الزلل ومن سمع سمع به ومصارع الالباب
تحت ظلال الطمع وعلى الاعتبار طريق الرشاد ومن سلك الجدد امن العثار ولن يعدم الحسود ان يتعب
قلبه ويشغل فكره ولا يجاوز وضع نفسه يا بني تميم الصبر على جرع الغيظ احلى من جنى ثمر الندم ومن جعل
عرضه دون ماله استهدف للذم وكلم اللسان انكى من كلم الحسام والكلمة مرهونة ما لم تنجم من الفم
فاذا نجمت فهي سبع محرب او نار تلهب وراي الناصح اللبيب دليل لا يجور ونفاذ الراي في الحرب انفذ من الضرب
والطعن وقد جاء في اخبار المنصور حكاية تدل على ان ترك الهوى ومجانبة اللذات ورفض الملاهي والشهوات احرز
عن عبد الصمد بن علي ان المنصور يوما جلس وعنده عيسى بن موسى وعيسى بن علي وصالح بن علي ومحمد بن ابراهيم بن محمد وغيرهم
من رؤساء اهل بيته فتذكروا الخلفاء من بني امية وسيرتهم ورجالهم واعمالهم والسبب الذي سلبوا به ملكهم مع كثرة
العدد والعدة فقال المنصور ما زال آل مروان سابقين لما مهد لهم في الارض من السلطان يحوطونه ويعظمونه
بتتبعهم لمعالي الامور وحطمهم انفسهم عن دنيها حتى افضى امرهم الى ابنائهم المترفين فكان همهم [illegible] عظيم شانه
وجلالة امره وكان قصدهم الشهوات وركوب اللذات جهلا منهم باستدراج الله وامنا منهم لمكره [illegible]
صيانة الخلافة واستخفافهم بحق الرياسة وضعفهم عن السياسة فهذه الاعمال المودية الدنية اداهم الى [illegible]

الله العز والبسهم الذل ونقل عنهم النعم وحول عنهم الكرامة واذاقهم وبال امرهم فقال صالح بن علي يا امير المؤمنين ان عبد
الله بن مروان لما دخل ارض النوبة هاربا ممن اتبعه سال ملك النوبة عن حاله وهيئتهم فاخبره بامرهم والسبب الذي زال
عنهم به النعمة فحضره وكلمه في ذلك بكلام عجيب حفظت منه ثم اشخصه عن بلده فان راى امير المؤمنين ان يدعو
به من الحبس ليحضر اهل البيت وسائله عنه فعل فامر المنصور باحضاره فلما مثل بين يديه قال يا عبد الله قص علي
قصتك وقصة ملك النوبة فقال يا امير المؤمنين قدمت ارض النوبة باثاث سلم لي فافترشته بها واقمت ثلثا فجاءني
ملك النوبة وقد خبر امرنا فدخل علي رجل طوال اقنى آدم حسن الوجه فقعد على الارض ولم يقرب الثياب
فقلت ما منعك ان تقعد على ثيابنا فقال اني ملك وحق على كل ملك ان يتواضع لعظمة الله اذ رفعه الله ثم قال
لم تشربون الخمور وهي محرمة عليكم في كتابكم فقلت اجترا على ذلك عبيدنا واتباعنا لان الملك زال
عنا فقال لم تطؤون الزرع بدوابكم والفساد محرم عليكم في كتابكم فقلت فعل ذلك عبيدنا واتباعنا
بجهلهم قال فلم تلبسون الديباج والحرير وحلية الذهب والفضة وهي محرم عليكم في كتابكم فقلت ذهب منا
الملك فقل انصارنا فانتصرنا بقوم من الاعاجم دخلوا في ديننا فلبسوا ذلك على الكره منا فاطرق الى
الارض وجعل يقلب يده مرة وينكت في الارض ويقول عبيدنا واتباعنا والاعاجم دخلوا في ديننا فزال
عنا الملك وذهب مستعمل يردد ذلك ثم رفع الي راسه فقال ليس ذلك كما ذكرت بل انتم قوم [illegible]
ابتعتم بهواكم فاستحللتم ما حرم الله عليكم وركبتم ما عنه نهيتم فسلبكم الله العز والبسكم الذل بذنوبكم ولله فيكم
نقمة لم تبلغ غايتها فيكم وانا اخاف ان يحل بكم العذاب وانتم ببلدي فيصيبني معكم وانما الضيافة ثلث ايام
فتزودوا ما اردت وارتحل فقلت ذلك فتعجب المنصور من حديثه واطرق مفكرا ورق له وهم باطلاقه فاعلمه صالح بن
علي ان له في رقبته بيعة فامر باعادته الى الحبس ونهض من المجلس الى دار النساء ومما قيل ومما انشد في ذم الهوى
واتباعه ورفض الشهوات وركوبها عمرو بن العاص ۞ اذا المرء لم يترك طعاما يحبه ۞ ولم يعص قلبا غاويا حيث يمما

قضى وطرا منه يسيرا واصبحت ۞ اذا ذكرت اخلاقه تملأ الفما ۞

اخر ۞ كنت في نعمة وظل رخاء ۞ ونعيم من النعيم رخاء ۞

فاتبعت الهوى وخلفت رايي ۞ واتباع الهوى وبئس الهوا ۞ اخر

ان الهوان هو الهوى جز اسمه ۞ فاذا هويت فقد لقيت هوانا ۞ العتبي

اظنني انني ابا ولك البعي ۞ اهدرت الحي مع الزمان امانا ۞

يا ذا الذي جعل المحبة محنة ۞ وهوى القلوب مذلة وهوانا ۞

ابو العتاهية ۞ فاعص هوى النفس ولا ترضها ۞ انك ان اسخطتها زانكا ۞

حتى متى تطلب مرضاتها ۞ وانها تطلب عدوانكا ۞

اخر ۞ الحلم للحكيم اذا الحكيم بها كان ۞ ان الحكيم اذا بها هدى كانا ۞

واعلم بانك لا تسود ولا ترى ... سبل الرشاد اذا اطعت هواكا

آخر: وانك ان اعطيت بطنك سؤله ... وفرجك نالا منتهى الذم اجمعا

فنفسك فاحفظها عن الغي والهوى ... متى تطعها تغوي الذي بك يقتدي — آخر

نهاية اهواء القلوب بعيدة ... ومن دونها للحادثات مصايد

فمن كظلي يبتغي الحب مسرعا ... ودون الذي يبغيه فخ ومصايد

آخر: اوجرت نفسك في هواك وانني ... لو كنت تنصف لست نفسك دوني

ما بال عينك لا ترى اقذاءها ... وترى الخفي من القذى بجفوني — آخر

لهيد بنا الزمان ونحن نلهو ... ولا ندري متى يرد انجما

ويحدو بنا المنون بحظ عيش ... يمر بنا كما مر الغماما

كركب سفينة في لج بحر ... تسير بهم وهم فيها نياما

تم المجلس

المجلس الثاني والتسعون من كتاب خلق الانسان في تفسير قول الله عز وجل وفي انفسكم افلا تبصرون يتضمن الكلام في غضب الانسان والحكمة في وضعه فيها والنهي في توهينه واستعمال الحلم مكانه

بسم الله الرحمن الرحيم

هو العظيم الذي ليس لعظمته نهاية ينتهي اليها، الكبير الذي ليس لكبريائه غاية يقف عليها، الخالق الذي برا الخلق من اصول متجانسة ومؤتلفة، المصور الذي صورها في تراكيب متباينة مختلفة، الطالب الذي يطلبه كل احد ولا درك له من طالب، الغالب الذي يخافه كل شيء ولا مذهب عنه لهارب، الشكور الذي يقبل من الطاعة يسيرها، ويهب من النعم كثيرها، الوافي الذي لا يخلف عباده ما وعد، الكافي الذي يجازي الحسنة عشرا او عد، الجواد الذي يسبغ على خلقه اذيال افضاله، ويفرغ عليهم سجال نواله، العزيز الذي يعز بعصمته اولياءه، ويذل بعصيته اعداءه، نهج الدين ورفع معالمه، وارسى الحق وثبت دعائمه، بمحمد رسوله الذي ارسله الى الحق داعيا، وبالحق مناديا، وبلسان الصدق ناطقا، وبنور الرشد ساطعا، حتى اهتدى بهديه المهتدون، وزهرت في ساحة المستبين معاهده، وزوا شرقه بنجوم صحوا ولي الابصار، واعذب مشارب الحق على الابرار، صلى الله عليه وعلى آله الاخيار، والمهاجرين والانصار.

الغضب لا يجاب بطاله من الاصل بل انما يحسن تحصيله وتصحيحه لكانه من حفظ الذمار وجهاد الكفار والنكير للمنكرات والاخذ على يد الشهوات، وهو بمنزلة كلب الصيد يراض ويعلم ويؤدب ويقوم ليهيج باشارة المعلم وانه لا يتعدى الى القنص الحلال فكذلك امر الغضب وانما رياضته في تأديبه حتى ينقاد للعقل فلا يستعصي على الشرع بل يهيج باشارتهما او يسكن على ارادتهما فالواجب في الغضب هو كسر سورته واطفاء جمرته وذلك باعتبار العلم وتكلف الكظم ويعين عليه علم وعمل اما العلم فان يعلم ان الاسباب

الغضب

الغضب الا انكاره ان يجري الشيء على مراد الله لا على مراده وان يتذكر ان غضب الله عليه اعظم من غضبه وعذابه اشد وجنايته على حق الله اكبر ولطالما عصاه وخالف امره ونقض عهده فما عجل بالمؤاخذة ولم يمنعه عن الكفر والنعم واما العمل فان يتعوذ بالله من الشيطان الرجيم وينتقل عن هيئته ونصبته الى هيئة اخرى كما جاء في الحديث ان يجلس ان كان قائما او يضطجع ان كان قاعدا وفي خبر العجم انها كانت اذا غضبت استلقت واذا اعيت رفعت رجليها فان سكن غضبه والا توضأ او تبرد بالماء كما جاء في الحديث ان الشيطان خلق من النار وانما يطفئ النار الماء وفي بعض اشعار ظرفاء العرب

اذا وجدت اوار الحب في كبدي ... اقبلت نحو سقاء القوم ابترد

هبني بردت ببرد الماء ظاهره ... فمن لحر على الاحشاء يتقد

وفي حديث آخر الا ان الغضب جمرة في قلب ابن آدم الا ترون الى حمرة عينيه وانتفاخ اوداجه فمن وجد من ذلك شيئا فليلصق خده بالارض فيكون في تواضعه امن الاشياء في اذل الاشياء، وصغار الكبر الذي هو السبب الاعظم في ثوران الغضب وفي حديث آخر ما من جرعة يجرعها العبد احب الى الله من جرعة غيظ يكظمها عبد وما كظمها عبد الا ملأ الله جوفه امنا وايمانا وقال بعض الخطباء من اعتذر اليه فليقبل اعتذاره ومن اطفأ نار الغضب وقاه الله ناره ومن حفظ لسانه حفظ الله عليه نعمته ومن اقتصد في معيشته لم تفته معونته ومن رزق الحلم فقد نال نعيما وملكا كبيرا ومن وهب العلم فقد اوتي خيرا كثيرا ومن ملك غيظه كان ملكا زاكيا ومن ثار غضبه كان سبعا عاديا فان ادمتم تحلية نفوسكم برد الفضائل وتخليتها عن الرذائل فتصوروا في صورة الثائر الغضبان وحسن وجه الحليم الحنان وتبينوا ما في الخروج عن الغضب من انفسكم بادئا ثم متى غضبتم عليه ثانيا، رأى بعض الادباء رجلا يضرب غلاما له وهو يرتعد غضبا فقال له ما الذي بلغ بك هذا الذي ارى فقال اساء هذا الغلام فقال له ان كان ما جنى عليك جناية سلطته على نفسك يفعل بها ما الذي في السبع ما ذهب بفضلك مبتدرة من هذا الفعل وكان المأمون يقول ان كان كلما اساء غلام من غلماننا فعلا نعت باخلاقنا اوشك ذلك في اخلاقنا حتى لا يبقى لنا حسنة كلا تبقى لهم سيئة وقد قال ابن بعض ملوك الاسلام بمدينة السلام من عمل في عقله وحسابه وبنائي عن حالة الاخلاق يوما بدأت تغلبه عن حمل الموج على لبه فقال ما لي ارى من يخشى بان يكون له بدني لما يحفظون بحجته موجودة ويطلبون في ردها مفقودة وليس الاخلاق من طيب ثاويها ومصونها عما يدنسها ويعيبها وان احضر كل يوم في العلم والديانة مستوثق منه بالنصيحة والامانة فقال يوما الا اسلم طريقه واعلم خليفته اني معها اوذيته من ملك فتحت له عيون الزمان واستوجب من الالهي الاسلام كل مكان شديد الوجوم كثير الهموم من غلبة سلطان هذا الغضب الذي اوله شغب وقبا واخره ناسف وندامة فاسأل الله ان يخلق الحلم ابدا من بوادره وتوكل على انقيادي من رايك بصيرة

من صاحبه فقال الرجل اما فاسمع مني جملة علاج ما انكرته من نفسك عاجلا الى ان تصل بتفصيلها
عند ما انكره منها آجلا اعلم ايها الاديب انك اصبحت ملبس ثوب يرتديك الخلق وبدنه بفعل عما اردت
وعليك عن موردها ومصدره وانك بالغ ما تريد من اي انسان وفي اي وقت واوان ثم اعلم ان الغضب
يحدث في الرأس السكر ويحدث منه صرف الحزم وان حال الغضبان بعد الرضا حال السكران اذا صحا
فيجب كلما يبتدي بك الغضب ان تحترس من نفسك بالقليل ان تضع في نفسك الحد العقوبة لتغيب ليلة ثم عشيه
فانك في مثلها تصحو عن سكرها وتسكن من نوازي بحورها فان تدبر في الامر فان كان فيما يسعه العفو
يكفي فيه العتاب والعذل والعفو احسن واولى واوثر بك من العقوبة وان وسع السياسة بالتجافي
عنه والتجاوز منه وقفت بالعقوبة عند قدر الذنب لم تتعده ولم تتجاوز وحكم لك بما يقبح ذكرك
ويوم تعود نفسك وعقب عليك نفسك وانما يصعب هذا التدبير في اول الامر ابتداء ثم يصير عادة و
ملكة ثانية فلا تزال توهين هذه القوة العادية وتمرين سورتها الطاغية بتعين لك البركة في
الامور والصحة في التدبير والثناء من الخلق في العاجلة والرحمة من الله في الآجلة وقد جاء في تفسير
قول الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون ان الطائف
الشيطان هو الغضب فاذا غضبوا تذكروا انهم ليسوا اربابا لهم امر فانه فما بغا منها اليه يورثك
ان تقبض قبضا وتأكل بعضها بعضا فتكون هذه الابصار بما انتهينا عليه بقوله وفي انفسكم افلا
تبصرون والآخر لئن يقبل عنه غضبا من لا يستحق نفسه ابدا

ان كان ذا الحلم فلحلمه ... او كان ذا اعظم فعظمه
او ان عداك اب وام قبله ... فكذاك ابناه ابوه وامه

وحدثت بعض الصوفية قال كنت على الجسر ببغداد مدينة السلام فقد ضاق الجسر اليمين الى من خراسان وافته
فنظر بعض اولئك الخراسانيين الى ابن بقية مصلوبا فسأل عنه فقيل وزير غضب عليه ملك
زمان فقال وما فعل ذلك الملك فقيل مات فقال ما اعجب الامر الملك الغضوب تحت الارض وهذا
المصلوب المغضوب عليه فوق الارض ثم تلا قوله تعالى فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها ان كنتم صادقين
وعن سفيان بن عيينة قال حج الرشيد فلقيني جعفر بن يحيى في الطواف فقال لي ما منعك من الدخول على
امير المؤمنين فقلت لم يرسل الي فقال انا رسوله اليك فاذا كان بالغداة فادخل عليه قال فاتيت الباب
فلم احجب فلما نظر الي جعفر تلقاني في الطريق فقال اتاك وافق امير المؤمنين في ساعة اشتد فيها غضبه
فلا تكلمه بحلو ولا مر قال فدخلت فاذا انا برجل مكبل في الحديد قائم بين يديه وهو يقول قتلني الله ان لم
امثلك والرجل يقول يا امير المؤمنين الله الله في دمي فاني مكذوب علي قال وبين يديه النطع والسيف فقلت
في نفسي رجل يقتل ولا ادري فيم يقتل فقلت يا امير المؤمنين الا ادلك على ادب الله وادب رسوله عليه السلام

فالتفت

فالتفت الي مغضبا فقال وما ادب الله فقلت قال الله عز وجل يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ
فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين قال وما ادب رسوله قلت قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تصدق كل من جاءك بخبر يشيب من يومين مكروها فهو فتان نمام قال
فامر باطلاقه وقال علي بكتاب سفيان فقرأ على الناس حديثا وامر لي بخمسين الف درهم بخلص الله بي
رجلا من النار بعد حلال من القتل وحصل لي خمسين الف درهم وقال في خطبة اخرى ان الجزاء ادب به
سائلة غير رابية والذنب اهلية غير دارسة والحزن شاسع العذر والاوضاع واضح الفلق والاكساب
والحلم اعني عليه السنة الفضائل ويتقوى الطاعة الشمائل والحلم ما اخذ زهوه واحل عنه شعار ورداء
الله الصالحين وشيمة اهل طاعة المفلحين عن الحسن في قول الله وعباد الرحمن الذين يمشون على
الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما قال هم حلماء حلماء ان ظلموا لم يظلموا وان بغي
عليهم لم يبغوا فقد برأهم الخوف كانهم القدح وفسر عكرمة قوله عز وجل وسيدا وحصورا ان السيد والذي
لا يغلب غضبه حلمه وجهله علمه ولما نزل قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين قال جبريل
عليه السلام يا محمد هو ان تحلم عمن شتمك وتعفو عمن ظلمك وتعطي من حرمك فابسطوا عنه حلمكم واطلقوا
واحبسوا عن اذى غضبكم واوقروها واحسنوا معاشرة من خالطكم وبواصلكم واتركوا معاشرة
من يخلطكم وبعاملكم ولا تقروا في الغيظ على علو انكم ولا تظهروا على احد صولة جودكم واعتدلكم و
ابنتوا على الكظم ان وجدتم غضبا واقصدوا في المشي ان كان طريقكم اتما وتجافوا عن ذنوب الاهل
وتضامموا عن الكلمة العوراء ومما انشد في هذا المعنى

وعوراء جاءت من اخ فرددتها ... بسالمة العينين طالبة عذرا
ولو انني اذ قالها قلت مثلها ... ولم اعف عنه اورثت بيننا عمرا
فاعرضت عنه فانتظرت به غدا ... لعل غدا يبدي لمنتظر امرا
لاترع ضبا كامنا في فؤاده ... واقلم اظفارا اطال بها حفرا
واحلام عاد لا يخاف جليسهم ... وان نطق العوراء غرب لسان
اذا حدثوا لم يخش سوء استماعهم ... وان حدثوا ادوا بحسن بيان
لقد اسمع القول الذي كاد كلما ... تذكرنيه النفس قلبي يصدع
فابدي لمن ابداه مني بشاشة ... كاني مسرور بما منه اسمع
وما ذاك من عجب به غير انني ... ارى ترك الشر للشر اقطع
لن يدرك المجد اقوام وان كرموا ... حتى يذلوا وان عزوا لاقوام
ويشتموا فترى الالوان مسفرة ... لا صفح ذل ولكن صفح احلام

وإني لأستحيي الشهيد صاحبي الذي * يكلفني أن أشتم بالشتم مقنعا
وعندي لصلح الجار إن شاء موضع * وإن جار أو لم يسع للصلح موضعا
وعوراء من قبل امرئ ذي قرابة * تصاممت عنها أو طويت لها كشحي
وداويت عند الصفح حتى رددته * ذوا الشوس بالتذلل والمسح
أصم عن الكلم المحفظات * وأحلم والحلم بي أشبه
وإني لأترك جل الكلام * لئلا أجاب بما أكره
إذا ما اجترت سفاه السفيه * علي فإني أنا الأسفه
فلا تغترر برواء الرجال * وما زخرفوا لك أو موهوا
فكم من فتى يعجب الناظرين * له ألسن وله أوجه
ينام إذا حضر المكرمات * وعند الدناءات يستنبه

ومن الكلام الفصيح العالي الطبقة في هذا الباب قول القائل

يا أيها الرجل المزجي أذيته * هل أنت عن هذه العوراء تزدجر
إني إذا ما تعاطى إلي أمد * لا أستطيع حذاري المرء فالنظر
لا ترقيا في صفاة عشوزنة * لا قادح يعتريها ولا خور
إني لأصفح عن قومي وأسهم * على الضغائن حتى تبرأ الكبر

الإبر الضغائن التي ذكرها في نحو البيت أي اليوم على الضغائن حتى تبرأ الضغائن ومما جاء منهم وقد اشتهر منهم في هذا الباب ما قال أبرويز كتب من حبسه إلى ابنه إن كلمة منك تسفك دما وإن أخرى منك تحقن دما وإن سخطك سيف مسلول على من سخطت عليه وإن رضاك بركة مستفيضة على من رضيت عنه وإن نفاذ أمرك مع ظهور كلامك فاحترس في غضبك من قولك أن يخطئ ومن لونك أن يتغير ومن جسدك أن يخف فإن الملوك تعاقب قدرة وتعفو حلما ومما ينبغي للقادر أن يستخف ولا للحليم أن يسفه وإذا رضيت فأبلغ بمن رضيت عنه من سواه على رضاك وإذا سخطت فضع من سخطت عليه يهرب من سواه من سخطك فإذا عاقبت فأنهك فإنك لا تتعرض لعقوبتك واعلم أنك تجل عن الغضب وأن الغضب يصغر عن ملكك وقدرك يجلك عن العقاب كما تعتدل برضاك عن الثواب ودخل جاثليق النصارى إلى مصعب بن الزبير فكلمه بكلام أغضبه فعلاه بقضيب فبرك حتى سكن غضبه ثم قال إن أذن الأمير أخبرته بما أنزل الله على المسيح عليه السلام فأصغى إليه فقال إن الله أنزل على المسيح عليه السلام أنه لا ينبغي للسلطان أن يغضب فإنه إنما يأمر فيطاع ولا ينبغي أن يعجل فليس يفوته شيء ولا ينبغي أن يظلم فإنما يرفع الظلم فاستحيى مصعب وترضاه ومما يكف عن الغضب ويحث على الحلم قصة ذي الكفل

فإن المسيح عليه السلام قال إذا أتى يوم لقومه إنه قد وهن العظم وضعف الجسم وتخاذلت القوى وتقاصرت الخطى وها أنا واقف على ثنية الوداع من الدنيا ومتوجه عنها إلى الدار الأخرى فلو استخلفت فيكم من أرتضي عمله فحمدوا رأيه وحمدوا قوله فجمع أصحابه وقال من يتكفل لي بأن يظل نهاره صائما ويبيت ليله قائما ولا يغضب على الناس إذا جهلوا عليه مخاصمين ويحكم بينهم إذا تحاكموا أخلفه وأوليه مقامي فقام إليه رجل ينبو عنه البصر ويغض عن النظر فقال أنا ذلك ثم أعاد القول ثانيا وثالثا فقام القائم وقال أنا أتكفل لك بذلك فتكفل له فكان يديم النهار في الصيام والليل في القيام ويقضي بين الناس من مطلع الفجر إلى مغرب الشمس سوى ساعة يقيل فيها عند قيام الهواجر والتهاب وقدة الظهائر فجاء الشيطان في صورة شيخ ضعيف وقت قائلته وقام بذكر ظلامة وطول الحجة حتى فاتته القائلة فقام ذو الكفل وقال ائتني سوى الصلوات وغاية في مجلسي فأحضر خصمك لأعديك عليه وآخذ بحقك منه فلم يرجع يومه فبات وهو كذلك ليله وأصبح من غد فجلس بين الناس حتى انتصف النهار وبلغت الشمس كبد السماء فعاد الجسم له باستراحة إغفاء وريح باغفاءة الأعضاء وأذن عليه الشيطان الثاني في يومه فأيقظه من غراره وتوجيه فقال أين تركت بالأمس وما أنزلك عن محضر الناس فقال إن قومي إذا أحسوا بي منهم قالوا سنعطيك حقك اليوم ثم اعتلوا علي فمطلوني وأنا وإن رأيتك جهد وفي فطول الغلو الحجر فاتته القائلة فقام ونظر وجلس للناس ينتظر الشيخ فلم يحضر وانصرف من غد إلى منزله ليقيل الحلم رحمه وقال للبواب لم تتركني بالعجز في مدة ثلاثة أيام ولا بد للنفس الجاهدة من مجامع فلا تأذن لأحد علي ولا تدعه يدخل إلي ريثما أقيل ساعة واجد بها أعوان الحر فصعد الشيطان فحجبه البواب فلم يشعر ودخل الدار وأيقظه مخبرا أنه ادعى خصمه فنهض عليه كاظما ونكص الشيطان على عقبيه فأقام فقد أثنى الله عز وجل وذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الأخيار وقوله إسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين

قالوا العز في الحلم وقال ما نعت الله به أحدا من الأنبياء نعتا أقل مما نعتهم به من الحلم فإنه قال في إبراهيم وصف أنه الحليم الأواه منيب وقالوا ليس الحليم من ظلم فحلم حتى إذا قدر انتقم ولكن من ظلم فحلم حتى إذا قدر عفا وشتم رجل المهلب فلم يرد عليه شيئا فقيل له فقال لا أعرف مساويه وكرهت أن أبهته بما ليس فيه وقال رجل من أهل الشام قدمت المدينة بعد الحرب التي كانت بين أهل الشام والعراق فرأيت حالة عليه برة جميلة وردا أحسن قدر وفهمت عنه فقيل لي هذا الحسن بن علي فحدثت عليا أن يكون له ابن مثله فمضيت إليه في وجهه وقلت بك وبأبيك أنت ابن أبي طالب فقال أنا ابن علي أن يكون له ابن مثله فقلت بك وبأبيك وشتمته وشتمت أباه فأرعم لا يرد علي حرفا فلما فرغت أقبل علي وقال أظنك غريبا ولعلك شبهت فلو استعتبتنا أعتبناك ولو سألتنا أعطيناك ولو استرشدتنا أرشدناك ولو استحملتنا حملناك قال الشامي فوليت عنه وما على وجه الأرض خلق أحب إلي منه وما فكرت فيما صنع وصنعت إلا صغرت إلى نفسي ودخل جعفر بن محمد رضي الله على الرشيد وقد استحقه الغضب على رجل فقال له يا أمير المؤمنين إنك إنما

تعصب له فلا تغضب له بأكثر مما غضب لنفسه وبعث اليه المنصور فأتاه فقال يا جعفر اني استشيرك في أمر وقد
رأيت اطباق اهل المدينة على حربي مرة بعد أخرى فلا أراهم ينتهون وقد رأيت أن أبعث اليها من يجرد
نخيلها ويغور عيونها فما ترى فسكت جعفر فقال ما لك لا تتكلم قال أتكلم آمنا قال قل قال يا أمير المؤمنين ان
سليمان بن داود أعطي فشكر وان أيوب ابتلي فصبر وان يوسف قدر فغفر وان محمدا صلى الله عليه وسلم أوذي فاحتمل وقد
جعلك الله من نسل الذين يغفرون ويصفحون فطفئ غضبه وسكت فقال الأفضل بعد أبي ذر التيمي بن مرثد
الحلم فان لم تكن حليما فتحلم فانه قل من تشبه بقوم الا أوشك أن يكون منهم وذكر خالد بن صفوان قال
عمرو بن عبيد وجعل يشتمه وما ترك شيئا الا ذكره به فلما فرغ قال له عمرو آجرك الله على ما ذكرت من صواب
وغفر لك ما ذكرت من خطأ قال فما حسدت أحدا حسدي عمرا على هاتين الكلمتين ومن كلام المأمون المتخير
في هذا الباب قليل السفه يمحو كثير الحلم وأدنى الانصاف يخرج من فضل الاستغفار وعلى طالب المعروف المعذرة
عند الامتناع والشكر عند الاصطناع وعلى المطلوب اليه تعجيل الموعود والاسعاف بالموجود وكان يقول لا
يوجد العجول محمودا ولا الغضوب مسرورا ولا الحر حريصا ولا الكريم حسودا ولا الشره غنيا ولا الملول ذا اخوان
والمأمون ممن اشتهر في الخلفاء من المشتهرين بالحلم المشتهرين بكرم العفو وكظم الغيظ ولو لم يكن من ذلك الا اغماضه على
ابراهيم بن المهدي وقد سلبه الخلافة وقام بها مدة سنة وما كان منه مع الفضل بن الربيع وقد تصدى لايقاع
كل مكروه به في أيام أبيه وأخيه لكان في ذلك الحلم العظيم والأمر البديع وقد حدث زيد بن الحسين العلوي قال
بينا المأمون في يوم عيد ببغداد وعلى مائدته طاهر بن الحسين وسعيد بن سالم وحميد بن عبد الحميد
وغيرهم من الأماثل وعلى رأسه سعيد الخطيب يترحم ويصف محاسنه اذ دمعت عيناه ورفع يده عن
الطعام فأمسك القوم حتى اذا كف عن البكا قال لهم كلوا قالوا وهل نستلذ شيئا وسيدنا على هذه الحال
قال أما والله ما ذاك لنكر وجرى ولكنه نوع من أنواع الشكر لله تعالى أما ترون ذاك الذي في صحن الدار
يعني الفضل بن الربيع وكانت الستور رفعت ووضعت الموائد على المراتب وكان يجلس الفضل مع أصحاب الحرس
كان في طول أيام الرشيد يراني بوجه أعرف فيه البغضاء وعندي له مثل ذلك وكنت أداريه
خوفا من سعايته واذا سلمت عليه ورد علي أطلق لذلك وجها مستبشرا وكان أغرى المخلوع ودعاه
الى قتلي فتحركت فيه عاطفة القرابة المانعة فقال أما القتل فلا ولكن أجعله بحيث اذا قال لم
يطع واذا دعا لم يجب وكان أحسن حالا عنده أن وجهني مع علي بن عيسى في فتنته بعدما نشأ زعاف في
الفتنة ليقتلني به وذهب عنه قوله عز وجل ومن بغي عليه لينصرنه الله ذلك موضعه من الدار
بأخس مجالسها وهذا الخطيب على ذلك كان يقف بالأمس على المنبر العربي ويزعم أني المأمون ولست بالمأمون
وهو الساعة يترحم على بمريطة المسيح ومحمد عليهما السلام فقال طاهر قد أباحك الله يا أمير المؤمنين
دمهما فخصهما بالحكم قال قد فعلت ذلك لموضع العفو من الله تعالى مدوا أيديكم الى طعامكم ويقال ان الله

حكاية حسنة

المأمون

المأمون لما حبس ابراهيم بن المهدي بعث رسولا يطلع عليه ويخبره بما يعمل من حيث لا يعلم فوجده يبكي
ويقول ۞ فلو أن حتفا لامرئ كان منية ۞ برى بعثنا الأخضر جنبي وأعشبا
على ابنتي لي المك الأمود عما ۞ بقية نفس وتعيني لتذهبا
وقد قلت لما لم أجد لي حيلة ۞ من الموت لما حل أهلا ومرحبا
فأخرجه المأمون فقال متمثلا بن ربيعه قال يا أمير المؤمنين ذنبي أعظم من أن يحيط به العذر وعفو أمير
المؤمنين أجل من أن يتعاظمه ذنب وحكى أحمد بن أبي داود قال سمعت المأمون يقول للرجل انما هو عذر
أو يمين وقد وهبتهما لك فلا تزال تسيء وتحسن وتذنب وأعفو حتى يكون العفو هو الذي يصلحك
وسئل الواثق كان للمسعود المعتزي هجاه ببيتين كانا معه في رقعة أخرى فيها حاجة له يريد أن يرفعها اليه
فناوله رقعة الشعر وهو يرى أنها رقعة الحاجة فقرأها الواثق فاذا فيهما ۞ عين
من المسعود في الانفاق المسعود في العين ۞ أنا طلب الأمير ومطلب الأشقين ۞ وكان في
الواثق نقطة بيضاء فلما قرأ الرقعة قال للمسعود قد غلطت بين الرقعتين فاحذر أن يقع مثل هذا
عليك وما زاده على هذا القول شيئا ولا تغير له عما كان عليه ومن تحلم مع عظم الذنب المعتضد وحدث
العلاء بن صاعد قال لما حمل الي رأس صاحب البصرة ركب المعتضد في جيش لم ير مثله تخترق الأسواق ببغداد و
الرأس بين يديه فلما صرنا بباب الطاق صاح قوم من ربع من تلك الأدرب رحم الله معويه وزاد حتى علت
أصواتهم فتغير وجهه فقال ألا تسمع يا أبا عيسى ما أعجب هذا ما ذكر معويه في هذه الحال والله لقد بلغ أبي
مرارا وما أفلت منه الا بعد أن شارفته ونشبت في مخالبه ولقينا كل جهد وبلاء وأنفقنا مالا في
المال بحيث أهمهم من يهددهم ومصانعتهم وأموالهم تركوا أن يترحموا على العباس أو عبد الله بن العباس
أو أمنا الخلفاء وتركوا الترحم على أمير المؤمنين علي وحمزة وجعفر والحسين وسادة بني هاشم لا أبرح
حتى أو ترحم ناديته هؤلاء أثر الابعاد وزعمه مثله ثم أمر بجمع النفاطين ليحرقوا الناحية فقلت
يا أمير المؤمنين هذا أمر شرف به المسلمين فلا يفسد عليه بعمل عامة الأخلاق فهم وهم أرذال أدراته وأرفق
بهم حتى سار ومن تحلم مع بطشه وشدة بأسه أبو مسلم جرى بينه وبين صاحب مرو كلام شهر أبو الكلام
أربى فيه صاحب مرو وذكر أنه لا يعرف له والد واحتمله أبو مسلم فندم صاحب مرو ورجع الى أبي مسلم
معتذرا فقال أبو مسلم اللسان يسبق والوهم يخطئ والغضب شيطان وأنا أجرأتك علي باحتمالي فان
كنت للذنب معتمدا فقد شاركتك فيه وان كنت مغلوبا فالعفو يسعك فقال له صاحب مرو عظم
ذنبي يمنعني قلبي من الهدوء فقال أبو مسلم يا عجبا أقابلك باحسان وأنت مسيء ثم أقابلك باساءة وأنت محسن
فقال صاحب مرو الآن وثقت بعفوك والامام في الحلم المذكور في التحقق بمعنى الاشارة اليه
الأحنف معويه في الحلم أيضا أشار اليه ومعقود الخنصر عليه ولكن أخبارهما في ذلك شائعة

وفي رقعة

انظر مزية هذا الكتاب

ذا اهتم واكتب بذكرها الطبقة وهذا المجموع اكثره مما لم تتضمنه سائر الكتب عنه وبينه ولم يتداوله ثماته وقد
جاء في تحكم الرعاة والرؤساء وكظمهم عن الرعاة السفهاء ذكر ابو عبد الله العارض وزير صمصام الدولة
ليلة اهل بغداد وما يغلبها من بعد الملوك من الخرق والسفه فقال والله والله فاض صدري بالغيظ عليهم
لما يبلغني من خوضهم في حديثنا وذكرهم بالشوائم لنا وتتبعهم لاسرارنا وبحثهم عن مكنون احوالنا ومكتوم
شأننا وقد بلغت ابرهم ولا ادري ما اصنع بهم واني لاهم في الوقت بعد الوقت بقطع الالسنه والايدي
والارجل وتنكيل شديد يطبع الهيبة في صدورهم ويحسم مادة الشر عنهم لحاهم الله ما لهم قاتلهم الله
لا يقبلون على شؤونهم المهمة ومعايشهم الناصعة وفرايضهم الواجبة ولم يبحثون عما لبس لهم
ويرحون بالايدي عليهم ولو حققوا لما يقولون ما كانوا لهم فيه عائدة ولا فايدة وقد تكرر منا
الزجر وشايع الوعيد وفني الانكار بين الصغار والكبار وقد تعابا علي هذا الامر وانغلق دوني
بابه وتكاثف علي حجابه والله المستعان فقال ابو حيان ايد الله الوزير عندي في هذا جوابان
سمعت احدهما من شيخنا ابي سليمن المنطقي والاخر من بعض الصوفيه وفيهما بعض الغلظ فان احتمله
سيدنا ذكرته فقال لا باس فلا يستشفى بالدواء الا بعد الصبر على بشاعته وصدود الطبع عن كراهته
قلت اما ابو سليمن فانه قال في هذه الايام لا ينبغي لمن كان الله عز وجل جعله سائس الناس عامتهم و
خاصتهم وجاهلهم وعالمهم وضعيفهم وقويهم وسائلهم وراجيهم ان يضجر مما يبلغه عنهم وعن واحد منهم لاسباب
منها ان عقله فوق عقلهم وحلمه افضل من حلومهم وصبره اتم من صبرهم ومنها انهم انما جعلوا تحت
قدرته ونيطوا بتدبيره واجبروا بنصرهم على امره ونهيه ليقوم بحق الله تعالى فيهم ويحمل بفضل قوته
كلهم ويصبر على جهل جاهلهم ويكون عمود حاله عندهم الرفق بهم والحلم عنهم والقيام بمصالحهم
ومنها ان العلاقة التي بين السلطان والرعية قوية لانها الهية وهي اوشج من الرحم التي بين الوالد
والولد والملك والد كبير كما ان الوالد ملك صغير وما يجب على الوالد من سياسة ولده من الرفق به
والحلم عنه والحنو عليه والرقة له واجتلاب المنفعة اليه اكثر مما يجب على الولد في طاعته والسمع
لان الولد غر وقريب العهد بالكون وجاهل بالحال وعادم التجربة كذلك الرعية شبيهة بالولد
والملك شبيه بالوالد ثم الملك لا يكون ملكا الا بالرعية كما ان الرعية لا تكون رعية الا بالملك
وهذا من الاحوال المتضايفة وبسبب هذه العلاقة المحكمة والوصلة الوشيجة ما لهجت العامة
والخاصة بعرف حال سايسها والناظر في امرها والمالك لزمامها حتى يكون على بيان من رفاغة
عيشها وطيب حياتها ودرور موادها بالامن الفاشي بينها والعدل الفايض عليها والخير المجلوب
اليها وهذا امر جار على نظام الطبيعة ومندوب اليه في احكام الشريعة ولو قالت الرعية
لسلطانها لم لا تخوض في حديثنا ولا تبحث عن غيب امورنا ولا تسال عن دينك وخلتك وعادتك

وسيرتك

وسيرتك ولم لا تقف على حقيقة حالك في ليلك ونهارك ومصالحنا متعلقة بك وخيراتنا منوطة بنا
من جهتك وسرورنا ملحوق بتدبيرك وسياستنا مصروفة باهتمامك وانتظامنا موقوف بعزك وفيما
حاصلة بحسن نظرك وجميل اعتقادك وشايع رحمتك وبليغ اجتهادك ما كان جواب سلطانها او سايسها
اما كان عليه ان يعلم ان الرغبة صادقة فيما قالت مصيبة في دعواها التي بها استطالت بلى والله
الخروج فيه وان شغب الشاغب واعنت المعنت قال ولو قالت الرعية ايضا ولم لا نبحث عن امرك ولم نسمع كل
غث وسمين من شانك ونحن قد ملكت نواصينا وسكنت ديارنا وصادرتنا على اموالنا وحلت بيننا وبين [illegible]
وقاسمت موارثنا وانهيتنا رفاغة العيش وطيب الحيوة وطمانينة القلوب فطرقنا بخوفه ونهمنا
سلوته وحرمتنا ما يستباح ونقدنا ناريف وجرت جناحنا ضاعف وجندنا متعطر وشطينا مجاز و
ساحتنا مخربة وقوفنا متهيبة ومدارسنا خاوية واعداؤنا مستكلبة وعيوننا
سخينة وصدورنا بغيضة وبليتنا متصلة وفرحنا معدوم ما كان الجواب ايضا عما قالت وتمام
نقل هيبة لك ونحو فلما وانتقا على انفسهما من سطوتك وصولتك وحكى لنا شيخ من هذا الكلام
ان طائفة من الناس كانوا على ايام المعتضد يجتمعون بباب الطاق ويجلسون في دكان شيخ صيدلاني في
يخوضون في الفضول والاراجيف وفنون الاحاديث وفيهم قوم سراة وكتاب واهل بيوتات سوى من يسترق
السمع منهم من خاصة الناس وقد تعالم فسادهم وافتادهم وضاق المعتضد ذرعا وامتلأ غيظا واحرج صدره
ودعا بعبيد الله بن سليمن ورمى بالرقعة اليه وقال انظر فيها وتفهمها فقد فعل وشاهد من زيد
وجه المعتضد ما ازعجه كرب صدره وشرد الغضب عنه وقال قد فهمت يا امير المؤمنين قال فما الدواء قال
تتقدم باخذهم وصلب بعضهم واحراق بعضهم وتغريق بعضهم فان العقوبة اذا اختلفت كان الهول اشد
والهيبة اشد والزجر انجع والعامة بها اخوف فقال المعتضد والله لقد بردت لهب غضبي بسورتك هذه
ونقلتني الى اللين بعد الغلظة وحننتني على الرفق من حيث اشرت بالخرق وما علمت انك تستجيز هذا
في دينك وهديك وحلمك لو امرتك ببعض ما رايت بعقلك وحزمك لكان من حسن الموازرة ومبذول النصيحة
والنظر للرعية الضعيفة الجاهلة ان تسالني الكف وتبعثني على الحلم وتحبب الي الصفح وترغبني في فضل الاغضاء
على هذه الاشياء وقد بلغ من جهلك بحدود العقاب بما تقابل به الجرائم ما يكون كفا للذنوب ولقد وسعت
الله بحد الراي ودللت على قسوة القلب وقلة الديانة اما تعلم ان الرعية وديعة الله عند سلطانها
وان الله سايله عنها كيف سستها ولعله لا يسالها عنه ان الحق امر الرعية لا تعرف ما تقول
الا لخلل الطعام والخرج ودواعيه ثالثة وانا كيف يصلحها العدو كيف نعالجهم كونوا اصحاب الغضا مقبلين على
مقالتكم عن خلفكم تحديثنا ولا اسالهم عن امرنا والعربية في كلامهم اغلب السلطان فليس من
وكل حضر تناوحق للملوك على الملك معروف وانما يحمل السيد على ضربه كالبيئة ومكاره ونفاده اذ كان

العيش في كنفه واسعًا والامل فيه قويًا والصدر عليه باردًا والقلب معه ساكنًا انظن ان العمل بالجهل ينفع
والعذر به يتسع والله ما الراي ما رايت ولا الصواب ما ذكرت وجه صلحك ويكن فاخبرهم ورفق بهم ولطف
بهم وصدق [illegible] يتعرفون حال هذه الطائفة وتقف على ان كل واحد منهما في مغايبته ومدخله وقد
ما هو مستقل فيه وماله فمن كان منهم يصلح لعمل تعلقه بعمل ومن كان من سخال الصالح من بيت المال لما
يعيد نضرة حاله ويعيد طمانينته باله ومن لم يكن من هذا الرهط بل هو غني متكثر فانما يحجبه ان كان هذا
الرجل البطر والزهو فادع به وانصحه ولاطفه وقل له ان لفظك مسموع وكلامك مرفوع وحق امير
المومنين على كتفه ذلك لم يجعلك الا في عرصة المقابر فاستانف لنفسك سيرة تسلم بها على سلطانك
وتحمد عليها عند اخوانك واياك ان تجعل نفسك عظة لغيرك بعد ما كان عظة لك ولولا ان الاخذ
بالجريرة الاولى مخالف السيرة المثلى لكان ما تراه تقو دولتك تسمعه [illegible] فانك باعيد لقدا اذا
فعلت ذلك فقد بالغت في العقوبة وسلكت طريق المصلحة ووقفت على سواء السياسة وبجوت من الجور وقت
لانك في العاقبة قال وفارق الوزير حضرة الخليفة وعمل بما امره على الوجه اللطيف فعاد الامر بروايات السلامة
العامة والعافية التامة ويقدم الى الشيخ الصلة لابي سعيد فيخاطب من يقعد عنه حتى يوامي ان كان
محتاجا او يقترض ان كان متعطلا او ينصح ان كان غفلا فقال ابو عبد الله الوزير ما سمعت بمثل هذا
قط وما ظننت ان الخطاب في مثل هذا يبلغ هذا المبلغ فاتح الجواب الذي حكيته من الصوفي فقال ان
كان هذا كافيا فائدة ذلك فضل فيما ولكن الزيادة في العلم داعية الى الزيادة في العمل والزيادة
في العمل جالبة للانتفاع بالعلم والانتفاع بالعلم دليل على سعادة الانسان وسعادة الانسان مقصورة
على اقتباس العلم والتماس العمل حتى يكون باحدهما ازدان وبالاخر خاصا وباحدهما شاجرا
وبالاخر اليجا فوصل الحديث وقال حدثني شيخ الصوفية في هذه الايام فقال كنت بنيسابور سنة سبعين
وقد استعمل خراسان بالفتنة وتبلبلت دولة آل سامان [illegible] الملك والحاج محمد بن ابراهيم صاحب الجيش
الى قارن وهو حصنه ومعقله ووردنا من التركي ابو العباس نيسابور بعدة عظيمة وعدة عميمة وكثرة الاجناد
ونساء الظنون وتجهت العامة وتحزبت الخاصة والتبس الراي وانقطع الامل وضح كل كلب من [illegible] وراء
كل اسد [illegible] ونبح الثعلب من كل اكمة وكنا جماعة عرايا ناوي الى دويرة الصوفية لا نبرحها فتارة
نقرا وتارة نصلي وتارة ننام وتارة نهذي والجوع يعمل عمله ويغوص في حديث آل سامان والوارد بن
من جهتهم الى هذا المكان وانسداد الطرق وتخطف الناس وشمول الخوف وغلبة الرعب وكان البلد بلا
شغل [illegible] بالسؤال والتعرض للارجاف بالصدق والكذب وما يقال بالهوى والعصبية فضاقت
صدورنا وخبثت انفسنا واستولى عليها الوسواس وقلنا ليلة اما ترون يا اصحابنا ما نحن فيه فمنا السم
من هذه الاحوال الكريهة كانا والله اصحاب نعم وارباب ضياع تخاف عليها الغارة والنهب وما علينا من الاثر

ذهبو

ربعه من الحمرو وملال بكرو ونجاة بشر نحن قوم قد رضينا في هذه الدنيا اليسير ومن الحيوة
القصير بكسرة يابسة وخرقة بالية وزاوية من المسجد مع العافية من بلاء باطلاب الدنيا فاما هذا
الذي [illegible] بنا من هذه الاحاديث التي ليس لنا فيها الا نابة ولا حمل ولا حظ ولا امل فهو مما اعدا
حتى نزور ابا زكريا الزاهد ونظل نهارنا عنده لاهين عما نحن فيه ساكتين معه مقتدين به فانسونا بينا
على ذلك وعدونا وصرنا الى ابي زكريا الزاهد فلما دخلنا عليه رحب بنا وفرح بزيارتنا وقال لنا اشو فيحر
اليكم وما الذي عليكم احمد الله الذي جمعني واياكم في مقام واحد حتى [illegible] الذي جمعتم وماذا بلغكم من
حديث الناس وامر هولاء السلاطين فخوا عني وتولوا الي ما عندكم ولا تكتموني شيئا قال فوالله من غنى عن
حديثهم وما يتصل بخبرهم فلما ورد علينا من ذلك الزاهد العابد ما ورد دهشنا واستوحشنا وقلنا في
انفسنا انظروا في اي شي رمينا وفي اي شي غفلنا وباي داهية دهينا قال فحققنا الحديث و
انسكنا فلما خرجنا قلنا الا ترون اصحابنا ما بلينا به وما وقفنا عليه ان هذا الهوا بلا الا البين [illegible] لنا
الى عمرو الزاهد واستاذنا فاذن فوصلنا اليه فمن حضورنا ومن رويتنا وابتهج بقصدنا واعظم زيارتنا
ثم قال يا اصحابنا ما عندكم من حديث الناس فقد والله طال اعطاشي الى شي اسمعه ولم يدخل الي اليوم احد
فاخبروني وانا ادري لا يدعي الالباب الا يسمع [illegible] فاعرفوا ما حدث فهاتوا ما عندكم وقصوا علي القصة
بفصها ونصها ودعوا التورية والكناية واذكروا الغث والسمين فان الحديث هنا اطيب ولولا العظم
ما طاب اللحم ولولا النوى ما حلا التمر ولولا القشر لم توجد اللب فعجبنا من هذا الزاهد الثاني اكثر من
عجبنا من الزاهد الاول وخلفنا الحديث وودعناه وخرجنا فاقبل بعضنا على بعض يقول الا ترى
الى ظرف امرنا والغريب من شاننا انظروا من اي شي كان تعجبنا والى اي شي كان تعرضنا ان هذا الشي
عجاب [illegible] وقلنا يا اصحابنا انطلقوا الى ابي الحسن الضرير وان كان [illegible] فانا
لا نجد سكونا الا معه ولا نظفر بطيب الاجتماع الا عنده وعبادته وتوحده وشغله بنفسه مع
زمانته في قصر عمره وورعه وقلة فكره في الدنيا واهلها فطرنا الاذن اليه ودخلنا عليه وجلسنا
حواليه في مسجده فكما سلم بنا اقبل على كل واحد منا بالمسألة [illegible] ورحب ويمهد له ويتقرب اليه
فلما انتهى المسائلة اقبل علينا وقال ان السماء ان لم [illegible] والله لكاني وجدت ما تبتلي واحد من غابة
سولي فقولوا اين [illegible] ما عندكم من احاديث الناس [illegible] الوارد ولماذا يقال في امر ذلك الجبار الى
فاين [illegible] الشايع من الاخبار [illegible] ما يصحح في [illegible] ويسنح في نفوسكم فانكم
برد الافاق وجوالة الارض ولقاطة الكلام وتساقط اليكم من اقطار الدنيا ما تعقد عليه حفظة الملوك وكبراء
الناس فورد علينا من هذا الانسان ما انسى الاول والثاني وما زاد في عجبنا انا كنا نعده في طبقة فوق
طبقات جميع الناس فحققنا الحديث معه وودعناه وخرجنا من عنده وطفقنا نتلاوم على [illegible]

ما ركبنا لهم وطوفنا من خالطهم وازدرسامهم وانقلبنا مستوحشين الى دويرتنا التي عدونا منها لنطرقين
كالين فلقينا في الطريق شخصا من العلماء يقال له ابو الحسن العامري وله كتاب في الفروق بين عجلنا
واشارتنا وكان من الجوالين الذين تنقلوا في البلاد واطلعوا على اسرار الله في العباد فقال لنا من اين وجهتم
ومن اين وجهتم فاعلمناه في مسجد وعصبنا حوله وقصصنا قصتنا عليه واوقفناه على الامر هنا ولا غريبها
حوتا فقال لنا في مثل هذه الحال الطارية عجب لا يتفقون عليه وسر لا يهتدون اليه وانما غركم ظنكم
بالرشاد فظلم ينبغي ان لا تكون منهم كالعجز عن العامة لانهم الخاصة لانهم بالله يلوذون واياه يعبدون
وعليه يتوكلون واليه يرجعون ومن اجله يتهالكون وبرضاه يكون قلنا له فان رأيت يا معلم
لتحيرنا ان تكشف عنا هذا الغطاء وترفع عنا الرين وتعرفنا فيه ما وهبه الله من هذا الغيب
لنكون لك شاكرين ونكون من الشاكرين ∴ تم المجلس وقد وجب الحمد والصلوة على محمد من بعد

المجلس الثالث والثمون من كتاب خلق الانسان تفسير قول الله عز وجل وفي انفسكم افلا تبصرون في ذكر حسد الانفس والمعاجلة الى بغا جنته ∴

بسم الله الرحمن الرحيم ∴

الحمد لمن يحمد من الطاعة على يسيرها ويجازي من النعمة بكثيرها ويعطي من الحوايج جزيلها ويقبل من
الاعمال قليلها لا يخلف ما وعد فيه ويصرف بفضله عنهم ويعلم محو كل حي وميت وسبب كل
شي وبعد لتختلف الاحوال المجتمعات في طاعته تعد لبسن وافترقت الالوان متفقات في حسن بيوت
تعالى جده ان يحيط على بعضه حق كله وجعل من فضله ان يشكر حق الشكر على ان اتحفه الى العوز من الطلبات
ويفرح بالسرور وطوارق النائبات ويهدي القلوب بصفاتها لا يحوزنه الظلام ولا يبقى الصدور بتشبه الا
بآيته السلم لا يخفى من استظل بطاعته ولا يبري من الحرمن عبادته والصلوة على من احب به
الحق ابصار هشيت عن ايمانها واحلت بها من صدت باثمها وعمرت بها واهتزت بها اعصاب الذين
بعد ان كانت يابسة وعمرت معاهد الحق بعد ان طارت دارسة وعلى آله نجباء الاروما العربية
وعظما بها وكبرا الجرثومة النبوية ودعائمها ∴ الحسد من اجتماع البخل والحرص والحسد شر من
البخل كما ان الحسد شر من الغضب لان البخيل انما لا يحب ان ينيل احدا شيئا مما يملكه والحسود لا يحب ان
ينال احد خيرا البتة فالحاسد هو الكاره لما يقع برفاق من لم يشره ولم يبتغ به وهذا هو الشر
المحض والشرير مستحق للمقت من الخالق لانه مضاد له في ارادته الخير ومن المخلوق لانه مبغض لما لهم
والحسد فيما لا لذة فيه ان كان في الهوى والغضب لذة وينقص هو مع ذلك مصير الدين والدنيا
سطل حسناته وتعرضه لسخط خالقه من قبل تسخط قضايه وتدبيره ويحصى ما وسع من نعمه
على خلقه وبعينه يتوقى له في الناس وخلقه في معايشهم فكيف اعمالي والناعو في الاقران

والامة

والاسائة اليه وصفه بالروح والجسد بالروح بدخله ويعرنه فكره ويوقيه الى طول الحزن والفكر فيما يجد
لانه يعرض عليه هذه الاعراض طول السهر وسوء الاغتذاء وتغير رداءة اللون وكمود السحنة وفساد الرأي
فكان الحسد كله آفة ومضرة وشر وفساد او كان نفيه العون والشتم للمحسود من الحاسد بيم فهو رقة
ويذهل عقله فان نجح اول التنبيه والتذليل من الاذى لا يحل على صاحبه الاضرار والى صلاح حق
بالاطلاع من الذي هو جنة للعدو وجارح للقاتل اثر له من يرى عدوه وفساد سهمه على عنده
فاما ما قيل لصاحب المطي من بال الحساد يجزون ابدا قالا انهم لا يجزون الحابين لهم من الشر فقط
بل لما ينال الناس ايضا من الخير ولان لذة العيش مجر احه الكفافه وما فوقه كد وعنا ولان
الحالة التي يورثها الانسان وتمناها اذا نالها لا يفرح بها الامدة يسيرة حتى يسمو نفسه الى
ما فوقها وتعلقت امنيته بما هو اعلى منها واشرف الحالة التي هو فيها التي كانت من قبل يطلبها
وصار بين امرين خوف الخوف من التحول عن الحالة والهم بالتي يقصد في نفسه بلوغها من ابن
يجد العاقل على الشح كله هموم واحزان وغموم وانجان زيادته نقصان وربحه خسران وربحها
وعمرانه خراب ما عدم منه امنية وما وجد عارية بها بابه امر ومنية وغاية حبيبة وحبيبة
وفي بعض الخطب احذروا امور الحسد فانه اوفر خصال الشر البدء واتكاها في اليوم والغد يعصر
الفؤاد بريحه وبقض الهاد كدحه وايام وما تعتقد منه فان عز الغضب لا يخفى بقول الاعتذار
وقضاء الشهوة لا يقوم بطلب العاذر ولين من الغار ولا تمكنوا الهوى من قلوبكم فان رجح وجهاته غرته
ولا تعرضوا البغي فان سهامها مصيبة واحترسوا من التواني في الخير فان شوم التواني اوخم عقبا
واخر الموارد اقلها شربا واعلموا انه لا ينال المرء الاماني اصح امله ولا يصيبه الامان ابدا او كنا وقوع
نفح له وان احسن الحسن بفضله واشرف الحرص من نفسه وان البغي لا يثمر ما يرى حتى ينقضي
والظلم لا ينفذ فاعله حتى يتقوض والمعاتبة لا اصلها راسخ ولا فرعها شامخ والمنافسة لا
ناصح ولا اجرها خاصر والحقود لا يعود الى الرضا وان طال الامد والحسود لا يسود وان كثر العدد
والعدد وفي اخر بحر من اتبع نطاق هواه ضاق ذرعه ومن نصحه سلطانه خان نصحه ومن
يعز بعيون اقداره ونظر الى من دونه في مقدار احضر له العافية سلم والطامع له الحاسد وما اون
عرف نعم الله عنده امتنع الحسد عن قلبه وتناهى وانتفى الحزن عن فؤاده واشتق ونعم الحصر عن
الاوقات بعض النفس عن الشهوات وصلة القرابات وقطع الحسد والعداوات وخير الغد الاصاف
لا تذبل عوده ولا يافل سعوده وشر الفروع الظلم لا ابتسام عاقبته وان طالت مدته وان استقيم الذي
والدنيا مراده وتعتدل الظلم العود منا دوكيف افلح الفتى مع هوى صحيح وقلب سقيم وما اشقاه
بعمرها من وحسد سقيم ان الحاسد ليفتل في حبل الشيطان ويتلعن ارض البغي في نوع الاحزان

وبلاه مما يصنع وما يوضع ويرفع وبغاية مهل يشرع ومن اتى عند ربه يكرع وهل هو الا حرج فصدره اعيا
شغفا أو وعاء في الحسبان اشنع دواء يتحطنا انه لا الة اجل عند من خرج وميزوب نفسه
ويضيق ذرعه بما وسع الله عليه ٭ وما كان الله يجمع انفه ٭ واذ نبه امر مولاه ثاب له وقد

ترى البغض قد افتح دوابر وجهه ٭ كعضب الكندي افتح واشد الحفر
لعمرك للحول اذا كان كاشحا ٭ اشد على الادنى من البغض المتقي
يعض ذوي القربى ويحسد دانيا ٭ وليس يظهر ان دعوت ولا بطن
يا رب مولى لي ساترا داؤه ٭ محبنة على قلبي احناؤه
اذا ذكرت قلت حشاؤه ٭ ويأبى لا ينفع عشاؤه
ممليا من حسد كباؤه ٭ عيني ويبغض ابدا عداؤه
كان لا ابا لي كذا اباؤه ٭ امهات ان داويته شفاؤه

وفي اخرى ان الورع موصول لصالح الدنيا الحاضرة بثواب الاخرة ٭ مقرون بعزة العاجلة بكرامة الاجلة
وان العصيان مشفوع بخبار الحال بعذاب النار في المال وان الحسد في العيون قذى وفي النفوس اذى
وفي الصدور غل ولا ايه وفي العقد مندمة دائمة ومن دعاه الحرص الى الطمع ووكله التقى بالطمع
حل من ضرع بكى واستوى من انضيكي ومن ملكته الحمية بالظلم واخذته العزة بالاثم فقد استحل المحرم
واستجلب الشر المحرم ومن اقتدح بالشر التهب مع شراره واحترق بناره ومن سن في الناس سنة جائرة
وسار بهم سيرة ظالمة فذاك الذي ضرب عليه سوء الاختيار من الرق الحسرة والذنابة في شناءة الخزي والخسار
يا وزراس ابتهج لك المثابة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل
بها الى يوم القيمة ومن سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيمة فقال صلى الله عليه وسلم
على ابن ادم القاتل اول الاكفل من اثم كل قاتل ظلما لانه كان اول من سن القتل فلما هو الحسد وطغوا وذلك ان الله تعالى امر
ابني ادم ان يتخالفا في نكاح اختيهما فاطاع هابيل واتمر وابى قابيل واستكبر لانها كانت توامته حسناء
جميلة الحجبة فما زال العناد الاكنف لجاءه عليها حتى افضى بالحال الى قتل اخيه فاتاه منادا من السما يا قابيل
قتلت اخاك فهرب من ذلك الصوت على وجهه واختلط بالوحش مغمورا طائر القلب مذعورا وكان الوحش
اذ ذاك مستانسة ببني ادم يفعل بهم ما شاء منها واتبعها وكان الدم يا ظهرها وعاصيها فالقى الله عليه
الجوع فكان ياخذ الظبي فيدق راسها وياكلها فمن ثم نفرت الوحوش وتعادت السباع ثم بعث الله
فاخذه فقوم حجله اليمنى الى يده اليسرى ورجله اليسرى الى يده اليمنى ثم علقه في عين الشمس واطر عليه
حظاير من النار فكانه كذلك ثمانين سنة ثم القاه الى الارض وعليه تلك الحظاير وقيل يا ارض
احسفي به فقال الله سبحانه الرحمن الرحيم فقال انا داحتي على كل رحيم ثم غاب في الارض وقال بعض العلماء

في معالجة الحسد انه داء من الادواء وحين ما يعالج بالادوية ان يقابل كل داء بما يضاده ويحكم عليه تحصنه
فكذلك ينبغي ان يستقبل الانسان الحسد بكل ما يقابله من قول او فعل يخالفه ويمل بشدة
فيثني على المحسود ويظهر الفرح بنعمته ويتواضع له اذا ربه فيعود العدو صديقا ويبطل الحسد ويتخلص المحسود
ايضه واذا هو دنا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم فان الحيطان وعل نفسك الى الاحتياط نحو
مما لاه العدو ولسانا ان القول والفعل معه حتى يتقلب صديقا او ينقطع بينكما التقاسد فاجتهد ان لا
تظهر الحسد بلسانك وجوارحك فانها لك اختيارية لتنجو من الاثم واضطجاه دنفسك واكره لها حبها
زوال النعمة عن عباده فاذا امرتك هذه الكراهية الثانية عن باعث الدين بحسد زوال النعمة التي
اقتضاه الطبع ارتفع عنك الاثم اذ انت لا تؤاخذ بما جبلت عليه طبعك انما تؤاخذ بما فعلته كسبا وعلامة
هذه الكراهة ان يكون بحيث لو قدرت على معونته في ازالة نعمته او في زيادتها لم يقعد عنهما
مع كراهتك لها فاذا كنت على هذا المركز عليك حرج مما يتقاضاك طبعك دعواه نفسك الامارة
بالسوء ومما يحكى في الحسد وظلم اهله انه كان في ايام الهادي يتعلق رجل من اهل النعم وكان له جار في
دون حاله يحسده ما ثبت يحسده ويسوء عليه بكل مكروه فلا يقدر عليه على اسبابه فلما طال عليه اسره
وجعلت الايام لا تزيد عليه الا غيضا وحنقا اشترى غلاما صغيرا فرباه احسن تربية واحسن اليه كل
احسان فلما شب الغلام واستوت قوته قال له مولاه يا بني اني اريد لك امرا من الامور جسيما فليت شعري
كيف انت فيه عند ذلك فقال كيف يكون العبد لمولاه المنعم عليه المحسن اليه والله يا مولاي لو علمت ان
رضاك في ان اقتحم الجمر وابوح بنفسي في النار لفعلت ذلك وسارعت اليه فسر بذلك مولاه وضمه
الى صدره وانكب عليه يترشفه وقال ارجو ان يكون ممن يصلح لما اريد فقال له يا مولاي انما انا بين يدي
عبدك فمرني بما شئت هذا الذي يعدم فقال له الدم بان وقتك بعد فاذا ان وقته فانت
موضع سري ومستودع لما بي فتركه سنة ثم دعاه فقال له يا بني قد اراد تلك الامر الذي كنت احدثك له
فقال يا مولاي مرني بامرك فوالله ما يزيدني الايام الا طاعة لك فقال له ان جاري هذا قد بلغ
مني مبلغا احب قتله قال فانا اقتله به الساعة قال لا اريد هذا واني اخاف ان لا يمكنك وان
امكنك لم تأمن ان يقتلك ولكني دبرت ان تقتلني وتطرحني على سطحه فيوخذ ويقتل فقال له الغلام اما
نفسك تقتلها وما في ذلك من تنغص عيشك من بعد ان ايضا قتل من يحبني فعلك وانت ابر من الوالد
الحدب والام الشفيقة فقال له دع هذا عنك فاني انما كنت اربيك لمثل هذا اليوم فلا تنقض على تدبيري ولا
تنقض علي امري فاني لا راحة لي الا فيه فقال الله الله في نفسك يا مولاي وان يبلغ بك هذا الامر الذي لا تدري
كيف يكون او لا يكون وما تصيده عليك لو كان ذلك مرتقبا بك وانت ميت فقال ارى انك لي عاصيا
وعلى رأيي زاريا وما ارضى حتى تفعل بما اهوى فقال اما اذا صح عزمك على هذا فانك وما مرت صائر

اليه بالكره لا بالرضا ويودي لو فاتت نفسي فيضا او قطعت اعضائي اربا اربا فلا يمنك ادنى مكروه فكره
المولى على اجابته ولعطاه من المال ما اراد ولحبه ووعد له سكين فشحذه ودفعه اليه واشهد انه قد دبر
وقال له اذا اضعف ما قررت يتحقق ما بينا المال الذي بين يديك ثم نوم الغلام على طاعة مولاه وتوارى ايام ما
بلساره مولاه واشاع مولاه انه ابق منه لسلا يحزن عليه اذ قتله فلما كان اخر ليلة من عمره قال له تاهب
لما امرتك فاني موقظك في اخر الليل فنام الغلام الى جنب مولاه فلما كان في السحر ايقظه فقام منه عوا
فقال خذ السكين واتبعني فجاء حتى تسور حائط جاره بلا حركة وقال هنا احتز واضطجع على حلقه واستقبل
القبلة بين يديه وقال اللهم ان الحي شقيا معا بلغ في قتل جاري من ان اقتل نفسي ثم قال للغلام
اذبح ويلك واعجل فوضع السكين على اوداجه فذبحه وذهب على وجهه ثم خاطبه مولاه من ماله فلما اصبح اهله
خفي عليهم خبره فطلبوه فلم يجدوا له اثرا حتى كان في اخر النهار فلما اصابوه على سطح جاره واجتمع
اولياؤه واخذوا الجار بدمه وحضروا واصلحوا الناحية من فوح الحبس وكتب بالخبر الى الهادي
فاحضره وقرره فانكر ان يكون له علم بذلك او امر به او تولاه بنفسه وكان الرجل من اهل الصلاح والستر
فتقدم بحبسه ومضى الغلام الى اصبهان فكان رجل هناك من اولياء الجريح فراى الغلام وكان يعرف
ما كان من مولاه وقد رفع الخبر اليه فاخبره الغلام بالقصة حرفا حرفا فاشهد على ما قال وحمل الغلام
الى بغداد وبلغ الخبر الى الهادي فامر ان يدخل الغلام عليه وقص عليه القصة فتعجب الهادي من بلوغ
الحسد من صاحبه هذا المبلغ واطلق الرجل المحبوس والغلام فهذا من عجايب الحسد وقد قيل الحسد في
ثلث لجيران من الناس الجيران في المنزل والشركاء في العمل والقرابات في النسب وقال رجل لشبيب
بن شيبة انا والله احبك يا ابا معمر قال اشهد على صدقك قال وكيف ذاك قال لانك لست بجار قريب
ولا ابن عم نسيب ولا مشاكل في صناعة وقيل مع القرابة والثروة يكون التكاثر والتحاسد ومع
الغربة والخلة يكون التناصر والتناصح وقيل الحسد في القرابة كالنار في الغابة وقال رجل للرشيد عبد
الملك بن صالح الهاشمي يساميك يا امير المؤمنين كالطامع من شرفه واشد من تكابره والا افسد والله عليك
امرك فالتفت اليه الرشيد وقال اما تسمع يا عبد الرحمن فقال يا امير المؤمنين حاسد نعمة وحسين مناه من
في تقديم منزله فقال صدقت يا عبد الرحمن انخفض القوم وفضلهم ففي صدورهم جمرات الحسد ودخل
المسور بن عبد الله على معوية فقال له كيف تركت قريشا قال انت سيدها يا امير المؤمنين اعلاها
كعبا واسودها ابا وارفعها ذكرا والحقها قدما قال كيف تركت سعيد ابن العاص قال
عليلا قال اليدين والفم به لا انطبق باصيرته اعمرو بن سعيد حتى يسمع قوله من وراء قال فقال
اذن والله لا ايتيحوا تيه ولا تزيدني رزقك ولا يدفع حتفا عنك بل يفت في عضدك بسعر
ظهرك وينشر امرك ... فلا تجابه وسوعد فلا تماثله فقال معوية يا امية ارى هنا ان ابان

جارانا الى غاية الشرف فلم يعلم باثاره ولم يحتفل ولم يلحق بعثمان ولم يكد من غبار ه
هذا مع قوة امكان وعزة سلطان وانا فقد تودمنا علينا واولاهم بالحسد منا من سبقنا الى غاية
شرف فاخذ ابوك علينا الشعب وسلك الشعب ففاز بالقلب فاخوانا بالحسد له وكان معوية اشد الناس
حسدا لاهل ثروته وكان لايمن بن خريم الاسدي منه الطف منزلة وكان معوية قد ضعف عن النساء فاذا
وصف عنده رجل بالجماع حسده فجلس ذات يوم وفاخته زوجته قريبة منه حيث تسمع الكلام فقال
يا ايمن ما بقي من طعامك وشرابك وجماعك وقوتك فقال والله يا امير المؤمنين اكل الجفنة الكثيرة
واشرب الرقة العظيم ولا انقع بالغمر واركض بالمهر الارن واجامع الليل الى السحر فحسده معاوية وجفاه
فشكا ايمن ذلك الى امراته فقالت الذي فعلت فعشا فقال لا والله الا كذا وكذا قالت هذا والله غضبه عليك
قال فاصلحي ما افسدت قالت كفيتك فاتت معوية فوجدته جالسا للناس فلما دخلت على النساء
ولت فاخته فقالت مالك قالت جئتك استعديك على ايمن قالت وما له قالت ما ادري ارجل هو ام
امراة وما كشف لي ثوبا منذ تزوجني قالت فاين قوله لامير المؤمنين وحكت لها ما قاله فقالت كذب
والله الباطل واقبل معوية فقال من هذه عندك يا فاخته قالت هذه امراة ايمن جاءت تشكوه قال
وما لها قالت زعمت انها لا تدري ارجل هو او امراة وانه لم يكشف لها ثوبا منذ تزوجها قال كذلك
هو قالت نعم ففرق بيني وبينه فرق الله بينه وبين زوجه قال معوية او خير من ذلك هو ابن
عمك وقد صبرت عليه دهرا فجعلت له اجلا فلم يزل بها حتى ... له ... فاعطاها
واحسن اليها وعاد ... منزلته ابن هند معوية كما كانت من قبل وكان الحجاج حسودا لا ينشي صنيعة
الا افسدها ولا يرى ان صالحا الا حسده صاحبه فلما وجه عمارة بن تميم اللخمي الى ابن الاشعث
غاديا الفتح حسده فرفع ذلك عمارة وكره مساورته وكان عاقلا رفيقا يظل يقول اصلح الله الامير
انت اشرف العرب من شرفته شرف ومن صغرته صغر وقال ابن الاشعث وخلعه حتى استوفد عبد
الملك الحجاج وسار عمارة معه بلاطفه ولا يكاشفه وقدموا على عبد الملك فقامت الخطباء بين
يديه في امر الفتح فقام عمارة فقال يا امير المؤمنين سل الحجاج عن طاعتي وبلائي فقال الحجاج يا
امير المؤمنين لقد اخلص الطاعة وابلى الجميل وبلغ ما لا مزيد عليه في النصيحة وانه لمن ايمن
الناس نقيبة واعفهم سيرة فلما بلغ اخر التقريظ قال عمارة ارضيت يا امير المؤمنين قال نعم قال
فلا رضي الله عن الحجاج يا امير المؤمنين ولا حفظه ولا عافاه وهو الاخرق الطيح التدبير الذي افسد
عليك العراق والب عليك الناس وما اوتيت الا من خرقه وقلة عقله وفيالة رايه وجهله
بالسياسة ولك يا امير المؤمنين منه امثالها ان لم تعزله فقال الحجاج مه يا عمارة فقال لا مه
ولا كرامة يا امير المؤمنين كل امراة له طالق وكل مملوك له حر ان سمعت ... الحجاج فقال

عبد الملك ساعة نا اوسع لك فيما سأل عبد الملك الحجاج مرة ان يصدقه عن الخلافة والح عليه فقال ابن ضحى
حقوق بحجج فاستحل حسنا الاثر باحسها النفسه ويقال ان عبد الملك قال له عند ذلك يا ابن الشيطان شر
مما ذكرته وكان الصاحب اسمعيل بن عباد مع غزارة فضله وسماحة خلقه اشد الناس حسدا لاهل
الفضل وعلى هذا يحيط شواكل الفضل واقراب العلم وكان يعمل في اوقات العيد ومواسم النيروز شعرا ويدفعه
الى ابي عيسى بن المنجم ويقول قد نحلتك هذه القصيدة فامدحني بها في جملة الشعراء وكن الثالث من المنشدين
فيفعل ذلك ابن المنجم فيقول الصاحب عند سماعه شعره في نفسه اعد يا ابا عيسى فانك مجيد محسن احسنت
يا عيسى فقد صفا ذهنك وزادت قريحتك وتنقحت قوافيك فلا زلنا نخرج الناس ويحضرهم الذكا وتحول
الكودن عتيقا والمحمر حمارا ولا يصرفه عن مجلسه الا بجائزة سنية وانما ذلك لمغايظة الجماعة من الفضلا
والشعرا لانهم يعلمون ان ابا عيسى لا يزن شيئا ولا يعرف منه لغا ولا يعرف عروضا وقال يوما من جملة الذين
فقيل ابو القاسم الكاتب وابن زياد يعمل في الحال بيتين وقال للانسان بين يديه اذا اذنت لهذين فاد
بعدهما بساعة وقل قد قلت بيتين فان سمحت لي انشدتهما انشدت واذا علمت انك تعرف بهما فلا تخرج
من صعوبتك ولا تنزعج لتكبير علينا ودفع البيتين اليه وامر باخراجهما الى العجم واذن للرجلين حتى
وصلا فلما جلسا وانس اصل الرجل واخذ يتلطف ويدعي انه يعرض شعرا ثم قال يا مولانا قد حضرني بيتان
فان اذنت انشدت قال انشد فانشدهما في وصفه بحيث لا تقول شيئا فيه خير الا حمق امرك و
شعرك قال يا مولاي هي بعجمي فان كسر تحفظني وعلى كل حال فاسمع فانكما ناظرين في الاشعار المحبوبة
حتى في العبد بعبدك والامراء ابو القاسم تجوح هات فانشد

يا ايها الصاحب تاج العلى ۞ لا تجعلني نهزة الشامت
بحمد يكنى ابا قاسم ۞ ومجد يعزى الى ثابت

فقال الصاحب قاتلك الله لقد احسنت وانت مسي قال ابو القاسم وكدت انقعا غيظا لاني
علمت انه وغلاية المعروفة وكان ذلك الجاهل لا يعرض شيئا قد كتبناه اقوال الناس نثرا ونظما
في تتم الحسد حتى قال البديهي مع سقوط علامة شعره قوله

لا تحسدوه على تظاهر نعمة ۞ خلقا يبين له المنون بمرصد
اوليس بعد بلوغه اماله ۞ يفضي الى عدم كان لم يوجد
لو كنت احسد ما تجاوز خاطري ۞ حسد النجوم على البقاء السرمد

فلما قالها غدت ساعة كما كان المهلبي يستحسن قوله
انما المعز بالسلطان عقبان الهبوط ۞ وعلى قدر ارتفاع المرء في الحال السقوط ۞ فلما
قال ابو نصر الفارابي للغارض فلا تحسدن من نال العاجل رفعة ۞ لديه لك وانظر عواقبه عندا

فمن كان اعلى في الشواهق ترقى ۞ اذا زل عنها كان مهواه ابعدا
قلب على المعنى وسقط بيت المهلبي وكذلك كانت العرب تعد من مقلدات ابياتها قول الاعشى من قيس
لعمري لقد لاحت عيون كثيرة ۞ الى ضوء نار في يفاع تحرق
تشب لمقرورين يصطليانها ۞ وبات على النار الندى والمحلق ۞ فلما قال
الحطيئة قوله متى تأته تعشو الى ضوء ناره ۞ تجد خير نار عندها خير موقد
قلب على المعنى وسقط بيت الاعشى وكما انفرد بشار بقوله
من راقب الناس لم يظفر بحاجته ۞ وفاز بالطيبات الفاتك اللهج ۞ فلما قال
سلم الخاسر من راقب الناس مات غما ۞ وفاز باللذة الجسور ۞ سقط بيت بشار ولما
قال الفرزدق لجرير وقال له يا ابن المراغة انني ۞ انا الموت فانظر اي قرن تطاوله
فلما قال جرير له ۞ انا الدهر يفني الموت والدهر خالد ۞ فجئني بمثل الدهر شيئا تطاوله
قلبه وصار المعنى له ولما قال القطران العبشمي ۞ انا القطران والشعرا جرب ۞ وفي القطران للجربى الشفاء
فلما قال الاخطل في مناقضته ۞ انا الموت الذي لا بد منه ۞ وليس لهارب منه شفاء
سقط بيت القطران ولما قال ابو تمام يصف قريبا

ان زار سيدا تناسى اهله ۞ او نادبا قام اليه الجلوس
كاننا الاحم لم يبارق ۞ في الحل او زفت اليهم عروس

فقال البحتري في نحو قوله ملأت العيون فان سما اعطيته ۞ نظر المحب الى الحبيب المقبل
فسقط بيت ابي تمام ولما قال قيس بن الخطيم كان لها بالماء ما فلستها ۞ فلوت من الحواري مكذوب
ما تمسي بعطلي فتح تعطيته ۞ في اليوم غير مصرد محسوب ۞ فقال
البحتري يغنى من شائي وبيد نوحها طالما ۞ وسل عنها اطعمها وتبلغ ۞ فسقط
قيس ولما قال ابن المعتز ايا ليلة الوصل لا تنقضي ۞ كما ليلة الهجر لا تنفد
وقال خالد الكاتب رقدت ولم ترث للساهر ۞ وليل المحب بلا اخر
فسقط بيت عبد الصمد كما قال عبد الصمد لابي تمام وقد دخل البصرة شاعرا

لست تنفك طالبا لوصال ۞ من حبيب او طالبا لنوال
اي ماء لحر وجهك يبقى ۞ بين ذل الهوى وذل السؤال

فقال ابو سعيد المخزومي الكلب والشاعر في حالة ۞ يا ليت اني لم اكن شاعرا
اما تراه باسطا كفه ۞ يستطعم الوارد والصادرا
فسقط قول ابن المعذل ولما قاله فهر بن الحارث

وقد بنت المرعى على دمن الثرى ... وتبقى حزازات النفوس كما هيا

فقال الاخطل:

ان العداوة تلقاها وان قدمت ... كالعر يكمن حيناً ثم ينتشر

فسقط بيت زفر. ولما قال العباس بن الاحنف:

مواعيدك لي برق ... متى ذا الخلف البرقا

فقال ابن الرومي:

ايها الواعد الذي برقه الدهر خلب ... لست ادري اانت لم تطل ام عيبك اكذب

سقط بيت العباس. ولما قال اعشى بني قيس:

تبيتون في المشتى ملاء بطونكم ... وجاراتكم غرثى يبتن خمائصا

فقال دعبل الخزاعي:

اضياف عثمان في خفض وفي دعة ... وفي عطاء لعمري غير ممنوع

وضيف عمرو وعمرو يسهران معا ... هذا لكظته والضيف للجوع

فسقط بيت الاعشى. ولما قال جرير:

رفع المطي بما وسمت مجاشعا ... والزبيري يعوم ذو الاجلال

في ليلتين اذا حدوت قصيدة ... بلغت عمان وطي الاجبال

فقال البحتري:

بلغن الارض لم يلغين فيها ... وبعض السير يدركه اللغوب

فسقط قول جرير. ولما قال القديم:

الم تر ان شعري سار عني ... وشعرك حول بيتك يستدير

قال دعبل:

يموت ردي الشعر من قبل اهله ... وجيده يبقى وان مات قائله

فسقط بيت القديم. ولما قال زياد الاعجم:

قبيلة خيرها شرها ... واصدقها الكاذب الآثم

فقال جرير:

فانك لو رايت عبيد تيم ... وتيما قلت ايهما العبيد

ويقضى الامر حين تغيب تيم ... ولا يستأذنون وهم شهود

فسقط قول زياد. ولما قال ابو تمام:

هب من علينا بابه بحجابه ... ما بال الادنى عليه حجاب

فقال المحدث:

حاجبه محجب عنا ... يقول لي ليس ها هنا من

ولما قال ابن بسام:

حبيبة تعمل من سكرة ... وبرمة تطبخ من قيرة

فسقط قول ابن خالويه:

له راح وريحان وخبز ... وماء بارد ووزن الكلجة

المجلس الرابع والستون من كتاب جلاء الاذهان اشارة الى بعض ما تضمنه معاني قوله عز وجل وفي انفسكم افلا تبصرون فيما يعرض للانفس من الغموم والاحزان وذكر ما يدفع به اذاها عنها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الموصوف بنعوت الجلال المنعوت بصفات الكمال الذي لا يقضي على بقائه بالزوال ولا تقتحم الاحوال ولا تجري عليه الاحوال لا يحيط به الاقطار ولا اتصافه الادوار والاكوار لا يحويه مكان ولا يلحقه زمان ولا تكشفه حجب من الحجاب ولا تحمله العرش ولا السموات لا يماثل الجواهر في الاقسام ولا الاجسام في التقدير ليس كمثله شي وهو السميع البصير رفيع الدرجات على كل شي شهيد وهو اقرب الى العبد من حبل الوريد يستطيل على الطالب مطلوبه ويزيل عن المكروب كربه يعطي السؤال من غير سؤال ولا ينقطع النوال عن العباد بحال يعز ويذل بعصمته ويعتصم برحمته في دار كرامته ويبذل المعافي بحلاله ثم خصهم بابانته يوم عدله وفرقانه شرع الملل ونهج السبل لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل واختص منهم محمدا بشريعة ابقاها وملة ايدها ودعوة اظهرها وحفظها ونصرها وبركات ادامها وحسنات لا ترى زيادتها حتى اصبح به الدين في الحرمين الحسين والحرم الامين والصحابة الاخيرة والعصابة الامين رضي الله عنهم وصلى الله عليه وعليهم اجمعين. قالت الحكماء ان الغم يكد الفكر والعقل ويعز الظاهر والباطن ويؤذي الروح والجسد فهو فوق الوجع في البدن لان ذلك يخص وهذا يعم وذلك يزول وهذا اذا اصبح دام واذا دام قتل

خليلي لو ان هم النفوس ... دام عليها ثلث افنيل

ولكن ساعة تمحى السرور ... فيحيا سمعا بما افتعل

تقول سليمى ما لجسمك شاحبا ... ووجهك اضحى ناعم اللون اغبرا

فقلت لها يا سلم من كان همه ... كهمي ولا في مال عيب تغيرا

وعزة قالت قد تغيرت بعدنا ... ومن ذا الذي يا عز لا يتغير

تغير جسمي والخليقة كالتي ... عهدت ولم يخبر بسرك مخبر

ولقد بكاني بنابشه انبي ... لما رايت حموطه بالمنحنى

لا ادري من ظل ولا سلي وردت ... من طول تغيير الحوادث من انا

كفتي كرشد بستي ومكر بم هانم ... ازكونه كونه غمها درجسم توجزانم

وانما كان نكاية الغم وجنايته على الانسان الى هذا الحد لحق على العاقل ان يعمل الاحتيال في التحرز على ان يستعمل الاحتراز عنه قبل حدوثه لئلا يحدث او يكون ما يحدث منه اقل ما يمكن وان يدفع ما حدث ونفيه كله او اكثره ولهذا لم يكن الحكماء يقتنون ما يتسارع اليه الفساد ويتطرق الثلم والانكسار كما يحكى انه كان المعتضد بالله خادم خفيف يتحلى حفر منه اسبر فصوص قاسمه في بعض الاوقات يابتياع غضارة صينية مثمنة فجاء بها حسنة مليحة اللون كان لونه لون المشمش الاصفر وثمنها مائة دينار فاستحسنها وسال عن ثمنها فعرفه فنكر طويلا ثم قال ابتلع غضارة بمائة دينار وعلى من ان يسقط من

الخادم فتكسر وتعجب منها وذلك من بيت مال المسلمين ويبقى ثمنها ومن هنا ثم دعا بصانع في داره
وصناعته فقال كم درهم تربح حتى تصنع مثل هذه الغضارة فقال الف درهم فقال كم تحتاج من الطلاء فقال
عشرة دنانير فدفع اليه فلما فرغ الصانع من عملها وطلاها بالذهب قايس بينهما وبين الصينية فاذا هي
احسن لونا والطف صنعة وارهف شكلا فقال هذه تقوم مقام تلك بل هي احسن منها ويؤمن عليها الكسر
ان سقطت وهذه ان سقطت اسرع اليها الكسر ولم تقبل الجبر فهذا ما لو ضاع صاحبها فلما كان زيادة العز فقد
المحبوب بما كان اكثر الناس غما من كان محبوباته اكثر عددا وكان لها اشد حبا قال الاسكندر لبعض حكماء
بابل اوصني فقال لا تكثر القنية فانها ينبوع الاحزان وقد اهدي الى الاسكندر اواني بديعة وفخار
الصين فاستحسنها ثم امر بكسرها فاعترض له في ذلك فقال علمت انها تنكسر على ايدي الخدم
واحدا واحدا فيهيج في الغضب والحزن فارحت نفسي منها بواحدة وكان سقراط يقول القنية محذورة
ومن خلع عن نفسه فليس بمحزون وكان يقول كثيرا ايها التلامذة اقللوا من القنية تقلل مصائبكم فقال له
تلميذ منهم كيف لا نرى ايها الحكيم فيك ان تحزن فقال لاني لا املك شيئا ان فقدته حزنني وانشد

الم تر ان الله يعطيهم ما بغى ⁂ ويمنع ما اعطى ويسلب ما اسدى
فمن خاف ان الهم يملك نفسه ⁂ فلا يتخذ شيئا يخاف له فقدا

وما احسن الموسوي في الكشف والايضاح لهذا المعنى فقال

يا ليت اني ما اقتنيتك صاحبا ⁂ كم قنية جلبت اسى لفؤاد
من لم يقف الى التناسل نفسه ⁂ كفي الاسى بتعاقب الاولاد
برد القلوب لمن تحب بقاءه ⁂ مما يجر حرارة الاكباد

ويعجبني قول بعض الاحرار انا ادخل السوق والاشياء تتشاق الي وانا عن جميعها حر وقيل البشر
لحارث قد غلا اللحم فقال ارخصوه اي لا تشتروه وانشد

وانا اذا غلا شيء علي تركته ⁂ فيكون ارخص ما يكون اذا غلا

وعلى هذا متى فقد الانسان شيئا من المحبوبات فقدم من الغم على مقدار ما بان ربح النفس من هم
المرء وانفقا وحاضر ويخوف عليه منتظر ويحير فقدها نفعا وان كان على النفس كرها اويكسب للغم
وان كان منه في فقدها اثر كما قيل فان يك فقدنا فارقتنا وتركتنا ذوي خلة ما في انسداد

فقد جر نفعا فقدنا لك اننا ⁂ امنا على كل الرزايا من الجزع
كنت السواد لناظري ⁂ فعليك يبكي الناظر
من شاء بعدك فليمت ⁂ فعليك كنت احاذر

الا ان اعظم من لا معشوق له بان لا معشوق له ليس كغم من فقد معشوقه حتى صار ليله كالنهار

ونهاره كالليل سوادا وقيل لبعض الحكماء لو اتخذت ولدا فقال انا في شغل من اصلاح نفسي فكيف
وعمو لاوافر ان بهما فكيف ثم اليها ليهلك لها واذا كان التلذذ بالاستمتاع بالمحبوبات في حال وجودها
مستقلا ثم مفقدها مستطيلا اذا النفس بعد تلك الاستمتاع المستزيد حقا لواجبا لمقابلة وزن خوفها الاستقلال
ما هي فيه مبتهجا او الزيادة منه وكان التحزن والتلهف والحرق والتململ عند فقدها ما يقتضيا استكثارا
موجبا للاستيحاش فان الراي لا تكون ان لها بواحدة او الاستقلال منها بجملة وحسم الاشياء المولدة للاحزان
ان يتمثل الرجل فقد محبوباته وبقيتها في نفسه ويخطرها على الدوام بباله فانه ينبغي ان يكون عليه
حال ارباب البلوى والعناء كما قيل تمثل ذو العقل في نفسه ⁂ مصائبه قبل ان تنزلا

فان نزلت بغتة لم يرعه ⁂ لما كان في نفسه مثلا
راى الامر يفضي الى آخر ⁂ فصير آخره اولا

وكان يحيى بن معاذ الرازي يقول لجميع الدنيا من اولها الى آخرها لا يساوي غم ساعة فكيف بغم عمر
منها مع قليل نصيبك منها وكان يقول ما لك تاسف على مفقود لا يرده الفوت وما لك تفرح بموجود
لا يتركه في يديك الموت وقيل لافلاطون وكان من الحكماء ما بالكم لا تاسفون على الذي يسترد منكم
ولا تفرحون بالذي يجيء اليكم قال لان الشيئين جميعا اما ان يتركانا او نتركهما فالعاقل اذا نظر
الى الاشياء بعين البصيرة والاعتبار لا يخدعه والاحزان وجدانها وفقدانها الردى وكره واوردها
الفناء فناء وذلك بما يشاهد عليها من الطبائع المتنافية والعناصر المتداعية والطينة المنحلة
المتحيلة والصورة المنحلة الزائلة فلم يركن ولم يكن بما يسلب منها ويحرم بزوالها ولم يطمئن الى الحالة
والمخلدة ولم يعتمد على العارية المرتجعة بل عرف مدة بقائها له فضلا وما كان استمتع وسلك منها حظا
ولم يتحرر على الدوام بقائها فقد اراد ما لا يكون يوجد وطلب ما لا يصح حصوله فيلبسه قام ما هم ودهاه
من فنائه عمله بالمستاع بقائه وما احسن ما قال القائل

فلا تحزنن فكل فتى ستاتي ⁂ عليه الموت يطرق او يغادي
وكل ذخيرة لا بد يوما ⁂ وان بقيت تصير الى نفاد
فلو فوديت من ريب المنايا ⁂ فديتك بالطريف وبالتلاد
ان سرك الا تلقى على نقيصة ⁂ من الحيوة وكن مستعد البين
فلا الحزين باق بعد صاحبه ⁂ ولا المعزي وان عاش الى حين
الم يضرب مصائب ما تقضي ⁂ حتى يواري جسمه في رمسه
فمؤجل يلقى الردى في اهله ⁂ ومعجل يلقى الردى في نفسه

قيل لافلاطون ما الشيء المعزي للناس عن مصائبهم فقال اما للعلماء فعلمهم بانها اضطرارية

وانما السائر الناس فالتأسي احسن ولما احتضر الاسكندر كتب الى امه وهي بالاسكندرية اذا قرأت كتابي هذا
فاصنعي طعاما كثيرا واطعميه الناس ولا يطعم منه امرؤ اصيب بمصيبة فعرفت موته ولحسن العزاء
وقالت الخنساء ولولا كثرة الباكين حولي * على اخوانهم لقتلت نفسي
وما يكون مثل اخي ولكن * اعزي النفس عنهم بالتأسي
ومن ذلك ما علم انه نزل بالاولين ما هو اعظم منه فيخطر بباله الاعظم ليهون عليه امر الاهون
وينظر في مصائب الغابرين ليهون عليه ما اصابه منها

في كل بيت عبرة وبلية * وهموم يبكيك ان نكرت اهلها
صبر كل عقل صبر مودت * ناجمان بود مهجير بود ست

نظر رجل الى عبد الله بن الحسن رضي الله عنه وهو مغتم فقال ما غمك يا ابن رسول الله فقال كيف لا اغتم وقد
امتحنت بافظع من محنة ابراهيم خليل الله ذاك امر بذبح ابنه ليدخل الجنة وانا ماخوذ بان احضر ابني
ليقتلا ثم ادخل النار ومن العجائب ان يعزى الناس لفوت حق او جناية قريبة وتجيء عليه وقد علم ان الحسين
قتل في دار من هاجر اليه وقتل شيعته وانصاره وامة جده الذي اهتدوا به وقتل بسيفه الذي هو
سله وجاهد به اعداء الاسلام وقتل على الحق الذي هو وارثه والنبي صلى الله عليه وسلم مورثه وعلى الحق
الذي هو به وجاهد عليه ومن ذلك ما يلزم من غلبة الحزن على السرور والترجيح على الفرحة فلا تطمع في
الذي لا يكون ولا تحاول ما لا يوجد وذكر ابو عمرو الجاحظ قال كان عندنا قاص يقال له ابو موسى فذكر
يوما في ذكره قصر ايام الدنيا وطول ايام الآخرة وتصغير شأن الدنيا وتعظيم شأن الآخرة وتقليل زمان
السرور وتكثير زمان الهموم فقال هذا الذي عاش خمسين سنة لم يعش شيئا وعليه فضل سنتين قالوا كيف
ذاك فقال خمسة وعشرون سنة ليل هو نائم فيها لا يعقل ولا بد من صبحة بالغداة ونعسة بين العشاء والمغرب
وينال فيها كالغشي الذي يصيب الانسان من ذاته في ذهن فاذا حصلنا ذلك وجدنا ان الذي عاش
خمسين سنة لم يعش شيئا وعليه فضل سنتين وانشد لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر

اذا ما اتت للمرء ستون حجة * ثم غبط من سنيه الا يسيرها
الم تر ان النصف لليل غالب * فيأخذ اوقات المقيل نحيسها
ويأخذ ساعات الهموم بحصة * وساعات اوجاع يميت بحينها
فحاصل ما يبقى له سدس عمره * اذا صدقته النفس عن علم حدسها

وقال علي بن جعفر العلوي الكوفي

من عاش خمسين جزاته * جزء انتباه وجزء نوم
فاذهبت نصفه سنا تات * لغو وساعة شر سوم

اذا انقضت سبعة ليوم سقم ويوم ضيم * ولا يغرنك طول العمر * يوم سرور بالف يوم
وكان بعض الظرفاء اذا اتى له يوم طيب التقى حصاة في كوز فاذا سئل عن عمره عد الحصيات وقال كذا يوما
فحدثت عبد الله بن طاهر وهو في يوم انس وشرب فقال يومنا هذا من ايام الكوز وكان ابنه عبيد الله
بن عبد الله يقول لكل يوم طيب يمضي له هذا يوم جرى ينقضي من العمر
فيا لك يوما خيره قبل شره * تغيب واشيه واقصر عاذله * فان استغرق الهموم والغم
بانها غالبة على السرور لعدم ما يسلي المحزون ومن ذلك ما يرى الامر بغير صفة العين وهو ما يراه الانسان
من الحاق النعم بالحزن ولحاق السارين بالحاذرين فلم محنة الاولاد على العيش بما من النعم ما يعفي وما يصفي
كر بما تقدم البلاذري الى القاضي الحسن بن ابي الشوارب في دين عليه فادعى عليه مائتي دينار فذكر البلاذري
معاملة بينهما وما عوز الى القضاء في الحال وعادة جرت بالنظرة فقال له القاضي انظره الى وقت
ميسرته فقال له الطالب الا وقد علمت انشاءه ونعمته فقال البلاذري صدق ايها القاضي ان من الله
علي بنعم لا اقوم بشكرها وطن انعمه الاسلام وهو الحي لا يعدل بها نعمة ثم نعمة العافية وهي افضل النعم بعدها
وما يمضي من ماثر الادب فقال القاضي لغريمه انصرف وبح البلاذري الى القاضي فاعطاه عنه مائتي
دينار واعتل ابو الياسين بخراسان مدة طويلة ثم ابل واستقل وجلس للناس فدخلوا اليه وهنوه
بالعافية فانصت لهم حتى تقضى كلامهم ثم اندفع فقال ان في العلل لنعما لا ينبغي للعقلاء ان يجهلوها
منها تمحيص الذنوب وتعرض لثواب الصبر وايقاظ من الغفلة واذكار بالنعمة في حال الصحة واستدعاء التوبة
وحض على الصدقة وفي قضاء الله وقدره بعد الخيرة فانصرف الناس بكلامه ونسوا ما قال غيره ومن ذلك
ما يعلم ان النعم زائرة وانها لا محالة زائلة قالت اعرابية لزوجها وراته مهموما ان كان همك بالدنيا فقد فرغ الله
منها وان كان للآخرة فزادك الله همك بها ومن ذلك ما يرى من قلة غناء الجزع عليه وان ما مضى
لا يعود عليه كما قيل * لا تطل الحزن على فائت * فقلما يجدي عليك الحزن
سيان محزون على فائت * ومظهر حزنا لما لم يكن * ومن ذلك ما يستشعر
من تسلية الايام ونسيان الحزن على مر الزمان كما حكي ان عبد الله بن المبارك اصيب ببعض اولاده فعزاه
عليه اخو [illegible] دهريا فقال له [illegible] ان تفعل اليوم ما يفعله الجاهل بعد ثلاثة ايام فعل وقال عمرو
بن عتبة لما اتانا وفاة ابينا جمعنا معاوية فامر بادنينا فاخذنا فقطعناه تخلع علينا فلما ادخلنا
عليه جمعنا اليه كما يجمع الدجاجة فراخها ثم رمى بصوته بالنحيب فقال رحم الله اباكم وان [illegible]
احسن الخلافة عليكم انا والله لقد اراقت في الشبيبة وان كانت لحظاتي لقد لما تبوا اذا صابت والله اقرب
الناس الي بعد ابي واحب الي بعد يزيد ولولا ان الايام مولعة بنسيان الاحبة ما نسيت اباكم ولعلي من
ذلك ما يرى تاما من الرعي الثواب ويحتسب على الحدثان ويعلم ان الزمان مجبول على الغير والحزن خلص الذهب

من الذهب واللجين من يد القين * لله در النائبات فانها * صدأ اللئام وصيقل الاحرار

قد كنت منها زبرة فطبعتني * سيفا واطلق صرفهن غرار

ولما بلغ عبيد الله بن يحيى بن خاقان ما بلغ من رتبة الوزارة وحسبي اهل الخلافة قال ابو يحيى قد كانت مخائل هذا الفتى والانة الا واحدة قيل له وما تلك الواحدة قال يحتاج الى محنة تمر به ليفهم به الزمان ومن ذلك ما يقتضي المحتمن اليسير العوض الذي هو او في الدار التي هي خير وابقى كما قال الحسين بن علي

لئن كانت الدنيا تعد نفيسة * فدار ثواب الله اعلى وانبل

وان كانت الابدان للموت انشئت * فقتل امرئ في الله بالسيف افضل

وان كانت الاموال للترك جمعها * فما بال متروك به المرء يبخل

ومن ذلك ما يوصل في الحال في قرب الفرج وهو ايضا من سعادة الاخرة كما في الحديث انتظار الفرج عبادة وسئل بزرجمهر في نكبته عن حاله فقال هونت على اربعة اشياء اولها اني قلت القضاء والقدر لابد من جريانهما والثاني اني قلت ان لم اصبر فالاحيلة فاصبح والثالث ان قلت قد كان يجوز ان يكون ما اشد من هذا والرابع قلت لعل الفرج قريب وانا لا ادري وفي كلام انوشروان جميع نوائب الدنيا تنقسم الى ضربين لا ثالث لهما احدهما في دفعه حيلة فالاضطراب دواؤه والاخر لا حيلة في دفعه فالاصطبار شفاؤه ولفظ ابن المقفع ان كان لما نابك له حيلة فلا تعجز وان لم يكن له حيلة فلا تجزع فجزاء الثاني على قدر الاول ومن ذلك ما يكون في الاهتمام بما يكون من تعجيل الغم ولعله لا يكون ولا يكون مدار وفي مثنويات احمد بن الحسن الوزير * از كار كذشته هيج تيمار مدار * ور نامده جان خويش بيمار مدار

اسان كذر نكار تو دشوار مدار * يك ساعت عمر خويش را خوار مدار

وفي الاسكوبات الفرس * اندوه مبر زنك بكام رسد يار * جاويد نماند بكسي بر تيمار

انده شده بود جون شد بكي بار * ايزد بنهد له شده راو بهار

ومن ذلك ما يكتسب من الحكمة بما يتصل به من الاصطبار وعما يوتيه فيه تمارين من الوقار دخل ارسطاطاليس الى الاسكندر ليعزيه بتجميعه فتاخر عن المعزين ثم قال لما دخل اليك الاحزان ولكن لا ارى صبرا لعلي المصيبة فاتى ذلك منك ومن ذلك ما يقعد المرء في نفسه عند كل فايت من امكان الاعتياض عنه والاستبدال به كما قال صاحب

من لي فليصغ عني زانشا * ولئن عزفت له ولست براشد

ما ضاقت الدنيا على بابرها * حتى ترى لغنا في زاهد

لا يمنعك خفض العيش في دعة * نزوع نفس الى اهل واوطان

تلقى بكل بلاد ان حللت بها * اهلا باهل وجيرانا بجيران

كر آب جوق من ازان آب نخورم * كر رشك بتست كوري آن رشك نبوم

انكه نه بستي كه جهان بي بلستي * تو نابي من يابم زني بيش نكو يم

غم تو جند خورم اندو تو جند برم * نخورم تا نخوري و نبرم تا نبري

شمع افروخته بيم كه تو در نكرم * شمع نا سوخته بيني كه من در نكري

مرا خواهي ترا خواهم * مرا جويي ترا جويم * زمن بري شوم برهم * زمن كوي زتو كويم

نه من بي خار دردشتم * نه من بي خاك در كويم * نه تو مشكي نه من خاكم * نه تو زري نه من رويم

خراسان را اختيار و نديدست * و من ديد حت كرا ويسم

وحدث السلامي ان اسحاق بن الضحاك الحبيسي قال استهترت ببغداد بجارية فولعت بها وعهدت بذكرها ليلي ونهاري ولعبي في الدنيا بي وضاق بعض ما فارس اليحرحني مع نفسي الى فارس فقفل ما انزلنا اصطخر نزلت بجوار نزهة واقبلت على لهوي نفكري في الشعر الا الشيخ فدخل الدار يوما متوكا على عصا مقبلا على غني فما زلنا ودمعه وانا اقتقيد على البواب بجبت اذن له فلما دنا مني اقبل علي وانشدني

نمى اليك كتاب * في خافية عتاب * تبين انك تشكو * وقد علاك انتحاب

وقد علاك نحوب * وقد براك اكتئاب * من حب لطيف عزيز * في وجنتيه التهاب

بالحمق الناس طرا * في كل ارض تحاب * فقلت في نفسي قد صدقني والله وتنبهت على ما كنت عليه فكففت بالعقل نفسي وافتلت الخروج الى السوق واهملوا ما يحدثون فيه من الرياحين والفواكه ورتبوا المجلس واحضروا الشراب والة واطلبوا الى الغلمان فخرج الغلمان وتمام اوهفوا في العلامة الاكر وطلبت الشيخ فلم اجده فسالت البواب عنه فحلف بالله انه لم ير حين دخل ولا حين خرج ولا وقعت عينه عليه فعلمت انه ابو مرة ولقد حسبته ان يشغلني عما انا فيه بعينه وسيلة فحلي بن محمد رضي وقد اورد المترجمون عن جالينوس حكاية نافعة في دفع الغم قال كان لي صديق يسرع اليه الغم بادنى سبب فذاكرني يوما بمجلس وقال اعلم اني سهرت البارحة بالتفكير في حالي وحال الاشغال قطعتها للعظام كاغتمامي للصغار فيما ادى وصلت الى هذه الحالة الا اجتهادا قاسية حتى افنيته لم هو ان ابي ان بانيته فاترية او هو طباع او بنية فاعشقته فاجبته بان للطبع في جميع الناس اثر ظاهر الا ترى انهم اذا اخلوا او سووه والعادة مثلة وانا منذ قبلت من ابي وصاياه وتادبت بادبه لا ان لا ابالي بالمطعم والكربة في جنب الحزن الذي لا يوثر عليه شئ لم يهلق حوادث الايام التي فيها صبي ولم يوجد فينا من الضجر والقلق اذا ظنوا بان لان انهم لا يكبرهم ومن الاهتمام بالوضائع في اموالهم وضياعهم ولم اغتم بما ذهب عني وان كثر لا ان رايت الكفاية فيما بقي منه بمصالح بدني وحفظ صحته ولقد وازنت بين الذهب وبين الغم لذ فلم ينا وفوهما الفصل في الحاد تكبني

ورام منقصتي عادلت بينه وبين من يمدحني ويقول بفضيلتي فاخترت اكثرهما مخبرين عددا واعزهما
نفرا حتى يتزاح حزني ولم اشتط في التمني ان يمدحني كل الناس فان ذلك مما ليس لمن اراد ان يملك جميع
ما يملكونه واذا فارقني شي من القنية لم احفل بمفارقته لعلمي ان منه اذا فارقني بديل له فيما
آنسني عديل وكيف اغتم لما اني لو رمت ما ملكت الجهة الفانية الا ما هو زايد على الكفاية ولي من جميع
ما عددته اكثر من زوجين وغلام وفضل على ما احتاج اليه بيتي وصلاح امري ثم اني اراك مع ازدياد
مالك ونموه وان نقص لا تعتقد على ذلك كثير الغم دايم الفكر مع انك لا تضيق ما يعلو عليك افناوه
من غليان روقه وافراس فارهة فاخرة تحتاج ان يعتنم الى المال ولا انك كلفنا ما قسمنا علوم وجمع
كتب الكرم من اجلها كلها وانت تترك احدا في مالك بصلة او صدقة وهذه كلها واكثر منها الذي جمع
على ستة احدها فيها فلا اذا تغتم وانت تملك اضعاف ما املكه وزيتك من الجاه والكرامة محفوظ
مصونة فليس اذن اغتمامك بسبب سوى الحرص على المعدوم والتهالك على الموجود وان عينك لا تشبع
وقلبك لا يقنع وذلك مفتاح الحزن والكمد ولقاح الغل والحسد فان دمت اندفاع الغم عنك
فاقصد القصد من جميع الرغبات وصح بعد ذلك وسعمل حتى تنجح لك العز من حقه من باطله
وتستقصه استقصاءك بان ضرب الاثنين في الاثنين اربعة وذكر بعض الحكماء في الحيلة لدفع الاحزان
ان كل الم من الآلام فينبغي ان يعلم ما هو وما سببه ليكون دواؤه ظاهر الوجود وسهل الاستعمال
فنقول ان الحزن الم نفساني يعرض لفقد المحبوبات وفوت المطلوبات فينبغي ان يبحث هل يمكن ان
يعرى من هذه الاسباب احد فانه ليس يمكن ان ينال احد جميع مطالبه ولا يسلم من فقد بعض محبوباته
لان الثبات والدوام معدومان في عالم الكون والفساد الذي نحن فيه وانما الثبات والدوام
موجودان اضطرارا في الدار الاخرة التي يمكن ان نشاهدها ونتوخاها فان احببنا ان لا نفقد
محبوباتنا ولا تفوتنا طلباتنا فينبغي ان نقصد دار العز هذه الدار ونصرف لها سعينا و
نعمل محبوباتنا واذا دنونا من الاشياء المودية اليه ونكون ذلك بغيتنا ثنا الفانية فانا
ان فعلنا ذلك امنا ان نغصب قنياتنا احد ويحكم علينا ابد وينبغي لنا ان نتذكر انا ان
اردنا ان الانسان يمضيه عن ثابته فانما اردنا ان يكون والكون والفساد جملة فان اردنا
ان لا يكون ذلك في الجملة فقد اردنا الشر وينبغي لنا ان يكون ما على بالنا ان لا ينبغي ان نكره
الذي ليس برديء وانما ينبغي ان نكره الرديء فان ذلك ان ثبت في طباعنا وذكرت انفسنا
عظم انتفاعنا به في دفع المحرمات المحسنة فانه لا نظن ان شيا اردى من الموت والموت ليس برديء
وانما الخوف من الموت رديء فاما الموت فهو تمام امرنا لان الانسان هو الحي الناطق الميت وحد
كل شي انما يوجد من طبايعه الذاتية فذات الانسان الحي الناطق الميت فان لم يكن موت لم يكن

انسان

انسان فاذا ليس الموت رديا واذا لم يكن رديا لا ينبغي ان نغتم له واذا لم نغتم له لم نغتم لشي دونه فكل ذلك الذي
نتوقع في جنبه من سوء وهذا القايل قول الحكيم مثل الانسان في حبوة الدنيا الزايلة وكثرة اسقامها
والامها وتقدم احوالها وتنغص لذاتها الكاذبة واخلاق مخالطيها لو اهتدا الشايل الى لرهبها في
ازالتها وان المخذول من سكن اليها والمرحوم من اغتر بها وتبين ان كراهية الموت الذي هو طريق
الوصول الى الاخرة ونعيمها الدايم المقيم من قبل الف النفس لهذه الدنيا الفانية وجهلها بالملك
ملك الاخرة الباقية ونضرب لذلك مثلا ونقول ان الجنين لو كان ذا عقل وهو في الرحم لانه
ليس يتاهله غير هذا ان ينقل منه الى امر غير ذلك ولو كان لما يقل منها الى حتى اقرب الى
كون الكمال فاذا صار الى الانسان فاستحال ان نقل عنها الى الرحم الذي هو اوسع من عالم
الاسنين لا حزن بذلك لحزنا شديدا ثانيا من حزنه الاول اضعافا فالتذكرة ستوالاسنين وبعد كمال
الصورة الانسانية اذا استيقنت حاله فيها الى في الرحم فكذلك لو قصد ان يخرج عن الرحم الذي
نبه هذا العالم وسعته لا حزن بذلك لحزنا شديدا فاذا اخرج الى هذا النسيم لو قيل له
نعاد الى الرحم لا حزن بذلك حزنا شديدا وكذلك هو وهو في هذا المحل الذي هو بالجزع
على فراقه عظيم الفزع من الخالق فاذا صار الى المحل الابدي العادم للالام الحسية والعقاب
الفاسدة التي هي ينابيع كل الالام وموارد كل الافات وقيل له انك ترد الى هذا العالم الذي كنت
فيه لكان يزعجه من ذلك اضعاف جزع الذي قيل له انك ترد من رحم امك الى محل الرحم
هذا من كلام يعقوب بن اسحق في دفع الاحزان وقول بان الحزن الم نفساني حادث من فقد محبوب
او فوت مطلوب وعلى العكس فليس هذا الحد لا يكون من الحدود الدالة على ماهية الشي من قبل انه
قد يكون الحزن من احد الامرين دون الاخر ويكون من جملتهما من فقد المحبوبات او من فوت المطلوبات على
الجمع والكثرة ومن كليهما على الاجتماع فهذا نوعان او اكثر من انواع الحزن وقريب من هذا الرسم قول
اقليدس في اول كتابه ان الشكل هو ما احاط به حد او حدود فليس الشكل كذلك لكنه المقدار التام
لكنه موضع نهاية المحيطة به وهو المنقسم الى ما يحيط به حد والى ما يحيط به حدوده فيكون نوعين
والامثلة الحجة بعد فالحزن على حسب ارايهم يجب ان يكون انه منقسما الى الالم الكاين
من فقد المحبوب والكاين من فوت المطلوب فيكون هذان نوعان من الحزن وجنسهما هو الالم النفساني
القايم له الالم المركبة لكنا نقول ان الحزن الم حادث للنفس الانسانية منه ما هو تابع لكل
البدن ومن جميعه ما هو تابع لارادته والارادة هي حالة عزيزية لنفس الانسان لان نفس الانسان
حية والحي متشوق ومتحرك ومميز والارادة تشوق الى المحبوبات فالقوة الارادية ارادة الشي كرهه
له فحدوث ما يريده الانسان هو عرض سار وحدوث ما يكرهه هو عرض محزن فالسرور والحزن

نوعان من الاعراض النفسانية لانهما من لوازم النفس الانسانية ولانهما الغالبان عليها فالسرور
هو لذة نفسانية تابعة لحدوث ما يريده الانسان والحزن هو الم نفساني تابع لحدوث ما يكرهه فهما
حتلان السرور ثم الافراط فيهما والاعتدال يجري على الوجه المقصود في هذا المجلس الا اذا افرط الحزن ولم
يكبح بركبه ببعض ما ذكرناه من معالجاته التي اعتادته النفس واحترقت له اخلاط البدن ومالت الى المزاج السوداوي
واتصلت الخيالات الفاسدة والافكار الردية وما لقيه العبد منهما والغالب منهما وقد طال الكلام في ميدان
اهل الدنيا وذكر همومهم ووصف احزانهم الدنيا وبينه يكون نجوم ... السعداء السرورين الناعمين الاغنياء
المكتئبين الواجمين وحق لنا ان نصرف همتنا الى الحالات اهل الآخرة ووصف احزانهم وذكر انجائهم فهم الذين
لا يصاولون في عامة امورهم عن الحزن ومصاحبة الكربة فحزنهم على اربع درجات حزن المتقين وهو من اجل
النار والجنة ومجاهدة النفس في الاجرين ايام الجوع وحزن الصديقين وهو تقصيرهم شكر ما انالهم من العصمة والتوفيق
وحزن العارفين والغالب عليهم حزن العاقبة وحزن المحدثين الغالب عليهم وهو حزن القلوب وهذا في غاية الحقيقة
والمنتهى في ابدي مولاه انه اذا قيل المشتاق قال انما ينشاق العارف فصبره غاية الامور ولم يعلموا ان
وراءها درجة الجلال والجمال فيقال لها احتا الاولياء حتى تخرج ارواحهم بعضهم من الكبد لانهم خلقوا
الى جلالته وتعلقوا لحوظاته وهل نال احد في الدنيا ما نال موسى من ان سمع كلامه بل ازداد
قلقا واستعدادا حتى حمله على سؤال الرؤية في غير موضعه ثم عاش عطشان عطشان الصدر سكون
الصبر فيها ان القلب فكلما ازداد العبد اليه قربا زاده مولاه حبا فازداد وله لها وهيمانا حتى يعلو
ويحرق بنيران الشوق ∴ فالنار تاكل بعضها ان لم تجد ما تاكله ∴ وانشد ∴

يرتاح للشوق قلبي وهو مقتسم ∴ بين الهموم ارتياح الارض للمطر ∴
يا غاديا ماطرا امطر على كبدي ∴ فانها كبد حرى من الفكر ∴

ولا تشتعل هذه النيران ما لم تخمد نيران الشهوة والهوى وما لم تشتغل النفوس بالاخبار ... لا يبقى ظلها
ولا يبلغ ذكرها وخصوصا في الانبياء فانه لم يبق لهم لا عين الهوى ولا اثرها ولا حديث النفس ولا همها
ولا ينكشف الغطاء كله الا الحجاب العظيم فذلك القدرة من الحزن والقلق بعضهم ومن دونهم من المذكورين
فامرهم في الحجب على حساب ما بقي من النفوس والحزن على قدر الحجاب كحيل الصاع بالصاع فقد روى عبد الله
بن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من جعل الهموم هما واحدا كفاه الله هم دنياه ومن تشعبت
به الهموم احوال الدنيا لم يبال الله في اي اودية هلك واعاذنا الله من هموم الدنيا ووساوس
النفس بخوف بالرزق وعيب في النوع والجمع ومن يبغي القلب ما فيه الهلاك فمن تخلى من هذه الهموم حتى صار
همومه هما واحدا فقد نجى نفسه واحوالها واموالها ولا يبقى منها الا ان ينكشف له الغطاء عن المعرفة
بالله حتى يكون الله كافيا كل امر فعند ذلك يرفع القلب عن التدبير ويفوض الامر الى الخبير البصير فنعتصم به

ونتوكل عليه وفي دعاء بعضهم اللهم انك خلقت القلب واحدا فاجعل اللهم الهم واحدا وانشد ∴

تمنى رجال ما احبوا وانما ∴ مناي بان القاك هوانا وتسمعا ∴
وقال آخر كانت لقلبي اهواء مفرقة ∴ فاستجمعت اذ رآك العين اهوائي ∴
فصار يحسدني من كنت احسده ∴ وصرت مولى الورى مذ صرت مولائي ∴
تركت للناس دنياهم ودينهم ∴ شغلا بذكرك يا ديني ودنيائي ∴

وقد تكلم المشايخ في الهموم والاحزان على حسبما وجدته احوالهم على الحد الذي ذكرناه وعلى ما تحتمل العلم اصالة
من معالي الامور قال بشر بن الحارث الحزن ملك فاذا سكن في موضع لم يرض ان يساكنه شيء آخر وقيل لرما
الى ان لك مكروبا قال لاني مطلوب وكان داود الطائي ينادي بالليل الهي همك عطل علي الهموم وهمك حال
بيني وبين الرقاد وانشد ∴ كان هموم الناس في الارض كلها ∴ هموم وقلوب بينهم قلب واحد ∴

ولي شاهدا عدل سهاد وعبرة ∴ وكم مدع للحب من غير شاهد ∴
الف الهموم اضالعي فالفتها ∴ بعد الشباب وفي الكريم الوفا ∴
ليس البلاء لدي ضيفا واحدا ∴ عندي بحمد الله منه صنوف ∴

وقيل عند ابي عثمان الحيري اقامة حزن الآخرة لا حزن الدنيا فقال كلاهما محمود فانه ان لم يوجب تخصيصا
يوجب تمحيصا وسئل مرة الجوري عن الحزن فقال الحزين لا يتفرغ الى سؤال الحزن انما سؤال الحزن للمخلي لا
التحني فاجتهد في طلب الحزن ثم سل عن الحزن وقال الحرث المحاسبي الحزن اربعة حزن على فقد امر يحب فعله
وحزن مخافة امر مستقبل وحزن نجيبة للظفر بامر يبتاع عن مراده وحزن ينكر من نفسه مخالفات الحق
فيحزن لذكرها وبعض من فعلها وقال محمد بن علي الحكيم الترمذي المؤمن بشره في وجهه وحزنه في قلبه و
المنافق حزنه في وجهه وبشره في قلبه الشر يحمل والاحناء يحرق وقال الحبيب العجمي الهموم في الدنيا الهموم
والهموم في الآخرة الحساب والعقاب فتجارة الحق وقيل لمالك بن دينار لا تدعو لك فارما فقال الكلو
لا تصاح الى الماء وقال سعيد بن عيينة لو بكى محزون في الله لرحم الله تلك الامة ببكائه وقال الحمدون
سروق ومن بكى سرور بغير الحق مسرور وهو عامة الهموم وصاحبة الاحزان ومن سلاه بغير الحق فهو من
انسه في وحشة ومن لك لاحية ونعمة الحق فهو من محبته في حجاب وانشد ∴

وان لا هوا ميتا ومحسنا ∴ واقضي على قلبي له بالذي يقضي ∴
فحتى متى روح الرضا لا ينالني ∴ وحتى متى ايام سخطك لا تمضي ∴

وقال ابو سالم البصري ومن توحد ببثه وتفرد بحزنه هب الله رياح تكشف عنه بثه وهمه ومن
شكا بثه كان مرتدا في الشكوى الى ان يحكم الله في حكمه وقال ابن خفيف الحزن يحصن النفس عن اللهو
في الطرب وقربه منه وقطع ينقص القلب عن التفرق في اودية الغفلة وقال ابو سعيد الرابحي ان

يكون نجي لفاعا وان لقاح العمل الصالح الحزن وان الكل مستوحش ابتسا او الحزين من الصالحين لا يستانس وانشد

نداغي حمام الايك فارتاح للصبى ◦ فؤادا اذا الفي الحزين حزين

فحن بوجد والوجد كامن ◦ وشتان حزن ظاهر وكمين

يقول خليلي لما رابني ◦ طربت وكنت قد اقصرت حينا

اراك اليوم قد احدثت شوقا ◦ وهاج لك الهوى داء دفينا

بعيشك هل اتاك لها رسول ◦ فشاقك او رايت لها خدينا

فقلت شكا الي اخ محب ◦ كبعض زماننا اذ تعلمينا

فعض على ما يلقى بهند ◦ فوافق بعض ما كنا لقينا

وذو الشوق المصاب وان تعزى ◦ حزين حين يلقى العاشقينا

وقيل لذي النون المصري يا ابا الفيض ان انكا ملجرته واحرصه يحوج لم يجد دمعه ولم ينح صبره فقال الربيع اذا جرى سالا وانا حلي نجي وينشد

كم ليلة لا صباح لها ◦ احييتها قابضا على كبدي

قد جمد العين بالدموع وقد ◦ وضعت خدي على بنان يدي

وقال اخر هكذا بغيما قال ◦ تكاد اجرى دموعي من تسرعها ◦ بعض الليل الاول اذ يخيل زمعا

وقفا من سكين راجح حقد ◦ ولم يرى فاتلا كالدموع ان رجعا

ومما يجتمع بالمجلس من حكايات من لم يكن ثم بالنوائب لم يتم بالخاو فيحي كما هاولي الكفاية اللطيف بالعباد المجير للامور لحدثت بعضهم قال كنت بالشام متصرفا في بعض الاعمال السلطانية فلم تنبسط يدي لاداء ما لزمني من المال فادخلت في الحبس حبس الجرائم فرايت ساحة حصل فيه من عظيم بلاء اهله وقبح صورهم وسوء حال من هم فيه كانوا عليه من وسخ الثياب وشح الروايح ما احببت الموت وصارت بلوى بواحد عشر او انقص ابكي وانتحب وادعو واتململ فاقبل علي اهل الحبس وقالوا ما الذي يبكيك اما لك بنا اسوة وفينا سلوة فلم يكن في الي الا ان قلت لهم قد دوي فانتهى ما الف الشقا وبوس المعيشة وبذاذة الحال وسوء المسكن فقالوا وانا كلنا اهل بلاء وشقاء وفينا قوم من المترفين المتنعمين وفينا من طلبه حمار وبين من ولون على غير حق ليقتلنا وعسى ان تحبست على مال واخذ بواجبه ان في هذا الحبس لواحدا من اولاد الامراء لم يزل فيه ولا امل ولا رجى محاولا سوء مد الرجال وهو مع ذلك بالوافر حافا ومنشا لطافا فقام اليه فسال يحقق عنك بعض ما تلقيه بدرعا فاشتهيت منه الى ما في صف مجامعة وفي يده غل وفي رجليه اربعة ازواج قيود فاذا هو جميل الوجه طيب الريح وبين يديه غلام معه ركوة شراب يسقيه منه ويجعل القدح على فم هذا الشاب فيكرع ويغني به فاذا استوفى الشراب تغنى بهذا الشعر

ومالي لا ابكي الديار وانما ◦ بكاي على الاحباب ليس على الدار

لمن منزل احدثت بعد انكار ◦ عفا وخلا من بعد انس وعمار

قال

قال فلما رايت حاله غالطني وانه كل التبسط وبلغ مني كل مبلغ استحسان التسلي هذا السرور والابتهاج في حال كرب مثل تلك فهويت منه وقلت ابو من سلمك الله فقال ابو الفوارس فقلت من النسب فقال من صميم كلب وعزها وفخرها فقلت يا ابا الفوارس اما فيك من الراي ما تفرق بين النعيم والبؤس والرخاء والبلاء انما قيمة نفسك في من البلاء العظيم ما ليس لك من الغناء والتزايد فيه مثل ما كان قال وهل يجوز ان يكون اعظم مما انا فيه قلت لا والله قال بلى والله فاني من غد على ميعاد القتل والصلب فلما سمعت منه قال لها اني لا امر وانبت ما كنت فيه من استعظام ما رايته فقلت وبلاء مع هذا يشبع الشراب وتستوفي الالحان فقال يا ابا [illegible] عني هذا يوم طول البلاء الى ان ذلك يقضي الله تعالى امورا لا يحتسبها وبه يبدل امور الاعمال تغيرها وان يبدلها سوء وما كنت لتطلع الله على ابتهام من وجهه دواو نافقة فكان حكى ما في العرفة فقلت اي والله ان الامر الذي لكن الشم عني واعتنى في نشره وغنائه فلما صلينا ادركنا بالتيهان فقال [illegible] حمارا وبه وهرب اصحابه فلحموا الى الشباب كلهم بالسجن والهرب فوزعنا [illegible] وهرب في الليل وفتح باب السجن فالتي احد الاحياء الى اهله و كما كان وحكى العباس بن [illegible] اسحق ابن شاهويه [illegible] قال المتوكل [illegible] سليمان بن كان كاتبه قد حبسه اسحق بن ابراهيم الطاهري [illegible] المتوكل الى اسحق [illegible] سليمان وانفاذ [illegible] وكان اسحق يوجب لسليمان ولا حقه الحسين [illegible] بهما فافلته ما وصل اليه [illegible] ما ورد عليه فيه جيدا واستحضرني [illegible] الخبر لاني كنت اتردد بينه وبين سليمان وقال لي خذ الكتاب بعينه وامض الى ابي ايوب [illegible] القصة [illegible] عليها قال ابن شاهويه [illegible] الى سليمان في الوقت وكان وقت السحر [illegible] في المسراج وكان لا يجوز الي الاحضر في مثل ذلك الوقت الا بامر [illegible] فلم [illegible] لحضوري ولا [illegible] العادة في الاطالة [illegible] موضعه ولا فارق الامانة العظيمة التي فيه [illegible] فلم يكلمني واقبل على الوضوء والصلاة الطويلة فلما فرغ سالني عن خبري فاظهرت الضجر [illegible] فاشرف عليه كالعاتب ثم قال [illegible] ثم ارجع اليه [illegible] اليوم [illegible] امير المؤمنين [illegible] الاجابة الى ما [illegible] الفضل [illegible] الى السحر [illegible] الكتاب [illegible] فانصرف [illegible] فقال الى [illegible] خاصة [illegible]

والمسعد فيها مطبوخ ثم ان جار الله الك وانصرف ففعلت ما رسم وعدت اليه في اخر النهار فقال لي قد اكل مما
وجد الي وشرب وبقيت من الجمع بقية هي في ذلك البيت فادخل وكل واشرب فقلت انا صايم وما احب الا من اجلك
الاكل والشرب بمحاورته عليك قال بل احب منك ولا تياس من روح الله وانك تريد ان تجعل اليوم والبارحة في
فتركته بهي البال فارغ القلب وانصرفت الى منزلي كيئبا وبت على ما يعلمه الله ووافاني السحر رسول ابي اسحق فبادرت
اليه فاسرعت وانا ارتعد خوفا من ورود الجواب فتحا وقمت عن ابي اسحق على نشم ففرج عني لما امل ما يكون وراء النعم
فلما دنوت منه قال قد ورد الجواب بالنجح والحمد لله ورمى بالكتاب الي فقرأته باجابة سليمن الى ما سال وبعد ان كان
يوحدونه كفالة بالمال ويطلق مصونا سالما انا وقال لي بادر الى ابي ايوب فبشره وقل له اكتب بخطك بضمان المال
واستوف الشرايط الله عليك ثم الكفلاء الذين يضمنون منك المال واحضرهم انت لاخذ خطوطهم وبيتهم
في منزله ان شاء الله فشكرته ودعوت وبادرت الى سليمن فوجدته في المسلاح وعلى صنوبري فاقام علي ربع
ولم يخف الوقوف على ما احب به وقت الجلي فغبط شديد من فعله ثم خرج فلم يجد طبيعي فرحا للصلوة
واخذ ما اورد من الحيه والمشط وصلى كعادته في اطالة الصلوة وتوفية اركانها وادابها ثم التفت
الي وكان خطي تغدادي في حمسة وادب اليه الرسالة من اسحق فقال ابانا انت تفقد ما بقا انا او انتم اخذ القلم
وكتب بخطه ما رسم وشرط ترك الاعتراض عليه في كتبه واصحابه وخلفايه ثم مضى قوما الكفالة نلقيهم
وصرت بهم الى ابي اسحق واعطيته الخط فرضيه وعرف حضور الكفلاء فامر بان تكتب عليهم الكفالة بالطلاق
ابي ايوب فاطلق وبات في منزله مع اهله وجمعنا العمال واصحاب الشرف في اسرنا فلما انام وتحج لنا
من جهتهم ما اتيا ونلمون الف دينار وحملنا منهم الى بيت المال باقي الف دينار واخذ الثلثين الالف الباقي
ربحا على ما دعاه من هذه النايبة وكان الفرج مقرونا بانقضاء الاخوان ومطارد الاشتغال والارتفاع الى معالي
الدرجات تم المجلس

المجلس الخامس والستون من كتاب خلق الانسان تفسير قوله تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون يتضمن ذكر وساوس الصدور في الانفس

بسم الله الرحمن الرحيم

هو القريب من السائلين الرقيب على الغافلين منور القلوب بانوار اليقين وشارح الصدور باحكام الدين يسلف النعمة ابتدا
ويزيد فيها مسؤلا ويعطي ما لا نامل ولا يخيب منا مامولا تفرد بالخلق والاختراع وتوحد بالايجاد والابداع خلق
الخلق وعلم علمهم وقدر ارزاقهم وكتب اجالهم لا يحصى فضله عددا ولا ينساهم علمه لمعا تبرع الفطر باسنى الدعا ويجيب اذا
دعاه ولو ليس الدا فيحجب الملة السودا على الصخرة الصما في الليلة الظلما ويمسك الطير صافات في جو السما واذا
قبض على محمد الهوا نوحده ولا نشرك به احدا ونعبده ولا نتخذ من دونه ملتحدا ونصلي على محمد عبده ورسوله
نبي على الحق واضح وبينه واضحا واتى لبعثته كل بشير ونبيها الذي تحدث بسعود الزمان والشرق
بانوار الخافقان صلى الله عليه وعلى اله اجمعين وساوس الصدور وحديث النفس يعرض للانسان تارة بالطبع

ومن عز بيا

ومن عز بيا تشبهها بما يعرض له في بعض الاسقام فان منها ما يعرض بحسب مزاجه وتركيب بدنه وفي اصل مولده
فيصير كالطبيعة بكثرة ما يعرض له ويعتاده ويكون ذلك الاسم مما يعرض لمن شهدها غريبا وعلى هذه الجملة
حال هذه العارضة وما يقع بالطبع منه لا يزايله ويزول عن صاحبه بالاشغال المهمة التي يعرض ثم تعاود وما
يعرض لهم غريبا يعرض بضعف سهولته بعقب تفرغ وصحة ولا يؤمن استعداده واستدامته كما قال القائل

تقول لاتراب لها وهي تمتري ✿ دموعا على الخدين من شدة الوجد
تراه لها الحب يثقب في الحشا ✿ ولم يبق من جسمي سوى العظم والجلد
وجدت الهوى سهلا لذيذا بدؤه ✿ واخره صعبا لصاحبه مردي

والذي يصيبه فيصير عادة انما يتولد من طبيعة المرة السوداء لانها هي التي تولد الفكر الرديئة والخاطرات في النفس
الموذية ويجمع ضروب الخواطر والوساوس والمرة السوداء تغلب على الانسان بحسب مزاج بدنه الذي الغالب عليه
من الاخلاط الاحتية اليابسة الباردة ومن جهة استحالة الاخلاط الاخر اليه ولكن هذا العارض الذي ذكرناه لا
يمكن اضافته الى سبب معين فانه قد يكون من قبل الولع فلا تزال النفس متعلقة بالاشياء التي هي وساوس
وهو احسن من جنس الحب ومن التمني كالمشتاق ومن جنس الخائف ويختلي انا في لبعيده وحبوته والمتالي به
حاله ومعاشه فيقوم للذي يخافه وهو بعيد عنه مقام الشيء القريب منه فيكون ذلك نصب عينه وامام ذكره
كانه بالحفظ حاضرا وهو غايب وينظر اليه قريبا وهو بعيد حتى يتعلق ذلك من افق عينه وسانح مراه

وانشد في ذلك [عندي] ✿ البلابل تعلم ان قلبي ✿ معنى منهم بلمام سعد ✿ سقتني سلوتي عن كل شيء ✿ وما وقع من النفس
فانا جهاعندي فمتى ✿ سواء في الهوى قربي وبعدي ✿ ويشغلني عن اشغال اموري ✿ ولي منه تمشي وطرب البلد
تعرضه بطيفي ونفسي ✿ وان اصبح لا احرى بوجدي ✿ وربما تعرض هذه الاحوال في النوم فيمنع عن رقدته خائفا
مذعورا امر وقعا مرعوبا فلا يكاد يهنا بنوم ولا يقظة ولا يستريح الى ليل ولا نهار وانشد

اسوليلا مة الحوزا في كبدي ✿ صدع مقيم طوال الدهر والابد
لا تستطيع صناع القوم تشعبه ✿ وهل يداوى صدوع الحب في الكبد
هم اقام بقلبي لا يفارقه ✿ لا بل على خاطري قرب ولا بعد
اما ععون تعففا اهون مستظري ✿ والتنبه هو نصب العين في سهد

وكان من حكم الادوا الجسمانية ان تعالج بالادوية الجسمانية كذلك من حكم الادوا النفسانية ان تداوى
بالادوية النفسانية اما من مواعظ وتذكيرات واما من فكر يروض بها الانسان نفسه ويتخذها سلاحا
ومعدة لدفع افاتها وامراضها واذى بها والخصوص بهذا العارض مما يدفعها ارى عن اسباب اصلها
الوحدة والانفراد وقلما يصح الانفراد الا للبيب سلطان الراي بريا به واما الصاحب حكمة وادب لا ستيلا العلم عليه
اوليا سالك متعبد لتفرده بمناجاة ربه وعبادته ولا محوز لا الاحتلا واجتماعه مع الناس مما يحفظ

أو يستوحشون منه فأما عنيت بهؤلاء النفر الأربعة فصلاحهم في العشرة والاجتماع ولهذا اجتبلت الاجتماع في جبلة
الإنسان وطبعه على الأنس بعضهم ببعض وسمي به فإن الإنسان مأخوذ من الأنس كما أخرجنا وأنشدنا
عليه من أشعار الحسان في بعض مجالس هذا الكتاب في صدره وأول بلده والثاني تجنب الفراغ وهو نظير الأول
في الوحشة مع أنه لا بد للإنسان من أمر يشتغل به ويقطع أيامه عليه فمن لم يكن له شغل يشغله من خارج مال
نفسه إلى الاشتغال بشيء من داخل فيصبح عليه بلاء ويجذب إليه رداءة فيكون فراغه جالب الشغل ووحدته سببا
لعنائه كما قال أبو قابوس ألا أبلغ أبا عمرو رسولا * وليس على الرسول سوى البلاغ

بأن فتى جاءك مقال لغو * وليس وعى قلبي لغو لاغ
لقد هاج الفراغ عليك شغلا * وأسباب البلاء من الفراغ
هنات لو أتتك مصممات * لحال بين ريقك والمساغ
هو الأمر الذي لا بد منه * فرغ عنه فإنك من مراغ

والثالث أن يكون بثه وحزنه إلى إخوانه ولا يكتم ما في صدره عن خلانه فإن الكتمان له أثر في شغاف الصدور
من سقامه ولو عجز عن إبدائه كما يشتفي المريض بالطبيب ويستأنس الأديب بالأديب وأنشد لبعض مجيدي العرب

أعيد سعاد جيرتك ارتحالا * وعاجمه وذكم حسا لا
أقول وليت شعري أم عمرو * أفي الأكفان ماتك امدلا
أعاللك أن أموت بذات نفسي * ولو أني أطيع القلب قالا
حياء منك حتى سل جسمي * وشق على كتمانك بطالا

وقال عبيد الله بن قيس الرقيات أم الوليد سلبتني حلمي * وقتلتني فتحملي إثمي
بالله يا أم الوليد أما تخشين في عواقب الظلم * وتركتني أبغي الطبيب وما لطبيبكم بالداء من علم
وكتمت من حبيك في لو ما قد دار في عظمي وفي سقمي * وقال ابن الدمينة في تفضية الهموم بالحديث ومخالطة الناس

نهاري نهار الناس حتى إذا دنا * لي الليل هزتني إليك المضاجع
أقضي نهاري بالحديث وبالمنى * ويجمعني والهم بالليل جامع

والرابع أن يذكر ويقابل بما يوسوس من تلك الخطرات حتى يقوم مقام من يعالج خصما لا يزال يسلط لأنما
ينقض عليه من حججه ويعارضه في جداله وأنشد دع الفكر في حب الحزين فإنما تبعد وتدني الهموم الخواطر
وحسبها كمن لم يكن أو كذاهب * بدا الدهر أو من غيبته المقابر

وهذا الفكر بعد من أحوال أربعة أو حال أحدها أن طبيعة النفس على أن الوساوس باطلة لا محصول لها وأنه لا يكتب
من جهة الأجاهل بمحول أو مجنون موسوس مجبول أو لتسليط الشيطان العدو على أفكاره ومن عقله تخيلا
وقد ذكر جالينوس أن منهم من يبلغ به الحال إلى أن يتوهم أن أجسادهم من قوارير فيجتنبون أن يتستر يمشي بعض الصك

ومنهم

ومنهم من يحمله أنه بعض الطيور فلا يحسن الماء الأنفة أو جرعة ولا يغتذي بغير القرطم أو السمسم والثاني أن أحوال
أشكاله مقارنة يتجاذبه فإنه لم يسرور بين ناعم يحزن بحزن ويجتنب بما هو يقاسيه ولحادث نفسه وهل لو كان
ذلك حقا الإمكان والثالث أن يخطأ كثيرا مما يوهم الظنون السيئة والفكر الردية وحتى يقبل الرسيف
من ذلك الذي يطول الزمان دليل الخطأ فيه ويتبين سبيل الكذب والإبطال إلى أجمعها بواحدة وهذا
أنفع ما ينتفع به الموهوم والعموم والغالب الذي يقع له من قبل خاطر من أوجبه لا تغيير له ولا تحقيق والرابع
أن يجل ويعزم على إجراء أمور العالم أنها والدليل يدل على أن أمرها وأسبابها بما اقتضى سببا بينها فإنها من بعض أفعل
وما يقرب بالأسباب ويعقب منه في ذلك بعض العادة المعروفة والطريقة المستمرة المألوفة في إقامة سنن ذلك والخوف
عنه والاهتمام به يكون ما يتون ويذهب الخاطر بهذه الأعراض المزعجة على هذه الوجوه الأربعة وقد يعرض
لصاحب هذه العارضة دائما قليل علم أنه من لا يستطيعه ورداءة فكرته فينبغي له أن يحكم في أمر الحيلة وبها
والحكام بينهما بما لا يستوي إلى القبل بين فسادها وفنائها وسط في الخلل الذي يضمنها وبينهما وتباينه الك
المرض الحزين زوال العقل وسقوط القوى وتعطل الحواس وبطلان الغذاء ثم لم يلبث أن ينوب النفس كما تحتاج الكلات
وعلى هذه الكلمات أسباب السلامة لقلب من أسباب الهلكة وأهل الكتفاء كثير من أهل الحوائج الذين يسلم منا
يجري حتى يتم العالم قوامه ونظامه وسبيل الكل الحد من الرزق اقتضاء وسهامه ثم أن خالق الداء
هو خالق الدواء فالاهتمام بالعلل قبل نزولها والتأثر من عود الصحة بعدها والمأمام الحكيم الكريم لم
يصفر وطالب البدن لا سيما إذا أحسن التدبير في الأحماء وتنقية الفضول وتعديل المزاج وحفظ القوة
وتسوية الحركات البدنية والنفسية وتدبير الملبوس والنوم والسكر والهواء فإن ذلك كله من ملاك حفظ
الصحة وسنان بقاء الحيوة فلا يلتفت منها إلى خاطر العلة * تم المجلس

الجلس السادس والستون من كتاب خلق الإنسان من بعض ما تضمنه معاني قول الله عز وجل
وفي أنفسكم أفلا تبصرون في نعي الآفات المطيفة بالأخلاق المنيفة عن الأنفس الشريفة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي يفتح لنا أبواب الخيرات * وهو ينجي من أسباب الآفات * نعم جلائل العطيات * كما صرف طوارق الملمات
تعالى وجهه عن البدايات * وتنزه وتعلى من النهايات * هو القادر فلا يمانعه أبدي الأعداء * القاهر فلا يدافعه
الأنداد * الحكيم في تصريف الأمور بالأنظار * وتزيين العليم بعوائد التدبير بالأضافة * ظهرت قدرته عظمته الظنون
والأوهام * وفاتت معرفته العقول والأفهام * هداية منبع الأنوار * وعناية محتجبة عن الأفكار * وحده ووفق المراد
وموهبته فوق المراد * لا تستقين الأيدي * ولا يفيد الأيادي * ولا يروع عن أمر الأقل * لنجاح علا كلمة التوحيد والإخلاص
ذريعة النجاة والخلاص * وشاهدا أن محمدا عبده ورسوله ذو الوعد الصادق والوعظ الصادع والقول البالغ
والسيف القاطع صلى الله عليه وعلى آله الذين ناصروا ولا بدلوا الذين قضوا بالحق وبه عدلوا حتى حموا الحكم الدين

ولتوا فكلوا انعمة الاسلام ولتوا الالام الافات بانفسنا من اربع جهات من قبل الاخلاق والاعتقادات والاحوال
والافعال والرجل المهذب خلقا الحق اعتقادا الصادق قولا الصالح فعلا انما يقل وجوده ويعز بل ينتقو ويعوز
قال محمد بن سلامة قال ابو ذر الحجري فاصبح انى فكرت في امر فاسمعوا امكنا امانات قال كل من اصبح على وجه
الارض في النار فقلنا انما تريد قال الا اشتا هذه فاذا صرت الى اشتا اقا السلطان ومن يطيف به هلكوا
الا القليل كما قال ابو بكر رضي هلك اهل العقدة ورب الكعبة فاذا قطعت هذه الطبقة حتى تبلغ الناس والطباع
فالمحدثوا وابتاعه وشرعوه وباعتها الا القليل فالمحلف هذه الحبشة متى تاتي رسل يترمن واعلام الروم
وجبال الروس فاهل الجيل رجيلته والسابع وصوفه الا ثم صلوته فلا علم لجلدة وما انزل الله على رسوله الا القليل
فاذا صرت الى الامصار فاصحاب هذه ما كثر الى من اهل السوق والكلا فليل الا رذي بن سعد فرمنه محمد يحن
دينار لعله هلك في المرابحة ويطفف في الكيل ويخسر في الميزان الا قليل فاذا صرت الى اصحاب هذه
الغلالات الذين كفوا المؤنة وانعم الله عليهم فمتى احدهم سكران ويصبح مخمورا الا قليل وانه الرهبان في هذه الدار
لقطيع معي فاذا صرت الى قوم لهم علم بما انعم على هولاء فواحد طرلي واخر يستفتي فاذا صرت الى اصحاب
هذه السواري فهذا يشهد على هذا بالكفر وعلى هذا بالبراءة فوالله لئن لم يعنا الله بالمغفرة انها الفضيحة

وانشد

ألم تر كيف قد فقد الكرام * وكيف انحط في السفل الانام
وكيف غدت عقول الناس فوضى * كأن الجهل بينهم اقتسام
فلا تعجب البلاد فكل ارض * كذلك غالب فيها اللئام
وكن طلقا لبحل يد نوال * كما قالوا لبحل عند طعام
فان يلينا بلا عقبى فغاب * لاهل الفضل كلهم علام
احبتهم لانهم قليل * وفي الارذال والسفل ازدحام

اعلم بان الناس من طينة صدق في انهما التائب لولا اصلاح الناس اخلاقهم اذا الفاح الحالالذين
بلوت الزمان وابناءه * فافللت بالحزم منهم نصيبي * فكلهم ان تاملته * صديق العيان عدو المغيب
وزنت هذا الناس لا امرع * بكفي خبير وتجريبي * فكلهم اروغ من ثعلب * وكلهم اغدر من ذيب

اذا ما الناس جربهم لبيب * فاني قد اكلتهم وذاقا
فلم ار ودهم الا خداعا * ولم ار دينهم الا نفاقا

كل الانام كلاب هروا بجل طريق * فان ظفرت بحر فاحفظه فهو سكوفي
الناس عن عميق والبعد منهم سفينة * اني نصحتك فانظر لنفسك المسكينة

فاذا كان الشر فاشيا والائمة عامة والطينة فاسدة والعقول عن حوله والا دليل يكافيه وبان كل
حجة شبهة في الجزاء والحساب والثواب والعقاب وجميع الاعمال والافعال وكيف ومنا الائمة الاولحدة

بل هو هذه الاربعة المتنازعة ان يعالج واحدة منها نازعته الاخرى من جهة وامدت من جانب على كل حال فلا بد
لمن له بامعنا ابا من نفسه واصلاحها وتقويمها وارشادها ان يكدح في تنقيتها جميعا عنها الجهد ويصرف
اليه ذلك الاصل كده وجهده حتى يقوم ميلها واسنادها نظر المتفقه في كره يقتنا به
حتى يقيم تقاومتها ذها وقد افردنا مجلسا من هذه المجالس في الطريق الى تهذيب الاخلاق ومجلسا في صدق
الاقوال ومجلسا في تحقيق الافعال ولنتكلم في هذا المجلس في الافات الاعتقادية فكيف نتوقى من الشرع
فيه وما الذي كتبها الينا بعض اخواننا منذ عشرين سنة تشتمل على معظم الشبه في هذا الباب وكنا استقصينا
القول في جوابها وذكرنا ايضا فيما اقتضبنا شبهات الباطنية لعنهم الله مما يغني عن تكلفه احصائها في هذا
المجلس فالكتاب والرسالة كلاهما في ايدي الناس فاقتصرنا في هذا المجلس على شي من الحكايات ونكات الحكماء
في حل هذه الشبهات فاما الرسالة فبعد تحرير برها وخوف تشبيهها قال ان الناس في اصل الدين وفرع
الاول قد اختلف فيه اختلافا فاحشا كثيرا من التجويد والتعديل وكيف الاحاطة بالحق من فناوله
معرفة الله وصفاته فروى عن عائشة رضي الله عنها قالت من قال ان محمدا راى ربه فقد اعظم الفرية
على الله فعلق قوم بهذه الرواية وتاولوا عليه هذه الاية لا تدركه الابصار وبعض الائمة رووا ان محمدا صلى الله
عليه وسلم راى ربه وعليه حملوا قوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى وقوله ولقد راه نزلة اخرى ثم اختلفوا
في المكان فقالت فرقة ان الله في كل مكان وروت في ذلك ان ملكا اتى النبي صلى الله عليه وسلم من المشرق
قال جئتك من عند الله ومن هذا تاولت قوله عز وجل ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وقوله ما يكون
من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم وقوم قالوا ان الله فوق السموات السبع على العرش ورووا ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لسعد بن معاذ حكمت بحكم الله من فوق سبعة ارقعة اي السموات وعليه تاولوا قوله الرحمن على العرش
استوى وقوله أأمنتم من في السماء ان يخسف بكم الارض وايات غيرها ثم اختلفوا في الصفات من نافي
ومثبت والثواب والعقاب من مجوج ومخلد ثم اختلفوا في النبي فقال قوم كان اربعين سنة على دين قومه
واول من نهاه عن عبادة الاوثان زيد بن عمرو بن نفيل وتاولوا فيه قوله والرجز فاهجر يعني الاوثان
وخاصة في قراءة من قرا والرجز برفع الراء فهو الصنم لا غير وقال قوم بانه لم يعبد وثنا قط واحتجوا بحديث
الملائكة الذين اتوه وهو في بني سعد مع الغلمان فاضجعوه وشقوا عن قلبه وحشوه نورا وحكمة وبالحديث
الاخر انه صلى الله عليه وسلم قال ما هممت بشي من امر الجاهلية قط الا ليلة اردت ان اخرج مع فتية من قريش
سمار عند فلان فالقى الله علي النوم ومنعني انى فايقظني حر الشمس وتاولوا هذه الاية من القران في قول
ابرهيم واجنبني وبني ان نعبد الاصنام فمن المحال ان لا يستجاب له في افضل بنيه ويستجاب له فيمن دونه
ثم اختلفوا في الخليفة من بعد النبي صلى الله عليه وسلم فقال قوم ان النبي صلى الله عليه وسلم قبض ولم يستخلف احدا
ورووا فيه رواية وتاولوا عليه اية وهي وامرهم شورى بينهم وقالت طائفة بل لم يخرج النبي صلى الله عليه وسلم

من الله تبارك وتعالى حتى يبقى للامة من يكون خليفته ووصيه من بعده وانا لهذا اكثر من كل كتب وهلم جرا في اختلافهم
في الاحكام والشرايع من الصلوة والزكوة والصوم والحج والحدود والمواريث والطلاق والنكاح والبيوع حتى افترقت
الامة على ثلث وسبعين فرقة وقعت فيما اخذ هم له من الاختلاف في امر الدين في مثل قوله شرع لكم من الدين
ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابرهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه
وقوله فلا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات فلما وجدنا هولاء الاصناف فيما هم
فيه من الاختلاف والتنازع والتشاجر وتضليل بعضهم بعضا قلنا لهم الراي ان جاءكم مرتاد مسترشد يطلب
الطريق المستقيم فالى من يدلونه عليه من بين هولاء العلماء الذين اخذوا عنه امر دينه فادعت كل فرقة
ان علماءها على الحق وغيرهم على الباطل فاما اصحاب الراي فامروه باتباع ابي حنيفة وابي يوسف ومحمد
بن الحسن واشباههم من اصحابهم ونحوهم من الاخرى واما اصحاب الحديث فدلوه على مالك بن انس والشافعي
وابي ثور واشباههم من علمائهم ونحو ذلك من اتباع الاخرين واما المعتزلة فاشاروا الى بشر وابن ابي داود
وابي بكر الاصم والجبائي والكعبي واشباههم واشباه القول في غيرهم من العلماء اشباه ذلك والى ... واما
الخوارج فامروه باتباع علمائهم والمستبصرين منهم وكذلك الشيعة وكلهم يرون ذلك الامر والنهي بالسيف
والقتال فسالنا الراد هولاء الفرق جميعا اخبرونا عن علمائكم وفقهائكم ما يفتون عليكم فيما يرد عليكم
من المختلف فيه من امر الدين والشرايع فاما اصحاب الراي فقالوا انا اورد علينا خبر لا يحتمل التاويل
ولا يوافق الاصول ابطلناه وان كان مسندا ومرويا عن النبي صلى الله عليه وسلم فرددناه من اصحابه
مثل الخبر المروي في مس الذكر وفي ذكاة الجنين ذكاة امه فاسقطناه اذ كان هذا الجنين في بطن
امه من المنخنقة وقالوا كل ما ورد علينا في مثل هذا اعتبرناه بغيره من الاحاديث او بالقران واجتهدنا
فيه راينا فاذا وافق بعضه بعضا وجب حينئذ استعماله والقياسات والا فتركناه ... فقيل
لهم فاذا اجتهد علماؤكم في مسئلة واحدة وقاسوا من اهل الكتاب والسنة واصابوها حتى يكون جواب
جميع المجتهدين فقهائكم في تلك المسئلة بعينها جوابا واحدا وفتيا واحدة من غير تنازع ولا اختلاف
فقالوا ربما اختلف الاجوبة من المجتهدين من الائمة في المسئلة الواحدة فكل واحد يجب اجتهاده وما
عنده من العلم والفهم وما يمكنه الاستخراج من القران والسنة قيل لهم فلو انكم استخرجوا من القران والسنة لما
اختلف فيها الاجوبة كما قال الله عز وجل ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ولكن
لما تاول كل واحد منهم الاية في القران وحديث الرسول على ما اشتهيه اختلفت التاويل والفتاوى في
المسئلة الواحدة حتى وقعوا فيها تنوعا عنده وكانوا فيه مذمومين غير ممدوحين ثم سال اصحاب الحديث عن هذه
المسئلة بعينها فقالوا انا اورد علينا مثل هذا نظرنا فان صح لنا عن النبي صلى الله عليه وسلم فيه خبر اخذنا
به والا فعن احد من اصحابه فان لم يكن فعن التابعين ولا نستعمل فيه القياس ولا الاجتهاد قيل لهم فالاخبار التي

رويتموها اذا اختلفت فيها عن النبي صلى الله عليه وسلم كيف المخرج منها قالوا ننظر الى اسانيدها فنميز الصحيح
من السقيم والضعيف من القوي بمعرفة الرواة قيل لهم فالرجال الثقات من الرواة تميزوا من بين الامة قالوا لا لكن
نحن نميزهم قيل لهم فيمكن ان يكون رجال من الرواة صحيحا عندكم سقيما عند الاخرين واخر سقيما عندكم صحيحا
عند الاخرين فقالوا هذا ممكن قيل فاذا جاز هذا لم يجز ان يقولوا اسانيدنا اصح ورجالنا اقوى ويقال
لهم ايضا افكل الخطاب من الله من امر الدين وجدتم عن النبي خاصة فيه حديث فقالوا لا يوجد ولكن يوجد
اصله فيما يروى عنه او عن صحابته قيل لهم فاصحاب النبي اذا اختلفوا في مسئلة هل يكم احد يقلده من بينهم
ويترك من سواه قالوا لا لكلهم عندنا سواء في الاراء قيل لهم فاذا جاز لكم ان تعلقوا بقول واحد منهم
جاز لغيركم ان تعلقوا بقول اخر منهم وفي هذا ما يوجب الاختلاف وانما فررنا من الاختلاف ثم سال هذا ...
المعتزلة عن هذه المسئلة بعينها فقالوا كل خبر لا تتلقاه الامة بالقبول فليس هو عندنا الصحيح قيل لهم فنعد
الاجتهاد والقياس هل تجتمعوا ايضا على قول واحد بل وجدناكم مختلفين فيما بينكم كثيرا وانما فررنا
من الاختلاف ثم سال الخوارج عن هذه المسئلة بعينها فقالوا ان الله اوجب علينا ان نعمل بالقران ونترك
ما سواه لقول الله تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء وقوله تبيانا لكل شيء فلا نقبل من النبي صلى الله عليه و
سلم خبرا الا ... قال لا تزوج المراة على عمتها ولا على خالتها نظرنا فاذا ليس في القران له اية فان الله يقول حرمت
عليكم امهاتكم ... واحل لكم ما وراء ذلكم فليس لنا ان نترك القران بخبر يروى قيل
الذي يوجبه في القران صلوة الظهر اربعا والمغرب ثلثا واشباه ذلك فهل عندكم ذلك الا انكم تستعملون اشياء
منها في الاخبار والروايات ثم سال الشيعة عن هذه المسئلة سواء فقالوا اذا اختلف في خبر عن النبي صلى الله
عليه وسلم او في شريعة من الشرايع اخذنا بما صح لنا عن علي بن ابي طالب او عن احد من ولده العلماء
الصادقين ونترك ما سواه من اقاويل الناس واخبارهم وكيف ذلك وهل تجوزون ان يقتدي ... صلى
الله عليه وسلم الى رجل واحد على طول صحبته وملازمته مجالسه على غيره مثل صحبته او اكثر كيف
يخص ذلك العلم بكماله عنه الى واحد من اولاده ولعله لم يرا الذي كان فيه ذلك العلم ثم سال هذه
الفرق كلها من الشيعة والمعتزلة والخوارج والحشوية والرافضية هل من احد من اصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم من يتوجه هذه الصفة التي وصفت هذه الفرقة على ابن ابي طالب وولده فقالوا اجمعا غير الشيعة ليس
في اصحاب النبي احد يقتصر على اقاويله ويختص بالعلم خاصة دون غيرهم ولا احد يوجد عنده جميع ما يحتاج اليه
الامة في امور الدين ولكن العلم فيهم متفرق يوجد بعضه من هذا الصحابي وبعضه من هذا ولكن لا نترك بعض
اقاويلهم واحكامهم لبعض وان افضلهم ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وقد نترك من احكامهم واقاويلهم ونرغب عن فتاويهم
فقيل لهم انكم جعلتم من دون الصحابة تقليدا على الصحابة ... وبعض احكامهم ويرتضون بعضها
ومن يكون بهذه الصفة فهو اعلم من الصحابة وارفع درجة واولى بان يوخذ عنه وانكم على فقهائكم وعلمائكم

اليوم لحسن ثنا وو صفا من الصحابة اذ كان واحد من هولاء الفقهاء يوجد عنده من العلم بعض ما يحتاج
اليه المسلمون والصحابة لم يكونوا يحسنون على قولهم اقامة الصلوات ولا اداء الزكوة ولا مناسك الحج و
لا الشرايع فمنها انكم رويتم عن ابي بكر انه قرا في الركعة الثالثة من المغرب سورة الحمد وبعدها الاية
ربنا لا تزغ قلوبنا الى اخرها ولم تتبعوه ورويتم ان عمر كان يقول لا يصلي الجنب بالتيمم وان لم يجد الماء شهرا
وكان يتنفل من الصلوة بركعة واحدة وكان عثمان يصلي الظهر والعصر بمنى اربعا وهو مسافر وانتم اتكم حرمتم
كل واحد من اعيان الصحابة بمثل مسئلة اما شرب الخمر فمثل ما رويتم عن عمر وابن مسعود انهما كانا
يشربان النبيذ الشديد واما بالحرام في الوطي فمثل ما رويتم عن ابن عباس وابن اكوع وغيرهما من تحليل
المتعة وهي عندكم فاسدة وزنا واما بالربوا فمثل ما رويتم ان ابن عباس كان يبيع الدرهم بالدرهمين يدا
بيد ورويتم ان ابا طلحة كان ياكل البرد وهو صايم ويذهب الى ان الفطر بما مسته النار وان ابا بكر و
حذيفة كانا يتسحران بعد انفجار الصبح وهذا كثير وان الانصار يرون الماء من الماء وبعضهم ياتي المراة
في دبرها واذا كانوا بهذه المنزلة عندكم فليسوا اهل القدوة واذا كان هذه صفة فضلائهم وكبارهم
فكيف حال من دونهم والى من ترجع الامة وعمن تاخذ احكامها وشرايع دينها ونحن نرى في زماننا
من الفقهاء من اذا عني بواحد من المختلفين اليه خرجه في مدة يسيرة فكيف لم يخرج النبي صلى الله
عليه وسلم مع طول اقامته بين ظهرانيهم بمكة والمدينة واحدا يكون هو المرجوع اليه في جميع الدين و
مذاهب على التعيين كما رجع كل فرقة منكم الى امام اما من اهل الراي او الحديث او التشيع
ونحو ذلك وهذا لعمري لامر عجيب فلا والله ما وصف احد النبي والصحابة باقبح مما وصفتم واضفتم اليهم
وهل يكون زعم ظنكم الا وهو يلزمكم ان ابا حنيفة وابا يوسف وزفر ومالكا والشافعي والاصفهاني افقه
واعلم باحكام الدين والشرايع من الرسول او الصحابة وانفع للمسلمين منه لتبيين هذه الاحكام وتدوينها في الكتب
ولعله واهدى فان قلتم كان النبي صلى الله عليه وسلم عالما بجميع الفرايض والشرايع وما يحتاج اليه
الامة في امر دينها الا انه لم يبين فلا لا ارتفع الخلاف من الصحابة فان قلتم لم يبين جميعه
فقد ترك النصيحة ولم يبلغ ما علمه الله من امر الدين وحاشاه من ذلك فان قلتم بل ادى جميع ما يحتاج
اليه المسلمون الى الصحابة فقد الزمتم الذنب للصحابة اذ ضيعوا ذلك العلم ولم يودوه الى التابعين
من بعدهم وهل المسند من الحديث في دواوينها الاربعة المشهورة الا قدر بضعة الف حديث وفي
مسائل الحج يحتاج الى بضعة الف مسئلة سوى الصلوة والصوم والزكوة ونحوها ثم ان هذا الذي دلكم
سال الشيعة فقال ان هولاء اساوا القول في صفة النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة فكيف تصفون انتم
النبي والصحابة فقال الشيعة انا نقول ان النبي لم يخرج من الدنيا حتى علم بامر امته بعده ووصيه واخاه الذي
اصطفاه من بين الصحابة جميع ما يحتاج اليه الامة من الشرايع والاحكام والسنن وتاويل القران وفصل

فعدتم

الخطاب

الخطاب وعلم المنايا والبلايا ثم دعا له بان يفهمه ويوفقه لحفظ العلم ورعايته فاستجاب الله له فيه
فقيل لهم قد جمعنا مقالتكم فالدليل على ما تدعونه فان اتيتم بشهود من غيركم يشهدون لكم بما
ادعيتم قبلناه فان رويتم للذي هو معقول لما بان عليه بينة فان ادعوا ذلك وجدوا خالفهم فيه
غيرهم من المذكورين فعاد الامر الى مجرد الدعوى من الاصل وتكشف الاحوال وتفرق الاراء والفرق
الكلام والتمادي فحدث لذلك التشاغر والتعادي والعقل في بعضهم من بعض بالتكفير والتضليل والى
ان يصير كل من هذه الفرق بمن هذه الفرق وخالفه من عدو وان صاحبتها ما الانحاف من سطوة اهل الدين
من اهل الكتاب والمشركين والجواب على اختصار بما يسد للرا هذه المسايل اهل ذلك العهد
ان الحق لا ينقلب باطلا لاختلاف الناس فيه ولا الباطل يصير حقا باتفاق الناس عليه وليس في
وضع الحق بهذا الانقسم على الافراد به ونحوهم للافتراق صيغة ولا استيماله في دار المحنة والتكليف
لكنه شي يتحقق بنور العقل بعد الروية والبحث فيظهر الحق ويمتاز عن المبطل وعلى هذا
فلا نحتاج لمن حاجة من الخوارج في التحكيم الزكي على الحق حين تمسك وحكمنا بان الحق لا يعرف بالرجال
فاعرف الحق تعرف اهله وكذلك سلامة الانسان عن الخطا والزلل ليس مما يطمع فيه ولكن الطمع في
ان يكثر صوابه ومتى عز العلم وقوي العقل كثر الحاد وانبعث اللبس ويجب ذلك يختلط الامر ويصير
عرضة للاختلاف والاختلاف ولهذه الراي والمراء يفتح التعادي والتعادي سلم العصبية وهي
الداء العياء الذي يحجب الاحلام الراجحة ويستاصل النعم المتالدة واذ تقرر هذه المقدمات
قلنا ان دين الاسلام لما كان ناسخا للاديان كلها وكان مكة قادحا في الديانات بابرها فقد
امتلات القلوب غيظا عليه لحدوث كراسي الكتابين وطلبه مما لا يتم الا من ذلك في غاية
الحسن والجمال ونهاية الشرف والكمال فغير منكر ان يكثر اعداوه ويروم التخليط عليه فيوارد
الاختلافات في ابوابه على اربع جهات احديها ان يعجب المتدين بعقله فيغتر بذكايه ويرتكب
نوعا من المقاييس الفاسدة قبل احكام المعرفة بمقدماته فينتج نتيجة كاذبة ويعرضها للفهم محجة
صادقة فيعتقد بها دينا ويدعو الناس اليه جهلا لانعم به البليه وتعوي بمكانة الخليقه والثاني
ان يولع المرء من نفسه بالاغراب والتميز ويشتهر باستيثاره بمعنى بديع لم يتجه لخواطر الناس فلا
يبالي تنكب الجادة تعسفا بان يسلك طريقة ويتبع سبيله فيصير فيه قدوة او يغني نادرة يحكم له
باصابتها لطيف العقل ويطف الروية فيوطد لنفسه الذكر والسمعة والثالث ان يكون قصد
الانسان عناد جميع ما سمعه من الاقوال الصادقة والمذاهب الحقيقية وان يتبع ابدا الاراء المسترذلة
والاقيسة المدخولة التي يجدع بها الطبقات الغالبة اذ ليس شي عند الدهماء اروج من المذهب
المستضعف والراي الركيك والرابع ان يتعهد تزييف الدين وتوهين الشرع اما للعصبية او على سوء

الخلاعة والبطالة وسلوك سبيل المجانة والخرافة فهو يجتهد في انفاق الكذاب به بلحيار
بزوره وينسبها الى ائمة اصحاب الحديث فيوهم الضعفة من اهله انها اسانيد الحلة احبار الائمة
للذكا فيها انقضه واجب الاهتمام بنفي هذه الطرق للآفات المؤكدة على الاديان والملل
ليست بمقصورة على دين الاسلام بل هي مشتملة على جميعها وحيل المحاطين في ترويج ما انتحلوه
من اوجه الضلال على اربابها مختلفة انتهى الى اشعبة بعد احديها ان يدل له الاقرار او لا
بالاصل ليستدرجه بذلك الى ما من الاعيان ثم يأخذه منه ما يفعله في تمويهات يتخيله
بها بحيث ما استند اليه استنزله بكل انهما اسمك بعراه من قواعد دينه كما تفعل الثنوية
في ايهامهم للناس ومطايبتهم في استحسان سير الاشرف الحميدة الرحيمة واستقباح افعال الافئدة
القاسية ليتدرجوا الى تقبيح ايصال الآلام الى الحيوانات فتنفوذ ذلك على الربع الذي لا يفرق
بين ما ينفر عنه الطبع وما ينفر عنه العقل حتى اذا رأى استحكام ذلك في عقيدته صيره مطية
لا يكبو به الى ما يوقعه من خروج وجوه الاديان الالهية مستمرا بذلك اياه الى انواع غواياته
في كون العالم من الاصلين وتولده من امتزاج القديمين والثانية ان يضيف معتقده الى سبب النبوة
ومنبع الاصلية ويظهر الغلو في محبتهم ومتابعتهم وانه انما يتكلم عنهم ويبلغ رسالتهم كما تفعله
الباطنية عند ايهامهم الاغبياء محبة آل الرسول والثالثة ان يأخذ فيما اوجب من وجه
عليهم بعبارات انيقه والفاظ غريبة عجيبة والتساع في الوصف واسباغ بجودة الرصف
والتلفيق للمعاني والتحدي بها للادا صنيع طالب السلعة المغشوشة عند عرضه اياها على من لا بصيرة
له بها ليحسنها في عينه ويحببها الى نفسه والرابعة ان يعرف المذهب الذي يدعو اليه الى جليل
جليل القدر نبيه الذكر فيسارع هذا الغر الغفل الى قبول ذلك لحسن ظنه به ونعتا بالكل
انه مع علو درجته اماما في العلم او من الناس ما كان ليختاره لولا انه هو الاصوب ثم لكل من هذه
الابواب الزائغة عن المحجة الوسطى اهل يناسبونه وقوم يلقطونه ثم يزدادا على الايام عددهم
ويتضاعف عليها عددهم فيصير عن قريب نحلة يحامى دونها بالسيف ويبذل في صيانتها
الارواح وقد ابتلي بهذه الآفة اهل كل ملة فلا ينبغي ان يخلي ملة الاسلام بسببها ويحتني
عليها بكثرة الاختلاف ووقوع الزلل عن كثير من اهلها فان سئل ذلك عن ضرورة وجود الحق
والصواب فقد اتى ابو سعيد الحكيم النضر بن سعيد ان اسلم المأمون له من هذه الشبهة فاحضر المأمون
الفقهاء والعلماء وامرنا ان يحمل اليه بحضرتهم ثم قال له لان استحيلك بحق احب الي من ان اقتلك
بالبراءة احب الي من ان اوقعك بالتهمة وقد كنت مسلما بعد ان كنت نصرانيا فاستوحشت مما
كنت به انسا لم تلبث ان رجعت عما انست به نافرا متحرنا عن دينه فان وجدت عندنا

وأولئك كنت فيه محقوقا وان لم يشغلك عنا بك كان قبلنا ايانك بحكم الشريعة ولم يكن يجب علي
نفسك بلائمة وتفريط في باب الحزم والاخذ بالاستظهار فقال المرتد وحشتي مما رأيت من كثرة الاختلاف في
دينكم فكيف اهتدي بكم مع تضليل بعضكم لبعض قال المأمون لنا اختلافان احدهما كالاختلاف في الاذان
والجنائز والتكبير في الاعياد والتشريق ووجوه القراءات والفتاوي في الاحكام الاولى امرها الى الاجتهاد وآ
واراء الفقهاء وما اشبه ذلك وهذا ليس باختلاف انما هو تخيير وتوسعة وتخفيف من المحنة ووجه في اذن
مثنى واقام فخير لم يؤثم من اقام فرادى ولم يعيّر امته والفرق المختلفة في الاحكام باجتهادهم لا يتعايرون
ولا يتعايبون يرى ذلك عيانا او يشهد عليه بيانا والاختلاف الآخر كنحو اختلافنا في تاويل الاية من كتابنا
وتاويل الاحاديث عن نبينا مع اجماعنا على اصل التنزيل واتفاقنا على عين الخبر فان كان الذي اوحشك
هذا حتى انكرت كتابنا فقد ينبغي ان يكون اللفظ بجميع التورية والانجيل متفقا على تاويله كالاتفاق على
تنزيله وينبغي ان لا يكون في ملة من الملل اختلاف في شيء من التاويلات وينبغي ان لا ترجع الا الى لغة لا
في تاويل الفاظها فلو شاء الله ان ينزل كتبه ويجعل كلام انبيائه وورثة رسله بحيث لا يحتاج الى تبيين وتفسير
لفعل ولكنا لم نر شيئا من الدين والدنيا دفع الينا على الكفاية ولو كان كذلك لسقطت المحنة والبلوى
وذهبت المسابقة والمنافسة ولم يكن تفاضل ولا تطوع ولا فوز ولا سرور وكلف الله تعالى الدنيا على
انقراضها بالبشر ما ابتلاه عليها بالعمل وجعلها بالحظ وتوضيحها بالخفا لان يبقى الشيء بنفسه
ونحن نقصه ونستظم مصالح العالم وينتهي العبد الى ما دعي اليه ويخلق لو لو كان الامر كله ظاهرا والعلم
وجهنا ظاهرا والخلاف بينهما لما سجد ولا سجود ولا اثم ولا ثواب ولا عقاب فقال
المرتد اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ولا ولد وان المسيح عبده وان محمدا صادق وانك امير المؤمنين خليفة
فاقبل عند ذلك المأمون نحو الصحابة وقال اعزوا عليه عرضه ولا تبرّوه في يومه هذا ريثما يعتق اسلامه
كيلا يقول عدوه اسلم رغبة ثم لا تنسوا نصيبكم من برّه وكتب علي بن عيسى الوزير في ايام المقتدر بالله جوابا
عن كتاب ورد عليه من اهل مكة بسم الله الرحمن الرحيم وصل كتابكم فيما ذكرتم من حال محمد بن موسى الفانوي بكة في
نقضه اهل الحديث والسنة وتفضيله المعروفين بالالحاد والبدعة ممن ينتحل راي ابي حنيفة وتعززه
بصاحب المعونة وطلاقه لهم الجمع في المسجد الحرام ودفع الاحاديث المروية في الاحكام واظهاره القول
بخلافها والرد عليهم وعلى العلماء فيها ومحنته ووقفت على ما في نسخ من خطوط المشايخ وما قلتموه
فيما ينفذ الى اهل الحرمين من الزيادة الصلة وتشكونه من قصور ذلك عنكم واحتجاج محمد بن موسى فيه
عليكم واختصاصه من خصه ابي جعفر ذلك عنه من العراقيين والطلم الكتاب به واحطت بالجميع علما ووقع
ما اثرتموه من تقريرهما انكرتموه موقعا ادعوا ان يحمل والعيته ويحسن علينا وعليكم عائدته بما قصد
عليكم من جمع الجواب عن الوكم فيه نصحا ولا يعزكم فيه فان شاء الله اما محمد بن موسى فرجل

لم يقلدوا القضاة من اهل مكة وهم لم يزالوا يأبون ان يختاروا للولاية الا من يوصل العدالة والاحسان اليهم لا لايثار الهوى ولا
مجانبة التقوى ولكن لما بلوناه من امره واستطلعنا من خبره وتبينا من سيرته وصلاحه وتصونه وقلة
ولانه لم يزل متمسكا بالسنة معتقدا لها مستعيذا من البدعة متجنبا لاهلها وقد خرجت من الحرم منذ مقدم البعد
ان اقمت فيها سنين لا اعلم ما تنسبونه اليه ولا يتأدى اليكم منا ما وصفتم عنه وانتم الان تشهدون
له في عرض ما تعرفونه بالستر والسلامة والتواضع والاستقامة ثم تدعون انه لما ولي القضاء عليكم تغير وتنكر
لست اعرف لمفارقته لحدة خلائقه وقصد طرائقه ولعل ذلك كان لحاسد منا الا ان ذلك يزداد بالعلم وقارا وفي الحق
استبصارا ومن الباطل بعدا وفرقا ومن الشبهة عزوفا ولعله ان يكون الشيطان نزغ بينكم فانه لطيف المدخل
على الانسان حتى يوسوس له ويستحوذ عليه فيضله ويغويه والله يعيذنا واياكم من فتنته ويوفقنا واياكم بفضله
واما المجاورون من اهل خراسان وغيرهم الذين قلتم انهم ينكرون الحديث ويدفعونه ويعتقدون راي ابي
حنيفة ويجادلونه فانتم تعلمون ان مذاهب فقهاء الاسلام مختلفة في الفروع متفقة في الاصول ثم
ارتادوا واجتهدوا وكل يطلب الصلاح ويبغيه ويعتقد الحق وينويه وليس لما اختلفوا فيه من النظر و
الاجتهاد موجب الملام في الديانة والاعتقاد ولا بحجة لبعضهم عند بعض من جملة الاسلام الذي هم
والشريعة التي هي حجتهم وعلى ذلك مضى السلف الصالح من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورحمهم وهم الائمة
والعلماء والحجج الاعيان ليس منهم احد قال برايه الا وفي قوله ما يأخذ قوم ويدعه آخرون فمنهم ابو بكر رض
يخالف في الجد وعلي بن ابي طالب ع يخالف في بيع امهات الاولاد وزيد بن ثابت رض في رد الميراث
الى بيت المال اذا لم يكن عصبة او وارث ذو سهم وحذيفة رض في وقت السحور وعبد الله بن مسعود رض
في صلوة الجمعة قبل الزوال وفي ترك الجنب التيمم حتى يجد الماء وعبد الله بن العباس رض وهو رباني هذه
الامة وعالمها والمجمع على فقهه وفضله فيها يخالف في الصرف والمتعة والجمع بين الاختين الاثنين خلافا
لم يتابعه فيها الخلف وكذلك من بعدهم من التابعين كالحسن يخالف في ان القود لا يقع الا بشهادة اربعة
على القتل وكشريح في قضائه بشهادة الصبيان على الامر والناس يختلفون في الفقه والتاويل ويرد بعضهم على
بعض في التحليل والتحريم كالشافعي يرد على الثوري واصحاب الراي ومالك بن انس وابو عبيد القسم بن سلام
يختار من اقاويل اهل السلف وكلهم متبع حقا ومتيمم رشدا لا يعتقد احدهم في صاحبه كفرا ولا الحادا
وفي الاولين اسوة للاخرين ومحجة على الغابرين وما يبرئ ابا حنيفة من الزلل ولا يشهد له بالاصابة
في القول والعمل كله ولكنه احد فقهاء الامصار وصاحب مذهب اهل العراق الذين لم يزل فريق من فقهاء الامصار
يتفقهون في الحلال والحرام ويعمل عليهم قضاتهم في القضايا والاحكام وبعض الخلفاء الراشدون
والائمة المهديون من ولد العباس رض واما القوم الذين تخالطوهم هذا المذهب وانكرتم تجمعهم في المسجد اذ كان
ذلك من عادتكم ما لم يجر بسنته ولا امر قديم فيه عادة فلا حجة عليهم في اجتماعهم لمذاكرة علم او فتيا فقه

ما لم يظهروا بدعة ولم يشرعوا في فرقة ولم يطلبوا الا ان يرجع اليه ولم يدعوا احدا الى ما يجمع عليه فان جلوس
المسلمين في مجالسهم على الحال التي ذكرنا والطريقة التي وصفناها مطلق لهم في جميع امصارهم منهم ومعهود
في عامة بلدانهم وقد خشينا ان تكون ما دخل قلوبكم من البغضاء وتحزبكم من الحمية مقدمة من مقدمات الفتنة
وداعية من دواعي الفرقة التي ذكرها الله في كتابه ونهى عنها عباده بقوله جل وعز شرع لكم من الدين ما وصى
به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه فقال جل
ثناؤه ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات واولئك لهم عذاب عظيم فراقبوا ربكم
الله الواجب حقه عليكم في دينكم ولا تستشعروا الوحشة من اخوانكم وتوددوا على حسن الفتكم واحمد طريقتكم واقبلوا
قبل معيشتكم وما فيه صلاح دنياكم وامر تكم ودعوا التنازع والجدل فلو كان من اشد اموركم ومصالحها
وخير اعمالكم وافضلها وانجح مساعيكم وان الفتنة لا تستعر في افاضلكم وتمسكتم بآرائكم ولكان من سبق
الى الخيرات منكم اولى بالمنازعة الى الفعل عليه واقبلوا نصيحتي اياكم فاني محضتها لكم بعد اطلاعي بكم ورعاية
حقوقكم ومحبتي لان تستقيم امور البلد الشريف الذي انتم اهله وقطانه ومعمروه وسكانه واستقيموا
فيه استقامة لا يدخلها خلل ولا تغيير وتجري احوال الناس معه على ما كان يجري عليه من الهدوء والدعة
والامن والطمانينة ولا تتعرضوا لامر محمد بن موسى فقد كتبت اليه باعتابكم واستصلاحكم وان يعرف اقداركم
ومواضعكم ويعتمد موافقتكم ومسالمتكم ويجعلكم اسوة غيركم من جوده على العامة ويصل اليه البر والمعروف
وليتوا امر كتابي فلما اكرر اليه من عقد ولكم الى ما يؤلف جماعتكم ولا يفرقها ان شاء الله ومما يدخل في هذا
الباب ويدخل على الزنادقة هذا المدخل الحديث المروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما اشتد به الوجع قال ائتوني
بكتاب اكتب لكم كتابا لا تضلوا بعدي فقال عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قد غلبه الوجع وعندنا كتاب
الله حسبنا فاختلفوا واكثروا اللغط فكان ابن عباس يقول الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله
صلى الله عليه وسلم وبين كتابه ولا ينبغي ان يتوهم على عمر رض توهم الغلط على النبي صلى الله عليه وسلم او
التهمة منه لرسول الله صلى الله عليه وسلم في رايه ومذهبه الا انه لما كان قد اكمل الله الدين وغلب الوجع
على النبي صلى الله عليه وسلم وهو بشر يعتريه من الم النفس وآلام البدن كما يعتري غيره كما قال
اني اوعك كما يوعك رجلان منكم وقال انا معاشر الانبياء يضاعف علينا البلاء وقال عند موته
واكرباه فاشفق عمر ان يكون بعض ذلك القول من نوع ما يتكلم به المريض مما لا عزيمة له فيه فيجد به
المنافقون سبيلا الى التلبيس والتدليس وقد كان اصحابه صلى الله عليه وسلم يرون الراي فيراجعون فيه النبي صلى
الله عليه وسلم ويجوزون عليه الخطا فيما لم ينزل عليه فيه وحي ولما دخل المدينة عام الهجرة وجدهم
يابرون نخلهم فقال لو كان هذا لم يزد فيما قسمه الله وقدره او ينقص فتركوه فاخلفت النخل عامئذ
فقال هذا انكم اعلم بامر دنياكم واني اعلم بامر دينكم وقد قال صلى الله عليه وسلم اني بشر اغضب

كما يغضب البشر فانما عبد لعنته فاجعل اللهم ذلك عليه صلوة ورحمة وفي حديث انه ليغان على
قلبي حتى استغفر الله كذا وكذا مرة يعني السهو وكل شي يغشا حتى يلبسه فقد غين عليه فقال
غينت السماء غينا اذا اطبقها الغيم ويجوز ان يكون عمر ذهب الى انه لو زال الاختلاف بالنص على كل شي
لارتفع الامتحان وعدم الاجتهاد في طلب الحق واستوت الاقدام وبطل فضل العلماء وقد قال الله
يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات وقال النبي صلى الله عليه وسلم اختلاف امتي رحمة وقد قالوا
على هذا ايضا اذا كان الاختلاف رحمة كان الاتفاق عذابا ومهلكا ولكنه قد يجمع الضدان في المصلحة كالحيوة
والموت والغنى والفقر والشيب والشباب على ذا استوى الناس لاجتماع وفرقة وفاز ومولود وقال وواموق
وههنا اقدام لموى قد تطيف بالافهام شبهاتها وتتناثر عن اوراق الحين تجاذبها وهو ان جهاد الذين في
محجة السائل اليه من على الحق بقوله فقيل لهم اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ثم وجدنا القران
بحث وجعنا الفرق بالرخاء تسليطهم في الاراء والديانات محتجة بالفاظه وسند دعوا اهلها الى
ظهور ظهوره فاذا كان الفساد هو محجة القران وهو في الاغلاق والاشتباه بحيث يتعاد من فيه اشباه
الدلايل على اختلاف المذاهب فكيف بالبيان الشافي عن التنازع والتشابه نقول هذا لان العقول في
انفسها متفاضلة وللافهام في ذواتها مراتب ومن المعقولات ما يكون استنباطه قريبا ومنها ما
يكون عن فكر الخواطر نائيا بعيدا وبين النائين وسائط كثيرة وليس على ناظم الكلام تقريب حاد
الافهام وكليلها بل عليه ان يجلس الى المعاني الصحيحة مقصدها باسهل وجوه اللفظ ثم من تم كان
ذلك فضيلة له ومن قصر عنه كان ذلك نقيصة فيه وكل من يدبر كلاما اما في العلوم الملية واما
في المعاني الحكمية لم يسلم من الشك في بعض معانيه وفحول الشعراء لم يقولوا ما قالوا من شعرهم
على شريطة ان يفهم عنه كل سامع بل قالوا على شاكلة ما كانوا اوتوا من الفصاحة وهكذا حال الخطيب
اذا انتدب لاستلال السخايم واصلاح ذات البين وبمثله حال الكاتب في توفيه ما ينشيه من رسايله
تمام حقه من حكم البلاغة وعهدي بالشيخ الاجل عبد الحميد بن احمد رحمه الله عليه وقد انشا بعض كتاب من
الديوان الا في بعض امور فقدم الى خادم الديوان ان يرفع الورقة من بين ايديهم جميعا واقبل على الانشاء
الكتب ولسد الاسئلة باعلى الفاظ واوفى معنى ثم خاطبهم بعد ما تشكلوا او توسلوا اليه بما ان اقاربكم
في هذه الصناعة ولو جرى على شاكلتي واجتهادي من اعنى لصار وعليكم الحال وتقلصت عنكم البلاغة ولا
تعترضوا على الرمز معقول ان الاوجه التي لاجلها انغمض الكلام اربعة احدها ان يكون نحو جرى على سبيل
الرمز والالغاز دون الشرح والايضاح والثاني ان يكون من جهة الاشتراك في الالفاظ من حيث اللغة والثالث
ان يكون من جهة الاجمال في المقادير والصفات والرابع ان يكون من جهة دقة المعاني في نفسها واحتياجها
الى مقدمات يتعقل بها وليس يشك ان اهل المعرفة بالالفاظ يفهمون من فضيلة البيان ما لا يفهمه

اهل المعرفة

اهل المعرفة بالمعاني والعلماء بالمعاني يعقلون منها ما لا يعقله العلماء بالالفاظ فاذا كان هذا غير مدفوع
ممنوع عند احد فنقول ان القران خطاب الله عباده في مصالح دينهم ودنياهم فلا ينبغي ان يخرج عن جملة
مقتضيات سائر كلامهم فانقسم ومنها الاول على اوضاع كلامهم في الاشارات المرموزة دون العبارات المصرحة
وذلك نحو اعلام الساعة واوصاف الثواب والعقاب فان حقيقة نعيم الجنة كما جاء في الحديث ما لا عين رات ولا
اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر والثاني فيما اتفق لفظه واختلف معناه وتقديره والثالث ما تضمن الرابع
العبادية والمناكح الوصلية والاوضاع المعاملية والحدود الزجرية فانما مجملات تولى بيانها الرسول
الناقل وانما فعلا فالرابع منها لما يقع من الابانة المتضمنة للحجج المحققة للمعاني الاعتقادية نحو الالهيات
والنبوات واثبات المعاد واحوال الجزاء واذا كان القران مشتملا للاوجه الاربعة التي تقتضيها الالفاظ
لاختلاف المفهوم فلا غرو ان يكثر الاختلاف فيه ويزدحم الشبه الى ان يصحب الى حقايقها الا الراسخون
في العلم الذين هم صفوة الله وعترته ايقانا به وليس في ذلك ما ينقص من شانه ويقدح في برهانه فان الذين
من طولبوا بمثله كانوا اهل الاية في الفصاحة وبلغاء جزيرة العرب المخصين باللغة الفصحى من بين اللغات ولم يقع
في احد لقصور في البيان ولا اختلال في النظم بل جاز وافيه جميعهم من آخرهم ولم يقروا بالعجز بهم لفظا
دون معارضته وبالجملة ان يكمل العقل البشري للاحاطة بحقايق معاني كتاب رب العزة ثم ينبغي ان
يعلم انه لن يبلغ الانسان ذروة العلم ولا يستخرج لباب المعرفة ولا يتنقى من وصمة الشك ولا يخرج عن افق
الجهل الا اذا اجتمعت له اربع خصال ان يكون جيد الفهم سريع التصور وان يكون صحيح الحفظ وقاد الخاطر وان يكون
بليغ العبارة عما يجيش بطبعه فصيح البيان وان يكون سليم الطبع منقاد النفس في محبة العلم واحتمال الاذى
والكد في تحصيله وكذلك لا يبلغ الرجل العمل ولا يحاول ناصية المعالي الفخر الا بعد اجتماع اربع خصال
ان يكون عزوفا للنفس عن الشهوات مستخفا بزينة الدنيا واعراضها الداثرة الفانية وان يكون
عظيم الهمة واسع الصدر سمح النجم في جلايل الامور وان يكون نقيض العزيمة واسع الذرع صعدا ما هو غير مجوب
وان يكون شديد المحبة للخير ومن يعظم النفس الشر واهله في الافات العارضة لهذه الخصال الكرام
الصادة على اهن هذه الافعال العظام اما ان يكون في حق النقصان او يكون ذلك في حق الفساد وما
يكون في حق النقصان فعلى اربعة اقسام العجز والضعف والتخلف والتزيف اما العجز فان سيل به اعاد من مرض
او امر مرضي يعوقه عما يؤمه من اكتساب الفضايل وعلاج هذه الافة الدعاء الصالح والابتهال الصادق
واما الضعف فان لا تولية طبيعته على الاكتساب ما يتدرج ... فاتعابها وعلاج هذه الافة حمل القوى
نفسه بواسع ... ويتدارك ضعفه بغاية جهده واما التخلف فترك ... النفس وتهذيب
الاخلاق وترتيبها لطلب العلم بالفضايل ومطاوعة الطباع له ومواتاة الافعال اياها وعلاج هذه
الافة يرجع الى العمل وهو مواخذة النفس بالرياضات الحميدة والعادات الجميلة واما التزيف فان يكون

صدق العناية في طلب الفضائل بثواب عاجلة كتحصيل المال واكتساب الجاه فهذه هي آفات النقصان الداخلة
في طلب الفضيلة على نفس الانسان **واما آفات الفساد** فهي ايضا بالعدد اربع الجهل والفسق والضلال والشرارة
اما آفة الجهل فهي انه اذا لم يرشد الى طريق النجاة ولم يذق طعم الحكمة ولم يتبين حقيقة نعم الآخرة فلا
يحسب السعادة غير الخير العاجل مثل سلامة البدن وعمارة العيش وان يكون في سرور ورواح ودنيا
دانية وصبوح وغبوق ولا يفكر في الآخرة وما تنزه عنه العاقبة ومعالجة التلبس بذوي العقول في
الاختصاص باصحاب العلوم ليحفظ عن ذلك بلطائف العلم وآداب الكلام الا ان يكون نفسا سوى على طباعه
الزامة والبلادة فيشتاق بصحبتهم انه كان لا يسعد بعلمهم وحكمتهم **وكان** ابو الحسن بن ابرهيم بن سيمجور امير
خراسان قد سمع قول بعض العلماء بعشرة الصالحين ينال حسن الصيت وبالعقول يجتني ثمار القلوب
وبلقاء اهل الفضل يطالع العقل وشفاء الجهل وسلاح الثبات تركوا الاعمال وشرف الافعال فتعلق
ذلك بهمه حتى صح ما كان يسأله من الذكر بجمع طبقات العلماء عشية كل جمعة عنده للمناظرة والمحاورة
واما الفسوق فان صاحبه لا يكون جاهلا انما تنكيد الفضيلة والسعادة الا انه يخرج عن ربقة الديانة
اما لانه زين له سوء عمله فرآه حسنا واما لانه استشعر اليأس من الآخرة واراد ان يتمتع بالدنيا الحاضرة
ومعالجة هذه الآفة العاجلة بالآية الصارمة والعزيمة الصادقة قبل ان يستحكم امرها بالعادة
ويستحيل شرها بالادامة فلا يطاوع التثقيف عودا يابسا ولا ينتبه للتنبيه عقل ناعس ولا ينطبع بالختم
طين جف ولا ينقاد للوعظ قلب جفا

ان الغصون اذا قومتها اعتدلت ... ولا يلين اذا قومته الخشب
انتم وطينكم رطب فقد ربت فكم ... قد امكن الطين اقواما فما ختموا

واما الضلال فهو ان زاغ به بعض الغواة عن الحق الى الاباطيل المزخرفة المموهة والاباطيل المخرفة
الملفقة فضارت اعتقاداته في الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر مموهة مدخولة كهذه الفرقة
اللاعبين الناشئين بطرف العراق وبخراسان وعلاجهم شاق عسير لخروجهم عن ربقة الاديان كلها الا
ان يتداركهم الله برحمته فيبعث لهم من ينقذهم من الشيطان المضل بمعاشرة الفقهاء الحافظين
حدود الدين وقد كنا صنفنا في الرد عليهم وذكر احكامهم في الشرع كتابا مبسوطا لحاجة الامراء الى
الاستماع في العلاج المثبت المجتث الموتس على هداية الصادق الصالي الغوي عن غوايته وهو من
الكتب اليومية التي صنفناه في يوم واحد من وقت استواء الشمس في كبد السماء الى مثله من الغد فانه
الطائفة هنا مذاهبهم في ذلك الكتاب واوضحنا ابطال مقالاتهم المضلون واما سائر فرق
الزيغ والاهواء فهم الى الضلالة اقرب منهم الى الصلاة واما الشرارة فلا تكون في دواعي همتهم صلاح معاشا
ومعاشه بل تمادى الخلاعة وركوبه راسه في هواه وحل الشر سراره فلا يعاف قبيحا ولا يبالي الحق من

الباطل

الباطل ولا يعلم صلاحه الا افساد غيره ونفعه الا من قبل مضرة من سواه وعرته الاغراض والشر ومثله الا
معظم في علاجه كالضلال الذي ذكرناه فهذه هي الفرقة الملعونة الباطنية جامعة بينهما ومن حاول ان
يعاملوا بما يعامل به السباع الضارية والهوام العادية فكل من سعى في استبقائه من فساد العالم وفي اسخاط الله
هلاك الحق **واذ تقرر ما ذكرنا** فينبغي ان يعلم انه لن يسلك الانسان طريقا ولا يكون في امره مهتديا
راشدا الا اذا فاز باربعة معان فاولها ان يعرف الغرض الذي يقصد ويسلك والثاني ان يعرف اقصد
الطرق واوسط السبل بينه وبين الغرض المطلوب والثالث ان يكون معانا مصاحبا بالاسباب التي يحتاج اليها
في سلوك مسلكه والرابع ان يكون امنا من العوائق الصادة العارضة لديه في طريقه فالغرض هو الفوز
بالسعادة العظمى التي وصفناها في مواضع كثيرة من هذه المجالس بل افردنا لها مجلسا منها والطريق الاقصد
اليها هو الشريعة الالهية الحنيفية التي انقسمت احكامها الى اربعة اقسام اعتقادات وعبادات ومعاملات ومزاجر
وكفارات والاسباب الاربعة التي هي المعاون في تحصيل الاربع الراجعة في صدر هذا الكلام الى علمه و
الاربعة الاولى الجبلية والعوائق ما شرحناه ههنا من الآفات الاربع من حيث النقصان والآفات الاربع
من حيث الزيادة وبالجملة فالخوف واجب ان نتحرز عنه من الابواب المضلة عن هذا الغرض العظيم **اولها**
راي متفلسفة الفلاسفة وصحبة ملاحدة الغلاة ومذهب بدعي المعتزلة واقوال الغواة الجبرية
اما الاولى فتوهمهم بان الامر من الشرعيات مضادة للعقل وان الفضيلة الانسانية في اماتتها حتى
قالوا امت بالارادة تحي بالطبيعة وعنوا بالموت الارادي ابطال العوارض الشهوة واللذة والغضب والغيرة و
بالموت الطبيعي مفارقة الروح الجسد وبالحيوة الطبيعية انفصال الروح عن الجسد على تمام حكمه واعمال
صالحة وان الانسان ما لم ينسلخ عن جسده لم يمكن ان يدرك انوار العالم الروحاني ولم يتم انسانا وان هذا الوجود
ليس حقيقي ولا دائم بل حسي وعياني بمنزلة وجود الولد في الرحم وان ولادة الروح هو مفارقته الجسد
كما ان ولادة الولد هو مفارقته الرحم ولا خفاء ان بمثل هذا الاعتقاد يفسد نظام الخليقة ويهلك الحرث والنسل
وان يكون هذا العالم تظاهر آثار القدرة في صنعه وبنائه وتبيين احكام الحكمة في جملته واجزائه فيما خلق عبثا
وبالاولى ويقرب من هذا الرأي قول المعتزلة في الوعيد والتعكيد للعوام وهم السواد الاعظم والزيادة على اهل
الاديان ورفض معاشرة الناس بالمجاملة وقطع رحمة الله وعصمته عن الكافة والقول في التقليد بتحريم
الذبائح وابطال التناكح وانكار عفو الله ومغفرته للخاطئين انهما غلط بالله وتغليظ عذاب اهل الكبائر في خطيئة واحدة
ولو سلطانه من عمال معدودة ويعوز تعرّ ببعضه من الفرائض على الحتم والوجوب بحيث لا يجوز التجافي والتجاوز
السنة وان الامور كلها ممكنة والعلوم حقيقية ووجوب الطاف مخالفة يحبس الايجاب ولا الاجبار ولا التدبير
ولا التجبر وكل منا مستطيع لكل ما يريده ويجازيه على ما يشاء ويمناه ويمتنع من جميع من يريد قبضه في امور
ورعاه واذ ذكرنا وههنا انه كتب زيد بن علي ... انما استوى عليه قال اللهم انك قلت سبحان الذي

بالتشديد

لنا هذا وما كنا له مقرنين اللهم انى اشهد ان ليس له مقرب فنفر البعير وتعلقت رجله بالغرز والبعير يجمز حتى
تناثرت اعضاؤه ومات لساعته وحدثني بمثل هذا الشيخ الامام قاضي القضاة الخطيب ابو الفتح عبد الصمد
من والده الشيخ الامام قاضي القضاة يوسف بن اسماعيل رحمه الله انه في نوبة خوارزم كان حين فصل يختلف الى
بعض المحدثين لسماع الاحاديث فقال بعض فقهاء المتفقهة يوما وهم في جماعة من طلاب الحديث يمشون
اليه امشوا رويدا على اجنحة الملائكة فانها لا تزال تضع اجنحتها لطالب العلم ما دام في طلب العلم حتى لا تكسروا اجنحتهم
هازئا بها فانه لا يحاكها فيبست رجلاه تحته وهو يمشي اذ دعا عليهم ثم كبرت رجله فكان بعد زمان مديد يحمل
في الاسواق لا يستطيع المشي فحكيت هذا الحديث في ملأ من الصوفية والفقراء الجوالين في الآفاق والجوالين في البلاد
الحافظين للعبر المقتبسين للادب فقال الشيخ منهم من بلاد المغرب ان لهذا الحديث عندنا اخا كان بالمغرب رجل
وكان معروفا بالالحاد لظاهر مجونه وافراطه في جنونه نكت مصحفا في ستة ايام فتعجب الناس منه بحسن
خطه فقال الرجل في كم كتبت هذا فقال في ستة ايام وما مسنا من لغوب فجفت يده اي يبست والخبر
باب من الكلام والبحث عن هذا الفن صعب لان بعضه يقع اتفاقا وبعضه يقع جزاء او استحقاقا والاشتباه يجمع
ذلك وسبيل المرء المتحرج ان يجعل الغيب بين الله تعالى وبين عباده وافعاله فانه تعالى لا يغفل عما يفعل
ولا يخفى عليه ما يفعل ومن علم ان ربه مطلع عليه واشتد في رجوعه الى الله في قضية تدبيره قل
اعتراضه واتسع توكله ومن علم انه غير مترو فيما كان من وراء الزاد للسفر البعيد الطاهر واذا كان جميع ما
يتقلب فيه المرء من الفضل الشيء وعلم الرازق لانما جعل الله شيئا اليه ورفقا في سبيل ما لديه فالامر المحاط
انفسنا والاخذ بها منها واذا كنا نريد فلا يكون ويكون ولا نريد فاولا انا نخلع رداء الاقتدار ونعترف
ان الامر الذي علمنا وما يكون منا انما نحن من ملكه بعد ما انفسنا واما المجابة فحجة للامامية وقولهم
ان العبيد من المجبولات كلها في امر تقدير ليس له حركة ولا حالة من تلقاء نفسه وان الاذم والاثم على احد من
الناس فيما يتعاطاه من قبح فانه مبتلى به محمول عليه كالاحمد ولا ثناء في جميل فانه محمول عليه ولا احد
ان يسأل الله تعالى رضا ومغفرة وصلوة وكرامة لانه يمشيه والدعاء وليس لاحد ان يمنع احدا من هوى
بهواه او يتمنى بمد اليه يد لان الاشياء كلها ملك الله والخلق عباد الله فقد جعل ملاك الاشياء وخاصة
ما خلق وملك بين عباده المختلفين فوضع فضا بينهم فيه متساوون كلهم في تساوي في الحاجة اليه
والانتفاع به فمن شاء اخذه بقدر الحاجة ثم تركه على اصل الاباحة وان جميع حركاتهم وسكناتهم تمثال الله
يبدعها في اجسامهم وارواحهم وقريب من هذا المذهب قول الجبرية ان ليس لاحد من البشر تدبير واختيار
بل التدبير خالص لمن له الخلق والامر وكل احد مسخر على عمله حسنا كان او سيئا وان فتح القرائم واتساع
المقاصد دليل التسخير في دقيق الامر وجليله لا ينفذ في شيء منه حيلة ولا استطاعة للبشر وان الفهم
ربما بقي بالاديب عن قوة ولكل يحيط بهم بالعلماء من صلاة وان اقرنا غاف الحسن وان شاء اكرم المتخوفات

الخلق خلقه والملك ملكه ولا اجبار ولا اختيار ان مثل هذا الراي يفسد نظام التدبير ويقطع اسباب السياسة ويبطل
احكام الحكمة ويتضمن نفي التكليف ورفض الحجة وابطال العقل والتمييز وان لا يصح الترتيب على العبد لترغيب ولا نهي ولا ترغيب
ولا ترهيب ولا هداية ولا امتحان ولا ان العبد فيه قوة واستطاعة ولا توزيع على خير وطاعة ولا تجنب عن شر
ومعصية واذا كان الاختلاف سبقا بين المسيء والمحسن والامر بلا الى الارادة والتمييز على الشيء لا يعلى صاحب
الاعمال والافعال فيما سرنا على المحسنين عند فوات ثوابهم وعذابهم وبايدولة المسيئين اذا اراد نوابهم

الا كان يجزى بالخير فاعله ٭ شرا ويجزى المسيء بالحسن ٭

فويل تالي القرآن في ظلم الليل ٭ وطوبى لعابد الوثن ٭

وهذه ابواب شتى من التزام التصميم على الجبر ووخامته وتصونه عن التصريح بالقدر وشناعته وتقعقع على المحجة
الوسطى والطريقة المثلى بين الطرفين المتناقضين وان خفيت عن طلابه ابواب الكلام لكلامي فلانور الحق في نفسه وهج
الى الطريق في ذاته كما قال سيد العلماء جعفر بن محمد الصادق لا جبر ولا تفويض وقال الامام الاجل ابو حنيفة الكوفي رحمه
لا اقول بالقدر ولا اقول بالجبر بين القولين وهذان القولان يتضمنان معنى واحدا والامامان يتعاليان ان
يمكن ان يكون لكل واحد منهما مذهب الجبر او سلوك الطريقة ويمكن ان يكون الامام الاجل مقتبسا قوله من راي
سيد العلماء اذ كان كثير الاختلاف اليه والاستضاءة بنوره والاقتباس من زنده وقد وصف بعض العلماء
هذا الطريق المتوسط بين الغلو والتقصير والافراط والتفريط الى نكتة واحدة وهي البحث عن الفعل الواحد
هل يصح صدوره عن الفاعلين ام لا يصح وان صدوره عن الفاعلين الفعل يوصفان بانهما مشتركان في
احداثه ام يجوز ان لا يكونا فيه مشتركا فيه وانه ان امكن صدوره عن الفاعلين لا على سبيل الاشتراك
افلا يحكم على الاعمال البشرية انهما كلاهما امر من هذا القبيل ام لا يحكم واذا ان حكم عليهما بذلك فالفعل ما ينقسم
منهما بحكم المحمود والذم ام لا يحكم في ذلك ثم قال ان صدور الفعل عن الفاعلين ممكن في وجوه تارة على جهة التوا
وتارة على جهة المخالفة وجميع ذلك لا يخرج عن اربعة اقسام قسمان في التساوي على جهة الموافقة لحمل جسم
على التشارك كرجلين يحملان حجرا او جذعا خشبية كبيرة برسن مربوط عليهما لم يقو على حمله احدهما وتشاركا
بقوتيه والآخر على جهة المباينة كرجل يحمل حجرا او خشبة كبيرة برسن لا يستطيع حمله بعينه اخر يرفعهما
بمراى من خلفه واقسمان في التساوي على جهة المخالفة اما على جهة المشاركة كرجل جسم ثقيل يدفعه فوق يديه تحته
وفمه دارة فيها خيط العلام بعضه بعضه فيعينه على الحركة من غير ان يتولى حمله واما على جهة المباينة كرجل يرمي
سهما من القوس الى الهدف فاستقبل له على جهته سهم طائر بعينه وبين الهدف فوافقه السهم فاذا نظرت هذه
الانقسامات في الاعمال البشرية يقول ان افعال البشرية لا تكون اختيارية محضة لما يحتاج بذوق
الاشياء واما الى المحل واما الى التنفيذ واما الى الاتباع واما الى الدافع واذا خلت الافعال عن هذه
الاقسام الاربعة لم يكن الفعل اختيارا محضا بل يكون اما طاليا فيه واما قسرا فيجرم ولا اشكال

السوق في الانسان ليس ليعي واختيار منه لكن يقع ذلك بتاثير من النفس عن تسخير من الله تعالى بحصول السوق
المنبعث مقترنا بالسعي المتكلف فيصير مجموعهما سببا للفعل الاختياري ويصير الفعل الحادث منسوبا
الى الله من جهة تعلقه بالسوق الذي لا عمل للعبد فيه ومنسوبا الى العبد من جهة تعلقه بالسعي الواقع
تكلفا واكتسابا واذ عرفت ذلك فقد ظهر ان مذهب الجبر باطل مردود وانه لو كان صحيحا لبطل بحجته
ابواب الوعد والوعيد والترغيب والترهيب والسياسات الفاضلة والقرب الدينية ويوجد العقل منسوبا
من استعمال الفطنة له ولفظه لان فائدتها لا توجد الا على التدبير تعاطي تلك الافعال الاختيارية
ومثله يظهر ايضا ان مذهب القدر باطل مردود وانه لو كان صحيحا لبطل بحجته ابواب التوفيق والخذلان
وسائر اسباب التفعيل والانفعال والاتفاقات المرضية للحوادث الزمانية ولوجد العبد مستغنيا بحيلته
عن الاستمداد من صنع مولاه وابنا بقواه من انفساخ عزايمه عليه واذ بطل الطرفان صح الجادة المستقيم
بين الغلو والتقصير على ما عليه ابو حنيفة واليه ذهب فقهاء خراسان وعلماء اهل الحضرة رحمهم الله منهم
الماضين والطالبين بالباقين وقد سال الفضل بن سهل علي بن موسى الرضا في مجلس المامون يا ابا الحسن
الخلق مجبورون فقال الله اعدل من ان يجبر ثم يعذب قال فمطلقون قال الله احكم من ان يهمل عبده ويكله
الى نفسه فانظر الى حسن هذا القول ووضوح هذا الطريق الواسط وايضا فان من لاحظ الحوادث الجاريه
من معادن الطبايع تبين له ان العبد مسير ومجبور ومكلف موزون موفق محجوب موقف وان الافعال
وان كانت للعبد بما هي ناشية منه الا انها تاثير غير منه واقعا به عليه وتمكينه منه واقتداره
ولا ريب ان الدواعي والبواعث والصوارف والموانع كلها منسوبة الى الله فكذا الحكم في القضيات والحركات
فاما من نظر الى هذه الاحداث والحيلات والاختيارات والارادات من ناحية الدلايل بين الكاسبين الفاعلين
اللابين المذمومين المنهيين الممنوعين المجازون فانه يعلقها برقابهم ويخرجها من شيابهم
وان هذا الحال ما وقع الا من قبل نفسه وان هذا التخاسر ما جنى عليه الا سوء اختياره وفرط تقصيره
وطول شقاوته وعنايته والمحفوظان صحيحان والاحطان صحيان ومراقبة الواسعة تحمل كلا منهما
معنه فذا اذا لم يغفل فيه ولف التقصير الى نفسه ووقف على حده ولم يعد طوره وعلم ان التفاوت
والتباين من قبل تفاوت العقول والاسباب في موادها الا من جهة تناقض الحق في نفسه وتباين
الشي بذاته وهو كالعسل حلو بخاصيته وان وجده المحرور مرا عند منافاته ولكن ليس لكل احد
هذا الوصول الى هذه الغاية ولا لكل انسان الاطلاع على هذه الربوة فاتجوا واختلفوا وجادلوا بالباطل
وادحضوا الحق بالقيل والقال واذا ناظر الرجل معنى القضاء والقدر عرض عليه تلك الاحالات ومضى وعنده
جميع تلك الاحالات وعلى الحقيقة معنى القضاء هو صدور ما يصدر من العلم السابق والقدر ورود
ما مورده بالاجزاء الحادثة ولا حظ اهلي من ادم ومسكنته في عقله وحكمته في رايه ان جميع ذلك من الله

الحكيم في تدبيره العليم بوجوه تقديره وعن ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تخوضوا في القدر فانه
سر الله الاكبر انما الامر للكفه والقدر من الخلق ما يسكن به نفسه ويطيب قلبه وينشرح صدره ولو اطلع هذا
السر عنهم لادى لهم بحجزهم عن تفهمه بل وصوم عن استيعابه الى ما تادى اليه احوال المتكلمين من التحير
والضلال والتكفير والتضليل والنظر الى عباد الله السواد الاعظم بعين الازراء والتحقير واذا كانت الراحة
في الجهل بالذي كان العجز في العلم به كم علم لو بينا ان المحال فيه تعلقا حيثيا وكم جهل لو ارتفع عنا لحال
فيه شقا معيشنا وكم جهل لو ارتفع عنا المحال فيه ثوارنا فالعلم والجهل مقسومان بيننا ومخصوصان
علينا ومتفاوت فيه درجاتنا على قدر مصالحنا الاترى انه لو علمنا الواحد منا متى يكون وعلى اي
حال التعلمنا بحيوتنا ولا فضى ذلك بنا الى وجوه من الفتنة والمحنة وكذلك ما يصيبنا من النوايب و
المصايب في مستقبل اعمارنا لو زال عنا الجهل في جميع امورنا المحال فيه كل فساد وبوار فمن اطلع
على العلم المكنون والسر المخزون اشتغل عما لا يعنيه بالعمل النافع والذكر الخالص والتسليم الصحيح
والتفويض الصريح والبراة من كل حول وقوة الا من منه القوة والحول وله المنة والطول فحينئذ
كان سلوكه في الجادة الوسطى من الله عن مقصور لا غال واذا انتهينا من نفي هذه الافات
المطيقة بانفسنا الى هذا الحد لم يبق علينا مع طول هذا الشرح لهذا المجمل الاحل
شبهة واحدة وهي انه اذا كان صدور هذه الافعال على ضرب من هذه الوجوه فكيف تنزيه
جانب التدبير والتنجي عن نقص ما يلحق جانب المباشرة والاكتساب وحل هذه الشبهة ان
الحكيم من انه لن يفعل على وجه العبث بل ايجاده لافعاله من اجل الاغراض الحميدة واذ علم هنا
فكل واحد من الاجسام محض الخاص ما هو مقدر فيه من قبول الاعراض ومخصوصا اذ علم انه
ليس اي حادث اتفق يجوز ان يعرض لاي جسم اتفق بل من الضرورة ان يكون بين العارض والمعروض
لمناسبة فتحرك به واذ تحقق هذا فالذي يزعم ان المعاني الواقعة منا بحسب ابدانها مخلوقة
محضة وانه ليس للاكتساب فيها مدخل فان مذهبه يؤدي الى ابطال ما انفصل به الجواهر
الطبيعية من قواها الانفعالية ولا شك ان حدوث كل واحد من الافعال البشرية توجب
متعلقا بكل واحد من القوتين وقد علم ان الانفعالية منهما مسخرة اضطرارية وكلما تعلق
بالمعنى المسخر فانه يكون منسوبا الى القادر المسخر فكان من الواجب ان الفعل الحادث البشري
مهما انتسب الى القوة التفعيلية التي بها صار البشر موجدين للافعال قيل بحسب هذا الاعتبار
بانه كسبنا وانا نحن فاعلوه مطالبون بشروطه ومهما انتسب الى القوة الانفعالية التي بها صار
الجوهر مستعدة للاعراض قيل بحسب هذا الاعتبار انه مخلوق الله ومقضيه وبارادته وتقديره
فان اطلاق كل واحد من هذين الوصفين اعني وصف الخلق ووصف الكسب انما يجوز لا بحسب اعتبار الفعل

بحسب النظر الذاتي فقط اعني من حيث هو ضرب او كتابة او بالجملة فعل او عرض او حركة او حادث
فاما اذا اعتبرناه لا بحسب النظر الذاتي لكن بحسب النظر الاضافي اعني من حيث هو طاعة او
معصية او ايمان او كفر او مدح او مذمة فان وصف الخالق حينئذ منزه عنه ووصف
الاكتساب متجرد له من فساد الفعل واستقباحه فقد يعرض تارة من جهة القوة الفعلية
كالوراق المتبلد في الصناعة اذا افسد الوراقة وافسد بفسادها الكاغد والحبر وقد يعرض تارة
من جهة القوة الانفعالية كما يجيد الوراقة اذا كتب على الردي وقد يعرض لفسادهما معا ولا شك
ان طريان الفساد متى كان عارضا من جهة المتصرف في المكتسب اعني الوراق المتبلد كان الذم مقصورا
عليه ولم يتجاوزه الى صاحب الورق والبياض والحبر وعلى العكس فيكون الذم مقصورا على اصحاب
اولئك ولم يتعد الى الوراق فمتى عرض من الجانبين جميعا كان الذنب لاحقا بهما معا
وعلى هذا القانون يجري معاملات الخلق كلها وقوانين احكام الفقه باسرها ثم انما يطلق
وصف الخالق على الحوادث الواقعة بحسب ذاتها لا من جهة السعي الاكتسابي ولا من جهة
الاعتبار الاضافي بل من جهة تعلق وجودها بتخصيص من يوجد الاجسام المجبولة معدة لها
بصنع من له الخلق والامر بالشوق والبعث عينا الى المعنى المقصود لنا من تقدير من له الخلق
والامر وقد علم ان الفساد لن يعرض للفعل من احد هذين الوجهين فظهر ان المذمة لا تلحق المقدس
ولا ترجع الى التدبير والله لا يصلح عمل المفسدين ولا يهدي كيد الخائنين وقد سئل بعضهم
عن التمكين من القبيح احسن ام لا وادير عليه مسئلة الارادة فاجاب بان التمكين من القبيح حسن
لان التمكين من الحسن حسن ولو كان التمكين من القبيح قبيحا وهذا ناقض محضا فيه بعضهم بان
التمكين وحده اسم مجرد لمعنى مجرد والاسماء المجردة دلالتها على الاعيان لا على صفات
الاعيان وما يكون من الاعيان وما يكون في الاعيان والتمكين معتبر بما يضاف اليه
وينسب اليه فان كان من القبيح فهو قبيح لانه علة القبيح وان كان من الحسن فانه حسن لانه علة
الحسن وهذا كما نقول لهذا الدرهم نافع او ضار فيقال ان صرفته فيما ينبغي فهو نافع وان انفقته
فيما لا ينبغي فهو ضار وكذلك السيف في الالات وكذلك اللفظ في الكلمات والاضافة
معنى يسري في الاشياء بل ما من شيء الا قاهرا ممسكا فاسرا فلا يكاد يرى شيئا حسيا
او عقليا او وهميا او ظنيا او علميا او عرفيا او علما او حليا او نقطيا الا والاضافة
سارية فيها والاضافة حاكمة عليها وذلك لان الاشياء بامرها مصيرها الى الله ولان
مصدرها الى الله فالاضافة لازمة والنسبة قائمة ولولا الاضافة اضافة بعضنا الى بعض
ما اجتمعنا ولا افترقنا ولولا الاضافة بيننا الغالبة علينا ما اتفقنا ولا انتفعنا وناقشنا

لهذا القابل

لهذا القابل اذا كنا بالتضايف نتوالى فباي شيء بعده نتعادى وقال هذا ايضا بالاضافة لان الاضافة
لما تخصص وظل فبالتخصص ائتلف وبالظل اختلف بين ذلك ان العدم والوجود شيئان لانا وسابا ان
فبالوجود يتضادان وبالعدم يتفاوت وهذا باب يتجر الى علوم باللطف عن المعتاد ويبعد عما عن فيه
واذ بلغنا الى هذا الحد فيلينا اختتام المجلس بحمد الله ونصلي على عبده محمد واله

المجلس السابع والستون في آداب الانس على سبيل التحقيق تفسير قول الله تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان من لا يمهله عن حكم اقتدار ولا يحجبه عن ابراز انظار ولا يخفى عن علمه خافيه ولا يعزب عن حكمه
قاصية ولا دانية يعرف كل امر حكيم ويشرع كل نهج قويم ويسمع كل دعاء ولا يشغله نداء عن نداء يخلق
النسمة ويبرءها ويفلق الحبة وينشرها ويبسط الصدور ويقبضها ويرفع الامور ويخفضها بصير
لفتة كل ناظر سميع فلتة كل خاطر ربما خالطه مكانا او اشتمل عليه زمان لا يشغله شان عن شان
له الفضل والاحسان والطول والامتنان ومنه النعمة ابتداء والمثوبة جزاء لا يخلف ما وعد عباده ورزقنا
يعقب بالعفو ايعاده ولا يحبس رزقه عن عاص وكفور ولا يمنع هدايته عمن عتى وفجر بعث محمدا عبده ورسوله
الى كافة العباد ولسان دعوته شفاء الرحمة في جميع البلاد ليظهر الحق وشرعه وامر الحق وفرعه ونوره
الصواب عن جهله ونشر الاصلاح بعد فساده وزرع في جهة الفساد وسد الفتق من جهة الرشاد صلى الله
عليه وعلى اله وصحبه الذين هم صدور الايام ومعالم البر واعلام الاسلام وسلم تسليما آداب النفس لا
يحصرها مجلس ولا مجالس واضعاف هذا الكتاب لا يكون الا ردا اذا من ذي لها ونشا شان من محلها
والكتب السماوية والاحكام الشرعية كلها آداب الانس ولنا من جملة كتب الغرائب في الاحاديث
وكتب اعلام العلوم كتاب في الادب وهذه المجالس محشوة في الاخلاق من اولها جميعها آداب النفس
ولكنا في هذا المجلس نقتصر على كلام مشايخ الصوفية ونخلط بعضا من الائمة ونورد شيئا من كلامهم
قال يحيى بن معاذ من تادب بادب الله صار من اهل محبة الله وقال سهل القوم استعانوا بالله على
امر الله وصبروا لله على آداب الله ولما دخل ابو حفص الحداد بغداد قال له الجنيد لقد ادبت اصحابك
ادب السلاطين فقال ابو حفص حسن الادب في الظاهر عنوان حسن الادب في الباطن وقيل لكل شيء
خادم وخادم الدين الادب وقيل الادب حبوة العقل وروح العلم والحلم وقال عبد الله بن مبارك
الادب للعارفين بمنزلة التوبة للمريدين وقال ذو النون ادب العارفين فوق كل ادب لان
معرفتهم مؤدبة قلوبهم وشاهدها حاكم وقيل من الزم القيام مع الاخبار والصفا الزم الادب ومن كشف
له عن صفة الادب لزم العطف وكان الدقاق يقول من اساء الادب على البساط رد الى الباب ومن
اساء الادب على الباب رد الى سياسة الدواب وقال ابو محمد الجريري الادب ان تعرف نفسك

يهلك من عرف قدره وسئل بعضهم ما الادب فقال الوقوف على المستحسنات انشد
اذا نطقت جاءت بكل ملاحة ❊ وان سكتت جاءت بكل جميل ❊
وبالجملة الناس في الادب على اربع طبقات والادب في نفسه على اربع مراتب فاما طبقات الناس في
الادب فمنهم اهل الدنيا اكثر ادابهم في الفصاحة والبلاغة والاسمار والاشعار واحفظ والحكاية
باليد خاصة وباليدين جملة واهل الدين اكثر ادابهم التفقه في احكام الشرع والتحلي بالعبادة
واركانها وشرائطها والانتهاء في المعاملات الى ما حده الشرع وتوقف على المباحات وتقويتها
عن المحظورات واهل الارادة اكثر ادابهم في طهارة القلوب وحفظ الوقت وعن القاء الاسرار وقلة
التعريج على النفس وخواطرها وشدة التحفظ في مقامات القربة ومواقعها واما مراتب الادب
الاربع فهي ان تحافظ في المعاملة بحيث لا يعيب عليه الكبرا ولا يوجد من الدنيا ما يعيب عليه الزهاد
ولا يقع من اسرار العلوم ما يعيب عليه الحكماء وتكون الصلوة في من الغاية بحيث لا يعيب عليه
الحفظة فان الصلوة منتهى الاداب فلا ينظر سره الا الى مولاه ولا يطلب من الدارين الا رضاه
هذا في معرفة الادب فاما مجاري احوال القوم في هذا المضمار وارتكاضهم في هذا الميدان فمن
ادابهم الطهارة وان يكونوا دائمين عليها سفرا وحضرا ولا يعدون شيئا باشهم الموت فيفارقون الدنيا
على الطهارة ويجددوا الوضوء لكل صلوة من غير ان يتخلل وضوءهم والقيام الى الصلوة عمل وكان
سهل يحث اصحابه على كثرة شرب الماء وقد حثه على الارض وكان يقول ان الماء يجوع ويسق
ان تصبه على الارض وكان يرى ان في كثرة الشرب ضعف النفس واماتة الشهوات وكسر القوة
واقام ابو عمرو الزجاجي سنين بمكة وهو مجاور بها كان اذا اراد ان يقضي حاجته يخرج من الحرم
وهو مقدار فرسخ ويكرهون الحمام الا اوقات الضرورة ولا يتركون ان يستهم القوام ويعطون
لهم حتى يستروا عليهم الماء وكان بعضهم يقول هبات الفقر من الله فابال الوسخ وراى ابو الفتح
الصوفي صوفيا قذرا فقال يا هذا ان يحمل الله طريق الجنة على الكنيف ويحكى ان الشبلي لما
اخذ في النزع اشار الى خادمه ان يجدد وضوءه فنسي الخادم تخليل اللحية وكان قد امسك
على لسان الشبلي فقبض على يد الخادم وادخلها في لحيته فلم يذهب عليه سنة التخليل وقد اذن
نفسه بالرحيل ومن ادابهم في الصلوة تاهبهم لها قبل وقتها حتى لا يفوتهم الوقت الاول ثم
منهم من يتعرف الاوقات بالعلامات الدالة عليها في الجو ومن مقدار ظل الزوال في النهار
كل وقت وبكل ناحية معتبرا ذلك بمقدمة كرمز يد وكم ينقص من النجوم ابوابها ومسارها
ومنهم من يتعرف ذلك باوراده من ليله ونهاره على ما اعتاده في الاوقات والايام
على اختلاف الفصول من الاعوام ويجتهدون في مصاحبة النية التكبير فلا تسبقه ولا تسبقها

وعن الجنيد لكل شيء صفوة وصفوة الصلوة التكبيرة الاولى العقد الصلوة بتمامه اذا صح العقد
فعند ذلك فما يدخل من الافات الطارية ينقص من وصلها ولا ينقص من اصلها واكثر ما سعى من
في اعمال الصلوة هو في الاخلاص وحضور القلب عند كل عمل فلا يقول الانسان الله اكبر وفي قلبه شيء اكبر
من عبادة فلا يقول وجهت الا وقلبه متوجه الى الله فلا يقول الحمد لله الا وقلبه متنعم بذكر نعمائه
ولا يقول اياك نعبد واياك نستعين الا وهو متبري من حوله وحول كل احد الى من له الخلق والامر
كذلك يستشعر الخشوع في كل ما يفعله ويتفهم معاني ما ينطق له ويحمله الى ان ينتهي الى التشهد
فيحظر بباله ان كلمة التحيات هو تسليمه على الله وانك من ساهيا عن التهيب والاعظام لاهيا عن غاية
الاخبات والاحترام وقد سئل ابو سعيد الخراز كيف الدخول في الصلوة فقال هو ان تقبل على
الله كاقبالك عليه يوم القيمة ووقوفك بين يديه للمحاسبة فانه مقبل عليك ومناج لك فاعلم
بين يدي من انت وقال اذا رفعت يديك في التكبير فلا يكن في قلبك الا الكبرياء وحتى تنسى الدنيا
والاخرة في كبرياء الله ومعناه انه اذا كان في قلب العبد شيء غير الله لم يكن صادقا في قوله الله اكبر
ثم ادب التلاوة ان يشاهد بسمع قلبه كانه يسمع من الله او كانه يقرأ على الله ويكون مع الخشية و
الهيبة ما يكاد ان يذوب من عزانه يعزله ويفعل وكان سهل ضعف عن الحركة فلم يكن يبرح الارض وكان
كان لا يكاد يقوم من مكانه حتى اذا دخل وقت الصلوة ترد اليه قوته فيقوم في المحراب مثل الوتد
فاذا فرغ من صلوته رجع الى حال ضعفه وكان الجنيد لا يترك اوراده من الصلوة على كبر سنه
وضعف اعضائه فقيل له في ذلك فقال ما وصلنا الى الله في بدايتنا نتركها في نهايتنا
وراى يوما واحدا فقيل له في ذلك فقال فاتت بعض اورادي فقيل ما قضيتها فقال كيف وهو اوقات
معدودة ومن ادابهم في الصلوة انهم يكرهون الامامة حتى ان حافظ القران منهم يقدم قارئ
الحمد والسورة تهيبا للمقام الامامة والضمان على الجماعة ويكرهون الصف الاول ليثاروا به الناس
ويزحمون عليه للحديث في فضله فاثروهم ولم يزاحموهم ولا يطيلون الصلوة تحرزا عن الخطرات
والوساوس ويوقروا على تصحيح الاعمال دون تكثيرها وتطويلها واما ادابهم في الزكوة فما ينبغي
ان يقوم عليهم لان الله قد زوى عنهم اموال الدنيا فلا يقتنون زخرفها وسئل الشبلي كم في
ما يتي شاهد فقال اجمعه منها في واجب الامر وفيما يلزمنا كلها فقيل فجل الله في هذا امام قال
هذا ابو بكر الصديق حيث اخرج ماله كله فقال له النبي ما خلفت لعيالك قال الله ورسوله وقال
لعمر حين جاء من ماله بالجاء ما ذا ابقيت لنفسك وعيالك فقال مثله اي مثل ما اتيت به فقال عليه السلام
بينكما ما بين كلمتيكما ان منهم من يلحذ الزكوة ويقبل الصدقة فاختفي الى جماعة من الناس في مجلس قد
عز الحلال واعوز حتى كاد لا يوجد فقال بعض الصوفية ما انا اعرف الحلال ما يكون في ايدي الفقراء

من صوم قلت للاغنياء وكان ابو محمد المرتعش في مجلس من اصحابه فنظر الى رجل ومعه خبز يقسمه قد بعث به [illegible]
ونفاره فجعلوا عليه فقام المرتعش وجاء له ثوبه وقصد الرجل واخذ من ذلك الخبز رغيفا رغيفا وجلس فسئل عن
فعله ذلك فقال خشيت ان لم اتم ولا اخذ منهم ان يمحى اسمي من ديوان الفقراء ومنهم من لا ياخذها ولا ياكلها مع
ان الفقر باحمالهم ولكنهم تركوها ايثارا للفقراء وقطعا للاجتماع مع الضعفاء وتنزها عن اوساخ الناس من
الاغنياء وعند الله ابو الحسن النوري واطيب من لواطم في جوبته سعادة حلال من غادر [illegible]
وكان البختي يقول ان استطعت ان لا تاخذ من احد شيئا فلا يكون معك شي تعطيه احدا فافعل
وكان محمد بن منصور صاحب يعقوب السوسي انا اعطي شيئا استيها الى ان اخذ ولم يعرفه على اصحابه من
الفقراء ويقول شي لم ارضه لنفسي لا ارضاه لغيري ولا احمل اليه ولم يعلم انه زكوة وصدقة فقبلها وذكر
ابو نصر السراج انه من اخواني من يفرق على الصوفية الفقراء في كل سنة الف دينار وكان يعلم ان الربيع
البعم فقط درهما من زكوته لعلا لا القدهم واعطاهم لخطاهم ورايت في رقعة امام من ائمة المسلمين المعروفين
كتبها الى فقير من المتصوفة يا اخي قد انفذت اليك شيئا ليس من الزكوة ولا من الصدقة ولا لاحد عليك فيه
منة فاسال الله ان يحبه الله في اوصاله على قلبي اليه ويقبله ومن آدابهم في الصوم صحة مقاصدهم
ومباينة شهواتهم وحفظ اطرافهم وصفاء مطعمهم ورعاية قلوبهم ودوام ذكرهم وقلة اهتمامهم بالمضمون من
رزقهم وترك الالتفات لصومهم واشتيادهم الجوع من غير اكراه في عامة اوقاتهم حتى ايام الصوم فقد ذكرناها
في فصل من هذه المجالس وحكي عن رويم قال اجتزت في الهاجرة التي نشوى بعض سكك بغداد
وعطشت فتقدمت الى باب دار استسقيت فاذا بجارية قد فتحت باب الدار وبيدها كوز جديد من الماء البارد فلما
اردت ان اتناول من يدها قالت صوفي يشرب بالنهار فاستحيت من نفسي وضربت بالكوز الارض ونذرت
ان لا افطر ابدا وكان سهل يقول اذا شبعتم فاطلبوا الجوع ممن ابتلاكم بالشبع واذا جعتم فاطلبوا الشبع
ممن ابتلاكم بالجوع والا تماديتم وطغيتم ومن آدابهم في الصوم ان لا يصوم واحد في جماعتهم الا باذنهم لئلا تشتغل
قلوب اصحابه بفطوره وهم على غير معلوم وانما ارادوا من الغيبة ان لا يصوم ولعدم معرفتهم بين الجماعة بصيامه وحضر
للذين لا يعرفون مطعوم فليس لهم ان يتنظروا وقت افطاره فهلال الصايم فربما كان في الجماعة صاحب فاقة
ولعل الله فتح وقت افطاره شيئا آخر لاهتمام الصوفي بان روحه الا ان يكون ضعيفا او وحيدا او
بحجتهم ويتنظرون افطاره تبركا بمواكلته والاحسن ان يصوم الشاب لصوم الشيخ ويفطرون بافطاره وليس
للصايم ان ياخذ نصيبا لنفسه ويحفظ لوقت افطاره لانه ضعيف في حاله وبالجملة عندهم مساعدة الصايم المفطر
احسن الى ان تقع الصحبة وتكون مساعدة المفطر الصايم اولى وكان الجنيد يصوم على الدوام فاذا دخل عليه اخوانه
مفطرين اكل معهم ويحكى ان الشبلي قال لرجل نحن ان نصوم الابد فقال الرجل كيف قال تجعل ما بقي من عمرك يوما
وتصوم ولا بد في طريقتهم من ضم كف الجوارح الى الكف عن الطعام والشراب فيحفظ اللسان عن الغيبة والعين

عن النظر بالريبة والقدم عن المشي الى ما لا ينبغي وغير ذلك الى ان ينتهي الامر الى كف القلب عن الخاطر المكروه
والوسواس والحسبة من ذكر الله تعالى ومن آدابهم في الحج ان لا يقعد واحد منهم عادمون للزاد والراحلة الا
بقصدهم وذلك لانهم اهل فادم وسهل وابو يزيد والجنيد لم يحجوا الا حجة الاسلام لان النبي صلى الله عليه وسلم
لم يحج الا حجة واحدة ولما خافوا من معرفة اداء الحج في فرضه وحدوده ومناسكه وشغلا بين ان يحفظ
حفظ اوقاتهم ومراعاة احوالهم وعادتهم دائبون في قطع العلايق ومفارقة الاوطان ومهاجرة الاخوان يحجون
حج بيت الله البلاد من غير نفقة ولا زاد ولا يسالون عن الطريق ولا يعرجون على الرفق لا يفضون من الحج وطرهم
ولا يحفظون من تلك المشاهد اعدائهم سلام على تلك المشاهد انها شريعة ورد اوصحب غالب
قال ابراهيم الخواص رايت شيخا من الصوفية في البادية ممن كان يشير الى التوكل فرتع على ... بعد سبعة
عشر يوما من فاقته فسألته شيخا له عن ذلك فلم يقبل مجيء ولم يعده منهم ومن احمد بن ذوليه قال
اوجب على نفسي الرجوع الى مكة من الشام وكان برد شديد فتناولت باعمر ان الطرسي حبة فيه
فقال واذا لحقت عليه فالقيه في اليم فضمنت اشارته وقصدت الحج فما رايت الا كل خير ومجيء ومن
عادتهم انهم اذا دخلوا البادية لا يكادون يقصرون الصلوة ولا يتركون شيئا من اورادهم في الحضر لان ليس
لاسفارهم مدة معلومة والحاضرة والبادية عندهم واحدة وكذلك لا يمشون بالاميال والمراحل والاعلام
والمنازل اذا قامت الحقيقة اقاموا واذا سارت بهم ساروا واذا انزلت نزلوا واذا بلغوا الميقات
غسلوا رؤوسهم بالماء وقلوبهم بالتوبة واذا نزعوا ثيابهم وتجردوا عن ملابسهم نزعوا عن اسرارهم الغل
والحسد ومن قلوبهم الهوى ومحبة الدنيا ولا يعودون الى ما خرجوا من ذلك وبعد ان قالوا لبيك اللهم
لبيك لم يجيبوا داعي النفس ومنادي الهوى واذا نظروا الى البيت باعين رؤوسهم فمن الادب ان ينظروا
الى من نظر الى البيت باعين قلوبهم واذا طافوا حوله بابدانهم تذكروا قول الله تعالى وترى الملائكة
حافين حول العرش فكانهم ينظرون الى ذلك بعيونهم واذا بلغوا المقام علموا ان مقام عبد قد وفى
الله بعهده ويعجب الله الاولين والاخرين الى متابعته قد به محرضوا على الوفاء بعهده واذا استلموا
الحجر علموا انهم يبايعون يمينه كما جاء في الحديث ان الحجر الاسود يمين الله في الارض يصافح الله بها عباده
فمن الادب ان لا يمدوا اليد بعد ذلك الى لهو ولا الى مرادهم فتنبسط لهم الدنيا ويبرؤون منها واذا
صعدوا الصفا فمن الادب ان لا يعترض كدورة بعد الصفا فاذا هرولوا بين الصفا والمروة فمن الادب
ان يحيد الفرار عن نفوسهم واهوائهم واذا اتوا منى فمن الادب ان يناقضوا القضاء ويتمنوا بالمنى
واذا اتوا عرفات فمن الادب ان يتعرفوا الى الواحد المعروف ولا يتعرفوا عن امره بعد الوقوف واذا
وصلوا الى المزدلفة فمن الادب ان يجعلوا الدنيا والآخرة وراء ظهورهم واذا رموا الجمار رموا معها بالآفات
والشهوات واذا حلقوا رؤوسهم حلقوا عن باطنهم حب الثناء ومن ظاهرهم ارادة الرياء واذا ذبحوا ذبحوا

يبرح النفس عن هواها فاذا رجعوا الى الطواف فلا زيادة ويتعلقوا باستار الكعبة فمن الادب ان يلزموا بابه
ويفتقروا الى جنابه ويتبرؤوا من الاسباب ويعرضوا عن سائر الابواب ومن ادابهم في قراءة القران ان يجلسوا
لها على طهارة ساكنين مطرقين مستقبلين القبلة غير متكبرين ولا متربعين فيقرؤونه كذلك بترتيل
من غير همهمة مستشعرين انهم قاريوا كتابه وكلامه ومطالعوا جمال علمه وحكمته ومن كان منهم ذا
علم ومعرفة بالقران فلا يقراه الا عن تحبير لمعانيه وتردد في باطن فؤاده وما صدر من قرائته عن عقله
فلا يعرفه من علمه وما يصيبه موقنا ان تردد آية واحدة تدبرها خير له من ختمات خاليات عن
التدبر وكان بعض العارفين يقول لي في كل جمعة ختمة وفي كل شهر ختمة وفي كل سنة ختمة ولي ختمة منذ
ثلثين سنة فما فرغت منها بعد وذلك بحسب درجات التدبر فبذلك يجتني ثمرات المعرفة على اختلاف
الوانها واوقاتها بهذا في الحسن والبهاء من جميع اصنافها ولا ان يكون ذلك مقصورا على اقبال الاوراد
دون الاحوال حتى يكون بحسب كل فيهم حال وعند كل علم وصف ومن ادابهم في سائر احوالهم ما نورده
على سبيل الحكاية عنهم قال ابو عثمان الحيري لا يكمل الرجل حتى يساوي باطنه ظاهره في النظافة
وحتى يستوي في قلبه المنع والعطا والعز والذل وقال ابرهيم بن فاتك نعت الفقير السكون عند العدم
والبذل والايثار عند الوجود وقال الجنيد الصبر في طعامه طعام المرضى ونومه نوم الغرقى وكيف وانا اذا
اكلت كسلت واذا انت غفلت وقيل لابي يزيد باي شي قال ببطن جائع وبدن عار وقيل لمعروف الكرخي
في مرض موته اوص فقال اذا مت فتصدقوا بقميصي فاني اريد ان اخرج من الدنيا عريانا كما دخلتها ابو تراب النخشبي
الفقير قوته ما وجد ولباسه ما ستر ومسكنه حيث نزل يحيى بن معاذ الورع ورعان ورع الظاهر فلا
يتحرك الا لله وورع الباطن فلا يدخل قلبه شي سوى الله ابو يزيد قمت ليلة اصلي فجلست ومددت رجلي
فهتف بي هاتف من يجالس الاكابر ينبغي ان يجالسهم بحسن الادب محمد بن خالد من حسن الادب مع الله ان لا تحرك
شيئا من جوارحك بما يرضاه الا في مرضاته ومن الادب مع الخلق ان يعذرهم فيما يجري القضا عليهم ولا
يعنفهم الا في مخالفة فريضة او سنة محمد بن الفضل من استعمل اداب الظاهر يادب بظاهره ظاهر
اصحابه ومن استعمل ادب الباطن وجبت له الهيبة في القلوب وقال الفضيل بن عياض اني لا اعصي الله
فاعرف ذلك في خلق خادمي وحماري وصحبه ابو علي الرازي ثلثين سنة فما رآه ضاحكا ولا باسما الا
يوم مات ابنه علي فقلت له في ذلك فقال ان الله احب امرا فاحببت ذلك فسئل عبد الله المروزي عن
ادب القوم فقال الاصل ادابهم ايثار موافقة الخلق فيما وافق الحق على موافقة انفسهم فقيل بل الاصل ادابهم
ايثار موافقة الحق فيما وافق الخلق ومخالفته على مخالفة النفس وسال السري الجنيد عن المحبة فقال
الموافقة فاخذ السري جلدة ذراعه ومدها فلم يمتد فقال وهذا من ذاك ثم غشي عليه كانه قمر مشرق
وقيل انه لم يصطحبوا الا في مرض الموت ابن خفيف من تادب باداب ابنا من حفظه ولازم حدوده وجمع ادرك

اداب الفقرا

اداب الفقرا في كلمة فقال ان لا تسال من احد شيئا ولا تاخذ من احد شيئا ولا يكون معه شي يعطي احدا وذهب ابو
يزيد ليلة الى الثغر ليكبر الله على سور الثغر فبقي الى الصباح لم يكبر فقيل له في ذلك فقال تذكرت كلمة جرت
على لساني في صباي فاحتشمت ان اذكره سبحانه وقيل للجنيد ممن استفدت هذا الادب قال من جلوسي بين
يدي الله ثلثين حجة تحت تلك الدرجة واوما الى درجة في داره وقال سهل الاشتغال بالوقت بلا تضيع
وقت ثان وقال الوقت العقل اغفل الاشياء الاشتغال بافضل الاشياء وقال سفين حسن امورك فمضت وتدبير امورنا
انت فصار ابركه عمرك ابرهيم الخواص ليس من اداب القوم ترك الكسب حتى يكون مطلوبا بتركه وقال ابو حفص
تركت العمل فرجعت اليه ثم تركني العمل فلم ارجع اليه محمد بن ابي الورد آفة الخلق في حرفين اشتغال بنافلة
وتضييع فريضة وعمل جوارح بلا مواطاة قلب وسئل ابو حفص ما ادب الفقير المقعود على الفتوح فقال ان يقعد
في غير مكان ولا في وقت معلوم وان لا يسال ولا يعترض واذا فتح له بشي من غير سوال يقتصر لا ياخذ الا
مقدار الكفاية ابو عبد الله النباجي من لم يعظم حرمة من تادب منه حرم بركات ذلك الادب سهل بن عبد
الله من اخلاق الصالحين ان لا يحلفوا بالله لا صادقين ولا كاذبين ولا يغتابون ولا يغتاب عندهم ولا
يشبعون بطونهم ولا يمزحون اصلا وقيل ابعد منزلا من جميع الناس من ... فزادة الله عليك في علمه
بك واذا اردت التنبيه والحذر فاذكر الصفة لا الموصوف تسلم من الغيبة والوحشة والعلم كثير والعمر قصير
فعليك من العلم بالا يصلح العمل الا به ولا بد لك من مكان تاوي اليه وسبب يجالك ومعاشك وفيه ونحو ذلك
وعلم بموارك فاطلب من الموضع السلامة ومن الرفيق المواساة ومن الحرص القناعة وقيل اذا طلبت النوم
فانو به الفلاحة الخارج عن اذاه ومن النفس عن هواها وتخفيف المونة على الملكين والدخول في حق
العبودية فان النائم لا يدبر من امره شيئا فقد ودع الدنيا والنفس والخلق وقال الخواص اذا رايت حتو الفقير في ثوب
فلا ترج خيره وكثير في فضله محمد بن خفيف اداب التصوف تصفية القلب عن مقارنة الخليقة ومفارقة
اسباب الطبيعة وازالة دواعي البشرية ومجانبة كل الاخلاق الخبيثة ومحاولة الصفات الروحانية واستعمال
ما هو اولى في الحقيقة واتباع السنة في الشريعة والتزام الوفاء مع الله على الربوبية علي بن الحميد حمل امر
التصوف نفي التكلف واستعمال التلطف وحذف التشرف ابو الحسن الخوارزمي انما سموا ابدالا لانهم ابدلوا
من كل خلق ردي بخلق سني وكل حال تباعد عن الله تعالى بحال يوصل الى الله فقال الجنيد من اداب الذكر
مجانبته على الغفلة فان جر الى ذكر الغفلة العز والطلب الحسين بن منصور من اراد ان يذوق شيئا من ذوق
الاحوال فليكن كما كان يحيط التعبد بلا غيرة بعد مرة وقال حيث لا يعلم او يكون كما يكون في القيمة
فقال من الادب ان يكون مراد العبد مراد الله فيه فلا يقول فيما يقول انا ونحن وبلي فانه اذا قال العبد انا
قال الله نعبت بل انا واذا قال العبد بل انت يا مولاي قال المولى بل انت يا عبدي وقال الرقي من طلع
في قراطاس مرزوقه ومن عجز عن ادب نفسه كان من ادب غيره اعجز وقال خير الادب الورع وخير الورع حفظ

القاسي من المدح والذم وقال اتباع الشهوات ندامة في الدنيا وندامة في الاخرة وعمى في القلب وحجاب العبد عن الله
وقال بعض البلغاء ان ثقل الرجل بوسعه ان يعطى الحلية هذا الامر المجرد وكل من تجرد من الدنيا ونقص ماله
عند الناس الا الصوفي فانه كلما تجرد من الدنيا كان اعظم وكان الشبلي يكره للاحداث الصحبة ويقول انما
افتح بالرجل وسقط بمن لم يسلكه وذكر جالد بالرايحه وسئل ابو حفص عن الادب مع الله فقال القيام بالاوامر
على الاخلاص وصحة المعاملة مع سعيه في الظاهر والباطن مع الخوف والخشية والصحبة مع الخلق بالرفق والحلم والسخا
والشفقة والاخذ بالفضل وصلة القاطع والاحسان الى المسيء ومعظم الحجيج وان شا عند القلب فاذ دريه العين
فان الحذا من المسلمين كانما من كان لا يخلو من فضل الله ولعله من يطيع الله وقال كن لربك عبدا ولا خلقك
خادما واعلم انه لا احد من المسلمين الا وله مع الله سر فاحفظ حرمة ذلك السر وقال يحيى بن معاذ علم الظاهر
سلوك الطريق وعلم الباطن آداب الحقيقة لا يخيل مثل الصوفي مثل الارض يحمل اذى الخلق وتنبت المرعى وقيل
مثل الصوفي مثل الشمس التي تطلع على كل احد والارض التي يطاها كل شيء والماء الذي يشرب منه كل حي
والنار التي يستضيء بها كل شيء وكان الثوري يكره الكلام على العوام ويقول لهم في سفر الوحشة وذكر
الخلق بينهم غيبة الجنيد من ذلك على الله فكرهه ومن ذلك على الدنيا فاعرضوا عنه وقال اذا لقيت
الفقير فالقه بالرفق ولا تلقه بالعلم فان الرفق يونسه والعلم يوحشه فقيل وهل يكون علم يوحش الفقير
فقال نعم الفقير اذا كان صادقا في فقره فطرحت عليه علما ذاب كما يذوب الرصاص في النار وكان ابو القسم
النصرآبادي يقول من كان في مقام الانبساط خارقا منه لا يكون للآفات عليه سبيل ومن لم يكن في مقام
خارقا عنه فان فعله الامر مردود عليه وكان يقول لا اكثر ممن قطع الكرامة على الكريم ويطالبه عن
الملتفت والعطاء من المعطي كما ان الاصل يكون الى الحق وكان السادي يقول اصل الادب في الاضطراب
عن الاسرار وسكونها تحت مواقع الاقدار عبد الله الرازي ادب العبودية الرضا بما يبدو لك من الغيب
وسال العباس بن عطا اي الاعمال افضل فقال ملاحظة الحق على دوام الاوقات فقيل اي الادب اكمل فقال
استشعار التقصير في غاية الاعمال بعد العقل دليل والنفس ولت والروح حيوان وقال ادب الباطن هو
بالظاهر وليس للباطن غاية حارث المحاسبي فقد ثلاثة اشياء حتى لا نجدها في الآيات حسن الوجه مع الصيانة
وحسن القول مع الديانة وحسن الادب مع الامانة السري من علم من القرب ان الله فما اعجب النفوس
من يجري ويكره والحقيقة بالتقرب اليه فيما يحب والحيا من الله والانس بالله والوحشة من كل شيء سوى الله سهل
اول ما يؤدب به المبتدي التبري من الحركات المذمومة ثم النقل الى الحركات المحمودة ثم الفترة لامر الله ثم النظر في التوبة
ثم الرشاد ثم الثبات ثم البيان ثم القرب ثم المناجاة ثم المصافاة ثم الموالاة ولا يستقر هذا في قلبه حتى يرجع الى
ايمانه فيكون العلم والقدوة زاده والرضا والتسليم مراده والتفويض والتوكل حاله ثم من الله عليه بعد هذا
بالمعرفة فيكون مقامه عند الله مقام التبري من الحول والقوة وهذا مقام حملة العرش وليس بعده مقام

وحكى الربيع بن سليمان عن الشافعي في الطعام انه اشر خصلة الارض منها اربعة واربعة سنة واربعة ادب الفرض
من ذلك غسل اليدين والمضمضة والتكبير والمعرفة والسنة الجلوس على الرجل اليسرى وتصغير اللقم والمضغ الشديد
ولعق الاصابع والادب ان لا تمد يدك حتى يبتدي من هو اكبر منك وتاكل مما يليك وقلة النظر في وجوه الناس وقلة
الكلام شاه بن شجاع من ادب بمجانبة الارتضاعة في الكره وحسن الطريقة في الجهد والتحفظ لا حيائه في الحدود
ابو الحسن النوري صفة الفقير السكون عند العدم والبذل والايثار عند الوجود والنون نعت الصوفي في اثر تعرفه
يؤديه ويحتمل نفسه ويجود بالاديه وينعم فيما عند غيره ويكف اذاه ويحتمل الاذى عن غيره والفتى يسعى قبل
السؤال كيف يحمل بعد السؤال ويعتذر قبل الاعتذار كيف يحقد بعد الاعتذار وسئل ابو يزيد عمن يعرف
القوم فقال الذي يعرف الشريعة عصبية التفريع عن الاكدار واستعمال الخلق مع الخلق واتباع الرسول في الشرع
واما على لسان الحقيقة فعدم الجدال والخروج من احكام الصفات والاكتفا بخالق السموات واما بلسان الحق
فالاصل ان الحق اصطفاهم عن صفاتهم بصفاته فنفاهم فسموا صوفية وكان يقول اذا جاك الفقير فقدم اليه الخبز
واذا جاك التقري فقدمه على المحاريب واذا جاك المريد فذكره بالعلم واذا جاك العارف فقابله بما يقابل
به الملوك من حسن الادب والاكرام الكتاني لولا ان الشرع لم يأذن الاديب في ذكره اجلالا
لم نستحل تذكره ولم يعتمل فيه بالقرب تعبيه منه الجنيد التاديب للعوام والتهذيب للخواص والتفويض
للانبياء الشبلي ليس للعارف علامة ولا للمحب شكوى ولا للعبد دعوى ولا للخائف قرار ولا لاحد من الله فرار
ابو الحسن الوراق الفقر هو التثبت بمواقعات الخرابات الوصول اليه ابو حفص احسن ما يتوسل به العبد الى مولاه
دوام الفقر اليه على جميع الاحوال والملازمة لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع الافعال وطلب القوت من
وجه الحلال ابو عبد الله السجزي من لحقه شيء من الحرام في حال الارادة فقدت عليه ارادته الا ان يرجع
الى الله بالاحتياط في نفسه ثانيا ومن لا تزن نفسه بميزان الصدق فيما يبدو منه وعليه لا يبلغ مبلغ الرجال
ومراتبهم ابو محمد بن يحيى السلمي افضل اوقات المرء ساعة سلم فيها من نزاع نفسه وحسن ظنه بمولاه
حال معاشرته مع الناس على ما هم عليه وفيه ما لم يكن ارتكاب محرم او كبيرة واسوا الناس وقتا من يرى العيب
من الناس ويقام فيه ولا يكون ذلك الا لغلظ محله عند الله وقلة محله منه ابو يعقوب السجستاني لا يكون الرجل
حتى يكون فيه خصلتان الاياس مما في ايدي الناس والتغافل عما يكون منهم وذكر الجنيد في ادب الفقير
التقلل من كل شيء من الدنيا عن اكثر منها واعتماد القلب على الله من السكون الى الاسباب والرغبة في
الطاعات عند وجود والصبر عند فقد الدنيا عن الخروج الى المسألة والسكون والتمييز في الاخذ عند
وجود الشيء والتفكر بالله عن جميع الاشغال وتحقيق الاخلاص من دخول الوسوسة واليقين من دخول الشكوك
والسكون الى الله من الاضطراب والوحشة ابو عثمان المغربي من لم يلزم الرياضة من تحويل قلبه في الملكوت
ويتوجه عليه من اداب الظاهر واصلاح الباطن وفتح العادات بانواع الرياضات فهو تارك للادب

معروف في طريقته الحسن القزاز يبني هذا الامر على ثلثة اوايل ان لا تاكل الا عند الفاقة ولا تنام الا عند الغلبة ولا
تتكلم الا عند الضرورة وكان يحيى بن معاذ يقول الاداب مقسومة على ثلاثة اعمال هي الاركان في هذا الباب على
الجوارح واللسان والقلب فاما ادب اعمال الجوارح اقضى بك الى اعمال الطاعة في الرفق واللين والحشمة والاعتدال
والحيا وما اشبهه فيقضي الى القربة والمناجاة بينك وبينه لا يعلم ما في قلبك الا علام الغيوب وذكر
بعض ارباب الحكم فقال ادب الكلام ان يكون حديثك مع الناس اما تنبيها عن غفلة او تفريجا لحزن او تذكيرا
لغافل او تعليما لجاهل قال عمر بن عبد العزيز والله اني لاشتري ليلة من عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود
بالف دينار من بيت مال المسلمين فقيل يا امير المؤمنين اتقول هذا مع تحريك وعزمك وشدة تحفظك
وتصونك قال اين يذهب بكم والله اني لاعود برايه ونصحه وهدايته على بيت مال المسلمين بالوف والوف انما
ان في المحادثة تلقيحا للعقل وترويحا للقلب وتسريحا للهم وتنقيحا للادب وقالوا في ادب العالم ان يزين علمه
لانفسه بحلمه ويعلم ان طلبه لا يسعه العلوم فيودع منها ما يصلح ان يكون زاده الى ربه وما يبذله على
وان الخالق لا يبلغ استعمالها مع الخلق ويستعمل خواص اخلاقه مع من يوافقه ويعاشره فطرايفه وبذل الاداب
عشرة وطلاقة ويستعمل الورع بشرايطه وهو ان يكون قيامه الى العمل بلا افة ومن هبله بلا رغبة ويصف بلا
شك ويتعظ بلا غفلة حليما اعوما ان جهل عليه جاهل تجافى عنه وان طلب الحلم تطلبه وان كد بطلبه لم يستفزه
مدح لم يفرح بمدح المادحين ولا ينال الدنيوية ويوجب على نفسه التفضل ان يعيد الانصاف ولا ياسى على ما
فاته فان ما بين طرفي الفناء فاني ۞ وكل الذي فوق التراب تراب ۞ ويلزم نفسه خدمة من لطايع ربه
بكل جهده ويفوض امره كله الى مدبره ويحفظ اوقاته ولحظاته وانفاسه فلا يضيع منها شيئا وعلى كل حال
يستانس به ويستوحش من الخلق ويراعي ظاهره ويراقب باطنه ويحفظ لسانه وينظر في الحق بعين واسعة
ويسمع من العبد باذن عاشقة ويتلقى الحق بنفس قابلة وطبيعة جاذبة مايلة يكون في الدنيا كالغريب الذي لا
يجزع من ذلها ولا ينافس اهلها في عزها الناس في حال وله حال الناس منه في راحة وقد اهمته نفسه وعمل لما يتول له فان
منه في عافية ونفسه منه في شغل والجملة لا يتحلى باداب الا ادب من امام يدله على عوراته ويوقفه على عثراته
فان من قتل نفسه في المجاهدة واقوى اوقاته في الزهادة يكون صحبة نفسه لا يعرف عيب ما فيه الا ان يدله
علينا من طلب المقامات ومنازل الاحوال واصابته بركات المشايخ ولوازم صحبة الاخيار فان اعظم شغل هذا
السالك المرشد الهادي المهتدي يرجع الى عالم ناصح عامل بعلمه معرض عن دنياه مقبل على امر دينه ويصلح
حاله ويهذب نفسه فان عدمه ابتغاه رجع بالكلية الى ربه فعساه ان يرحمه وينقذه والله سبحانه المحمود والمنة

المجلس الثامن والسبعون من كتاب خلق الانسان مما يتضمن معاني قول الله عز وجل وفي انفسكم افلا تبصرون ۞ يتضمن الكلام على اداب الفقر في السفر

بسم الله الرحمن الرحيم

جلت عظمة ربنا فلا العارف يدرك ادناها ولا الواصف يبلغ منتهاها وتباركت اسماؤه فلا يحصي ثناؤها الحامدون
ولا يطوي رداءها حمد الجاحدين وعمت نعماؤه حتى طاب بشكرها لسان الشاكرين وارتاح لذكرها جنان
الذاكرين وتعالى جده حتى عنت الوجوه لامره خاضعة ووضعت الجدود لحكمه ضارعة فشهد من خلق
بتمجيده وصفاتها وصدق بتتابع توحيده وتقابلها على انه الدائم وما عداه زايل والحق وما سواه باطل
والجواد لا يخفق سعي راجيه والكريم لا يخلف وجه مؤمليه وان محمدا عبده ورسوله خيرته في خلقه و
الداعي الى حقه ومحجته الصادع بحجته وبرهانه ودلالته المنبه على فضله وقربه والمخبر به على الخلق من
جنه وانسه والشارق من افق الدين في مطلع شمسه والمستقيم به الدين بمنهج النظام القايم منه الحق
معتدل القوام الموصول بارساله حبل الاسلام المنظوم بالهام كلمة شمل الانام قد جلى ببعثته الظلم
واوتي جوامع الكلم واهتدى به المتهم والمنجد وفاء الى الحق والعدم وصلى عليه الحل والحرم وعلى آله وسلم
كثير من اعلام هذه الطايفة من يميل الى الاقامة والاسفار خرج الاسلام حتى قال ابو يزيد رحمه الله
وكان دوام السفر والسياحة الى كرمنج كان ذلك البسيح فقال ابن الكلا اذا مكث انتن فقال ابو يزيد كن بحرا لا
ولا تنغير ودا كما الدوار لا تكدر كما الغم لا يتغير وكان بعضهم يقول الانتقال من صفة الى صفة
مترقيا الى ابعد الدرجات في الخيرات اولى من الانتقال من بقعة الى بقعة وكم ترى من ثبات في نفسه
في البقاع النابيه وقل ما يرى من سافر بروحه في الاحوال العالية

جسمي معي غير ان الروح عندكم ۞ فالجسم في غربة والروح في وطن
فليعجب الناس مني ان لي بدنا ۞ لا روح فيه ولي روح بلا بدن

وسئل بعضهم هل سافرت فقال سفر الاجسام سفر السماء سفر الارض او سفر السماء بل وقال لابي علي الدقاق
زاير من مرو قطعت اليك شقة بعيدة والمقصود بلقاك فقال كان يكفيك خطوة واحدة لو سافرت عن
نفسك وانشد ۞ انا على البعاد والتفرق ۞ لنلتقي بالقلب ان لم نلتق

يا بعيدا قريبه مني الاماني ۞ ليت شعري كما ازال تراني
غاب عني السرور مذ غبت عني ۞ واصطفتني بدايع الاحزان
علقت نظرتي اليك بعيني ۞ فكاني اراك كل مكان

وقال رجل للربيع بن بردة اني اشتهي ان اجتمع بك لكني لا اقدر في البلد فقال يا اخي ان المودة يعرفها
قلة اللقاء المدخولة انما المودة بالقلوب لا بالابدان وانشد

يهنيك الود حتى كانما انا حاضر منه وان لم يكن قربي
اما والذي لو شاء لم يخلق النوى ۞ لئن غبت عن عيني لما غبت عن قلبي
قد عقلتك في سري فيا جل لساني ۞ فاجتمعنا لمعان وافترقنا لمعاني

ان لم يكن غيبك التعظيم عن لحظ العيان ۞ فلقد صيرك الوجد من الاحشا داني

لست تنأى سواني بذكر الحس ۞ ولا انت في الحقيقة غيري

بأوجودي في الكل نفعك نفعي ۞ شاهدا غائبا وخيرك خيري

حيثما كنت حلت حلي ۞ ان تراوتم وسيرك سيري

ورأى رجل داود الطائي وقال له يا با سليمن كانت نفسي تنازعني لقاك منذ زمان فقال لا بأس اذا كانت
الابدان هادية والقلوب ساكنة فالملاقي ايسرها وكان الحصري يقول لجلسة خير من الف حجة
واراد جلسة تجمع الهم على عين الشهود وتقف القلب في مقام الحضور وما يغني قرب الدار وتداني المزار
اذا بعدت الضمائر ولبعضهم في ابن العرس لبس السرائر

يقولون هذي ام عمرو قريبة ۞ دنت بك ارض نحوها وسماء

الا انما بعد الحبيب وقربه ۞ اذا هو لم يوصل اليه سواء

فاما الذين يؤثرون السفر فلما ذكرنا بعد استيفائهم اداب الحضور من المجاهدات فارادوا ان يضيفوا اليها
اداب السفر استصلاحا لقلوبهم واستكشافا لاحوالهم وامتحانا لاوصافهم ورياضة لنفوسهم حين اخرجوها عن
المعلومات وحملوها على مفارقة المعهودات وانهم كيف يعيشون بلا علاقة ولا واسطة ولا سكون ولا وطن وان
النفس تتبالطرب الانقياد في الحضر ولجاتها في المصر الي صدق الورود والصدر فاذا دعيت الي انفصال الانفا
خرجت من معيار ذلك المعيار فتكون للنفس احوال تعرف بها اخبارا من امورهم ومكامن صدورهم ويكون ذلك
من جلب الله الذي يخرج به الله تعالى الى محبته عباده كيف يشاء ومتى شاء كما قال يخرج الخبء في السموات ومن
كان يواظب على السفر ويداوم ولا يقيم ابو بكر الكتاني قال محمد بن اسمعيل الفرغاني كنا بضع عشر سنة انا و
الكتاني وابو بكر الزقاق ولا نخالط احدا من الناس ولا نعاشر احدا فاذا قدمنا بلدا ان كان فيه شيخ سلمنا
عليه وجالسناه الى الليل فاذا كان الليل عدنا الى المسجد فيتقدم الكتاني من اول الليل الى ان يصبح ويختم
القران ختمة ويجلس الزقاق بازاء القبلة وانا مستقبل الى ان نصبح ونصلي الفجر بوضوء العتمة فاذا وقع معنا
انسان ينام كنا نرى انه افضلنا وكان الكتاني يقول العبد ان يكون كل ليلة ضيف مسجد وان لا يبيت
في مكان مرتين ولا يتوقف الا بمقدار لبثين وكان سعيد بن المسيب يسافر الايام في طلب الحديث واحد
وكان يفسر قوله تعالى السائحون قال هم المسافرون في طلب العلم وفي الحديث من خرج من بيته في
طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع وكان عبد الله المغربي يسافر ابدا مع اصحابه محرما فكان اذا تحلل من
احرام احرم ثانيا ولم يتسخ له ثوب ولا طال له ظفر ولا شعر وكان يمشي باصول النبات وقيل له في طول
هذه الاسفار فقال اريد مشاهد لعلي اجد شاهدا واسانا من بابا وان لم يغنني عن نظره وانشد

وقد زعموا ان المحب اذا دنا ۞ افاق وان النأي يشفي من الوجد

بكل

بكل تداوينا فلم يشف ما بنا ۞ على ان قرب الدار خير من البعد

وكان السري يقول للصوفية اذا خرج الشتاء فقد خرج ادار واورقت الاشجار وطاب الاسفار وكان بشر الحافي
يقول يا معشر القراء سيحوا تطيبوا فان الماء اذا طال مقامه افسد وتغير وكان بعض ايات الله في افق العلى
كما قال وفي انفسكم افلا تبصرون فبعض الاسر في اقطار البلاد كما قال وفي الارض ايات للموقنين ومنهم
في الصحف البلاد بلاد الله والخلق عباد الله فحيث ما وجدت رفقا فقم واحمد الله وتمتع بنعمه ويتردد في
اياته فمن جعلت له الامر في نفسه وقف عليها ولم يبرح عجزها فاصر وتبصر ومن جعلت له الايات في الافاق
تردد في اقطار الارض ذات الطول والعرض فرب بمسيره وسرى كما قال الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا
فيها وقال سيروا في الارض فانظروا وقال وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل افلا تعقلون وقال وكاين
من اية في السموات والارض يمرون عليها وقال وهو الذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها
امر بالمشي في مناكبها اطرافها والرقوع في اكلاء الرافة وفي بعض الاثار ان الله يوكل بالمسافرين ملائكة تنظر
الى مقاصدهم فيعطي كل واحد على قدر نيته فمن كانت نيته طلب الاخرة واهلها اعطي من البصيرة في الفطنة
وفتح له من التذكرة والعبرة بقدر نيته وجمع له همه وكفاه له بالقناعة والزهد ما اهمه وداهمه ودعى له
الملائكة بالحجز والمغفرة وهذه النية تختلف باختلافهم فمنهم من همته في سفره طلب العلم ومنهم من يسافر
للقي الصالحين والالتقاء مع رجال الدين وخاصة في سفر الحج فانه يتوجه الى الله ويهاجر الى بيت الله ومنهم
من يخرج عن الاوطان بعينه ليفارق الناس والرسوم الدنياوية والحظوظ النفسانية ومنهم من يريد
الفرار عن الالف والصدود عن الحنين فيشاء الهيمة على طول العهد

کم سفری کم نگاداشابد ۞ بانده کم عشق تو بامن یابد

ای جان وجهان عشق توره هر منزل ۞ بیتی شد بانده وما بی یابد

ومنهم من يريد التوحيد الذاتي حتى يحوزي بعينه ويطمئن قلبه فتستوي عنده الاماكن والاقوام قال الثوري
هذا زمان سوء لا يؤمن فيه على الخامل فكيف بالمشهورين هذا زمان رجل ينتقل من بلد الى بلد كلما عرف
في موضع تحول الى موضع ومنهم من يخرج لطلب الخمول ايثارا للتقلل وتعليل الطمع بالقوت كما يحكى ان داود الطائي
خرج من الكوفة الى البصرة ودخل الاسماعيلية فاقام بها سبعة عشر يوما ورجع حالا لابن هزمي الزمان رجح الى ذا
انتهى مسه اكل السموسة فذلك الحيلة وذكر ابو نعيم قال رايت الثوري وقد وضع جرابه على ظهره فقلت الى اين يا ابا عبد
الله فقال بلغني عن قرية فيها رخص فاريد ان اقيم بها فقلت وتفعل هذا يا ابا عبد الله قال نعم اذا
بلغك عن قرية فيها رخص فاقم بها فانه اسلم لدينك واقل لهمك ومنهم من يسافر الى الثغور للجهاد والرباط
ومنهم من يسافر لزيارة قبور الصحابة وزيارة الاخيار من عباد الله وفي الحديث ان رجلا زار اخا له في قرية
اخرى فارصد الله له على مدرجته ملكا فقال اين تريد فقال اخ لي في هذه القرية ازوره فقال اهل ذلك

رحم نفسك بها قال لا قال اوليس عليك نعمة تربها قال لا الا اني احببته في الله فقال فاني رسول الله اليك بان الله يحبك بما احببته فيه
وتخرج بالمغفرة وربما يقصد بسفره احد المساجد الثلاثة المندوب الى زيارتها المسجد الحرام ومسجد الرسول
صلى الله عليه وسلم ومسجد بيت المقدس ويتبارى بان يصلي في جميعها في سنة واحدة قيل سوي على الله
المغفرة جاء ذلك في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذه موارد اسفارهم وهم في جميع الاسفار
لهم مع الله قطع العلائق بطريقهم فيه صدق التوكل وزادهم خالص التقوى ورفيقهم الصبر على البلاء والرضا بالقضاء
على سائر القضايا يتقلبون من التوكل في يد الوكيل كيف شاء فالتوكل هو الرضا بامر الوكيل والصبر هو
التعرض على الوارد الصبور والتسليم هو الرضا بحكم الحاكم قال الله تعالى الذين صبروا وعلى
ربهم يتوكلون وقال الحكم الاول الاية عليه توكلت وقال ابو محمد الجريري كان الرحل في الغربة ليذل
نفسه والصحبة ليتحلى باخلاق الرجال والغفلة ليجرب وقال ابراهيم بن الخواص السياحة بالنفس لادراك الحظوظ
علما وعملا وخلقا والسياحة بالقلب لادراك البواطن حالا ووجدا وكشفا وكان يقول لنفسك سائر
وقلبك طائر فكن مع اعلامها وحد الا وقال ذو النون سافرت سفرة فجئت بعلم يقبله الخاص والعام ثم
سافرت الثانية فجئت بعلم يعرفه الخاص وينكره العام ثم سافرت الثالثة فجئت بعلم لا يقبله العام ولا الخاص
وصرت به وحيدا شريدا طريدا ۞ وحيد من الخلان في كل بلدة ۞ اذا عظم المطلوب قل المساعد
متى يشتفي من لاعج الوجد في الحشا ۞ محب لها في قربها متباعد ۞
ابو الفتح الدمشقي قال سمعت ابا عمر الدمشقي يقول الرجل يوصيه في سفره يا اخي لا تصحب غير اهله فانه
يكفيك المهمات ويدل عليك السياحة لا نفاذ قلب في خطوة من الخطوات ان كان رايك في العقول
فان اخي في العقول او كان رايك في الرجال فانه اخي في الرجال ۞
او كنت قاطنا لقيت وان سفرت لغيري مثلي ۞ كالنجم يهتدي في البر والانزول الذي النزول ۞
وسئل رويم عن ادب المسافر قال لا يجاوز همه قدمه وحيث ما وقف قلبه وهكذا كان يقول المرتعش وقدم
شاب على ابي علي الروذباري فلما اراد الخروج قال يقول الشيخ شيئا فقال يا فتى كانوا لا يجتمعون على موعد
ولا يفترقون عن مشورة وقال ابو يعقوب السوسي يحتاج المسافر الى اربعة اشياء في سفره علم يسوسه
وخلق يصونه وورع يحجزه ووجد يحمله وقيل روح القلب باربعة دوام السفر وصفاء المطعم وقلة
الاثام واسباغ الوضوء وارادوا في سفرا فقال له صاحبه ان لكل رفقة كلبا فلا تكونوا كلب الرفقة وفضلة
الزاد وبهيمة ومتى قدرت ان لا تكون كلب رفقتك فافعل واياك وتاخير الصلوة عن وقتها
فان تصليها لا محالة فصلها وهي تقبل منك فقال رجل لابي اني اردت سفرا ولكن ينبغي منه لنه
ليس عندي شيء فقال لا يمنعك العدم من سفرك واخرج لقصدك فان لم يعطك ما لغيرك اعطك
مالك ولما انتحى الخواص ببعض ونشا به من اخوانه فوجد على الله يحبون الى السفر

فاخبره

فاخبره انه عزم على سفر الحج فودعه فلما انصرف ترتب بعد يومين فوجده غير راحل فدخل عليه وسأله فقال
خفت افات الطريق ووعثاء السفر على كبر السن فاسمعه عرضا فانشده ۞
اقام من السير وقد انحت ۞ ركائبه وعز لها دباها ۞
وقال الخائف غادية الليالي ۞ على نفسي وان تلقي رداها ۞
فقلت له عزمت عليك الا ۞ بلغت من العزيمة منتهاها ۞
فمن كتبت منيته بارض ۞ فليس يموت في ارض سواها ۞
فارتجع على السير فحج ورجع سالما وكان ابراهيم الخواص يقول كن فارغ القلب طيبا ومن حيث ثبت
وكان لا يقيم ببلدة اكثر من اربعين يوما ويرى ان ذلك علة في توكله فيعمل في اختيار نفسه او استنباط
ماله وحكي عنه بعض اصحابه قال لبثت في البادية احد عشر يوما لم اطعم شيئا وتطلعت
نفسي ان تاكل من حشيش البادية فرايت الخضر مقبلا نحوي فهربت منه فكلما وليت عنه هاربا
التفت اليه فاذا هو قد رجع عني فانظر الى ولي الله تعالى الحكمة بعينه على توكلي فقيل له لم هربت منه
قال اشرفت نفسي ان تعيني وقال بعض المشايخ من اهل القلوب ان بعض الفرق ما بين سكون القلب الى الوطن
والسفر وبين سكون النفس اليهما فان ذلك قد يلتبس ويحسب من لا بصيرة له ولا صدق في احواله ان
سكون النفس هو سكون القلب فيقصد بذلك من حيث يظن انه يريد ويسقط من حيث يحسب انه
يستقيم فان كان قلبه يسكن الى احدهما وفيه صحة دنياه وعمارة اخرته ورضا ربه فهذا سكون
القلب لانه سكن الى الحلال والايمان وان كانت نفسه تسكن الى احدهما وتقاضيه عاجل حظوظه
وعمارة دنياه وموافقة هواه فهذا سكون نفس مايلة الى الهوى نازعة الى اللذة فليتحول من الوطن
الى الغربة وليرجع من الغربة الى المصر ومن كان في سفره على غرض نال الغرض من النفقة حالة
وحمل القيام باحكامه فهو على هوى وفتنة وسفره بلاء عليه ومحنة والحاصل ان من لم يكن له في
سفره حال يبقله وهم يجمعه ووقت يحبه ومأوى يظله وسكون يربيه وزاد من باطنه وعلم من
حالته فان الاقامة اوفق لحاله واصلح لبابه واسكن لنفسه لانه في السفر متشتت الامر متفرق
الهموم مختلف الاهواء مستفاد لذات يترنح نفسه تارة الى وجود معلوم يخاف طلبه وتارة يفقد
معتاد يحن اليه واحيانا يتوقع امرا يطمع فيه فكلما اراد ان يجمع عنه عن الاستقامة الى نفسه من
رائع الهوى من بين ما هم ان يستوي على سواء التوكل في سفره رده ضعف النفس الى حضره ومن لم
حاله في الحضارة لم يستقم قلبه في البداوة لا يستطيعون نصر انفسهم ولا هم منا يصحبون وقال بعض الحكماء
القلب في الاسفار والتوسط في المجالس والتعرف في الصناعة واستماع فنون الاهواء العجائب يولد للانسان
بصيرة وحكمة وتجربة ويقظة ومعرفة وعلما فيقبل بها البصيرة فاجاب لحظ النفس الاهوى ولحكمة سلوع

الفاصية في ذلك الخطأ والحرية كشف الغطاء عن الامر والمعرفة بتحصيل ما يتهذب به حسن العقل والعلم
كمال النفس محاسن مالنا وحدثنا ابو عبد الله الرازي قال خرجت من طرسوس حافيا وكان معي رفيق فدخلنا
الشام فجاءني فقير بحذاء فامتنعت من قبوله فقال في ايش هذا فقد عمت فانه فتح علي هذا النعل
بسببي فقد نزعت نعلي لمواصلة العز عليه لحق الصحبة وكتب بعضهم الى اخ له ... وخلع حملنا وكنا
الامس سافرين ... ولذلك لا المقام يحب هو منتقل عنه لا محالة والسلام

بالله قل لي لسيف عز معتبة ✿ ماذا اردت بطول المكث في يمن
ان كنت حاولت دنيا او ظفرت بها ✿ فما اخذت بترك الحج من ثمن

وقيل انما سمي السفر سفرا لانه يسفر عن اخلاق الرجال قال عمر بن الخطاب رضه لتميم بن نويرة
قد اكثرت في اخيك مالك وما الذي ... به ضعف في بعض خلاله فقال كان يصبح في ليالي وحده
في الليلة الصبر على البعير الفلوت تقود للفرس الجموح ... الرمح الاصم بين المزادتين النضوحين فيصبح
ضاحكا متهللا ... وان صخرا لمولانا وسيدنا ✿ وان صخرا اذا نشتو لنحار
... وان صخرا لتأتم الهداة به ✿ كانه علم في راسه نار ... ويروى ان عمر قال للرجل الذي زكى عنده رجلا
ليقبل شهادته هل صحبته في السفر الذي يستدل به على مكارم الاخلاق فقال لا فقال ما اراك تعرفه
وحدثنا ابو بكر محمد بن اللطفة قال صحبت في بعض اسفاري علي علامة في استصحبته في خدمتي وضرب
الطيب فانشدني ✿ اكرم رفيقك حتى ينقضي السفر ✿ ان الذي انت مولاه سيشتهر

ولا تكن كلئام اظهروا فجروا ✿ ان اللئام اذا ما سافروا فجروا
وقال الشاعر في السير والسفر ✿ ماذا يريد الليل من اهواله ✿ انا ابن عم الليل وابن خاله
اذا ادجى دخلت في سرباله ✿ لا كالذي يفرق من خياله
يا ويح قلبي لا يزال يروعه ✿ ممن يعز عليه وشك فراق
متقاذف البلدان بي فكانني ✿ ولد لابن مساحة الآفاق
وطول مقام المرء في الحي مخلق ✿ لديباجتيه فاغترب تتجدد
الم تر ان الشمس زيدت محبة ✿ الى الناس اذ ليست عليهم بسرمد
اذري بقدري ان تراك ملكتني ✿ والشمس ... بعينك ... ذي
ولو انني من غير ارضكم لم يكن ✿ احد يوازيني لديك كما ارى
لكن سهم القرب خاط طائش ✿ ولقد ... الا المجرا
وكذاك عود الهند في بلدانه ✿ حطب الوقود يباع ويشترى
وعسى اذا لبث عنك برحلة ✿ ... حظيت منك موقرا

فالبحر يصعد قطرة من مزنه ✿ ويعود حين يعود فيه جوهرا
ما للعليل وللمعالي انما ✿ يسعى اليهن الذوب الفاد د
كالشمس في افق السماء مجوبها ✿ وابو البنات النعش فيها راكد

المجلس التاسع والستون من كتاب خلق الانسان تفسير قول الله عز وجل وفي انفسكم افلا تبصرون يتضمن الكلام في احوال الانس على لسان الصوفية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المحمود بكل لسان المأمول لكل احسان ... بالاشباع ... الارواح ... بكل
يوم نوالا ... يرسل السماء على الارض مدرارا ويجري من الجبال عيونا وانهارا ...
كل موجود ... عن حكمته بلسان شهادته اعتبارا ... سلطانه النواصي ... على الاداني والاقاصي
ثم رزقه كل عام وخاص ووسع ... كل مطيع وعاص ابدع العالم على غير مثال ... جلاله
عن ادراك الخواطر ... الانوار ... الابصار
يشرح بمعرفته صدور الاولياء ويشرح ... الاصفياء لا يحد ... حسبان ولا يعد ...
بنان ولا يتغير ... ولا يحول ... ولا يزول ولا يحتاج في عزه الى الاستعضاد
والاستنجاد ولا يفتقر في ملكه الى الاستعانة والاستمداد ولا يحتاج في حوله الى الاعتضاد والاستزادة ولا نظير على
امره باحتفال واحتشاد احمده على ما انشأ ... واشكره فيما نفع ... واصلي على رسوله المبعوث الى
العرب والعجم المصطفى المختار على النبيين ... الطيبين ... الاقربين اصول عبارات القوم

الوقت

في الاحوال الخاصة بهم لا تخرج عن معان معدودة منها الوقت وله اربعة اوصاف احدها ما اشار به ان
كنت بالعتبى وقتك الدنيا وان كنت بالعقبى فوقتك العقبى وان كنت بالزهد فوقتك الزهد وان كنت بالحزن
فوقتك الحزن ... بالرجاء والخوف والشوق والمحبة والصحبة والخلوة ونحوها حتى لو كنت في الصحو فوقتك
... وان كنت في المحو فوقتك احكام الحقيقة وحتى ان من لم يعرف الوقت ... على ... الباب ومن عرف
... لم يكن له ... والليل ... غدا ... وفات الزيادة عارف
فارجعي الى السلام عليكم ✿ ادخل ... ادخل ولم ... لاقف
والثاني ان الوقت هو الحاضر بين الماضي والغابر فقالوا ان الصوفي ابن وقته اي تابع حاله حتى قالوا
الاشتغال بوقت ماض تضييع لوقت آت وقالوا الصوفي لا يهمه ما مضى وقته وآتيه بل يهمه الوقت الذي
هو فيه وانشد ✿ امر عيدات منه في لبس ✿ وامس قد بان فالهم عن امس
وانما العيش عيش وقتك ذا ✿ فهات كالشمس راسه الشمس
والثالث ان الوقت ما يملكه التقدير عليهم دون ... فقالوا انه يحكم الوقت ...

ويحتاج الى ما تحتج الجريري فيل الشبلي على ما ذا اصبح اصحاب الوقت فقال على ما جرى لهم في الغيب حين الغيبة في الحضرة على الحجة وانشد سقيا لمعهدك الذي لو لم يكن ما كان قلبي للصبا بمعهد
والرابع ان الوقت ما سلم عن دليل وعارض غير باق وقاطع عنه آنيت وسالم عن تعريم والمائدة من غير دوم
سئل ابو بكر الواسطي عن الذي يرجع في وقت التملي ما هو ومن اين هو فقال بروق تلمع ثم تخمد
وانوار تلوح ثم تخفى ما احلاها لو بقيت مع صاحبها طرفة عين ثم انشد
خطرت في النوم منها خطرة خطرة البرق بدا ثم اضمحل
اي زور لك لو قصدا سرى وملم بك لو حقا فعل
وكتب الطائع لله الى المهلبي الوزير غني لنا بهذا البيت فاخبرنا بمثله
ادرنا على القصف حاناتها وسقنا ما بين حاناتها وعلل النفس ولو ساعة فانما الدنيا بساعاتها
وعلى هذا ام تكلم من سلطان الوقت فالوقت له وقت ومن تاكده فالوقت عليه مقت وقالوا الوقت سيف
وانشد وكالسيف ان لا ينته لان متنه وحداه ان خاشنته خشنان

ومنها الحال وهي ايضا على اربعة وجوه ما يرد من غير تعمل وتعمد واكتساب واجتلاب ويختلف ذلك
في الشخص كالبسط والقبض والصحو والمحو ونحوها وما يرد بمحاولة ومزاولة ويختلف في النوع كحال من
يلزم التوكل والآخر الصبر والآخر الخلوة والآخر الصحبة والآخر الرجا والآخر الخوف فيدوم عليهما
عمره ويلزم منها دهره دخل الواسطي نيسابور وسال اصحاب ابي عثمان بماذا كان يامركم شيخكم قالوا بالتزام
الطاعة ورؤية التقصير فيها فقال امركم بالمجوسية المحضة هلا امركم بالغيبة عنها برؤية منشيها ومجريها
والثالث حال يطول الزوال كما قال ابو عثمان الحيري منذ اربعين سنة ما اقامني الله في حال فكرهته يعني
دوام الرضا حتى يصير شيئا له لا يفارقه والرابع حال يطلب الزوال عن لوائح لا يدوم لها حال الا ريثما
يتبعها زوال وبوادره لا يرى ضرها فيها الا وسلم بها ذو بقي وعلى هذا سئل ذو النون عن العارف فقال كان
هاهنا فبان وقيل الاحوال كالبروق فان بقي فحديث النفس ومن هذا سمي حالا لانها كما تحل تحول
وكا سمى لتزول قالت لو لم تحل ما سميت حالا وكل ما حال فقد زالا
انظر الى الفي الى ما انتهى يأخذ في النقص اذا ما طالا

ومن ذلك القبض والبسط والخوف والرجا وهي اربعة اوصاف متناسبة متفاوتة متعاقبة على العارف
قال الجنيد الخوف يقبضني والرجا يبسطني والحقيقة تجمعني والحق يفرقني اذا قبضني بالخوف افناني
عني واذا بسطني بالرجا ردني علي واذا جمعني بالحقيقة احضرني واذا فرقني بالحق اشهدني غيري فغطاني
عنه فهو في ذلك كله محركي غير ممسكي وموحشي غير مؤنسي فلست افنى بحضوري فيفنيني او يغيبني عني فيروحني
وقد يختلف موارد القبض والبسط على اربعة اوصاف فمن وارد غير مستوف يوجب قبضا ولكن في صاحبه

مساع للاشياء الاخر ومن مفوض لا ساع لغير وارده فيه لانه ماخوذ عنه بوارده الغالب عليه ومن مبسوط
يسع الخلق ولا يستوحش منه احد لانه ترفيه في الحق ولا يمسه شيء كما يحكى انه دخل بعضهم على ابي بكر القحطبي وكان
مرة على ابن له ينعالى ما اشتغل الساتان من اصحاب الهوى والقرحة وساد من الغلمان وسعاد له الغلمان
ورق قلبه للقحطبي وقال مسكين هذا الشيخ كيف ابتلي بعقالناه هذا فلما دخل عليه وجده كان شيئا لاحس عنده
باحد من المعارف فلا يحي تعجب وقال هو يث من لا يؤثر فيه الجبال الرواسي فقال القحطبي انا اخرنا عن رق
الاشياء ومن ذلك الوجد وهو ايضا على اربع مراتب لسقة عدا ومضرب باختيار ويسمونه التواجد لانه لم
يبلغ مبلغ الكمال وكلفته منه لانه يرصد لوجدان هذه المعاني وكان الثوري في مجلس سماع وتواجد المشايخ
من ابناء فمكن ويتوقر فقيل له في ذلك فقال انا طلعت معاني الذي اتواجد فيه فقالوا وما مقامك في
ما اهل الله فقال الحمد لله الاشارة دون الايضاح والكناية دون الافصاح ثم انشد

رب ورقاء هتوف بالضحى ذات شجو صدحت في فنن
ذكرت الفا ودهرا صالحا فبكت حزنا فهاجت حزني
فبكائي ربما ارقها وبكاها ربما ارقني
واذا انا اشتكي اسعدها واذا ابدا اقا تسعدني
ولقد اشكو فما افهمها ولقد تشكو فما تفهمني
غير اني بالجوى اعرفها وهي ايضا بالجوى تعرفني

وعن الشبلي انه تواجد يوما في مجلسه فقال آه ليس يدري ما بقلبي سواه فقيل له آه اي شيء فقال
كل شيء وذكر عنه ايضا انه تواجد يوما فضرب يده على الحائط حتى اشتكاها فحمله الى بعض الاطباء
فلما اتاه قال للطبيب ويلك باي شيء تعالجني قال بحبات المالح فلطمه الشبلي لطمة وطرده فجاء في
بطبيب آخر الطف منه فقال ويلك باي شيء تعالجني قال بما اهديت فاعطاه يده فلطمها وهو
يقول الا ابرح الدنيا الحيمل اعلمها انا ونتواجد ونزع يده وهو يقول
انبئت عبادكم قرحة على كبدي بت من حبكم كالاسير في الصفد
ومنها ما يرد على القلب بلا عمل ولا تعمد وهو الوجد الصادق ويعرف بوروده الصادق وهو متواردة
في كتاب الله كقوله ووجدوا ما عملوا حاضرا وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله حتى اذا جاءه لم
يجده شيئا فهي بجميع المصادفة وهذا الوجد الذي يصادفه الواجد من نتائج صفاء الباطن كما ان
الطاعة من نتائج صفاء الظاهر وذكر عيسى القصار قال رايت الحسين بن منصور الحلاج حين اخرج من الحبس
ليقتل فكان آخر كلام تكلم به ان قال حسب الواجد افراد الواحد فما سمع احد من المشايخ الذين كانوا ببغداد
الا استحسنوا منه هذه الكلمة وقال عمرو بن عثمان المكي لا يقع على كيفية الوجد عبارة ولا يفهمها اشارة

لا تفنى أسرار الله عند المؤمنين يحصر عنه ألسنة الواصفين وتطيح دونه أفئدة العارفين

الحب أخلقني والهجر أنساني   والبين أقلقني والصد أبكاني
والوجد أمرضني والشوق أنطقني   والبعد أمرضني والقرب أبلاني

أنكرت صحبي وأنتي ثم أعرفني من حيرة الحب   البين وجدي وفرط شوقي   وطول سقمي يشهد حيث

ومنها الوجود وهو غاية الوجد ولا يكون وجود الحق إلا بعد خمود البشرية والشهود إذ لا بقاء للصفات عند ظهور سلطان الذات وحال هذا الوجود بين الصحو والمحو قال النوري أنا منذ عشرين سنة بين الوجد والفقد إذا وجدت ربي فقدت قلبي وإذا وجدت قلبي فقدت ربي وقيل لبعضهم عند النزع كيف تجد قلبك فقال منذ ثلثين سنة فقدت قلبي وأنشد

أمر مجنبا عن بيت ليلى   ولا أرنيه وبه الغليل
أمر مجانبا وهواي فيه   وطرفي عنه منكسر كليل
وقلبي فيه مشتغل فكل الى قلبي وقالت له سبيل

وقال أبو سعيد الذي يحجب عن الوجود وفيه آثار النفس والتعلق بالعلائق والأسباب لأن النفوس ظاهرة وأوصافها والحواس الظاهرة شاغلة عن إضاءة الأنوار فإذا انقطعت وخلص القلب وصفا وباشر روح الأنس وحل من المناجاة في مكان مكين وسمع الخطاب بأذن واعية وحضر الحبيب بقلب شاهد حاضر فجاءه ما كان فيه غائبا وحضر بما كان غائبا فذلك هو الوجود

لئن حالت الأحوال دون لقائنا   فنحن بعين الفكر ملتقيان
تصورته في قلبي لفرط صبابتي   كأنك لي نصب بكل مكان
أما والذي لو شاء لم يخلق النوى   لئن غبت عن عيني لما غبت عن قلبي
يخيلك الوجد حتى كأنني   أناجيك عن قرب وإن لم تكن قربي

ثم إذا ارتقت هذه الحالة إلى أعلى غاياتها وانتهت نهاية نهاياتها وهي المرتبة الرابعة استهلك العبد عن نفسه بالكلية وكان كمن جمع البحر في ركب البحر وغرق في البحر فمن بعد فقد المقصود وورود وجود ثم خمود وبعد المقصود المورود وبعد الورود الوجود وبعد الوجود الخمود فإذا بلغ العبد هذا المبلغ لا تختلف عليه الأحوال بعد ذلك ويجل أمره عن التغير والتأثر ويصير محققا في وجود العين كما حكى رسول الله صلى الله عليه فيما أخبر عن الله وبي يسمع وبي يبصر وكان الشبلي يقول حقيقته لا محو آثار الهموم والعلوم فليس حقيقة وكان يقول الحق يفني بما به يبقي ويبقي بما به يفني ويوجد بما به الفناء ويعدم بما منه البقاء فإذا أفنى عبدا عنه وصله به وأشرفه على أسراره فقيل في حق فان وبعيد دان وأنشد على أثره

لها في طرفها لحظات سحر   يميت بها ويحيي من يريد
وتسبي العالمين بمقلتيها   كأن العالمين لها عبيد
إلا حظها فأعلم ما أرادت   فتلحظني وتعلم ما أريد

اذا استمعت

إذا استمعت فيك بلحظ طرفي   حياء مني وبان عليك ضعفي
ملأت مقلتي وتذوب جسمي   وعيني منك مغرورق بحتفي
فلو أبصرتني والليل داج   وخدي قد توسد بطن كفي
ودمعي يستهل من المآقي   إذا أرات نائي بعد وصفي

الجمع والفرق

ومن ذلك الجمع والفرق وله أربعة معان أيضا أحدها أن الفرق ما نسب إليك والجمع ما سلب عنك فالأمر المجموع للمتفرقات والفرق تفرقة المجموع فإذا جمعت قلت الله ولا سواه وإذا فرقت نظرت إلى الأكوان والثاني أن الفرق شهود أحوال العبد في العبادة والجمع شهود ألطاف الرب في المعونة والتوفيق فقوله تعالى إياك نعبد إشارة إلى الفرق وقوله وإياك نستعين إشارة إلى الجمع قال الجنيد إذا نظرت إلى نفسك فرقت وإذا نظرت إلى ربك جمعت والثالث جمع الجمع وهو الاستلاب بشهود الحق عن شهود الخلق وقيل الجمع عين اليقين والتفرقة علم اليقين وجمع الجمع حق اليقين فعلم اليقين أحكام الإسلام وما كان بشرط البرهان وعين اليقين ما كان بحكم البيان وحق اليقين ما كان بنعت العيان من حقائق الإيمان فعلم اليقين يقع فيه اضطراب واختلاف وعين اليقين عن موافقة وسكون وحق اليقين فناء واستغراق فإذا انفرد علم اليقين عن عين اليقين وقعت فيه الشبهات وإذا انضم إليه عين اليقين ظهرت البينات وإذا انضما إلى حق اليقين انتهى صاحبه إلى أعلى الدرجات وأما الرابع فهو الفرق الثاني عن الجمع الثالث وهو رد إلى شهود الحال بالثبات لا ولا عند أوقات أداء الفرائض رجوعا بالله لا للعبد بالعبد وأنشد الجنيد

وتحققتك في سري فناجاك لساني   فاجتمعنا لمعان وافترقنا لمعاني
إن يكن غيبك التعظيم عن لحظ عياني   فلقد صيرك الوجد من الأحشاء داني

الفناء والبقاء

ومن ذلك الفناء والبقاء وهو على أربعة معان أيضا أحدها سقوط الأوصاف المذمومة وقيام الأوصاف المحمودة فلا يخلو العبد من أحدهما بوجود الآخر فإنه متى فني عن شهوته بقي بإخلاصه في عبوديته والثاني الغيبة عن الأشياء لا عنها ولا آثارها فيفنى عن الخلق ويبقى بالحق والثالث فناء بعض الأوصاف ببعضها قال الله تعالى فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن لما وجدن عند لقاء يوسف ألم قطع الأيدي وهم موجود ووجدن حالا أخرى غير موجود حتى قلن ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم ولم يكن ملكا والرابع فناء عن شهود فنائه عند استهلاكه في وجود الحق فيظهر له البقاء الحق وعن ذلك الفناء الحقيقي في زهر أنوار وسطوع نار ويخضل يوم ذوائبها سابطا ويخضر في روض المسرة عوده ناضرا

وعيد ثابر ليس بعيد بعيده   وعيد جديد لا يزال جديد
سقى الله أياما تعمنا بطيبها   وصال وقرب دائم وشهود
سلام عليها الاسلام مودع   ولكن سلام لا يزال يزيد

الغيبة والحضور

ومن ذلك الغيبة والحضور وكلاهما ايضا على اربع مراتب غيبة عما يجري من احوال الخلق لوارد خوفا ورجاء
من تفكر ثواب او عقاب كما يروى ان علي بن الحسين رض كان في سجوده فوقع حريق في داره فلم ينصرف عن صلوته
فسئل عن حاله فقال الهتني النار الكبرى عن هذه النار وغيبة عن تصور سلطان الحقيقة بجلاله
لعدم الطاقة واحتماله كما يحكى ان رجلا او فتى من احياء العرب فاضافه شاب فغشى الشاب في خدمته
اذ غشى عليه فسأل الفقير عن حاله فقال بنية قد علقها فسمع حديثه وحرس حركته فغشى عليه فغشى
الضيف الى باب الخيمة فقال ان العرب فيكم حرمة وذمة وقد جئت اليكم مستشفعا في امر هذا الشاب الهالك
الحريص فقال المرأة انت سليم القلب لا يطيق شهود غبار ذيلها فكيف يطيق تحقيق وغيبة عن رؤية سلطان
الحقيقة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي حتى استغفر الله في اليوم سبعين مرة والغين الغيم و
الاستغفار طلب الستر والغفر الستر ومنه المغفر والغفيرة فكانه يطلب الستر والشدة على القلب عند تجلي سلطان
الحقيقة بمقدار ما يؤول اليه النفس فلا يقاسي دوام التجلي وفي الخبر حجابه النور لو كشف عن وجهه لاحرقت
سبحات وجهه ما ادركه بصره وغيبة عن احساسه بمعنى يكاشف به من الحق وكان الجنيد عند امرأته
فدخل الشبلي فارادت ان تستتر فقال لا خبر للشبلي عنك فاقعدي فلم يزل يكلم الجنيد فبكى الشبلي فقال اخذ
من البكاء قال الجنيد استتري واما الحضور فهو ايضا على اربعة اوجه حضور القلب للرب باستدامة الذكر
والاقبال على الفكر والاعراض عن امور الدنيا وحضور بالحق اذا غاب عن الخلق بالغيبة عن اعراض النفس كما يحكى
ان ذا النون بعث رجلا من اصحابه الى ابي يزيد لينقل اليه صفته فورد بسطام ودخل عليه فقال ابو يزيد
ما تريد فقال اريد ابا يزيد فقال من ابو يزيد واين ابو يزيد انا في طلب ابي يزيد فخرج الرجل وقال هذا مجنون
فرجع الى ذي النون فاخبره بما شهد فبكى وقال ذهب اخي ابو يزيد في الذاهبين الى الله وحضور القلب
بنعت البيان غير محتاج الى تأمل الدليل وطلب السبيل فيكون مسوقا بصفاته غير متطلب اياته
ليلي بوجهك مشرق ‖ وظلامه في الناس سار ‖ والناس في سدف الظلام ‖ ونحن في ضوء النهار
وحضور بمشاهدة الذات والغيبة عن جميع الصفات عند توالي انوار التجلي وتوالي بروق لا ينقطع اخرها
عن اولها كما يطلع الصباح على المصباح فيصير المصباح مطفأ او يصير شهابا

فلما استبان الصبح ادرج ضوؤه ‖ بانواره انوار ضوء الكواكب

يجرعهم كأسا لو ابتليت اللظى ‖ بتجريعه طارت كأسرع ذاهب

اللوائح

ومن ذلك اللوائح وهي ايضا اربع درجات طوالع ولوامع وبواده وهواجم فاللوائح قريبة الا انها كالبرق
كلما لمع انقطع وكما قال بان لاصحين ولا ازار فنا حتى قلنا اللقاء ‖ كان تسليمه علي وداعا
رصد الخلوة حتى امكنت ‖ ورعى السامر حتى هجعا ‖ كابد الاهوال في زورته ‖ ثم ما سلم حتى ودعا
والطوالع كشف يتجلى اذا انقشع سحاب حظ النفس وهي اتم منها بقاء واقوى سلطانا الا انها تبقى مدة وان تغرب

انواره بقيت اثاره فصاحبه بعد سكون غليانه يعيش في ضيائه بركاته الى ان يطلع ثانيا فهو يرتجي الوقت على
انتظار عوده ويعيش على انتظار عوده: بابي غائبا ابرز ايه وكتابه ‖ هل يرتجى من غيبتك اياب

لولا التعلل بالرجاء تقطعت ‖ نفس عليك شعارها الاوصاب

لئن طرقت الحي الجانبين ثانيا ‖ فلك مني نفس طويل هيامها

نظرت الى طرائف قبل ليلى ‖ هنالك واين ليلى من طراف

البواده

والبواده ما يفجأ من الغيب بسبب من فرح او ترح او يجدد من الهم بنظر او فكر فيدهش صاحبه ما دام مستبقية
زمانه ما امتد لمعانه: احن على برق اراك وميضه ‖ فيحيي دجنات الظلام لوامعه

اذا اكتحلت عينا محب بضوئه ‖ تجافت به حتى الصباح مضاجعه

فقدت له ذاتا لعشاء انسيمه ‖ وانظر من اين استقلت مطالعه

وبات وسنا دي شاهد قبل نجمه ‖ من الغطا حتى كاد يبدو واشاجعه

الهواجم

والهواجم ما يرد على القلب بقوة الوقت من غير ترصد ويصنع ويختلف ذلك بحسب اختلاف الاحوال الا ان غير
البواده صرف الهواجم فهي بين هذه وهذه كما قيل: والليل يشملنا بفاضل برده ‖ والصبح يحفينا رداء معلما

لا ذا بحق طلبا ولا ذا بالهوى صبرا فقد تعبت في امركما ود

كالليل يطلبه النهار بضوئه ‖ فظلامه بضيائه مطرود

بتنا بانعم عيشة حتى بدا ‖ صبح تلوح كالاغر الاشهب

فتلازمنا عند العناق بثوبه ‖ اخذ النعيم بفضل ثوب المعتد

وعلى علاقك لابن عم محمد ‖ رصدان ضوء الصبح والاظلام

فاذا تنبه رعته واذا هدا ‖ سلت عليه سيوفك الاحلام

فهو بين هذا وهذا ما دام سائر العشق او المحبة ودائر العليه كؤس الوجد والشوق حتى يطلع القلب
في ربيع المعرفة فحينئذ يسكن الجاش فلا يجد ما صاحبه الاحوال ولا تترق اليه الاوهام

ما زلت انزل من ودادك منزلا ‖ تتحير الالباب دون نزوله

لا تتهدي نوب الزمان اليهم ‖ ولهم على الخطب الجليل زمام

الصحو والسكر

فان قد وصلت الى مكان عليه تحمد الحدق القلوب؛ ومن ذلك الصحو والسكر وهي ايضا اربع درجات
فقد يكون صاحبه مسبوقا غير مستوفى في سكره فيكون للاحساس فيه مساغ وقد يعتري سكره فيزيد عن
الغيبة عن الاشياء وقد يكون سكر بنعت جمال الباقي لا امتناع دون الكون ويكون للارواح لا للنفوس

فاسكر القوم دور كأس ‖ وكان سكري من المدير

لي نشوتان وللندمان واحدة ‖ شيء خصصت به من بينهم وحدي

وقد يكون سكر بلا صحو وكاس بلا صب وشراب بلا نفاد

انما الكاس رضاع بيننا ❊ فاذا لم نذقها لم نعش

شربنا الحب كاسا بعد كاس ❊ فما نفد الشراب ولا رويت

مجلس صبين محبين لبسا من الحب تخلوين ❊ قد صير وار وحيهما واحدا ❊ واقتسماه بين جسمين ❊ تنازعا كاسا على صبوح ❊ قد مزجاها بين دمعين ❊ والكاس لا يحسن الا اذا ❊ ادرتها بين محبين ❊

وكتب يحيى بن معاذ الى ابي يزيد ههنا من شرب كاسا لم يظما بعدها فكتب اليه ابو يزيد لضعف الحال ههنا من يحسو بحار الكون وهو فاغر بيتزيد

فصحوك من لفظي هو الوصل ❊ وسكرك من لحظي يبيح لك الشربا

فما مل ساقيها وما مل شارب ❊ عقار لحاظ كاسه يسكر اللبا

المحو والاثبات

ومن ذلك المحو والاثبات وهو ايضا على اربعة اوجه محو هو رفع اوصاف العادة من اثبات هو اقامة احكام العبادة ومحو يكون عن زلة الظواهر وغفلة الضماير باثبات المعاملات والمواصلات ويكون الحال كذبا والدعوى باطلا الجحي باخذ بيد العبد صدق التوبة وبث فيوم الزلة حال الانابة كانت بثينة وعزة يتحدثان اذا اقبل كثير فقالت بثينة لعزة تحبين ان تظهر لك كذب كثير في محبتك قالت نعم قالت ادخلي الخبا لا يراك ههنا فتوارت عزة ودنا كثير فقالت له بثينة ما تركت عزة فيك مستمتعا لاحد فقال كثير والله لو ان عزة في امة لوهبتها لك قالت صدقت فاصنع فيه شيئا فانشا يقول

رمتني على فوت بثينة بعدما ❊ تولى شبابي وارجحن شبابها

بعينين نجلاوين لو رقرقتهما ❊ لنوء الثريا لاستهل سحابها

فبادرت عزة فكشفت الحجاب وقالت يا فاسق قد سمعنا البيتين قال فاسمعي الثالث

ولكنما ترمين نفسا سقيمة ❊ لعزة منها صفوها ولبابها

والثالث محو يوجب الدهش والوله واستواء الحال قال رجل بحضرة المرتعش طال الليل وطاب الهوا وبرد الماء فانشد المرتعش لست ادري اطال ليلي ام لا ❊ كيف يدري بذاك من يتقلى ❊

لو تفرغت لاستطالة ليلي ❊ ولرعي النجوم كنت مخلى ❊

فكي محوله وعلوا المحاه عن تمييز احواله ومحو هو بالحقيقة محو لا يبقى اثرا ولا يترك خبرا وغاية الامر ان يحمهم الحق عنهم ثم لا يردهم اليه وهم في مقام لا يجدون معه شيئا من نفوسهم وكلاهما من الله لا منهم كما قال يمحو الله ما يشاء ويثبت وهذا المحو بالحقيقة اثبات فانه وان استوعب الاوصاف وازالها وعقاها كل الاثبات ❊ واخوان صدق قد سيمت حديثهم ❊ واسكت عنهم ناظري ولساني ❊

وما الزهد اسلى عنهم غير انني ❊ وجدتك مشهودي بكل مكان ❊

المجلس الحادي من كتاب خلق الانسان يشتمل من متضمنات قوله عز وجل وفي انفسكم افلا تبصرون على مواعظ تدعو الانفس الى التقوى والرغبة في الدار الاخرة والزهد في هذه الفانية والخوف من الجزاء ومراقبة العواقب

بسم الله الرحمن الرحيم

يا من له الصنع الكريم والفضل العظيم والمن العميم والامر الحكيم واللطف الذي علا عن العيون وملك القلوب والعفو الذي يستر العيوب ويغفر الذنوب ويا من لا يحيط بكنه عظمته البصاير ولا يدرك كل حمده الخواطر ويا من لا ينفد حكمته اذا انفد القطار ولا بعد نعمته لو عددت الانفاس المستحقين الاغاثة وللمستغيث حين الاغاثة وللامل موضع المامول وللسايل الداعي يرصد السؤال ونحن ندعوك من اضرع دعاء واخضعه واخيب سؤال واخشعه ان تختم لنا هذا الكتاب كما عملنا بقبولك وتفتح لنا كل يوم بابا الى مرضاتك وان تجعلنا ممن حسن العمل غاية ما ارتاد من القول وشفع من الجوارح بموافقة ما اعتقده بالقلب وتصب لنا بكل مجلس من مجالس هذا الكتاب علما يهدينا ونورا يسعى بين ايدينا وشرعة نردها الى طاعتك وذريعة نتوسل بها الى رحمتك وسبيلا لا نتقصه الا الى الرشاد وحبلا لا نعتقل عضا ما من الفساد اللهم اجعلنا ممن يتعرض في مفتتح كل امر اسباب النجاح ويمهد في مختتم كل نجح عواقب الفلاح اجعل اللهم رجائك اوفر عددنا واسعد سلاحنا واجعل امرك ونهيك نصب اعيننا والرغبة اليك اصل كل تدبيرنا والرهبة منك مدار كل امورنا وادم خيرنا وابق نعمتك علينا بتقديرنا امورنا على قدر الزمان ومقدار الامكان اكرمنا بالصمت في اوانه واتينا بالابلاغ في المنطق في مكانه اجمع لنا محبة القلوب بالتواضع من غير لبس والثقة والطمانينة من بواطن والاستطالة على من دوننا بالتفضل وعلى نظرائنا بالانصاف وعلى من فوقنا بالاجلال اللهم ما وهبتنا من غنى وقنى فارزقنا ان نقضي بحقوق الضعفاء وتوفي منه من نصيب الفقراء وان نكسبها من حلها ونضعها في محلها وما جعلته فينا من قوة بطش وشدة باس ففي عبادتك اجتهادا وفي اعدائك جهادا وما استحسناه من جاه ونفاذ فاجعلنا به مصونين وجيها حيا وميتا وما اعطينا وما ابقيتنا من علم فاثبت لنا اثوابه في المقتبسين وابق لنا ذكره الى الملتمسين اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وامين وحيك والمبلغ لامرك ونهيك كما بلغ رسالاتك وصدع بحكم آياتك وقام بحقك ونصح لخلقك صل عليه وعلى آله الطاهرين وبارك ابد الابدين وسرمد الداهرين صل عليه في الصباح اذا ذر شارقه وفي الرواح اذا ادبر غاسقه صل عليه في الارض ما سقتها السماء صل عليه في السماء ما صعد اليها الصلوة والدعاء صل عليه في الدنيا وفي الملا الاعلى صلوة نزيد منك قربة وزلفى اللهم صل على ملائكتك وسكان سماواتك المقربين وعلى حملة عرشك وخزنة امرك المصطفين المخلصين وعلى اهل طاعتك المحضين المخلصين من اهل السموات واهل

الآمنين واسبلنا ستره وفرحلهم بارحم الراحمين فقد طالت مجالس الكتاب في شرح ما في نفس الانسان من عجايب الخلق وخصايص الخلق والآن قد بلغ الكتاب موضع الاختتام فرايت ان اخص هذا المجلس في مواعظ تدعو الانفس الى التقوى والرعة والرغبة في الدار الاخرة الباقية والزهد في هذه الحاضرة الفانية وتحليها بالحجى والرشاد وتخليها عن الشرور والفساد وتختار لها من الخطب ما يسوغ لنا ذكرها ومن الحكايات ما يحسن ذكرها وبالله التوفيق قال اما تعرفون الله ثم تعصونه وتشكونه لبلاءه وفضله عليكم لا تحصى بالهام صحيح ابدان وصفوة اذهان معصومة عن ظلمة من ركبكم في احسن تقويم وذراكم لكل سماع وتهيم الى كل هوى يعصف عليكم رياحه بحوادث وبعثكم ارتياحه بنائبات فهلا تجعلون الاجتهاد غنيمة صحتكم والعمل فرصة فوتكم فليس كل الزمان مواتيا مطاوعا ولا الاوقات من العمر معاودة امراجعا ولكل فراغ شغل شاغل ووراء كل دعة خطب نازل

باذر اذا الخيرات يوما امكنت … بزوال من سوابق الاوقات

كم من مؤخر يومه في خيره لغده … وليس غده له بمواتي

تاتي المكاره حين تاتي جملة … وترى السرور يجي في الفلتات

واي شيء اصح من هوى ساعة يمنع دائما العيد ويكدر عيش الابد واي شيء اسمى من زين بالعمل رشده ومن عمل حلي بالعلم رايه واي شيء احسن من شباب يضيع بالتقوى وابعده وصحب على الهدى مطارفه واي شيء اجل من شيب وعى بطاعة الله دماره وعوقب من نزق الهوى وقار

ان امرا غلب البياض سواده … ويحار زمان بعرقه انداده

لحري بان يعطي الهوى وقاده … ويعد للسفر الطويل عتاده

الدار ورقت لعمرك نخيله والى رحمة الله وسيله وربما يعاجل شبابك ان تعمل في الشيب فبادر بالعمل ورداء الشبيبة قشيب فالسعود مزاعد والسعة والجدود من جد واحد والحازم من لا يركن الى الخيا الزائد والغنى الزايل والعارية المرتجعة والسحابة المقشعة

ارى اشقيا الناس لا يسامونها … على انها فيهم عراة وجوع

اراها وان كانت تحب كانها … سحابة صيف عن قليل تقشع

وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذه الدار دار التوا لا دار استواء ومنزل ترح لا منزل فرح فمن عرفها لم يفرح لرخاء ولم يحزن لشقاء الا وان الله خلق الدنيا دار بلوى والاخرة دار عقبى فجعل بلوى الدنيا لثواب الاخرة سببا وثواب الاخرة من بلوى الدنيا عوضا فيأخذ ليعطي ويبتلي ليجزي وانها لسريعة الذهاب وشيكة الانقلاب فاحذروا حلاوة رضاعها لمرارة فطامها واهجروا الذيذ عاجلها لكراهة آجلها ولا تسعوا في عمران دار قد قضى الله خرابها ولا تواصلوها وقد اراد منكم اجتنابها فتكونوا لسخطه متعرضين

ولعقوبته مستحقين ويقال انا وقع كلام الحسن ان الله اعطي يوما باصحابه ثم انتقل واقبل عليهم فقال ايها الناس اني اعظكم وانا كثير الاسراف على نفسي غير مصلح لها ولا حامل لها على المكروه من طاعة ربها وانه يلون نفسي في الضراء والسراء فلم العبد لها كثير شكر عند الرخاء ولا كثير صبر عند البلاء ولو ان الرجل لم يعظ اخاه حتى يحكم امر نفسه ويكمل في الذي خلق له من طاعة ربه لقل الواعظون الساعون الى الله بالحث على طاعته ولكن في اجتماع الاخوان واستماع حديث بعضهم من بعض حيوة للقلوب وتذكر من النسيان ايها الناس انما الدنيا دار من لا دار له وبها يفرح من لا عقل له فانزلوها منزلتها ثم امسك وقال هذا القايل في بعض الخطب انكم كفيتم مؤنة هذه الخاصة وامرتم بطلب دار الاخرة فلا انتم عن طلب ما كفيتم تسكنون ولا انتم طلب ما امرتم تسكنون فا امركم الا كما وصف القايل

ما بال نفسك لا تهوى سلامتها … وانت في عرض الدنيا ترغبها

وانها اذا جاءت الامال عمرها … جاءت متقدمة الاجال تخربها

اراك تطلب دنيا لست تدركها … فكيف تدرك اخرى لست تطلبها

وقال من ابصر مقدار بعد الدنيا اقصر ومن عرف غاية الهوى اختصر ومن دخر بقيته الاجر من تقبل ومن سمع وصية الاولين تقبل ومن اصلح في السر سريرته اصلح الله في الباطن سريرته ومن لم يرتع في قلب الناس عيب ما نظر من اظهر الله عليه مما يضره ومن ظن انه في الخلوة غير مرقوب وعلى طول المهل غير مطلوب فطال اثمه يوبقه واضطرار برهقه

اذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل … خلوت ولكن قل علي رقيب

ولا تحسبن الله يغفل ساعة … ولا ان ما تخفيه عنه يغيب

وقال ما هذا العقود وقد وضح السبيل وما هذا الصدود وقد اصبح الدليل الجري في الاعمار امد طلق والركض على الاستكبار اشد عنق لا يعترض للعين شهوة الا كان الهوى لها شافعا ولا يرتكن معصية الا كان القلب لها مطيعا فان لحين امن الاصطبار بالجاحم واين التقى عن الامعان في الماثم والى كم هذا التهاون في الناز نحما فما بنا في الظلام والنهار الان عن الحطام نحافة الانس على الطعام تدعون الى النجاة وانتم كا مسحبون وانتم في وادي الضلال تايهون وانما تعلون ان طالب المصلح الخاسر لدينه غبين وحاطب في ليلها ظلام البغية مبين يستقي من شارعها الشرب الاحزان ويستملي من محاسنها اسئلة الحدثان ويجتني من غمرة العنا ويتساقط من صفاتها ايها الفنا

ايا شقيق محي انا من بربيعة من الموت لا انما تورد لنا … سبيل وهذا الموت قد حل دانيا

ويا شقي محيا ما لي الى كما … بها

بدت سبيل الذي عن المطامع ويرحل الزمعنا بغير ميامع وتبعد اعراب الهابند النواه وتضج اسرار … سرح الهداة وتغدو نفوس الاهل رماد حمرانها وقلوبهم احماد باراتها

موهومة بالنوى مخطوسة … سمرة عافية اخلاقها

ولم تزل تقتل القاطنا … اما فتالة الالفا

خلت قطع بين الحياة فقال احذركم الدنيا فانها لحلوة خضرة حفت بالشهوات وراقت بالقليل وتحببت

بالعاجل وحليت بالآمال وتزينت بالغرور لا يدوم حبرتها ولا يؤمن فجيعتها غرارة ضرارة حايلة زايلة
نافدة بايدة اكالة غوالة لا تعدو اذا تناهت الى امنية اهل الرغبة فيها والرضا عنها ان تكون كما قال
الله عز وجل كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فاصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا
مع ان امرأ لم يكن فيها في حبرة الا اعقبته بعدها عبرة ولم يلق من سرائها بطنا الا منحته من ضرائها ظهرا
ولم تطله غيثة رخاء الا هطلت عليه مزنة بلاء وحرية اذا اصبحت له منتصرة ان تمسي له خاذلة متنكرة
وان جانب منها اعذوذب واحلولى امر عليه منها جانب واوبى وان آتت امرأ من غضارتها ورفاهتها رغبا ارهقته
من نوائبها تعبا ولا يمسي منها في جناح امن الا اصبح على قوادم خوف غرارة غرور ما فيها فانية فان
من عليها لا خير في شيء من ازوادها الا التقوى من اقل منها استكثر مما يؤمنه ومن استكثر منها استكثر مما يوبقه
كم واثق بها قد فجعته وذي طمأنينة اليها قد صرعته وذي احتيال فيها قد خدعته وكم ذي ابهة
فيها قد صيرته حقيرا وذي نخوة قد ردته ذليلا ومن ذي تاج قد كبته لليدين والفم سلطانها دول وعيشها
رنق وعذبها اجاج وحلوها صبر وغذاؤها سمام واسبابها رمام حيها بعرض موت وصحيحها بعرض سقم
منيعها بعرض اهتضام مليكها مسلوب وعزيزها مغلوب وسليمها منكوب وجارها محروب ومع ان وراء ذلك
سكرات الموت وهول المطلع والوقوف بين يدي الحاكم العدل ليجزي الذين اساؤا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا
بالحسنى وقال بعض الحكماء ان مثلها ومثل الراغب فيها ومثل الراغب عنها كمثل رجلين سافرا في سفر كبير
احدهما اعمى والآخر صحيح العينين لا امرأة لهما ولا زاد ان نفد فسارا بين وطلب الاعمى مقرعة فاصاب حية سوداء
فقال لها اليه من سوط لم اجد لعمري سوطا خيرا منه فلما برق الاصباح وافاق الناظر من صور الاشباح ابصر البصير
قد قبض على حية رقشاء ففزع له وصاح به فقال الاعمى لي لا اراها الا ستها في يدي ... نهشته الحية الى ان
يقتنع بها الحاذق نهشته نهشة تنازعها الحر وتخاذل عظمه وما الدنيا الا بمنزلة تلك الحية ان
الحية ان تقبلها نهشته وقيل الدنيا عدو يطول لا ينقطع الا ود ولا يودى ولا يوسى فان نجا منها ناجح
من ذي عظمته فالآفات لا محالة خالبا وقال طهروا انفسكم من دنسها وحذروا الانسان من نزهتها
ان اخذوا اليم شديد وعذابا غليظا عتيدا ولا يغرنكم متاع قليل وعمر قصير فخطابكم يوم طويل وخطب كبير
ان هذا الباب فان اوقنا انه بعده سبيل وان هذا الدنيا دنيا نظام بعيد وعطر من وسنة تباد
او عقاب كلب لا يخرج منه مانع ولا مطارد ثم يب الحيوان شر الجحيم ويحطم العمران حطم الهشيم فان الذين كانت
لهم اقاليمها ولمضاربها الى الارم مصيرها وعلى ايهم مدارها ان الذين كنزوا واكثروا الرمال وادخروها
مثل الاسنان والاسنان الكرم لا احلية لهم جمعوها وكم ذي حاجة يمنعوها وكم حاسبوا انفسهم فيها لم تزكوها
لمن لا اجابة وكم بخلوا على انفسهم ولعلهم باولادهم حلوا اسرطها لمن لا يناسبهم كن يهملوا عن الاذى لم
حين استمتعوا الى الارض وبخافكم من يغلاه فرحها ولا لا امها ... والمحذر خلان منها ولد لها

امر زيد تزودوا منها قبل ان تقوموا عنها فان نفعها قليل وما انما هي لك غيره فانظر في جوانبها الى خدعك الموعظة من جميع جوانبها
واعتبر بذلك الاعتبار على انك لست انما سلم اليك منها كما سلم اليك من كان منك بها اشد كلفا واعظم شغفا
انظر اليهم اليوم كيف صاروا وارتحلوا لا يدركهم كانهم كانوا احلاما انظر اليهم ساكنين لا يتحركون وساكنين لا
يحسون حول حيوتهم المكان وجمع امرهم ميراث غيرهم بطون الارض بعد ظهورها واستبدلوا فيها
من قصورها ما لا تقدرون الخاتم وعلى اي حال الى الله مآلهم

لقد خاب انسان تولى قصده ۞ من الله دنيا غير باق نعيمها
فيا حسرة النفس التي كان همها ۞ منال الاماني لم يبق الا نسيمها

عاد الحسن عبد الله بن الاهتم في مرضه الذي مات فيه فاقبل عبد الله يضرب بصره الى صندوق في جانب
البيت ثم قال للحسن يا ابا سعيد ما تقول في مائة الف في صندوق لم يؤد منها زكوة ولم يوصل بها رحم فقال
الحسن ثكلتك امك فلم اعددتها قال لروعة الزمان ومكاثرة الاخوان وجفوة السلطان
ثم مات فحضر الحسن جنازته فلما دفن ضرب باحدى يديه على الاخرى ثم قال ان هذا اتاه شيطانه فحذره
روعة زمانه وجفوة سلطانه ومكاثرة اخوانه فيما استودعه الله اياه فخرج منها حزينا سليبا لم
يؤد منها زكوة ولم يصل بها رحما ثم التفت فقال ايها الوارث كل هنيئا فقد اتاك هذا المال حلالا فلا يكن
عليك وبالا اتاك ممن كان له جموعا منوعا يلجج في لجج البحار ومفاوز القفار من باطل جمعه ومن حق منعه
لم ينتفع به في حيوته جمعه فاوعاه وشده فاوكاه الى يوم القيمة يوم ذو حسرات وان اعظم الحسرات ان ترى مالك
في ميزان غيرك فيا لك من حال اتاه الله مالا حلالا فبخل ان ينفقه في طاعة الله فورثه الله غيره فانفقه
في طاعة الله فيا لها حسرة لا تقال وروعة لا تنال فانا لله وانا اليه راجعون وقال يا ذا الغرام من دار الفناء
من صفائها والفنا من عاجلها والفقر حليه من حلالها والغرور صحبه من محالها والآلام والاحزان
من خلالها والشيب والموت من اعوانها والبكا هو من اخلاقها والابكاء زادت اهلها ابكى المولود فيها
اذا دخل وبكى على المتوفى منها ساعة ارتحل شغابا بها لو انها لعتب المحبوب حقيقة منها الكاشف حقيقة ان
تتبادر من قربها ويتفادى من حرمها كيف هو مجتمع وفرقها ومطلوقها قيام البيت جنة الغرامات البادية و
ليس الا الذي بان الاصحاب في بابها تحته ... ملك الارواح تقعد الارواح
الفراق وتعجل ملك الموت حق الوعد والوعيد وذلك ما كنت منه تحيد افرط الرحيل وجيء الجحيم لحال
الحال وقال الكمال الفلاني للصباح وركدت تلك الرياح وسقى ملك العمل الشيطان الاجل حبائل
الزور وقضيت لذلك الغرور وشغلته بالباطل حتى جاءت سكرة الموت بالحق وسال الناس ابل العبرة بالصدق
فالآن بلغ المسكين به بصورة نكير او صحيفة سوء لم يسعه اليوم المحتضر ولم ينظر في الاجل المستقل مع ما لم
ياكل ورجا ما لم ينل فيا حسرة على ظل الحسرة وظل الفزع اصابه الاضطراب فيه نار فاحترق ونيا اسفا على

روح آمن عنا وعذب حاصله عذاب ووصل عقباه اجتناب وسكون منتهاه ارتياب

عوى على نفس لا ترى ان محبها ... بتلك الاثنا في سعة من عذابها
وحظك من ليلى ولا حظ عندها ... سوى صدها من غادة واجتنابها
ولم ار مثل الدنيا اوان محبها ... فكيف ارتقابيها اوان ذهابها

وقال لا تغتر بهذه الاحوال والشهور كما اغتر به الصبيان والدهور اتعلمون انها ايامكم تذهب ضياعا وانهاركم تذهب شعاعا فاتوا انوار ولا ترجع اذا ذهبت بتلك حال وشهر بعد شهر ورد اليوم من احتلالها بال

وما هي الا ليلة بعد ليلة ... ويوم الى يوم وشهر الى شهر
مطايا يقربن الجديد من البلى ... ويدنين اشلاء الكريم من القبر
ويتركن ازواج الغيور لغيره ... ويقسمن ما يحوي الشحيح من الوفر

أتى معوية برجل من جرهم وقد اتت عليه الدهور فقال له اخبرني عن ما رايت في سالف عمرك قال رايت مثل ما رايت ليلة في اثر ليلة ويوما في اثر يوم ومن جامعا الا مفترقا ومفترقا الا مجموعا ومن قوي يظلم ومن ضعيف يظلم وصغير يكبر وكبير يهرم وحي يموت وجنين يولد وكلهم بين مسرور بموجود ومحزون بمفقود فليغتنم امكان الخير والاحسان وليبتدر فرصة الامكان وبادروا بالتوبة من ذنبكم وسارعوا الى مغفرة من ربكم من قبل ان يكفهر للعيش حواجبه ويغبر من افق الحتوف جوانبه فحينئذ حال الاجل وحيد الامر ونزل الاذات بذنبك كان لم تكن وبلغ بك كان لم تزل ثم يا هنالك من عين ثم الندامة ومن انفاس حسرة للنفس اللوامة ومن قلة ولا الاقران الاهل والولد ينفعان ومن قلة ولا الانعام الشاعر والعضد يشفعان فيا ايها الغافل على ما يراد بك الماخوذ عما ترى بالجهول على ما انكر المورد والى ما تحيد تفكر هل لجنة الدنيا غير جثة الاخرة وسوى حصايد البادية والحاضرة وهل تنبي كطاعة الله يفتن منها وينفع كالجنة يجتنى عنها وهل زبح كالزاد الباقي وهل خسر كالبالي الذي اودى بالخالد فهلك ما استولت عليها على الابد اهل حسرت على عين الاسف الكمد نعم هاوقد قريب يسرع الى عمران الخراب وتاكلها وعما قليل ياكل التراب وجهها وتغرقها الحوادث وتقض بها على نفسك ويتنهبها الوارث يحدثك عنها لسان العبر ولا تعتبر وبزجرك منها عيان البصر ولا تزدجر

نحن في دار يخبر بالبلاها ... ناطق امسا من لسن
دار سوء لم يدم فرح ... لامرئ فيها ولا حزن
في سبيل الله انفسنا ... كلها بالموت مرتهن
كل حي عند موته ... حظه من ماله الكفن
ان مال المرء ليس له ... منه الا ذكره الحسن
وسواه مال وارثه

فليكد القلب والبدن عن ابي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الرجل يعطيه ارغب فيها عند الله يجعله الله وازهد فيما في ايدي الناس تجعل الناس ان الزاهد في الدنيا يريح قلبه وبدنه في الدنيا والاخرة ليجئن اقوام يوم القيمة لهم حسنات كامثال الجبال فيؤمر بهم الى النار فقيل يا نبي الله

اويسلون

او يسلون او يموتون فقالهم ويعزمون عننا من القليل كانهم اذا الايام لهم شيئا من الدنيا وتنوا الينها وقال ان كل صفاة خلقا فيوما ما تدمع وكل دوحة علبا فيوما ما تقلع وكل شمل مجموع ومن قريب يصدع وكل حبل موصول فعما قليل ينقطع وكل منكم عن لطائبها ويد عن اسبابها وقصر عمر عن اصابتها وكلا انكم لم تيما هذا القاعد وان يكون سكت فلما ان الصبر في الخطوب خائب متعب وهذا القايم وان طاف وطلب فيان الصروف قايم من بعده من خلقه عمر قصير في الحرص مديدا وبوم قريب في الاثر بعيدا بينما كم ترعون من قيع الامال حتى يا كم مطلع الاجال وتتمتعون بجميل الظنون حتى لكم ريب المنون فواها من حادث تغير كادنتم ومن مساوي الطالع خابية وداء من الفراش المتهافت في النار والبهم الحايم حول الآبار روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انما مثلي ومثل الناس كرجل استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله جعل الفراش تتهافت فيها وجعل ينزعهن عنها ويحول بينها وبينها فانا انا اخذهم عن النار وهم يتقحمون فيها وقال ان الايدي المبسوطة بالجور يقبضها يد الايام وان العيون الناظرة بالكبر يغضها ريب الحمام وان الاعناق الصيد يخضع لطوارق المنيات وان الخدود الصعر يضع لنقض اللذات لما انه لو كشف الغطا وبرح الخفا لاعتبر ظالم عن ظلمه واقسط جائر في حكمه وبكى بمحو عمل عينيه على ذنبه وخاف من سوء مقام ربه فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يزول قدم العبد من مكانه حتى يسال عن اربع عن شبابه فيما ابلاه وعمره فيما افناه وماله من اين جمعه وفيما انفقه وحكت الرواة ان على محمد عمر دخل المدينة رسول الروم فسال عن قصر امير المؤمنين فارشد الى دار كدار من قصر امله فقصر باعه وضاق بالدنيا ذرعه فضاق رحبا فقصده وسال عن امير المؤمنين فقيل انه خرج الى بعض الفضاء والاكام يزاول بعض الحوائج والسوام فمضى اليه فوجده وحده لا يجمع ولا جند عنده وهو يامر الرعاة بالحسان رعية الراعية وعرض عليها لحساب يوم القارعة فراعه ذلك من رجل يسير بهم الارض تحت الوسية وهو جالس على التراب في شملة متفاوتة فوجده كما يكون من يزود بكل نعمة يزهد فيها وبايته كل غنيمة معروضة عنها فقال له ان الذي امر ان الدابة فهل عندك لها من رقية صايبة فاعطاه درقته وقال الامر منهم بها عليك لتسكين خاشعه فانقطعت عنها الاذى باحق كذا لا يطع الا من اطاع ربه ولم يحل شغل الدنيا بينه وبين قلبه فقيم كالقطب على القصر في مربع الارشاد وتقدم ربه ومنحا الفتوح في البلاد فقال ان الاعمال فلا بد الاجنا وان الايام مضامير السباق وان الليل والنهار سبل الاعمال الصغار والكبار عن ابن الاعرابي اذ لا ينفعن على حي ماتونه ولا السلامة تخلو مضمونه ولا حديا الاوبلية الجديد ولا يبعد الاويدنيا الهجران ولا زيادة الا وان يصحبها النقصان ولا اسرة الا ويدفع وصلها الاقران فكيف تتبعدون عن مقاصد البيانات ثم كيف ترقدون عوض عن اوقد الغفلات وعليكم رقيب لا يوخذ عن التتبع والاحصا وحسيب لا يرقد عن التطلع والاستقصا فلا تامنوا الايام ومراصدها والليالي ومكايدها انها خوون عدو وخدوع عزور وضنين لم حيرها بالانقطاع رهين خيرها يرثها بالاشباع سريع كواكب

امرانا اللاهون من جمع مواکب لنا بها للقفول تصحبونها کارهین وتفارقونها مکرهین ولا تترکونها وهی
اسرع زایل ولا تذکرون الموت وهو اقرب نازل

الیس عجیبا ان یری کل عاقل ٭ له امل والموت قبل حصوله
وما المرء فی دنیاه الا کنایم ٭ ترات له الاحلام وهی خوادع
بنعمة طیف من الدهر باطل ٭ وبو یقظة نوم من الدهر ناجع

فرحم الله من رای بین نفسه ولم یلهه یومه عن ذکر غده وامسه کیف کان فیما قضی والی این ینتهی فلا حال الا
ربث ما ینقضی حتی عمر رضوان یوم مضجعا وهو بمکة وحوله عظماء الصحابة یعلون اثره فقال الحمد بحمدا
الهان الحیط الخطاب علی اثنین فی مدرعة صوف یتعبنی الکلاء اذا عملت ویضربنی الابل اذا قصرت فقد
اصبحت ولیس بینی وبین الله احد

نظم یقول الشاعر

لا شیء فیما تری تبقی بشاشته ٭ یبقی الاله ویودی المال والولد
لم تغن عن هرمز یوما خزائنه ٭ والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا
ولا سلیمان اذ تجری الریاح له ٭ والانس والجن فیما کلفوا عبدوا
این الملوک التی کانت نوافلها ٭ من کل اوب الیها راکب یفد
حوض هنالک مورود بلا کذب ٭ لا بد من ورده یوما کما وردوا
الا ای خریدار مغز سخن ٭ دلت برگسل زین سرای کهن
که او چون من و چون تو بسیار دید ٭ نخواهد همی با کسی آرمید
اگر شهریاری و گر پیشکار ٭ تو ناپایداری و او پایدار
چه با رنج باشی چه با تاج و تخت ٭ ببایدت بستن بدین جای رخت
انوشه کسی کو بزرگی ندید ٭ نبایستش از تخت شد ناپدید
سرای سپنج است برای ورو ٭ تو گردی کهن دیگر آید نو
یکی اندر آید یکی بگذرد ٭ زمانی بمنزل نچمد بجرد
یکی را همی تاج شاهی دهد ٭ یکی را بدریا بماهی دهد
نجوید هم جاودان با سپهر ٭ که فردا مگر دیگر آید سرای
نجوید همی داد و فر و فریب ٭ تو بخشنده هم دشمن منه
زمانه زمانیست چون بنگری ٭ بدین ماه با او مکن داوری
دلت را بتیمار چندین مبند ٭ تو ایمن مشو بر سپهر بلند
تو و جان تو بی او بماند دراز ٭ حدیثی دراز است چندین مناز

چنین بود تا بود وان تازه نیست ٭ کز افسانه بر اندازه نیست
جهان نامه و رنج خواهی درود ٭ وگر بدروی بر و بیرون چه سود
جهان دار پیش از تو بسیار بود ٭ که تخت مهی را سزاوار بود
فراوان غم و شادمانی شمرد ٭ برفت و جهان دیگری را سپرد
اگر باره آهنینی بپای ٭ سپهرت بساید نمانی بجای
جهانا که بد مهر و بدگوهری ٭ که خود پرورانی و خود بشکری
جهان چون نماند به یک بند بیخ ٭ نخواهد شدن رام با هر کسی
چو تو مرده شد روی رنگین تو ٭ نگردد کسی گرد بالین تو
بزرگی که فرجام او تیرگیست ٭ بر آن برتری بر بباید گریست
همه بر جهان سوز و تر از دها ٭ ندانم قضا را ز سامان رها
اگر توشه مان نیکنامی بود ٭ روانها بدان سر گرامی بود
وگر آز ورزیم بیجان شویم ٭ بدنیا نکاهد که پیچان شویم
گر ایوان ما سر بکیوان برست ٭ از ین بهره ما یکی چادر است
بیابان و آن مرد با تیز داس ٭ گیا خشک و تر زو دل اندر هراس
تر و خشک یکسان همی بدرود ٭ وگر لابه سازی همی نشنود
جهان را چنینست ساز و نهاد ٭ که جز مرگ را کس ز مادر نزاد
ازین در بیاید بدان بگذرد ٭ زمانه برو دم همی بشمرد
بکوشیم و از مرگ ما چاره نیست ٭ زمین را جز از خاک گهواره نیست
اگر با تو گردون نشیند براز ٭ هم از گردش او نیابی جواز
هم او تاج و تخت بلندی دهد ٭ هم او تیرگی و نژندی دهد
بدشمن همی ماند و هم بدوست ٭ گهی مغز یابی ازو گاه پوست
چنین است کردار چرخ بلند ٭ بدستی کلاه و بدیگر کمند
چو شادان نشیند کسی با کلاه ٭ بخم کمندش رباید ز گاه
چو دانی که اندر نمانی دراز ٭ بتارک چرا بر نهی تاج آز
جهان را چنین است ساز و نهاد ٭ بیک دست بستد بدیگر بداد
غم و کام دل بی گمان بگذرد ٭ زمانه دم ما همی بشمرد
بیک دم زدن رستی از جان و تن ٭ همی بس بزرگ آیدت خویشتن

بزین گونه گرددهمی چرخ پیر | کهی چون کمانست و کاهی چو تیر
یکی روی جستن بلندی سزاست | اگر در میان دم اژدهاست
دو دیگر که گیتی ندارد درنگ | سرای سپنجی چه پهن و چه تنگ
یکی ژرف دریاست بن ناپدید | در گنج رازش ندارد کلید
جهان از اغازش چو کردار نیست | بدو دل سپردن سزاوار نیست
برفتند و جز نام از ایشان نماند | کسی نامهٔ رفتگان برنخواند
زمین گر بروهند کند راز خویش | بدید آرد انجام و آغاز خویش
کنارش پر از تاجداران بود | برش پر ز خون سواران بود
یکی را از خاک سیه برکشد | یکی را ز تخت کیان درکشد
نهالی همه خاک دارند و خشت | خنک آنکه جز تخم نیکی نکشت
چو برداشتم جام پنجاه و هشت | نگیرم مگر یاد تابوت و دشت
نگردد همی گرد نسرین تذرو | گل بار سی خواهد و شاخ سرو
الا ای دلارای چرخ بلند | چه داری به پیری مرا مستمند
چو بودم جوان برترم داشتی | به پیری مرا خوار بگذاشتی

هذا تعلل وانجام للطبع ببعض اتعاظ من كلام الفرس متصل بما اوردناه ثم عدنا الى ما كنا فيه من اجتناء ازاهير المواعظ والحكم من تلك الخطب على لغات العرب التي خيطت على نحو ما حكاه اوايل هذا الكتاب قال هذا القايل في كلمة منها ان تقوى الله اوثق حبله وطاعته الحبه اقرب وسيلة والبر به اخلص واصفى والانصاف حفظه اوفر واوفى ولا لاسعاف بذله احمد واحرى والحق شاهد له اصدق والحال لسانه انطق ولا ياخذ ما اليس له من باب فضله ولا تطع فيما الغير من تم عقبه والحر عبد اذا طمع والعبد حر اذا قنع وان يكن المعدم مجهده فان الحاجة مفسدة والراحة عقله والدولة نقله والهوى نزلته والتقى ملامة والمال رايح وغادي والصرف عن الامال عوادي والتوكل سهم افضل عيا الصابرون محيناها والانام دوهم غرباء والشاكرون الى ذراها والهدى مطرف الرحل فان وجد فيه الزهد والارعل والتقى يستمري العمل فانه امضا في المطلع والا افل والحرص نار محرق الواقع فيها والاماني بحر يغرق وارد بها وخير الغرس المحبة لا ينبل عوده ولا يافل سعوده وشر الزرع الشر لا تسلم عاقبته وان طالت مدته وبئس نزيل القلب حب المال ومصيبة المحق في الحال وان المعاد فيه تم والوصال لحم والقرابات خرم والحيا كرم والمحاسن شيم وان المغانم بالمغارم والمكارم في العظايم والايام دول وطول البقا ملل والصبح مع القضاة ذل والعز للنوايب خليل وخير اللباس

الياس من الناس وتبدد الاحزن بعثت الحزن والمعاشرة ترك المعاشرة والمباكرة مباركة والعفة انفس الاعلاق والفجور اخس الاخلاق والعلم اعز مونل والعقل احسن معقل والعدل اقسط دليلا والرفق اوسط سبيلا والنصفة لا يتوب صفو مرها كدر والقناعة لا يجري بمعطل نعيمها قدر وثمرة المشورة احلى من شور الاري وطاقة الاقتحام امر من نقيع الشري وان الصبر والنجاح لرضيعا لبان والشكر والفلاح لشريكا عنان والرضا امام احوال المتقين والتسليم زمام افعال المخلصين والمن يمحو الاحسان محو الريح السحب والغدر يطوي الذنب طي السجل للكتب ورضا الناس غاية لا تدرك ومفارقة العادة شديدة يصعب تجرع عمها والطبع اعصار فيه نار والهوى خمر وكل خمار والصدق مفتاح كل غنيمة والصلاح مصباح كل شبهة والصديق الكذوب كالسيف الكهام والمملوك الخدوع كالغمام الجهام والحق ناصح العقد والاوضاح واضح الفلق والصباح والحيا يتحلى عليه السنة الفضايل ويبنى اليه اعطاف الشمايل والحلم ما اتصر زمن والحلى عنه والعجلة رحمها احزان وزيادتها نقصان في الصدقة من مقابل النجاة والتواضع من سلاسل الدرجات والامانة ضافية الاردان والذيول وافية العز والحجول والمداراة منابع ذاتية وسهامه صايبة وثمرته دايمة وبركته لازمة والاحسان بكبر قدره والارشاد بكثر اجره والدين عز بزلت اده واليقين حلى ابصاره والاناءة لا تطلع ثمرة النجح الا من الكلامها ولا تظهر حسن الظفر الا عن غمامها والتعفف حرينة اوهما القناعة والغنى وضيعة بينهما القناعة والورع فلان قطبه الحيا والكرم حسبه قلبه الوفا والعلم قلادة والعمل واسطتها والزهد مسئلة والخوف تكشفها والعدل عين والاحسان انسانها والفضل نفس والافضال حياتها وما العرض الا ودمن فيها العفاف وما الحق الا ودمن حاوها الانصاف وما البر الا الامال الانجح بمعول الاتقا وما الموفق الا من عن بعض الامانة وان من طلب العز بطاعة الله اعزه الله ورفعه ومن طلبه بمعصيته اذله ووضعه ومن صحب صاحب الشر لا يسلم ومن دخل مدينة الريبة يتهم ومن اعتز بالظلم اهان ومن غالب الدهر لان ومن وثق بمقابله غدا فقد امن ان لا يموت ابدا ومن جرى طلق الجموح في عنان الامل عثر به المهر الرموح في شكال الاجل ومن لم يحسن ادب نفسه اسرع به الجهل الى الردى ومن لم يبال بعاقبة امره رفعت فيه السنة العدى ومن اودع ثوب العفاف فقد امن جميع محاذيرها ومن استغنى بعقل الكفاف فقد ملكها بجذافيرها ومن لزم قرارة داره واوى على حاله عشا عن اسبابه واغض عن ابواب همومه ودافع يومه بيومه فذلك الذي دربت له اخلاق الراحة واعتزوذبت عنه مشارب المعيشة سال نابه في امرية الغزافين من انعم الناس عيشا فقالوا الامير واصحابه قال دعوا اعنكم ان لا عواد المنابر روعة وان لصوت لجام البريد لفزعة انعم الناس عيشا رجل له دار عليها وامراة قد رضيته ورضيها وسداد من عيش يعرف به فهو تخلو في جوف داره وتقبل على دراسة

كنه لا نعرفنا ولا نعرفه فانا ان عرفناه وعرفنا انفسنا ليله ونهاره واقمنا دينه ودنياه فقال عبد
الله بن الحسن القشيري القاضي من اراد ان يسمع كلاما من دُرّ فليسمع هذا الكلام **ومما يليق بهذا المجلس**
من عجائب في اختلاف الاحوال وتزلزل امور الزمان وما يفضي اليه عقوق صرفه ويحق من قضاء الله باهله
ويصلح ان يكون خاتمة الكتاب تعليلا لاولي الالباب **ما ذكر** عبد الله بن عبد الرحمن صاحب الصلوة
بالكوفة قال دخلت الى امي في يوم اضحى فرايت عندها عجوزا في اطمار رثة وذلك في سنة تسعين
ومائة فقلت لها الشان وبيان فقلت لامي من هذه فقالت هذه خالتك عتابة ام جعفر بن يحيى فسلمت
عليها وتحفيت بها وقلت اصارك الامر الى ما ارى فقالت نعم يا بني انا كنا في عوار ارتجعها
الدهر منا فقلت حدثيني ببعض شانك فقالت خذه جملة لقد مضى علي اضحى وعلى راسي اربعمائة وصيفة
وانا ازعم ان ابني عاق وقد جئتك اليوم اطلب جلد شاتين احدهما شعار والاخرى دثار **وحكى**
عن محمد بن الجهم قال دخل بختيشوع في يوم نيروز على المتوكل فقال اين الهدية فقال اهديت لك
والله شيئا ما ملكت مثله قط ولا الخليفة قبلك واخرج ملعقة زبرجد وزنها ثمانية مثاقيل
فقال من اين لك هذا فقال قصدت عتابة جارية يحيى بن خالد ودخلت المتهنية فوجدتها تاكل بهذه
الملعقة زمانا فلما اردت النهوض قالت خذ هذه الملعقة فوالله ما ملك مثلها احد فحمل المتوكل
يتعجب ووجهوا الى ابن صاحب الجوهري فسالوه عن قيمتها فقال لا والله ما اعرف لها قيمة فسبحان الله
مجري الامور على حكمه ومشيئته لا يعلو قصد بخلقه وبريته عجبت هذه المراة مثل هذه الملعقة نظيرتها
يوم بغداد وتبتغي يوم اضحى جلد شاة **وكان ايتاخ** زعيما بسبعين الف غلام تركي فدخل الى الواثق
وهو يامر من ينظر هل مات اولم يمت بعد فلما دنا منه نظر اليه الواثق بمؤخر عينه نظرة فتور
وتحير فظنها نظرة ازورار وتنكر ففزع ونكص على عقبه فضرب الجدار ووقع سيفه في ملبن الباب
فاندق وسقط ايتاخ على راسه من الرواق الى الصحن فاندق عنقه فلم تمض ساعة حتى مات الواثق
وعزل في بيت يغسل واشتغلوا عنه بامر البيعة فجاءت هرة فاكلت عينه التي نظر بها
الى ايتاخ فتراجع وسقط من الهوى واندق عنقه يومئذ وقتل هذه العين الثاني مروان بن محمد فانه
لما قتل واحتز راسه فارادوا انفاذه الى ابي العباس السفاح امروا بتنظيفه فجاء كلب واخذ
لسانه وجعل يمضغه فقال عبد الله بن علي لو لم يرنا الدهر من عجائبه الا لسان مروان الذي يخطب
به الزمان في الامر والنهي في فم كلب لكفانا ذلك ويقال بينا حذيفة بن اليمان وسلمان الفارسي
يتذاكران عجائب الايام وتقلب الزمان باهله وهما في عرصة ايوان كسرى وكان اعرابي من غامد يرعى
شويهات له نهارا فاذا كان الليل صيرهن الى داخل العرصة وفي العرصة سرير رخام كان ربما
جلس عليه كسرى فصعدت شويهات الغامدي الى سرير كسرى ذلك فقال سلمان ومن اعجب ما

تذاكرنا

تذاكرنا صعود شويهات الغامدي الى سرير كسرى **وحدث** ابو حيان بن محمد بن العباس قال كنت قائما في بغداد
عشية يوم على شرفة الجسر في الشرقي والحاج يدخلون وجمالهم قد سدت عرض الجسر انتظر جوازها
وخفة الطريق فيها فرايت شخصا من اهل خراسان ذكر لي انه من اهل سجستان واقفا خلف الجمال ايوقفها
ويحفظ الرحال التي عليها حتى نظر الى الجانب الغربي فراى الجذع عليه ابن بقية فقال آه حسبي الهي
تجي هذا المصلوب فاني ابن بقية وكان وزيرا صلبه الملك عضد الدولة لذنوب كانت له فقال لا اله الا الله
ما اعجب امور الدنيا وما اقل الفكر في عبرها عضد الدولة تحت الارض وعدوه فوق الارض **وحكى** عدي
بن الهيثم قال رايت شيئا قل من راى مثله رايت الفضل بن سهل وكان مع طريف خادمي في بيت له عليه وتقلبه
في زنبيل فيه نعلان وقميصان وازار واصطلابه ثم رايت ثقله على الف بعير ثم رايت ثقل الفضل بن الربيع
على الف بعير ثم رايت ثقله في زنبيل ونحن مختفون ننقله من موضع الى موضع في ادويته لعلته **وذكر**
عمر بن الشخ قال رايت في قصر الكوفة هذا راس ابي عبد الله الحسين عليه السلام بين يدي عبيد الله بن زياد
ثم رايت راس عبيد الله يوم عاشوراء المقابل في ذلك القصر في ذلك الرواق منصوبا بين يدي المختار
بن ابي عبيد ثم رايت راس المختار في ذلك المكان ايضا بين يدي مصعب بن الزبير ثم رايت راس المصعب هناك
بين يدي عبد الملك بن مروان فاذا ثم رايت ملك بني مروان كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف **وحكى**
ابو العباس ثعلب عن السعدي قال انتبه كيلا اتبع بها ضياعة في عمل الناتج من الحي طعاما فعشينا
عنده فتذاكرنا قتل الحسين فقلت ما شرك احد في قتله الا رماه الله ببلية سوء فقال الرجل يا اكذبكم
يا اهل العراق فانا ممن شرك في ذلك فلم يبرح حتى دنا من المصباح وهو يتقد بنفط فذهب يخرج الفتيلة
باصبعه فاخذت النار فيها فذهب ليطفئها بريقه فاخذت النار بلحيته فعدا فالقى نفسه في الماء فرايته
على الماء كانه حممة **وحكى** ابو الحسن علي بن هرون الزنجاني القاضي قال اصطحب رجلان في بعض الطرق
مسافرين احدهما مجوسي من اهل الري والاخر يهودي من اهل جي وكان المجوسي راكب بغلة له عليها كل
ما يحتاج اليه في السفر من الزاد والنفقة وغير ذلك وهو يسير مرفها ودعة واليهودي يمشي بلا زاد
ولا نفقة فبينما هما يتحدثان اذ قال المجوسي لليهودي ما مذهبك وعقيدتك يا فلان قال اعتقد ان
في هذه السماء الها هو اله بني اسرائيل وانا اعبده واقدسه واتضرع اليه واطلب الفضل مما عنده من الرزق
الواسع والعمر الطويل مع صحة البدن والسلامة من كل آفة والنصر على كل عدو واساله الخير لنفسي ولمن
يوافقني في ديني ومذهبي ولا اعبا بمن خالفني بل اعتقد ان من خالفني فدمه لي حلال وحرام علي نصرته
ونصحه والرحمة له ثم قال للمجوسي قد اخبرتك بمذهبي وعقيدتي والذي اشتمل عليه ضميري فخبرني انت
ايضا عن شانك وعقيدتك وما تدين به لربك فقال المجوسي اما عقيدتي ورايي فهو اني اريد الخير لنفسي
ولابناء جنسي ولا اريد لاحد من عباد الله سوءا ولا اتمنى له ضرا الا لموافقي ولمخالفي فقال اليهودي وان

ظلمك وتعدي عليك قال نعم لأني اعلم ان في هذه السماء الها قد يراك لما لا تخفى عليه خافية مجازي المحسن باحسانه والمسيء باساءته فقال اليهودي بل لأن تعلم الان بنصر مذهبك وتحقق رأيك فقال المجوسي كيف ذلك قال لأني من بخس حظك وبشر مثلك تعدو وبين الالام والنار ابدا ما يعرف وتراني امشي جائعا تاعبا نصبا مجهودا وانت راكب وادع مترفه بشبعان ريان فقال صدقت فلم تقدم سفرته واشبعه ثم اركبه ومشى ساعة بجنبه فلما استوى اليهودي على البغلة وعلم ان المجوسي قد اعيا حرك البغلة وسبقه وجعل المجوسي يمشي ولا يلحقه فناداه يا فلان قف لي فاني قد اعييت وانقطعت فقال الم اخبرك عن مذهبي وخبرتني عن مذهبك ونصرته وحققته وانا ايضا اريد ان احقق مذهبي وانصر رايي وجعل يحث البغلة والمجوسي يقفو على ظلع وينادي قف يا هذا واحملني ولا تتركني في هذا القفر فتاكلني السباع واموت جائعا واحسن واليهودي لا يلوي على ندائه واستغاثته حتى غاب عن بصره فلما يئس المجوسي منه واشفى على الهلكة ذكر اعتقاده وما وصفه الله به فرفع طرفه الى السماء وقال الهي قد علمت اني اعتقدت مذهبا وبصرته ووصفتك بما انت اهله وقد صح وبان تحقيق عنده هذا الباغي علي بما نحوتك به فانجي المجوسي الاقبلا حتى راى اليهودي وقد رمت به البغلة واندق عنقه وهي واقفة ناحية منه على طريق صاحبها كأنها تنتظره فلما ابصرته استقرت له ثم تطامنت اليه فركبها المجوسي ومضى لوجهه وترك اليهودي يعالج كرب الموت فناداه ارحمني واحملني وانصر مذهبك وحقق اعتقادك قال المجوسي قد فعلت مرتين ولكنك لم تفهم لأني وصفت لك مذهبي فلم تصدقني فلم تقبل مني حتى تحقق لك ان في هذه السماء الها بارا عادلا حكيما لا يخفى عليه شيء جبارا مجازي المحسن وكافي المسيء وحققت لك بفعلي فقال اليهودي قد فهمت ما قلت ولكني لم اتعظ به لا اعتقاد فشأن عليه ومذهب العقبة حتى صار كالشيء الثابت والاصل الثابت فرحمه المجوسي وحمله معه حتى وافى به المدينة وسلمه الى اوليائه محطما موجعا وحدث الناس بحديثه فتعجبوا من شانهما وتحدثوا بعد بينهما وحدث عثمان بن نهيك قال كنت واقفا على راس الرشيد ويحيى يحيى بن عبد الله بن حسن في قيوده فقال عبد الله بن مصعب الزبيري يا امير المؤمنين ان هذا بغي في خلافته قال لم قال قد قبل عليه عبد الله بعد ما ان يخاصم عبد الله بن الحسن بن عبد العزيز عم عبد الله من عبد المطلب وقال كنا ونكم ويحيى ينكث فلما فرغ عبد الله قال يحيى ومن انتم حكم الله فقعد على الرشيد الضحك وقام يحيى ثم يجيء يوما اخر فابتدأ عبد الله يكلمه فاحتفظه لله فقال يا امير المؤمنين ما يحبك بعفوي ولكنه اصبح عندي ما وجد عدوك وانه القائل

ان الحمامة يوم الشعب من حضن	هاجت فؤاد محب دائم الحزن
انا لنأمل ان ترتد الفتنا	بعد التدابر والبغضاء والاحن
وتنقضي دولة احكام قادتنا	فينا كاحكام قوم عابدي وثن
فقد طالما قد بروا بالجور اعظمنا	بري الصناع قداح النبع بالسفن

فانهض

فانهض ببيعتكم ننهض بطاعتنا	ان الخلافة فيكم يا بني حسن
لا عز ركن نزار عند سطوتكم	ان اسلمكم ولا ركنا ذوي يمن
الست اكرمهم يوما اذا انتسبوا	عودا وانقاهم ثوبا من الدرن
واعظم الناس عند الناس منزلة	وابعد الناس من عيب ومن ابن

فتغير وجه الرشيد وقال ما هذا يا عبد الله قال والله يا امير المؤمنين ما هي لي وانها لسديف فقال له يحيى انا احلفه بيمين لم الابن قال احلف فلكا وتغير في حلفه فقال قل قد برئت من حول الله وقوته والجأت الى حولي وقوتي ان كنت قلت هذه الابيات فحلف بها ثم مكانه وادخل بعد ثلاثة ايام قبره فما برح من هناك حرمة ابيه واستخف بعظم حقه ثم ما بعد الجميع من عقابه والعيا به من النار ومن صائر اليها وحكى ابو سعيد القطربلي قال حدثني بعض مشايخنا قال اتينا الى سدفة خانا قال فاتيناه فاذا قرات كتابا في بعض بيوته يقول العلي بن محمد بن عبد الله بن حسن بن علي رضي الله عنهم بنيت الى هذا الموضع حافيا خائفا حتى اشتعلت بالدم وانا اقول

عسى مشرب يصفو فيروى ظميه	اطال صداها المنهل المتكدر
عسى بالجنوب العاريات ستكتسي	وبالمستذل المستضام سينصر
عسى جابر العظم الكسير بلطفه	سيرتاح للعظم الكسير فيجبر
عسى الله لا تيأس من الله انه	يسير عليه ما يجل ويكبر

قال محدث هذا الحديث بعض ولد المهدي كان يقال لي كنت عاملا ابي الشام على الصراة فدخلت كنيسة للنصارى بها موصوفة انظر اليها فاذا بين التصاوير مكتوب بخط صالح بن علي بن عبد الله بن العباس نزلت هذه الكنيسة وانا مكبل بالحديد محمول الى امير المؤمنين هشام بن عبد الملك وانا اقول

ما اشتد باب ولا ضاقت مذاهبه	الا اتاني وشيكا بعده الظفر

قال وكان بين ذلك وبين ان نزل صالح بن علي تلك الكنيسة محاربا لمروان اربع عشرة سنة ووجد في بعض ادراج [illegible] السلطانية في اوقات وما حمل الى الامير ابي الفضل جعفر بن يحيى الهدية البر ومن الخزانة من العين الطري ماية الف دينار وفي تمام الحساب وما امرح لمن الفظ والبوابين لاعالى جعفر بن يحيى بعفو عند دهرها وحكى ان الفضل بن الربيع صار الى الفضل بن يحيى البرمكي في حاجة فلم يرفع مجلسه ولا قضى حاجته فانصرف مغضبا فلم يدع له دابته ولا اكرم لغضبه وكان ذلك بحضرة يحيى بن خالد فقال يحيى لبعض خاصته اتبعه فانظر ماذا يقول فان الرجل يظهر ما في نفسه في ثلاثة اماكن اذا اضطجع على فراشه واذا خلا بسره واذا استوى على سرجه فسمع الرجل يقول بعد ان قعد على سرجه

عسى وعسى يثني الزمان عنانه	بدور زمان والزمان يدور

فيعقب وعقبات سرور وغبطة   ويحدث من بعد الأمور أمور

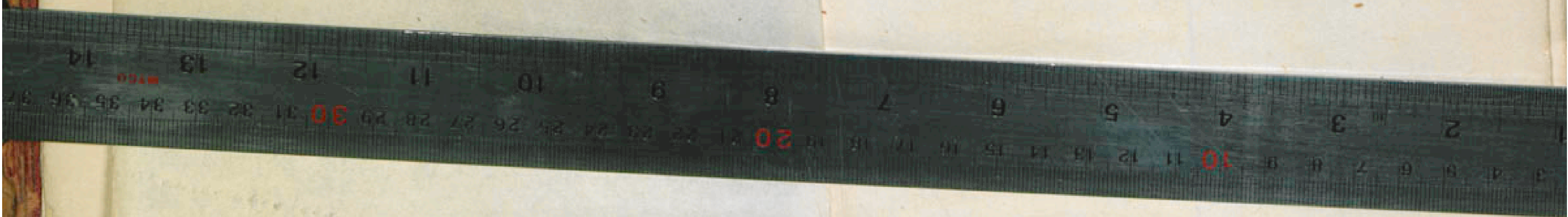
فلم يكن بين ذلك وبين أن سخط الرشيد على البرامكة إلا أياماً قلائل واستوى الفضل على الوزارة والمملكة
وفي أخبار الأوائل أن [illegible] دوس ملك يونان كتب إلى ابنقس أن يزوره بما عنده من فلسفته وكتب
حكمته ويكون في ظله إلى أن يفرق بينهما الدهر فجمع ماله وحكمته في عيبة ضخمة وارتحل قاصداً نحوه فلقي
في بعض البادية قوماً من قطاع الطريق فطمعوا فيما لديه وهموا بقتله فناشدهم الله أن لا يقتلوه وأن يأخذوا
ماله ويخلوه فأبوا وتحير ونظر يميناً وشمالاً فلم يجد معيناً فلم يجد من يفزع إليه فرفع رأسه إلى السماء وهو ينظر في الهواء
فرأى كراكي تطير في الجو محلقة فصاح أيتها الكراكي الطيارة قد عجزت في المعين وأعيا في الناس فكونوا
الطالبة بمهجتي الآخذة بثأري فضحك اللصوص وقال بعضهم هذا أنقص الناس عقلاً ومن لا عقل له لا جناح
في قتله ثم قتلوه وأخذوا ماله واقتسموه وعادوا إلى أماكنهم فلما اتصل خبره بأهل مدينته حزنوا
عليه وأعظموا قتله وسعوا أثر قاتله واجتهدوا فلم يغنوا شيئاً ولم يقفوا على شيء وحضر لليونانيين عيد
واجتمع أهل مدينته إلى هيكلهم لقراءة التسابيح والمذاكرة بالحكمة والعظة وحضر الناس من كل أوب
وجاءت القتلة واختلطوا بالناس وجلسوا عند بعض أساطين الهيكل فهم على ذلك إذ مر بهم كراكي تنادي
وتضج فرفع اللصوص أعينهم ووجوههم إلى الجو ينظرون ما فيه فإذا كراكي تصيح وتطير وتسد الجو
فتضاحكوا وقال بعضهم لبعض ها أوله طالبوا دم ابنقس الجاهل على طريق الاستهزاء فسمع كلامهم بعض من
كان بالقرب منهم فأخبر غيره فأخذهم السلطان وشدد عليهم وطالبهم وقررهم فأقروا بقتله عن آخرهم و
كانت الكراكي الطالبة بدمه لو كانوا يعقلون وينتصرون وإن كان خاطب الكراكي فإنما أشار إلى رب
الكراكي وخالقها ولم يبطل الله دمه ولا أسقط [illegible] إجابته فسبحانه عز وجل كيف يهيئ الأسباب ويفتح
الأبواب ويرفع الحجاب بعد الحجاب له الحمد وله المنة وصلواته وسلامه على سيدنا ومولانا أشرف
خلقه ورسوله محمد وعلى آله أجمعين آمين

تم المجلد الثاني من كتاب خلق الإنسان وخلقه بعون الله وحسن توفيقه على يد العبد الأذل في الخليقة
بل الأشقى في الحقيقة محمد تقي بن جواد الكاظمي يوم الأربعاء سادس شهر ربيع الثاني من سنة أربع وسبعين
بعد الألف من الهجرة النبوية على مشرفها أفضل الصلاة والسلام نقلتها من نسخة نقلت من النسخة الأخيرة
المقروءة المكتوبة على أوهام كاتبي مجلدات بخط الشيخ الإمام بيان الحق أبي القاسم محمود بن أبي الحسن النيسابوري
مصنفه تغمده الله برحمته ورزقنا لقاءه آمين والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله
وأصحابه وأزواجه وذريته أجمعين الطيبين
الطاهرين



مكتوب واخرها ما نقصه





متى

٣٩٥

ابن المعتز لعنه الله واحله درك جهنم

قوم هم كدر الحيوة وسقمها ... عرض البلاء بهم علي وطالا

ياكلون ضغينة وخيانة ... ويرون لحم الغافلين حلالا

وهم قرار الشر يوم ملمة ... يتناقلون نفاشيا وخبالا

وهم اسبل الحديث اذا وعوا ... سر انقطر منهم او سالا

لما ابو اخليت وجه طريقهم ... وحللت منهم من يدي عقالا

وله عليه لعنة الله

اذا ما قلت في قولي حديث ... وان اثرت عادوا لاستداعي

فكذم لهم في جنب مسح ... وحد في اثناء المزاح

وهو من قول بعضهم

لي صاحب ليس يخلو ... لسانه من جراحي

يجيد تمزيق عرضي ... على طريق المزاح

ولابن المعتز غضب الله عليه

فدع ذكر شيء قد مضى ليس راجعا ... فان الدهر قد تولى وذاد كدر

وله اصلاه الله عذاب السعير

ما اقصر الليل على الراقد ... واهون السقم على العائد

نفديك ما ابقيت من مهجتي ... لست لما اوليت بالجاحد

كاني عانقت ريحانة ... تنفست في ليلها البارد

فلو ترانا في قميص الدجى ... حسبتنا في جسد واحد

وله حلله الله في سواء الجحيم

اشكو الى الله احداثا من الزمن ... مين حسي بين القدح بالسنف

وكلنا في دون خلواتها كلهم ... فليتني لم ار الدنيا ولم ترني

يا نفس صبرا والا فاهلكي جزعا ... ان الزمان على ما تكرهين بني

تلقى وابل اهنا وذا لوذا ... بايهم لم يعد دهر ولم يخن

لا تحسبي نعما سرتك صحتها ... الا مفاتيح ابواب من الحزن

ما المرء الا كعبد السوء ضربه ... سوط الزمان ولا يمشي على السنن

لبعضهم

متى تقضي حاجات من ليس الغنا ... الى حاجة حتى تكون له اخرى

تموت مع المرء حاجاته ... وما حاجة من عاش لا تنقضي

(٨٢) محمود بن ابي الحسن بن الحسين النيسابوري الغزنوي يلقب ببيان الحق كان عالما بارعا مفسرا لغويا فقيها متفننا فصيحا له تصانيف ادعى فيها الاعجاز منها كتاب خلق الانسان وجمل الغرائب في تفسير الحديث وايجاز البيان في معاني القرآن وغير ذلك ومن شعره

فلا تحقرن خلقا من الناس علّه ... ولي اله العالمين ولا تدري

فذو القدر عند الله يخفى على الورى ... كما خفيت عن علمهم ليلة القدر

(معجم الادباء لياقوت الحموي طبعة مارجليوث ج ٧ ص ١٤٥-١٤٦)

ك خاف بغية الوعاة للسيوطي طبع مصر لسنة ١٣٢٦ ص ٣٨٧

في حديث المخنث الذي كان يدخل على أمهات المؤمنين

إذا أقبلت أقبلت بأربع وإذا أدبرت أدبرت بثمان وفي رواية تقبل بأربع وتدبر بثمان

قال أبو عبيد وسائر العلماء معنى قوله تقبل بأربع وتدبر بثمان أي أربع عكن وثمان عكن قالوا ومعناه أن لها أربع
عكن تقبل بهن من كل ناحية ثنتان ولكل واحدة طرفان فإذا أدبرت صارت الأطراف ثمانية قالوا وإنما أنث
فقال ثمان وكان أصله أن يقول ثمانية فإن المراد الأطراف وهي مذكرة لأنه لم يذكر لفظ المذكر ومتى لم
يذكره جاز حذف الهاء كقوله صلى الله عليه وآله وسلم من صام رمضان وأتبعه بست من شوال

انتهى من شرح صحيح مسلم [illegible] النواوي

قوله تقبل بأربع [illegible] يريد بأربع عكن في البطن قدامها فإذا أقبلت رؤيت مواضعها بارزة منكسرة الغضون وكذا نقله الشيخ محيي الدين عن أبي عبيد
وأراد بالثمان أطراف هذه العكن من ورائها عند منقطع الجنبين
وإنما أنث ثمان ولم يقل ثمانية لأن المراد الأطراف وهي مذكرة وإنما جاز حذف الهاء لأنه لم يذكر لفظ
المذكر كقوله صلى الله عليه وآله وسلم من صام رمضان وأتبعه بست من شوال

من شرح المصابيح ومنه نقلت

وكتب علي نظام
عفي عنهما
[illegible]